

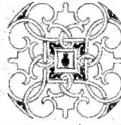
أَحَبُّ الدُّنْيَا

تأليف
الإمام العلامة الفقيه القاضى
أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي

رحمه الله تعالى
(٣٦٤ - ٤٥٠ هـ)

دار الكتب

أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى الدُّنْيَا



تأليف

الإمام العلامة الفقيه الفاضل

أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي

رحمه الله تعالى

(٣٦٤ - ٤٥٠ هـ)



نُشِرَتْ بِمُجْدَمَتِهِ وَالْعَنَاءِ بِهِ

الجنة العلمية بمركز دار المنهج للدراسات والتحقيق العلمي



دار المنهج

الطبعة الأولى
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م
جميع الحقوق محفوظة للناسر

اسم الكتاب : أدب الدين والدنيا	عدد الأجزاء : (١)
المؤلف : الإمام الماوردي (ت ٤٥٠ هـ)	عدد المجلدات : (١)
الإعداد : مركز دار المنهاج للدراسات	نوع الورق : شاموا فاخر
موضوع الكتاب : أخلاق وأدب	نوع التجليد : مجلد فني
مقاس الكتاب : (٢٤ سم)	عدد الصفحات : (٧٦٨ صفحة)
تصنيف ديوي الموضوعي : (٢١٢)	عدد ألوان الطباعة : لوان

التصميم والإخراج : مركز المنهاج للصف والإخراج الفني

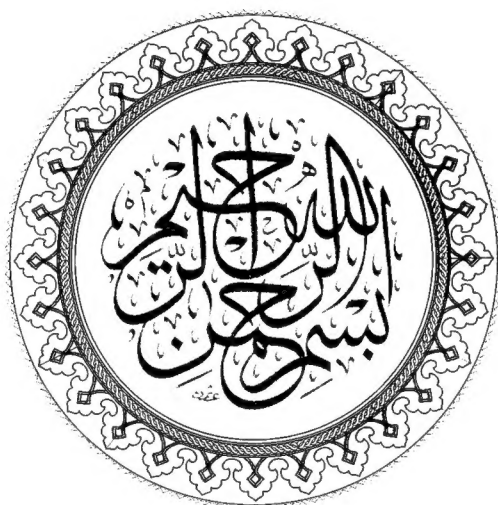
لا يسمح بإعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال ، أو نسخه ، أو حفظه في أي نظام إلكتروني أو ميكانيكي يمكن من استرجاع الكتاب أو أي جزء منه ، وكذلك لا يسمح بترجمته إلى أي لغة أخرى دون الحصول على إذن خطي مسبقاً من الناسر .



9 789953 154114 3

الرقم المعياري الدولي

ISBN: 978 - 9953 - 541 - 14 - 3





دار المنهاج

لبنان - بيروت

هاتف: 05 806906 - فاكس: 05 813906

دار المنهاج للنشر والتوزيع

إصباحها عن رسول الله
وَقَقَهُ اللهُ تَعَالَى

المملكة العربية السعودية - جدة

حي الكندرة - شارع أبها تقاطع شارع ابن زيدون

هاتف رئيسي 6326666 - الإدارة 6300655

المكتبة 6322471 - فاكس 6320392

ص. ب 22943 - جدة 21416

عضو في الاتحاد العام للناشرين العرب

عضو في إدارة جمعية الناشرين السعوديين

عضو في نقابة الناشرين في لبنان

www.alminhaj.com

E-mail: info@alminhaj.com

الموزعون المعتمدون داخل المملكة العربية السعودية

جدة

مكتبة دار كنوز المعرفة

هاتف 6510421 - 6570628

مكة المكرمة

مكتبة نزار الباز

هاتف 5473838 - فاكس 5473939

مكة المكرمة

مكتبة الأسدي

هاتف 5273037 - 5570506

المدينة المنورة

مكتبة الزمان

هاتف 8366666 - فاكس 8383226

المدينة المنورة

دار البدوي

هاتف 0503000240

الدمام

مكتبة المتنبى

هاتف 8344946 - فاكس 8432794

الطائف

مكتبة المزيني

هاتف 7365852

الرياض

مكتبة الرشد

هاتف 2051500 - فاكس 2253864

الرياض

دار التدمرية

هاتف 4924706 - فاكس 4937130

الرياض

مكتبة العيكان

وجميع فروعها داخل المملكة

هاتف 4654424 - فاكس 2011913

الرياض

مكتبة جرير

وجميع فروعها داخل المملكة وخارجها

هاتف 4626000 - فاكس 4656363

الموزعون المعتمدون خارج المملكة العربية السعودية



فيرجن وفروعها في العالم العربي

الإمارات العربية المتحدة

حروف للنشر والتوزيع - أبو ظبي

هاتف 5593007 - فاكس 5593027

مكتبة الإمام البخاري - دبي

هاتف 2977766 - فاكس 2975556

مكتبة دبي للتوزيع - دبي

هاتف 3339998 - فاكس 3337800

الجمهورية اليمنية

مكتبة تريم الحديثة - حضرموت

هاتف 417130 - فاكس 418130

مملكة البحرين

مكتبة الفاروق - المنامة

هاتف 17272204 - فاكس 17256936

جمهورية مصر العربية

دار السلام - القاهرة

هاتف 22741578 - فاكس 22741750

مكتبة نزار الباز - القاهرة

هاتف 25060822 - جوال 0122107253

دولة الكويت

مكتبة دار البيان - حولي

تلفكس 22616490 - جوال 9952001

دار الضياء للنشر والتوزيع - حولي

هاتف 22658180 - فاكس 22658180

المملكة المغربية

مكتبة التراث العربي - الدار البيضاء

هاتف 0522853562 - فاكس 0522854003

دار الأمان - الرباط

هاتف 0537723276 - فاكس 0537200055

الجمهورية اللبنانية

الدار العربية للعلوم - بيروت

هاتف 785107 - فاكس 786230

مكتبة التمام - بيروت

هاتف 707039 - جوال 03662783

المملكة الأردنية الهاشمية

دار محمد دنديس - عمان

هاتف 4653390 - فاكس 4653380

دولة قطر

مكتبة الثقافة - الدوحة

هاتف 44421132 - فاكس 44421131

جمهورية الجزائر

دار البصائر - الجزائر

هاتف 021773627 - فاكس 021773625

الجمهورية العربية السورية

مكتبة المنهاج القويم - دمشق

هاتف 2235402 - فاكس 2242340

الجمهورية التركية

مكتبة الإرشاد - إستانبول

هاتف 02126381633 - فاكس 02126381700

جمهورية الصومال

مكتبة دار الزاهر - مقديشو

هاتف 002525911310

الهند

مكتبة الشباب العلمية - لكتناؤ

هاتف 00919198621671

جمهورية أندونيسيا

دار العلوم الإسلامية - سورويابا

هاتف 0062313522971

جوال 00623160222020

انكلترا

دار مكة العالمية - برمنجهام

هاتف 01217739309 - جوال 07533177345

فاكس 01217723600

جمهورية فرنسا

مكتبة سنا - باريس

هاتف 0148052928 - فاكس 0148052997

جميع منشوراتنا متوافرة على

 **Furat**
فُرَات **Furat.com**

موقع رائد لتجارة الكتب والبرمجيات العربية

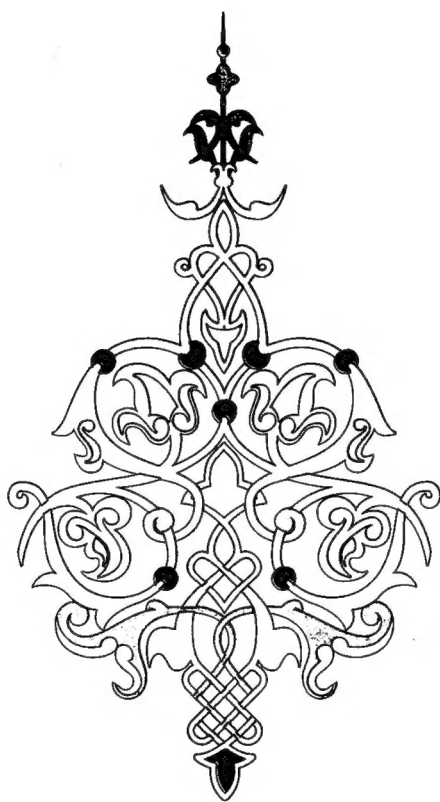
www.furat.com

موقع مكتبة نيل وفرات . كوم لتجارة الكتب

www.nwf.com

كُنْ ابْنَ مَنْ شِئْتَ وَانْتَسِبْ أَدَبًا
يُغْنِيكَ مَحْمُودُهُ عَنِ النَّسَبِ
فَلَيْسَ يُغْنِيَنِ الْحَسِبَ نَسَبُهُ
بِاللِّسَانِ لَهُ وَلَا أَدَبِ
إِنْ لَفْتِي مَنْ يَقُولُ هَذَا
لَيْسَ لَفْتِي مَنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي

سَيِّدَنَا عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ
كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ



بين يدي الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، حمد الذاكرين الشاكرين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين ، وعلى آله وصحبه الطيبين .

وبعد : فقد قيل قديماً : لم يترك الأول للآخر ؛ اتساعاً بقول عنترة :

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهم
فكان هذا القيل ذريعةً لمحبي الدعة والتقليد إلى العكوف على مصنفات
السلف وتحفظها وتدريسها .

لكن أوجد الله تعالى في كل قرن من هذه الأمة من يحمل راية الاجتهاد
والتجديد ؛ لإحياء النظر ، وإعمال الفكر .

ولله درّ الجاحظ إذ قال : (ليس ممّا يستعمل الناس كلمةً أضربُ بالعلم
والعلماء ، ولا أضربُ بالخاصة والعامة من قولهم : « ما ترك الأول للآخر
شيئاً »)^(١) .

وهذا أمير البيان أبو تمام يقول :

كم ترك الأول للآخر

ويقول بعض الفضلاء : (التصنيف على سبعة أقسام ، لا يصنف عالم عاقل
إلا فيها ؛ وهي : إما شيء لم يسبق إليه فيخترعه ، أو شيء ناقص فيتّمه ، أو شيء
مغلّق يشرحه ويبيّنه ، أو شيء طويل يختصره ، أو شيء متفرّق يجمعه ، أو شيء
مختلط يرتبه ، أو شيء أخطأ فيه مؤلفه فيصلحه)^(٢) .

(١) انظر « الخصائص » للإمام ابن جني (١٩١/١ - ١٩٢) .

(٢) انظر « نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب » للإمام المقرئ (١٧٦/٣) .

ونحن إذ نقف على ساحل « أدب الدين والدنيا » . نرى الإمام أبا الحسن رحمه الله داخلاً في القسم الخامس من أقسام التصنيف ، ولكنه أبدع فيه إذ جمع - كما قال في مقدمته - بين تحقيق الفقهاء ، وترقيق الأدباء ، وأورد فيه شواهد من الكتاب والسنة ، والأمثال والحكم والأشعار .

ولقد قصد إلى تنويع أبوابه وفصوله ؛ دفعاً للملال ، وحثاً على التمسك بمحاسن الخصال :

فمن الحديث عن العقل وفضله دخل إلى بيان أدب العلم والعالم والمتعلم ، ثم ثلث بأدب الدين ذاكرًا فيه المأمورات والمنهيات ، ورياضة النفس .

ثم توسع في بيان قواعد صلاح الدنيا ، وقواعد صلاح الإنسان فيها .

ويحتل أدب النفس القسم الأكبر من الكتاب ، فهو يعرضه في أدبين :

- أدب الرياضة والاستصلاح : ذكر فيه محاسن الأخلاق ومذامئها ، وبين وسائل محاسبة النفس ومعالجتها للتخلص من أدوائها .

- وأدب المواضعة والاصطلاح : ذكر فيه أحوال النفس من إلقاء الكلام وفهمه ، والبلاغة فيه ، والمشورة وحفظ السرِّ وغيرها ، وأطال في ذكر المروءة وشروطها .

وختم كتابه بأدب منثورة ونصائح جليلة .

فلا جرم أتى هذا الكتاب الجليل مستكملًا متنوعًا ، فحاز القبول لدى أهل العلم على توالي الأعصار ، فقرأ في المجالس ، وأكثر العلماء من الاستشهاد بشواهده وأخباره ؛ كالطُّرْطُوشِيّ (ت ٥٢٠هـ) في « سراج الملوك » ، والوطواط (ت ٧١٨هـ) في « غرر الخصاص الواضحة » ، والمُناوِيّ (ت ١٠٣١هـ) في « فيض القدير » و« التيسير » .

وعكف على اختصاره ابن ليون التجيبيّ (ت ٧٥٠هـ) في « النخبة العليا من أدب الدين والدنيا » .

وشرحه أويس وفا بن محمد بن أحمد بن خليل بن داوود الأرزنجاني الشهير
بـ (خان زاده) المتوفى بعد سنة (١٣٢٧ هـ) .

ويبدو للمطلع أن مصادر المؤلف رحمه الله في الأعم الأغلب .. هي أمهات
دواوين العرب ، وأبرزها كتب الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، وابن قتيبة (ت
٢٧٦ هـ) ، وابن عبد ربه (ت ٣٢٨ هـ) ، وأبي عبيد القاسم بن سلام (ت
٣٣٨ هـ) ، وأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، وأبي حيان التوحيدى (ت
٤١٤ هـ) ، وأبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) .

والمستور يدلُّ على المستور ، وينمُّ عن مكنون العلم ، ومخزون المعرفة ؛
ففي هذا الكتاب تبرز شخصية المؤلف ، فتراه يفصل تباين وجهات النظر في
مسائل عقلية كلامية ؛ كتعريف العقل وصفته ومحلّه ، وأخرى فقهية ؛ كأحوال
النهي عن المنكر ، وموجب نصب الإمام ، وجواز تعدّده ، وأخلاقية تربوية ؛
كالاستكثار من الإخوان ، وغير ذلك كثير من المواضيع الماثلة في ثنايا
الكتاب .

فإذا عرض آيةً وأراد بيان الأقوال في تفسيرها .. كان له ذلك مع الإتقان
والاختصار ، وكيف لا وهو صاحب « النكت والعيون » ؟!

ويبدو جلياً حبّه للشعر والأدب من خلال كثرة الشواهد وتواردها على المعنى
الواحد من الشعر والأمثال والحكم .

فهو إذاً منطقيٌّ فقيهٌ زاهدٌ مفسّرٌ أديب .

وليس على الله بمستنكرٍ أن يجمعَ العالمَ في واحدٍ
جعلنا الله تعالى على سننه في العلم والإخلاص ، وتقبَّل مِنَّا أعمالنا بفضلِهِ
وكرمه ، وستر عيوبنا ، إنه على ما يشاء قدير ، وبالإجابة جدير .

الناشر

ترجمة
الإمام العلامة الفقيه القاضي
أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي

رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى (١)
(٣٦٤ - ٥٤٥٠هـ)

اسمه ولقبه وأسرته

هو أفضى القضاة ، أبو الحسن ، علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي ، وهي نسبة إلى عمل الماورد ؛ لأن بعض أجداده كان يعمله أو يبيعه .
تذكر المصادر : أن له ابناً اسمه أبو الفائز عبد الوهاب الشاهد ، سمع الحديث بالبصرة على أبي الحسن علي بن القاسم بن الحسن النجاد ، وقدم بغداد مع والده واستوطنها ، وقبل قاضي القضاة ابن ماکولا شهادته في بيت النوبة احتراماً لأبيه ، توفي في العاشر من محرم ، سنة (٤٤١هـ) في حياة والده .

سيرته العلمية

ولد الإمام أبو الحسن الماوردي بالبصرة سنة (٣٦٤هـ) ، ونشأ بها محباً للعلم ، ولوعاً به ، وتفقه بها على أبي القاسم عبد الواحد بن الحسين

(١) أهم مصادر الترجمة : تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٠١/١٢ - ١٠٢) ، معجم الأدباء لياقوت الحموي (٣٦٦/٥ - ٣٦٨) ، الأنساب للسمعاني (١٨٢/٥) ، طبقات الفقهاء الشافعية لابن الصلاح (٦٤٢ - ٦٣٦/٢) ، وفيات الأعيان لابن خلكان (٢٨٤ - ٢٨٢/٣) ، تاريخ الإسلام (٢٥٦ - ٢٥٢/٣٠) ، مختصر سير أعلام النبلاء كلاهما للذهبي (٦٨ - ٦٤/١٨) ، الوافي بالوفيات للصفدي (٤٥١/٢١ - ٤٥٣) ، مختصر طبقات الفقهاء للنووي (ص ٥٣٠ - ٥٣٥) ، مرآة الجنان للياضي (٧٣ - ٧٢/٣) ، المهمات للإسنوي (٣١٤ - ٣١٥) ، طبقات الفقهاء الشافعيين لابن كثير (٤١٨/١ - ٤١٩) ، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢٦٧/٥ - ٢٨٥) ، لسان الميزان لابن حجر (٢٤/٦ - ٢٥) ، شذرات الذهب لابن العماد (٢١٩ - ٢١٨/٥) .

الصَّيْمَرِيَّ^(١) ، المتوفى بعد سنة (٣٨٦هـ) ، من أصحاب الوجوه .
وأخذ الحديث بها عن الإمام المحدث محمد بن عدي بن زُحْر المنقري ،
والإمام المحدث محمد بن المعلى الأزدي .
ثم رحل إلى بغداد ، وسكن درب الزعفراني^(٢) ، وأخذ الفقه بها على الشيخ
أبي حامد أحمد بن محمد الإسفراييني (ت ٤٠٦هـ) .
وأخذ الحديث ببغداد عن أبي علي الحسن بن علي بن محمد الجبلي ؛
صاحب أبي خليفة الجمحي ، وجعفر بن محمد بن الفضل البغدادي .

سلامته

روى عنه : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت
٤٦٣هـ) ، وأبو بكر أحمد بن علي بن بدران الحلواني البغدادي ؛ المعروف
بـ (خالوه) (ت ٥٠٧هـ) .
وآخر من روى عنه : أبو العز أحمد بن عبيد الله ابن كادش السلمي العكبري
(ت ٥٢٥هـ) .

منزلة العالمية

تصدّر الإمام أبو الحسن الماوردي مجالس التدريس ، وأخذ في التأليف في
شتى الفنون ؛ حتى طبقت شهرته الآفاق ، وضربت إليه أكباد الإبل .
ثم استقضى فنال لقب (أفضى القضاة) سنة (٤٢٩هـ) ، وهذه الرتبة دون
(قاضي القضاة) على سبيل الاصطلاح ، وإلا . . فالأولى أن يكون أفضى القضاة
أعلى منزلة .
وكان ذا منزلة من ملوك بني بُوَيّه ، يرسلونه في التوسّطات بينهم وبين من
يनावوئهم ، ويرتضون بوساطته ، ويقفون بتقريراته .

(١) منسوب إلى صَيْمَرَة ؛ كورة من أعمال البصرة .

(٢) من أحياء بغداد ، منسوب لأبي علي الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني (ت ٢٦٠هـ) .

مؤلفاته

للعلامة أبي الحسن فهم ثاقب ، وقلم سيّال ، متوّجّان بتوفيق الله سبحانه ،
فأثمر ذلك تصانيف حسناً في كل فن ؛ منها :

تفسير القرآن المسمى : « النكت والعيون » جعله مقصوراً على تأويل ما خفي
علمه ، جامعاً بين أقاويل السلف والخلف .

و« الحاوي الكبير » في الفقه ، شرح به « مختصر المزيّ » ، مع استيفاء
اختلاف الفقهاء .

و« الإقناع » في الفروع .

و« أعلام النبوة » .

و« أمثال القرآن » .

و« الأحكام السلطانية » وهو فريد في بابهِ ، جرّده من كتب الفقه ؛ ليرجع إليه
ولاة الأمور فيما لهم وعليهم .

و« قوانين الوزارة وسياسة الملك » .

و« تسهيل النصر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك » .

وله كتاب في النحو بحجم « الإيضاح » للفراسي ، رآه ياقوت الحموي^(١) .

اجتهاده في الأصول والفروع

تفرّد العلامة أبو الحسن الماوردي في فقه الشافعية وأصولهم بمسائل تدل على
اجتهاده وسعة باعه في العلم والنظر .

فمن غرائبه : عدم تصحيح التحمل والرواية بالإجازة ، وذكر أنه مذهب
الشافعي ، وقال : (ولو جازت الإجازة . . لبطلت الرحلة)^(٢) .

(١) انظر « معجم الأدباء » (٣٦٨ / ٥) .

(٢) انظر « الحاوي الكبير » (١٩ / ١) .

ونراه متحرراً عن التقليد في رده قول شيخه الصِّمريّ : (إن كل مجتهد مصيبٌ في أنه أدّى ما كُلف من الاجتهاد ، مخطئٌ للحكم الذي أَراده الله تعالى إلا واحداً) بقوله : (وليس بصحيح ؛ لأنه كُلف الاجتهاد المؤدّي إلى الصواب ، لا المؤدي إلى الخطأ)^(١) .

وسلك طريقة في ذوي الأرحام يُورث فيها القريب والبعيد بالسوية ؛ وهو مذهب بعض المتقدمين .

الإمام الماوروي والاعتزال

رماه تقي الدين ابن الصلاح بالاعتزال ، وقال : (إن تفسيره عظيم الضرر ؛ لأنه حُشي بالتدسيسات وأقوال تنبني على أصول المعتزلة ، مع أنه لا يتظاهر بالانتساب إليهم حتى يحذر)^(٢) .

لكن قال الذهبي : (وبكل حال هو - مع بدعة فيه - من كبار العلماء ؛ فلو أننا أهدرنا كل عالم زلاً . . . لَمَا سلم معنا إلا القليل .

فلا تحطّ - يا أخي - على العلماء مطلقاً ، ولا تبالغ في تقيظهم مطلقاً ، واسأل الله أن يتوفاك على التوحيد)^(٣) .

وحاول ابن كثير الاعتذار للماوردي فقال : (اتهمه ابن الصلاح بالاعتزال بحسب ما فهمه منه في « تفسيره »)^(٤) .

لكن خاتمة المحققين ابن حجر العسقلاني أنصفه فقال : (لا ينبغي أن يطلق عليه اسم الاعتزال . . . والمسائل التي وافق فيها المعتزلة معروفة ؛ منها : وجوب الأحكام والعمل بها مستفادٌ من العقل لا الشرع)^(٥) .

(١) انظر « الحاوي الكبير » (١٩٢/٢٠) .

(٢) طبقات ابن الصلاح (٦٣٨/٢) .

(٣) تاريخ الإسلام (٢٥٦/٣٠) .

(٤) طبقات الفقهاء الشافعيين (٤١٩/١) .

(٥) لسان الميزان (٢٥-٢٤/٦) .

زهد ووري

كان العلامة أبو الحسن الماوردي رحمه الله مثلاً للزهد التطبيقي ؛ فهو أقضى القضاة ، ذو التأليف والشهرة ، صاحب الهيئة والسمت الحسن ، وكل ذلك لم يسلبه تواضع العلماء ، ونصح المخلصين .

فلقد أنكر بعض الفقهاء تلقيبه بأقضى القضاة بعد أن كتبوا خطوطهم بجواز تلقيب جلال الدولة بملك الملوك الأعظم ، فلم يلتفت إليهم ، واستمر له اللقب ، لكنه أفتى بمنع التسمية بملك الملوك الأعظم ، وقد كان من خواص جلال الدولة ، فدل ذلك على أنه صدّاعٌ بالحق ، لا يخشى فيه لومة لائم .

وبعد صدور هذه الفتوى منه انقطع عن جلال الدولة ، فطلبه وقال له : (أنا أتتحقق أنك لو حابيت أحداً . لحابيتني ؛ لما بيني وبينك ، وما حملك إلا الدين ، فزاد بذلك محلّك عندي)^(١) .

قال التاج السبكي : (ولم تمكث دولة بني بويه بعد هذا اللقب إلا قليلاً ، ثم زالت كأن لم تكن سنة « ٤٤٧ هـ »)^(٢) .

ويدل لزهده أيضاً ما قيل : إنه لم يظهر كتبه ؛ لأنه لم يجد نية خالصة لله تعالى لم يشبها كدر ، وأوصى من حضره : أن يضع يده في يده ؛ فإن قبضها . فليلقها في دجلة ، وإلا . فلتنشر ، فأظهرت كتبه بعده^(٣) .

أقول : لقد قرئ كتاب « أدب الدين والدنيا » في المجالس سنة (٤٢١ هـ) كما في مقدمته ، وكذلك انتشر كتاب « الإقناع » حتى أثنى عليه الخليفة القادر بالله (٤٢٢ هـ) ؛ ولذلك قال ابن السبكي : (لعل المراد بذلك « الحاوي » ؛ وإلا . فقد رأيت من مصنفاته غيره كثيراً وعليه خطّه ، ومنه ما أكملت قراءته عليه في حياته)^(٤) .

(١) انظر « تاريخ الإسلام » (٤١ / ٢٩) .

(٢) طبقات الشافعية الكبرى (٢٧٢ / ٥) .

(٣) انظر « تاريخ الإسلام » (٢٥٤ / ٣٠) ، و « طبقات الشافعية الكبرى » (٢٦٨ / ٥) .

(٤) انظر « طبقات الشافعية الكبرى » (٢٦٩ / ٥) .

سمت وادب

قال عبد الملك بن إبراهيم الهمداني : (لم أرَ أوقَرَ منه ، ولم أسمع منه مضحكةً قط ، ولا رأيت ذراعه منذ صحبته إلى أن فارق الدنيا)^(١) .

ولقد أولع الإمام الماوردي بالشعر والأدب ؛ فهو ينشده في خروجه من بغداد إلى البصرة ، يقول^(٢) :

خرجنا كارهين لها فلما ألفناها خرجنا مكرهينا
وما حبُّ البلاد بنا ولكن أمرُّ العيشِ فرقةً مَنْ هوينَا
خرجتُ أقرَّ ما كانت لعيني وخلفتُ الفؤادَ بها رهينا

ولما كان الشعر ديوان العرب ، وقاموس لغتهم . . فقد أكثر من إنشاده في « الحاوي » لبيان المعاني اللغوية ، وزيادة جلاء المسائل الفقهية ؛ كقوله في مسألة من القراض : (قال ربُّ المال للعامل : لك ثلث الربح ، وما بقي . . فلي ثلثه ، وثلثاه لك . .)^(٣) فبيّن الجواب فيها ، ثم أورد قول الشاعر :

لك الثُّلُثانِ مِنْ قلبي وثلُّثا ثُلُثِهِ الباقي
وثلُّثا ثُلُثٍ ما يبقَى وثلُّثُ الثُّلُثِ للسَّاقِي
وتبقَى أسهُمٌ سِتٌّ تُفَرِّقُ بين عُشَّاقِي

قال التاج السبكي : (وقد أورثه حب الأدب إدخال هذه الأبيات الغزلية في الفقه)^(٤) .

من العلماء وعلماء

- لما صنف « الإقناع » . . قال له الخليفة القادر بالله : (حفظ الله عليك دينك كما حفظت علينا ديننا)^(٥) .

(١) انظر « معجم الأدباء » (٣٦٧/٥) .

(٢) انظر « شذرات الذهب » (٢١٩/٥) .

(٣) انظر « الحاوي الكبير » (١٤٨/٩) .

(٤) طبقات الشافعية الكبرى (٢٧٦/٥) .

(٥) انظر « معجم الأدباء » (٣٦٨/٥) .

- ويقول عنه تلميذه الخطيب البغدادي : (من وجوه الفقهاء الشافعيين ،
كتبْتُ عنه ، وكان ثقة)^(١) .

- ويقول ياقوت الحموي : (كان عالماً بارعاً متفتناً) ، وروى عنه قوله :
(بسطت الفقه في أربعة آلاف ورقة ، واختصرته في أربعين) يريد « الحاوي »
و« الإقناع »^(٢) .

- ويقول ابن خيرون : (كان رجلاً جليلاً عظيم القدر ، متقدماً عند السلطان ،
أحد الأئمة ، له التصانيف الحسان في كل فن من العلوم)^(٣) .

- ويقول ابن خلّكان : (من طالع كتاب « الحاوي » . . شهد له بالتبحُّر ومعرفة
المذهب)^(٤) .

- ويقول الياقعي : (الإمام التحرير الكبير ، مصنف « الحاوي الكبير » ،
النفيس الشهير) .

- ويقول التاج السبكي : (الإمام الجليل القدر ، الرفيع الشأن ، كان إماماً
جليلاً رفيع الشأن ، له اليد الباسطة في المذهب ، والتفنن التام في سائر
العلوم)^(٥) .

وفاته

توفي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء ، سلخ شهر ربيع الأول ، سنة (٤٥٠ هـ)
وله من العمر ست وثمانون سنة .

وصلّى عليه الخطيب البغدادي في جامع المدينة ، ودفن من الغد مستهلاً ربيع
الآخر في مقبرة باب حرب ببغداد .

(١) تاريخ بغداد (١٠١ / ١٢) .

(٢) معجم الأدباء (٣٦٧ / ٥) .

(٣) انظر « لسان الميزان » (٢٥ / ٥) .

(٤) وفيات الأعيان (٢٨٢ / ٣) .

(٥) طبقات الشافعية الكبرى (٢٦٨ / ٥) .

وكان بين وفاته و وفاة القاضي أبي الطيب الطبري أحد عشر يوماً ، وحضر جنازته من حضر أبا الطيب من العلماء وأرباب الدولة .

سقى الله ثراه شآبيب الرحمة والغفران
وأسكنه بفضلہ بحبوحة الجنان

وصف النسخ الخطية

النسخة الأولى : من محفوظات المكتبة السلিমانيّة بإستنبول ، تحمل الرقم (٧٤٠) ، وقف مصطفىّ رئيس الكتاب ، كتب بطرّتها : (كتاب أدب الدين والدنيا للماوردي رحمه الله تعالى) .

وعليها تملكات عدة : (من كتب الفقير خليل بن محمد غفر لهما) ، (ثم صار بحمد الله سبحانه في ملك الفقير . . . محمد بن إبراهيم بن محمد . . . عفا الله عنه ، أمين) ، وعليها تملك آخر بتاريخ (٦١٣هـ) .

تقع هذه النسخة في (٢٥٨) ورقة ، وعدد الأسطر في كل صفحة (١٦) سطراً ، وعدد الكلمات في كل سطر (٩) كلمات تقريباً ، وتاريخ نسخها : (٥٠٣هـ) ، وقد ميّزت أبيات الشعر فيها بأن كُتبت بخط كبير ، خطها نسخي جميل ، وبُيّت في هوامشها فوائد متفرقة ، وتصحيحات ، ومطالب تظهر العناية بها .

انفردت هذه النسخة بذكر إسناد الكتاب ؛ فبين المؤلف والناسخ رجل واحد ؛ هو أبو شجاع فارس بن الحسين الذي تلقى الكتاب على مؤلفه سنة (٤٢١هـ) بواسط ، وأقرأه في بغداد سنة (٤٨٦هـ) ، فيكون بذلك قد ألحق الأصاغر بالأكابر ، وجعل إسناده عالياً .

وإذا ضمّنا إلى علو الإسناد عناية الناسخ بترقيم الكتاب وضبطه ومقابلته . . علمنا فضل هذه النسخة على غيرها .

ولقد ازدانت طرّتها وخواتيمها بفوائد منشورات ، ونفائس مستجدات ، أثرنا إيرادها آخر الكتاب للفائدة .

وقد رمزنا لها بـ (أ) .

النسخة الثانية : من محفوظات المكتبة الأزهرية ، تحمل الرقم (١٤١٢)
عمومي أدب ، (١٩١٣) خصوصي ، مخرومة الأول والآخر .
كتبت فيها الفصول والعناوين والتقسيمات بالحمرة ، وكذلك ميّزت الأشعار
بالحمرة ، وفيها شيء من الضبط .
تقع هذه النسخة في (١٥٥) ورقة ، وعدد الأسطر في كل صفحة (٢٢)
سطراً ، وعدد الكلمات في كل سطر (٩) كلمات تقريباً .
وقد رمزنا لها بـ (ب) .



النسخة الثالثة : من محفوظات مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض ، تحمل
الرقم (١٠٩٤) ..
فيها خرم في مواضع متفرقة ، أكملت في الترميم بصور من النسخة الرابعة
أدرجت فيها ، وهي مضطربة الترتيب .
وقد ميّزت الأشعار بنقاط حمراء إلى جوارها ، والفصول والأبواب كتبت
بالحمرة ، وخطها نسخي نفيس .
تقع هذه النسخة في (١٧٠) ورقة ، منها نحو (٣٠) ورقة منسوخة من
غيرها لإكمالها ، وعدد الأسطر في كل صفحة (٢٥) سطراً ، وعدد الكلمات في
كل سطر (٩) كلمات ، وتاريخ النسخ : (٨٠١ هـ) .
وقد رمزنا لها بـ (ج) .



النسخة الرابعة : من محفوظات مكتبة جامعة الملك سعود بالرياض ، تحمل
الرقم (٩٠٦) ، وهي مخرومة الأول نحو ورقة ، خطها نسخي حسن الفصول
والأبواب ، مميزة بخط أسود عريض ، ورؤوس الفقر ونحو (قال ، وروي ،
ومنها ، ...) بالحمرة ، والتعدادات والشعر مميزة بنقاط حمراء .
في هامشها مطالب تشير إلى مباحث الكتاب .

وهي مقابلة ، وبآخرها : (بلغ مقابلة على حسب الطاقة) ، ويلاحظ أن فيها تحريفاً كثيراً .

تقع هذه النسخة في (١٦٠) ورقة ، عدد الأسطر في كل صفحة (٢٣) سطراً ، وعدد الكلمات في كل سطر (١٠) كلمات تقريباً .

تاريخ نسخها : (١١٠٠ هـ) .

وقد رمزنا لها بـ (د) .

النسخة الخامسة : نسخة مطبوعة ، وهي شرح للكتاب ، للعلامة : أويس وفابن محمد الأرزنجانى الحنفى رحمه الله تعالى ، وسماه : « منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين » .

تألف هذه النسخة من (٥٧١) صفحة من القطع الكبير ، وقد طبع في حياة مؤلفه ؛ كما نص على ذلك آخر الكتاب فقال : (يقول مؤلفه : قد طبع هذا الكتاب في المرة الأولى في زمن السلطان الأعظم : محمد رشاد خان المعظم . . . وقد قابلت المتن بنسخ خمس من مطبوع وغير مطبوع سوى ما صححت من الأصول والمآخذ من كتب التفاسير والأحاديث والأخلاق والدواوين . وقد تم طبعه : يوم الأحد ، التاسع من ذي الحجة ، لسنة ثمان وعشرين وثلاث مئة وألف) .

وقد جعل المؤلف المتن بين قوسين ، وذكر بعض فروق النسخ ، ووجه كثيراً من العبارات .

هذا وقد استفدنا من هذه النسخة كثيراً ، رحم الله مؤلفها .

وقد رمزنا لهذه النسخة بـ (هـ) .

منهج العمل في الكتاب

اعتمدنا في إخراج هذا الكتاب المبارك على أربع نسخ خطية ، ونسخة مطبوعة لـ «منهاج اليقين شرح أدب الدنيا والدين» للأرزنجاني رحمه الله تعالى ، متبعين الخطوات التالية :

- نسخ الكتاب ، ومعارضته على أصوله الخطية ، وإثبات بعض فروق النسخ مما له فائدة ، أو يعطي معنى آخر .

- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني ؛ تحاشياً لوقوع الخطأ في رسمها وضبطها ، وهي من رواية حفص عن عاصم رحمهما الله تعالى ، ووضعها بين مزهرين ❖ ❖ .

- تخريج الأقوال والروايات في تفسير الآيات من كتب التفسير المشهورة .

- تخريج الأحاديث النبوية والآثار من مظانها المتوفرة .

- تخريج الحكم والأمثال والأقوال .

- تخريج الأبيات الشعرية ، بردها إلى دواوين الشعر وكتب الأدب واللغة .

- ترجمة المؤلف ترجمة موجزة .

- الاستئناس بـ «منهاج اليقين» للأرزنجاني (ت بعد ١٣٢٧ هـ) في حلّ بعض

فروق النسخ ، وشرح المشكل وغريب اللفظ .

- صنع فهرس جامعة للكتاب ؛ تتكون من : فهرس الآيات القرآنية ، وفهرس

الأحاديث النبوية ، وفهرس الآثار والأقوال والأخبار ، وفهرس الأمثال والحكم ،

وفهرس الكتب الواردة في المتن ، وفهرس الأبيات الشعرية ، وفهرس الأعلام ،

وفهرس الأماكن والبلدان والمواضع ، وفهرس القبائل والجماعات والأمم ، وقد

تمت فهرسة الأشعار وفق حرف الروي مرتباً ترتيباً هجائياً ، ثم وفق حركة الروي

(ءَ ، ةَ ، اَ ، اِ) ضمن الحرف الواحد ، ثم وفق البحور الخيلية ضمن

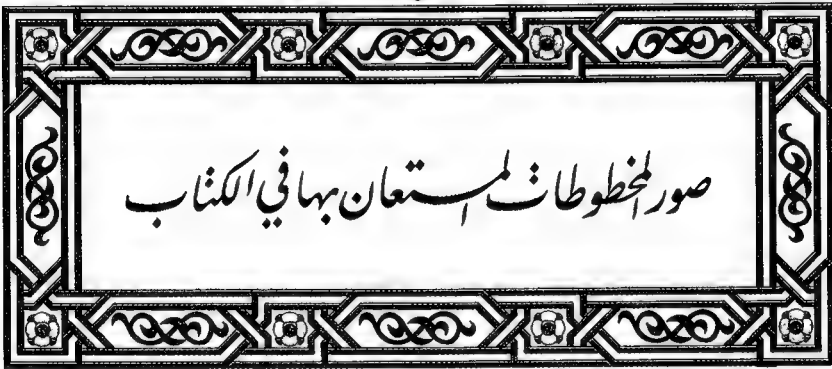
الحركة الواحدة ، ثم وفق الحرف الأول هجائياً من كلمة القافية ضمن البحر الواحد .

وقد اعتمدت الرموز التالية في ذكر البحر : (خ) للمخلع ، (ج) للمجزوء ، (ش) للمشطور .

وفي الختام : نسأل الله أن يجزي بالخير كل من ساهم أو شارك في إعداد هذا الكتاب ، وأن يتقبله منا ، وأن يعم نفعه سائر العباد ، إنه ولي التوفيق .

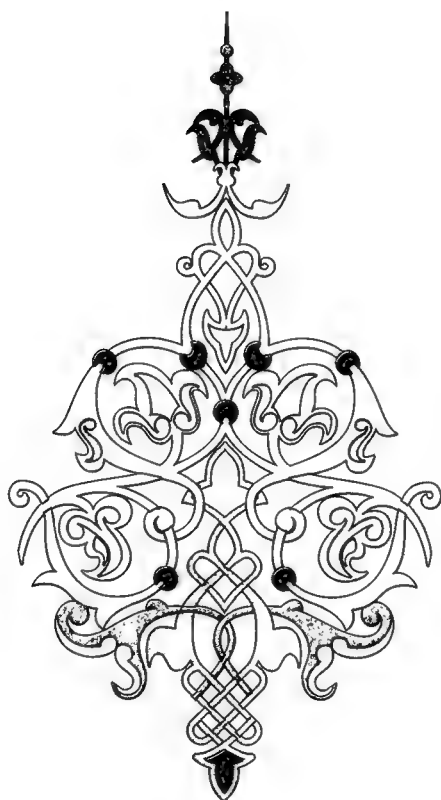
والحمد لله رب العالمين
وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

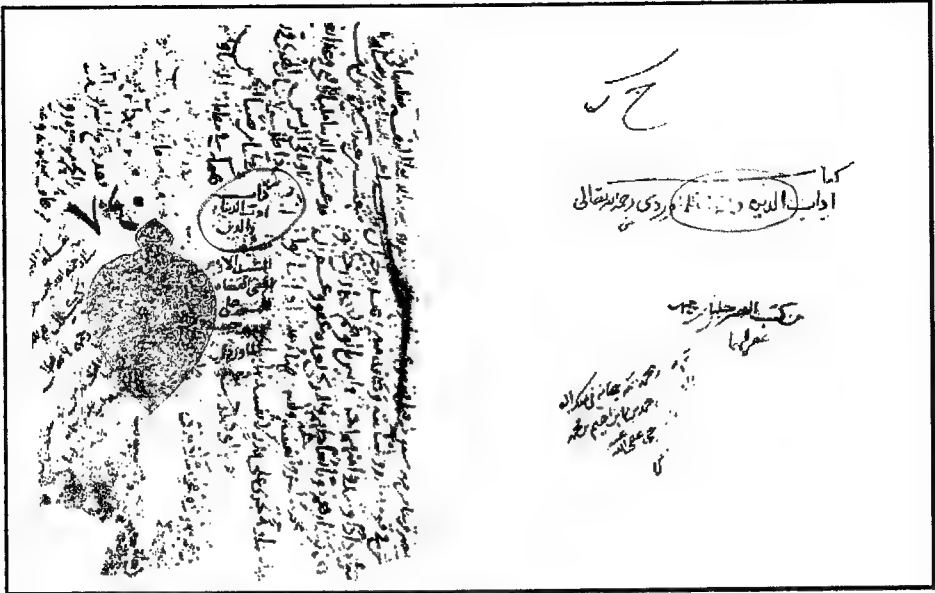
اللجنة العلمية
مركز دار المنهج للدراسات والتحقيق العلمي



صور لمخطوطات مستغان بهافي الكتاب







راموز ورقه العنوان للنسخة (أ)



راموز الورقة الأولى للنسخة (أ)

[illegible]

یمنی

[illegible]

ثم تم هذا ذلك بأشكال الحماة وأداب
البلغاء وقوال النصارى والاسلاف
القلوب ثم قام الى الفنون المختلفة
وسأله عن الفتى العاقد وقد قال علي بن
ابى طالب رضي الله تعالى عنه ان القلوب
مثل ما تمل الا بان فاحدها اليها طائر في الحفة
فلان هذا الأسلوب يجب التقليل فيه
لعله المطلب من ملان الى ملان ولا تلت
المعنى المقصود رحمه الله تعالى يتقل كثيرا في
دار من ملان الى ملان وينشد قول أبي
العصامي رحمه الله تعالى
لا يصلح النفس اذا تميزت عن الانفس من حال الى حال
وجئت ما قصمت هذا الكتاب خمسة ابواب (الابواب الخمسة)
في نقل العلم من الهمم (الابواب الثمانية) في ادب العلم
(الابواب الثلاثة) في ادب الدين (الابواب الاربع)
في ادب الدنيا (الابواب الخمسة) في ادب
النفس واثباتها من الدنيا والآخرة
سورة قد شرع في نقله من نسخة
ومثله وهو عربي مناصحين وحفظ
(باب)

راموز الورقة الأولى للنسخة (د)

راموز الورق في الأخيرة للنسخة (د)

أَحَبُّ الدِّينِ إِلَى الدُّنْيَا



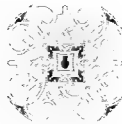
تأليف

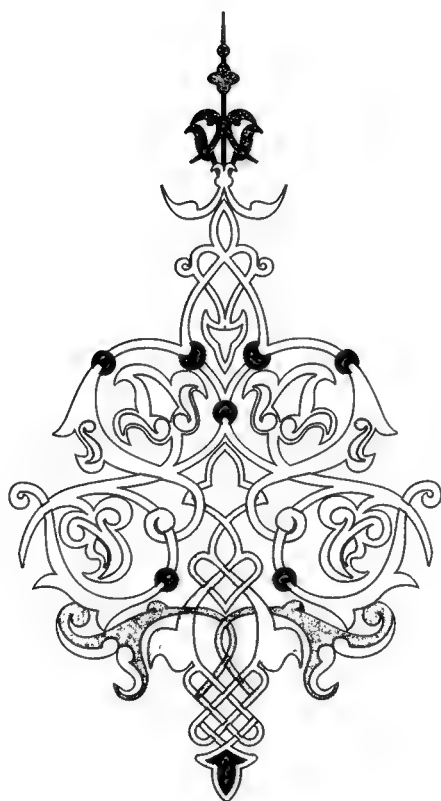
الإمام العلامة الفقيه القاضى

أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي

رحمه الله تعالى

(٣٦٤ - ٤٥٠ هـ)





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أخبرنا الشيخ الأديب الفاضل أبو شعاع فارس بن الحسين الشَّهْرَوَزْدِي رضي الله عنه بقراءتي عليه بمسجد رئيس الرؤساء من دار الخلافة ، في أواخر سنة ست وثمانين وأربع مئة ، قال : قرئ هذا الكتاب على أفضى القضاة أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوَزْدِي رحمه الله تعالى في المسجد الجامع بواسط وأنا حاضر أسمع ، في شهور سنة إحدى وعشرين وأربع مئة ، قيل له : قلت^(١) :

[خُطْبَةُ الْكِتَابِ]

الحمد لله ذي الطَّوْلِ والآلاء ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتَم الرسل والأنبياء ، وعلى آله وصحابه الأتقياء .

أما بعد : فإن شَرَفَ المطلوب بشرف نتائجه ، وعِظَمَ خطره بكثرة منفعه ، وبحسَب منفعه تجب العناية به ، وعلى قدر العناية به يكون اجتناء ثمره ، وأعظم الأمور خَطَرًا وَقْدَرًا ، وأعمُّها نفعاً ورِفْدًا^(٢) . ما استقام به الدين والدنيا ، وانتظم به صلاح الآخرة والأولى ؛ لأن باستقامة الدِّين تصحُّ العبادة ، وبصلاح الدنيا تتمُّ السعادة .

وقد تَوَخَّيْتُ بهذا الكتاب الإشارة إلى آدابهما ، وتفصيل ما أُجْمِلَ من أحوالهما ، على أعدل الأمرين من إيجاز وبسط ، أجمع فيه بين تحقيق الفقهاء ، وترقيق الأدباء ، فلا ينبو عن فِهْم ، ولا يدقُّ في وَهْم ، مستشهداً من كتاب الله - جل اسمه - بما يقتضيه ، ومن سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يُضاهيه ، ثم مُتَّبِعاً ذلك بأمثال الحكماء ، وآداب البلغاء ، وأقوال الشعراء ؛ لأن القلوب ترتاحُ إلى الفنون المختلفة ، وتسامُّ الفنَّ الواحد .

(١) هذه الديباجة زيادة من (أ) .

(٢) الردف : العطاء والصلة .

وقد قال علي بن أبي طالب عليه السلام : (إِنَّ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ ؛ فَأَهْدُوا إِلَيْهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ)^(١) .

وكان المأمون يتنقل كثيراً في داره من مكانٍ إلى مكانٍ ، ويُشدد قول أبي العتاهية :

لا يُصْلِحَ النَّفْسَ إِذْ كَانَتْ مُدْبِرَةً إِلَّا التَّنَقُّلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ^(٢) وجعلتُ ما تضمنه هذا الكتاب من ذلك خمسة أبواب :

فالباب الأول : في فضل العقل ، وذم الهوى .

والباب الثاني : في أدب العلم .

والباب الثالث : في أدب الدين .

والباب الرابع : في أدب الدنيا .

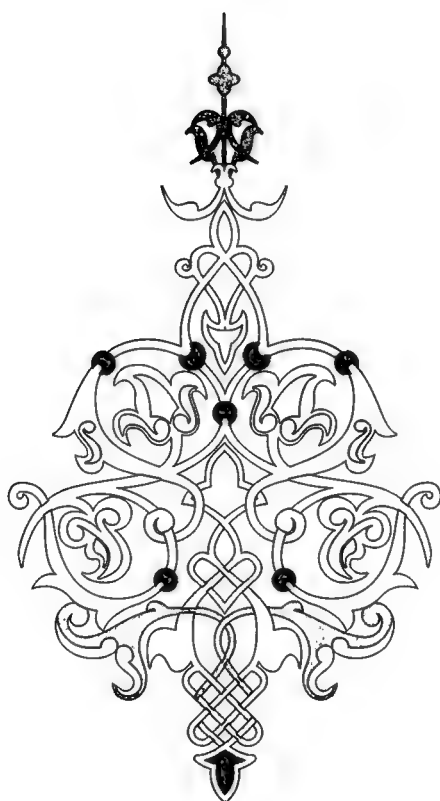
والباب الخامس : في أدب النفس .

وأنا أستمَد الله تعالى حُسْنَ تَوْفِيقِهِ وَمَعُونَتِهِ ، وَأَسْتَوْدَعُهُ حِفْظَ مَوْهِبَتِهِ بِطَوْلِهِ وَمَشِيئَتِهِ ، وَهُوَ حَسْبِي مِنْ مَعِينٍ حَفِيزٍ .

(١) رواه الخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (١٤٢٨) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٦٥٩) .

(٢) البيت في « ديوانه » (ص ٣٢١) ، والخير أورده الراغب الأصفهاني في « محاضرات الأدباء » (٦٩٠ / ٢) .

البَابُ الْأَوَّلُ
فِي فَضْلِ الْعَقْلِ وَذِمَّةِ الْهَوَى



بَابُ فَضْلِ الْعَقْلِ وَذَمِّ الْهَوَىٰ^(١)

اعلم : أن لكل فضيلةً أَسَآ ، ولكل أدبٍ يَنْبوعاً ، وأسُّ الفضائل وينبوع الآداب هو العقل ؛ الذي جعله الله سبحانه للدين أصلاً ، وللدنيا عماداً ، فأوجب التكليفَ بكماله^(٢) ، وجعل الدنيا مدبّرةً بأحكامه ، وألّف به بين خلقه مع اختلاف همّهم ومآربهم ، وتباين أغراضهم ومقاصدهم ، وجعل ما تعبدهم به قسمين :
قسماً وجب بالعقل ، فوكّده الشرع .

وقسماً جاز في العقل ، فأوجبه الشرع ، وكان العقل عليهما عياراً .
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما اكتسبَ المرءُ مثلَ عقلٍ : يَهْدِي صاحبه إلى هُدى ، أو يَرُدُّه عن ردى »^(٣) .

وروي عن النبي عليه السلام أنه قال : « إن لكلِّ شيءٍ دعامةً ، ودعامةُ عمل المرءِ عقلُهُ ؛ فبِقَدْرِ عَقْلِهِ تكونُ عبادتُهُ لربِّه ، أما سمعتم إخبار الله تعالى عن قول الفاجر : ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾ ؟ »^(٤) .
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (أصلُ الرجل عقلُهُ ، وحسبُهُ دينُهُ ، ومروءتُهُ خلقُهُ)^(٥) .

وقال الحسن البصري رحمه الله : (ما استودعَ اللهُ أحداً عقلاً إلا استنقذه به يوماً ما)^(٦) .

(١) جمعهما في بابٍ واحدٍ لمناسبة الضدية بينهما ؛ ولأن الأشياء تنكشف بأضدادها ، فمدحُ العقل يستلزم ذمَّ ضده وبالعكس .

(٢) أي : بإدراك كماله الأول وهو البلوغ ؛ إقامة للسبب الظاهر مقام حكمه .

(٣) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٣٣٨) عن سيدنا عمر رضي الله عنه .

(٤) رواه الهيثمي في « بغية الباحث » (٨٤٠) ، وأورده الديلمي في « الفردوس » (٤٩٩٩) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٥) رواه البيهقي في « الكبرى » (١٩٥ / ١٠) ، وأخرج نحوه مرفوعاً عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في « العقل وفضله » (٩٢) ، وأورده الديلمي في « الفردوس » (٦٢٧٩) مرفوعاً عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

وقال بعض الحكماء : (العقل أفضل مرجو ، والجهل أنكى عدو) .

وقال بعض الأدباء : (صديق كل امرئ عقله ، وعدوه جهله) .

وقال بعض البلغاء : (خير المواهب العقل ، وشر المصائب الجهل)^(١) .

وقال بعض الشعراء وهو إبراهيم بن حسان^(٢) :

[من الطويل]

يَزِينُ الْفَتَى فِي النَّاسِ صَحَّةَ عَقْلِهِ	وإن كان محظوراً عليه مكاسبه
يَشِينُ الْفَتَى فِي النَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ	وإن كُرُمَتْ أَعْرَاقُهُ وَمَنَاسِبُهُ
يَعِيشُ الْفَتَى بِالْعَقْلِ فِي النَّاسِ إِنَّهُ	على العقل يجري علمه وتجاربه
وَأَفْضَلُ قَسَمِ اللَّهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ	فليس من الأشياء شيء يقاربه
إِذَا أَكْمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ	فقد كملت أخلاقه ومآربه

واعلم : أن بالعقل تُعرَف حقائق الأمور ، ويُفَصَّل بين الحسنات والسيئات ؛
وقد ينقسم قسمين : غريزي ، ومكتسب .

فالغريزي : هو العقل الحقيقي ، وله حدٌ يتعلَّق به التكليف ، لا يتجاوزه إلى
زيادة ، ولا يقصُر عنه إلى نقصان ، وبه يمتاز الإنسان من سائر الحيوان ، فإذا تم
في الإنسان .. سُمِّي عاقلاً ، وخرج به إلى حد الكمال ؛ كما قال صالح بن
عبد القدوس^(٣) :

[من الطويل]

إِذَا تَمَّ عَقْلُ الْمَرْءِ تَمَّتْ أُمُورُهُ وَتَمَّتْ أَيْادِيهِ وَتَمَّ ثَنَاؤُهُ

ورُوي عن الضحَّاك في قوله تعالى : (﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾) أي : مَنْ كَانَ
عاقلاً^(٤) .

(١) أوردته الخطيب في « الزهد والرقائق » (ص ٨٨) عن أبي الحسن بن كنجك .

(٢) الأبيات في « نهاية الأرب » (٢٣٦/٣) منسوبة لابن دريد ، وهي في « ديوانه » (ص ٤١) ، وفي
« العقد الفريد » (٢٥٢/٢) منسوبة لمحمد بن يزيد .

(٣) نسبته في « روضة العقلاء » (٩٧/١) لعبد العزيز بن سليمان الأبرش .

(٤) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٧/٢٣/١٢) .

واختلف الناس فيه وفي صفته على مذاهب شتى :

فقال قوم : هو جوهرٌ لطيفٌ يُفصل به بين حقائق المعلومات .

ومن قال بهذا القول اختلفوا في محله ؛ فقالت طائفة منهم : محله الدماغ ؛ لأن الدماغ محل الحس ، وقالت طائفة أخرى منهم : محله القلب ؛ لأن القلب معدن الحياة ، ومادة الحواس .

وهذا القول في العقل بأنه (جوهر لطيف) فاسدٌ من وجهين :

- أحدهما : أن الجواهر متماثلة ، فلا يصح أن يوجب بعضها ما لا يوجبه سائرُها ، ولو أوجب سائرُها ما يوجبه بعضها . لاستغنى العاقل بوجود نفسه عن وجود عقله .

- والثاني : أن الجوهر يصح قيامه بذاته ، فلو كان العقل جوهرًا . لجاز أن يكون عقلٌ بغير عاقل ؛ كما جاز أن يكون جسمٌ بغير عقل ، فامتنع بهذين أن يكون العقل جوهرًا .

وقال آخرون : العقل هو المدرك للأشياء على ما هي عليه من حقائق المعنى . وهذا القول وإن كان أقرب مما قبله . فيبعد من الصواب من وجه واحد ؛ وهو أن الإدراك من صفات الحي ، والعقل عَرَضٌ يستحيل ذلك منه ؛ كما يستحيل منه أن يكون ملتدًا أو أَلَمًا أو مُشْتَهيًا^(١) .

وقال آخرون من المتكلمين : العقل هو جملة العلوم الضرورية ، وهذا الحدُّ غير محصور ؛ لما تضمَّنه من الإجمال ، وتناوله من الاحتمال ، والحدُّ إنما هو : بيان المحدود بما ينفي عنه الإجمال والاحتمال .

وقال آخرون - وهو القول الصحيح - : إن العقل هو العلم بالمُدركات الضرورية . وذلك نوعان : أحدهما : ما وقع عن درك الحواس ، والثاني : ما كان مبتدأً في النفوس .



(١) أو فرحاً أو محزوناً ، ونحو ذلك مما هو من صفات الحي ؛ لاستلزامه قيام العَرَضِ بِعَرَضٍ .

فأما ما كان واقعاً عن درك الحواس . . فمثل المَرئيات المدركة بالنظر ،
والأصوات المدركة بالسمع ، والطُّعوم المدركة بالذوق ، والروائح المدركة
بالشم ، والأجسام المدركة باللمس .

فإذا كان الإنسان ممَّن لو أدرك بحواسه هذه الأشياء لعلم . . ثبت له هذا
النوع من العلم ؛ لأن خروجه في حال تغميض عينيه من أن يُدرك بهما ويعلم . .
لا يُخرجه من أن يكون كاملَ العقل من حيث عِلْم من حاله : أنه لو أدرك . .
لعلم .

وأما ما كان مبتدأً في النفوس . . فكالعلم بأن الشيء لا يخلو من وجود أو
عدم ، وأن الموجود لا يخلو من حدوثٍ أو قِدَم ، وأن من المُحال اجتماعُ
الضدَّين ، وأن الواحد أقلُّ من الاثنين ، وهذا النوع من العلم لا يجوز أن ينتفي
عن العاقل مع سلامة حاله وكمال عقله ، وإذا صار عالماً بالمُدركات الضرورية
من هذين النوعين . . فهو كامل العقل .

وسُمِّيَ بذلك تشبيهاً بعقل الناقة ؛ لأن العقل يمنع الإنسان من الإقدام على
شهواته إذا قُبِحَتْ ، كما يمنع العقالُ الناقة من الشُّرود إذا نفرت ؛ ولذلك قال
عامر بن عبد قيس : (إذا عقلك عقلك عما لا ينبغي . . فأنت عاقل)^(١) .

وقد جاءت السنة بما يؤيد هذا القول في العقل ؛ وهو ما روي عن النبي
صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العقل نورٌ في القلب ؛ يُفَرِّقُ به بين الحقِّ
والباطل »^(٢) .

وكل مَنْ نفى أن يكون العقل جوهرًا أثبت محله في القلب ؛ لأن القلب محلُّ
العلوم كلّها ، قال الله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ ،
فدللت هذه الآية على أمرين : أحدهما : أن العقل علم ، والثاني : أن محله
القلب .

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٣٧٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٦ / ٢٧) .

(٢) أوردته في « العقد الفريد » (٢٤٨ / ٢) .

وفي قول الله عز وجل : ﴿ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ تأويلان :
أحدهما : يعلمون بها .

والثاني : يعتبرون بها ، فهذا جملة القول في العقل الغريزي .



وأما العقل المكتسب .. فهو نتيجة العقل الغريزي ، وهو ثقابة المعرفة ،
وصحة السياسة ، وإصابة الفكر ، وليس لهذا حدًّا ؛ لأنه يَنمي إن استُعْمِل ،
وَيَنْقُص إن أُهْمِل ، ونماؤه يكون بأحد وجهين :

إما بكثرة الاستعمال إذا لم يعارضه مانعٌ من هوى ، ولا صائدٌ عن شهوة ؛
كالذي يحصل لذوي الأسنان من الحُنْكَ وصحة الرّوْيَةِ ، بكثرة التجارب
وممارسة الأمور ؛ ولذلك حَمِدَت العرب آراءَ الشيوخ ، حتى قالوا : (المشايخ
أشجار الوَقَار ، ومنابع الأخبار ، لا يطيش لهم سَهْمٌ ، ولا يسقط لهم وَهْمٌ ؛ إن
رأوك في قبيح .. صدّوك ، وإن أبصروك على جميل .. أمدّوك)^(١) .

وقالوا : (عليكم بآراءَ الشيوخ ؛ فإنهم إن فقدوا ذكاءَ الطبع .. فقد مرّت على
عيونهم وجوهُ العَبَر ، وتصدّت لأسماعهم آثارُ الغَيْر)^(٢) .

وقيل في منشور الحِكَم : (مَنْ طَالَ عُمُرُهُ .. نَقَصَتْ قُوَّةُ بَدَنِهِ ، وزادت قُوَّةُ
عقله) .

وقيل فيه : (لا تدعُ الأيامُ جاهلاً إلا أدبته) .

وقال بعض الحكماء : (كفى بالتَّجَارِبِ تأدُّباً ، وبتَقَلُّبِ الأيامِ عِظَةً)^(٣) .

وقال بعض البلغاء : (التجربةُ مرآةُ العقل ، والغِرَّةُ ثمرةُ الجهل)^(٤) .

(١) أورده في « ربيع الأبرار » (١٣٤ / ٣) .

(٢) أورده في « محاضرات الأدباء » (٥٤ / ١) .

(٣) أورده في « لباب الآداب » (ص ٢٣٥) ونسبه لأرسطاطاليس .

(٤) أورده في « لباب الآداب » (ص ٦٨) ونسبه للصغاني في « الفرائد والقلائد » ، والغرة : الغفلة
والانخداع بالأمانى الباطلة .

وقال بعض الأدباء : (كفى مُخْبِراً عما بقي ما مضى ، وكفى عِبْراً لأولي الألباب ما جَرَّبُوا)^(١) .

وقال بعض الشعراء^(٢) :

[من الطويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْعَقْلَ زَيْنٌ لِأَهْلِهِ وَلَكِنْ تَمَامُ الْعَقْلِ طُولُ التَّجَارِبِ

وقال آخر^(٣) :

[من الطويل]

إِذَا طَالَ عُمُرُ الْمَرْءِ فِي غَيْرِ آفَةٍ أَفَادَتْ لَهُ الْإِيَّامُ فِي كَرِّهَا عَقْلًا

وأما الوجه الثاني^(٤) . فقد يكون بفرط الذكاء وحسن الفطنة ، وذلك جودة الحدس في زمانٍ غير مُمهِّل للحدس^(٥) .

فإذا امتزج هذا بالعقل الغريزي . . صارت نتيجتهم نموُّ العقل المكتسب ؛ كالذي يكون في الأحداث من وفور العقل ، وجودة الرأي ؛ حتى قال هَرَمُ بن قُطَيْبَةَ حين تنافر إليه عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة : (عليكم بالحديث السنِّ ، الحديد الذَّهن) ، ولعل هَرَمًا أراد أن يدفعهما عن نفسه فاعتذر بما قال ، لكن لم ينكرا قوله ؛ إذعاناً للحق ، فصارا إلى أبي جهل ؛ لحدائث سنِّه ، وحِدَّة ذهنه ، فأبى أن يحكم بينهما ، فرجعا إلى هَرَم فحكم .

وفيه يقول لبيد^(٦) :

[من مشطور الرجز]

يَا هَرِمُ ابْنَ الْأَكْرَمِينَ مَنَصِبَا
إِنَّكَ قَدْ أُوتِيتَ حُكْمًا مُعْجَبًا

(١) أورده في « العقد الفريد » (٤٤٢ / ٢) .

(٢) نسبه في « روضة العقلاء » (١٠٨ / ١) للمتصر بن بلال الأنصاري .

(٣) أورده في « سراج الملوك » (٢٧٨ / ١) ، و « المستطرف » (ص ٥٣) دون نسبة .

(٤) أي : من الوجهين اللذين بهما نماء العقل المكتسب .

(٥) الحدس : الظن والتخمين ، وتوقع الأمور ، فتكون كما قال .

(٦) البيتان في « ديوانه » (ص ٥٢) ، والخبر في « الديباج » (ص ٨٨) .

وقد قالت العرب : (عليكم بمشاورة الأحداث ؛ فإنهم يَنْتَجُونَ رأياً لم يَفْلَهُ طولُ القَدَم ، ولا استولت عليه رطوبة الهَرَم)^(١) .

وقال الشاعر^(٢) :

رَأَيْتُ الْعَقْلَ لَمْ يَكُنْ انْتِهَاباً وَلَمْ يُقَسِّمْ عَلَى عَدَدِ السِّنِّينَا
وَلَوْ أَنَّ السِّنِّينَ تَقَاسَمَتْهُ حَوَى الْآبَاءُ أَنْصِبَةَ الْبَنِينَا

حكى الأصمعيُّ قال : (قلت لغلام حَدَّثَ من أولاد العرب كان يحادثني فأمْتعني بفصاحته وملاحته : أيسرُكَ أن يكون لك مئة ألف درهم وأنك أحمق ؟ قال : لا والله .

قلت : ولم ؟ قال : أخاف أن يجنِّي عليَّ حُمَقي جنائياً تذهب بمالي ، ويبقي عليَّ حُمَقي)^(٣) .

فانظر إلى هذا الصبي كيف استخرج بفرط ذكائه ، واستنبط بجودة قريحته ما لعله يدقُّ على مَنْ هو أكبر منه سنّاً ، وأكثر تجربةً .

وأحسنُ من هذا الذكاء والفطنة : ما حكى ابنُ قتيبة : (أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرَّ بصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير ، فهربوا منه إلا عبد الله ، فقال له عمر رضي الله عنه : ما لك لم تهرب مع أصحابك ؟ ! فقال : يا أمير المؤمنين ؛ لم أَجْنِ فَأَخَافَكَ ، ولم يكن بالطريق ضيقٌ فأوسع لك)^(٤) .

فانظر إلى ما تضمنته هذا الجواب من الفطنة ، وقوة المُنَّة ، وحسن البديهة ، كيف نفى عنه اللوم ، وأثبت له الحجّة ، وليس للذكاء غايةٌ ، ولا لجودة القريحة نهايةٌ .

(١) انظر « سراج الملوك » (٢٩٧/١) .

(٢) البيتان في « معجم الأدباء » (٨٧/٤) ونسبهما للحسين بن محمد الرافقي .

(٣) أورده النويري في « نهاية الأرب » (٣٥٧/٣) .

(٤) عيون الأخبار (١٩٧/٢) .

حُكي : أن سليمان بن عبد الملك أمر الفرزدق بضرب أعناق أسارى من الروم ، فاستعفاه الفرزدق فلم يفعل ، وأعطاه سيفاً لا يقطع شيئاً ، فقال الفرزدق : بل أضربهم بسيف أبي ؛ رَغَوَانٌ مُجَاشِعٌ ؛ يعني : سيف نفسه^(١) ، فقام فاستلَّ سيفه فضرب به عنقَ روميٍّ منهم ، فنبأ السيفُ عنه ، فضحك سليمانُ ومن حوله ، فقال الفرزدق^(٢) :

أَيَعَجِبُ النَّاسُ أَنْ أَضَحَكْتُ سَيِّدَهُمْ خَلِيفَةَ اللَّهِ يُسْتَسْقَى بِهِ الْمَطَرُ
لَمْ يَنْبُ سَيْفِي مِنْ رُغْبٍ وَلَا دَهْشٍ عَنْ الْأَسِيرِ وَلَكِنْ أُخِّرَ الْقَدَرُ
وَلَنْ يُقَدَّمَ نَفْسًا قَبْلَ مِيتَتِهَا جَمْعُ الْيَدَيْنِ وَلَا الصَّمْصَامَةُ الذَّكْرُ
ثُمَّ غَمَدَ سَيْفَهُ وَهُوَ يَقُولُ :

[من مشطور الرجز]

مَا إِنْ يُعَابُ سَيِّدٌ إِذَا صَبَا
وَلَا يُعَابُ صَارِمٌ إِذَا نَبَا
وَلَا يُعَابُ شَاعِرٌ إِذَا كَبَا

ثم جلس وهو يقول : كأني بآبن المراغة قد هجاني فقال^(٣) :

بَسِيفِ أَبِي رَغَوَانَ سَيْفِ مُجَاشِعٍ ضَرَبْتُ وَلَمْ تَضْرِبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمٍ
وَقَامَ وَانصَرَفَ .

وحضر جرير ، فحَبَّرَ الخبرَ ولم يُنْشِدِ الشعرَ ، فأنشأ يقول^(٤) :

بَسِيفِ أَبِي رَغَوَانَ سَيْفِ مُجَاشِعٍ ضَرَبْتُ وَلَمْ تَضْرِبْ بِسَيْفِ ابْنِ ظَالِمٍ
ثُمَّ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ كأني بآبن القين قد أجابني فقال^(٥) :

(١) بسيف أبي : الباء ضمير المتكلم ، رَغَوَانٌ : عطف بيان ؛ لأنه من آبائه ، وهو : لقب لمجاشع بن دارم ، لُقِبَ به لفصاحته وجهارة صوته .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (٣٢٢ / ١) .

(٣) ابن المراغة : لقبٌ لجرير ، وفيه إهانة وشم له .

(٤) البيت في « ديوان جرير » (١٠٠٥ / ٢) ، وابن ظالم : هو يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ، وأبو صفرة : هو ظالم بن سراقة الكندي .

(٥) ابن القين : الفرزدق ، والقين : الحداد ، وهو إيماء إلى أنه كاذب في تلقيه لجرير بآبن المراغة .

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

فاستحسن سليمان حدس الفرزدق على جرير .

ثم أخبر الفرزدق بشعر جرير ولم يُخبر بحدسه ، فقال الفرزدق^(١) : [من الطويل]

كذاك سيوف الهند تنبؤ طباتها وتقطع أحياناً مناط التمام

ولا نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم

وهل ضربة الرومي جاعلة لكم أباً عن كليب أو أخاً مثل دارم^(٢)

فشاع حديث الفرزدق بهذا ، حتى حكي أن المهدي أتى بأسرى من الروم

فأمر بقتلهم ، وكان عنده شبيب بن شيبه فقال له : اضرب عنق هذا العليج .

فقال : يا أمير المؤمنين ؛ قد عرفت ما ابتلي به الفرزدق فعير به قومه إلى

اليوم ، فقال : إنما أردتُ تشريفك ، وقد أعفيتك ، وكان أبو الهول الشاعرُ

حاضراً فقال : [من الطويل]

جَزَعْتَ مِنَ الرُّومِيِّ وَهُوَ مُقَيَّدٌ فكيف ولو لاقيته وهو مُطْلَقٌ

دَعَاكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لِقَتْلِهِ فكاد شبيبٌ عند ذلك يَفْرَقُ

فَنَحَّ شَبِيباً عَنْ قِرَاعِ كَتِيبَةٍ وَأَذِنَ شَبِيباً مِنْ كَلَامٍ يُلْفَقُ^(٣)

وليس العجب من خبر الفرزدق - إن صح - من جودة القريحتين ؛ ولكن من

اتفاق الخاطرين ، ولمثل ذلك قالت الحكماء : (آيةُ العقل : سرعةُ الفهم ،

وغايته : إصابةُ الوهم) .

وليس لمن مُنِحَ جُودةُ القريحة وسرعةُ الخاطر عَجْزٌ عن جوابٍ وإن أعْضَلَ ؛

كما قيل لعلي عليه السلام : كيف يحاسبُ اللهُ العبادَ على كثرةِ عددهم ؟ فقال :

(كما يرزقهم على كثرةِ عددهم)^(٤) .

(١) الأبيات في « ديوانه » (٣٨٦/٢) ، والطُّبَات - جمع طُبة - : وهو حد السيف الذي يُضرب به .

(٢) الخبر في « الشعر والشعراء » (٤٧٩/١) ، و« مفتاح العلوم » (ص ٧٠١) .

(٣) الخبر في « معاهد التنصيص » (٩٩/٤) وما بعدها .

(٤) أورده ابن عبد البر في « بهجة المجالس » (١٣٩/١) .

وقيل لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما : أين تذهب الأرواح إذا فارقت الأجساد ؟ فقال : (أين تذهب نار المصابيح عند فناء الأذهان ؟) (١) .

وهذان الجوابان جوابا إسكات ، تضمنا دليلي إذعان ، وحجتي قهر .

ومن غير هذا الفن وإن كان مُسكتاً . ما حُكي : أن إبليس - لعنه الله - حين ظهر لعيسى ابن مريم عليه السلام قال له : ألسن تقول : (إنه لن يصيبك إلا ما كتب الله عليك ؟) قال : نعم .

قال : فارم بنفسك من ذُرْوَةِ هذا الجبل ؛ فإنه إن يقدر لك السلامة . . . تسلم !!

فقال له : (يا ملعون ؛ إن لله أن يختبر عباده ، وليس للعبد أن يختبر ربه) (٢) .

ومثل هذا الجواب لا يُستغرب من أنبياء الله تعالى الذين أمدهم بوحيه ، وأيدهم بنصره ، وإنما يُستغرب ممن يلجأ إلى خاطره ، ويعوّل على بديهته .

وروى قُثمُ بن العباس رضي الله عنهما قال : قيل لعلي بن أبي طالب عليه السلام : كم بين السماء والأرض ؟ فقال : (دعوةٌ مستجابة) ، قيل : فكم بين المشرق والمغرب ؟ قال : (مسيرة يومٍ للشمس) (٣) .

فكان هذا السؤال من سائله : إما اختباراً وإما استبصاراً ، فصدر عنه من الجواب ما أسكته .

فأما إذا اجتمع هذان الوجهان في العقل المكتسب ، وهو ما ينميهِ فَرَطُ الذكاء بجُودة الحَدْس ، وصحة القريحة بحُسن البديهة ؛ مع ما ينميهِ الاستعمالُ بطول التجارب ، ومرورُ الزمان بكثرة الاختبار . فهو العقلُ الكاملُ على الإطلاق ، في الرجل الفاضل بالاستحقاق .

(١) أورده في « الحور العين » (ص ٢٣٤) .

(٢) الخبر في « الأذكياء » (ص ٢٥) ، و « الكشكول » (٢٧٨ / ٢) .

(٣) الخبر في « البيان والتبيين » (٢٧٤ / ٣) ، و « عيون الأخبار » (٢٠٨ / ٢) .

روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال : أُثْنِيَ عَلَى رَجُلٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِخَيْرٍ ، فَقَالَ : « كَيْفَ عَقْلُهُ ؟ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ إِنَّ مِنْ عِبَادَتِهِ . . . ، إِنَّ مِنْ خُلُقِهِ . . . ، إِنَّ مِنْ فَضْلِهِ . . . ، إِنَّ مِنْ أَدَبِهِ . . . ، فَقَالَ : « كَيْفَ عَقْلُهُ ؟ » قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ نُثْنِي عَلَيْهِ بِالْعِبَادَةِ وَأَصْنَافِ الْخَيْرِ وَتَسْأَلُنَا عَنْ عَقْلِهِ ؟ ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ الْأَحْمَقَ الْعَابِدَ يُضَيَّبُ بِجَهْلِهِ أَعْظَمَ مِنْ فُجُورِ الْفَاجِرِ ، وَإِنَّمَا يُقَرَّبُ النَّاسُ مِنْ رَبِّهِمْ بِالزُّلْفِ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ » (١) .

واختلفَ الناسُ في العقل المكتسب إذا تناهى وزاد في الإنسان : هل يكون فضيلةً ، أم لا ؟

فقال قوم : لا يكون فضيلةً ؛ لأن الفضائل هيئات متوسطة بين فضيلتين ناقصتين ؛ كما أن الخير متوسط بين رذيلتين ، فما جاوز التوسط . . خرج عن حد الفضيلة .

وقد قالت الحكماء للإسكندر : (أيها الملك ؛ عليك بالاعتدال في كل الأمور ؛ فإن الزيادة عيب ، والنقصان عجز) (٢) .

هكذا مع ما وردت به السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خيرُ الأمور أوسطها » (٣) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (خيرُ الأمور التَّمَطُّ الأَوْسَطُ ؛ إليه يرجع العالي ، وبه يلحق التالي) (٤) .

(١) رواه الهيثمي في « بغية الباحث » (٨١٤) .

(٢) أورده في « لباب الآداب » (ص ٥٧) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٦٢٧٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦١٧٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٠٤ / ٥٨) عن سيدنا مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير رضي الله عنه موقوفاً .

(٤) أورده في « جمهرة الأمثال » (٣٣٩ / ١) ، و « عيون الأخبار » (٣٢٦ / ١) ، وانظر « غريب الحديث » لأبي عبيد (٤٨٣ / ٣) .

وقال الشاعر^(١) :

[من مشطور الرجز]

لَا تَذْهَبَنَّ فِي الْأُمُورِ فَرَطًا
لَا تَسْأَلَنَّ إِنْ سَأَلْتَ شَطَطًا
وَكُنْ مِنَ النَّاسِ جَمِيعًا وَسَطًا

قالوا : لأن زيادة العقل تُقضي بصاحبها إلى الدَّهَاء والمكر ، وذلك مذموم ،
وصاحبه مَلُوم ، وقد أمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أبا موسى الأشعري أن
يعزل زياداً عن ولايته ، فقال زياد : يا أمير المؤمنين ؛ أَعَنْ مَوْجِدَةً أَمْ خِيَانَةً ؟
فقال : (لا عن واحدةٍ منهما ؛ وَلَكِنْ خِفْتُ أَنْ أَحْمَلَ عَلَى النَّاسِ فَضْلَ
عَقْلِكَ)^(٢) .

ومن أجل هذا المحكي عن عمر رضي الله عنه ما قيل قديماً : (إفراطُ العقل
مُضِرٌّ بِالْجِدِّ)^(٣) .

وقال بعض الحكماء : (كفاك من عقلك ما دَلَّكَ عَلَى سَبِيلِ رَشْدِكَ)^(٤) .

وقال بعض البلغاء : (قَلِيلٌ يَكْفِي خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يُطْفِئُ)^(٥) .

وقال آخرون - وهو أصح القولين - : زيادةُ العقل فضيلةٌ ؛ لأن المكتسبَ غيرَ
محدود ، وإنما تكون زيادة الفضائل المحمودة نقصاً مذموماً ؛ لأن ما جاوز الحدَّ
لَا يُسَمَّى فضيلةً ؛ كالشجاع إذا زاد على حد الشجاعة . . نُسِبَ إلى التهور ،
والسخي إذا زاد على حد السخاء . . نُسِبَ إلى التبذير ، وليس كذلك حال العقل
المكتسب ؛ لأن الزيادة فيه زيادةُ علم بالأمور ، وحسنُ إصابةِ بالظنون ، ومعرفةُ
ما لم يكن إلى ما يكون ، وذلك فضيلةٌ لا نقصٌ .

(١) أورد الأبيات في « البيان والتبيين » (٢٥٥ / ١) ، فَرَطًا : من يتقدم قومه للماء ، والمراد هنا : المتقدم
مطلقاً ، وفَرُطًا : المجاوز حده .

(٢) الخبر في « البيان والتبيين » (٢٦٠ / ١) ، و « العقد الفريد » (١١ / ٥) .

(٣) أوردته في « عيون الأخبار » (٣٢٩ / ١) ، و « المجالسة وجواهر العلم » (٢١٦٧) .

(٤) أوردته في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٣٦٦) .

(٥) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠١٨٢) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٧٢٢) من كلام
سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَفْضَلُ النَّاسِ أَعْقَلُ النَّاسِ »^(١) .

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الْعَقْلُ حَيْثُ كَانَ إِنْ لَفَّ مَالُوفٌ »^(٢) .

وقد قيل في تأويل قوله تعالى : ﴿ قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ ﴾ أي : بحسب عقله .

وقال القاسم بن محمد : (كانت العرب تقول : مَنْ لَمْ يَكُنْ عَقْلُهُ أَغْلَبَ خِصَالِ الْخَيْرِ عَلَيْهِ . . كَانَ حَتْفُهُ فِي أَغْلَبِ خِصَالِ الْخَيْرِ عَلَيْهِ)^(٣) .

وقيل في منشور الحكم : (كُلُّ شَيْءٍ إِذَا كَثُرَ . . رَخُصَ إِلَّا الْعَقْلُ ؛ فَإِنَّهُ إِذَا كَثُرَ . . غَلَا)^(٤) .

وقال بعض البلغاء : (إِنْ الْعَاقِلَ مَنْ عَقْلُهُ فِي إِرْشَادٍ ، وَمَنْ رَأْيُهُ فِي إِمْدَادٍ ؛ فَقَوْلُهُ سَدِيدٌ ، وَفَعْلُهُ حَمِيدٌ ، وَالْجَاهِلُ مَنْ جَهْلُهُ فِي إِغْوَاءٍ ، وَمَنْ هَوَاهُ فِي إِغْرَاءٍ ؛ فَقَوْلُهُ سَقِيمٌ ، وَفَعْلُهُ ذَمِيمٌ)^(٥) .

وأنشدني ابنُ لَنَكَّكَ لَأَبِيهِ^(٦) :

مَنْ لَمْ يَكُنْ أَكْثَرُهُ عَقْلُهُ أَهْلَكَهُ أَكْثَرُ مَا فِيهِ
فَأَمَّا الدَّهَاءُ وَالْمَكْرُ . . فَهُوَ مَذْمُومٌ ؛ لِأَن صَاحِبَهُ صَرَفَ فَضْلَ عَقْلِهِ إِلَى الشَّرِّ ،

(١) رواه الهيثمي في « بغية الباحث » (٨٣٧ / أ) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وزاد بعده : (قال ابن عباس : وذلكم نبيكم صلى الله عليه وسلم) ، وأورده في « الفردوس » (٣٤٧٦) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما موقوفاً .

(٢) أورده في « مسند الشهاب » (١٢٩) ، ورواه في « تاريخ دمشق » (٤٠٤ / ٨) عن سيدنا جابر رضي الله عنه : « المؤمن إلف مألوف » .

(٣) الخبر في « المصون في الأدب » (ص ١٣٨) وسقى القائل محمد بن القاسم بن يوسف .

(٤) الخبر في « المصون في الأدب » (ص ١٣٨) ، ونسبه في « الإعجاز والإيجاز » (ص ٨٠) لنصر بن سيار .

(٥) الخبر في « المستطرف » (٥٦ / ١) .

(٦) ابن لَنَكَّكَ : هو محمد بن محمد البصري ، توفي (٣٦٠ هـ) ، ولَنَكَّكَ : الأَعْرَج . انظر « بتيمة الدهر » (٤٠٧ / ٢) .

ولو صرفه إلى الخير. . . لكان محموداً ، وقد ذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : (كان - والله - أفضل من أن يَخْدَع ، وأَعْقَلَ من أن يُخْدَع)^(١) .

وقال عمر رضي الله عنه : (لستُ بِالْخَبِّ ، ولا يَخْدَعُنِي الْخَبُّ)^(٢) .

واختلف الناس فيمن صرف فضل عقله إلى الشر ؛ كزياد وأشباهه من الدُّهاة : هل يُسَمَّى الداهيةً منهم عاقلاً ، أم لا ؟

فقال بعضهم : أُسَمِّيهِ عاقلاً ؛ لوجود العقل منه .

وقال آخرون : لا أُسَمِّيهِ عاقلاً حتى يكونَ خَيْراً دِيناً ؛ لأن الخير والدِّين من موجبات العقل ، فأما الشريرُ . . فلا أُسَمِّيهِ عاقلاً ، وإنما أُسَمِّيهِ صاحبَ رويةٍ وفكر .

وقد قيل : (العاقلُ : مَنْ عقل عن الله عز وجل أمره ونهيهِ)^(٣) ، حتى قال أصحاب الشافعي رضي الله عنه فيمن أوصى بثُلث ماله لأعقل الناس : (إنه يكون مصروفاً إلى الزَّهَاد)^(٤) ؛ لأنهم انقادوا للعقل ولم يغتروا بالأمل .

وروى لقمان بن عامر ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا عُويمُ ؛ ازدَدْ عقلاً . . تزدَدْ من ربِّك قُرْباً » قلتُ : بأبي أنت وأمي ؛ ومَنْ لي بالعقل ؟ قال : « اجْتَنِبْ محارِمَ الله ، وأدِّ فرائضَ الله . . تكنْ عاقلاً ، ثم تنفَلْ بصالحاتِ الأعمال . . تزدَدْ في الدنيا عَقْلاً ، وتزدَدْ من ربِّك قُرْباً ، وبه عزّاً »^(٥) .

(١) الخبر في « البيان والتبيين » (٨٦ / ١) ، و « العقد الفريد » (٢٤١ / ٢) .

(٢) الخبر في « العقد الفريد » (٢٤١ / ٢) ، وَالْخَبُّ : هو المكار المَخَادَع ، وَالْخَبُّ : مصدر يوصف به مبالغة .

(٣) أورده في « حلية الأولياء » (٣٧٠ / ٨) من قول وكيع بن الجراح رحمه الله .

(٤) انظر « الحاوي الكبير » (٢١٤ / ١٠) .

(٥) رواه الهيثمي في « بغية الحارث » (٨٢٩) ، والحكيم الترمذي في « نوادر الأصول » (ص ٢٤٢) .

وأشدني بعض أهل الأدب هذه الأبيات ، وذكر أنها لعللي بن أبي طالب عليه السلام^(١) :

[من البسيط]

إنَّ المكارمَ أخلاقٌ مطهَّرةٌ فالعقلُ أولُّها والدينُ ثانيها
والعلمُ ثالثُها والحلمُ رابعُها والجودُ خامسُها والعُزفُ سادِها
والبرُّ سابعُها والصبرُ ثامنُها والشكرُ تاسعُها واللينُ عاشيها
والنفسُ تعلمُ أني لا أُصدِّقُها ولستُ أرشدُ إلا حينَ أعصيها
والعينُ تعرفُ في عيني مُحدِّثها إن كان من حزبيها أو من أعاديها
عيناك قد دلتنا عينيَّ منك على أشياء لولاهما ما كنتَ تبديها

واعلم : أن العقل المكتسب لا ينفك عن العقل الغريزي ؛ لأنه نتيجة منه ، وقد ينفك العقل الغريزي عن العقل المكتسب ، فيكون صاحبه مسلوب الفضائل ، موفور الرذائل ؛ كالأنوك الذي لا تجد له فضيلةً ، والأحمق الذي قلما يخلو من رذيلة^(٢) .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الأحمق أبغض خلق الله إليه ؛ إذ حرّمه أعزّ الأشياء عليه »^(٣) .

وروي عن النبي عليه السلام أنه قال : « الأحمق كالفعّار لا يُرَقَّع ولا يُشعَّب »^(٤) .

وقال بعض الحكماء : (الحاجة إلى العقل أقبح من الحاجة إلى المال)^(٥) .

وقال بعض البلغاء : (دولة الجاهل عبرة العاقل)^(٦) .

(١) الأبيات في « ديوانه » (ص ٢٦٥) .

(٢) الأنوك : العاجز الجاهل العبي في كلامه ، وأول درجات الجاهل : المائق ، ثم الرقيق ، ثم الأنوك ، ثم الأحمق ، نسأل الله العافية .

(٣) ذكره النويري في « نهاية الأرب » (٣/٣٥٣) .

(٤) رواه في « روضة العقلاء » (١/٤٩٣-٤٩٤) من قول وهب بن منبه رحمه الله .

(٥) أورده في « ديوان المعاني » (٢/٩٢) ونسبه لأرسطاطاليس .

(٦) أورده في « الكشكول » (٢/١٣١) .

وقال أنوشروان لبُزْرْجُمَهْرَ : (أيُّ الأشياء خيرٌ للمرء ؟ قال : عقلٌ يعيش به ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فإخوانٌ يسترون عييه ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فمالٌ يتحبَّبُ به إلى الناس ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فعميٌّ صامتٌ ، قال : فإن لم يكن ؟ قال : فموتٌ جارِفٌ)^(١) .

وقال سابورُ بن أردشِيرَ : (العقل نوعان : أحدهما مطبوعٌ ، والآخر مسموعٌ ، ولا يصلح واحدٌ منهما إلا بصاحبه) ، فأخذ ذلك بعض الشعراء فقال^(٢) :

رَأَيْتُ الْعَقْلَ نَوْعَيْنِ فمسموعٌ ومطبوعٌ
فلا ينفعُ مطبوعٌ إذا لم يكُ مسموعٌ
كما لا تنفعُ الشمسُ وضوءُ العينِ ممنوعٌ

وقد وصف بعضُ الأدباء العاقلَ بما فيه من الفضائل ، والأحمقَ بما فيه من الرذائل ، فقال : (العاقلُ إذا والى .. بذل في المودةَ نصرَه ، وإذا عادى .. رفع عن الظلمَ قدرَه ، فيسعدُ مواليه بعقله ، ويعتصم مُعاديهِ بعدله ، إن أحسن إلى أحد .. ترك المطالبةَ بالشُّكر ، وإن أساء إليه مسيءٌ .. تطلَّب له أسبابَ العُذر ، أو منحه الصفحَ والعفو .

والأحمقُ ضالٌّ مضلٌّ ؛ إن أونس .. تكبَّر ، وإن أوحش .. تكذَّر ، وإن استنطق .. تخلف ، وإن تُرك .. تكلف ، مجالستُه مهنة ، ومعاتبتُه محنة ، ومحاورته تغرُّ ، وموالاته تضرُّ ، ومقاربتُه عمى ، ومقارنته شقاء) .
وكانت ملوكُ الفرس إذا غضبت على عاقل .. حبسته مع جاهل .

والأحمقُ يسيءُ إلى غيره ويظنُّ أنه قد أحسن إليه ، فيطالبه بالشُّكر ، ويُحسنُ إليه فيظنُّ أنه قد أساء إليه ، فيطالبه بالوِتر^(٣) ؛ فمساوىءُ الأحمق لا تنقضي ،

(١) الخبر في « البيان والتبيين » (٢٢١ / ١) .

(٢) الأبيات في « ديوان المعاني » (١٢٥ / ١) ، و « روضة العقلاء » (٩٠ / ١) ، وهي في « ديوان الإمام علي » رضي الله عنه (ص ١٦١) .

(٣) الوِتر : الثأر ، والمعنى : أن الأحمق يظن أن المحسن قد أساء إليه ، فيطالبه بالوِتر .

وعيوبه لا تتناهى ، ولا يقف النظر منها إلى غاية إلا لوحت مما وراءها بما هو أدنى منها وأردى ، وأمرٌ وأدهى ، فما أكثر العبرَ لمن نظر ، وأنفعها لمن اعتبر !! وقال الأحنف بن قيس : (من كلَّ شيء يُحفظ الأحمق إلا من نفسه)^(١) .

وقال بعض البلغاء : (إن الدنيا ربما أقبلت على الجاهل بالاتفاق ، وأدبرت عن العاقل بالاستحقاق ؛ فإن أتتكَ منها سُهمَةٌ مع جهل^(٢) ، أو فاتتكَ فيها بُغيةٌ مع عقلٍ .. فلا يحملنكَ ذلك على الرغبة في الجهل ، والزهد في العقل ، فدولة الجاهل من الممكنات ، ودولة العاقل من الواجبات ، وليس من أمكنه شيء من ذاته كمن استوجبه بآلته وأدواته) .

وبعدُ : فدولة الجاهل كالغريب الذي يَحِنُّ إلى النُقْلة ، ودولة العاقل كالنَّسيب الذي يَحِنُّ إلى الوُصْلة ، فلا يفرح المرءُ بحالةٍ جليَّةٍ نالها بغير عقل ، أو منزلةٍ رفيعةٍ حلَّها بغير فضل ؛ فإنَّ الجهلَ يُزِلُّه منها ، ويزيله عنها ، ويحطُّه إلى رتبته ، ويردُّه إلى قيمته ، بعد أن تظهر عيوبه ، وتكثر ذنوبه ، ويصير مادُّه هاجباً ، ووليُّه مُعاديّاً .

واعلم : أنه بحسب ما يُنشر من فضائل العاقل .. كذلك يظهر من رذائل الجاهل ؛ حتى يصيرَ مثلاً في الغابرين ، وحديثاً في الآخِرِينَ ، مع هتكته في عصره ، وقبح ذكره في دهره ؛ كالذي رواه عطاء ، عن جابر رضي الله عنه قال : (كان في بني إسرائيل رجلٌ له حمار ، فقال : يا رب ؛ لو كان لك حمارٌ .. لعلفته مع حماري ، فهمَّ به نبيٌّ من أنبياء الله ، فأوحى الله تعالى إليه : إنما أُثيب كلَّ إنسانٍ على قَدْرِ عقله)^(٣) .

واستعمل معاوية رضي الله عنه رجلاً من كلب ، فذكر المجوس يوماً عنده ، فقال : لعن الله المجوس ينكحون أمهاتهم ، والله ؛ لو أُعطيت عشرة آلاف

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٣) .

(٢) سُهمَةٌ - على وزن غُرْفَةٍ - : النصيب .

(٣) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٣١٨ ، ٤٣١٩) موقوفاً ومرفوعاً .

درهم . . ما نكحتُ أُمي ، فبلغ ذلك معاويةَ رضي الله عنه ، فقال : (قَبَّحه الله ،
أُترونه لو زادوه . . فعل ؟ !) وعزله (١) .

وَوَلِيَّ الرِّبْعِ العامريُّ - وكان من التَّوَكُّي - بعضُ منابر اليمامة ، فأقاد كلباً
بكلب ، فقال فيه الشاعر :

شهدتُ بأنَّ اللهَ حقّاً لقاءُهُ وأنَّ الرِّبْعَ العامريَّ رَقِيعُ
أَقَادَ لَنَا كَلْباً بكلِّ ولم يدعْ دماءَ كلابِ المسلمين تَضِيعُ (٢)
وليسَ لِمَعَارِّ الجَهِلِ غايَةٌ ، ولا لِمَضارِّ الحُمقِ نَهايَةٌ ، وقد قال
الشاعر (٣) :

لَكلِّ داءٍ دواءٌ يُسْتَطَبُّ بِهِ إلا الحماقَةَ أَعْيَتْ مَنْ يُداوِيها

(١) الخبر في « عيون الأخبار » (٤٥ / ٢) ، و « البيان والتبيين » (٢٥٩ / ٢) .

(٢) الخبر في « البيان والتبيين » (٢٥٩ / ٢) ، والبيتان لحمد بن ثور الهلالي في « ديوانه » (ص ١٤٤) ،
وقوله : (حقاً) كذا في النسخ بالنصب إلا (د) ، وانظر توجيهها في « منهاج اليقين » (ص ٣٤) ، ورقع :
أحمق .

(٣) البيت في « العقد الفريد » (٣٥٧ / ٢) ، و « الكشكول » (٣٥٣ / ٢) .

فَضَائِلُ

[في ذمّ الهوى]

فأما الهوى.. فهو عن الخير صاّدٌ ، وللعقل مُضادٌّ ؛ لأنه ينتج من الأخلاق قبائحها ، ويظهر من الأفعال فضائحها ، ويجعل سترَ المروءة مهتوكاً ، ومدخلَ الشرِّ مسلوکاً .

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (الهوى : إلهٌ يُعبدُ من دون الله ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ ﴾ (١) .

وقال عكرمة في قوله تعالى : (﴿ وَلَئِكَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ لَذَّةٌ مِنْ آلِهَتِهِمْ ﴾ يعني : بالشهوات ، ﴿ وَتَرِيتُمْ ﴾ يعني : بالتوبة ، ﴿ وَارْتَبْتُمْ ﴾ يعني : في أمر الله ، ﴿ وَعَرَّيْتُمْ الْأُمَاطِيَّ ﴾ يعني : بالتسويق ، ﴿ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ يعني : الموت ، ﴿ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾ يعني : الشيطان (٢) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « طاعةُ الشهوةِ داءٌ ، وعصيانُها دواءٌ » .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (اقدّعوا هذه النفوسَ عن شهواتها ؛ فإنها طلاعة تنزعُ إلى شرٍّ غايةٍ ، إن هذا الحقُّ ثقیلٌ مُرٌّ ، وإن الباطلَ خفيفٌ وبي ، وتركُ الخطيئةِ خيرٌ من معالجةِ التوبة ، وربَّ نظرةٍ زرعَتْ شهوةً ، وشهوةٍ ساعةٍ أورتَتْ حزناً طويلاً) (٣) .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (أخاف عليكم اثنتين : اتّباعَ الهوى ، وطولَ الأمل ؛ فإن اتّباعَ الهوى يصدُّ عن الحق ، وطولُ الأمل يُنسي الآخرة) (٤) .

(١) أورده في « عيون الأخبار » (٣٧/١) ، و« البيان والتبيين » (٢٣٥/١) .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٩١٢) عن عكرمة عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) أورده في « البيان والتبيين » (١٣٨/٣) ، و« صبح الأعشى » (٢١٤/١) ، واقدعوا : امنعوا ، وطلاعة : تكثر التطلع والميل إلى ما تشتهيهِ ، والمُرّ - على وزن (دُرّي) - : دواء معروف بين الأطباء ؛ والمعنى : منع النفس عن شهواتها وإن كان ثقیلاً ؛ فإنه يحفظ صحة الأبدان .

(٤) أورده في « البيان والتبيين » (٥٣/٢) .

وقال الشعبي : (إِنَّمَا سُمِّيَ الْهُوِيُّ هَوًى ؛ لِأَنَّهُ يَهْوِي بِصَاحِبِهِ) (١) .

وقال أعرابي : (الْهُوِيُّ هَوَانٌ ؛ وَلَكِنْ غُلِطَ بِاسْمِهِ) ، فأخذه الشاعر فقال (٢) :

[من الكامل]

إِنَّ الْهُوََانَ هُوَ الْهُوِيُّ قَلَبَ اسْمُهُ فَإِذَا هَوَيْتَ فَقَدْ لَقِيتَ هَوَانَا

وقيل في منشور الحكم : (مَنْ أَطَاعَ هَوَاهُ .. أُعْطِيَ عِدْوَهُ مُنَاهُ) (٣) .

وقال لقمان الحكيم : (الْعَقْلُ : صَدِيقٌ مَقْطُوعٌ ، وَالْهُوِيُّ : عِدْوٌ مُتَبَوِّعٌ) (٤) .

وقال بعض البلغاء : (أَفْضَلُ النَّاسِ : مَنْ عَصَى هَوَاهُ ، وَأَفْضَلُ مِنْهُ : مَنْ رَفَضَ دَنِيَاهُ) .

وقال هشام بن عبد الملك بن مروان (٥) :

[من الطويل]

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْصِ الْهُوَّيَّ قَادَكَ الْهُوِيُّ إِلَى كُلِّ مَا فِيهِ عَلَيْكَ مَقَالٌ

قال ابن المعتز : (لَمْ يَقُلْ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ) .

وقال الشاعر (٦) :

[من الطويل]

إِذَا مَا رَأَيْتَ الْمَرْءَ يَقْتَادُهُ الْهُوَّيَّ فَقَدْ ثَكَلَتْهُ عِنْدَ ذَلِكَ ثَوَاكِلُهُ
وَقَدْ أَشْمَتَ الْأَعْدَاءَ جَهْلًا بِنَفْسِهِ وَقَدْ وَجَدَتْ فِيهِ مَقَالًا عَوَازِلُهُ
وَمَا يَزَعُ النَّفْسَ اللَّجُوجَ عَنِ الْهُوَّيَّ مِنَ النَّاسِ إِلَّا حَازِمُ الرَّأْيِ كَامِلُهُ

(١) أورده أبو عبيد في « الأمثال » (ص ٢٢٤) .

(٢) البيت في « الموشى » (ص ٨٨) ، و « محاضرات الأدباء » (٣٠ / ١) .

(٣) أورده في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٣٦٣) ، و « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٥٣) .

(٤) أورده في « محاضرات الأدباء » (٢٨ / ١) .

(٥) البيت في « عيون الأخبار » (٣٧ / ١) .

(٦) أورد الأبيات في « حلية الأولياء » (٢٧٦ / ٧) .

فلما كان الهوى غالباً ، وإلى سبيل المهالك مُورداً . . جُعِلَ العقلُ عليه رقيباً مجاهداً ، يلاحظ عَثْرَةَ غفلته ، ويدفع سَطْوَةَ بادرتة ، ويوضح خداع حيلته ؛ لأن سلطان الهوى قويٌّ ، ومدخل مَكْرِهِ خفيٌّ ، ومن ههنا الوجهين يؤتى العاقل حتى تنفذ أحكام الهوى عليه ؛ أعني بأحد الوجهين : قوة سلطانه ، وبالأخر : خفاء مَكْرِهِ .



فأما الوجه الأول . . فهو أن يَقْوَى سلطانُ الهوى بكثرة دواعيه ؛ حتى تستولي عليه مغالبة الشهوات ، فيكَلِّ العقل عن دفعها ، ويضعف عن منعها ، مع وضوح قبحها ؛ في العقل المقهور بها .

وهذا يكون في الأحداث أكثر ، وعلى الشباب أغلب ؛ لقوة شهواتهم ، وكثرة دواعي الهوى المتسلط عليهم ، وأنهم ربما جعلوا الشباب عذراً لهم ؛ كما قال محمد بن بشير^(١) :

كُلُّ يَرَى أَنَّ الشَّبَابَ لَهُ فِي كُلِّ مَبْلَغٍ لَذَّةٌ عُذْرٌ
ولذلك قال بعض الحكماء : (الهوى مِلْكٌ غَشُومٌ ، وَمُتَسَلِّطٌ ظَلُومٌ)^(٢) .
وقال بعض الأدباء : (الهوى عَسُوفٌ ، والعدلُ مَأْلُوفٌ) .

وقال بعض الشعراء :

يا عاقلاً أَرَدَى الهَوَى عَقْلَهُ مَا لَكَ قَدْ سُدَّتْ عَلَيْكَ الْأُمُورُ
أَتَجْعَلُ الْعَقْلَ أَسِيرَ الْهَوَى وَإِنَّمَا الْعَقْلُ عَلَيْهِ أَمِيرُ
وحسبُ ذلك : أن يستعين بالعقل على النفس النَّفُورِ ، فيشعرها ما في عواقب الهوى من شِدَّةِ الضَّرَرِ ، وقُبْحِ الْأَثَرِ ، وكثرة الإِجْرَامِ ، وتراكم الآثَامِ ؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ ، وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ »^(٣) ،

(١) أورد البيت في « المحب والمحبوب » (٣٨١ / ٤) ، وهو في « ديوان الأحوص » (ص ١٤١) .

(٢) أوردته في « روضة المحبين » (ص ١٢٩) .

(٣) رواه مسلم (٢٨٢٢) ، والترمذي (٢٥٥٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

أخبر : أن الطريقَ إلى الجنة احتمالُ المكاره ، والطريقَ إلى النار اتِّباعُ الشهوات .
وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (إياكم وتحكيمَ الشَّهَوَاتِ على
أنفسكم ؛ فإن عاجلَهَا ذَمِيمٌ ، وآجلَهَا وَخِيمٌ ، فإن لم تَرَهَا تنقادُ بالتخويف
والإرهاب .. فسوفَها بالتأميل والإرغاب ؛ فإن الرغبةَ والرَّهْبَةَ إذا اجتمعا على
النفس .. ذَلَّتْ لهما وانقادت) .

وقد قال ابن السماك : (كن لهواكَ مُسَوِّفًا ، ولعقلِكَ مُسَعِفًا ، وانظر ما تسوء
عاقبته .. فوطنُ نفسك على مُجانِبته ؛ فإنَّ تركَ النفس وما تهوى داؤها ، وترك
ما تهوى دواؤها ، فاصبر على الدواء لما تخاف من الداء) .

وقال الشاعر^(١) :

صبرتُ على الأيامِ حتَّى تولَّيتُ وألزمتُ نفسي صَبْرَهَا فاستمرتِ
وما النفسُ إلا حيثُ يجعلُها الفتى فإن أُطِيعت تاقَتْ وإلا تسَلَّتِ

فإذا انقادتِ النفسُ للعقل بما قد أُشْعِرَتْ من عواقب الهوى .. لم يلبثِ الهوى
أن يصيرَ بالعقل مزجوراً ، وبالنفس مقهوراً ، ثم له الحظُّ الأوفر في ثواب الخالق
وثناء المخلوقين ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ
الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴾ .

وقال الحسن البصري : (أفضلُ الجهاد : جهادُ الهوى)^(٢) .

وقال بعض الحكماء : (أعزُّ العِزِّ : الامتناعُ من مَلِكِ الهوى) .

وقال بعض البلغاء : (خيرُ الناس : مَنْ أخرج الشهوةَ من قلبه ، وعصى هواه
في طاعة ربِّه)^(٣) .

وقال بعض الأدباء : (من أَمَاتَ شهوته .. أحيَا مروءته)^(٤) .

وقال بعض العلماء : (رَكَّبَ اللهُ الملائكةَ من عقلٍ بلا شهوة ، ورَكَّبَ البهائمُ

(١) البيتان لعمر بن معدى كرب في « ديوانه » (ص ١٩٨) .

(٢) أورده في « بهجة المجالس » (٨١٠ / ٢) من كلام عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى .

(٣) أورده في « المستطرف » (٨٧ / ١) .

(٤) أورده في « المستطرف » (٩٠ / ١) .

من شهوة بلا عقل ، ورَّكِبَ ابنَ آدَمَ من كليهما ، فَمَنْ غلبَ عقلُه شهوتَه . . فهو خيرٌ من الملائكة ، ومن غلبت شهوتُه عقلَه . . فهو شرٌّ من البهائم (١) .

وقيل لبعض الحكماء : (من أشجعُ الناس وأحراهم بالظفر في مجاهدته ؟ قال : مَنْ جاهد الهوى طاعةً لربِّه ، واحترس من ورود خواطر الهوى على قلبه) (٢) .

وقال بعض الشعراء :

قد يُدركُ الحازمُ ذو الرأي المُنَى بطاعة الحَزْمِ وعصيان الهَوَى

وأما الوجه الثاني . . فهو أن يخفي الهوى مكرهه ؛ حتى تنموه أفعاله على العقل ، فيتصوّر القبيح حسناً ، والضرر نفعاً ، وهذا يدعو إليه أحد شيئين : إما أن يكون للنفس ميلٌ إلى ذلك الشيء ، فيخفي عنها القبيح بحسن ظنها ، وتتصوّر حسناً لشدة ميلها ؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « حُبُّكَ الشيء يُعمي ويُصمُّ » (٣) أي : يُعمي عن الرشد ، ويُصمُّ عن قبول الموعظة . وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (الهوى عمى) .

وقال الشاعر (٤) :

حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدُّ
حَسَنٌ فِي كُلِّ عَيْنٍ مَنْ تَوَدُّ

وقال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين (٥) :

ولستُ بِراءٍ عيبَ ذي الوُدِّ كلَّه ولا بعضَ ما فيه إذا كنتُ راضياً

(١) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٧٢) ، و « الكشكول » (٤٢٦ / ٢) .

(٢) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٥٣) .

(٣) رواه أبو داود (٥١٣٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٠٧) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٤) البيت لعمر بن أبي ربيعة في « ديوانه » (ص ١٠٦) ، وصدره : (فتضاحكن وقد قلن لها) .

(٥) البيت في « ديوانه » (ص ٩٠) .

فَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيلَةٌ وَلَكِنَّ عَيْنَ الشُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا

وأما السبب الثاني^(١) . فهو استتقال الفكر في تمييز ما اشتبه ، وطلب الراحة في اتباع ما يسهل ؛ حتى يظن أن ذلك أوفق أمريه ، وأحمد حاله ؛ اغتراراً بأن الأسهل محمود ، والأعسر مذموم ، فلن يعدم أن يتورط بخدع الهوى وزينة المكر ، في كل مخوف حذر ، ومكروه عسر ؛ ولذلك قال عامر بن الظرب :
(الهوى يقظان ، والعقل راقد ، فمن ثم غلب)^(٢) .

وقال سليمان بن وهب : (الهوى أمتع ، والرأي أنفع)^(٣) .

وقيل في المثل : (العقل وزير ناصح ، والهوى وكيل فاضح)^(٤) .

وقال الشاعر^(٥) :

[من الطويل]

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتتهت ولم ينهها تأقت إلى كل باطل
وساقت إليه الإثم والعار بالذي دعت إليه من حلاوة عاجل

وحسم السبب الأول : أن يجعل فكر قلبه حكماً على نظر عينه ؛ فإن العين رائد الشهوة ، والشهوة من دواعي الهوى ، والقلب رائد الحق ، والحق من دواعي العقل .

وقد قال بعض الحكماء : (نظر الجاهل بعينه وناظره ، ونظر العاقل بقلبه وخاطره) .

ثم يتهم نفسه في صواب ما أحببت ، وتحسين ما اشتتهت ؛ ليصح له الصواب ، ويستبين له الحق ؛ فإن الحق أثقل محملاً ، وأصعب مركباً .

فإن أشكل عليه أمران . . اجتنب أحبهما إليه ، وترك أسهلهما عليه ؛ فإن

(١) أي : الداعي إلى إخفاء الهوى مكروه .

(٢) أورده في « عيون الأخبار » (٣٧ / ١) .

(٣) أورده في « التذكرة الحمدونية » (١١٣ / ٦) ، و « محاضرات الأدباء » (١٩٤ / ٣) .

(٤) أورده في « البصائر والذخائر » (١٣١ / ١) .

(٥) أوردهما في « المجالسة وجواهر العلم » (ص ٣٨٢) بلا نسبة ، وفي « معجم الأدباء » (٨٥ / ٤)
للحسين بن محمد النحوي المعروف بالبارع .

النفس عن الحق أنفَرُ ، وللهوى آثَرُ ، وقد قال العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه : (إذا اشتبه عليك أمران . . فدَعْ أَحَبَّهُمَا إِلَيْكَ ، وخذ أثَقَلَهُمَا عَلَيْكَ)^(١) .

وعلة هذا القول : هو أن الثقل تبطئ النفس عن التسرع إليه ، فيتضح مع الإبطاء وتطاول الزمان صواب ما استعجم ، وظهور ما استبهم ، وقد قال علي بن أبي طالب عليه السلام : (مَنْ تَفَكَّرَ . . أَبْصَرَ)^(٢) .

والمحبوب السهل تُسرع النفس إليه ، وتعجل بالإقدام عليه ، فيقصر الزمان عن تصفُّحه ، ويفوت استدراكه لتقصي فعله ، فلا ينفع التصفُّح بعد العمل ، ولا الاستبانة بعد الفوت ، وقد قال بعض الحكماء : (ما كان عنك مُعْرِضاً . . فلا تكن به متعريضاً) .

وقال الشاعر^(٣) :

أليس طِلابُ ما قد فات جَهْلاً وذِكْرُ المرءِ ما لا يستطيعُ
ولقد وصف بعض البلغاء حال الهوى وما يقارنه من مِخَن الدنيا فقال :
(الهوى مطية الفتنة ، والدنيا دار المِحنة ، فانزل عن الهوى . . تسلَّم ، وأعرض عن الدنيا . . تغنم ، ولا يغرنك هواك بطيب الملاهي ، ولا تفتننك دنياك بحُسن العواري ؛ فمدة اللهو تنقطع ، وعارية الدهر تُرتجع ، ويبقى عليك ما تركبه من المحارم ، وتكتسبه من المآثم) .

وقال علي بن عبد الله الجعفري : (سمعتني امرأةً بالطواف وأنا أنشد : [من البسيط]

أهوى هوى الدِّين واللَّذَاتُ تُعجِبني فكيف لي بهوى اللَّذَاتِ والدِّينِ
فقلت : هما ضَرَّتَانِ ، فذَرُ أَيْتَهُمَا شِئْتَ ، وخذِ الأُخْرَى)^(٤) .

(١) أورده في « عيون الأخبار » (٣٧/١) ونسبه لبزرجهر ، وفي « الأمثال » (ص ٢٢٤) .

(٢) أورده في « العقد الفريد » (١٠٧/٢) ، و « التذكرة الحمدونية » (١٨٥/٥) من كلام الزرقاء بنت عدي الهمدانية .

(٣) البيت في « جمهرة الأمثال » (٣٣٨/١) بلا نسبة .

(٤) أورده في « الأغاني » (٨٩٤٧/٢٦) ، و « الوافي بالوفيات » (١٨٩/٢١) ، وهو علي بن المديني رحمه الله تعالى .

فأما فرق ما بين الهوى والشهوة مع اجتماعهما في العلة والمعلول واتفاقهما في الدلالة والمدلول . . فهو أن الهوى مختص بالآراء والاعتقادات ، والشهوة تختص بنيل المستلذات ، فصارت الشهوة من نتائج الهوى وهي أخص ، والهوى أصل وهو أعم .

ونحن نسأل الله تعالى أن يكفينَا دواعي الهوى ، ويصرف عنا سُبُل الردى ، ويجعل التوفيق لنا قائداً ، والعقل لنا مرشداً ؛ فقد حُكي : أن الله تعالى أوحى إلى عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : « عِظْ نَفْسَكَ ، فَإِنْ انْعَظْتَ . . فَعِظِ النَّاسَ ، وَإِلَّا . . فَاسْتَحْيِ مِنِّي » (١) .

وقال محمد بن كُناسة (٢) :

[من الكامل]

ما مَن روى أدباً فلم يعمل به
حتى يكون بما تعلّم عاملاً
ولقلّما تُغني إصابة قائل
ويكفّ عن زيغ الهوى بأديب
من صالح فيكون غير معيب
أفعاله أفعال غير مُصيب

وقال آخر (٣) :

[من الكامل]

يا أيّها الرجل المعلّم غيره
تصف الدواء لذي السقام وذِي الضنى
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها
فإنك تُعذّر إن وعظت ويُقتدى
لا تنه عن خلقي وتأتي مثله
هَلّا لنفسك كان ذا التعليم
كيما يصحّ به وأنت سقيم
فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
بالقول منك ويُقبَل التعليم
عارٌ عليك إذا فعلت عظيم

حكى أبو فروة : (أن طارقاً صاحب شُرطة خالد بن عبد الله القسري مرّ بابن شُبْرُمة وطارق في موكبه ، فقال ابن شُبْرُمة :

[من الطويل]

أراها وإن كانت تُحبّ كأنها
سحابة صيفٍ عن قليل تَقشَعُ

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٨٢ / ٢) عن مالك بن دينار رحمه الله .

(٢) الأبيات في « الأغاني » (٤٨٥٦ / ١٣) ، و « معجم الشعراء » (٢٤٣ / ٢) لأحمد بن يحيى البلاذري .

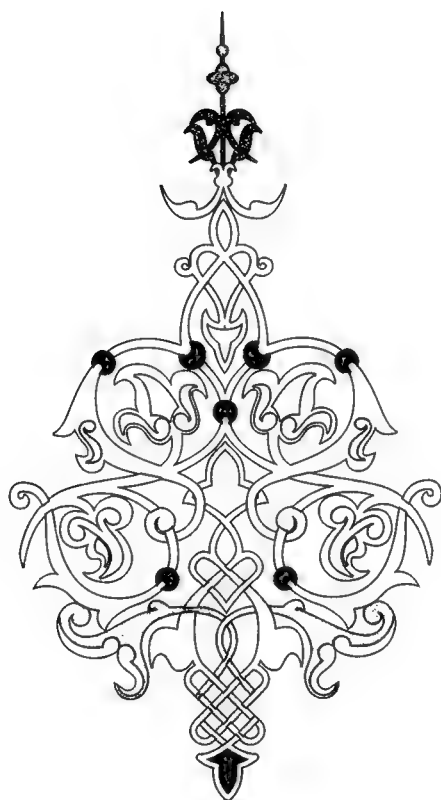
(٣) الأبيات لأبي الأسود الدؤلي في « ديوانه » (ص ٤٠٤) ، و « خزنة الأدب » (٥٦٧ / ٨) .

اللهم ؛ لي ديني ، ولهم دنياهم ، فاستُعملَ ابنُ سُبْرَمَةَ بعد ذلك على القضاء ، فقال له ابنه : أتذكر قولك يومَ كذا إذ مر بك طارق في موكبه ؟ فقال : يا بني ؛ إنهم يجدون مثلَ أبيك ، ولا يجد أبوك مثلهم ، إنَّ أباك أكل من حلوائهم ، فحطَّ في أهوائهم^(١) .

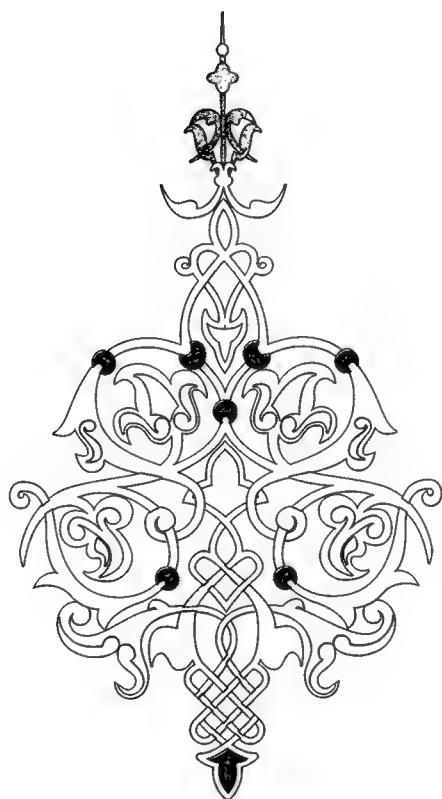
أما ترى هَذَا الدِّينَ الفاضلَ كيف عُوِجِلَ بالتفريع ، وقُوِبِلَ بالتوبيخ من أخصَّ ذويه ، ولعله من أبرِّ بنيهِ ؟!

فكيف بنا ونحن أطلقُ منه عِناناً ، وأنطقُ منه جِناناً إذا رَمَقَتْنَا أَعْيُنُ المَتَّبِعِينَ ، وتناولَتْنَا أَلْسُنُ المَتَعَتِّينَ . . هل نجد غيرَ توفيقِ الله تعالى مَلاذاً ، أو سوى عصمته مَعاذاً ؟!

(١) أورده في « البيان والتبيين » (١٤٦ / ٣) ، و « عيون الأخبار » (٥٦ / ١) .



البَابُ الثَّانِي
فِي أَكْبَرِ الْعَالَمِينَ



بَابُ أَدَبِ الْعِلْمِ

اعلم : أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب ، وأفضل ما طلبه وجد في الطالب ، وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب ؛ لأن شرفه ينم على صاحبه ، وفضله ينمي عند طالبه .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ فمنع من المساواة بين العالم والجاهل ؛ لما قد خص به العالم من فضيلة العلم .

وقال الله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ فنفي أن يكون غير العالم يعقل عنه أمراً ، أو يفهم عنه زجراً .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام : إني عليم ، أحب كل عليم »^(١) .

وروى أبو أمامة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رجلين ؛ أحدهما عالم ، والآخر عابد ، فقال صلى الله عليه وسلم : « فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم »^(٢) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (الناس أبناء ما يحسنون)^(٣) .

وقال مصعب بن الزبير لابنه : (تعلم العلم ؛ فإن يكن لك مال . . كان لك جمالاً ، وإن لم يكن لك مال . . كان لك مالا)^(٤) .

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه : (يا بني ؛ تعلموا العلم ، فإن كنتم سادة . . فقتم ، وإن كنتم وسطاً . . سُدتم ، وإن كنتم سُوقَةً . . عِشتم)^(٥) .

(١) أورده ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٢٣٦) .

(٢) رواه الترمذي (٢٦٨٥) .

(٣) أورده ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٦٠٨) من طريق ابن عائشة .

(٤) رواه البيهقي في « المدخل إلى السنن الكبرى » (٣٩٩) ، ونحوه في « الطيوريات » (٥٠٨) .

(٥) الخبر في « البصائر والذخائر » (٣٣ / ٧) من قول ابن المقفع .

وقال بعض الحكماء : (العلمُ : شرفٌ لا قديمَ له ، والأدبُ : مالٌ لا خوفَ عليه) .

وقال بعض الأدباء : (العلمُ أفضلُ خَلْفٍ ، والعملُ به أكملُ شرفٍ) .

وقال بعض البلغاء : (تعلَّم العلمَ ؛ فإنه يقوِّمُكَ ويسدِّدُكَ صغيراً ، ويقدِّمُكَ ويسوِّدُكَ كبيراً ، ويُصلِحُ زيغَكَ وفاسدَكَ ، ويُرْغِمُ عدوَّكَ وحاسدَكَ ، ويُقيمُ عَوَجَكَ وميلَكَ ، ويصححُ همَّتَكَ وأملَكَ)^(١) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (قيمةُ كلِّ امرئٍ ما يُحسِنُ)^(٢) .

فأخذه الخليل فنظمه شعراً فقال^(٣) :

لا يكونُ العليُّ مثلَ الدَّنيِّ لا ولا ذو الذِّكاءِ مثلَ الغبيِّ
قيمةُ المرءِ قدرُ ما يحسنُ المرءُ قضاءً من الإمامِ عليِّ

وليس يجهل فضل العلم إلا أهل الجهل ؛ لأن فضل العلم إنما يُعرف بالعلم ، وهذا أبلغ في فضله ؛ لأن فضله لا يُعلم إلا به ، فلما عَدِمَ الجُهَّالُ العلمَ الذي به يتوصَّلون إلى فضل العلم . . جهلوا فضله ، واسترذلوا أهله ، وتوهَّموا أن ما تميل إليه نفوسهم من الأموال المُقتناة ، والطُّرَفُ المُشتهاة . . أولى أن يكون إقبالهم عليها ، وأحرى أن يكون اشتغالهم بها .

وقد قال ابن المعتز في منشور الحكم : (العالمُ يعرفُ الجاهلَ ؛ لأنه كان جاهلاً ، والجاهلُ لا يعرفُ العالمَ ؛ لأنه لم يكن عالماً)^(٤) .

وهذا صحيحٌ ، ولأجله انصرفوا عن العلم وأهله انصرافَ الزاهدين ، وانحرفوا عنه وعنهم انحرافَ المعاندين ؛ لأن مَنْ جهل شيئاً . . عاداه .

(١) انظر « نشرطي التعريف » (ص ٢٣٥) .

(٢) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢٣٨/٥) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٦٠٨) .

(٣) البيهقي في « ديبانه » (ص ٥٢) .

(٤) أورده في « أخلاق الوزيرين » (ص ٣٩٠) .

[من الطويل]

وأنشدني ابنُ لَنَكْ لأبي بكر بن دريد^(١) :

جهلتَ فعاديتَ العلومَ وأهلَهَا كذاك يُعادي العلمَ مَنْ هو جاهلُهُ
ومَنْ كان يهوى أَنْ يُرى متصدراً ويكره (لا أدري) أَصِبتَ مَقَاتِلُهُ

وقيل لبُرْزُجْمَهَر : (العلمُ أَفْضَلُ أم المَالُ ؟ فقال : بل العلم ، قيل : فما بالنَا
نرى العلماء على أبواب الأغنياء ، ولا نكاد نرى الأغنياء على أبواب العلماء ؟
فقال : ذلك لمعرفة العلماء بمنفعة المال ، وجهل الأغنياء بفضل العلم)^(٢) .

وقيل لبعض الحكماء : (لم لا يجتمعُ العلمُ والمَالُ ؟ فقال : لعزُّ
الكمال)^(٣) .

[من الطويل]

وأنشدتُ لبعض أهل العصر :

وفي الجهلِ قبلَ الموتِ موتٌ لأهلِهِ فأجسامُهُم قبلَ القبورِ قبورُ
وإنَّ امرأً لم يَخَيَ بالعلمِ ميّتٌ فليس له حتى النشورِ نُشورُ

ووقف بعض المتعلمين بباب عالم ، ثم نادى : (تصدّقوا علينا بما لا يُتعب
ضرساً ، ولا يُسقم نفساً) فأخرج له طعامٌ ونفقة .

فقال : (فاقني إلى كلامكم أشدّ من حاجتي إلى طعامكم ؛ إني طالبُ هدى ،
لا سائلُ ندى) فأذن له العالم وأفاده من كل ما سأل عنه ، فخرج جَذْلَان فرِحاً
وهو يقول : (علمٌ أوضح لبساً خيراً من مال أغنى نفساً)^(٤) .

واعلم : أن كلّ العلوم شريفةٌ ، ولكل علم منها فضيلةٌ ، والإحاطة بجميعها
مُحالٌ .

قيل لبعض الحكماء : (مَنْ يعرف كلّ العلم ؟ فقال : كلّ الناس) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ ظنَّ أن للعلم غايةً . . فقد

(١) البيتان في « ديوانه » (ص ١٠٥) .

(٢) أورده في « جامع بيان العلم وفضله » (٣١٢) .

(٣) أورده في « الإعجاز والإيجاز » (ص ١٥٤) ، و« الكشكول » (٣٦٤ / ٢) .

(٤) الخبر في « البصائر والذخائر » (٨ / ٥) .

بَحْسَهُ حَقَّهُ ، ووضعه في غير منزلته التي وضعه الله بها حيث يقول : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ .

وقال بعض الحكماء : (لو كنا نطلب العلم لنبلغ غايته . . كنا قد بدأنا العلم بالقيصة ؛ ولكننا نطلبه لننقص في كل يوم من الجهل ، ونزداد في كل يوم من العلم)^(١) .

وقال بعض العلماء : (المتعمق في العلم كالسباح في البحر ، ليس يرى أرضاً ، ولا يعرف طولاً ولا عرضاً) .

وقيل لحماة الراوية : أما تشيع من هذه العلوم ؟ فقال : استفرغنا فيها المجهود ، فلم نبلغ منها المحدود ، فنحن كما قال الشاعر : [من مشطور الرجز]
إذا قطعنا علماً بدا علم^(٢)

وأشدد الرشيد عن المهدي بيتين ، وقال : أراهما له^(٣) : [من البسيط]

يا نفس خُوضي بحور العلم أو غُوصي فالناس ما بين معوم ومخصوص
لا شيء في هذه الدنيا نحيط به إلا إحاطة منقوص بمنقوص

وإذا لم يكن إلى معرفة جميع العلوم سبيل . . وجب صرف الاهتمام إلى معرفة أهمها ، والعناية بأولها وأفضلها ، وأولى العلوم وأفضلها علم الدين ؛ لأن الناس بمعرفته يرشدون ، وبجهله يضلُّون ؛ إذ لا يصح أداء عبادة جهل فاعلها صفات أدائها ، ولم يعلم شروط إجرائها ؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « فضل العلم خير من فضل العبادة »^(٤) .

(١) أورده في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٥٠٢) من كلام أرسطاطاليس .

(٢) الخبر في « البصائر والذخائر » (١٣٧/٩) ، وهو ضمن أبيات لجريز في « ديوانه » (ص ٤٢٤) ، ويَعْدُه : (فهنَّ بحثاً كمضلات الخدم) ، وعَلَمًا : الجبل .

(٣) البيتان في « الحيوان » (٥٢/٣) بلا نسبة .

(٤) رواه الحاكم في « المستدرک » (٩٣/١) ، والبيهقي في « المدخل إلى السنن الكبرى » (٤٥٥) عن سيدنا حذيفة رضي الله عنه .

وإنما كان كذلك ؛ لأن العلم يبعث على فضل العبادة ، والعبادة مع خلو فاعلها من العلم بها قد لا تكون عبادة ، فلزم علمُ الدين كلَّ مكلف .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طلب العلم فريضة على كل مسلم »^(١) ، وفيه تأويلان :

أحدهما : علم ما لا يسع المكلف جهله من العبادات .

والثاني : جملة العلم إذا لم يقم بطلبه من فيه كفاية .

وإذا كان علم الدين قد أوجب الله تعالى فرض بعضه على الأعيان ، وفرض جميعه على الكافة . . كان أولى مما لم يجب فرضه على الأعيان ولا على الكافة ، قال الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ .

وروى عبد الله بن عمرو^(٢) رضي الله عنهما : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فإذا هو بمجلسين : أحدهما يذكر الله تعالى ، والآخر يتفقهون ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كِلَا الْمَجْلِسَيْنِ عَلَى خَيْرٍ ، وأحدهما أحب إلي من صاحبه ، أما هؤلاء . . فيذكرون الله تعالى ويسألونه ، فإن شاء . . أعطاهم ، وإن شاء . . منعهم ، وأما المجلس الآخر . . فيتعلمون الفقه ، ويعلمون الجاهل ، وإنما بُعثت معلماً » ، فجلس إلى أصحاب الفقه^(٣) .

وروى مروان بن جناح ، عن يونس بن ميسرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الخير عادة ، والشرُّ لجاجة ، ومن يُرد الله به خيراً . . يفقهه في الدين »^(٤) .

(١) رواه ابن ماجه (٢٢٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٥٤٥) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) في النسخ : (عمر) .

(٣) رواه ابن ماجه (٢٢٩) ، والهيتمي في « بغية الباحث » (٤٠) .

(٤) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٣١٠) ، وابن ماجه (٢٢١) عن سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خيارُ أمتي علماؤها ، وخيارُ علمائها فقهاؤها » (١) .

وروى معاذ بن رفاعه ، عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يحملُ هذا العلمَ من كل خلفٍ عدولُه ، ينفون عنه تحريفَ الغالين ، وانتحالَ المبطلين ، وتأويلَ الجاهلين » (٢) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عليكم بخلفائي » قالوا : ومن خلفاؤك ؟ قال : « الذين يُحيون سنتي ، ويُعلمونها عبادَ الله » (٣) .

وروى حميد ، عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « الفقه في الدين حقٌّ على كلِّ مسلمٍ ، ألا فتعلموا ، وعلموا ، وتفقهوا ، ولا تموتوا جهالاً » (٤) .

وروى سليمان بن يسار ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما عُبدَ اللهُ بشيءٍ أفضلَ من فقهه في الدين ، ولَفَقِيهٌ واحدٌ أشدُّ على الشيطان من ألفِ عابدٍ ، ولكلِّ شيءٍ عمادٌ ، وعمادُ الدينِ الفقهُ » (٥) .

وربما مالَ بعضُ المتهاونين بالدين إلى العلوم العقلية ، ورأى أنها أحقُّ بالفضيلة ، وأولى بالتقدِّمة ؛ استثقلاً لما تضمَّنه الدينُ من التكليف ، واسترذالاً لما جاء به الشرعُ من التعبُّد والتوقيف ، والكلام مع مثل هذا في أصل لا يتسع له هذا الفصل ، ولن ترى ذلك فيمن سلمت فطرته ، وصحت رويته ؛ لأنَّ العقل يمنع من أن يكون النَّاسُ هملاً أو سُدىً ، يعتمدون على آرائهم المختلفة ، وينقادون لأهوائهم المتشعبة ؛ لما تؤوِّل إليه أمورهم من الاختلاف والتنازع ،

(١) رواه الشهاب القضاعي في « مسنده » (١٢٧٦) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، والدليمي في « الفردوس » (٢٨٦٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البيهقي في « السنن الكبرى » (٢٠٩/١٠) .

(٣) رواه في « جامع بيان العلم وفضله » (٢٢٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦١/٥١) بلفظ : (رحمة الله على خلفائي) .

(٤) رواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١٤٤/٢) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » (١٥٩) إلى قوله : « على كل مسلم » ، وأورد باقيه الدليمي في « الفردوس » (٤٥٩٠) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٥) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٥٨٤) ، والدارقطني (٧٩/٣) .

وتُفْضِي إِلَيْهِ أحوَالُهُم مِنَ التَّبَايِنِ وَالتَّقَاطُعِ ، فَلَمْ يَسْتَغْنُوا عَنْ دِينٍ يَأْتَلِفُونَ بِهِ ، وَيَتَّفَقُونَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ الْعَقْلُ مُوجِبٌ لَهُ أَوْ مُتَابِعٌ عَلَيْهِ .

وَلَوْ تَصَوَّرَ هَذَا الْمُخْتَلُّ التَّصَوُّرَ أَنَّ الدِّينَ ضَرُورَةٌ فِي الْعَقْلِ ، وَأَنَّ الْعَقْلَ لِلدِّينِ أَصْلٌ . . لَقَصَّرَ عَنِ التَّقْصِيرِ ، وَأَذْعَنَ لِلْحَقِّ ، وَلَكِنْ أَهْمَلَ نَفْسَهُ فَضْلاً وَأَضَلَّ .

وَقَدْ يَتَعَلَّقُ بِالدِّينِ عُلُومٌ قَدْ بَيَّنَّ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فَضِيلَةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا ، فَقَالَ : (مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ . . عَظُمَتْ قِيَمَتُهُ ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْفِقْهَ . . نُبِلَ مَقْدَارُهُ ، وَمَنْ كَتَبَ الْحَدِيثَ . . قَوِيَتْ حِجَّتُهُ ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْحِسَابَ . . جَزُلَ رَأْيُهُ ، وَمَنْ تَعَلَّمَ الْعَرَبِيَّةَ . . رَقَّ طَبْعُهُ ، وَمَنْ لَمْ يَصُنْ نَفْسَهُ . . لَمْ يَنْفَعِهِ عِلْمُهُ) (١) .

وَلِعَمْرِي ؛ إِنْ صَيَانَةُ النَّفْسِ أَصْلُ الْفَضَائِلِ ؛ لِأَنَّ مَنْ أَهْمَلَ صَيَانَةَ نَفْسِهِ ثَقَّةٌ بِمَا مَنَحَهُ الْعِلْمُ مِنْ فَضِيلَتِهِ ، وَتَوَكَّلًا عَلَى مَا يُلْزِمُ النَّاسَ مِنْ صَيَانَتِهِ . . سَلَبُوهُ فَضِيلَةَ عِلْمِهِ ، وَوَسَمُوهُ بِقُبْحِ تَبَدُّلِهِ ، فَلَمْ يَفِ مَا أَعْطَاهُ الْعِلْمُ بِمَا سَلَبَهُ التَّبَدُّلُ ؛ لِأَنَّ الْقُبْحَ أَنْتُمْ مِنَ الْجَمِيلِ ، وَالرَّذِيلَةَ أَشْهَرُ مِنَ الْفَضِيلَةِ ؛ إِذِ النَّاسُ لَمَّا فِي طَبَاعِهِمْ مِنْ بَغْضَةِ الْحَسَدِ وَنَزَاعِ الْمَنَافَسَةِ . . تَنْصَرِفُ عَيْنُونَهُمْ عَنِ الْمَحَاسِنِ إِلَى الْمَسَاوِي ، فَلَا يُنْصِفُونَ مُحْسِنًا ، وَلَا يُحَابُونَ مُسِيئًا ، لَا سِيَّمَا مَنْ كَانَ بِالْعِلْمِ مُوسُومًا ، وَإِلَيْهِ مَنْسُوبًا ؛ فَإِنْ زَلَّتْ لَا تُقَالُ ، وَهَفْوَتُهُ لَا تُعَدَّرُ :

إِمَّا لِقُبْحِ أَثَرِهَا وَاغْتِرَارِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ بِهَا ؛ فَقَدْ قِيلَ فِي مَثَوْرِ الْحُكْمِ : (زَلَّةُ الْعَالَمِ كَالسَّفِينَةِ ، تَغْرُقُ وَيَغْرُقُ مَعَهَا خَلْقٌ كَثِيرٌ) (٢) .

وَقِيلَ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ أَشَدُّ النَّاسِ فِتْنَةً ؟ قَالَ : (زَلَّةُ الْعَالَمِ ؛ إِذَا زَلَّ . . زَلَّ بِزَلَّتِهِ عَالَمٌ كَثِيرٌ) (٣) ، فَهَذَا وَجْهُ .

وَإِمَّا لِأَنَّ أَهْلَ الْجَهْلِ بِذَمِّهِ أَغْرَى ، وَعَلَى تَقْصُصِهِ أَحْرَى ؛ لَيْسَلَبُوهُ فَضِيلَةَ

(١) « الرِّسَالَةُ » (ص ٧١) فِي السَّمَاعَاتِ .

(٢) أَوْرَدَهُ فِي « التَّمَثِيلِ وَالْمَحَاضِرَةِ » (ص ١٦٦) ، وَ « زَهْرُ الْآدَابِ » (١ / ٣٧٤) مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ .

(٣) أَوْرَدَهُ فِي « زَهْرُ الْآدَابِ » (١ / ٣٧٤) بِلا نِسْبَةٍ .

التقدم ، ويمنعوه مباينة التخصص ؛ عناداً لما جهلوه ، ومقتاً لما باينوه ؛ فإن الجاهل يرى العلم تكلفاً ولوماً ، كما أن العالم يرى الجهل تخلفاً وذماً .

وأنشدت عن الربيع للشافعي رحمه الله ورضي عنه^(١) :

[من الوافر]

ومنزلة السفيه من الفقيه كمنزلة الفقيه من السفيه
فهذا زاهد في قرب هذا وهذا فيه أزهّد منه فيه
إذا غلب الشقاء على سفيه تنطع في مخالفة الفقيه

وقال يحيى بن خالد لابنه : (عليك بكل نوع من العلم فخذ منه ؛ فإن المرء عدوّ ما جهل ، وأنا أكره أن تكون عدوّ شيء من العلم) ، ثم أنشد : [من الطويل]

تفنن وخُذ من كلّ علم فإنما يفوق امرؤ في كلّ فنّ له علم
فأنت عدوّ للذي أنت جاهلٌ به ولعلم أنت تتقنه سلّم

وإذا صان ذو العلم نفسه حقّ صيانتها ، ولازم فعل ما يلزمها . . أمّن تعبير الموالي ، وتنقّص المُعادي ، وجمع إلى فضيلة العلم جمال الصيانة ، وعزّ النّزاهة ، فصار بالمنزلة التي يستحقّها بفضائله .

وروى أبو الدرداء رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يُورثوا ديناراً ولا درهماً ، وإنما ورثوا العلم »^(٢) .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « للأنبياء على العلماء فضلٌ درجتين ، وللعلماء على الشهداء فضلٌ درجة »^(٣) .

وقال بعض البلغاء : (إن من الشريعة : أن تُجلّ أهل الشريعة ، ومن الصّنيعة : أن ترَبّ حسن الصّنيعة)^(٤) .

(١) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٤٨) ، و « مناقب الشافعي » للبيهقي (٩٧ / ٢) .

(٢) رواه أبو داود (٣٦٤١) ، والترمذي (٢٦٨٢) .

(٣) رواه في « جامع بيان العلم وفضله » (١٥٤) مرسلأ .

(٤) يربُّ : يحفظ الشيء ويراعيه .

فينبغي لمن استدلَّ بفطرته على استحسان الفضائل واستقباح الرذائل : أن ينفي عن نفسه رذائل الجهل بفضائل العلم ، وغفلة الإهمال باستيقاظ المعاناة ، ويرغب في العلم رغبةً متحقِّقٍ لفضائله واثقٍ بمنافعه ، ولا يلهيه عن طلبه كثرة مالٍ وجِدَّة ، ولا نفوذُ أمرٍ وعلوُّ منزلة ؛ فإنَّ مَنْ نفذ أمره . . فهو إلى العلم أحوجُّ ، ومَنْ علَّتْ منزلته . . فهو بالعلم أحقُّ .

روى أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن الحكمة تزيد الشَّريفَ شرفاً ، وترفع العبدَ المملوكَ حتى تُجلِّسه مجالسَ المُلوكِ » (١) .

وقال بعض الأدباء : (كلُّ عزٍّ لا يوطئه علمٌ فهو مدَّةٌ ، وكلُّ علمٍ لا يؤيِّده عقلٌ فهو مَصْلَّةٌ) (٢) .

وقال بعض علماء السلف : (إذا أراد الله تعالى بالناس خيراً . . جعل العلمَ في ملوكهم ، والمُلْكَ في علمائهم) .

وقال بعض البلغاء : (العلمُ عصمةُ الملوك ؛ لأنه يمنعهم من الظلم ، ويردُّهم إلى الحكمة ، ويصدِّهم عن الأذية ، ويعطِّفُهم على الرعيَّة ، فمن حقهم : أن يعرفوا حقه ، ويستبطنوا أهله) (٣) .

فأما المالُ . . فظلُّ زائل ، وعاريةٌ مسترجعة ، وليس في كثرته فضيلة ، ولو كانت فيه فضيلةٌ . . لخصَّ الله تعالى به مَنْ اصطفاه لرسالته ، واجتباها لنبوته ، وقد كان أكثرُ أنبياء الله تعالى مع ما خصَّهم الله به من كرامته ، وفضلهم على سائر خلقه . . فقراء لا يجدون بُلْغَةً ، ولا يقدرُونَ على شيء ، حتى صاروا في الفقر

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٧٣/٦) ، والشهاب القضاعي في « مسنده » (١٠٥/٢) ، وابن

عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٧١) .

(٢) أورده في « سراج الملوك » (٢٦٦/١) .

(٣) أورده في « سراج الملوك » (١٢/١) .

مثلاً ، فقال البُخْري^(١) :

[من الكامل]

فقرٌ كفقّر الأنبياءِ وغربةٌ وصِباةٌ ليس البلاءُ بواحدٍ
ولعدم الفضيلة في المال منحه الله تعالى الكافرَ ، وحرمة المؤمنَ ، قال
الشاعر^(٢) :

[من السريع]

كم كافرٍ بالله أموالُهُ تزدادُ أضعافاً على كُفْرِهِ
ومؤمنٍ ليس له درهمٌ يزدادُ إيماناً على فقرِهِ
يا لائمَ الدَّهرِ وأفعالِهِ مشغلاً يُزري على دهرِهِ
الدَّهرُ مأموراً له أمرٌ ينصرفُ الدَّهرُ على أمرِهِ

وقد بيّن علي بن أبي طالب عليه السلام فضلَ ما بين العلم والمال ، فقال :
(العلمُ خيرٌ من المال ، العلمُ يحرسُك ، وأنت تحرسُ المالَ ، العلمُ حاكمٌ ،
والمالُ محكومٌ عليه ، مات خُزَانُ الأموال ، وبقي خُزَانُ العلم ، أعيانُهم
مفقودةٌ ، وأشخاصُهم في القلوب موجودةٌ)^(٣) .

وسُئل بعضُ الحكماء : (أيُّما أفضلُ المالُ أم العلم ؟ فقال : الجواب عن
هذا : أيُّما أفضلُ المالُ أم العقلُ ؟) .

[من الكامل]

وقال صالح بن عبد القدوس :

لا خيرَ فيمن كان خيرُ ثنائِهِ في الناس قولُهُم غنيٌّ واجِدٌ

وربما امتنع الإنسانُ من طلب العلم لِكِبَرِهِ وعلو سِنِّهِ ، واستحيا من تقصيره في
صِغَرِهِ أن يتعلَّم في كِبَرِهِ ، فرضي بالجهل أن يكون موسوماً به ، وآثره على العلم
أن يصير مبتدئاً به ، وهذا من خدع الجهل ، وغرور الكسل ؛ لأن العلم إذا كان
فضيلةً . فرغبة ذوي الأسنان فيه أولى ، والابتداءُ بالفضيلة فضيلةٌ ، ولأن يكون

(١) البيت في « ديوانه » (٥٠٧/١) .

(٢) الأبيات لأحمد بن عبيد الله الدارمي كما في « شعب الإيمان » (٢٤٦) ، وأوردها في « روضة العقلاء »
(٩٧٤/٢) .

(٣) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٥٥/٥٠) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨٠/١) .

شيخاً متعلماً . . أولى من أن يكون شيخاً جاهلاً .

حكى : أن بعض الحكماء رأى شيخاً يحبُّ النظرَ في العلم ويستحي ، فقال له : (يا هذا ؛ أتستحي أن تكونَ في آخرِ عُمرِكَ أفضلَ ممَّا كنتَ في أولِهِ ؟ !)^(١) .

وذكر أن إبراهيم بن المهدي دخل على المأمون وعنده جماعةٌ يتكلمون في الفقه ، فقال : (يا عمُّ ؛ ما عندك فيما يقول هؤلاء ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ؛ شغلونا في الصَّغر ، واشتغلنا في الكِبَر ، فقال : لِمَ لا تتعلمه اليوم ؟ قال : أَوَيْحُسُنْ بمثلي طلبُ العلم ؟ قال : نعم والله ؛ لأنَّ تموتَ طالباً للعلم . . خيرٌ من أن تعيشَ قانعاً بالجهل ، قال : وإلى متى يحسُنُ بي طلب العلم ؟ قال : ما حسُنْتَ بك الحياةُ)^(٢) .

ولأنَّ الصغيرَ أعذَرُ وإن لم يكن في الجهل عذراً ؛ لأنه لم تطل به مدَّةُ التفريط ، ولا استمرت عليه أيامُ الإهمال ، وقد قيل في منشور الحكم : (جهلُ الشباب معذورٌ ، وعلمُه محقورٌ)^(٣) .

فأما الكبيرُ . . فالجهلُ به أقبحُ ، ونقصُه عليه أفضحُ ؛ لأنَّ علوَّ السنِّ إذا لم يكسبه فضلاً ، ولم يُفدِه علماً ، وكانت أيامُه في الجهل ماضية ، ومن الفضل خالية . . كان الصغيرُ أفضلَ منه ؛ لأنَّ الرجاء له أكثرُ ، والأمل فيه أظهرُ ، وحسبُكَ نقصاً في رجلٍ يكون الصغيرُ المُساوي له في الجهل أفضلَ منه !! .

وأنشِدتُ لبعض أهل الأدب :

إذا لم يكن مرُّ السنين مُترجماً عن الفضل في الإنسان سميته طفلاً
وما تنفعُ الأعوامُ حين تعدُّها ولم تستفدُ فيهنَّ علماً ولا فضلاً
أرى الدهرَ من سوء التصرف مائلاً إلى كل ذي جهلٍ كأنَّ به جهلاً

(١) رواه الخطيب في « الفقيه والمتفقه » (٨٠٢) من قول سقراط .

(٢) أورده في « سراج الملوك » (٢٦٥ / ١) ، ورواه في « تاريخ دمشق » (٣٥٠ / ٦٠) في ترجمة منصور بن محمد المهدي رحمه الله تعالى .

(٣) رواه الخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٧٢١) ، وأورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٨٢) من كلام ابن المعتز رحمه الله تعالى .

وربما امتنع من طلب العلم لتعذر الكفاية ، وشغله اكتسابها عن التماس العلم ، ولهذا وإن كان أعذر من غيره مع أنه قلماً يكون ذلك إلا عند ذي شره رغب ، وشهوة مستعبدة . . فينبغي أن يصرف إلى العلم حظاً من زمانه ؛ فليس كلُّ الزمان زمانَ اكتساب ، ولا بدّ للمكتسب من أوقات راحة واستراحة وأيام عطلة ، ومن صرف كلِّ نفسه إلى الكسب حتى لم يترك لها فراغاً إلى غيره . . فهو من عبيد الدنيا ، وأسراء الحرص ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لكلِّ شيءٍ فترةٌ ، فمن كانت فترته إلى العلم . . فقد نجا » (١) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كونوا علماء صالحين ؛ فإن لم تكونوا علماء . . فجالسوا العلماء ، واسمعوا علماً يدلُّكم على الهدى ، أو يرُدُّكم عن الردى » .

وقال بعض العلماء : (مَنْ أَحَبَّ الْعِلْمَ . . أَحَاطَتْ بِهِ فَضَائِلُهُ) .

وقال بعض الحكماء : (مَنْ صَاحَبَ الْعُلَمَاءَ . . وَقَرَّ ، وَمَنْ جَالَسَ السُّفَهَاءَ . . حُقِرَ) (٢) .

وربما منعه من طلب العلم ما يظنُّه من صعوبته وبُعد غايته ، ويخشى من قلة ذهنه وبُعد فطنته ، ولهذا الظنُّ اعتذارٌ ذوي النقص ، وخيفةٌ أولي العجز ؛ لأن الإخبار قبل الاختبار جهلٌ ، والخشية قبل الابتلاء عجزٌ ، وقد قال الشاعر (٣) :

لا تكونَنَّ للأمورِ هيُوباً فالِئِ خِيبَةٍ يصيرُ الهيُوبُ
وقال رجلٌ لأبي هريرة : (أريد أن أتعلَّم العلم وأخاف أن أُضِيعَه ، فقال : كفى بترك العلم إضاعةً) (٤) .

(١) رواه الإمام أحمد في « المسند » (١٥٨/٢) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما ، وبنحوه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٨٦/١) .

(٢) أورده في « التذكرة الحمدونية » (٢٧٣/١) من كلام سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٣) أورده في « ربيع الأبرار » (٣٥٣/٥) بدون نسبة ، والهيوب : الجبان ضعيف النفس ، ويكون دائماً على حذر وخوف .

(٤) البيان والتبيين (٢٥٧/١) عن أبي هريرة النحوي .

وليس - وإن تفاضلت الأفهام وتفاوتت الفِطَن - ينبغي لمن قلَّ منهما حظُّه : أن يئسَّ من نيل القليل أو إدراك اليسير الذي يخرج به من حدِّ الجهالة إلى أدنى مراتب التخصيص ؛ فإن الماء مع لينة يؤثر في صمِّ الصخور .

وكيف لا يؤثر العلم الزكي في نفس راغبٍ شهيدٍ ، وطالبٍ خليٍّ ؟ ! لا سيما وطالبُ العلم مُعانٌ ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الملائكةَ لتضعُ أجنتها لطالب العلم ؛ رضا بما يطلب »^(١) .

وربما منع ذا السفاهة من طلب العلم أن يصوِّر في نفسه حُرْفَةً أهله^(٢) ، وتضايقُ الأمور عليهم مع الاشتغال به ، حتى يسمُّهم بالإدبار ، ويتوسَّمهم بالحرمان ؛ فإن رأى مَحْبَرَةً . . تطيَّر منها ، وإن وجد كتاباً . . أعرض عنه ، وإن رأى متحلياً بالعلم . . هرب منه ، كأنه لم ير عالماً مقبلاً ، ولا جاهلاً مدبراً .

ولقد رأيت من هذه الطبقة جماعةً ذوي منازلٍ وأحوالٍ كنت أخفي عنهم ما يصحبني من مَحْبَرَةٍ أو كتاب ؛ لئلا أكون عندهم مستثقالاً وإن كان البعد منهم مؤنساً ومصلحاً ، والقربُ منهم موحِشاً ومفسداً ؛ فقد قال بُرْجُمِهْر : (الجهلُ في القلب كالنَزِّ في الأرض ، يُفسدُ ما حوله) .

لكنني اتبعت فيهم الحديث المروي عن أبي الأشعث ، عن أبي عثمان ، عن ثوبان ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خالِقُوا الناسَ بِأَخلاقِهِمْ ، وخالِفُوهم في أَعْمالِهِمْ »^(٣) .

ولذلك قال بعض البلغاء : (ربَّ جهلٍ وقَيْتَ به علماً ، وسَفِهَ حمِيَّتَ به حِلْماً) .

وهذه الطبقة ممَّن لا يُرجى لها صلاحٌ ، ولا يُؤمل لها فلاحٌ ؛ لأنَّ مَنْ اعتقد أن

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه » (١٣٢١) عن سيدنا صفوان بن عَسَّال المرادي رضي الله عنه موقوفاً ، ورفعَه الإمام أحمد في « المسند » (٢٣٩ / ٤) .

(٢) الحُرْفَةُ : المحرومية عن الحظِّ واليخت .

(٣) رواه الحاكم في « المستدرک » (٣٤٣ / ٣) عن سيدنا أبي ذر الغفاري رضي الله عنه ، وفي (أ) : (خالطوا الناس) وقد رواها عبد الرزاق في « المصنف » (٢٠١٥٢) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه من قوله .

العلم شينٌ ، وأن تركه زينٌ ، وأن للجهل إقبالاً مُجدياً ، وللعلم إدباراً مُكدياً .
 كان ضلاله مستحكماً ، ورشاده مستبعداً ، وكان هو الخامس الهالك ؛ الذي قال
 فيه علي بن أبي طالب عليه السلام : (اغدُ عالماً ، أو متعلماً ، أو مستمعاً ، أو
 محبباً ، ولا تكن الخامس . فتَهْلِك) وقد رواه خالد الحذاء ، عن
 عبد الرحمن بن أبي بكرة ، عن أبي بكرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم
 مسنداً^(١) .

وليس لمن هذه حاله في العَدْل نفعٌ ، ولا في الاستصلاح مطمعٌ ، وقد قيل
 لِبُزْرِجُمَهْرَ : (ما لكم لا تعاتبون الجهال ؟ فقال : إنا لا نكلّفُ العُمي أن
 يبصروا ، ولا الصّم أن يسمعوا)^(٢) .

وهذه الطائفة التي تنفر من العلم هذا النفور ، وتعاذ أهل هذا العناد ،
 وترى العقل بهذه المثابة ، وتنفر من العقلاء هذا النفور ، وتعتقد أن العاقل
 محارف^(٣) ، وأن الأحق محظوظ ، وناهيك بضلال مَنْ هذا اعتقاده في العقل
 والعلم . هل تكون لخير أهلاً ، أو لفضيلة موضعاً ؟!

وقد قال بعض البلغاء : (أخبثُ الناس : المُساوي بين المحاسن
 والمساوي) .

وعلةُ هذا : أنهم ربما رأوا عاقلاً غيرَ محظوظ ، وعالماً غيرَ مرزوق ، فظنوا
 أن العلم والعقل هما السبب في قلة حظه ورزقه ، وقد انصرفت عيونهم عن حرمان
 أكثر النّوكي ، وإدبار أكثر الجهال ؛ لأن في العقلاء والعلماء قلةً ، وعليهم من
 فضلهم سمةٌ ؛ ولذلك قيل : (العلماء غرباء لكثرة الجهال)^(٤) .

فإذا ظهرت سمةُ فضلهم ، وصادف ذلك قلة حظ بعضهم . تنوّهوا بالتمييز ،

(١) رواه البزار في « مسنده » (٣٦٢٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٥٨١) مرفوعاً ، وذكر الوقف

(١٥٨٢) عن أبي الدرداء وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهما .

(٢) أورده في « التذكرة الحمدونية » (٢٦٧ / ٣) .

(٣) المحارف : المحروم الذي لا يتيسر له مكسبه ، وهو خلاف قولك : مبارك .

(٤) أورده الثعالبي في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٦٤) ، والقيرواني في « زهر الآداب » (٣٧٥ / ١) من

قول ابن المعتز .

واشتهروا بالتعيين ، فصاروا مقصودين بإشارة المتعيين ، ملحوظين بإيماء الشامتين ، والجهال والحمقى لما كثروا ولم يتخصصوا.. انصرفت عنهم النفوس ؛ فلم يُلحَظ المحروم منهم بطرفٍ شامتٍ ، ولا قُصد المجدود منهم بإشارة عائب^(١) .

فلذلك ظنَّ الجاهل المرزوق : أن الفقر والضيق مختصَّ بالعلم والعقل ، دون الجهل والحمق ، ولو فشتت أحوال العلماء والعقلاء مع قلتهم.. لوجدت الإقبال في أكثرهم ، ولو خبرت أمور الجهال والحمقى مع كثرتهم.. لوجدت الحرمان في أكثرهم ، وإنما يصير ذو الحال الواسعة منهم ملحوظاً مشتهراً ؛ لأن حظَّه عجب ، وإقباله مستغرب ؛ كما أن حرمان العاقل العالم غريب ، وإقلاله عجيب .

ولم يزل الناس على سالف الدهور في مثل ذلك متعجبين ، وبه معتبرين ؛ حتى قيل لبُزْجُمَهْرَ : (ما أعجبُ الأشياء ؟ قال : نُجُحُ الجاهل ، وإكداء العاقل)^(٢) .

لكن الرزق بالجدِّ والحظِّ ، لا بالعلم والعقل.. حكمة منه تعالى ، يدلُّ بها على قدرته ، وإجراء الأمور على مشيئته .

وقد قالت الحكماء : (لو جرت الأقسام على قدر العقول.. لم تعش البهائم)^(٣) .

فنظمه أبو تمام الطائي فقال^(٤) :

ينالُ الفتى من عيشه وهو جاهلٌ ويكدي الفتى في دهره وهو عالمٌ
ولو كانتِ الأرزاقُ تجري على الحِجَا هلكنَ إذاً من جهلهنَّ البهائمُ

(١) المجدود : هو المحظوظ ، وهو مقابل للمحروم ، وفي (ج ، د ، هـ) : (المحدود) بالمهملة .

(٢) أورده في « البصائر والذخائر » (٣٣ / ١) من قول الضحاك بن قيس الفهري ، وإكداء العاقل : خيبته .

(٣) ذكره المناوي في « فيض القدير » (١٢٤ / ١) ، والأقسام - جمع قسم - : وهو الحظ والنصيب .

(٤) البيتان في « ديوانه » (١٧٨ / ٣) .

[من البسيط]

وقال كعب بن زهير بن أبي سلمى^(١) :

لو كنتُ أعجبُ من شيءٍ لأعجبني سعي الفتى وهو مخبوءٌ له القدرُ
يسعى الفتى لأمرٍ ليس يُدرِكها والنفسُ واحدةٌ والهَمُّ منتشرُ

على أن العلم والعقل سعادةٌ وإقبال وإن قلَّ معهما المال ، وضائق عنهما
الحال ، والجهل والحمق حرمانٌ وإدبار وإن كثر معهما المال ، واتسعت فيهما
الحال ؛ لأن السعادة ليست بكثرة المال ، فكم من مُكثِرٍ شقي ، ومُقِلٌّ سعيد !!
وكيف يكون الجاهل الغني سعيداً والجهل يضعه ؟! أم كيف يكون العالم
الفقير شقياً والعلم يرفعه ؟!

وقد قيل في منشور الحكم : (كم من ذليلٍ أعزّه علمه ، وكم من عزيزٍ أذلّه
جهله !!) .

وقال عبد الله بن المعتز : (نعمةُ الجاهل كروضةٍ على مزبلة)^(٢) .

وقال بعض الحكماء : (كلما حسنت نعمة الجاهل . . ازداد فيها قبحاً)^(٣) .

وقال بعض العلماء لبنيه : (يا بني ؛ تعلّموا العلم وإن لم تنالوا به من الدنيا
حظاً ؛ فلأن يذمّ الزمان لكم . . أحبُّ إليّ من أن يذمّ الزمان بكم)^(٤) .

وقال بعض الأدباء : (من لم يفد بالعلم مالا . . كسب به جمالاً)^(٥) .

وأنشد بعض أهل الأدب لابن طباطبا^(٦) :

[من الطويل]

حسودٌ مريضُ القلبِ يُخفي أنينه ويُضحى كئيبَ البالِ عندي حزينه
يلومُ على أن رحّت للعلم طالباً أجمّعُ من عند الرّؤاة فنونه
وأعرف أباكراً الكلام وعونه وأحفظ مما أستفيد عيونه

(١) البيتان في « ديوانه » (ص ١٥٧) .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٣٩) .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٣٩) من قول ابن المعتز أيضاً .

(٤) أورده الزمخشري في « ربيع الأبرار » (٨٨ / ٤) .

(٥) أورده الأبيشي في « المستطرف » (٨٠ / ١) .

(٦) أورده الأبيات في « العقد الفريد » (٢١٦ / ٢) .

ويزعمُ أنَّ العلمَ لا يجلبُ الغنى ، ويُحسنُ بالجهلِ الذميمةَ ظنونهُ
فيا لائمي دَعني أَعالي بقيمتي فقيمةُ كلِّ الناسِ ما يُحسنونهُ

وأنا أَسْتَعِذُ باللهِ من خدعِ الجهلِ المُذِلَّةِ ، وبوادرِ الحمقِ المُضِلَّةِ ، وأسألهُ
السعادةَ بعقلٍ رادعٍ يستقيمُ به مَنْ زَلَّ ، وعلمٍ نافعٍ يستهدي به مَنْ ضَلَّ ؛ فقد روي
عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِذَا اسْتَرَدَلَ اللَّهُ عَبْدًا . . حَظَرَ عَلَيْهِ
الْعِلْمُ » (١) .

فينبغي لمن زهد في العلم : أن يكون فيه راغباً ، ولمن رغب فيه : أن يكون له
طالباً ، ولمن طلبه : أن يكون منه مستكثراً ، ولمن استكثر منه : أن يكون به
عاملاً ، ولا يطلب لتركه احتجاجاً ، ولا للتقصير فيه عذراً ، وقد قال
الشاعر (٢) :

فلا تَعْذِرْني في الإساءةِ إِنَّهُ شَرُّ الرِّجالِ مَنْ يسيءُ فَيُعْذِرُ
ولا يُسَوِّفُ نَفْسَهُ بالمواعيدِ الكاذبةِ ، ويُمْنِيها بانقطاعِ الأشغالِ المتصلةِ ؛ فَإِنَّ
لكلِّ وقتٍ شغلاً ، وفي كلِّ زمانٍ عذراً .

وقال الشاعر (٣) :

نروحُ ونغدو لحاجاتنا وحاجةُ مَنْ عاشَ لا تنقضي
تموتُ مع المرءِ حاجاتُهُ وتبقى له حاجةُ ما بقي

ويقصد طلب العلم واثقاً بتيسير الله ، قاصداً وجه الله ، بنية خالصة ، وعزيمة
صادقة ؛ فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ تَعَلَّمَ علماً
لغير الله ، أو أراد به غيرَ الله . . فليتبوأْ مقعده من النارِ » (٤) .

(١) رواه الشهاب القضاعي في « مسنده » (٧٩٥) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) البيت في « البيان والتبيين » (١٩٨ / ١) ، و « عيون الأخبار » (١٠١ / ٣) .

(٣) البيت في « العقد الفريد » (١٨٨ / ٣) للصِّلَتان العبدي .

(٤) رواه الترمذي (٢٦٥٥) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ ، وَرَفَعُهُ ذَهَابُ أَهْلِهِ ؛ فَإِنْ أَحَدَكُمْ لَا يَدْرِي مَتَى يُحْتَاجُ إِلَيْهِ ، أَوْ مَتَى يُحْتَاجُ إِلَى مَا عِنْدَهُ ؟ » (١) .

وليحذر أن يطلبه لمراء أو رياء ؛ فإن المماري به مهجور لا ينتفع ، والمرائي به محقور لا يرتفع ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ؛ لَتُمَارُوا بِهِ السُّفَهَاءَ ، وَلَا تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ؛ لَتُجَادِلُوا بِهِ الْعُلَمَاءَ ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ مِنْكُمْ . . فَالنَّارَ النَّارَ » (٢) .

واعلم : أنه ليس المُمَارِي به هو المُنَازَرَة فيه طلباً للصواب منه ، ولكنه القاصد لدفع ما يرد عليه من فاسدٍ أو صحيح ، وفيهم جاءت الشُّنَّة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَا يَجَادُلُ إِلَّا مُنَافِقٌ أَوْ مُرْتَابٌ » .

وقال الأوزاعي : (إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ شَرًّا . . أَعْطَاهُمُ الْجَدَلَ ، وَمَنْعَهُمُ الْعَمَلَ) (٣) .

وأنشد الرِّياشي لمصعب بن عبد الله (٤) :

[من الوافر]

أَجَادُلُ كُلِّ مُعْتَرِضٍ ضَنِينِ	وَأَجْعَلُ دِينَهُ غَرَضاً لِدِينِي
وَأَتْرُكُ مَا عَلِمْتُ لِرَأْيٍ غَيْرِي	وَلَيْسَ الرَّأْيُ كَالْعِلْمِ الْيَقِينِ
وَمَا أَنَا وَالْخَصُومَةُ وَهِيَ لَبْسٌ	يَصْرَفُ فِي الشَّمَالِ وَفِي الْيَمِينِ
فَأَمَّا مَا عَلِمْتُ فَقَدْ كَفَانِي	وَأَمَّا مَا جَهِلْتُ فَجَبُّونِي

وقد بيَّن ذلك بعضُ العلماء فقال لصاحبه : (لَا يَمْنَعَنَّكَ حَذَرُ الْمِرَاءِ مِنْ حَسَنِ الْمُنَازَرَةِ ؛ فَإِنَّ الْمُمَارِيَّ هُوَ الَّذِي لَا يَرِيدُ أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْهُ أَحَدٌ ، وَلَا يَرْجُو أَنْ يَتَعَلَّمَ مِنْ أَحَدٍ) (٥) .

(١) أوردته الديلمي في « مسند الفردوس » (٢٢٣٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) رواه الحاكم في « المستدرک » (٨٦ / ١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٦٣٥) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٣) رواه الخطيب البغدادي في « الفقيه والمتفقه » (٥٥٤ / ١) .

(٤) الآيات ضمن قصيدة أوردتها ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١٧٨٥) ، وفي (أ) : (شين) ، وفي (ج ، د) : (شيء) .

(٥) الأدب الكبير (ص ٢٧٢) ضمن « آثار ابن المقفع » .

واعلم : أن لكلّ مطلوبٍ باعثاً ، والباعث على المطالب شيان : رغبةً أو رهبةً ، فليكن طالبُ العلم راعياً راهباً .

أما الرغبةُ : ففي ثواب الله تعالى لطالبي مرضاته ، وحافظي مفترضاته .

وأما الرهبةُ : فمن عقاب الله تعالى لتاركي أوامره ، ومهملي زواجه .

فإذا اجتمعت الرغبة والرهبة . . أدتَا إلى كُنْهِ العلم ، وحقيقة الزهد ؛ لأنَّ الرغبةَ أقوى الباعثين على العلم ، والرهبةَ أقوى السببين في الزهد .

وقد قالت الحكماء : (أصلُ العلم : الرغبةُ ، وثمرتهُ : السعادةُ ، وأصلُ الزهد : الرهبةُ ، وثمرتهُ : العبادَةُ ، فإذا اقترن الزهد والعلم . . فقد تَمَّت السعادةُ ، وعمَّت الفضيلةُ ، وإن اختلفا . . فيا ويح مفترقين ، ما أضرَّ افتراقهما ، وأقبح انفرادهما !!) .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ ازدادَ في العلم رُشداً ، ولم يزدَ في الدنيا زُهداً . . لم يزدَ من الله إلا بُعْداً » ^(١) .

وقال مالك بن دينار : (مَنْ لم يؤتَ من العلم ما يقيمُهُ ؛ فما أُوتِيَ من العلم . . لا ينفعُهُ) ^(٢) .

وقال بعض الحكماء : (الفقيهُ بغير ورع ؛ كالسراج يضيء البيتَ ، ويُحرقُ نفسه) ^(٣) .

(١) أورده الديلمي في « الفردوس » (٥٨٨٧) من قول سيدنا علي كرم الله وجهه .

(٢) ذكره المناوي في « فيض القدير » (٥٢ / ٦) .

(٣) بمعناه رواه الطبراني مرفوعاً في « المعجم الكبير » (١٦٥ - ١٦٦) .

فَضَائِلُ

[في أسباب التقصير في العلم]

واعلم : أن للعلوم أوائل تؤدّي إلى أواخرها ، ومداخل تفضي إلى حقائقها ، فليبتدئ طالب العلم بأوائلها ؛ لينتهي إلى أواخرها ، وبمداخلها ؛ ليفضي إلى حقائقها ، ولا يطلب الآخر قبل الأول ، ولا الحقيقة قبل المدخل . . فلا يدرك الآخر ، ولا يعرف الحقيقة ؛ لأنّ البناء على غير أسّ لا يُبنى ، والثمر من غير غرس لا يُجنى .

ولذلك أسباب فاسدة ، ودواعٍ واهية :

فمنها : أن يكون في النفس أغراض تختصّ بنوع من العلم ، فيدعو الغرض إلى قصد ذلك النوع ، ويعدل عن مقدّماته ؛ كرجل يؤثر القضاء ويتصدّى للحكم ، فيقصد من علم الفقه أدب القاضي وما يتعلق عليه من الدعوى والبيّنات ، أو يحبّ الارتسام بالشهادة ، فيتعلّم كتاب الشهادات ؛ لئلا يصير موسوماً بجهل ما يعاني ، فإذا أدرك ذلك . . ظنّ أنه قد حاز من العلم جمهوّه ، وأدرك منه مشهوّه ، ولم يرَ ما بقي منه إلا غامضاً طلبه عناءً ، وعويصاً استخرجه فناءً ؛ لقصور همته على ما أدرك ، وانصرافها عما ترك .

ولو نصَحَ نفسه . . لعلم أنّ ما ترك أهمّ مما أدرك ؛ لأنّ بعض العلم مرتبطٌ ببعض ، ولكلّ باب منه تعلّق بما قبله ، فلا تقوم الأواخر إلا بالأوائل وقد يصحّ قيام الأوائل بأنفسها ، فيصير طلب الأواخر بترك الأوائل تركاً للأواخر والأوائل ، فإذا ليس يعرَى من لوم وإن كان تارك الكلّ ألوم .

ومنها : أن يحبّ الاشتهار بالعلم ؛ إما لتكسّب أو لتجمل ، فيقصد من العلم ما يشتهر به من مسائل الجدل وطريق النظر ، ويتعاطى علم ما اختلّف فيه دون ما اتّفق عليه ؛ لينظر على الخلاف وهو لا يعرف الوفاق ، ومن يجادل الخصوم وهو لا يعرف مذهبه . . فذاك مخصوم .

ولقد رأيتُ من هذه الطبقة عدداً قد تحقّقوا بالعلم تحقّق المتكلفين^(١) ، واشتهروا به اشتهار المتبحّرين^(٢) ، إذا أخذوا في مناظرة الخصوم . . ظهر كلامُهم ، وإذا سُئلوا عن واضح مذهبهم . . ضلّت أفهامُهم ، حتّى إنهم ليخبطون في الجواب خبطَ عشواء ، فلا يظهر لهم صواب ، ولا يتقرّر لهم جواب ، ثم لا يرون ذلك نقصاً إذا نمّقوا في المجالس كلاماً مرصوفاً ، ولفّقوا على المخالف حجاجاً مألوفاً ، وقد جهلوا من المذهب ما يعلمه المبتدئ ، ويتداوله الناشئ ، فهم دائماً في لغطٍ مُضِلٍّ ، أو غلطٍ مُذِلٍّ .

ورأيت قوماً منهم يرون الاشتغال بالمذهب تكلفاً ، والاستكثار منه تخلّفاً ، وحاجّني بعضهم عليه^(٣) ؛ فقال : لأنّ علمَ حافظ المذهب مستورٌ ، وعلمُ المناظر عليه مشهورٌ .

فقلت : كيف يكون علمُ حافظ المذهب مستوراً وهو سريعُ الجواب ، كثيرُ الصواب ؟

فقال : لأنّه إن لم يُسأل . . سكت فلم يُعرَف ، والمناظر إن لم يُسأل . . سأل فعُرف .

فقلت : أليس إذا سُئل الحافظ فأصاب . . بان فضله ؟ قال : نعم .

قلت : أوليس إذا سُئل المناظر فأخطأ . . بان نقصه ؟ وقد قيل : (عند الامتحان يُكرّم الرجلُ أو يُهان ؟)^(٤) .

فأمسك عن جوابي ؛ لأنّه إن أنكر . . كابر المعقول ، ولو اعترف . . لزمته الحجة ، والإمساك إذعان ، والسكوت رضا ، ولأنّ ينقاد إلى الحقّ . . أولى من أن يستفزّه الباطل .

(١) في النسخ عدا (أ) : (تحقّق المتكلمين) ، وقال في « منهاج اليقين » (ص ٧٣) : (أي : مثل رسوخهم وتمهرهم في إيراد الحجج العقلية والبراهين النقلية) .

(٢) في (أ) : (المتبحّرين) ، وفي هامشها : (المجريين) ، وفي (ج) : (المتحدّثين) .

(٣) عليه : على كون ذلك الاشتغال تكلفاً .

(٤) ذكره الميداني في « مجمع الأمثال » (٤٣٥ / ٢) .

وهذه طريقة مَنْ يقول : (اعرفوني) وهو غير عَرُوفٍ ولا معروف ، وبعيدٌ
مَنْ لا يعرف العلمَ أن يُعرَفَ به .

وقد قال زهير^(١) :
ومهما تكن عند امرئ من خَلِيقَةٍ وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

ومن أسباب التقصير أيضاً : أن يغفلَ عن التعلُّم في الصَّغر ، ثم يشتغل به في
الكبر ، فيستحي أن يتدبَّر بما يتدبَّر به الصغير ، ويستنكف عن أن يساويه
الحدِّثُ الغرير ، فيبدأ بأواخر العلوم وأطرافها ، ويهتمُّ بحواشيها وأكنافها ؛
ليتقدَّم على الصغير المبتدي ، ويساوي الكبير المتتهى .

وهذا مَنْ قد رضي بخداع نفسه ، وقنع بمُداهنة حسِّه ؛ لأنَّ معقوله - إن
أحسن - ومعقول كلِّ ذي حسٍّ . . . يشهد بفساد هذا التصوُّر ، وينطق باختلال هذا
التخيُّل ؛ لأنه شيءٌ لا يقوم في وهم ، ولجهل ما يتدبَّر به المتعلِّم . . . أقبح من
جهل ما ينتهي إليه العالمُ .

وقد قال الشاعر :

تَرَقُّ إلى صغيرِ الأمرِ حتَّى يُرَقِّكَ الصغيرُ إلى الكبيرِ
فتعرِّفَ بالتفكُّرِ في صغيرٍ كبيراً بعدَ معرفةِ الصغيرِ
ولهذا المعنى وأشباهه كان التعلُّمُ في الصغر أحمدَ .

روى مروان بن سالم ، عن إسماعيل ، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثلُ الذي يتعلَّم في صغره كالنقشِ على
الحجر ، والذي يتعلَّم في كبره كالذي يكتبُ على الماء »^(٢) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (قلبُ الحدِّثِ كالأراضي الخالية ،
ما ألقى فيها من شيءٍ . . قبلته)^(٣) .

(١) البيت في « ديوانه » (ص ٣٧) بشرح ثعلب .

(٢) أورده الدليمي في « مسند الفردوس » (٦٤٢٠) ، وعزاه الهيثمي في « مجمع الزوائد » (١٣٠ / ١) إلى
« المعجم الكبير » للطبراني .

(٣) أورده في « كنز العمال » (٤٤٢١٥) ضمن وصية طويلة لابنه الحسن .

وإنما كان كذلك . . لأن الصغير أفرغ قلباً ، وأقل شغلاً ، وأيسر تبذلاً ، وأكثر تواضعاً .

وقد قيل في منشور الحكم : (المتواضع من طلاب العلم أكثرهم علماً ؛ كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماءً)^(١) .

فأما أن يكون الصغير أضبط من الكبير إذا عري من هذه الموانع ، وأوعى منه إذا خلا من هذه القواطع . . فلا .

حكى : أن الأحنف بن قيس سمع رجلاً يقول : (التعلّم في الصغر كالنقش في الحجر ، فقال الأحنف : الكبير أكثر عقلاً ، ولكنه أشغل قلباً)^(٢) .

ولعمري ؛ لقد فحص الأحنف عن المعنى ، ونبّه على العلة ؛ لأن قواطع الكبير كثيرة :

فمنها : ما ذكرنا من الاستحياء ، وقد قيل في منشور الحكم : (من رقّ وجهه . . رقّ علمه)^(٣) .

وقال الخليل بن أحمد : (يرتع الجهل بين الحياء والكبر في العلم)^(٤) .

ومنها : وفور شهواته وتقسّم أفكاره ، وقد قال الشاعر :

صرفُ الهوى عن ذي الهوى عزيزُ
إنّ الهوى ليس له تمييزُ

وقال بعض البلغاء : (القلب إذا علق كالرهن إذا غلق)^(٥) .

ومنها : الطوارق المزعجة ، والهموم المذهلة ، وقد قيل في منشور الحكم :
(الهمُّ قيدُ الحواسِّ) .

(١) أورده الثعالبي في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٦٦) ، والقيرواني في « زهر الآداب » (١ / ٣٧٥) من قول ابن المعتز .

(٢) أورده في « البيان والتبيين » (١ / ٢٥٧) .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٦٥) ، و « مجمع الأمثال » (٣ / ٤٢٥) .

(٤) أورده في « ربيع الأبرار » (٩٣ / ٤) .

(٥) يقال : غلّق الرهن غلوقاً : إذا بقي في يد المرتهن لا يقدر على تخليصه .

وقال بعض البلغاء : (مَنْ بَلَغَ أَشُدَّهُ . . لاقى من العيش أَشَدَّهُ) .

ومنها : كثرة أشغاله ، وترادف خلاله ؛ حتى إنها لتستوعب زمانه ، وتستنفد أيامه ؛ فإن كان ذا رئاسة . . ألَهَتْه ، وإن كان ذا معيشة . . قطعته ؛ ولذلك قيل : « تَفَقَّهُوا قَبْلَ أَنْ تُسَوِّدُوا »^(١) .

وقال بُرْزُجْمَهَر : (الشَّغْلُ مَجْهَدٌ ، والفِرَاقُ مَفْسَدَةٌ)^(٢) .

فينبغي لطالب العلم : ألاَّ يَنِيَّ في طلبه^(٣) ، وينتَهز الفرصة به ، فربما شَحَّ الزمانُ بما سمح ، وضَنَّ بما منح ، ويتبدى من العلم بأوله ، ويأتيه من مدخله ، ولا يتشاغل بطلب ما لا يضرُّ جهله . . فيمنعه ذلك من إدراك ما لا يسع جهله ؛ فإنَّ لكل علم فُضولاً مُذهِلةً ، وشذوراً مُشْغِلةً ، إن صرف إليها نفسه . . قطعت عنه عمَّا هو أهمُّ منها .

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما : (العلمُ أكثرُ من أن يُحصَى ، فخذوا من كلِّ شيءٍ أحسنَه)^(٤) .

وقال المأمون بن الرشيد رحمهما الله : (ما لم يكن من العلم بارعاً . . فبطونُ الصحفِ أولىُّ به من قلوب الرجال) .

وقال بعض الحكماء : (بترك ما لا يعينك يتمُّ لك ما يعينك)^(٥) .

ولا ينبغي أن يدعوَه ذلك إلى ترك ما استصعب عليه إشعاراً لنفسه أن ذلك من فضول علمه ، وإعذاراً لها في ترك الاشتغال به ؛ فإن ذلك مطيئةُ النَّوْكِ ، وعذرُ المقصِّرين .

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٥٤٩) من قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وعلَّقه عنه البخاري في « صحيحه » (كتاب العلم ، باب الاغتباط في العلم والحكمة) .

(٢) أورده النويري في « نهاية الأرب » (١٣٤ / ٦) ، وفي « التذكرة الحمدونية » (٢٤٨ / ١) من قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٣) ألاَّ يَنِيَّ : ألاَّ يَفْتَرُ .

(٤) أورده في « جامع بيان العلم وفضله » (٦٦٩) .

(٥) روى نحوه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣٨٥ / ٩) .

ومن أخذ من العلم ما تسهّل ، وترك منه ما تعدّر . . كان كالفنّاص ؛ إذا تعدّر عليه الصيد . . تركه فلا يرجع إلا خائباً ؛ إذ ليس يرى الصيد إلا ممتنعاً ، كذلك العلم كلّ صعب على من جهله ، سهل على من علمه ؛ لأنّ معانيه التي يتوصّل إليها مستودعة في كلام مترجم عنها ، وكلّ كلام مستعمل فهو يجمع لفظاً مسموعاً ، ومعنى مفهوماً ، فاللفظ كلام يُعقل بالسمع ، والمعنى تحت اللفظ يفهم بالقلب .

وقد قال بعض الحكماء : (العلوم مطالعها من ثلاثة أوجه : قلب مفكّر ، ولسان معبّر ، وبيان مصوّر)^(١) .

فإذا عقل الكلام بسمعه . . فهم معانيه بقلبه ، وإذا فهم المعاني . . سقط عنه كلفة استخراجها ، وبقي عليه معاناة حفظها واستقرارها ؛ لأنّ المعاني شوارد تضلّ بالإغفال ، والعلوم وحشية تنفر بالإرسال ، فإذا حفظها بعد الفهم . . أنست ، وإذا ذاكر بها بعد الأنس . . رست .

وقد قال بعض الحكماء : (من أكثر المذاكرة بالعلم . . لم ينس ما علم ، واستفاد ما لم يعلم)^(٢) .

وقال الشاعر^(٣) :

إذا لم يُذاكِرْ ذو العلوم بعلمه ولم يستفدْ علماً نسي ما تعلّم
فكم جامعٍ للكتب في كلّ مذهب يزيد على الأيام في جمعه عمى

وإن لم يفهم معاني ما سمع . . كشف عن السبب المانع منها ؛ ليعلم العلة في

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١١٨ / ٣٤) من قول عبد الرحمن بن أحمد المقرئ .
(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٦٦) ، و « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٤١٥ / ٢) من قول ابن المعتز .

(٣) أورده البيهقي في « جامع بيان العلم وفضله » (٤٣٠ / ١) .

تعذر فهمها ؛ فإنَّ بمعرفة أسباب الأشياء وعللها يصلُ إلى تلافي ما شُدَّ ، وصلاح ما فسد ، وليس يخلو السبب المانع من ذلك من ثلاثة أقسام :

إمّا أن يكون لعلّة في الكلام المترجم عنها .

وإمّا أن يكون لعلّة في المعنى المستودع فيها .

وإمّا أن يكون لعلّة في السامع المستخرج .

فإن كان السببُ المانع من فهمها لعلّة في الكلام المترجم عنها . . لم يخلُ ذلك من ثلاثة أحوال :

أحدها : أن يكون لتقصير اللفظ عن المعنى ، فيصير تقصير اللفظ عن ذلك المعنى سبباً مانعاً من فهم ذلك المعنى ، وهذا قد يكون من أحد وجهين : إمّا من حَصَر المتكلّم وعيّه ، وإمّا من بلادته وقلة فهمه .

والحال الثانية : أن يكون لزيادة اللفظ على المعنى ، فتصير الزيادة علّة مانعة من فهم المقصود منه ، وهذا قد يكون من أحد وجهين : إمّا من هذر المتكلّم وإكثاره ، وإمّا لسوء ظنّه بفهم سامعه .

والحال الثالثة : أن يكون لمُواضعة يقصدها المتكلّم بكلامه ، فإذا لم يعرفها السامع . . لم يفهم معانيها .

فأما تقصير اللفظ وزيادته : فمن الأسباب الخاصة دون العامة ؛ لأنك لست تجد ذلك عاماً في كل كلام ، وإنما تجده في بعضه .

فإن عدلت عن الكلام المقصّر إلى المستوفي ، وعن الزائد إلى الكافي . . أرحت نفسك من تكلف ما يُكِدُّ خاطرك .

وإن أقمت على استخراجِه : إما لضرورة دعتك إليه عند إعواز غيره ، أو لحميّة داخلتك عند تعذر فهمه . . فانظر في سبب الزيادة والتقصير :

فإن كان التقصير لحَصَر ، والزيادة لهذر . . سهل عليك استخراجُ المعنى

منه^(١) ؛ لأنَّ ما له من الكلام محصولٌ . . لا يجوز أن يكون المختلُّ منه أكثر من الصحيح ، وفي الأكثر على الأقل دليلٌ .

وإن كانت زيادة اللفظ على المعنى لسوء ظنِّ المتكلِّم بفهم السامع . . كان استخراجُه أسهلَّ .

وإن كان تقصير اللفظ عن المعنى لسوء فهم المتكلِّم . . فهو أصعب الأمور حالاً ، وأبعدُها استخراجاً ؛ لأنَّ ما لم يفهمه مكلِّمُك . . فأنت من فهمه أبعدُ ، إلا أن يكون لفرط ذكائك وجودة خاطرك تتنبَّه بإشارته على استنباط ما عجز عنه ، واستخراج ما قصَّر فيه ، فتكون فضيلةُ الاستيفاء لك ، وحقُّ التقدُّم له .

وأما المُواضعة فضربان : عامة وخاصة^(٢) :

فأما العامة : فهي مُواضعة العلماء فيما جعلوه ألقاباً تواضعوها لمعانٍ اتفقوا عليها^(٣) ، ولا يستغني المتعلِّم عنها ، ولا يقف على معنى كلامهم إلا بها ؛ كما جعل المتكلِّمون الجواهر والأعراض والأجسام ألقاباً تواضعوها لمعانٍ اتفقوا عليها ، ولست تجد من العلوم علماً يخلو من هذا ، وهذه المواضعة العامة تُسمَّى عُرفاً .

وأما الخاصة : فمواضعة الواحد يقصد بباطن كلامه غير ظاهره ، فإنَّ كانت في الكلام . . كانت رمزاً ، وإن كانت في الشعر . . كانت لغزاً .

فأما الرمز : فلست تجده في علمٍ معنويٍّ ، ولا في كلامٍ لغويٍّ ، وإنما يختص غالباً بأحد شيئين :

إمّا بمذهبٍ شنيعٍ يُخفيه معتقده ، ويجعل الرمز به سبباً لتطلُّع النفوس إليه ،

(١) الحصر : العي في الكلام ، والعجز عن التعبير ، والهذر : كثرة الخطأ في الكلام ، وكلام هذر ؛ أي : كثير رديء ، أو ساقط .

(٢) المواضعة : هي عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ، ينقل عن موضوعه الأول .

(٣) وقد جمع السيد الشريف الجرجاني رحمه الله تعالى مقداراً يسيراً منها ، وسماه « التعريفات » .

واحتمال التأويل فيه سبباً لدفع التهمة عنه .

وإِذَا لَمَّا يَدَّعِي أَرْبَابُهُ أَنَّهُ عِلْمٌ مَعُوزٌ ، وَأَنْ إدْرَاكَهُ بَدِيعٌ مُعْجِزٌ ؛ كَالصَّنْعَةِ الَّتِي
وَضَعَهَا أَرْبَابُهَا اسْمًا لِعِلْمِ الْكِيمِيَاءِ ، فَرَمَزُوا بِأَوْصَافِهِ ، وَأَخْفَوْا مَعَانِيَهُ لِيُوهَمُوا
الشَّخَّ بِهِ ، وَالْأَسْفَ عَلَيْهِ ؛ خَدِيعَةً لِلْعُقُولِ الْوَاهِيَةِ ، وَالْآرَاءِ الْفَاسِدَةِ ، وَقَدْ قَالَ
الشَّاعِرُ :

[من البسيط]

مُنِعَتْ شَيْئًا فَأَكْثَرَتْ الْوَلُوعَ بِهِ وَحَبَّتْ شَيْءًا إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا
ثُمَّ لِيَكُونُوا بُرَاءً مِنْ عَهْدَةٍ مَا قَالُوهُ إِذَا جُرَّبَ .

ولو كان ما تضمنن هذين النوعين وأشباههما من الرموز معنىً صحيحاً ،
وعلماً مستفاداً . . . لخرج من الرمز الخفي إلى اللفظ الجلي ؛ لأن أغراض
الناس مع اختلاف أهوائهم لا تتفق على سترٍ سليم ، وإخفاءٍ مفيد ، وقد قال
زهير^(١) :

[من السريع]

السُّتْرُ دُونَ الْفَاحِشَاتِ وَلَا يَلْقَاكَ دُونَ الْخَيْرِ مِنْ سِتْرِ

وربما استعمل الرمز من الكلام فيما يُراد تفخيمه من المعاني ، وتعظيمه من
الألفاظ ؛ ليكون أحلى في القلوب موقعاً ، وأجلّ في النفوس موضعاً ، فيصير
بالرمز سائراً ، وفي الصحف مخلداً ؛ كالذي حكى عن فيثاغورس في وصاياه
المرموزة أنه قال : (احفظ ميزانك من الندى ، وأوزانك من الصدا) .

يريد بحفظ الميزان من الندى : حفظ اللسان من الخنا ، وبحفظ الأوزان من
الصدا : حفظ العقل من الهوى ، فصار بهذا الرمز مستحسناً ومدوناً ، ولو قاله
باللفظ الصريح ، والمعنى الفصيح . . لما سار عنه ، ولا استحسِن منه .

وعلة ذلك : أن المحجوب عن الأفهام كالمحجوب عن الأبصار فيما يحصل
له في النفوس من التعظيم ، وفي القلوب من التفخيم ؛ ولذلك استُحلي
واستُحسن ، وما ظهر منها ولم يحتجب . . هان واسترذل ، وهذا إنما يصح
استحلاؤه فيما قلّ ، وهو باللفظ الصريح مستقلٌّ .

(١) البيت في « ديوانه » (ص ٨٢) بشرح ثعلب .

فأما العلوم المنتشرة التي تتطَّلُعُ النفوس إليها . . فقد استغنت بقوة الباعث عليها ، وشدة الداعي إليها عن الاستدعاء لها برمزٍ مستحليٍّ ، ولفظٍ مستغربٍ ، بل ذلك منفّرٌ عنها ؛ لما في التشاغل باستخراج رموزها من الإبطاء عن دركها وتصور معانيها ، فهذا حال الرمز .

وأما اللغز : فهو تحدّي أهل الفراغ ، وشغل ذوي البطالة ؛ ليتنافسوا في تباين قرائحهم ، ويتفاخروا في سرعة خواطرهم ، فيستكثّوا خواطرَ قد مُنِحوا صحتّها فيما لا يُجدي نفعاً ، ولا يفيد علماً ، فهم كأهل الصّراع الذين قد صرفوا ما مُنِحوه من صحة أجسادهم إلى صراع كدودٍ يصرع عقولهم ، ويهدّد أجسامهم ، لا يكسبهم حمداً ، ولا يُجدي عليهم نفعاً .

انظر إلى قول الشاعر :

رجلٌ مات وخلف رجلاً ابنٌ أمّ ابن أبي أخت أبيه
معه أمّ يبي أولاده وأبا أخت يبي عم أخيه^(١)

أخبرني عن هذين البيتين وقد روّعك صعوبة ما تضمّنهما من السؤال إذا استكثّك الفكرُ في استخراجِه ، فعلمت أنه أراد ميتاً خلف أباً وزوجةً وعمّاً ، ما الذي أفادك من العلم ، ونفى عنك من الجهل ؟ ألسْتَ بعد علمك تجهل ما كنت جاهلاً من قبله ؟

ولو أنّ السائل قلب لك السؤال ، فأخّر ما قدّم ، وقدّم ما أخّر . . لكنت في الجهل به قبل استخراجِه كما كنت في الجهل بالأول ، وقد كدّدت فكرك ، وأنعبت خاطرك ، ثم لا تعدّم أن يردّ عليك مثل هذا مما تجهله ، فتكون فيه كما كنت فيما قبله .

(١) قال في « منهاج اليقين » (ص ٨٣) : (وحله - أي : قوله : « ابنٌ أمّ ابن أبي أخت أبيه » - : بتعيين أسماء لكل واحد ، فنقول : الرجل الذي مات هو : زيد بن عمرو بن بشر مثلاً ، وأخت أبي الميت هي : هند بنت بشر المذكور وعمّة الميت ، فابن أبي هند هو الرجل الذي تركه الميت ؛ وهو أبوه المسمّى بعمرو ، وعمرو بن أبي هند - أعني : ابن بشر - هو ابن أم هند ؛ لكونهما لأبوين ، « معه أمّ بني أولاده » الضميران للرجل الثاني ، وإذا ثبت أنه أبو الميت . . فأمّ بني ذلك الرجل هي زوجة الميت ، « وأبا أخت بني عم أخيه » الضمير راجع إلى الرجل الميت ، وعم الأخ عم سواء كان أباً لابنه أو لأخت ابنه ، أو لم يكن أباً أصلاً) .

فاصرف نفسك - تولَّى اللهُ رشَدَكَ - عن علوم التَّوَكُّي ، وتكلَّف البَطَالين ؛ فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من حُسِّنَ إسلامُ المرءِ تَرَكَّهُ ما لا يَعْنِيهِ »^(١) .

ثم اجعل ما مَنَّ اللهُ به عليك من صحة القريحة ، وسرعة الخاطر مصروفاً إلى علم ما يكون إنفاقُ خاطرك فيه لك مذكوراً ، وكَدُّ فِكرِكَ فيه مشكوراً ؛ فقد روى سعيد بن أبي هند ، عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نعمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناسِ : الصحةُ والفراغُ »^(٢) .

ونحن نستعِذ بالله تعالى من أن نغبنَ فضلَ نعمته علينا ، ونجهلَ نفعَ إحسانه إلينا ، وقد قيل في منشور الحكم : (من الفراغ تكون الصَّبوَّة)^(٣) .

وقال بعض البلغاء : (مَنْ أَمْضَى يومه في غير حقِّ قضاءه ، أو فرضٍ أذاه ، أو مجدٍ أثله ، أو حميدٍ حصَّله ، أو خيرٍ أسَّسه ، أو علمٍ اقتبسه . . فقد عَقَّ يومه ، وظلم نفسه)^(٤) .

وقال بعض الشعراء^(٥) :

لقد هاجَ الفراغُ عليك شُغْلاً وأسبابُ البَلَاءِ من الفراغ
فهذا تعليلٌ ما في الكلام من الأسباب المانعة من فهم معانيه حتى خرج بنا
الاستيفاءُ إلى الإطالة ، والكشفُ إلى الإغماض .

وأما القسم الثاني : وهو أن يكون السبب المانع من فهم السامع لعلَّة في

(١) رواه الترمذي (٢٣١٧) ، وابن ماجه (٣٩٧٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري (٦٤١٢) ، والترمذي (٢٣٠٤) .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٩٨) ، و « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٣٦٥) ، والصبوة : جهلة الفتوة .

(٤) أورده في « الكشكول » (٢٢٦ / ١) منسوباً لسيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وغرض المؤلف أن الإلغاز ليس من أحد هذه الأمور ؛ فلاشتغال به ظلم .

(٥) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٩٩) .

المعنى المستودع . . فلا يخلو حال المعنى من ثلاثة أقسام : إمّا أن يكون مستقلاً بنفسه ، أو يكون مقدّمةً لغيره ، أو يكون نتيجةً من غيره .

- فأما ما يكون مستقلاً بنفسه . . فضربان : جلّي وخفيّ .

فأما الجلّي : فهو يسبق إلى فهم تصوّره من أول وهلة ، وليس هو من أقسام ما يُشكل على ذي تصوّر .

وأما الخفيّ : فيحتاج في إدراكه إلى زيادة تأمل ، وفضل معاناة ؛ لينجلي عمّا أخفي ، وينكشف عمّا أغمض ، وباستعمال الفكر فيه يكون الارتياض به ، وبالارتياض به سهل منه ما استصعب ، ويقرب منه ما بُعد ؛ فإنّ للرياضة جرأة ، وللدّرية تأثيراً .

- وأما ما كان مقدّمةً لغيره . . فضربان :

أحدهما : أن تقوم المقدّمة بنفسها ، وإن تعدّت إلى غيرها . . فيكون الكلام كالمستقل بنفسه في تصوّره وفهمه وإن كان مستدعيّاً لنتيجته .

والثاني : أن يكون مفتقراً إلى نتيجته^(١) ، فيتعدّر فهم المقدّمة إلا بما يتعقبها من النتيجة ؛ لأنها تكون بعضاً منه ، وتبعيض المعنى أشكل له ، وبعضه لا يُغني عن كلّ .

- وأما ما كان نتيجةً لغيره : فهو لا يُدرّك إلا بأوله ، ولا يُتصوّر على حقيقته إلا بمقدّمته ، والاشتغال به قبل المقدّمة عناء ، وإتاعب الفكر في استنباطه قبل قاعدته أذاء^(٢) .

فهذا يوضح تعليل ما في المعاني من الأسباب المانعة من فهمها .

وأما القسم الثالث : وهو أن يكون السبب المانع لعله في المستمع . . فذلك ضربان : أحدهما : من ذاته ، والثاني : من طارئ طرأ عليه .

(١) قوله : (والثاني : أن يكون) أي : فهم المعنى (مفتقراً إلى نتيجة) .

(٢) أي : فلا فائدة ؛ كترغيب الضرير في تعليم الكتابة ، والأخرس على الخطابة .

فأما ما كان من ذاته .. فيتنوع نوعين : أحدهما : ما كان مانعاً من تصوّر المعنى وفهمه ، والثاني : ما كان مانعاً من حفظه بعد تصوّره وفهمه .

فأما المانع من تصوّر المعنى وفهمه .. فهو البلادة وقلة الفطنة ، وهو الداء العيأ ، وقد قال بعض الحكماء : (إذا فَقَدَ العالمُ الذهنَ .. قلَّ على الأضداد احتجأه ، وكثر إلى الكتب احتجأه)^(١) .

وليس لمن بُلي بهذا إلا الصبر والإقلال ؛ لأنّه على القليل أقدر ، وبالصبر أحرى أن ينالَ ويظفر ، وقد قال بعض الحكماء : (قدّم لحاجتك بعضَ لِحاجتك) .

وليس يقدر على الصبر مَنْ هذه حاله إلا أن يكون غالبَ الشهوة ، بعيدَ الهمة ، فيُشعرُ قلبه الصبرَ لقوّة شهوته ، ويكلّف جسده احتمالَ التعب لبُعد همّته ، فإذا تلوّح له المعنى بمساعدة الشهوة .. أعقبه ذلك إلحاح الآملين ، ونشاط المدرّكين ، فقلَّ عنده كلّ كثير ، وسهل عليه كلّ عسير .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنكم لا تنالون ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون ، ولا تبلغون ما تهوون إلا بترك ما تشتهون »^(٢) .

وقيل في منشور الحكم : (أتعبَ قدّمَكَ ، فكم تعبَ قدّمَكَ)^(٣) .

وقال بعض البلغاء : (إذا اشتدَّ الكلّف .. هانت الكلّف)^(٤) .

وأنشد بعض أهل الأدب ما ذكر أنه لعليّ بن أبي طالب عليه السلام^(٥) : [من البسيط]

لا تعجزنَّ ولا تدخلِك مَضْجَرَةٌ فالنَّجْحُ يَهْلِكُ بينَ العجزِ والضَّجَرِ

(١) أوردته الراغب في « محاضرات الأدباء » (٩٨/١) .

(٢) رواه ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٢٦٨/٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٥٢/٤٧) من قول سيدنا عيسى عليه السلام .

(٣) أوردته التويري في « نهاية الأرب » (١٢٩/٦) من قول عبد الحميد .

(٤) الكلّف : العشق والمحبة ، والكلّف - جمع كُلفَة - : المشقة .

(٥) البيت في « ديوانه » (ص ١١٨) ؛ وفيه : (لا تعجزن ولا يعجزك مطلبها) أي : الحاجات .

وأما المانع من حفظه بعد تصوّره وفهمه . . فهو النسيان الحادث عن غفلة التقصير والإهمال والتواني ، فينبغي لمن بُلي به أن يستدرك تقصيره بكثرة الدرس ، ويوقظ غفلته بإدامة النظر ، فقد قيل : (لن يدرك العلمَ مَنْ لا يُطيل درسه ، ويكُدُّ نفسه)^(١) .

وكثرة الدرس كدودٌ ، لا يصبر عليه إلا مَنْ يرى العلمَ مغنماً ، والجهالة مغرمًا ، فيحتمل تعب الدرس ؛ ليدرك راحة العلم ، وتتفي عنه معرفة الجهل ، فإنَّ نيلَ العظيم بأمر عظيم ، وعلى قدر الرغبة يكون الطلب ، وبحسب الراحة يكون التعب .

وقد قيل : (علّة الراحة قلة الاستراحة)^(٢) .

وقال بعض الحكماء : (أكمل الراحة : ما كانت عن كدِّ التعب ، وأعزُّ العلم : ما كان عن ذلِّ الطلب) .

وربّما استثقل المتعلّم الدرس والحفظ ، وأتكل بعد فهم المعاني على الرجوع إلى الكتب والمطالعة فيها عند الحاجة إليها ، فلا يكون إلا كمن أطلق ما صاده ؛ ثقةً بالقدرة عليه بعد الامتناع منه ، فلا تُعقبه الثقة إلا خجلًا ، والتفريط إلا ندمًا .

وهلّذه حالٌ قد يدعو إليها أحدُ ثلاثة أشياء : إمّا الضجرُ من معاناة الحفظ ومراعاته ، أو طولُ الأمل في التوفّر عليه عند نشاطه ، أو فسادُ الرأي في عزمته ، وليس يعلم أن الضجورَ خائبٌ ، وأنَّ الطويلَ الأملَ مغرورٌ ، وأنَّ الفاسدَ الرأيَ مصابٌ ، والعربُ تقول في أمثالها : (حرفٌ في قلبك خيرٌ من ألفٍ في كتبك)^(٣) .

وقالوا : (لا خيرَ في علمٍ لا يعبرُ معك الوادي ، ولا يعمُرُ بك النادي)^(٤) .

(١) أورده الراغب في « محاضرات الأدباء » (١٠٢/١) .

(٢) أورده النويري في « نهاية الأرب » (١٢٩/٦) .

(٣) أورده نحوه في « البيان والتبيين » (٢٥٨/١) من قول أعرابي : (حرف في قلبك خير من عشرة في طومارك) ، والطومار : الصحيفة .

(٤) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٦٠) ، و « محاضرات الأدباء » (٩٩/١) .

وَأُنشِدْتُ عَنْ الرَّبِيعِ لِلشَّافِعِيِّ رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى^(١) :

[من البسيط]

عِلْمِي مَعِي حَيْثُمَا يَمُمْتُ يَتْبَعُنِي قَلْبِي وَعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِ
إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِي أَوْ كُنْتُ فِي الشُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي الشُّوقِ

وَرَبَّمَا عُنِيَ الْمُتَعَلِّمُ بِالْحِفْظِ مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرٍ وَلَا فَهْمٍ ؛ حَتَّى يَصِيرَ حَافِظًا لِأَلْفَاظِ
الْمَعَانِي قِيَمًا بِتَلَاوتِهَا وَهُوَ لَا يَتَصَوَّرُهَا ، وَلَا يَفْهَمُ مَا تَضَمَّنَتْهَا ، يَرُوي بِغَيْرِ رَوِيَّةٍ ،
وَيُخْبِرُ عَنْ غَيْرِ خِبْرَةٍ ، فَهُوَ كَالْكِتَابِ الَّذِي لَا يَدْفَعُ شَبَهَةً ، وَلَا يُؤَيِّدُ حُجَّةً .

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « هِمَّةُ الشُّفَهَاءِ الرِّوَايَةُ ،
وَهِمَّةُ الْعُلَمَاءِ الرَّعَايَةُ »^(٢) .

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (كُونُوا لِلْعِلْمِ رُعَاةً ، وَلَا تَكُونُوا لَهُ رُؤَاةً ؛
فَقَدْ يَرْعَوِي مَنْ لَا يَرُوي ، وَيَرُوي مَنْ لَا يَرْعَوِي)^(٣) .

وَحَدَّثَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ بِحَدِيثٍ ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ : (يَا أَبَا سَعِيدٍ ؛ عَمَّنْ ؟
فَقَالَ : مَا تَصْنَعُ بِـ « عَمَّنْ ؟ » أَمَّا أَنْتَ . . فَقَدْ نَالَتْكَ عَظَمَتُهُ ، وَقَامَتْ عَلَيْكَ
حُجَّتُهُ)^(٤) .

وَرَبَّمَا اعْتَمَدَ عَلَى حِفْظِهِ وَتَصَوُّرِهِ ، وَأَغْفَلَ تَقْيِيدَ الْعِلْمِ فِي كِتَبِهِ ؛ ثَقَّةً بِمَا اسْتَقَرَّ
فِي نَفْسِهِ ، وَهَذَا خَطَأٌ مِنْهُ ؛ لِأَنَّ التَّشَكُّكَ مُعْتَرِضٌ ، وَالنِّسْيَانُ طَارِئٌ ، وَقَدْ رُوِيَ
أَنْسَنَ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « قَيِّدُوا الْعِلْمَ
بِالْكِتَابِ »^(٥) .

وَرُوي أَنَّ رَجُلًا شَكَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النِّسْيَانَ ، فَقَالَ :

(١) الْبَيْتَانِ فِي « دِيْوَانِهِ » (ص ١٠٣) .

(٢) رَوَاهُ الْخَطِيبُ فِي « اقْتِضَاءِ الْعِلْمِ الْعَمَلِ » (٣٩) ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي « تَارِيخِ دِمَشْقَ » (١٨٣ / ٦٧) مِنْ
قَوْلِ الْحَسَنِ رَحِمَهُ اللَّهُ .

(٣) أَوْرَدَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي « جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ » (١ / ٦٩٨) .

(٤) أَوْرَدَهُ ابْنُ قَتِيْبَةَ فِي « عَيُونُ الْأَخْبَارِ » (٢ / ١٣٧) .

(٥) رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي « تَارِيخِ دِمَشْقَ » (٣٧ / ٣٥٣) ، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي « جَامِعِ بَيَانِ الْعِلْمِ وَفَضْلِهِ »
(١ / ٣٠٦) .

« استعمل يدك »^(١) أي : اكتب حتى ترجع إذا نسيت إلى ما كتبت .

وقد قال الخليل بن أحمد : (اجعل ما في الكتب رأس المال ، وما في القلب النفقة)^(٢) .

وقال مهبوذ : (لولا ما عقدته الكتب من تجارب الأولين . . لانحل مع النسيان عقود الآخرين)^(٣) .

وقال بعض البلغاء : (إن هذه الآداب نوافر تنبذ عن عقل الأذهان ، فاجعلوا الكتب عليها حُمة ، والأقلام لها رُعاة)^(٤) .

وأما طارئ النسيان . . فتوعان^(٥) :

أحدهما : شبه تعترض المعنى فتمنع من تصوّره ، وتدفع عن إدراك حقيقته ، فينبغي أن يزيل تلك الشبهة عن نفسه بالسؤال والنظر ؛ ليصل إلى تصور المعنى وإدراك حقيقته ؛ ولذلك قال بعض العلماء : (لا تُخل قلبك من المذاكرة فيعود عقيماً ، ولا تُعفِ طبعك عن المناظرة فيصير سقيماً)^(٦) .

وقال بشار بن برد^(٧) :

شفاء العمى طولُ السؤالِ وإنّما دوامُ العمى طولُ السكوتِ على الجهلِ
فكن سائلاً عما عنّاك فإنّما دُعيتَ أخا عقلٍ لتبحثَ بالعقلِ

والثاني : أفكار تُعارض الخاطر ، فيذهل عن تصوّر المعنى ، وهذا سبب قلما يعرئ منه أحد ، لا سيّما فيمن انبسطت آماله ، واتسعت أمانيه ، وقد يقلّ فيمن لم يكن له في غير العلم أربّ ، ولا فيما سواه همّة .

(١) رواه الترمذي (٢٦٦٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أورده الثعالبي في « ثمار القلوب » (٤٩٣ / ١) .

(٣) أورده ابن النديم في « الفهرست » (ص ١٣) .

(٤) أورده في « ربيع الأبرار » (١٤٧ / ٤) ، و « محاضرات الأدباء » (٩٩ / ١) .

(٥) قوله : (وأما طارئ النسيان) معطوف على قوله : (فأما ما كان مانعاً من تصور المعنى . . فهو البلادة)

وهذا هو القسم الثاني من السبب المانع في المستمع .

(٦) أورده الراغب في « محاضرات الأدباء » (١٥٠ / ١) من قول ابن المقفع .

(٧) البيت في ملحقات « ديوانه » (١٦٣ / ٤) ، ونسبه ياقوت في « معجم الأدباء » (٦٢٤ / ٦) لمحمد بن

الحسين الطبري المعروف بابن نجدة ، وأراد بالعمى الجهل ؛ لأنه عمى بصيرة .

فإن طرأت على الإنسان . . لم يقدر على مكابرة نفسه على الفهم ، وغلبة قلبه على التصوُّر ؛ لأنَّ القلب مع الإكراه أشدُّ نفوراً ، وأبعدُ قبولاً ، وقد جاء في الأثر : (أنَّ القلب إذا أُكْرِهَ . . عَمِيَ)^(١) .

ولكن يعمل على دفع ما طرأ عليه من همٍّ مذهل ، أو فكر قاطع ؛ ليستجيب له القلب مطيعاً ، وقد قال الشاعر^(٢) :

[من الطويل]

وليس بمُغْنٍ في المودَّةِ شافعٌ إذا لم يكن بين الضُّلوعِ شفيعٌ
وقال بعض الحكماء : (إنَّ لهذه القلوب تنافراً كتنافر الوحش ، فتألَّفوها بالاقتصاد في التعليم ، والتوسط في التقويم ؛ لتحسن طاعتها ، ويدوم نشاطها) .

فهذا تعليل ما في المستمع من الأسباب المانعة من فهم المعاني .

وهل هنا قسمٌ رابع يمنع من معرفة الكلام وفهم معانيه ، ولكنه قد يعرَى من بعض الكلام ؛ فلذلك لم ندخله في جملة أقسامه ، ولم نستجز الإخلالَ بذكره وهو الخطُّ ؛ فإنَّ من الكلام ما كان مسموعاً لا يُحتاج في فهمه إلى تأمل الخطِّ به ، والمانع من فهمه هو على ما ذكرناه من أقسامه .

ومنه ما كان مستودعاً بالخطِّ ، محفوظاً بالكتابة ، مأخوذاً بالاستخراج ، فكان الخطُّ حافظاً له ، ومعبراً عنه ، وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْثَرَوْا مَنَ عِلْمٍ ﴾ قال : (يعني : الخطُّ)^(٣) .

وروي عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ﴾ قال : (الخطُّ ، ﴿ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ يعني : الخطُّ)^(٤) .

(١) عزاه في « كنز العمال » (٣٩٨ / ١) إلى محمد بن عثمان الأذري في كتاب « الوسوسة » من قول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أورده التوحيدي في « الصداقة والصديق » (ص ٣٢٥) بدون نسبة .

(٣) رواه الحاكم في « المستدرک » (٤٥٤ / ٢) .

(٤) رواه الطبري في « تفسيره » (١١٧ / ٣ / ٣) ، والدارمي في « مسنده » (٣٣٧٧) .

والعرب تقول : (الخطُّ أحدُ اللسانين ^(١) ، وحسنهُ إحدى الفصاحتين ^(٢)) .
 وقال جعفر بن يحيى : (الخطُّ سِمْتُ الحكمة ، به تفصل شذورها ، وينظم
 منشورها ^(٣)) .
 وقال ابن المقفّع : (اللسانُ مقصوّرٌ على القريب الحاضر ، والعلمُ بالخطِّ
 على الشاهد والغائب ، وهو للغابر الكائن مثله للقائم الراهن ^(٤)) .
 وقال حكيم الروم : (الخطُّ هندسةٌ رُوحانية وإن ظهر بآلة جسدانية ^(٥)) .
 وقال حكيم العرب : (الخطُّ أصيلٌ في الروح وإن ظهر بحواسِّ الجسد ^(٦)) .

واختلف في أول مَنْ كتب الخطَّ :

فذكر كعب الأحبار : (أنَّ أولَ مَنْ كتب : آدم عليه السلام ، كتب سائر
 الكتب قبل موته بثلاث مئة سنة في طين ثم طبخه ، فلمَّا غرقت الأرض في زمن
 نوح عليه السلام . . بقيت الكتابةُ ، فأصاب كلَّ قوم كتابهم ، وبقي الكتاب العربي
 إلى أن خصَّ الله تعالى به إسماعيلَ عليه السلام ، فأصابه وتعلَّم العريية ^(٧)) .
 وحكى ابن قتيبة : (أنَّ أولَ مَنْ كتب : إدريسُ عليه السلام ^(٨)) .
 وكانت العرب تعظّم قدرَ الخطِّ ، وتعدُّه من أجلِّ نفع ، حتَّى قال عكرمة : (بلغ
 فداء أهل بدر أربعة آلاف درهم ، حتَّى إنَّ الرجلَ ليُفادى به على أن يعلمَ الخطَّ ^(٩))
 لما هو مستقر في نفوسهم من عِظَم خطره ، وجلالة قدره ، وظهور نفعه وأثره .

-
- (١) أورده في « البيان والتبيين » (٧٩/١) ، و« التمثيل والمحاضرة » (ص ١٥٥) .
 - (٢) أورده في « نهاية الأرب » (١٤/٧) من قول سيدنا علي كرم الله وجهه .
 - (٣) أورده في « زهر الآداب » (٣٦٦/١) ، و« نهاية الأرب » (١٤/٧) .
 - (٤) أورده في « البيان والتبيين » (٨٠/١) .
 - (٥) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٥٥) من قول إقليدس ، و« محاضرات الأدباء » (١٩٩/١) .
 - (٦) أورده في « صبح الأعشى » (٢/٣) من قول النّظام .
 - (٧) أورده ابن فارس في « الصحاح » (ص ١٠) .
 - (٨) عيون الأخبار (٤٣/١) .
 - (٩) رواه ابن سعد في « الطبقات » (٢٣/٢) .

وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ فوصف نفسه بأنه علّم بالقلم ؛ كما وصف نفسه بالكرم ، واعتدّ بذلك في نعمة العظام ، ومن أياديه الجِسام ؛ حتى أقسم به في كتابه فقال تعالى : ﴿ تَوَالَّفَ وَمَا يَنْظُرُونَ ﴾ فأقسم بالقلم كما أقسم بما يُخَطُّ بالقلم .

واختلف في أول من كتب بالعربية :

فذكر كعب الأحبار : (أن أول من كتب بها : آدم عليه السلام ، ثم وجدها بعد الطوفان إسماعيل عليه السلام)^(١) .

وحكى ابن عباس رضي الله عنهما : (أن أول من كتب بها ووضعها : إسماعيل عليه السلام على لفظه ومنطقه)^(٢) .

وحكى عروة بن الزبير رضي الله عنه : (أن أول من كتب بها : قوم من الأزد الأوائل ، أسماؤهم : أبجد وهوز وحطي وكلمن وسعفص وقرشت ، وكانوا ملوك مدين)^(٣) .

وحكى ابن قتيبة في « المعارف » : (أن أول من كتب بالعربية : مُرامر بن مروة من أهل الأنبار ، ومن الأنبار انتشرت)^(٤) .

وحكى المدائني : (أن أول من كتب بها : مُرامر بن مروة ، وأسلم بن سدرة ، وعامر بن جدرة ؛ فمُرامر وضع الصُّورَ ، وأسلم فصل ووصل ، وعامر وضع الإعجام)^(٥) .

ولمّا كان الخطُّ بهذه الحال وجب على من أراد حفظ العلم به أن يُعنى بأمرين :

أحدهما : حفظ تقويم الحروف على أشكالها الموضوع لها .

(١) أورده في « الصحاح » (ص ١٠) .

(٢) رواه الحاكم في « المستدرک » (٥٥٢ / ٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٥٠٣) .

(٣) أورده في « محاضرات الأدباء » (١٩٧ / ١) .

(٤) المعارف (ص ٥٥٢) ؛ وفيه وفي (هـ) : (مرامر بن مروة) .

(٥) أورده في « صبح الأعشى » (١٢ / ٣) ، و « محاضرات الأدباء » (١٩٧ / ١) ، وفي (د ، هـ) :

(وعامر بن خدرة) .

والثاني : ضبط ما اشتبه منها بالنقط والأشكال المميّزة لها .

ثم ما زاد على هذين من تحسين الخطّ وملاحة تظهر . . فإنّما هو زيادة حذق بصنّعه ، وليس بشرط في صحته .

وقال علي بن عبيدة : (حسن الخطّ لسانُ اليد ، وبهجة الضمير)^(١) .

وقال أبو العباس المبرّد : (رداءة الخطّ زمانة الأدب)^(٢) .

وقال عبد الحميد : (البيانُ في اللسان والبَنان) .

وأشدني بعض أهل الأدب لأحد شعراء البصرة^(٣) :

اعذر أخاك على رداءة خطّه واغفر رداءته لجودة ضبطه
واعلم بأن الخطّ ليس يُراد من تركيبه إلاّ تبيين سمنطه
فإذا أبان عن المعاني لم يكن تحسينه إلاّ زيادة شرطه

ومحلّ ما زاد على الخطّ المفهوم من تصحيح الحروف وحسن الصورة . .
محلّ ما زاد على الكلام المفهوم من فصاحة الألفاظ وصحة الإعراب ؛ ولذلك
قالت العرب : (حسن الخطّ إحدى الفصاحتين)^(٤) .

وكما أنّه لا يُعذر من أراد التقدّم في الكلام أن يطرح الفصاحة والإعراب وإن
فهم وأفهم . . كذلك لا يُعذر من أراد التقدّم في الخطّ أن يطرح تصحيح الحروف
وتحسين الصور وإن فهم وأفهم .

وربّما تقدّم بالخطّ من كان الخطّ أجلّ فضائله ، وأشرف خصائله ، حتّى صار
علماً مشهوراً ، وسيداً مذكوراً ، غير أن العلماء أطرحوا صرف الهمة إلى تحسين
الخط ؛ لأنّه يشغلهم عن العلم ، ويقطعهم عن التوفّر عليه ؛ ولذلك تجد خطوط
العلماء في الأغلب رديئة لا تُلحظ إلاّ من أسعده القضاء .

(١) أورده في « صبح الأعشى » (٢/٣) و « العقد الفريد » (٤/١٧٢) من قول إبراهيم بن محمد الشيباني .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٥٥) .

(٣) أورده الأبيات الثعالبي في « يتيمة الدهر » (١/٥٢٢) لأبي بكر الموسوس .

(٤) أورده في « نهاية الأرب » (٧/١٤) من قول سيدنا علي كرم الله وجهه .

وقد قال الفضل بن سهل : (من سعادة المرء : أن يكون رديء الخط ؛ ليكون الزمان الذي يفنيه بالكتابة يشغله بالحفظ والنظر) .

وليست رداءة الخط هي السعادة ، وإنما السعادة ألا يكون له صارفٌ عن العلم ، وعادةُ ذي الخط الحسن : أن يتشاغل بتحسين خطه عن العلم ، فمن هذا الوجه صار برداءة خطه سعيداً وإن لم تكن رداءة الخط سعادةً .

وإذا كان ذلك كذلك . . فقد يعرض للخط أسباب تمنع من قراءته ومعرفته ؛ كما يعرض للكلام أسباب تمنع من فهمه وصحته .

والأسباب المانعة من قراءة الخط وفهم ما تضمّنه قد تكون من ثمانية أوجه :

أحدها : إسقاط ألفاظ من أثناء الكلام يصيرُ الباقي بها مبتوراً ؛ لا يُعرف استخراجُه ، ولا يُفهم معناه ، وهذا يكون إمّا من سهو الكاتب ، وإمّا من فساد نقله .

وهذا يسهل استنباطه على مَنْ كان مُرتاضاً بذلك النوع ، فيستدلُّ بحواشي الكلام وما سلم منه على ما سقط أو فسد ، لا سيّما إذا قلَّ ؛ لأنَّ الكلمة تستدعي ما يليها ، ومعرفة المعنى توضح عن الكلام المترجم عنه ما شدَّ من ألفاظه .

فأمّا مَنْ كان قليلَ الارتياض بذلك النوع . . فإنّه يصعب عليه استنباط المعنى منه ، لا سيّما إذا كان كثيراً ؛ لأنّه يحتاج في فهم المعاني إلى الفكر والروية فيما قد أهمله في الكتبة ، وإذا هو لم يعرف تمام الكلام المترجم عن المعنى . . قصر فهمه عن إدراكه ، وضلَّ فكره عن استنباطه .

والوجه الثاني : زيادة ألفاظ في أثناء الكلام يُشكل بها معرفة الصحيح غير الزائد وتمييزه من السقيم الزائد ، فيصير الكلُّ مشكلاً ، وهذا لا يكاد يوجد كثيراً ، إلا أن يقصد الكاتب تعمية كلامه ، فيدخل في أثناءه ما يمنع من فهمه ، فيصير ذلك رمزاً يُعرف بالمواضعة .

فأثماً وقوعه سهواً.. فقد يكون بالكلمة والكلمتين ، وذلك لا يمنع من فهمه على المُرتاض وغيره .

والوجه الثالث : إسقاط حروف من أثناء الكلمة تمنع من استخراجها على الصّحة ، وقد يكون هذا تارةً من السهو فيقلُّ ، وتارةً من ضعف الهجاء فيكثرُ ، والقول فيه كالقول في الوجه الأول .

والوجه الرابع : زيادة حروف في أثناء الكلمة يشكل بها معرفة الصحيح من حروفها ، وهذا يكون تارةً من سهو الكاتب فيقلُّ ، ولا يمنع من استخراج الصحيح ، ويكون تارةً لتعمية ومُواضعةٍ يقصد بها الكاتب إخفاءً غرضه فيكثرُ كالتراجم ، ويكون القول فيه كالقول في الوجه الثاني .

والوجه الخامس : وصل الحروف المفصولة وفصل الحروف الموصولة ؛ فيدعو ذلك إلى الإشكال ؛ لأنَّ الكلمة ينبّه عليها وصلُ حروفها ، ويمنع فصلُها من مشاركة غيرها .

فإن كان ذلك من سهو.. قلَّ وسهل استخراجُه ، وإن كان ذلك من قِلَّةِ معرفةٍ بالخطِّ أو مَشَقًّا تسبق به اليدُ . كثر فصعب استخراجُه ، إلا على المُرتاض به ؛ ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (شرُّ الكتابة المَشْقُ ؛ كما شرُّ القراءة الهَذَرَمَةُ)^(١) .

وإن كان للتعمية والرمز.. لم يُعرف إلا بالمُواضعة .

والوجه السادس : تغيير الحروف عن أشكالها ، وإبدالها بأغيارها ، حتى يكتب الحاء على شكل الباء ، والصاد على شكل الراء ، وهذا يكون في رموز التراجم ، لا يوقف عليه إلا بالمُواضعة ، إلا لَمَن زاد فيه الذكاء فقدر على استخراج المُعَمَّى .

والوجه السابع : ضعف الخطِّ عن تقويم الحروف على الأشكال الصحيحة ، وإثباتها على الأوصاف الخفية ، حتى لا تكادُ الحروفُ تمتاز عن أغيارها ، فتصير

(١) رواه الخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٤٠٣/١) ، والمشق : سرعة الكتابة .

العين الموصولة كالفاء ، والمفصولة كالحاء ، وهذا يكون من رداء الخط ، وضعف اليد .

واستخراج ذلك ممكن بفضل المعانة وشدة التأمل وإن كان ربما أضرَّ قارئه ، وأوهى مُعانيه ؛ ولذلك قيل : (إن الخطَّ الحسنَ ليزيد الحقَّ وضوحاً)^(١) .

والوجه الثامن : إغفال النقط والشكل اللذين تتميز بهما الحروف المشتبهة ، وهذا أيسرُ أمراً ، وأخفُّ حالاً ؛ لأنَّ مَنْ كان متميّزاً بصحة الاستخراج ومعرفة الخطِّ . لم تخفَ عليه معرفة الخطِّ وفهم ما تضمنته مع إغفال النقط والشكل .

بل قد استقبح ذلك الكتَّابُ في المكاتبات ، ورأوه من تقصير فهم الكاتب ، أو سوء ظنه بفهم المكاتب ، وكان استقبحهم له في مكاتبه الرؤساء أكثر .

وقد حكى قدامة بن جعفر : أنَّ بعض كتَّاب الدواوين حاسب عاملاً ، فشكا العامل منه إلى عبيد الله بن سليمان ، وكتب رقعة يذكر فيها احتجاجاً لصحة دعواه ، ووضح شكواه ، فوقَّع فيها عبيد الله بن سليمان : (هذا هذا) ، فأخذها العامل وقرأها ، فظنَّ أنَّ عبيد الله أراد : (هذا هذا) إثباتاً لصحة دعواه وصدق قوله ؛ كما يقال في إثبات الشيء : (هو هو) ، فحمل الرقعة إلى كاتب الديوان وأراه خط عبيد الله ، وقال : إنَّ عبيد الله قد صدَّق قولِي ، وصحَّ ما ذكرتُ ، فخفي على الكاتب ذلك ، وأُطيف به على كتَّاب الدواوين ، فلم يقفوا على مراد عبيد الله ، فردَّ إليه ليسأل عن مراده ، فشدد عبيد الله الكلمة الثانية ، وكتب تحتها : (والله المستعان) استعظماً منه لتقصيرهم في استخراج مراده حتى احتاج إلى إباتته بالشكل^(٢) .

فهذه حال الكتَّاب في استقبحهم إعجام المكاتبات بالنقط والشكل .

(١) أورده في « نهاية الأرب » (١٤ / ٧) ، و « صبح الأعشى » (٢٠ / ٣) من قول سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

(٢) القصة في « زهر الأكم » (٢١٥ / ٢) ، وهذا - الثانية - بالقصر : أي : هذا ؛ بالمد .

فأما غيرُ المكاتبات من سائر العلوم.. فلم يَرَوْه قبيحاً ، بل استحسّنه ، لا سيّما في كتب الأدب التي يُقصد بها معرفة صيغة الألفاظ وكيفية مخارجها ؛ مثل كتب النحو واللغة والشعر الغريب ، فإنَّ الحاجةَ إلى ضبطها بالشكل والإعجام أكثرُ ، وهي فيما سواه من العلوم أيسرُ ، وقد قال الثوريُّ : (الخُطوطُ المُعجَمة كالبرود المُعلّمة)^(١) .

وقال بعضُ البلغاء : (إعجام الخطِّ يمنع من استعجابه ، وشكله يؤمن من إشكاله)^(٢) .

وقال بعضُ الأدباء : (ربَّ علمٍ لم تُعجَم فصوله ، فاستعجم محصّوله)^(٣) .

وكما استقيح الكتابُ الشَّكْلُ والإعجامُ في المكاتبات وإن كان في كتب العلوم مستحسنًا.. فكَذلك استحسنوا مَشَقَّ الخطِّ في المكاتبات وإن كان في كتب العلوم مستقبِحاً .

وسببُ ذلك : أنَّهم لفرط إدلالهم بالصنعة وتقدّمهم في الكتابة يكتفون بالإشارة ، ويقتصرون على التلويح ، ويرون الحاجةَ إلى استيفاء شروط الإبانة تقصيراً ، ولفضل ما يعتقدونه من التقدّم بهذه الحال رأوا ما نبّه عليه سوادُ المداد أثراً جميلاً ، وعلى الفضل والتخصُّص دليلاً .

حُكي : أنَّ عبيد الله بن سليمان رأى على بعض ثيابه أثرَ صُفرةٍ ، فأخذ من مداد الدّواة فطلاه به ، ثم قال : (المِدادُ بنا أحسنُ من الزّعفران) ، وأنشد : [من الخفيف]
 إنّما الزعفرانُ عِطرُ العذارى ومِدادُ الدُّويِّ عِطرُ الرِّجالِ^(٤)

فهذه جملة كافية في الإبانة عن الأسباب المانعة من فهم الكلام ومعرفة

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٥٩) ، و« صبح الأعشى » (١٤٩/٣) دون نسبة .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٥٩) ، و« زهر الآداب » (١٤٤/١) .

(٣) أورده في « صبح الأعشى » (١٤٩/٣) ، من قول أبي مالك الحضرمي ، و« زهر الأكم » (٢١٦/٢) .

(٤) أورده في « زهر الأكم » (٢٢٣/٢) .

معانيه ؛ لفظاً كان أو خطأً ، والله وليّ التوفيق لما يحبه ويرضاه .

فينبغي لطالب العلم أن يكشف عن الأسباب المانعة إن تعدّر عليه فهم المعنى ؛ ليسهلّ عليه الوصول إليه ، ثم يكون من بعد ذلك سائساً لنفسه ، مدبراً لها في حال تعلّمه ؛ فإنّ للنفس نفوراً يفضي إلى تقصير ، ووفوراً يؤول إلى سرّ ، وقيادها عسراً ، ولها أحوال ثلاث : فحال عدل وإنصاف ، وحال غلوّ وإسراف ، وحال تقصير وإجحاف .

فأما حال العدل والإنصاف : فهي أن تختلف قوى النفس من جهتين متقابلتين ؛ طاعة مُسعدة ، وشفقة كافّة ، فطاعتها تمنع من التقصير ، وشفقتها تصدّ عن السّرّف ، وهذه أحمّد الأحوال ؛ لأنّ ما مُنع من التقصير نام ، وما صدّ عن السّرّف مستديم ، والنموّ إذا استدام . . فأخلق به أن يستكمل !!

وقال بعض الحكماء : (إياك ومفارقة الاعتدال ؛ فإنّ المسرف مثل المقصّر في الخروج عن الحدّ) .

وأما حال الغلوّ والإسراف : فهي أن تختصّ النفس بقوى الطاعة ، وتعدم قوى الشفقة ، فيبعثها اختصاص الطاعة على إفراغ الجهد ، ويفضي بها إفراغ الجهد إلى عجز الكلال ، ويؤدّيها عجز الكلال إلى التّرك والإهمال ، فتصير الزيادة نقصاناً ، والربح خسراناً .

وقد قالت الحكماء : (طالب العلم وعامل البرّ كآكل الطعام ؛ إن أخذ منه قوتاً . . عصمه ، وإن أسرف فيه . . أبشمه ؛ وربّما كان فيه منيته ^(١) ، وكأخذ الأدوية التي القصّد فيها شفاءً ، ومجاوزه الحدّ فيها السمّ المُميت ^(٢)) .

وأما حال التقصير والإجحاف : فهي أن تختصّ النفس بقوى الشفقة ، وتعدم قوى الطاعة ، فيدعوها الإشفاق إلى المعصية ، وتمنعها المعصية من الإجابة ،

(١) أبشمه الطعام : أنخمه ، وقد يقتله من شدة الانتفاخ .

(٢) أوردته في « عيون الأخبار » (٣٢٧ / ١) .

فلا تطلب شاردًا ، ولا تقبل عائدًا ، ولا تحفظ مستودعًا ، ومن لم يطلب الشارد ، ويقبل العائد ، ويحفظ المستودع . فقد الموجود ، ولم يجد المفقود ، ومن فقد ما وجد . فهو مصابٌ محزون ، ومن لم يجد ما فقد . فهو خائبٌ مغبون .

وقد قال بعض الحكماء : (العجزُ مع الواني ، والفوتُ مع التواني)^(١) .

وقد يكون للنفس مع الأحوال الثلاث حالتان مشتركتان بغلبة إحدى القوتين ، فيكون للنفس طاعةً وإشفاقً ، وأحدهما أغلبُ من الآخر ؛ فإن كانت الطاعةُ أغلبَ . . كانت إلى الوُفور المجاوز أميلَ ، وإن كان الإشفاقُ أغلبَ . . كانت إلى التقصير المقصّر به أقربَ .

فإذا عرف من نفسه قدرَ طاعتها ، وخبرَ منها كُنهَ شفقتها . . راضٍ نفسه لتثبت على أحمدِ حالاتها .

وقد أشار إلى ما وصفناه من حال النفس الفرزدقُ في قوله^(٢) :

لكلِّ امرئٍ نفسانِ نفسٌ كريمةٌ وأخرى يُعاصيها الفتى ويُطيعُها
ونفسُك من نفسك تشفعُ للندى إذا قلَّ من أحرارِهِنَّ شفيعُها
فإن أهمل سياستها ، وأغفل رياضتها ، ورام أن يأخذها بالعنف ، ويقهرها بالعسف . . استشاطت نافرةً ، ولجّت معاندةً ، فلم تنقذ إلى طاعة ، ولم تنكف عن معصية .

وقد قال سابق البربري :

إذا زجرت لجوجاً زدته علقاً ولجّت النفسُ منه في تماديها
فعُدْ عليه إذا ما نفسه جمحت باللين منك فإن اللين يشيها
فإن استصعب عليه قياد نفسه ، ودام منه نفور قلبه مع سياستها ومعاناة رياضتها . . تركهما ترك إراحةً ، ثم عاودهما بعد الاستراحة ، فإن إجابتهما

(١) الواني : اسم فاعل من ونى الرجل : إذا فتر ولم يجد في العمل ، والتواني : الكسل .

(٢) البيتان في « ديوانه » (٣٨ / ٢) .

تسرع ، وطاعتها ترجع ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إن القلب يموت ويحيا ولو بعد حين » .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه : (للقلوب شهوة وإقبال ، وفترة وإدبار ؛ فأتوها من قبل شهوتها ، ولا تأتوها من قبل فترتها)^(١) .

وقد قال الشاعر^(٢) :

[من الطويل]
وما سُمِّيَ الإنسانُ إلا لأنَّسِهِ ولا القلبُ إلا أنَّه يتقلَّبُ

فأما الشروط التي يتوفَّر بها علم الطالب ، وينتهي معها كمال الراغب ، مع ما يلاحظ به من التوفيق ، ويُمدُّ به من المعونة . فتسعة شروط :

أحدها : العقل الذي يدرك به حقائق الأمور .

والثاني : الفطنة التي يتصوَّر بها غوامض العلوم .

والثالث : الذكاء الذي يستقرُّ به حفظ ما تصوَّره ، وفهم ما علمه .

والرابع : الشهوة التي يدوم بها الطلب ، ولا يسرع إليه الملل .

والخامس : الاكتفاء بمادة تغنيه عن كُلف الطلب .

والسادس : الفراغ الذي يكون معه التوفُّر ، ويحصل به الاستكثار .

والسابع : عدم القواطع المذهلة ؛ من هموم وأشغال وأمراض .

والثامن : طول العمر واتساع المدَّة ؛ لينتهي بالاستكثار إلى مراتب الكمال .

والتاسع : الظفر بعالم^(٣) سمح بعلمه ، متأثِّ في تعليمه^(٤) .

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٣٤ / ١) ، والخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٥١٩ / ١) .

(٢) أورد البيت في « سراج الملوك » (٧٢٣ / ٢) .

(٣) هنا تبدأ النسخة (ب) .

(٤) متأثِّ : مترفق ، وفي (د) : (متأثِّ) .

وإذا استكمل هذه الشروط التسعة.. فهو أسعدُ طالبٍ ، وأنجحُ متعلِّمٍ .
وقد قال الإسكندر : (يحتاج طالب العلم إلى أربع : مدّة ، وجِدّة ،
وقريحة ، وشهوة) ، وتمامها في الخامسة : معلِّمٌ ناصحٌ .

فَضْلُ الْعِلْمِ [في آداب المتعلِّم]

وسأذكر طرفاً مما يتأدَّب به المتعلِّم ، ويكون عليه العالم :

اعلم : أن للمتعلِّم في زمان تعلُّمه ملقاً وتذلُّلاً^(١) ، إن استعملهما . . غنم ، وإن تركهما . . ندم وحُرم ؛ لأنَّ التملُّق للعالم يُظهر مكنونَ علمه ، والتذلُّل له سببٌ لإدامة صبره ، وبإظهار مكنونه تكون الفائدة ، وباستدامة صبره يكون الإكثار .

وقد روى معاذ بن جبل ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ليس من أخلاقِ المؤمنِ المَلَقُ إلَّا في طلبِ العلمِ »^(٢) .

وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (ذللتُ طالباً ، فعززتُ مطلوباً)^(٣) .

وقال بعض الحكماء : (مَنْ لم يحتمل ذلَّ التعلُّم ساعةً . . بقي في ذلَّ الجهل أبداً)^(٤) .

وقال بعض حكماء الفرس : (إذا قعدت وأنت صغيرٌ حيثُ تحبُّ . . قعدت وأنت كبيرٌ حيثُ لا تحبُّ)^(٥) .

ثم ليعرف له فضل علمه ، وليشكر له جميل فعله ؛ فقد روت عائشة رضي الله تعالى عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من وقَّرَ عالماً . . فقد وقَّرَ ربَّه عز وجل »^(٦) .

(١) المَلَقُ : الزيادة في التودد ؛ ليستخرج من الإنسان مراده .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٥٢٢) .

(٣) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٦٣٥) .

(٤) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٦٥) ، و « زهر الآداب » (١ / ٣٧٤) .

(٥) أورده ابن أبي الحديد في « شرح نهج البلاغة » (٣٠٠ / ٢٠) .

(٦) أورده الديلمي في « الفردوس » (٥٦٢٧) .

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه : (لا يعرفُ فضلَ أهل الفضلِ إلا أهلُ الفضلِ)^(١) .

وقال بعض الشعراء^(٢) :

أكرم طيبك إن أردت دواءه وكذا المعلم إن أردت تعلماً
إن المعلم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يُكرما
فاصبر لدائك إن جفوت طبيبه واصبر لجهلك إن جفوت معلماً
ولا يمنعه من ذلك علو منزلة - إن كانت له - وإن كان العالم خاملاً ؛ فإن
العلماء بعلمهم استحقوا التعظيم ، لا بالقدرة والمال .

وأشدني بعض أهل الأدب لأبي بكر بن دريد^(٣) :

لا تحقرن عالماً وإن خلقت أثوابه في عيون راميهِ
وانظر إليه بعين ذي خطرٍ مهذب الرأي في طرائقه
فالمسك بينا تراه ممتهاً بفهر عطاره وساحقه
حتى تراه بعارضي ملكٍ أو موضع التاج من مفارقه

ولكن مقتدياً بهم في رضي أخلاقهم ، متشبهاً بهم في جميل أفعالهم ؛ ليصير
لها ألفاً ، وعليها ناشئاً ، ولما خالفها مجاناً ؛ فقد قال النبي صلى الله عليه
وسلم : « خيارُ شبابكم المتشبهون بشيوخكم ، وشرُّ شيوخكم المتشبهون
بشبابكم »^(٤) .

(١) أوردته في « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٢٧٧) ، وقال بديع الزمان :

مدحت الأمير وأيامه فضاءت وجوه وسيئت وجوه
وهل يجحد الشمس إلا العمي وهل يعرف الفضل إلا ذووه
(٢) البيتان الأخيران في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٦٤) ، و « محاضرات الأدباء » (١ / ١٠٨) ، والبيت
الأول زيادة من (ج ، د) .

(٣) الأبيات في « ديوانه » (ص ٩٨) ، والفهر : الحجر قدر ما يدق به الجوز ونحوه .

(٤) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٤١٩) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

وروى ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ . . فهو منهم »^(١) .

وَأُنْشِدَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ لِأَبِي بَكْرٍ بْنِ دَرِيدٍ^(٢) :

[من الرجز]

الْعَالِمُ الْعَاقِلُ ابْنُ نَفْسِهِ أَغْنَاهُ جَنْسُ عِلْمِهِ عَنْ جَنْسِهِ
كُنْ ابْنُ مَنْ شِئْتَ وَكُنْ مُؤَدِّبًا فَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِفَضْلِ كَيْسِهِ
وَلَيْسَ مَنْ تَكْرُمُهُ لغيرِهِ مِثْلَ الَّذِي تَكْرُمُهُ لِنَفْسِهِ

وَلِيَحْذِرِ الْمُتَعَلِّمُ التَّبَسُّطَ عَلَى مَنْ يُعَلِّمُهُ وَإِنْ آنَسَهُ ، وَالْإِدْلَالَ عَلَيْهِ وَإِنْ تَقَدَّمَتْ صَحْبَتُهُ ، فَقَدْ قِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : (مَنْ أَذَلُّ النَّاسِ ؟) فَقَالَ : عَالِمٌ يَجْرِي عَلَيْهِ حُكْمُ جَاهِلٍ^(٣) .

وَكَلَّمْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ ، فَقَالَ لَهَا : « مَنْ أَنْتِ ؟ » فَقَالَتْ : بِنْتُ الرَّجُلِ الْجَوَادِ حَاتِمٍ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اِرْحَمُوا عَزِيزَ قَوْمٍ ذَلَّ ، اِرْحَمُوا غَنِيًّا افْتَقَرَ ، اِرْحَمُوا عَالِمًا ضَاعَ بَيْنَ الْجُهَّالِ »^(٤) .

وَلَا يُظْهَرُ لَهُ الْاِسْتِكْفَاءُ مِنْهُ وَالْاِسْتِغْنَاءُ عَنْهُ ؛ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ كَفْرًا لِنِعْمَتِهِ ، وَاسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِ .

وَرَبَّمَا وَجَدَ بَعْضُ الْمُتَعَلِّمِينَ قُوَّةً فِي نَفْسِهِ ؛ لَجُودَةِ ذِكَاثِهِ وَحِدَّةِ خَاطِرِهِ ، فَقَصَدَ مَنْ يَعَلِّمُهُ بِالْإِعْنَاتِ لَهُ ، وَالْاِعْتِرَاضِ عَلَيْهِ ؛ إِزْرَاءً بِهِ ، وَتَبْكِيئًا لَهُ ، فَيَكُونُ كَمَنْ تَقَدَّمَ فِيهِ الْمِثْلُ السَّائِرُ لِأَبِي الْبَطْحَاءِ^(٥) :

[من الوافر]

فِيَا عَجَبًا لِمَنْ رِيَّتُ طِفْلًا أَلْقَمُهُ بِأَطْرَافِ الْبَنَانِ

(١) رواه أبو داود (٤٠٣١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١١٥٤) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص ٧٠) .

(٣) أورده في « البيان والتبيين » (٢٥٣/١) ، و « ثمار القلوب » (٩٤٦/٢) من قول ثمامة بن الأشرس .

(٤) أورده في « المستطرف » (٥١٤/١) ، والمرفوع رواه الخطيب في « الفقيه والمتفقه » (١٦٦/١) ، والشهاب القضاعي في « مسنده » (٧٣٤) .

(٥) الأبيات أوردها الجاحظ في « المحاسن والأضداد » (ص ٤١) ، وفي (د) : (فلما اشتدَّ) .

أَعْلَمُهُ الرَّمَايَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا اسْتَدَّ سَاعِدُهُ رِمَانِي
وَكَمْ عَلَّمْتُهُ نَظْمَ الْقَوَافِي فَلَمَّا قَالَ قَافِيَةً هِجَانِي
أَعْلَمُهُ الْفِتْوَةَ كُلَّ يَوْمٍ فَلَمَّا طَالَ شَارِبُهُ جَفَانِي

وهذا من مصائب العلماء وانعكاس حظوظهم أن يصيروا عند مَنْ
عَلَّمُوهُ مستجهلين ، وعند مَنْ قَدَّمُوهُ مسترذلين ، وقد قال صالح بن
عبد القدوس ^(١) :

وإنَّ عَنَاءَ أَنْ تُعَلِّمَ جَاهِلًا فَيَحْسَبَ جَهْلًا أَنَّهُ مِنْكَ أَفْهَمُ
مَتَى يَبْلُغُ الْبَيَانُ يَوْمًا تَمَامَهُ إِذَا كُنْتَ تَبْنِيهِ وَغَيْرُكَ يَهْدِمُ
مَتَى يَنْتَهِي عَنْ سَيِّئٍ مَنْ أَتَى بِهِ إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنْهُ عَلَيْهِ تَنْدُمُ

وقد رَجَّحَ كَثِيرٌ مِنَ الْحُكَمَاءِ حَقَّ الْعَالَمِ عَلَى حَقِّ الْوَالِدِ ، حَتَّى قَالَ بَعْضُ
شُعَرَاءِهِمْ :

يَا فَاخِرًا لِلسَّفَاهِ بِالسَّلَفِ وَتَارِكًا لِلْعَلَاءِ وَالشَّرَفِ
آبَاءُ أَجْسَادِنَا هُمْ سَبَبُ لِأَنْ جُعِلْنَا عَوَارِضَ التَّلَفِ
مَنْ عَلَّمَ النَّاسَ كَانَ خَيْرَ أَبٍ ذَاكَ أَبُو الرُّوحِ لَا أَبُو النُّطْفِ

ولا ينبغي له : أَنْ يَبْعَثَهُ مَعْرِفَةُ الْحَقِّ لَهُ عَلَى قَبُولِ الشُّبُهَةِ مِنْهُ ، وَلَا يَدْعُوهُ تَرْكُ
الِإِعْنَاتِ لَهُ عَلَى التَّقْلِيدِ فِيمَا أَخَذَ عَنْهُ ؛ فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَا بَعْضُ الْأَتْبَاعِ فِي عَالِمِهِمْ حَتَّى
يُرَوِّا أَنَّ قَوْلَهُ دَلِيلٌ وَإِنْ لَمْ يَسْتَدَلَّ ، وَأَنَّ اعْتِقَادَهُ حُجَّةٌ وَإِنْ لَمْ يَحْتِجْ ، فَيُفْضِي بِهِمْ
الْأَمْرَ إِلَى التَّسْلِيمِ لَهُ فِيمَا أَخَذُوا عَنْهُ ، وَيُؤَوِّلُ بِهِ ذَلِكَ إِلَى التَّقْصِيرِ فِيمَا يَصْدُرُ مِنْهُ ؛
لَأَنَّهُ يَجْتَهِدُ بِحَسَبِ اجْتِهَادِ مَنْ يَأْخُذُ عَنْهُ ؛ فَلَا يَبْعُدُ أَنْ تَبْطُلَ تِلْكَ الْمَقَالَةُ إِنْ
انْفَرَدَتْ ، أَوْ تُخْرَجَ أَهْلُهَا مِنْ عِدَادِ الْعُلَمَاءِ فِيمَا شَارَكَتْ ؛ لَأَنَّهُ قَدْ لَا يَرَى لَهُمْ مَنْ
يَأْخُذُ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَرُونَهُ لِمَنْ أَخَذُوا عَنْهُ ، فَيَطَالِبُهُمْ بِمَا قَصَّرُوا فِيهِ ، فَيُضَعِّفُوا
عَنْ إِثْبَاتِهِ ، وَيَعْجِزُوا عَنْ نَصْرَتِهِ ، فَيَذْهَبُوا ضَائِعِينَ ، وَيَصِيرُوا عَجْزَةً مُضَعُوفِينَ .
ولقد رأيتُ مِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ رَجُلًا يَنْظُرُ فِي مَجْلِسِ حَفْلٍ وَقَدْ اسْتَدَلَّ الْخَصْمُ

(١) الأبيات في « ديوانه » (ص ١١٧) .

عليه بدلالة صحيحة ، فكان جوابه عنها أن قال : هذه دلالة فاسدة ، ووجه فسادها : أن شيخي لم يذكرها ، وما لم يذكره الشيخ . . فلا خير فيه ، فأمسك عنه المستدل تعجباً ؛ لأن شيخه كان محتشماً وقد حضرت طائفة يرون فيه مثل رأي هذا الجاهل ، ثم أقبل المستدل عليّ وقال لي : والله ؛ لقد أفحمني بجهله .

وصار سائر الناس المبرئين من هذه الجهالة من بين مستهزى ومتعجب ، ومستعيد بالله من جهل مغرب ، فهل رأيت كذلك علماً أدخل في الجهل ، أو أدلّ على قلة العقل ؟!

وإذا كان المتعلم معتدلاً الرأي فيمن يأخذ عنه ، متوسط الاعتقاد فيمن يتعلم منه ، حتى لا يحملهُ الإعانات على اعتراض المبكتين ، ولا يبعثه الغلو على تسليم المقلدين . . برىء المتعلم من المذمتين ، وسلم العالم من الهجتين .

وليس كثرة السؤال فيما ألبس إعناتاً ، ولا قبول ما صحّ في النفس تقليداً ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « العلم خزائن ، ومفاتيحه المسألة ، فاسألوا رحمكم الله ، فإنما يُوجَرُ في العلم ثلاثة : القائل ، والمستمع ، والآخذ » (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم : « هلا سألوا إذ لم يعلموا ؛ فإنما شفاء العي السؤال ؟ » (٢) فأمر صلى الله عليه وسلم بالسؤال ، وحث عليه .

ونهى آخرين عن السؤال وزجر عنه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « أنهاكم عن قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال » (٣) .

وقال عليه الصلاة والسلام : « إياكم وكثرة السؤال ؛ فإنما هلك من قبلكم بكثرة السؤال » (٤) .

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٩٢ / ٣) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » (٦١ / ٢) عن سيدنا علي كرم الله وجهه .

(٢) رواه أبو داود (٣٣٧) ، وابن ماجه (٥٧٢) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) رواه البخاري (٦٤٧٣) ، ومسلم (٥٩٣) عن سيدنا المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .

(٤) رواه مسلم (١٣٣٧) ، والترمذي (٢٦٧٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه .

وليس هذا مخالفاً للأول ؛ وإنما أمر بالسؤال مَنْ قصد به عِلْمَ ما جَهِلَ ، ونهى عنه مَنْ قصدَ به إعْثَاتَ ما سَمِعَ ، وإذا كان السؤال في موضعه . . أزال الشكوكَ ، ونفى الشُّبُهَة .

وقد قيل لابن عباس رضي الله عنهما : بِمَ نلتَ هذا العلمَ ؟ فقال : (بلسانِ سؤُولٍ ، وقلبِ عَقُولٍ)^(١) .

وروى نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : « حُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ »^(٢) .

وأنشد المبرّد عن أبي سليمان الغنوي :

[من الكامل]

فَسَلِ الْفَقِيهَ تَكُنْ فَقِيهًا مِثْلَهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ بغيرِ تَدَبُّرٍ
وإذا تَعَسَّرَتِ الْأُمُورُ فَأَرْجِهَا وَعَلَيْكَ بِالْأَمْرِ الَّذِي لَمْ يَعْسُرِ

ولياخذ المتعلِّمُ حَظَّهُ مِمَّنْ وَجَدَ طَلِبَتَهُ عنده من نبيه وخامل ، ولا يطلب الصَّيْتَ وَبُعْدَ الذِّكْرِ بِاتِّبَاعِ أَهْلِ الْمَنَازِلِ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِذَا كَانَ النِّفْعُ بغيرِهِمْ أَعْمَ ، إِلَّا أَنْ يَسْتَوِيَ النِّفْعَانِ ، فَيَكُونُ الْأَخْذُ عَمَّنْ اشتهر ذكرُهُ وارتفع قدرُهُ أَوْلَى ؛ لِأَنَّ الْاِنتِسَابَ إِلَيْهِ أَجْمَلُ ، وَالْأَخْذَ عَنْهُ أَشْهَرُ .

وقد قال الشاعر^(٣) :

[من الطويل]

إِذَا أَنْتَ لَمْ يَشْهَرْكَ عِلْمُكَ لَمْ تَجِدْ لَعَلِمَكَ إِنْسَانًا مِنَ النَّاسِ يَقْبَلُهُ
وَإِنْ صَانَكَ الْعِلْمُ الَّذِي قَدْ حَمَلْتَهُ أَتَاكَ لَهُ مَنْ يَجْتَنِيهِ وَيَحْمِلُهُ

وإذا قُرِبَ مِنْكَ الْعِلْمُ . . فلا تطلب ما بَعُدَ ، وإذا تَسَهَّلَ عَلَيْكَ مِنْ وَجْهِ . . فلا تطلب ما صَعُبَ ، وإذا حَمَدْتَ مَنْ خَبَرْتَهُ . . فلا تطلب مَنْ لَمْ تَخْبِرْهُ ؛ فَإِنَّ الْعُدُولَ عَنِ الْقَرِيبِ إِلَى الْبَعِيدِ عَنَاءٌ ، وَتَرْكُ الْأَسْهَلِ بِالْأَصْعَبِ بِلَاءٌ ، وَالْاِنتِقَالُ عَنِ الْمَخْبُورِ إِلَى غَيْرِهِ خَطَرٌ .

(١) رواه الإمام أحمد ابن حنبل في « فضائل الصحابة » (١٩٠٣) ، والجريري في « الجليس الصالح » (٣٤٨ / ٣) .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦١٤٨) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » (٦٤ / ٢) .

(٣) البيتان لمحمود الوراق في « ديوانه » (ص ١٧٥) .

وقد قال علي بن أبي طالب عليه السلام : (عُقْبَى الْأَخْرَقِ مَضْرَّةٌ ،
وَالْمَتَعَسِّفُ لَا تَدُومُ لَهُ مَسْرَّةٌ)^(١) .

وقال بعض الحكماء : (الْقَصْدُ أَسْهَلُ مِنَ التَّعَسُّفِ ، وَالْكَفُّ أَوْدَعُ مِنَ
التَّكَلُّفِ)^(٢) .

وَرَبَّمَا تَتَبَعْتُ نَفْسَ الْإِنْسَانِ مَنْ بَعْدَ عَنْهُ اسْتِهَانَةً بِمَنْ قَرَبَ مِنْهُ ، وَطَلَبَ
مَا صَعِبَ احْتِقَاراً لِمَا سَهَلَ عَلَيْهِ ، وَانْتَقَلَ إِلَى مَنْ لَمْ يَخْبِرْهُ مَلَأَ لِمَنْ خَبِرَهُ ، فَلَا
يَدْرِكُ مَحْبُوباً ، وَلَا يَظْفَرُ بِطَائِلٍ .

وقد قالت العرب في أمثالها : (إِنَّ الْعَالَمَ كَالْحَمَّةِ ؛ يَأْتِيهَا الْبُعْدَاءُ ، وَيَزْهَدُ
فِيهَا الْقُرَبَاءُ)^(٣) .

وَأُنْشِدُنِي بَعْضَ شَيْوَخِنَا لِمَسِيحِ بْنِ حَاتِمٍ :

[من الخفيف]

لَا تَرَى عَالِماً يُحِلُّ بِقَوْمٍ	فِيحُلُّوهُ غَيْرَ دَارِ الْهَوَانِ
قَلَمًا تُوجَدُ السَّلَامَةُ وَالصَّحْرُ	هُ مَجْمُوعَتَيْنِ فِي إِنْسَانٍ
فَإِذَا حَلَّتَا مَكَاناً سَحِيقاً	فَهُمَا فِي النُّفُوسِ مَعْشُوقَتَانِ
هَذِهِ مَكَّةُ الْمَنِيعَةِ بَيْتُ الدِّ	هِ يَسْعَى لِحَجَّهَا الثَّقَلَانِ
وَتَرَى أَزْهَدَ الْبَرِّيَّةِ فِي الْحَجِّ	لَهَا أَهْلُهَا لِقُرْبِ الْمَكَانِ

(١) ذكره المناوي في « فيض القدير » (٢ / ٥٤٥) .

(٢) أورده في « الموشى » (ص ٢١٤) .

(٣) أورده القاسم بن سلام في « الأمثال » (ص ٢٠٧) ، والحمّة : العين الحارّة يستشفى بها الأعداء
والمرضى .

فأما ما يجب أن يكون عليه العلماء من الأخلاق التي هي بهم أليق ، ولهم الزم . . فالتواضع ، ومجانبة العُجب ؛ لأنَّ التواضع عَطُوفٌ ، والعُجب منقَرٌ ، وهو بكلِّ أحدٍ قبيحٌ ، وبالعلماء أقبحٌ ؛ لأنَّ الناس بهم يقتدون .

وكثيراً ما يتداخلهم الإعجاب ؛ لتوحدهم بفضيلة العلم ، ولو أنهم نظروا حقَّ النظر ، وعملوا بموجب العلم . . لكان التواضع بهم أولى ، ومُجانبة العُجب بهم أحرى ؛ لأنَّ العُجب نقصٌ ينافي الفضلَ ، لا سيَّما مع قول النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ العُجْبَ لَيَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ »^(١) ، فلا يفي ما أدركوا من فضيلة العلم بما لحقهم من نقص العُجب .

وقد روى عبد الله بن عمرو رضي الله تعالى عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قَلِيلُ الفَقْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرِ العِبَادَةِ ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ عِلْماً إِذَا عَبْدَ اللَّهَ تَعَالَى ، وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلاً إِذَا أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ »^(٢) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : (تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، وَتَعَلَّمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ ، وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ ، وَلْيَتَوَاضَعْ لَكُمْ مَنْ تَعَلَّمُونَهُ ، وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ فَلَا يَقُومَ عِلْمُكُمْ بِجَهْلِكُمْ)^(٣) .

وقال بعض السلف : (مَنْ تَكَبَّرَ بِعِلْمِهِ وَتَرَفَّعَ . . وَضَعَهُ اللَّهُ بِهِ ، وَمَنْ تَوَاضَعَ بِعِلْمِهِ . . رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى)^(٤) .

وعلة إعجابهم : انصراف نظرهم إلى كثرة مَنْ دونهم من الجهَّال ، وانحرافُ

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٨٦١) من قول يحيى بن معاذ رحمه الله .

(٢) رواه الطبراني في « الأوسط » (٨٦٩٣) ، والبيهقي في « المدخل » (٤٥٣) .

(٣) رواه أحمد في « الزهد » (٦٣٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٦٥١) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١١٩٧) .

(٤) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٦٦) من قول ابن المعتز .

نظرهم عمّن فوقهم من العلماء ؛ فإنه ليس مُتَنَاهٍ في العلم إلا وسيجد مَنْ هو أعلمُ منه بشيء ؛ إذ العلم أكثرُ من أن يحيط به بشرٌ ، قال الله تعالى : ﴿ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ﴾ يعني : في العلم ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ قال أهل التأويل : (يعني : فوق كلِّ عالمٍ مَنْ هو أعلمُ منه ، حتى ينتهي ذلك إلى الله تعالى) (١) .

وقيل لبعض الحكماء : (مَنْ يعرف كلَّ العلم ؟ قال : كلُّ الناس) (٢) .

وقال الشعبي : (ما رأيتُ مثلي ، وما أشاءُ أن ألقى رجلاً أعلمَ مِنِّي إلا لقيته) (٣) ، ولم يذكر الشعبي هذا القول تفضيلاً لنفسه فيُستقبح منه ، وإنما ذكره تعظيماً للعلم عن أن يُحاط به .

فينبغي لمن علم : أن ينظر إلى نفسه بنقص ما قصر فيه ؛ ليسلم من عُجْب ما أدرك منه ، فقد قيل في منشور الحكم : (إذا علمت . . فلا تفكّر في كثرة مَنْ دونك من الجهّال ؛ ولكن انظر مَنْ فوقك من العلماء) (٤) .

وأنشدتُ لابن العميد (٥) :

مَنْ شَاءَ عَيْشاً حَمِيداً يَسْتَفِيدُ بِهِ فِي دِينِهِ ثُمَّ فِي دُنْيَاهُ إِقْبَالاً
فَلْيَنْظُرَنَّ إِلَى مَنْ فَوْقَهُ أَدْباً وَلْيَنْظُرَنَّ إِلَى مَنْ دُونَهُ مَالاً
وَقَلَّما تجد بالعلم معجباً ، وبما أدركه منه مفتخراً إلا مَنْ كان فيه مُقْلَلاً
ومقْصُراً ؛ لأنّه يجهل قدره ، ويحسب أنّه قد نال بالدخول فيه أكثره ، فأما مَنْ كان
فيه متوجّهاً ، ومنه مستكثراً . . فهو يعلم من بُعد غايته ، والعجز عن إدراك نهايته
ما يصدّه عن العُجْب به .

وقد قال الشعبي : (العلمُ ثلاثة أشبار : فَمَنْ نال منه شبراً . . شمخ بأنفه ،

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٣٥ / ١٣ / ٨) .

(٢) ذكره المناوي في « فيض القدير » (٣٨٧ / ٤) .

(٣) أورده في « عيون الأخبار » (٢٧٥ / ١) ، و« جامع بيان العلم وفضله » (٥٣٤ / ١) .

(٤) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٦٧) ، و« زهر الآداب » (٣٧٥ / ١) من قول ابن المعتز .

(٥) أورد البتيت في « التكملة لكتاب الصلة » (٧٩ / ١) من شعر ابن العميد ، وهما في « ديوان أبي الفتح البستي » (ص ٢٨٤) ، وانظر « بتيمة الدهر » (٣٧٨ / ٤) .

وظنَّ أَنَّهُ ناله ، وَمَنْ نال الشَّبَرَ الثَّانِي . صغرت إليه نفسه ، وعلم أَنَّهُ ما ناله ،
وأما الشَّبَرُ الثالث .. فهيهات ، لا يناله أحد أبداً^(١) .

وممَّا أُنذِرُك به من حالي : أَنِّي صَنَّفْتُ في البيوع كتاباً ، جمعت فيه
ما استطعتُ من كتب الناس ، وأجهدت فيه نفسي ، وكددت فيه خاطري ، حتَّى
إذا تهذَّب واستكمل ، وكدت أُعجِب به ، وتصوَّرت أَنِّي أَشدُّ الناس اضطِلاعاً
بعلمه .. حضرني وأنا في مجلسي أعرابِيَّان ، فسألاني عن بيع عقدها في البداية
على شروطٍ تَضَمَّنَتْ أربع مسائل ، لم أعرف لشيءٍ منها جواباً ، فأطرقتُ مفكِّراً ،
وبحالي وبحالهما معتبراً .

فقالا : ما عندك فيما سألناك جواباً وأنت زعيمُ هذه الجماعة ؟ !
فقلت : لا .

فقالا : إِيهاً لك . وانصرفا .

ثم أتيا مَنْ قد يتقدَّمه في العلم كثيرٌ من أصحابي ، فسألاه فأجابهما مسرعاً بما
أقنعهما ، وانصرفا عنه راضيين بجوابه ، مادحين لعلمه ، فبقيت مرتبكاً وبحالهما
وحالي معتبراً ، وإِنِّي لَعَلِّي ما كنت عليه في تلك المسائل إلى وقتي .
فكان ذلك زاجر نصيحة ، ونذير عظة ، تدلُّ لهما قياد النفس ، وانخفاض
بهما جناح العُجب ؛ توفيقاً مُنحتة ، ورشداً أُوتيته ، وحقٌّ على مَنْ ترك العُجب
بما يُحسن أن يدع التكلُّفَ لما لا يحسن ، فقديماً نُهي الناس عنهما ، واستعاذوا
باللَّهِ منهما .

ومن أوضح ذلك بياناً : استعاذة الجاحظ في كتاب « البيان » حيث يقول :
(اللهم ؛ إِنَّا نعوذ بك من فتنة القول ؛ كما نعوذ بك من فتنة العمل ، ونعوذ بك
من التكلُّف لما لا نحسن ؛ كما نعوذ بك من العجب بما نُحسن ، ونعوذ بك من
شرِّ السَّلاطة والهدَر ؛ كما نعوذ بك من شرِّ العِيِّ والحَصَر)^(٢) .

(١) ذكره المناوي في « فيض القدير » (٣٨٧ / ٤) .

(٢) البيان والتبيين (٣ / ١) ، والسلاطة : حدة اللسان ، والهدر : كثرة الكلام من غير فائدة .

ونحن نستعِذ باللهَ مثْلَ استعاذته ؛ فليس لِمَنْ تكلّف ما لا يُحسن غايةً ينتهي إليها ، ولا حدٌّ يقفُ عنده ، ومَنْ كان تكلّفه غير محدود . . فأخلِقْ به أَنْ يضلَّ وَأَنْ يضلَّ !!

وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال : « مَنْ سُئِلَ فَأَفْتِيَ بغير علم . . فقد ضلَّ وأضلَّ »^(١) .

وقال بعض الحكماء : (من العلم ألاّ تتكلّم فيما لا تعلم بكلام مَنْ يعلم ، فحسبك خجلاً من عقلك أَنْ تنطقَ بما لا تفهم) .

ولقد أحسن زيادة بن زيد حيث يقول^(٢) :

إذا ما انتهى عِلْمِي تناهيتُ عندهُ أطالَ فأملَى أو تناهَى فأقصرَا
ويُخبرُنِي عن غائبِ المرءِ فعلُهُ كفى الفعلُ عَمَّا غيَّبَ المرءُ مُخبرَا

وإذا لم يكن إلى الإحاطة بالعلم كلّ سبيلٍ . . فلا عارَ أَنْ يجهل بعضه ، وإذا لم يكن في جهل بعضه عارٌ . . لم يقبح به أَنْ يقول : (لا أعلم) فيما ليس يعلم .

وقد روي أَنَّ رجلاً قال : يا رسول الله ؛ أيُّ البقاعِ خيرٌ ، وأيُّ البقاعِ شرٌّ ؟ فقال : « لا أدري حتّى أسألَ جبريلَ »^(٣) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (وا بَرَدَها على القلب !! إذا سُئِلَ أحدكم عَمَّا لا يعلم أَنْ يقول : الله أعلم)^(٤) فَإِنَّ العالَمَ مَنْ عرفَ أَنَّ ما يعلم فيما لا يعلم قليلٌ .

(١) رواه البخاري (١٠٠) ، ومسلم (٢٦٧٣) عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما .

(٢) البيتان في « خزنة الأدب » (١٧٤ / ١١) ، والأول في « كتاب سيبويه » (١٨٥ / ٣) ، وفي النسخ : (زرارَة بن زيد) .

(٣) رواه ابن حبان في « صحيحه » (١٥٩٩) ، والحاكم في « المستدرک » (٨ / ٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٤) رواه الدارمي في « مسنده » (١٨١) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » (٣٦٢ / ٢) .

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (إذا ترك العالم قولاً :
« لا أدري » .. أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ)^(١) .

وقال بعض العلماء : (هلك مَنْ « لا أدري » ترك) .

وقال بعض الحكماء : (ليس لي من فضيلة العلم إلا علمي بأن لستُ
أعلم)^(٢) .

وقال آخر : (لولا أَنَّ [في] قولي : « لا أعلم » تثبيتاً لَأَنْ أعلم .. لقلتُ :
« لا أعلم »)^(٣) .

وقال بعض البلغاء : (مَنْ قال : « لا أدري » .. عُلِّمَ فِدْرِي ، وَمَنْ انتحل
ما لا يدري .. أَهْمِلَ فَهْوِي) .

ولا ينبغي - وإن صار في طبقة العلماء الأفاضل - أن يستنكف من تعلُّم ما ليس
عنده ؛ ليسلِّمَ من التكلُّف له ، فقد قال عيسى ابن مريم عليه السلام : (يا صاحبَ
العلم ؛ تعلِّم من العلم ما جهلت ، وعلم الجَهَّال ما علمت)^(٤) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (خمسٌ خُذوهنَّ عَنِّي ، فلو ركبتم
فيهنَّ الفُلْكَ .. ما وجدتموهنَّ إلا عندي : ألا لا يرجُونَ أحداً إلا ربَّه ، ولا يخافَنَّ
إلا ذنبه ، ولا يستنكفنَّ أن يتعلَّم ما ليس عنده ، وإذا سُئِلَ عمَّا لا يعلم .. فليقل :
« لا أعلم » ، ومنزلة الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد)^(٥) .

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (لو كان أحدٌ مكتفياً من العلم ..

(١) رواه البيهقي في « المدخل إلى السنن الكبرى » (٨١٣) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه »
(٣٦٦ / ٢) .

(٢) أورده في « عيون الأخبار » (١٢٦ / ٢) ، و « المجالسة وجواهر العلم » (١٨٨٠) .

(٣) أورده في « عيون الأخبار » (١٢٦ / ٢) ، و « البصائر والذخائر » (٨٧ / ٩) من قول أفلاطون .

(٤) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٨ / ٦٨) .

(٥) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٦٤٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥١٠ / ٤٢) ، ولا
يستنكف : لا يستكبر .

لاكتفى منه موسى عليه السلام لما قال : ﴿ هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلَمَ مِنْ مِمَّا عُلِّمَتْ رُشْدًا ﴾ (١) .

وقيل للخليل بن أحمد رحمه الله تعالى : (بِمَ أدركتَ هذا العلم ؟ قال : كنت إذا لقيتُ عالماً . أخذتُ منه ، وأعطيتُهُ) (٢) .

وقال بُزْجُمَهْرَ : (من العلم : ألا تحقر شيئاً من العلم ، ومن العلم : تفضيل جميع العلم) .

وقال المنصور لشريك : (أَتَيْتُ لك هذا العلم ؟ قال : لم أرغب عن قليل أستفيده ، ولم أبخل بكثير أفيده) (٣) .

على أن العلم يقتضي ما بقي منه ، ويستدعي ما تأخر عنه ، وليس للراغب فيه قناعة ببعضه .

وروى عون بن عبد الله ، عن عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أنه قال : (منهومان لا يشبعان : طالب علم ، وطالب دنيا ؛ أما طالب العلم . . فإنه يزداد للرحمن رضا ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ، وأما طالب الدنيا . . فإنه يزداد طغياناً ، ثم قرأ : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاطِفٌ ﴾) (٤) .

وليكن مستقلاً للفضيلة منه ليزداد منها ، ومستكثراً للنقيصة فيه لينتهي عنها ، ولا يقنع في العلم بما أدرك منه ؛ لأن القناعة فيه زهد ، والزهد فيه ترك ، والترك له جهل .

وقد قال بعض الحكماء : (عليك بالعلم والإكثار منه ؛ فإن قليله أشبه شيء بقليل الخير ، وكثيره أشبه شيء بكثيره ، ولن يعيب الخير إلا القلة ، فأما كثرته . . فإنها أمانة) .

(١) أورده ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٤١٩/١) من قول قتادة .

(٢) أورده في « الموشى » (ص ١٢) ، و « ربيع الأبرار » (١٠٣/٤) .

(٣) أورده في « البصائر والذخائر » (٣٠/٥) .

(٤) رواه الدارمي في « مسنده » (٣٤٤) ، والآجري في « أخلاق العلماء » (ص ٦٨) ، وقوله : (منهومان

لا يشبعان . . دنيا) رواه الحاكم في « المستدرک » (٩٢/١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٧٩٨) عن أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً .

وقال بعض البلغاء : (من فضل علمك استقلالك لعلمك ، ومن كمال عقلك استظهارك على عقلك) .

ولا ينبغي أن يجهل من نفسه مبلغ علمها ، ولا أن يتجاوز بها قدر حقها ، ولأن يكون بها مقصراً فيذعن بالانقياد . . أولى من أن يكون بها مُجاوزاً فيكف عن الازدياد ؛ لأنَّ مَنْ جهل حال نفسه . . كان لغيرها أجهل .

وقد قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : يا رسول الله ؛ متى يعرف الإنسان ربّه ؟ فقال : « إذا عرف نفسه » (١) .

وقد قسم الخليل بن أحمد أحوال الناس فيما علموه وجهلوه أربعة أقسام متقابلة لا يخلو حال الإنسان منها ، فقال : (الرجال أربعة : رجلٌ يدرِي ويدري أنّه يدرِي ، فذاك عالمٌ فاسألوه ، ورجلٌ يدرِي ولا يدرِي أنّه يدرِي ، فذاك ناسٍ فذكّروه ، ورجلٌ لا يدرِي ويدري أنّه لا يدرِي ، فذاك مسترشدٌ فعلمّوه - وفي رواية أخرى : فذلك لا عالم يُسأل ، ولا جاهل يُرفض - ورجلٌ لا يدرِي ولا يدرِي أنّه لا يدرِي ، فذاك جاهلٌ فارفضوه) (٢) .

وأشد أبو القاسم الآمدي (٣) :

[من الطويل]

إذا كنت لا تدري ولم تك بالذي	تسائل من يدرِي فكيف إذا تدري
جهلت ولم تعلم بأنك جاهلٌ	فمن لي بأن تدري بأنك لا تدري
إذا جئت في كل الأمور بغمة	فكن هكذا أرضاً يطأك الذي يدرِي
ومن أعجب الأشياء أنك لا تدري	وأنت لا تدري بأنك لا تدري

(١) ليس بحديث ؛ وإنما هو لفظ محكي عن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى . انظر « قواطع الأدلة » (٢/٦٠) ، « المسائل المثورة » (ص ٢٤٨) .

(٢) أورده في « عيون الأخبار » (١٢٦/٢) ، و« المجلس الصالح » (٣/١٥٠) ، وأخرجه بسنده في « تهذيب الكمال » (٣٢٨/٨) .

(٣) هو الحسن بن بشر بن يحيى المتوفى (٣٧٠هـ) ، صاحب « المؤلف والمختلف » ، والبيتان الأولان للخليل بن أحمد في « ديوانه » (ص ١٠) .

وليكن من شيمته العملُ بعلمه ، وحثُّ النفس على أن تأتمر بما يأمر به ، ولا يكن ممن قال الله تعالى فيه : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ﴾ ، وقد قال قتادة في قول الله تعالى : ﴿ وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ ﴾ : (يعني : إنه لعاملٌ بما علم)^(١) .

وروي أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : « ويلٌ لأقماع القول ، ويلٌ للمُصْرِّين »^(٢) يريد : الذين يستمعون القول ولا يعملون به .

وروى عبد الله بن وهب عن سفيان : أنَّ الخضر قال لموسى عليهما السلام : (يا بنَ عمران ؛ تعلِّم العلمَ لتعملَ به ، ولا تتعلَّمه لتحدِّثَ به ؛ فيكونَ عليك بُورُهُ ، ولغيرك نورُهُ)^(٣) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (إنما زهد الناسُ في طلب العلم ؛ لما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم)^(٤) .

وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه : (أخوفُ ما أخاف إذا وقفتُ بين يدي الله تعالى أن يقول : قد علمتَ ، فماذا عملتَ إذ علمتَ ؟)^(٥) .

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٢١ / ١٣ / ٨) ، والبخاري في « صحيحه » (كتاب تفسير القرآن - سورة يوسف ٧٦ / ٦) معلقاً .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٨٤٤) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٣٨٠) عن سيدنا عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، وأقماع القول - جمع قمع - : الإناء الذي يُجعل في رأس الظرف ليملاً بالمائع ؛ فقد شبه استماع من لا يعي ولا يعمل به بالأقماع التي لا تعي شيئاً مما يفرغ فيها .

(٣) رواه الخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (١٤١ / ١) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٩٠٨) من حديث سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، عليك بوره - بضم الباء - مصدر يستوي فيه الجمع والمفرد ، والمذكر والمؤنث ، ومعناه : الهلاك والفساد ، والأرض البور : الأرض الميتة التي لا شيء فيها .

(٤) أورده الخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٦٣٠ / ١) ، ورواه في « الجامع » (٤٠٢ / ١) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٤٩٢) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٥) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٧٤١) ، والبيهقي في « المدخل إلى السنن الكبرى » (٥٧ / ٢) .

وكان يقال : (خيرٌ من القول فاعله ، وخيرٌ من الصواب قائله ، وخيرٌ من العلم حامله)^(١) .

وقيل في منشور الحكم : (لم ينتفع بعلمه مَنْ ترك العمل به) .

وقال بعض العلماء : (ثمرة العلم العمل به ، وثمره العمل به أن يُوجَرَ عليه)^(٢) .

وقال بعض الصلحاء : (العلمُ يهتف بالعمل ؛ فإن أجابه ، وإلا .. ارتحل)^(٣) .

وقال بعض الحكماء : (خيرُ العلم ما نفع ، وخيرُ القول ما ردع)^(٤) .

وقال بعض الأدباء : (ثمرة العلوم العمل بالمعلوم)^(٥) .

وقال بعض البلغاء : (من تمام العلم استعماله ، ومن تمام العمل استقلاله ، فمن استعمل علمه .. لم يخلُ من رشاد ، ومن استقلَّ عمله .. لم يقصر عن مراد) .

وقال أبو تمام الطائي^(٦) :

ولم يَحْمَدُوا من عالمٍ غيرِ عاملٍ خلافاً ولا من عاملٍ غيرِ عالمٍ
رأوا طُرُقَاتِ المجدِ عُوْجاً قطيعةً وأقطعَ عجزِ عندهم عجزُ حازمٍ
ولأنَّه لما كان علمه حجةً على مَنْ أخذه عنه واقتبس منه ، حتى يلزمه العمل به
والمصيرُ إليه .. كان عليه أحجُّ ، وله ألزمٌ ؛ لأنَّ مرتبة العمل قبل مرتبة القول ،
كما أنَّ مرتبة العلم قبل مرتبة العمل .

(١) أورده في « التذكرة الحمدونية » (٢٧٦/١) من قول محمد بن علي بن موسى بنحوه .

(٢) أورده في « يتيمة الدهر » (٢٢٦/٤) من قول أبي بكر الخوارزمي بنحوه .

(٣) أورده في « عيون الأخبار » (١٢٥/٢) من قول سفيان الثوري رحمه الله .

(٤) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٤٥٢) من قول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بنحوه .

(٥) أورده في « المستطرف » (٨٦/١) .

(٦) البيتان في « ديوانه » بشرح التبريزي (٢٥٩/٣) .

وقد قال أبو العتاهية^(١) :

[من مجزوء الكامل]

اسْمَعْ إِلَى الْأَحْكَامِ تَحْ جِلْهَا الرُّوَاهُ إِلَيْكَ عِنَّا
وَعَلِمَ هُدَيْتَ بَأْنَهَا حَجَجْتُ تَكْرُّ إِلَيْكَ مِنَّا

ثم ليجتنب أن يقول ما لا يفعل ، أو يأمر بما لا يأتمر ، وأن يُسرَّ غير ما يظهر ، ولا يجعل قول الشاعر^(٢) :

[من البسيط]

اعْمَلْ بِقَوْلِي وَإِنْ قَصَرْتُ فِي عَمَلِي يَنْفَعُكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

عذراً له في تقصير يضره وإن لم يضر غيره ؛ فإن أَعذار النفس تغريها ، وتحسن لها مساوئها ، وإنَّ مَنْ قال ما لا يفعل .. فقد مَكَر ، ومَنْ أمر بما لا يأتمر .. فقد خَدَعَ ، ومَنْ أَسَرَ غير ما يُظهر .. فقد نافق .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المَكْرُ والخديعةُ وصاحباهما في النار »^(٣) .

على أن أمره بما لا يأتمر به مُطَرَّحٌ ، وإنكاره ما لا ينكره من نفسه مُسْتَقْبَحٌ ، بل ربّما كان ذلك سبباً لإغراء المأمور بترك ما أمر به عناداً ، وارتكاب ما نُهي عنه كياداً .

حكى : أن أعرابياً أتى ابنَ أبي ذئبٍ فسأله عن مسألة طلاق ، فأفتاه بطلاق زوجته ، فقال : انظر حسناً ، قال : قد نظرتُ ، وقد بانَتْ منك ، فولّى الأعرابيُّ وهو يقول^(٤) :

[من الطويل]

أَتَيْتُ ابْنَ ذَيْبٍ أَبْتَغِي الْفَقَةَ عِنْدَهُ فَطَلَّقَ حَبِيَّ الْبَتِّ بَتَّتْ أُنَامِلُهُ
أُطَلِّقُ فِي فِتْيَا ابْنِ ذَيْبٍ حَلِيلَتِي وَعِنْدَ ابْنِ ذَيْبٍ أَهْلُهُ وَحَلَائِلُهُ

فظنَّ بجعله : أنه لا يلزمه الطلاق بقول مَنْ لم يلتزم الطلاق ، فما ظنُّكَ بقول

(١) البيتان في « ديوانه » (ص ٥٩٣) .

(٢) البيت للخليل بن أحمد في « ديوانه » (ص ١١) .

(٣) رواه بنحوه الحاكم في « المستدرک » (٦٠٧/٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٨٨٧) عن سيدنا قيس بن سعد رضي الله عنه .

(٤) أورد القصة مع البيتين في « محاضرات الأدباء » (٤٣٨/٣) .

يجب اشتراك الأمر والمأمور فيه ، كيف يكون مقبولا منه وهو غير عامل به ، ولا قابل له ؟ كلا .

وقد قال أحمد بن يوسف^(١) :

وعاملٍ بالفجور يأمرُ بالـ
أو كطبيبٍ قد شَفَّه سَقَمُ
يا واعظُ الناسِ غيرَ متَّعِظٍ
ثوبَكَ طَهَّرَ أو لا فلا تَلَمِ
بِرَّ كهادٍ يخوضُ في الظُّلَمِ
وهو يُداوي من ذلك السَّقَمِ

وقال آخر :

عَوِّذُ لسانِكَ قَلَّةَ اللفظِ
إِيَّاكَ أن تعَظَ الرجالَ وقد
واحفظُ كلامَكَ أيما حفظِ
أصبحتَ مُحتاجاً إلى الوعظِ

فأما الانقطاع عن العلم إلى العمل ، أو الانقطاع عن العمل إلى العلم إذا عمل بموجب العلم . . فقد حُكي عن الزهري فيه ما يغني عن تكلف غيره ؛ وهو أنه قال : (العلم أفضل من العمل به لمن جهل ، والعمل أفضل من العلم لمن علم)^(٢) .

فأما فضل ما بين العلم والعبادة إذا لم يخل بواجب ، ولم يقصر في فرض . . فقد روى جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يُبْعَثُ الْعَالِمُ وَالْعَابِدُ ، فيقال للعايد : ادخل الجنة ، ويقال للعالم : ائْتِدُ حَتَّى تَشْفَعَ لِلنَّاسِ »^(٣) .

ومن آداب العلماء : ألا ييخلوا بتعليم ما يُحسنون ، ولا يمتنعوا من إفادة ما يعلمون ؛ فإنَّ البخل به لؤمٌ وظلم ، والمنع منه حسدٌ وإثم ، وكيف يسوغ لهم

(١) الأبيات في « الأغاني » (٩٢٦٧ / ٢٧) ، و « زهر الآداب » (٤٣٩ / ١) .

(٢) رواه البيهقي في « المدخل إلى السنن الكبرى » (٤٣ / ٢) ، والعلم فرض عين وفرض كفاية ، ومستحب وفضيلة ، وكذلك الأعمال ، فالعلم الذي هو فرض عين أفضل من العمل الذي هو فرض عين ، وذلك العمل أفضل لمن علم مما هو فرض على الكفاية من العلم ؛ وإلا . . لزم تفضيل الشيء على نفسه ، وهكذا ؛ أي : ما هو كفاية من العلم أفضل من كفاية العمل ، ومستحب من مستحبه .

(٣) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٥٨٨) ، وائْتِدُ : تَأَنَّنْ واثْبَت .

البخل بما مُنحوه جوداً من غير بخل ، وأوتوه عفواً من غير بذل ؟

أم كيف يجوز لهم الشُّح بما إن بذلوه . . زاد ونما ، وإن كتموه . . تناقص ووهى ؟ ولو استنَّ بذلك مَنْ تقدَّمهم . . لما وصل العلم إليهم ، ولانقرض عنهم بانقراضهم ، ولصاروا على مرور الأيام جهَّالاً ، وبتقلُّب الأحوال وتناقضها أرذالاً ؛ وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ .

وروي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تمنعوا العلمَ أهله ؛ فإنَّ في ذلك فساد دينكم ، والتباس بصائركم » ، ثم قرأ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴾ .
وروي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ كتم علماً يُحسِّنه . . ألجمه الله يوم القيامة بلجامٍ من نارٍ »^(١) .

ورُوي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : (ما أخذ الله تعالى العهدَ على أهل الجهل أن يتعلَّموا ؛ حتى أخذ العهدَ على أهل العلم أن يُعلِّموا)^(٢) .
وقال بعض الحكماء : (إذا كان من قواعد الحكمة : بذلُ ما ينقصه البذلُ . . فأحرى أن يكون من قواعدها : بذلُ ما يزيده البذلُ) .
وقال بعض العلماء : (كما أنَّ الاستفادة نافلةٌ للمتعلم ؛ كذلك الإفادة فريضةٌ على المعلم) .

وقد قيل في منشور الحكم : (مَنْ كتم علماً . . فكأنه جاهلٌ به)^(٣) .
وقال خالد بن صفوان : (إِنِّي لأفرحُ بإفادتي المتعلِّمَ أكثرَ من فرحي باستفادتي من المعلم) .

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٩٥) ، وأبو داود (٣٦٥٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه الجريدي في « الجليس الصالح » (٨٠ / ٢) ، وانظر « شرح نهج البلاغة » (٢٤٧ / ٢٠) .

(٣) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٦٦) ، و « زهر الآداب » (٣٧٤ / ١) .

ثمَّ له بالتعليم نفعان :

أحدهما : ما يرجوه من ثواب الله تعالى ؛ فقد جعل النبيُّ صلى الله عليه وسلم التعليمَ صدقةً فقال صلى الله عليه وسلم : « تصدَّقوا على أخيكُم بعلمٍ يرشده ، ورأي يسدُّه » .

وروى ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « تعلَّموا وعلمُّوا ؛ فإنَّ أجَرَ العالم والمتعلِّم سواءٌ » قيل : وما أجرهما ؟ قال : « مئةٌ مغفرةٍ ، ومئةٌ درجةٍ في الجنة » .

والنفع الثاني : زيادة العلم ، وإتقان الحفظ ؛ فقد قال الخليل بن أحمد : (اجعل تعليمك دراسةً لعلمك ، واجعل مناظرة المتعلِّم تنبيهاً على ما ليس عندك)^(١) .

وقال ابن المعتز في منشور الحكم : (النار لا ينقصها ما أخذ منها ، ولكن يخمدها ألا تجدَ حطباً ؛ كذلك العلم لا يفنيه الاقتباسُ ، ولكنْ فقدُ الحاملين له سببٌ عُدْمه)^(٢) .

فإياك والبخل بما تعلمه ، وقال بعض العلماء : (علِّمْ علمك ، وتعلِّمْ علمَ غيرك ؛ فإذا أنت قد علمت ما جهلت ، وحفظت ما علمت)^(٣) .

واعلم أنَّ المتعلِّمين ضربان : مستدعي ، وطالبٌ .

فأمَّا المستدعي إلى العلم : فهو من استدعاه العالم إلى التعليم ؛ لما ظهر له من جودة ذكائه ، وبأن له من قوة خاطره ، فإذا وافق استدعاء العالم شهوة المتعلِّم .. كانت نتيجتُها دَرْكُ التَّجَبُّاء ، وظفر السُّعداء ؛ لأنَّ العالم باستدعائه متوفِّر ، والمتعلِّم بشهوته مستكثِر .

(١) أورده في « البيان والتبيين » (٢٧٤ / ١) .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٦٧) ، و « زهر الآداب » (٣٧٥ / ١) .

(٣) أورده في « البيان والتبيين » (٢٧٤ / ١) ، و « العقد الفريد » (٢١٧ / ٢) .

وأما الطالب للعلم : لداعٍ يدعوهُ وباعثٍ يحدههُ :

فإن كان الداعي دينياً ، وكان المتعلِّم فطناً ذكياً . . وجب على العالم أن يكون عليه مُقبلاً ، وعلى تعليمه متوفراً ، لا يخفي عليه مكنوناً ، ولا يطوي عنه مخزوناً .

وإن كان بليداً بعيد الفطنة . . فينبغي ألا يُمنع من اليسير فيُحرَم ، ولا يُحمَلَ عليه بالكثير فيُظلم ، ولا تُجعل بلادته ذريعةً لحرمانه ؛ فإن الشهوة باعثة ، والصبر مؤثِّر ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تمنعوا العلم أهله فتظلموا ، ولا تضعوه في غير أهله فتأثموا »^(١) .

وقال بعض الحكماء : (لا تمنعوا العلم أحداً ؛ فإن العلم أمتع لجانبه) .

فأما إن لم يكن الداعي دينياً . . نُظر فيه :

فإن كان مباحاً ؛ كرجلٍ دعاه إلى طلب العلم حبُّ النباهة ، وطلبُ الرياسة . . فالقول فيه يقارب القول في تعليم مَنْ قبل ؛ لأنَّ العلم يعطفه إلى الدين في ثاني الحال وإن لم يكن مبتدئاً به في أول حال .

وقد حكى عن سفيان الثوري أنه قال : (تعلَّمنا العلم لغير الله ، فأبى أن يكون إلا لله)^(٢) .

وقال عبد الله بن المبارك : (طلبنا العلم للدنيا ، فدلَّنا على ترك الدنيا)^(٣) .

وإن كان الداعي محظوراً ؛ كرجلٍ دعاه إلى طلب العلم شرّاً كامن ، ومكرّاً باطن ، يريد أن يستعملهما في شُبهِ دينية ، وحيلٍ فقهية ، لا يجد أهل السلامة منهما مخلصاً ، ولا عنهما مدفعاً ؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أهلكُ

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٦٣٠) ، والدارمي في « مسنده » (٣٩٠) من قول كثير بن مرة الحضرمي رحمه الله تعالى .

(٢) رواه في « جامع بيان العلم وفضله » (٧٥٠ / ١) بلفظ : (كنّا نطلب العلم للدنيا ، فجرّنا إلى الآخرة) . ولفظ المصنف رواه البيهقي في « المدخل إلى السنن الكبرى » (٧٦ / ٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١٧ / ٥٩) من قول معمر بن راشد رحمه الله تعالى .

(٣) ذكره ابن خلكان في « وفيات الأعيان » (٣٤ / ٣) .

أَمَّتِي رَجُلَانِ : عَالِمٌ فَاجِرٌ ، وَجَاهِلٌ مُتَعَبِّدٌ ^(١) ، وَقِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أَيُّ النَّاسِ شَرٌّ ؟ فَقَالَ : « الْعُلَمَاءُ إِذَا فَسَدُوا » ^(٢) . . فَيَنْبَغِي لِلْعَالِمِ : إِذَا رَأَى مَنْ هَلْكَ حَالُهُ . . أَنْ يَمْنَعَهُ مِنْ طَلِبَتِهِ ، وَيَصْرِفَهُ عَنْ بَغْيَتِهِ ، وَلَا يَعِينَهُ عَلَى إِمْضَاءِ مَكْرِهِ ، وَإِعْمَالِ شَرِّهِ ؛ فَقَدْ رَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « وَاضِعُ الْعِلْمِ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الْخَنَازِيرِ اللَّوْلُؤُ وَالْجَوْهَرِ وَالذَّهَبِ » ^(٣) .

وَقَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (لَا تَقْلُدُوا اللَّوْلُؤَ لِلْخَنَزِيرِ ؛ فَالْعِلْمُ أَفْضَلُ مِنَ اللَّوْلُؤِ ، وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ شَرٌّ مِنَ الْخَنَزِيرِ) ^(٤) .

وَحَكِي : أَنْ تَلْمِيزَ سَأَلَ عَالِمًا عَنْ بَعْضِ الْعُلُومِ فَلَمْ يُفِذْهُ ، فَقِيلَ لَهُ : (لَمْ مَنَعْتَهُ ؟) فَقَالَ : لِكُلِّ تَرْبَةٍ غَرَسْتُ ، وَلِكُلِّ بِنَاءٍ أُسِّسْتُ ^(٥) .

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ : (لِكُلِّ ثَوْبٍ لَا بَسَّ ، وَلِكُلِّ عِلْمٍ قَابَسٌ) ^(٦) .

وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : (اِزْثِ لِرَوْضَةٍ تَوَسَّطَهَا خَنَزِيرٌ ، وَابْنُكَ لِعِلْمٍ حَوَاهِ شَرِيرٌ) ^(٧) .

وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ لِلْعَالِمِ فِرَاسَةٌ يَتَوَسَّمُ بِهَا الْمُتَعَلِّمُ ؛ لِيَعْرِفَ بِهَا مَبْلَغَ طَاقَتِهِ ، وَقَدَرَ اسْتِحْقَاقِهِ ؛ لِيُعْطِيَهُ قَدْرَ مَا يَحْتَمِلُهُ بِذَكَائِهِ ، أَوْ لَا يَضْعَفُ عَنْهُ بِيْلَادَتُهُ ؛ فَإِنَّهُ أَرْوَحُ لِلْعَالِمِ ، وَأَنْجَحُ لِلْمُتَعَلِّمِ .

وَقَدْ رَوَى ثَابِتٌ ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ اللَّهَ عِبَادًا يَعْرِفُونَ النَّاسَ بِالتَّوَسُّمِ » ^(٨) .

(١) أوردته ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (١ / ٦٦٦) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦ / ٧) من قول سفيان الثوري رحمه الله تعالى ، و « جامع بيان العلم وفضله » (١ / ٦٦٩) مرفوعاً مرسلأ .

(٣) رواه ابن ماجه (٢٢٤) .

(٤) رواه الإمام أحمد ابن حنبل في « الزهد » (٤٧٩) .

(٥) أوردته في « محاضرات الأدباء » (٩٢ / ١) من قول أفلاطون .

(٦) أورد أوله الديرقي في « حياة الحيوان الكبير » (٦٧٢ / ٣) من كلام الجاحظ .

(٧) ذكره في « فتح المغيث » (٢٢٧ / ٣) ، لكن بلفظ : (ارث لرومية) .

(٨) رواه الشهاب القضاقي في « مسنده » (١٠٠٥) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٩٣٥) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (إذا أنا لم أعلم ما لم أر . فلا علمتُ ما رأيْتُ !!)^(١) .

وقال عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى عنه : (لا عاش بخيرٍ مَنْ لم يرَ برأيه ما لم يرَ بعينه)^(٢) .

وقال ابن الرومي^(٣) :

أَلْمَعْيِيُّ يَرَى بِأَوَّلِ رَأْيٍ أَخِرَ الْأَمْرِ مِنْ وَرَاءِ الْمَغِيبِ
لَوْ ذَعِيَ لَهُ فَوَادٌّ ذَكِيٌّ مَا لَهُ فِي ذِكَاثِهِ مِنْ ضَرِيبِ
لَا يُرَوِّي وَلَا يُقْلِبُ طَرْفًا وَأَكْفُ الرِّجَالِ فِي تَقْلِيبِ

وإذا كان العالم في توهم المتعلمين بهذه الصفة ، وكان بقدر استحقاقهم خبيراً . لم يضع له عناءً ، ولم يخب على يده صاحبٌ ، وإن لم يتوهمهم وخفيت عليه أحوالهم ومبلغ استحقاقهم . كانوا وإياه في عناءٍ مُكْدٍ ، وتعبٍ غير مُجْدٍ ؛ لأنه لا يعدم أن يكون فيهم ذكيٌّ يحتاج إلى الزيادة ، وبليدٌ يحتاج إلى القليل ، فيضجر الذكيُّ ، ويعجز البليدُ ، ومن تردَّد أصحابه بين ضجرٍ وعجزٍ . ملَّوه وملَّهم .

وقد روى عبد الله بن وهب ، عن سفيان ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « قال الخضر لموسى عليهما السلام : يا طالب العلم ؛ إنَّ القائل أقلُّ ملالةٍ من المستمع ، فلا تملَّ جُلُساءَكَ إذا حدَّثتهم ، يا موسى ؛ واعلم أنَّ قلبك وعاءٌ ، فانظر ما تحشو في وعائك »^(٤) .

وقال بعض الحكماء : (خيرُ العلماء : مَنْ لَا يُقِلُّ وَلَا يُمِلُّ) .

وقال بعض العلماء : (كُلُّ عِلْمٍ كَثُرَ عَلَى السَّمْعِ وَلَمْ يَطَاوِعْهُ الْفَهْمُ . ازداد به

(١) أورده ابن المعتز في « البديع » (ص ٣٧) .

(٢) رواه أبو بكر الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٦٠٠) ، و« عيون الأخبار » (٣٤ / ١) .

(٣) الأبيات في « ديوانه » (١٤٢ / ١) .

(٤) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٩٠٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١٤ / ١٦) ؛

لكن الحديث فيهما عن سيدنا عمر رضي الله عنه .

القلب عمى ، وإنما ينفع السمع في الآذان . . إذا قوي فهمُ القلوب في الأبدان) .

وربّما كان لبعض السلاطين رغبة في العلم ؛ لفضيلة نفسه ، وكرم طبعه ، فلا يجعل ذلك ذريعة في الانبساط عنده والإدلال عليه ، بل يعطيه ما يستحقّه بسلطانه وعلوّ يده ؛ فإنّ للسلطان حقّ الطاعة والإعظام ، وللعالم حقّ القبول والإكرام .

ثم لا ينبغي أن يبتدئه إلا بعد الاستدعاء ، ولا يزيده على قدر الاكتفاء ؛ فربّما أحبّ بعض العلماء إظهار علمه للسلطان فأكثر ، فصار ذلك ذريعة إلى مله ، ومفضياً إلى بعده ؛ لأنّ السلطان متقسّم الأفكار ، مستوعب الزمان ، وليس له في العلم فراغ المنقطعين إليه ، ولا صبر المنفردين به .

وقد حكى عن الأصمعي قال : (قال لي الرشيد : يا عبد الملك ؛ أنت أعلم منا ، ونحن أ عقل منك ؛ لا تعلّمنا في ملأ ، ولا تسرع إلى تذكيرنا في خلاء ، واتركنا حتى نبتدئك بالسؤال ، فإذا بلغت من الجواب حسب الاستحقاق . . فلا تزد إلا أن نستدعي ذلك منك)^(١) .

انظر إلى ما ألطف في التأديب ، وأنصف في التعليم ، وبلغ بأوجز لفظ غاية التقويم !!

وليخرج تعليمه مُخرج المذاكرة والمحاضرة ، لا مُخرج التعليم والإفادة ؛ لأنّ لتأخير التعلّم خجلة تقصير يجعل السلطان عنها ؛ فإن ظهر منه خطأ أو زلل في قول أو عمل . . لم يجاهره بالردّ عليه ، وعرض باستدراك زلله ، وإصلاح خلله .

حكى : أن عبد الملك بن مروان قال للشعبي : (كم عطاءك ؟ قال : ألفين ، قال : لحت !! قال : لمّا ترك أمير المؤمنين الإعراب . . كرهت أن أعرب كلامي عليه)^(٢) .

ثم ليحذر اتباعه فيما يجانب الدّين ، ويضادّ الحقّ ؛ موافقةً لرأيه ، ومتابعةً

(١) أوردته في « التذكرة الحمدونية » (٣٥٣ / ١) ، و « نثر الدر » (١٠٣ / ٣) .

(٢) أوردته في « العقد الفريد » (١٢٥ / ٢) ، و « مرآة الجنان » (٢١٦ / ١) بين الشعبي والحجاج .

لهواه ، فربّما زلت أقدام العلماء في ذلك ؛ رغبةً أو رهبةً ، فضلوا وأضلوا .

وقد روى الحسن البصري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تزال هذه الأمة تحت يد الله تعالى وفي كنفه : ما لم يمالِ قَرائُها أمراءها ، ولم يُزكَّ صلحاؤها فجارها ، وما لم يمالِ أخيارها أشرارها ، فإذا فعلوا ذلك . . رفع عنهم يده ، ثم سلط عليهم جبابرتهم ، فساموهم سوء العذاب ، وضربهم بالفاقة والفقر ، وملأ قلوبهم رعباً »^(١) .

ومن آدابهم : نزاهة النفس عن شبه المكاسب ، والقناعة بالميسور عن كد المطالب ؛ فإنَّ شبه المكسب إثمٌ ، وكد المطالب ذلٌّ ، والأجر أجدرُّ به من الإثم ، والعزُّ أحقُّ به من الذلُّ .

أنشدني بعض أهل الأدب لعلّي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني^(٢) : [من الطويل]

يقولون لي فيك انقباض وإنما	رأوا رجلاً عن موقف الدلّ أحجماً
أرى الناس من داناهاهم هان عندهم	ومن أكرمتهم عزّة النفس أكرماً
ولم أقض حق العلم إن كان كلماً	بدا طمع صيرتُه لي سلماً
وما كل برق لاح لي يستفزني	ولا كل من في الأرض أرضاً منيعاً
إذا قيل هذا منهل قلت قد أرى	ولكن نفس الحرّ تحتلّ الظماً
أنهئها عن بعض ما لا يشينها	مخافة أقوال العدا فيم أو لِمَا
ولم أبتذل في خدمة العلم مُهجتي	لأخدم من لاقيت لكن لأخدماً
أشقى به غرساً وأجنيه ذلّة	إذا فاتباغ الجهل قد كان أحزماً
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم	ولو عظّموه في النفوس لعظماً
ولكن أهانوه فهان ودسّوا	محيّاه بالأطماع حتى تجهماً

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٨٢١) ، وابن أبي الدنيا في « العقوبات » (٤) . وما لم يمالِ : ما لم يوافق ، وفي (هـ) : (ما لم يمار) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٣٩) .

على أَنَّ العلمَ عَوْضٌ من كُلِّ لَذَّةٍ ، ومُغْنٍ عن كُلِّ شهوةٍ ، وَمَنْ كان صادقَ النِّيَّةِ فيه . . لم يكن له هَمَّةٌ فيما يجد بدأ منه .

وقد قال بعض الحكماء : (مَنْ تفرَّد بالعلم . . لم توحشه خلوة ، وَمَنْ تسَلَّى بالكتب . . لم تفتُّه سَلْوةٌ ، وَمَنْ آنسته قراءة القرآن . . لم توحشه مفارقة الإخوان)^(١) .

وقال بعض الحكماء : (لا سَمِيرَ كالعلم ، ولا ظهيرَ كالعلم) .

ومن آدابهم : أن يقصدوا وجهَ الله تعالى بتعليم مَنْ علَّموا ، ويطلبوا ثوابه بإرشاد مَنْ أرشدوا ، من غير أن يعتاضوا عنه عَوْضاً ، ولا يلتمسوا عليه رزقاً ؛ فقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَرْوْا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ قال أبو العالية : (لا تأخذوا عليه أجراً ، وهو مكتوب عندهم في الكتاب الأول : يا بَنَ آدَمَ ؛ علِّم مَجَانًّا كما علِّمْتَ مَجَانًّا)^(٢) .

وروي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قال : « أَجْرُ المَعْلَمِ كأجر الصائم القائم »^(٣) ، وحسبُ مَنْ كان هذا أجره أن يلتمس عليه أجراً .

ومن آدابهم : نُصْحُ مَنْ علَّموا ، والرفقُ بهم ، وتسهيلُ السبيلِ عليهم ، وبذلُ المجهود في رِفْدِهِم ومعونتهم ؛ فَإِنَّ ذلك أعظمُ لأجرهم ، وأسنَى لذكرهم ، وأنشُرُ لمعلومهم ، وأرسخ لعلومهم ، وقد روي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم : أَنَّهُ قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام : « يا عليُّ ؛ لَأَنْ يهديَ اللهُ بك رجلاً . . خيرٌ لك مما طلعت عليه الشمس »^(٤) .

(١) أورده في « محاضرات الأدباء » (٦٦ / ١) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٣٣٣ / ١ / ١) ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٦٥٨ / ١) .

(٣) رواه الخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٣٠١ / ١) من قول سيدنا علي رضي الله عنه .

(٤) رواه البخاري (٣٠٠٩) ، ومسلم (٢٤٠٦) بنحوه .

ومن آدابهم : ألاَّ يعنّفوا متعلّماً ، ولا يحتقروا ناشئاً ، ولا يستصغروا مبتدئاً ؛ فإنَّ ذلك أدعى إليهم ، وأعطفُ عليهم ، وأحثُّ على الرغبة فيما لديهم ، وقد روي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « علِّموا ولا تعنّفوا ؛ فإنَّ المعلمَ خيرٌ من المعنّف »^(١) .

وروي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « وقرّوا من تتعلّمون منه ، ووقّروا من تعلّمونه »^(٢) .

ومن آدابهم : ألاَّ يمتنعوا طالباً ، ولا ينفّروا راغباً ، ولا يؤيسوا متعلّماً ؛ لما في ذلك من قطع الرغبة فيهم ، والزهد فيما لديهم ، واستمرارُ ذلك مفضٍ إلى انقراض العلم بانقراضهم ؛ فقد روي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ألا أنبّكم بالفقيه كلّ الفقيه ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « من لم يقنط الناس من رحمة الله تعالى ، ولم يؤيِّسهم من رَوْحِ الله ، ولا يدعُ القرآنَ رغبةً إلى ما سواه ، ألا لا خيرَ في عبادةٍ ليس فيها تفقُّهٌ ، ولا علمٍ ليس فيه تفهُّمٌ ، ولا قراءةٍ ليس فيها تدبُّرٌ »^(٣) .

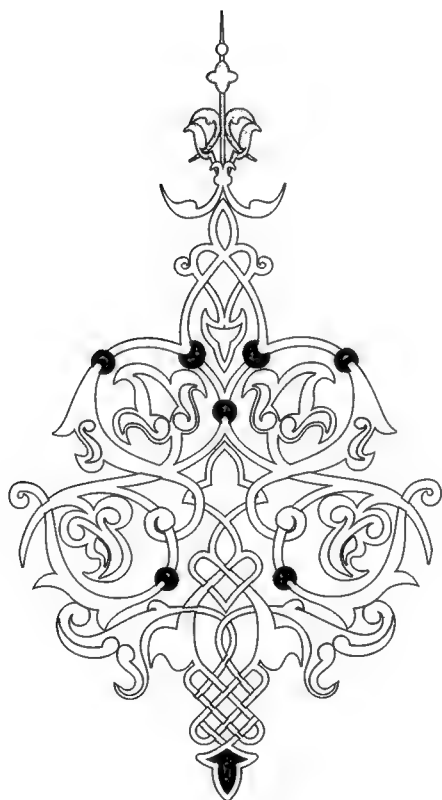
فهذه جملة كافية ، والله وليُّ التوفيق .

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٦١٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٧٩٢) ، وأورده الديلمي في « الفردوس » (٧١٢٥) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) رواه ابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٨١١ / ٢) مرفوعاً ، والدارمي في « مسنده » (٣٠٥) موقوفاً على سيدنا عليّ رضي الله عنه .

البَابُ الثَّالِثُ
فِي أَكْرَبِ الدِّينِ



بَابُ أَدَبِ الدِّينِ

اعلم : أَنَّ الله سبحانه وتعالى إِنَّمَا كَلَّفَ خَلْقَهُ مُتَعَبَّدَاتِهِ ، وَالزَّمَهُمْ مُفْتَرَضَاتِهِ ، وَابْتَعَثَ إِلَيْهِمْ رُسُلَهُ ، وَشَرَعَ لَهُمْ دِينَهُ . لغير حاجةٍ دَعَاَهُ إِلَى تَكْلِيفِهِمْ ، وَلَا مِنْ ضَرُورَةٍ قَادَتْهُ إِلَى تَعَبُّدِهِمْ ؛ وَإِنَّمَا قَصَدَ نَفْعَهُمْ تَفْضُّلاً مِنْهُ عَلَيْهِمْ ، كَمَا تَفَضَّلَ بِمَا لَا يُحْصَى عِدْداً مِنْ نِعَمِهِ ، بَلِ النِّعْمَةُ فِيمَا تَعَبَّدَهُمْ بِهِ أَعْظَمُ ؛ لِأَنَّ نَفْعَ مَا سِوَى الْمُتَعَبَّدَاتِ مُخْتَصَرٌّ بِالدُّنْيَا الْعَاجِلَةِ ، وَنَفْعَ الْمُتَعَبَّدَاتِ يَشْتَمِلُ عَلَى نَفْعِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَمَا جَمَعَ نَفْعِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . كَانَ أَكْثَرُ تَفْضُّلاً .

وَجَعَلَ مَا تَعَبَّدَهُمْ بِهِ مَأْخُوداً مِنْ عَقْلِ مُتَبَوِّعٍ ، وَشَرَعَ مَسْمُوعٍ ؛ فَالْعَقْلُ مُتَبَوِّعٌ فِيمَا لَا يَمْنَعُ مِنْهُ الشَّرْعُ ، وَالشَّرْعُ مَسْمُوعٌ فِيمَا لَا يَمْنَعُ مِنْهُ الْعَقْلُ ؛ لِأَنَّ الشَّرْعَ لَا يَرِدُ بِمَا يَمْنَعُ مِنْهُ الْعَقْلُ ، وَالْعَقْلُ لَا يُتَّبَعُ فِيمَا يَمْنَعُ مِنْهُ الشَّرْعُ .

وَلِذَلِكَ تَوَجَّهَ التَّكْلِيفُ إِلَى مَنْ كَمَلَ عَقْلُهُ ، فَأَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، فَبَلَّغَهُمْ رِسَالَتَهُ ، وَالزَّمَهُمْ حُجَّتَهُ ، وَبَيَّنَّ لَهُمْ شَرِيعَتَهُ ، وَتَلَا عَلَيْهِمْ كِتَابَهُ فِيمَا أَحَلَّهُ وَحَرَّمَ ، وَأَبَاحَهُ وَحَظَرَهُ ، وَاسْتَحَبَّهُ وَكَرِهَهُ ، وَأَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ ، وَمَا وَعَدَ بِهِ مِنَ الثَّوَابِ لِمَنْ أَطَاعَهُ ، وَأَوْعَدَ بِهِ مِنَ الْعِقَابِ لِمَنْ عَصَاهُ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رُسُلًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ .

وَكَانَ وَعْدُهُ تَرْغِيئاً ، وَوَعِيدُهُ تَرْهِيئاً ؛ لِأَنَّ الرِّغْبَةَ تَبْعَتْ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَالرَّهْبَةَ تَكَفَّتْ عَنِ الْمَعْصِيَةِ ، وَالتَّكْلِيفُ يَجْمَعُ أَمراً بِطَاعَةٍ ، وَنَهياً عَنِ مَعْصِيَةٍ ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ التَّكْلِيفُ مَقْرُوناً بِالرِّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَكَانَ مَا تَخَلَّلَ كِتَابَهُ مِنْ قِصَصِ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ وَأَخْبَارِ الْقُرُونِ الْخَالِيَةِ عِظَةً وَاعْتِبَاراً ، تَقْوَى مَعَهُمَا الرِّغْبَةُ ، وَتَزْدَادُ بِهِمَا الرَّهْبَةُ ، فَكَانَ ذَلِكَ مِنْ لَطْفِهِ بِنَا ، وَتَفَضُّلِهِ عَلَيْنَا ؛ فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَعْمُهُ لَا تُحْصَى ، وَشُكْرُهُ لَا يُؤَدَّى .

ثم جعل إلى رسوله صلى الله عليه وسلم بيان ما كان مُجْمَلًا ، وتفسير ما كان مُشْكَلًا ، وتحقيق ما كان محتَمَلًا ؛ ليكون له مع تبليغ الرسالة ظهور الاختصاص به ، ومنزلة التفويض إليه ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ .

ثم جعل إلى العلماء بعد رسوله صلى الله عليه وسلم استنباط ما نَبَّه على معانيه ، وأشار إلى أصوله ؛ ليتوصلوا بالاجتهاد فيه إلى علم المراد به ؛ فيمتازوا بذلك عن غيرهم ، ويختصوا بثواب اجتهادهم ، قال الله تعالى : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ .

فصار الكتاب أصلاً ، والسنة فرعاً ، واستنباط العلماء إيضاحاً وكشفاً ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « القرآن : أصل علم الشريعة ، نصّه ودليله ، والحكمة : بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأمة المجتمعة : حجة على من شذ عنها » (١) .

وكان من رأفته بخلقه وتفضله على عباده : أن أقدرهم على ما كلفهم ، ورفع الحرج عنهم فيما تعبدتهم ؛ ليكونوا مع ما قد أعدّه لهم ناهضين بفعل الطاعات ، ومجانبة المعاصي ، قال الله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ، وقال سبحانه : ﴿ وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ .

وجعل ما كلفهم ثلاثة أقسام : قسماً أمرهم باعتقاده ، وقسماً أمرهم بفعله ، وقسماً أمرهم بالكف عنه ؛ ليكون اختلاف جهات التكليف أبعث على قبوله ، وأعون على فعله ؛ حكمة منه ولطفاً (٢) .

(١) ذكره أبو حيان التوحيدي في « البصائر والذخائر » (٢٠٩/٢) وسمعه من أبي عبد الله الطبري غلام أبي إسحاق المروزي من قوله .

(٢) إن التكليف بالأقسام الثلاثة أحكم وأمتن من التكليف بأحدها أو بقسميها ؛ لأن للمكلف سراً وعلانية ، ولكل منهما فعلاً وتركاً ؛ فالأقسام أربعة ، إلا أن الترك القلبي لما كان عبارة عن اعتقاد العدم أزلاً وأبداً . دخل في قسم الاعتقاد ، فبقي ثلاثة أقسام .

وجعل ما أمرهم باعتقاده قسمين : قسماً إثباتاً ، وقسماً نفياً ؛ فأما الإثباتُ . .
فإثباتُ توحيده وصفاته ، وبعثه رسلاً ، وتصديق محمد صلى الله عليه وسلم فيما
جاء به .

وأما النفيُ . . فنفيُ الصاحبة والولد ، والحاجة ، والقبايح أجمع ، وهذان
القسمان هما أول ما كُلِّفَ العاقلُ^(١) .

وجعل ما أمرهم بفعله ثلاثة أقسام : قسماً على أبدانهم ؛ كالصلاة والصيام .
وقسماً في أموالهم ؛ كالزكوات والكفّارات .

وقسماً على أبدانهم وفي أموالهم ؛ كالحجّ والجهاد ؛ ليسهل عليهم فعله ،
ويخفّ عنهم أداؤه ؛ نظراً منه لهم ، وتفضلاً منه عليهم .

وجعل ما أمرهم بالكف عنه ثلاثة أقسام : قسماً لإحياء نفوسهم وصلاح
أبدانهم ؛ كنهيه عن القتل وأكل الخبائث والسُّموم وشرب الخمر المؤدّية إلى
فساد العقل وزواله .

وقسماً لاثتلافهم وصلاح ذات بينهم ؛ كنهيه عن الغصب والغلبة والظلم
والسّرْف المُفضي إلى القطيعة والبغضاء^(٢) .

وقسماً لحفظ أنسابهم وتعظيم محارمهم ؛ كنهيه عن الزنا ونكاح ذوات
المحارم .

فكانت نعمته فيما حظره علينا كنعمته فيما أباحه لنا ، وتفضّله فيما كفّنا عنه
كتفضّله فيما أمرنا به ، فهل يجد العاقل في رويته مساعاً أن يقصّر فيما أمر به وهو
نعمةٌ عليه ، أو يرى فسحةً في ارتكاب ما نُهي عنه وهو تفضّل عليه ؟!

وهل يكون مَنْ أنعم عليه بنعمةٍ فأهملها مع شدة فاقته إليها إلا مذموماً في
العقل مع ما جاء من وعيد السمع ؟!

(١) لأنه لا يتأتى الإتيان بشيء على قصد الامتثال ولا الانكفاف عن شيء على قصد الانزجار إلا بعد معرفة
الأمر النهائي .

(٢) في (ب ، د ، هـ) : (كنهيه عن الغضب . . .) .

ثم من لطفه بخلقه وتفضُّله على عباده : أن جعل لهم من جنس كل فريضة نفلاً ، وجعل لها من الثواب قسطاً ، وندبهم إليه ندباً ، وجعل لهم بالحسنة عشرة ؛ ليضاعف ثواب فاعله ، ويضع العقاب عن تاركه .

ومن لطيف حكمته : أن جعل لكل عبادة حالتين : حالة كمال ، وحالة جواز ؛ رفقا منه بخلقه لما سبق في علمه : أن فيهم العَجَل المُبَادِرَ ، والبطيء المُتَأَقِّلَ ، ومن لا صبر له على أداء الأكمل ؛ ليكون ما أُخِلَّ به من هيئات عبادته غير قادح في فرض ، ولا مانع من أجر ؛ فكان ذلك من نعمه علينا ، وحسن نظره لنا .

وكان أول ما فرض بعد تصديق نبيِّه صلى الله عليه وسلم : عبادات الأبدان ، وقَدَّمها على ما يتعلَّق بالأموال ؛ لأنَّ النفوس على الأموال أشحُّ ، وبما يتعلَّق بالأبدان أسمح ؛ وذلك الصلاة والصيام .

فقدَّم فرض الصلاة على الصيام ؛ لأنَّ الصلاة أسهلُّ فعلاً ، وأيسرُ عملاً ، وجعلها مشتملة على خضوع له ، وابتهاال إليه ، فالخضوع له رهبة منه ، والابتهاال إليه رغبة فيه ؛ ولذلك قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « إذا قام أحدكم إلى صلاته . . فإنما يُناجي ربَّه ، فليَنظُرْ أحدكم بمَ يناجيه ؟ » ^(١) .

وروي عن عليِّ بن أبي طالب عليه السلام : أنَّه كان كلَّما دخل عليه وقت الصلاة . . اصفرَّ مرة ، واحمرَّ أخرى ، فقليل له في ذلك ، فقال : (أتتني الأمانة التي عُرضت على السماوات والأرض والجبال ؛ فأبين أن يحملنها ، وأشفقن منها ، وحملتها أنا ، ولا أدري أأسيء فيها أم أحسن ؟) .

ثم جعل لها شروطاً لازمة : من رفع حدِّث ، وإزالة نجس ؛ ليستديم النظافة للقاء ربه ، والطهارة لأداء فرضه .

(١) رواه الإمام أحمد في « مسنده » (٦٧/٢) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٨٥٤٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

ثم ضمَّنها تلاوة كتابه المنزل ؛ ليتدبَّر ما فيه من أوامره ونواهيه ، ويعتبر إعجاز ألفاظه ومعانيه .

ثم علَّقها بأوقات راتبة ، وأزمان مترادفة ؛ ليكون ترادفُ أزمانها وتتابعُ أوقاتها سبباً لاستدامة الخضوع له ، والابتغال إليه ، فلا تنقطع الرهبة منه ، ولا الرغبة فيه .

وإذا لم تنقطع الرغبة والرهبة . . استدام صلاح الخلق ، وبحسب قوة الرغبة والرهبة يكون استيفاءُها على الكمال ، أو التقصيرُ فيها عن حال الجواز .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الصلاةُ مِكيالٌ ؛ فَمَنْ وَفَّى . . وَفَّى له ، وَمَنْ طَفَفَ . . فقد علمتم ما قال الله تعالى في الْمُطَفِّفِينَ » ^(١) .
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ هانت عليه صلاته . . كانت على الله أهون » ^(٢) .

وأنشدت عن بعض صلحاء الشعراء :

أقبلُ على صلواتك الخمسِ	كم مُصبحٍ وعَساءٍ لا يُمسي
واستقبلُ اليومَ الجديدَ بتوبةٍ	تمحو ذُنوبَ صبيحةِ الأُمسِ
فليُفعلنَّ بوجهك الغضَّ البليّ	فعلَ الظلامِ بصورةِ الشمسِ

ثم فرض الله تعالى الصيام ، وقَدَّمه على زكوات الأموال ؛ لتعلّق الصيام بالأبدان ، فكان في إيجابه حثٌّ على رحمة الفقراء ، وإطعامهم وسدّ جَوَعاتهم ؛ لما قد عانَوْه من شدة المجاعة في صومهم ، وقد قيل ليوسف عليه الصلاة والسلام : (لِمَ تجوِّعُ وأنت على خزائن الأرض ؟ فقال : أخاف أن أشبعَ فأُنسى الجائع) ^(٣) .

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٢٩١) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٩٩٦) موقوفاً على سيدنا سلمان الفارسي رضي الله عنه .

(٢) رواه الإمام أحمد ابن حنبل في « الزهد » (١٦٣٠) من قول الحسن البصري رحمه الله .

(٣) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٥٢٩١) ، وأبو بكر الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٩٢) .

ثم لما في الصوم من قهر النفس وإذلالها ، وكسر الشهوة المستولية عليها ، وإشعار النفس ما هي عليه من الحاجة إلى يسير الطعام والشراب ، والمحتاجُ إلى الشيء ذليلٌ به ، وبهذا احتج الله تعالى على مَنْ اتخذ عيسى وأمه إلهين من دونه فقال : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَأَنَّا بِكُلَّانِ الْأَطْعَامِ ﴾ ، فجعل حاجتهما إلى الطعام نقصاً فيهما عن أن يكونا إلهين .

وقد وصف الحسن البصري رحمه الله في قصصه نقص الإنسان بالطعام وغيره فقال : (مسكينٌ ابنُ آدم ؛ مكتوم الأمل ، محتوم الأجل ، مكنون العلل ، محفوظ العمل ، يتكلم بلحم ، وينظر بشحم ، ويسمع بعظم ، أسير جوعة ، وصرير شبعة ، تؤذيه البقّة ، وتُنتنه العرقة ، وتقتله الشرقة ، لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً ، ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً)^(١) .

فانظر إلى لطفه بنا فيما أوجبه من الصيام علينا ؛ كيف أيقظ العقول له وقد كانت عنه غافلة أو متغافلة ، ونفع النفوس به ولم تكن لولاه منتفعة ولا نافعة !! ثم فرض زكوات الأموال ، وقَدَّمها على فرض الحج ؛ لأنَّ في الحجِّ مع إنفاق المال سفراً شاقاً ، فكانت النفس إلى الزكاة أسرع إجابة منها إلى الحجِّ ، فكان في إيجابها مواساة للفقراء ، ومعونة لذوي الحاجات ، تكفُّهم عن البغضاء ، وتمنعهم عن التقاطع ، وتبعثهم على التواصل ؛ لأنَّ الآمل وَصُولٌ ، والراجي هَائِبٌ .

وإذا زال الأمل ، وانقطع الرجاء ، واشتدَّت الحاجة . . وقعت البغضاء ، واشتدَّ الحسد ، فحدث التقاطع بين أرباب الأموال والفقراء ، ووقعت العداوة بين ذوي الحاجات والأغنياء ؛ حتَّى تفضي إلى التغالب على الأموال ، والتغريب بالنفوس .

هذا مع ما في أداء الزكاة من تمرين النفس على السماحة المحمودة ، ومجانبة

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٣) .

الشَّحَّ المذموم ؛ لأنَّ السَّماحة تبعث على أداء الحقوق ، والشَّحَّ يصدُّ عنها ، وما بعث على أداء الحقوق .. فأجدرُ به حمداً !! وما صدَّ عنها .. فأخلِّقُ به ذمّاً !!

وقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : « شرُّ ما أُعطيَ العبدُ شَحٌّ هالِعٌ ، وجبنٌ خالِعٌ »^(١) .

فسبحان مَنْ دَبَّرنا بلطفٍ حكمته ، وأخفى عن فطننا جزيل نعمته ؛ حتى استوجب من الشكر بإخفائها أعظمَ مما استوجبه بإبدائها .

ثم فرض الحجَّ ، فكان آخرَ فروضه ؛ لأنَّه يجمع عملاً على بدن ، وحقاً في مال ، فجعل فرضه بعد استقرار فروض الأبدان وفروض الأموال ؛ ليكون استئناسهم بكل واحد من النوعين ذريعة إلى تسهيل ما جمع النوعين ، فكان في إيجابه تذكيراً ليوم الحشر في مفارقة المال والأهل ، وخضوع العزيز والذليل في الوقوف بين يديه ، واجتماع المطيع والعاصي في الرهبة منه والرغبة إليه ، وإقلاع أهل المعاصي عمّا اجترحوه ، وندم المذنبين على ما أسلفوه .

فقلَّ مَنْ حجَّ إلا وأحدث توبةً من ذنب ، وإقلاعاً عن معصية ؛ ولذلك قال النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم : « من علامة الحَجَّةِ المبرورة : أن يكونَ صاحبُها بعدها خيراً منه قبلها »^(٢) .

وهذا صحيح ؛ لأنَّ الندم على الذنوب مانع من الإقدام عليها ، والتوبة عنها مكفِّرة لما سلف منها ؛ فإذا كفَّ عمّا كان يُقدم عليه .. أنبأ عن صحَّة توبته ، وصحَّة التوبة تقتضي قبولَ حجِّه .

ثم نبَّه بما يُعانَى فيه من مشاقِّ السفر المؤدِّي إليه على موضع النعمة برِّفاهة الإقامة ، وأنَّسة الأوطان ؛ ليُحَنِّى على مَنْ سُلِبَ هذه النعمة من أبناء السبيل .

ثم أعلمَ بمشاهدة حرمه ؛ الذي أنشأ منه دينه ، وبعث فيه رسوله ، ثم بمشاهدة دار الهجرة ؛ التي أعزَّ الله تعالى بها أهل طاعته ، وأذلَّ بنصرة نبيِّه

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٣٢٥٠) ، وأبو داود (٢٥١١) .

(٢) أورده في « محاضرات الأدباء » (٢٣٢ / ٤) .

صلى الله عليه وسلم أهل معصيته ؛ حتى خضع له عظماء المتجبرين ، وتذلل له زعماء المتكبرين .. أنه لم ينتشر عن ذلك المكان المنقطع ، ولا قوي بعد الضعف البين حتى صار به طبق الأرض شرقاً وغرباً إلا بمعجزة ظاهرة ، ونصر عزيز .

فاعتبر - ألهمك الله تعالى الشكر ، ووفقك للتقوى - إنعامه عليك فيما كلفك ، وإحسانه إليك فيما تعبدك ؛ فقد وكلتكَ إلى فطرتك ، وأحلتكَ على بصيرتك ، بعد أن كنت لك رائداً صدوقاً ، وناصحاً شقيقاً : هل تحسن نهوضاً بشكره إذا فعلت ما أمرك ، وتقبلت ما كلفك ؟

كلا ؛ لأنه لا يُوليك نعمةً توجب الشكر إلا وصلها قبل شكر ما سلف بنعمةٍ توجب الشكر في المؤتلف^(١) ؛ ولذلك قال الحسن بن علي عليهما السلام : (نِعِمُّ الله أَكْثَرُ من أَنْ تُشْكِرَ إِلَّا ما أَعَانَ عليه ، وذَنُوبُ ابنِ آدَمَ أَكْثَرُ من أَنْ تُغْفَرَ إِلَّا ما عَفَا عنه)^(٢) .

وأنشد لمنصور بن إسماعيل الفقيه المصري رحمه الله تعالى^(٣) : [من مجزوء الرجز]

شُكْرُ الإِلهِ نِعْمَةٌ مُوجِبَةٌ لَشُكْرِهِ
فَكَيْفَ شُكْرِي بِرَّهِ وَشُكْرُهُ مِنْ بِرِّهِ

وإذا كنتَ عن شكر نعمه عاجزاً .. فكيف بك إذا قصرتَ فيما أمرك ، أو فرطتَ فيما كلفك ؟! ونفعه أعودُ عليك لو فعلته .. هل تكون لسوايغ نعمه إلا كفوراً ، وببدائيه العقول إلا مزجوراً ؟ وقد قال الله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾ قال مجاهد : (أي : يعرفون ما عَدَدَ الله عليهم من نِعَمه وينكرونها بقولهم : إنَّهم ورثوا ذلك عن آبائهم ، أو اكتسبوها بأفعالهم)^(٤) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله تعالى : يا بنِ آدَمَ ؛

(١) المؤتلف : الجديد المستأنف .

(٢) أورده في « عيون الأخبار » (٣٧٠ / ٢) ، وفي « الكامل » (١٥١ / ١) ونسبه للإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى .

(٣) البيتان منسوبان لمحمود الوراق في « ديوانه » (ص ٢٢٤) .

(٤) رواه الطبري في « تفسيره » (١٩٣ / ١٤ / ٨) .

ما أنصفتني ، أتحبُّ إليك بالنعم ، وتتمقَّت إليَّ بالمعاصي ، خيري إليك نازل ،
وشرُّك إليَّ صاعد ، كم من ملك كريم يصعد إليَّ منك بعمل قبيح ؟! «^(١) .

وقال بعض صلحاء السلف : (قد أصبح بنا من نعم الله تعالى ما لا نحصىه مع
كثرة ما نعصيه !! فلا ندري أيُّهما نشكر ؛ أجميل ما نشر ، أم قبيح ما ستر ؟) «^(٢) .
فحقُّ على مَنْ عرف موقع النعمة أن يقبلها ممثلاً لما كُلف منها ، وقبولها
يكون بأدائها ، ثم يشكر الله تعالى على ما أنعم من إسدائها ؛ فإنَّ بنا من الحاجة
إلى نعمه أكثر ممَّا كُلفنا من شكرِ نعمه .

فإنَّ نحن أدينَّا حقَّ النعمة في التكليف . . تفضَّل بإسداء النعمة من غير جهة
التكليف ، فلزمت النعمتان ، ومَنْ لزمته النعمتان . . فقد أوتي حظَّ الدنيا
والآخرة ، وهذا هو السعيد بالإطلاق .

وإنَّ قَصْرنا في أداء ما كُلفنا من نعمه . . قَصْر عنا ما لا تكليف فيه من نعمه ،
فنفرتِ النعمتان ، ومَنْ نفرت عنه النعمتان . . فقد سلب حظَّ الدنيا والآخرة ، فلم
يكن له في الحياة حظٌّ ، ولا في الموت راحةٌ ، وهذا هو الشقي بالاستحقاق .

وليس يختار الشُّقوة على السعادة ذو لبٍّ صحيح ، ولا عقل سليم ، وقد
قال الله تعالى : ﴿ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ
بِهِ ﴾ .

وقد روى الأعمش ، عن مسلم قال : قال أبو بكر : يا رسول الله ؛ ما أشدَّ
هذه الآية : ﴿ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ ﴾ !! فقال : « يا أبا بكر ؛ إنَّ المصيبة في
الدنيا جزاءً » «^(٣) .

واختلف المفسِّرون في تأويل قوله تعالى : ﴿ سَعَدَ بِهِمْ مَرَّتَيْنِ ﴾ :

فقال بعضهم : (أحد العذابين : الفضيحة في الدنيا ، والثاني : عذاب
القبر) .

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٧ / ٤) ، وابن عبد البر في « بهجة المجالس » (٣٩٣ / ١) .

(٢) رواه في « تاريخ دمشق » (٣٣٩ / ٣٠) مما كتب منصور بن عمار إلى بشر الحافي رحمهما الله تعالى .

(٣) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٢٩١٠) ، وسعيد بن منصور في « سننه » (٧٠٠) .

وقال عبد الرحمن بن زيد : (أحد العذابين : مصائبهم في الدنيا في أموالهم وأولادهم ، والثاني : عذاب الآخرة في النار)^(١) .

وليس وإن نال أهل المعاصي لذة من عيش أو أدركوا أمنية من دنيا . . كانت عليهم نعمة ، بل قد يكون ذلك استدراجاً ونقمة ، وروى ابن لهيعة ، عن عقبة بن مسلم ، عن عقبة بن عامر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا رأيت الله تعالى يعطي العباد ما يشاؤون على معاصيهم إياه . . فإنما ذلك استدراج منه لهم » ، ثم تلا قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِم أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾^(٢) .

فأما سائر المحرمات التي يمنع الشرع منها ؛ واستقرّ التكليف عقلاً أو سمعاً بالنهي عنها . . فتقسم قسمين :

منها : ما تكون النفوس داعية إليها ، والشهوات باعثة عليها ؛ كالسّفاح وشرب الخمر ، فقد زجر الله تعالى عنها ؛ لقوة الباعث عليها ، وشدة الميل إليها بنوعين من الزجر : أحدهما : حدّ عاجلٌ يرتدع به الجري^(٣) ، والثاني : وعيدٌ آجلٌ يزدجر به التقي .

ومنها : ما تكون النفوس نافرة منها ، والشهوات مصروفة عنها ؛ كأكل الخبائث والمستقذرات ، وشرب السموم المتلفات ، فاقصر الله سبحانه في الزجر عنها بالوعيد وحده دون الحدّ ؛ لأنّ النفوس مسعدة في الزجر عنها ، والشهوات مصروفة عن ركوب المحظور منها .

ثم أكد الله تعالى زواجره بإنكار المنكرين لها ، فأوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ ليكون الأمر بالمعروف تأكيداً لأوامره ، والنهي عن المنكر تأييداً لزواجره ؛ لأنّ النفوس الأشرّة قد ألهتها الصبوة عن اتباع الأوامر ، وأذهلتها

(١) انظر « تفسير الطبري » (١٧ / ١١ / ١٥ - ١٧) .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٢٢٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧٧ / ٢٢) .

(٣) الجري : الجسور المقدام ؛ وهو ههنا بمعنى : الفاسق بقرينة المقابلة .

الشهوة عن تذكّار الزواجر ، فكان إنكار المجانسين أزجر لها ، وتوبيخ المخالطين أبلغ فيها ؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما أقرّ قوم المنكر بين أظهرهم إلا عظم الله تعالى بعذاب محتضر »^(١) .

وإذا كان ذلك كذلك . . فلا يخلو حال فاعلي المنكر من أحد أمرين :

أحدهما : أن يكونوا آحاداً متفرّقين ، وأفراداً متبدّدين ، لم يتحرّزوا فيه ، ولم يتضافروا عليه ، وهم رعيةٌ مقهورون ، وأشدّاذ مستضعفون ، فلا خلاف بين الناس أنّ أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع المكنة وظهور القدرة واجبٌ على مَنْ شاهد ذلك من فاعليه ، أو سمعه من قائله ، وإنّما اختلفوا في وجوب ذلك على منكريه : هل وجب عليهم بالعقل أو بالشرع ؟

فذهب بعض المتكلّمين إلى وجوب ذلك بالعقل ؛ لأنّه لمّا وجب بالعقل أن يمتنع من القبيح . . وجب أيضاً بالعقل أن يمنع غيره منه ؛ لأنّ ذلك أدعى إلى مجانبته ، وأبلغ في مفارقتها .

وقد روى عبد الله بن المبارك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنّ قوماً ركبوا سفينةً في البحر ، فاقسموا ، فأخذ كل واحدٍ منهم موضعاً ، فنقر رجلٌ منهم موضعه بفأس ، فقالوا : ما تصنع ؟ قال : هو مكاني أصنع به ما شئتُ ، فلم يأخذوا على يديه ، فهلك وهلكوا »^(٢) .

وذهب آخرون إلى وجوب ذلك بالشرع دون العقل ؛ لأنّ العقل لو أوجب النهي عن المنكر ومنع غيره من القبيح . . لوجب مثله على الله تعالى ، ولما جاز ورودُ الشرع بإقرار أهل الذمة على الكفر وترك النكير عليهم ؛ لأنّ واجبات العقول لا يجوز إبطالها بالشرع ، وفي ورود الشرع بذلك دليلٌ على أن العقل غير موجب لإنكاره .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر » (٨٥) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٣٤٩) عن سيدنا النعمان بن بشير رضي الله عنهما ، والبخاري (٢٦٨٦) من طريق الأعمش .

فأما إذا كان في ترك إنكاره مضرّة لاحقة بمنكره . . وجب إنكاره بالعقل على القولين معاً .

وأما إن لحق المنكر مضرّة من إنكاره ، ولم تلحقه مضرّة من كفه وإقراره . . لم يجب عليه الإنكار لا بالعقل ولا بالشرع .

أما العقل : فلائنه يمنع من اجتلاب المضارّ التي لا يوازئها نفعٌ .

وأما الشرع : فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال : « أَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ ؛ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ . . فَبِلِسَانِكَ ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ . . فَبِقَلْبِكَ ؛ وَذَلِكَ أَوْعَفُّ الْإِيمَانِ »^(١) .

فإن أراد الإقدام على الإنكار مع لُحوق المضرّة به . . نظر :

فإن لم يكن إظهار النكير ممّا يتعلق بإعزاز دين الله تعالى ، ولا إظهار كلمة الحق . . لم يجب عليه النكير إذا خشي بغالب الظن تلفاً أو ضرراً ، ولم يحسن منه النكير أيضاً .

وإن كان في إظهار النكير إعزازُ دين الله تعالى ، وإظهارُ كلمة الحق . . حَسَنٌ منه النكير مع خشية الإضرار والتلف - وإن لم يجب عليه - إذا كان الغرض قد يحصل له بالنكير وإن استضرّ أو قُتل ، وعلى هذا الوجه قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَفْضَلَ الْأَعْمَالِ كَلِمَةً حَقٌّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ »^(٢) .

فأما إذا كان يُقتل قبل حصول الغرض . . قُبِحَ في العقل أن يتعرّض لإنكاره ، وكذلك لو كان الإنكارُ يزيد المنهيّ إغراءً بفعل المنكر ، ولجأً في الاستكثار منه . . قبح في العقل إنكاره .

والحال الثانية : أن يكون فعلُ المنكر من جماعة قد تضافرت عليه ، وعصبية قد تحزّبت ودعت إليه ؛ فقد اختلف الناس في وجوب إنكاره على مذاهب شتى :

(١) رواه مسلم (٤٩) ، والترمذي (٢١٧٢) ، وأبو داود (١١٤٠) .

(٢) رواه النسائي (١٦١/٧) ، والترمذي (٢١٧٤) .

فقال طائفة من أصحاب الحديث وأهل الآثار : لا يجب إنكاره ^(١) ، والأولى بالإنسان أن يكون كافاً ممسكاً ، وملازماً لبيته وادعاً ، غير منكر ولا مستنفر .

وقالت طائفة أخرى ممن يقول بظهور المنتظر : لا يجب إنكاره ولا التعرض لإزالته إلا أن يظهر المنتظر ، فيتولى إنكاره بنفسه ، ويكونوا حينئذ أعوانه ^(٢) .

وقالت طائفة أخرى منهم الأصم : لا يجوز للناس إنكاره إلا أن يجتمعوا على إمام عدل ، فيجب عليهم الإنكار معه ^(٣) .

وقال جمهور المتكلمين : إنكار ذلك واجب ، والدفع عنه لازم على شروطه في وجود أعوان يصلحون له ، فأما مع فقد الأعوان . . فعلى الإنسان الكف ؛ لأن الواحد قد يقتل قبل بلوغ الغرض فيه ، وذلك قبيح في العقل أن يتعرض له .
فهذا حكم ما أكد الله سبحانه به أوامره ، وأيد به زواجره من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما يختلف من أحوال الأمرين به والناهين عنه .

ثم ليس يخلو أحوال الناس فيما أمروا به ونهوا عنه من فعل الطاعات واجتناب المعاصي من أربعة أحوال :

فمنهم : من يستجيب إلى فعل الطاعات ، ويكف عن ارتكاب المعاصي ، وهي أكمل أحوال أهل الدين ، وأفضل صفات المتقين ، فهذا يستحق جزاء العاملين ، وثواب المطيعين ، روى محمد بن عبد الملك المدني ، عن نافع ، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الذنب لا يُنسَى ، والبر لا يبلى ، والدَيَانُ لا يموت ، فكن كما شئت ؛ فكما تدين . . تُدان » ^(٤) .

(١) لأن الإنكار يفضي إلى أحد الأمرين : إما إلى القتل قبل حصول الغرض إن لم يكن له أعوان ، أو إلى الفتنة إن كان له أعوان ، والفتنة أشد من القتل .

(٢) وهذه الطائفة هم الروافض .

(٣) وهؤلاء من المعتزلة .

(٤) رواه عبد الرزاق (٢٠٢٦٢) ، وابن عدي في « الكامل » (١٥٨ / ٦) ، والبيهقي في « الزهد » (٧١٠)
مرسلاً عن أبي قلابة رحمه الله تعالى .

وقال المسيح عليه السلام : (بالميال الذي تكيلون يُكأل لكم)^(١) .

وقديماً قيل : (كلُّ يحصد ما يزرع ، ويُجزئ بما يصنع) ، بل قالوا : (زرعُ يومك حصادُ غدك) .

ومنهم : مَنْ يمتنع من فعل الطاعات ، ويُقدم على ارتكاب المعاصي ؛ وهي أخبث أحوال المكلفين ، وشرُّ صفات المتعبدين ؛ فهذا يستحق عقاب اللاهي عن فعل ما أمر به من طاعاته ، وعذاب المجترىء على ما أقدم عليه من معاصيه ، وقد قال ابن شبرمة : (عجبْتُ لِمَنْ يحتمي من الطيِّبات مخافةَ الداء ، كيف لا يحتمي من المعاصي مخافةَ النار ؟)^(٢) .

فأخذ ذلك بعض الشعراء فقال^(٣) :

جسمُك قد أفتيته بالحِمَى دهرًا من الباردِ والحرِّ
وكان أولى بك أن تحتمي من المعاصي حدَرَ النارِ^(٤)

وقال ابن ضبارة : (إنَّا نظرنا فوجدنا الصبرَ على طاعة الله تعالى أهونَ من الصبر على عذاب الله تعالى)^(٥) .

وقال آخر : (اصبروا - عبادَ الله - على عمل لا غناءَ بكم عن ثوابه ، واصبروا عن عمل لا صبرَ لكم على عقابه)^(٦) .

(١) هذا القول زيادة من (أ) ، وأورده في « عيون الأخبار » (٢٧١ / ٢) .

(٢) رواه أبو بكر الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٧٥) .

(٣) البيتان لمحمود الوراق في « ديوانه » (ص ١٢٦) .

(٤) وفي (ب) بعد هذين البيتين :

وقال بعضهم وقد وجدها بحاشية الأصل : (من الطويل)

إذا المرءُ أحمى نفسه كلَّ شهوةٍ لصحَّةٍ إِيَّامَ تبيدُ وتَفْقَدُ
فما باله أن يحتمي عن حرامِها لصحَّةٍ ما يبقَى له ويُخَلَّدُ

والبيتان للناسي الأكبر . انظر « بهجة المجالس » (١٤٤ / ١) .

(٥) أورده في « البيان والتبيين » (١٢٦ / ٣) ، و « المجالسة وجواهر العلم » (١٥٥٩) .

(٦) أورده في « البصائر والذخائر » (١٢ / ٧) ، و « التذكرة الحمدونية » (٧٨ / ١) من قول سيدنا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .

وقيل للفضيل بن عياض : (رضي الله عنك ، فقال : كيف يرضى عني ولم أرضه !؟) .

ومنهم : مَنْ يستجيب إلى فعل الطاعات ، ويُقدم على ارتكاب المعاصي ؛ فهذا يستحق عقاب المجترى ؛ لأنه تورط بغلبة الشهوة على الإقدام على المعصية وإن سلم من التقصير في فعل الطاعة ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَلْعَلُّوْا عَنِ الْمَعَاصِي قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَيَدْعَكُمْ هَتًّا بَتًّا » . الْهَتْ : الْكَسْرُ ، وَالْبَتْ : الْقَطْعُ ^(١) .

ولذلك قال بعض العلماء : (أفضل الناس : مَنْ لم تُفسد الشهوة دينه ، ولم تُزلِ الشبهة يقينه) ^(٢) .

وقال حماد بن زيد : (عَجِبْتُ لِمَنْ يَحْتَمِي الْأَطْعِمَةَ لِمُضَرَّتِهَا ، كَيْفَ لَا يَجْتَنِبُ الذُّنُوبَ لِمُعَرَّتِهَا !؟) ^(٣) .

وقال بعض الصلحاء : (أهل الذنوب مرضى القلوب) .

وقيل للفضيل بن عياض : (ما أعجبُ الأشياء ؟ فقال : قلبُ الله تعالى ثمَّ عصاه) ^(٤) .

وقال بعض الأولياء : (يُدِلُّ بِالطَّاعَةِ الْعَاصِي ، وَيَنْسِي عَظِيمَ الْمَعَاصِي) .

وقال رجلٌ لابن عباس رضي الله عنهما : أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ ؛ رَجُلٌ قَلِيلُ الذُّنُوبِ قَلِيلُ الْعَمَلِ ، أَوْ رَجُلٌ كَثِيرُ الذُّنُوبِ كَثِيرُ الْعَمَلِ ؟ فقال : ابن عباس رضي الله عنهما : (لَا أَعْدُلُ بِالسَّلَامَةِ شَيْئًا) ^(٥) .

وقيل لبعض الزهاد : (ما تقول في صلاة الليل ؟ فقال : خَفِ اللَّهُ تَعَالَى بِالنَّهَارِ ، وَنَمَّ بِاللَّيْلِ) .

(١) أورده الزمخشري في « الفائق » (٩٢ / ٤) .

(٢) أورده في « المستطرف » (٨٦ / ١) .

(٣) أورده في « محاضرات الأدباء » (١٠٥ / ٤) من قول علي بن الحسين رحمهما الله تعالى .

(٤) أورده في « شرح نهج البلاغة » (٢٣٦ / ٦) .

(٥) رواه النسائي في « الكبرى » (١١٨٣٩) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٩١٦) .

وسمع بعضُ الزهَّاد رجلاً يقول لقوم : (أهلكم النومُ ، فقال : بل أهلكتكم البقطةُ) .

وقيل لأبي هريرة رضي الله عنه : (ما التقوى ؟ فقال : أجتزت في أرض فيها شوك ؟ فقال : نعم ، فقال : فكيف كنت تصنع ؟ قال : كنت أتوقَّى ، قال : فتوقَّ الخطايا) (١) .

وقال عبد الله بن المبارك (٢) :

أيضمنُ لي فتى تركَ المعاصي وأرهنه الكفالةَ بالخلاصِ
أطاعَ اللهَ قومٌ فاستراحوا ولم يتجرَّعوا غُصَصَ المعاصي

ومنهم : مَنْ يمتنع من فعل الطاعات ، ويكفُّ عن ارتكاب المعاصي ، فهذا يستحقُّ عقابَ اللاهي عن دينه ، المنذر بقلةِ يقينه (٣) ، روى أبو إدريس الخولاني ، عن أبي ذرِّ الغفاري رضي الله عنه ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « كانت صُحفُ موسى عليه السلام كلها عِبراً : عجبْتُ لِمَنْ أيقن بالنار ثم هو يضحكُ ، وعجبْتُ لِمَنْ أيقن بالموت ثم هو يفرح ، وعجبْتُ لِمَنْ أيقن بالقدر ثم هو ينصب ، وعجبْتُ لِمَنْ رأى الدنيا وتقلَّبها بأهلها ثم يطمئنُّ إليها ، وعجبْتُ لِمَنْ أيقن بالحساب غداً ثم لا يعمل » (٤) .

وروي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « اجتهدوا في العمل ؛ فإن قَصَرَ بكم ضعفٌ . فكفُّوا عن المعاصي » (٥) ، وهذا واضح المعنى ؛ لأنَّ الكفَّ عن المعاصي تركٌ ، وهو أسهلُّ ، وعمل الطاعات فعلٌ ، وهو أثقلُّ ؛ ولذلك لم يُبِحِ الله تعالى ارتكابَ معصيةٍ قطُّ لعذرٍ ، ولا غير عذرٍ ؛ لأنه تركٌ ، والتركُ

(١) رواه البيهقي في « الزهد » (٩٦٣) .

(٢) أورد البيهقي في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٤٤٥) ، وابن أبي الدنيا في « القبور » (٢١١) بدون نسبة .

(٣) في (أ ، ب) : (المُبَدَّر بقلة يقينه) .

(٤) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٣٦١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٨ / ١) .

(٥) أورده في « عيون الأخبار » (٣٦٩ / ٢) ، ورواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١١٩٠) من قول بكر بن عبد الله المزني رحمه الله تعالى .

لا يعجز المعذور عنه ، وأباح ترك الأعمال بالأعذار ؛ لأنَّ العمل قد يعجز المعذورُ عنه .

وقال بكر بن عبد الله : (رحم الله امرأً كان قوياً فأعمل قوَّته في طاعة الله تعالى ، أو كان ضعيفاً فكفَّ عن معصية الله تعالى)^(١) .

قال عبد الأعلى بن عبد الله الشامي : [من الكامل]

العُمْرُ يَنْقُصُ والذُّنُوبُ تَزِيدُ وَيُقَالُ عَشْرَتُهُ الْفَتَى فَيَعُودُ
هل يستطيعُ جُحُودَ ذَنْبٍ وَاحِدٍ رَجُلٌ جَوَارِحُهُ عَلَيْهِ شُهُودُ
وَالْمَرْءُ يُسْأَلُ عَنْ سِنِيهِ فَيَسْتَهِي تَنْقِصُهَا وَمِنَ الْمَمَاتِ يَحِيدُ

واعلم : أنَّ لأعمال الطاعات ومجانبة المعاصي آفتين : إحداهما : تكسب الوزرَ ، والأخرى : تذهب الأجرَ .

فأمَّا المكسبة للوزر : فالإعجاب بما أسلف من عمله ، وقَدَم من طاعته ؛ لأنَّ الإعجاب به يفضي إلى حالتين مذمومتين :

إحداهما : أنَّ الْمُعْجَبَ بعمله ممتنُّ به ، والممتنُّ على الله تعالى جاحدٌ لِنِعْمِهِ ، قال ابن عباس رضي الله عنهما : (أوحى الله تعالى إلى نبيٍّ من أنبيائه : أَمَا زَهْدُكَ فِي الدُّنْيَا . فقد استعجلتَ به الراحة ، وأَمَا انْقِطَاعُكَ إِلَيَّ . فهو عَزُّ لَكَ ، فهذان لك ، وبقيتُ أنا)^(٢) .

والثانية : أنَّ الْمُعْجَبَ بعمله مُدِلُّ به ، والمدلُّ مجترىءٌ ، والمجترىءُ على الله تعالى عاصٍ ، وقد قال مُورِّقُ العجلي : (خَيْرٌ مِنَ الْعُجْبِ بِالطَّاعَةِ أَلَّا تَأْتِيَ بِطَاعَةٍ)^(٣) .

وقال بعض السلف : (ضاحكٌ معترفٌ بذنبه . . خيرٌ من باكٍ مُدِلٌّ على ربه ،

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٨٣٣) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٨٢٤) .

(٢) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٩٦٢) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٤٢٠ / ٣) .

(٣) أورده في « البيان والتبيين » (١٩٨ / ٢) ، و « شرح نهج البلاغة » (٩٥ / ٢) .

وباكِ نادِمٌ على ذنبه . . خيرٌ من ضاحكٍ مغترِّ بلهوه (١) .

وأما المذهبةُ للأجر : فالثقة بما أسلف ، والركونُ إلى ما قدَّم ؛ لأن الثقة تؤول إلى أمرين سيئين :

- أحدهما : يحدث اتكالاً على ما مضى ، وتقصيراً فيما يستقبل ، ومن قصر واتكل . . لم يرجُ أجراً ، ولم يؤدَّ شكراً .

- والثاني : أن الواثق آمِنٌ ، والآمن من الله تعالى غير خائف ، ومن لم يخفِ الله تعالى . . هانت عليه أوامره ، وسهلت عليه زواجه ، وقد قال الفضيل بن عياض : (رهبةُ المرء من الله تعالى على قدر علمه بالله تعالى) (٢) .

وقال مورِّق العجلي : (لأنَّ أبيتَ نائماً وأصبحَ نادماً . . أحبُّ إليَّ من أن أبيتَ قائماً وأصبحَ ناعماً) (٣) .

وقالت الحكماء : (ما بينك وبين ألا يكون فيك خيرٌ إلا أن ترى أنَّ فيك خيراً) (٤) .

وقيل لرابعة العدويّة : (هل عملتِ عملاً قطَّ ترينَ أنه يُقبل منك ؟ قالت : إن كان شيءٌ . . فخوفي من أن يُردَّ عليَّ عملي) (٥) .

وقال ابن السَّمَاك : (إنّ الله فيما مضى ، ما أعظمَ فيه الخطرَ !! وإنَّا لله فيما بقي ، ما أقلُّ منه الحذرَ !!) .

وحكي : أن بعض الزهَّاد وقف على جمع ، فنادى بأعلى صوته : (يا معشر الأغنياء ؛ لكم أقول : استكثروا من الحسنات ؛ فإنَّ ذنوبكم كثيرة ، ويا معشر

(١) أورد شطره الأول في « البيان والتبيين » (٢/١٩٨) ، و « التذكرة الحمدونية » (١/٢٠٥) من قول مورِّق العجلي .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٥٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٨/٨٩) .

(٣) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٣٤٢) ، وأبو بكر الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢١٦١) عن مطرّف بن عبد الله بن الشَّخِير رحمه الله ، وفيه وفي (ج) : (معجباً) بدل (ناعماً) ، وفي هامش (ب) : (لعله : زاعماً) .

(٤) في هامش (د) : (فعلى هذا يكون غاية ما تطلب هو غاية ما تترك) .

(٥) أوردته في « ربيع الأبرار » (٤/٢٩٨) ، و « بهجة المجالس » (٢/٣٤٥) .

الفقراء ؛ لكم أقول : أقلّوا من الذنوب ؛ فإنّ حسناتكم قليلة) .

فينبغي - أحسنَ الله لك التوفيقَ - ألا تضيع صحّة جسمك وفراغَ وقتك بالتقصير في طاعة ربّك ، والثقة بسالف عملك ، واجعل الاجتهاد غنيمة صحّتك ، والعمل فرصة فراغك ؛ فليس كلّ الزمان مسعداً ، ولا ما فات مستدركاً ، وللفراغ زيغٌ أو ندم ، وللخلوة ميلٌ أو أسف .

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : (الراحة للرجال غفلة ، وللنساء غُلْمَة)^(١) .

وقال بُزْرُجُمَهَرُ : (إن يكن الشغل مَجْهَدَةً . . فإنّ الفراغ مَفْسَدَةٌ)^(٢) .
وقال بعض الحكماء : (إياكم والخلّوات ؛ فإنّها تفسد العقول ، وتعقد المحلول) .

وقال بعض البلغاء : (لا يمضي يومك في غير منفعة ، ولا يضيغ مالك في غير صنّعة ؛ فالعمر أقصر من أن ينفد في غير المنافع ، والمال أقلّ من أن ينصرف في غير الصنائع ، والعاقل أجلّ من أن يفني أّيّامه فيما لا يعود عليه نفعه وخيره ، وينفق أمواله فيما لا يحصل له ثوابه وأجره) .

وأبلغ من ذلك قول عيسى ابن مريم عليه السلام : (البرُّ ثلاثة : المنطقُ والنظرُ والصمتُ ؛ فمَنْ كان منطقُه في غير ذكرٍ . . فقد لغا ، ومَنْ كان نظره في غير اعتبارٍ . . فقد سها ، ومَنْ كان صمته في غير فكرٍ . . فقد لها)^(٣) .

واعلم : أن للإنسان فيما كُلف من عباداته ثلاثة أحوال : إحداها : أن يستوفيها من غير تقصير فيها ولا زيادة عليها ، والثانية : أن يقصّر فيها ، والثالثة : أن يزيد عليها .

(١) أورده في « البصائر والذخائر » (١٩٠ / ٨) ، و« محاضرات الأدباء » (٢٥٧ / ٢) غير منسوب ، والغلمة : هي غلبة شهوة الجماع .

(٢) أورده في « نهاية الأرب » (١٣٤ / ٦) ، و« التذكرة الحمدونية » (٢٤٨ / ١) من قول سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

(٣) أورده في « البيان والتبيين » (٢٩٧ / ١) ، و« التذكرة الحمدونية » (٦٠ / ١) .

فأما الحال الأولى : وهو أن يأتي بها على حال الكمال من غير تقصير فيها ، ولا زيادة تطوع على راتبها . . فهي أوسط الأحوال وأعدلها ؛ لأنه لم يكن منه تقصير فيذم ، ولا تكثير فيعجز .

وقد روى سعيد بن أبي سعيد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « سَدُّوا وَقَارِبُوا ، وَيَسِّرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْعَدُوِّ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ » (١) .

وقال الشاعر (٢) :

[من الطويل]

عليك بأوساط الأمور فإنَّها نجاةٌ ولا تركبَ ذلولا ولا صعبا

وأما الحال الثانية : وهو أن يقصّر فيها . . فلا يخلو حال تقصيره من أربعة أحوال : إحداها : أن يكون تقصيره لعذر أعجزه عنه ، أو مرضٍ أضعفه عن أداء ما كُلف منه ؛ فهذا يخرج عن حكم المقصّرين ، ويلحق بأحوال العاملين ؛ لاستقرار الشرع على سقوط ما دخل تحت العجز ، وقد جاء الحديث عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال : « ما من عاملٍ كان يعملُ عملاً فيقطعُه عن ذلك العملِ مرضٌ إلا وكَّلَ الله تعالى به من يكتبُ له ثوابَ عمله » (٣) .

والحال الثانية : أن يكون تقصيره اغتراراً بالمسامحة فيه ، ورجاءً للعفو عنه ؛ فهذا مخدوع العقل ، مغرورٌ بالجهل ، قد جعل الظنَّ ذخراً ، والرجاءَ عدّةً ، فهو كمن قطع سफراً بعيداً بغير زاد ؛ ظناً بأنه سيجده في المفاوز الجذبة ، فيفضي به الظنُّ إلى الهلكة ، وهلاً كان الحذرُ أغلبَ عليه وقد ندب الله تعالى إليه ؟ !

حكى عن إسرائيل بن محمد القاضي قال : (لقيني مجنونٌ كان يكون في الخربات ، فقال : يا إسرائيلُ ؛ خَفِ الله تعالى خوفاً يشغلُك عن الرجاء ؛ فإنَّ

(١) رواه النسائي (١٢٢/٨) .

(٢) أورده في « البيان والتبيين » (٢٥٥/١) ، و « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٢٩) .

(٣) رواه البخاري (٢٩٩٦) ، وأبو داود (٣٠٩١) بنحوه عن سيدنا أبي موسى الأشعري رضي الله عنه .

الرجاء يشغلك عن الخوف ، وفِرَّ إلى الله تعالى ، ولا تفرَّ منه (١) .

وقيل لمحمد بن واسع : (ألا تتكىء ؟ فقال : تلك جلسة الآمنين) (٢) .

وحكي : أن أبا حازم الأعرج أخبر سليمان بن عبد الملك بوعيد الله عز وجل المذنبين ، فقال سليمان : (فأين رحمة الله تعالى ؟ قال : قريبٌ من المحسنين) (٣) .

وقال عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما : (ما انتفعت ولا اتعظت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل كتاب كتبه إليَّ عليُّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال : « أمَّا بعدُ : فإنَّ الإنسان يسره ذرُّك ما لم يكن ليفوته ، ويسوءه فَوْتُك ما لم يكن ليدركه ، فلا تكن بما نلتَ من دنياك فرحاً ، ولا بما فاتك منها ترحاً ، ولا تكن ممَّن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويؤخِّر التوبة بطول الأمل ، فكانَ قديراً والسلام ») (٤) .

وقال محمود الوراق (٥) :

أخافُ على المحسنِ المُتَّقِي وأرجو لذِي الهفواتِ المُسِي
فذلكُ خوْفِي على مُحْسِنٍ فكيف على الظالمِ المُعْتَدِي

(١) أورده ابن المعتز في « البديع » (ص ٤٠) ، وابن حبيب في « عقلاء المجانين » (ص ٩٧) ، واسم المجنون : (سابق) .

(٢) أورده في « عيون الأخبار » (٣٠٧/١) ، و « المجالسة وجواهر العلم » (١١٧٧) .

(٣) رواه الدارمي في « مسنده » (٦٧٣) ، و « المجالسة وجواهر العلم » (١٥٠٧) .

وزاد في (ب) : (وأما قصة أبي حازم .. ففيها طول ؛ وذلك أن سليمان بن عبد الملك قال لأبي حازم : عطني ، فقال : ما أعظك بأجل من آية في كتاب الله تعالى ، قال : وما هي ؟ قال : قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴾ ، قال : فمن أيُّهم أنا ؟ قال : أبصر ، قال : يا هذا ؛ فأين صلاتنا وصيامنا وحجنا وجهادنا ؟ قال : ارجع إلى قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ ، قال : يا هذا ؛ فأين قرباتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : ارجع إلى قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَسْتَأْذِنُ ﴾ ، قال : يا هذا ؛ فأين الشفاعة ؟ قال : ارجع إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾ ، قال : يا هذا ؛ فأين الرحمة ؟ فوثب قائماً فقال : انتهت المسألة ، في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِمَّنْ أَلْمَحَسِينَ ﴾ .

(٤) رواه في « تاريخ دمشق » (٥٠٣/٤٢) بنحوه ، وعبد الحق الإشبيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص

٦٧) ؛ وفيه : (فكان قد نزل بك الأجل ، والسلام) .

(٥) الأبيات في « ديوانه » (ص ٢٠٥) .

على أن ذا الزيغ قد يستفيق ويستأنف الزيغ قلب التقي

والحال الثالثة : أن يكون تقصيره فيه ليستوفي ما أحلَّ به من بعد ، فيبدأ بالسيئة في التقصير قبل الحسنة في الاستيفاء ؛ اغتراراً بالأمل في إمهاله ، ورجاءً لتلافي ما أسلف من تقصيره وإخلاله ، فلا ينتهي به الأمل إلى غاية ، ولا يفضي به إلى نهاية ؛ لأن الأمل في ثاني حال كهو في أول حال^(١) ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من كان يأمل أن يعيش غداً . فإنه يأمل أن يعيش أبداً »^(٢) . ولعمري ؛ إنَّ هذا صحيح ؛ لأن لكل يوم غداً ، فإذا يفضي به الأمل إلى الفؤت من غير درك ، ويؤدِّيهِ الرجاء إلى الإهمال من غير تلافٍ ، فيصير الأمل خيبةً ، والرجاء إياساً .

وقد روى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أوَّلُ صلاحِ هذه الأمة : باليقين والزُّهد ، وفسادِها : بالبخل والأمل »^(٣) . وقال الحسن البصري رضي الله تعالى عنه : (ما أطال عبدُ الأمل إلا أساء العمل)^(٤) .

وقال رجل لبعض الزُّهَّاد بالبصرة : (ألك حاجةٌ ببغداد ؟ قال : ما أحبُّ أن أبسطَ أُملي بمن يذهب إلى بغداد ويجيء)^(٥) . وقال بعض الحكماء : (الجاهل يعتمد على أمله ، والعاقل يعتمد على عمله)^(٦) .

(١) كهو : كالأمل الموجود في أول حال ، واستعير المرفوع المنفصل من المجرور المتصل ؛ لتعذر الاتصال ، إذ لا يقال : (كه) كما يقال : (به) و(منه) .

(٢) أورده الديلمي في « الفردوس » (٤٧٠٩) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٣٥٠) .

(٤) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٢٩٩) ، وابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (١٠٥) .

(٥) أورده عبد الحق الإشيلي في « العاقبة في ذكر الموت » (ص ٦٥) ؛ وفيه : (... أُملي حتى تمضي إلى بغداد وتجيء) .

(٦) أورده في « العاقبة في ذكر الموت » (ص ٦٨) ، وفي (ج) زيادة : (والعارف يعتمد على ربه وجلاله) .

وقال بعض البلغاء : (الأمل كالسَّراب ، غَرَّ مَنْ رآه ، وخاب مَنْ رجاه)^(١) .
 وقال محمد بن يزداد : دخلتُ على المأمون - وكان يومئذٍ وزيره - فرأيتُه قائماً
 ويده رقعةً ، فقال : يا محمد ؛ أقرأتَ ما فيها ؟ فقلت : هي في يد أمير
 المؤمنين !! قال : فرمى بها إليّ ؛ فإذا فيها مكتوبٌ :
 [من السريع]

إِنَّكَ فِي دَارٍ لَهَا مَدَّةٌ يُقْبَلُ فِيهَا عَمَلُ الْعَامِلِ
 أَمَا تَرَى الْمَوْتَ مُحِيطاً بِهَا يَقْطَعُ فِيهَا أَمَلَ الْآمِلِ
 تُعْجَلُ الذَّنْبُ لِمَا تَشْتَهِي وَتَأْمَلُ التَّوْبَةَ مِنْ قَابِلِ
 وَالْمَوْتُ يَأْتِي بَعْدَ ذَا غَفْلَةٍ مَا ذَا بِفَعْلِ الْحَازِمِ الْعَاقِلِ

فلما قرأتها . . قال المأمون : هذا من أحكم شعرٍ قرأته^(٢) .
 وقال أبو حازم الأعرج : (نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب ، ونحن
 لا نتوب حتى نموت)^(٣) .

وقال بعض البلغاء : (الإمهالُ رائدُ الإهمالِ)^(٤) .

والحال الرابعة : أن يكون تقصيره فيها استثقلاً للاستيفاء ، وزهداً في التمام ،
 واقتصاراً على ما سنع ، وقلةً اكتراثٍ فيما بقي ؛ فهذا على ثلاثة أضرب :
 - أحدها : أن يكون ما أُخِلَّ به وقصّر فيه غيرَ قادح في فرض ، ولا مانع من
 أجزاء عبادة ؛ كمن اقتصر من العبادة على فعل واجباتها ومفروضاتها ، وأخلَّ
 بمسنوناتها وهيئاتها ؛ فهذا مسيء فيما ترك إساءةً مَنْ لا يستحقُّ وعيداً ،
 ولا يستوجب عقاباً ؛ لأن أداء الواجب يُسقط عنه العقاب ، وإخلاله بالمسنون
 يمنع من إكمال الثواب .

(١) أورده في « البصائر والذخائر » (١٠٢/٥) ، و« زهر الآداب » (٤٠٥/١) مما رواه الأصمعي عن
 أعرابي .

(٢) أورده في « تاريخ دمشق » (٢٣٨/٥٦) ، وذكر فيه (٣٣٣/٣٣) : أن الأبيات كتبها علي بن موسى
 الرضا إلى المأمون .

(٣) رواه في « حلية الأولياء » (٢٣٢/٣) ، و« المجالسة وجواهر العلم » (١٢٦٥) .

(٤) انظر « فيض القدير » (١٩٤/٣) ، والمراد : أنه جاسوسه الذي يتقدمه ويهيء له مرعىً ومنزلاً .

وقد قال بعض الحكماء : (مَنْ تَهَاوَنَ بِالَّذِينَ .. هَانَ ، وَمَنْ غَالَبَ الْحَقَّ ..
لَانَ) .

وقال الشاعر :

وَيَصُونُ ثَوْبِيهِ وَيَتَرُكُ غَيْرَ ذَلِكَ لَا يَصُونُهُ
وَأَحَقُّ مَا صَانَ الْفَتَى وَرَعَى أَمَانَتَهُ وَدِينَهُ

- والضرب الثاني : أن يكون ما أخلَّ به من مفروض عباداته ، لكن لا يقدر ترك ما بقي فيما مضى ؛ كَمَنْ أكمل عبادة ، وأخلَّ بغيرها ، فهذا أسوأ حالاً ممَّا تقدمه ؛ لما استحقَّه من الوعيد ، واستوجه من العقاب .

- والضرب الثالث : أن يكون ما أخلَّ به من مفروض عباداته ، وهو قاذح فيما عمل منها ؛ كالعبادة التي يرتبط بعضها ببعض ، فيكون المقصَّر في بعضها تاركاً لجميعها ، فلا يحسب له بما عمل ؛ لإخلاله بما بقي ، وهذه أسوأ أحوال المقصَّرين ، ولاحقاً بأحوال التاركين ، بل قد تكلف ما لا يُسقط فرضاً ، ولا يؤدِّي حقاً ، فقد ساوى التاركين في استحقاق الوعيد ، وزاد عليهم في تكلف ما لا يفيد ، فصار من الأخسرين أعمالاً الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، ثم لعلَّه لا يفتن لشانه ، ولا يشعر بخسرانه ، وقد خسر الدنيا والآخرة ، ويفتن لليسير من ماله إن وهى واختلَّ .

وأنشدني بعض أهل العلم ^(١) :

أُبْنِيْ إِنْ مِّنَ الرِّجَالِ بَهِيْمَةٍ فِي صُورَةِ الرَّجْلِ السَّمِيعِ الْمُبْصِرِ
فَطَنَّا بِكُلِّ مَصِيْبَةٍ فِي مَالِهِ فَإِذَا يُصَابُ بِدِينِهِ لَمْ يَشْعِرْ

وأما الحال الثالثة : وهو أن يزيد فيما كُلف .. فهذا على ثلاثة أقسام :

- أحدها : أن تكون الزيادة رياءً للناظرين ، وتصنعاً للمخلوقين ، حتى

(١) البيتان مسويان لسيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه في « ديوانه » (ص ١٣٧) ، ولعبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى في « ديوانه » (ص ٨١) .

يستعطف به القلوب النافرة ، ويخدع به العقول الواهية ، فيتبهرج بالصلحاء وليس منهم ، ويتدلّس بالأخيار وهو ضدهم .

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم للمُرَّاثي بعمله مثلاً فقال : « الْمُتَشَبِّعُ بما لا يملكُ كلابس ثوبَي زُورٍ »^(١) ، يريد بالمتشبع بما لا يملك : المتزيّن بما ليس فيه ، وقوله : (كلابس ثوبَي زُورٍ) هو الذي يلبس ثياب الصُّلَحَاء ، ويفعل فعل الطُّلَحَاء ، فهو بريائه محروم الأجر ، مذموم الذِّكر ؛ لأنه لم يقصد به وجه الله تعالى فيؤجّر عليه ، ولا يخفى زياؤه على الناس فيُحمَد به .

وقال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ قال جميع أهل التأويل : (معنى قوله : ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ أي : لا يُرَّاثي بعمله أحداً)^(٢) .

فجعل الرياء شركاً ؛ لأنّه جعل ما يُقصد به وجهُ الله تعالى مقصوداً به غيرُ الله تعالى .

وقال الحسن البصري في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُهَا ﴾ قال : (لا تجهر بها رياءً ، ولا تُخافت بها حياءً)^(٣) .

وكان سفيان بن عيينة يتأوّل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ ﴾ : (أن العدل : استواء السريرة والعلانية في العمل لله تعالى ، والإحسان : أن تكون سريرته أحسن من علانيته ، والفحشاء والمنكر : أن تكون علانيته أحسن من سريرته)^(٤) .

وكان غيره يقول : (العدل : شهادة أن لا إله إلا الله ، والإحسان : الصبر على أمره ونهيه ، وطاعة الله تعالى في سرّه وجهره ، وإيتاء ذي القربى : صلة الأرحام ،

(١) رواه البخاري (٥٢١٩) ، ومسلم (٢١٣٠) عن السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما .

(٢) رواه هناد في « الزهد » (٨٥٣) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٤٣٩) عن سعيد بن جبير رحمه الله تعالى .

(٣) رواه في « تاريخ دمشق » (٨ / ٧) .

(٤) رواه الخطيب البغدادي في « موضح أوهام الجمع والتفريق » (٤٣٥ / ١) .

وينهى عن الفحشاء : يعني : الزنا ، والمنكر : القبائح ، والبغي : الكبر والظلم^(١) .

وليس يخرج الرياء بالأعمال من هذا التأويل أيضاً ؛ لأنه من جملة القبائح .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي : الرياءُ الظاهرُ ، والشهوةُ الخفية »^(٢) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَشَدُّ النَّاسِ عَذَاباً يَوْمَ الْقِيَامَةِ : مَنْ يَرَى أَنَّ فِيهِ خَيْراً وَلَا خَيْرَ فِيهِ »^(٣) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (لا تعمل شيئاً من الخير رياءً ، ولا تتركه حياءً)^(٤) .

وقال بعض البلغاء : (كلُّ حسنة لم يُرد بها وجه الله تعالى .. فعلتها قبْحُ الرياء ، وثمرتها سوءُ الجزاء) .

وقد يفضي الرياء بصاحبه إلى استهزاء الناس به ؛ كما حكى أن طاهر بن الحسين قال لأبي عبد الله المروزي : (منذ كم صرت إلى العراق يا أبا عبد الله ؟ قال : دخلت العراق منذ عشرين سنة ، وأنا منذ ثلاثين سنة صائم ، فقال : يا أبا عبد الله ؛ سألناك عن مسألة ، فأجبنا عن مسألتين !؟)^(٥) .

وحكى الأصمعي : أن أعرابياً صلّى فأطال وإلى جانبه قومٌ ، فقالوا : ما أحسن صلاتك !! فقال : وأنا مع ذلك صائم ، فقال أعرابيٌّ كان فيهم يستهزئ به :
[من الكامل]

صَلَّيْ فَأَعْجَبَنِي وَصَامَ فَرَابَنِي نَحَّ الْقُلُوصَ عَنِ الْمُصَلِّي الصَّائِمِ^(٦)

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (١٩٨ / ١٤ / ٨) ، والطبراني في « الدعاء » (١٥٨٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٤٠٥) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٢٢ / ٧) .

(٣) رواه أبو عبد الرحمن السلمي في « الأربعين في التصوف » (١١) ، والديلمى في « الفردوس » (١٤٥٨) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٤) أورده في « محاضرات الأدباء » (١٢٥ / ٤) ، و« ربيع الأبرار » (٢٣٧ / ٢) .

(٥) أورده في « البيان والتبيين » (٣١٩ / ٢) ، و« العقد الفريد » (٢١٦ / ٣) .

(٦) أورده في « البيان والتبيين » (٣١٩ / ٢) .

فانظر إلى هذا الرياء مع قبحه ، ما أدلّه على سخف عقل صاحبه !!

وربّما ساعد الناس بظهور ريائه على الاستهزاء بنفسه ؛ كالذي حكى أن زاهداً نظر إلى رجلٍ في وجهه سجادة كبيرة واقفاً على باب السلطان ، فقال : (مثلُ هذا الدرهم بين عينيك وأنت ههنا ؟ ! فقال : إنّه ضُرب على غير السكة)^(١) ، وهذا من أجوبة الخُلاعة التي يدفع بها تهجين المذمّة .

ولقد استحسن الناس من الأشعث بن قيس قوله وقد خَفَّفَ صلاته مرةً ، فقال له بعض أهل المسجد : خَفَّفْتَ صلاتك جداً !! فقال : (إنّه لم يخالطها رياءٌ)^(٢) .

فخلص من تنقُّصهم وسلم من تعيُّبهم بنفي الرياء عن نفسه ، ورفع التصعُّع من صلاته ، وقد كان الإنكار لولا ذلك متوجّهاً عليه ، واللوم لاحقاً به .

ومرّ أبو أمامة ببعض المساجد ؛ فإذا رجلٌ يصلي وهو يبكي ، فقال : (أنت أنت ؛ لو كان هذا في بيتك ؟)^(٣) ، فلم يرَ ذلك منه حسناً ؛ لأنه اتهمه بالرياء ولعله كان بريئاً منه ، فكيف بمن صار الرياء أغلب صفاته ، وأشهر سماته ، مع أنه آثمٌ فيما عمل ، أنمٌ من هبوب النسيم بما حمل ، ولذلك قال عبد الله بن المبارك : (أفضلُ الزهد إخفاءُ الزهد)^(٤) .

وربّما أحسَّ ذو الفضل من نفسه ميلاً إلى المراءاة ، فبعثه الفضل على هتك ما نازعته النفس في المراءاة به ، وكان ذلك أبلغ في فضله ؛ كالذي حكى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أنه أحسَّ على المنبر بريح خرجت منه ، فقال : (أيُّها الناس ؛ إني قد ميّلتُ بين أن أخافكم في الله تعالى وبين أن أخاف الله تعالى فيكم ، فكان أن أخافَ الله تعالى فيكم أحبَّ إليّ ، ألا وإني قد فسوتُ ، وها أنا

(١) أورده في « الكشكول » (٢٠١/٢) ، و« شرح نهج البلاغة » (١٣٩/١٨) من قول الربيع وزير المنصور .

(٢) أورده البلاذري في « أنساب الأشراف » (٤٥٢/١٠) ، و« البيان والتبيين » (٣٣٤/٢) ، و« التذكرة الحمدونية » (٢١٨/٧) من قول أشعث .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٥٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٧/٢٤) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (١٠٣) ، و« المجالسة وجواهر العلم » (٧١) .

إذا أنزل لأعيد الوضوء»^(١) ، فكان ذلك منه زجراً لنفسه ؛ لتكفّ عن نزاعها إلى مثله .

وقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي : (عطني ، فقال : لا أرضى نفسي لك ؛ لأنّي أجلس بين الفقير والغني ، فأميل على الفقير ، وأوسع للغني)^(٢) .

ولأن طاعة الله تعالى في العمل لوجهه لا لغيره .

حكى : أن قوماً أرادوا سفراً ، فحادوا عن الطريق ، فانتهوا إلى راهب فقالوا : (قد ضللتنا ، فكيف الطريق ؟ فقال : ههنا ، وأوماً إلى السماء)^(٣) .

- والقسم الثاني : أن يفعل الزيادة اقتداءً بغيره ، وهذا قد ثمره مجالسة الأخيار الأفاضل ، وتحديثه مكاثرة الأتقياء الأماثل ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « المرء على دين خليله ؛ فليَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ »^(٤) .

فإذا كاثرهم المُجالِسُ ، وطاولهم المؤانسُ . . أحبَّ أن يقتدي بهم في أفعالهم ، ويتأسى بهم في أعمالهم ، ولا يرتضي لنفسه أن يقصّر عنهم ، ولا أن يكون في الخير دونهم ، فتبعته المنافسة على مساواتهم ، وربّما دعت الحميّة إلى الزيادة عليهم ، والمكاثرة لهم ، فيصيروا سبباً لسعادته ، وباعثاً على استزادته .

والعرب تقول : (لولا الوئامُ . . هلك الأنامُ)^(٥) أي : لولا أن الناس يرى بعضهم بعضاً فيقتدي به في الخير . . لهلكوا .

ولذلك قال بعض البلغاء : (إنَّ من خير الاختيار صحبة الأخيار ، ومن شرِّ الاختيار مودة الأشرار) وهذا صحيح ؛ لأن للمصاحبة تأثيراً في اكتساب

(١) أورده في « عيون الأخبار » (٢٦٧ / ١) ، وميل بين الأمرين : تردّد أيّهما يأتي .

(٢) أورده في « عيون الأخبار » (٣٧٠ / ٢) ، و « البيان والتبيين » (١٤٣ / ٣) .

(٣) أورده في « عيون الأخبار » (٣٦٨ / ٢) ، و « المجالسة وجواهر العلم » (٧٣٥) .

(٤) رواه أبو داود (٤٨٣٣) ، والترمذي (٢٣٧٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) أورده أبو عبيد في « الأمثال » (ص ١٥٦) .

الأخلاق ، فتصلح أخلاق المرء بمصاحبة أهل الصلاح ، وتفسد بمصاحبة أهل الفساد .

وقال الشاعر^(١) :

[من الطويل]
رَأَيْتُ صَلَاحَ المرءِ يُصْلِحُ أَهْلَهُ وَيُعْدِيهِمْ عِنْدَ الفَسَادِ إِذَا فَسَدَ
يُعْظَمُ فِي الدُّنْيَا بِفَضْلِ صَلَاحِهِ وَيُحْفَظُ بَعْدَ المَوْتِ فِي الأَهْلِ وَالوَلَدِ
وَأُنْشَدَنِي بَعْضُ أَهْلِ الأَدَبِ لِأَبِي بَكْرِ الخَوَارِزْمِيِّ^(٢) :

[من الكامل]
لَا تَصْحَبِ الكَسْلَانَ فِي حَاجَاتِهِ كَمْ صَالِحٍ بِفَسَادٍ آخَرَ يَفْسُدُ
عَدَوَى البَلِيدِ إِلَى الجَلِيدِ سَرِيعَةٌ وَالجَمْرُ يُوضَعُ فِي الرَّمَادِ فَيُخْمَدُ

- والقسم الثالث : أن يفعل الزيادة ابتداءً من نفسه ؛ التماساً لثوابها ، ورغبةً في الزُّلْفَةِ بها ، فهذا من نتائج النفس الزاكية ، ودواعي الرغبة الوافية ، الدالِّين على خُلُوص الدين ، وصحَّة اليقين ؛ وذلك أفضل أحوال العاملين ، وأعلى معاقل منازل العابدين .

وقد قيل : (الناس في الخير أربعة : منهم مَنْ يفعله ابتداءً ، ومنهم مَنْ يفعله اقتداءً ، ومنهم مَنْ يتركه استحساناً ، ومنهم مَنْ يتركه حرماناً ؛ فَمَنْ فعله ابتداءً . فهو كريم ، وَمَنْ فعله اقتداءً . فهو حكيم ، وَمَنْ تركه استحساناً . فهو ردي ، وَمَنْ تركه حرماناً . فهو شقي)^(٣) .

ثم لما يفعله من الزيادة حالتان :

إحداهما : أن يكون مقتصداً فيها ، وقادراً على الدوام عليها ؛ فهي أفضل

(١) البيتان لمحمود الوراق في « ديوانه » (ص ٩٧) .

(٢) أورد البيتين في « يتيمة الدهر » (٢٧٥ / ٤) ، و« بهجة المجالس » (٧٠٥ / ١) .

(٣) أورده في « المستطرف » (٩٠ / ١) .

الحاليتين ، وأعلى المنزلتين ، وعليها انقرض أخيار السلف ، وتبعهم فيها فضلاء الخلف .

وقد روت عائشة رضي الله تعالى عنها أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : « أَيُّهَا النَّاسُ ؛ اكْلَفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَمَلُّ مِنَ الثَّوَابِ حَتَّى تَمَلُّوا مِنَ الْعَمَلِ ، وَخَيْرُ الْأَعْمَالِ مَا دِيمَ عَلَيْهِ » (١) .

والعرب تقول : (القصْدُ والدوامُ وأنت السابقُ الجوادُ) (٢) .

ولأنَّ مَنْ كان صحيح الرغبة في ثواب الله تعالى . . لم تكن له مسرَّةٌ إلا في طاعته ، قال عبد الله بن المبارك رحمه الله : (قلت لراهب : متى عيدُكم ؟ قال : كلُّ يوم لا أعصي الله تعالى فيه . . فهو يوم عيد) (٣) .

انظر إلى هذا القول منه وإن لم يكن من مقاصد الطاعة ، ما أبلغه في حب الطاعة ، وأحثّه على بذل الاستطاعة !!

وخرج بعض الزهَّاد في يوم عيدٍ في هيئةٍ رثَّةٍ ، فقيل له : (أخرج في مثل هذا اليوم في مثل هذه الهيئة والناس يتزيَّنون ؟ ! فقال : ما يُتَزَيَّنُ لله تعالى بمثل طاعته) (٤) .

والحال الثانية : أن يستكثر منها استكثارَ مَنْ لا ينهض بدوامها ، ولا يقدر على اتصالها ، فهذا ربما كان بالمقصر أشبه ؛ لأن الاستكثار من الزيادة : إما أن يمنع من أداء اللازم ، فلا يكون إلا تقصيراً ؛ لأنه تطوُّعٌ بزيادةٍ أحدثت نقصاً ، وبنفيلٍ منع فرضاً .

(١) رواه البخاري (٤٣) ، ومسلم (٧٨٢) ، وأبو داود (١٣٦٨) ، وقوله : (من الثواب) و (من العمل) مدرجٌ في الحديث .

(٢) أورده في « عيون الأخبار » (٣٢٧/١) من قول سيدنا سلمان رضي الله عنه ، وقوله : (القصْدُ والدوام) منصوبان على الإغراء ؛ أي : الزمهما .

(٣) أورده في « الكشكول » (٢١٨/١) ، و « البصائر والذخائر » (١٩٨/١) .

(٤) روى نحوه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٧٣/١٠) عن أبي بكر الشبلي رحمه الله تعالى .

وإما أن يعجز عن استدامة الزيادة ، ويمنع من ملازمة الاستكثار من غير إخلالٍ
بلازم ، ولا تقصير في فرض ؛ فهي إذاً قصيرة المدى ، قليلة اللَّبْث .

ولَقَلِيلُ العمل في طويل الزمان أفضلُ عند الله من كثير العمل في قصير
الزمان ؛ لأنَّ المستكثر من العمل في الزمان القصير قد يعمل زماناً ويترك زماناً ،
فربَّما صار في زمانٍ تركه لاهياً أو ساهياً ، والمقلُّ في الزمان الطويل مستيقظ
الأفكار ، مستديم التَّدْكار .

وقد روى أبو صالح ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبيِّ صلى الله عليه
وسلم أنه قال : « إِنَّ لِلإِسْلَامِ شِرَّةً ، وَلِلشَّرِّ فِتْرَةً ، فَمَنْ سَدَّدَ وَقَارَبَ . .
فَارْجُوهُ ، وَمَنْ أَشِيرَ إِلَيْهِ بِالْأَصَابِ . . فَلَا تَعُدُّوهُ »^(١) ، فجعل للإسلام شِرَّةً ؛
وهي : الإيغال في الاستكثار ، وجعل للشِّرَّة فِتْرَةً ؛ وهي : الإهمال بعد
الاستكثار ، فلم يخلُ بما أثبت من أن تكون هذه الزيادة تقصيراً أو إخلالاً ،
ولا خيرَ في واحد منهما .

واعلم - جعل الله تعالى العلمَ حاكماً لك وعليك ، والحقَّ قائداً لك وإليك - :
أنَّ للدنيا إذا وصلت تبعاتٍ موبقة^(٢) ، وإذا فارقت فجعاتٍ محرقةً ، وليس
لوصلها دوامٌ ، ولا من فراقها بدٌّ ، فَرُضْ نفسك على قطيعتها لتسلم من تبعاتها ،
وعلى فراقها لتأمن من فجعاتها ، فقد قيل : (المرء مقترَض من عمره
المنقَرَض ؛ مع أن العمر وإن طال قصير ، والفراغ وإن تمَّ يسير) .

أُنشِدْتُ لعلي بن محمد^(٣) :

إذا كَمَلْتُ للمرءِ سَتُونَ حِجَّةً	فلم يَحْظَ من سَتِينَ إلا بِسُدْسِهَا
ألم تَرَ أَنَّ النصفَ ليلٍ حاصلٌ	وتذهبُ أوقاتُ المَقِيلِ بِخُمْسِهَا
وتأخذُ أوقاتُ الهمومِ بحصَّةٍ	وأوقاتُ أوجاعٍ تَمِثُ بِمَسِّهَا

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٣٤٩) ، والترمذي (٢٤٥٣) ، وتَمَام في « فوائده » (١٦٦٩) ،
والشِّرَّة : النشاط والرغبة في الخير أو الشر .

(٢) التبعة : ما بقي في الذمة واجباً أداؤه كالمظلمة ، وموبقة : مهلكة .

(٣) أورد الأبيات الذهبي في « تاريخه » (١١٥ / ٢١) لأبي سليمان الضرير .

فحاصل ما يبقى له سُدُسُ عُمُرِهِ إذا صدقته النفسُ عن علم حَدْسِهَا

ورياضة نفسك لذلك تترتب على أحوال ثلاث ، وكلُّ حالٍ منها تشعب ، وهي لتسهيل ما يليها سبب .

فالحال الأولي : أن تصرف حبَّ الدنيا عن قلبك ؛ فإنها تلهيك عن آخرتك ، ولا تجعلُ سعيك لها . . فتمنعك حظُّك منها ، وتوقُّ الركونَ إليها ، ولا تكنَ آمناً لها ؛ فقد روي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ أَشْرَبَ قَلْبُهُ حَبَّ الدُّنْيَا وَرَكَنَ إِلَيْهَا . . أَتَنَاطَ مِنْهَا بِشْغَلٍ لَا يَبْلُغُ عَنَاهُ ، وَأَمَلٍ لَا يَبْلُغُ مَنَتَهَا ، وَحَرَصٍ لَا يُدْرِكُ مَدَاهُ »^(١) .

وقال عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : (الدنيا لإبليس مزرعةٌ ، وأهلُها له حُرَّاثٌ)^(٢) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (مثلُ الدنيا مثلُ الحيَّةِ ؛ لَيِّنْ مَسْئَهَا ، قَاتِلْ سَمَّهَا ، فَأَعْرِضْ عَمَّا أَعْجَبَكَ مِنْهَا ؛ لَقَلَّةٌ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا ، وَضَعُ عُنْكَ هُمُومَهَا ؛ لَمَّا أَيقَنْتَ مِنْ فِرَاقِهَا ، وَكُنْ أَحْذَرَ مَا تَكُونُ لَهَا أَنْسَ مَا تَكُونُ بِهَا ؛ فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا أَطْمَأَنَّ مِنْهَا إِلَى سُرُورٍ . . أَشْخَصَهُ عَنْهَا مَكْرُوهٌ ، وَإِلَى إِيْنَاسٍ . . أَزَالَهَا عَنْهَا إِيحَاشٌ)^(٣) .

وقال بعض البلغاء : (إِنَّ الدُّنْيَا لَا تَصْفُو لِشَارِبٍ ، وَلَا تَفِي لِصَاحِبٍ ، وَلَا تَخْلُو مِنْ فِتْنَةٍ ، وَلَا تُخْلِي مِنْ مَحَنَةٍ ، فَأَعْرِضْ عَنْهَا قَبْلَ أَنْ تَعْرِضَ عَنْكَ ، وَاسْتَبْدِلْ

(١) رواه الشهاب في « مسنده » (٥٤١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٢٠ / ٨) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، ركن إليها : تفسير للإشراب ومدرج في الحديث ، والتايط : لصق بقلبه ؛ ومنه نكاح الجاهلية يقال : التايط به الولد ؛ أي : التصق به وليس له .

(٢) رواه البيهقي في « الزهد » (٢٦٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١٦ / ٤٧) .

(٣) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠١٤٢) ، وابن أبي الدنيا في « الزهد » (١٦٤) ممَّا كتبه إلى سلمان رضي الله عنه .

بها قبل أن تستبدل بك ؛ فإن نعيمها ينتقل ، وأحوالها تتبدل ، ولذاتها تنفى ،
وتبعاتها تبقى) .

وقال بعض الحكماء : (انظر إلى الدنيا نظر الزاهدِ المفارقِ ، ولا تتأملها
تأملُ العاشقِ الوامقِ)^(١) .

وقال بعض الشعراء^(٢) :

ألا إنّما الدنيا كأحلامٍ نائمٍ وما خيرُ عيشٍ لا يكون بدائمٍ
تأملُ إذا ما نلتَ بالأمسِ لذةً فأفنيتهَا هل أنتَ إلا كحالمٍ
فمن غافلٍ عنه وليس بغافلٍ ومن نائمٍ عنه وليس بنائمٍ
روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من هَوَانِ الدنيا على الله
تعالى : ألا يُعَصَى إلا فيها ، ولا يُنالَ ما عنده إلا بتركها »^(٣) .

وروى سفيان : أن الخضرَ قال لموسى عليهما السلام : (يا موسى ؛ اعزفْ
عن الدنيا ، وانبذها وراءك ؛ فإنّها ليست لك بدار ، ولا لك فيها محلٌّ قرار ،
وإنّما جُعِلت الدنيا للعباد ؛ ليتزوّدوا منها للمعاد)^(٤) .

وقال عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : (الدنيا قنطرة ، فاعبروها
ولا تعمروها)^(٥) .

وقال علي عليه السلام يصف الدنيا : (أولُها عناء ، وآخرُها فناء ، حلالُها
حساب ، وحرأُمُها عقاب ، مَنْ صحَّ فيها . . أَمِنَ ، وَمَنْ مرضَ فيها . . ندم ، وَمَنْ
استغنى فيها . . فُتِنَ ، وَمَنْ افتقرَ فيها . . حزن ، مَنْ ساعاها . . فاتته ، وَمَنْ قعد

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٢٦/٢) ممّا كتبه الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز ، وأورده
في « البصائر والذخائر » (٢٤/٣) ، والواق : هو المحب المفرط .

(٢) البيتان الأولان لابن عبد ربه الأندلسي في « ديوانه » (ص ٢٢٩) .

(٣) أورده في « المحاسن والأضداد » (ص ١١٦) ، و« بهجة المجالس » (٢٨١/٢) من قول أبي الدرداء
رضي الله عنه .

(٤) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤١٤/١٦) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٩٠٨) .

(٥) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٥) ، و« تاريخ دمشق » (٤٣٠/٤٧) .

عنها . . أتته ، وَمَنْ نظر إليها . . أعمته ، وَمَنْ نظر بها . . بصّرته (١) .

وقال بعض البلغاء : (الدنيا تُقبل إقبال الطالب ، وتُدبر إدبار الهارب ،
وتصل وصال المَلُول ، وتفارق فراق العَجُول ؛ فخيرها يسير ، وعيشها قصير ،
واقبالها خديعة ، وإدبارها فجيرة ، ولذاتها فانية ، وتبعاتها باقية ، فاعتنم غفوة
الزمان ، وانتهاز فرصة الإمكان ، وخذ من نفسك لنفسك ، وتزوّد من يومك
لغدك) (٢) .

وقال وهب بن منبه : (مثلُ الدنيا والآخرة مثلُ ضرّتين ؛ إن أرضيت
إحدهما . . أسخطت الأخرى) (٣) .

وقال عبد الحميد : (الدنيا منازلٌ ؛ فراحلٌ ونازلٌ) .

وقال بعض الحكماء : (الدنيا إمّا نعمة نازلة ، وإمّا نعمة زائلة) .

وقيل في منشور الحكم : (مَنْ الدنيا على الدنيا دليلٌ) (٤) .

وقال بعض الشعراء (٥) :

تسمّع من الأيام إن كنت حازماً فإنك منها بين ناهٍ وأمير
إذا أبقت الدنيا على المرء دينه فما فات من شيء فليس بضائر
فلن تعدل الدنيا جناح بعوضة ولا وزن رفّ من جناح لطائر
فما رضي الدنيا ثواباً لمؤمنٍ ولا رضي الدنيا جزاءً لكافرٍ

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الدنيا يومان : يوم فرح ،
ويوم همّ ، وكلاهما زائلٌ عنك ، فدعوا ما يزولُ ، وأتعبوا أنفسكم في العمل لما
لا يزولُ » .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (١٨) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٥٣٩) .

(٢) أوردته في « سراج الملوك » (٧١/١ - ٧٢) ، و« شرح نهج البلاغة » (٢٨/١٨) .

(٣) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٥١/٤) .

(٤) أوردته في « شرح نهج البلاغة » (٩١/١٦) .

(٥) الأبيات لأبي العتاهية في « ديوانه » (ص ١٤٨ - ١٥٠) ، وعجز البيت الثالث فيه : (لدى الله أو مقدارٌ

زغبة طائر) ، وفي (ج) : (وزن ثق) .

وقال عيسى ابن مريم عليه السلام : (لا تُنازعوا أهلَ الدنيا في دنياهم
فإننا نزعوكم في دينكم ؛ فلا دنياهم أصبتم ، ولا على دينكم أبقيتم)^(١) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (لا تكن ممن يقول في الدنيا بقول
الزاهدين ، ويعمل فيها عملَ الراغبين ؛ إن أُعطي منها . . لم يشبع ، وإن مُنع
منها . . لم يقنع ، يعجز عن شكر ما أُوتي ، وابتغي الزيادة فيما بقي ، ينهي
ولا ينتهي ، ويأمر بما لا يأتي ، يحبُّ الصالحين ولا يعمل بعملهم ، ويبغض
الطالحين وهو منهم)^(٢) .

وقال الحسن البصري رحمه الله : (الدنيا كُلُّها غمٌّ ؛ فما كان منها من
سرورٍ . . فهو ربيعٌ)^(٣) .

وقال بعض العلماء : (الدنيا كثيرة التغير ، سريعة التنكير ، شديدة المكر ،
دائمة الغدر ، فاقطع أسباب الهوى عن قلبك ، واجعل أبعد أملك بقيةً يومك ،
وكن كأنك ترى ثواب عملك) .

وقال بعض الحكماء : (الدنيا : إمَّا مصيبةٌ موجهة ، وإمَّا منيةٌ مفاجئة) .

وأشد : [من مجزوء الخفيف]

كُلُّ دُنْيَا فَإِنَّهَا	يُعَقِبُ الْخَيْرَ شَرُّهَا
هِيَ أُمَّ تَعُوقُ مِنْ	نَسْلِهَا مَنْ يَبْرُؤُهَا
كُلُّ نَفْسٍ فَإِنَّهَا	تَبْتَغِي مَا يَضُرُّهَا
وَالْمَنَايَا تَسْوِقُهَا	وَالْأُمَانِي تَغُرُّهَا
وَإِذَا اسْتَحَلَّتِ الْجَنَى	أَعْقَبَ الْحَلَوَ مَرُّهَا
يَسْتَوِي فِي ضَرْحِهِ	عَبْدُ أَرْضٍ وَحُرُّهَا

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٢ / ٦٨) .

(٢) أورد نحوه في « البيان والتبيين » (١٠١ / ٢) ، و « شرح نهج البلاغة » (٣٥٦ / ١٨) .

(٣) أوردته في « البصائر والذخائر » (٦٢ / ٤) ، ورواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٣٣٩٦) ، و « عيون

الأخبار » (٣٣٠ / ٢) من قول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

فإذا رَضْتَ نفسك من هذه الحال بما وصفتُ .. اعتضتَ منها ثلاثَ
خلال :

- إحداهن : أن تُكفَى إشفاقَ المحبِّ ، وحذرَ الواقعِ ؛ فليس لمشفق ثقة ،
ولا لحاذر راحة .

- والثانية : أن تأمن الاغترار بملاهيها ، فتسلم من عادية دواهيها ؛ فإنَّ
اللاهِيَّ بها مغرور ، والمغرور فيها مدهو^(١) .

- والثالثة : أن تستريح من تعب السعي لها ، ووَصَب الكدِّ فيها ؛ فإنَّ مَنْ
أحبَّ شيئاً .. طلبه ، وَمَنْ طلب شيئاً .. كدَّ له ، والمكدود فيها شقيٌّ إن ظفر ،
ومحرومٌ إن خاب .

وقد روي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال لكعب : « يا كعبُ ؛ الناسُ
غاديان : ففادِ نفسه فمُعَتِّها ، وموثقُ نفسه فمُوبِقُها »^(٢) .

وقال عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : (تعملون للدنيا وأنتم تُرزقون
فيها بغير عمل ، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلا بعمل !!)^(٣) .

وقال بعض البلغاء : (من نكَد الدنيا : ألا تبقى على حالة ، ولا تخلو من
استحالة ، تصلح جانباً بإفساد جانب ، وتسرُّ صاحباً بمَسَاءة صاحب ، فالركون
إليها خطر ، والثقة بها غرر)^(٤) .

وقال بعض الحكماء : (الدنيا مرتجعة الهبة ، والدهر حَسود ، لا يأتي على
شيءٍ إلا غيَّره ، ولمن عاش حاجةً لا تنقضي)^(٥) .

ولما بلغ مَرْدَك من الدنيا أفضلَ ما سَمَت إليه نفسه .. نبذها^(٦) ،

(١) الدواهي : جمع (داهية) وهي النائية والنازلة العظيمة ، ومدهو : مصاب بداهية عظيمة .

(٢) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٤٥١٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٣٧٨) بنحوه .

(٣) رواه أبو داود في « الزهد » (١) ، والدارمي في « مسنده » (٣٨٠) .

(٤) أورده في « الكشكول » (١٨٩/٢) ، و« شرح نهج البلاغة » (٢٩/١٨) دون نسبة .

(٥) روى الجملة الأولى منه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (٤٤٨) عن عامر بن عبد قيس .

(٦) مَرْدَك : هو مؤسس الزندقة الإباحية ، ظهر في أيام قباز والد أنوشروان في بلاد فارس ، وكثر أتباعه ، =

وقال : (هذا سرورٌ لولا أنه غرور ، ونعيمٌ لولا أنه عديم ، ومُلكٌ لولا أنه هُلك ، وغناءٌ لولا أنه فناء ، وجسيمٌ لولا أنه ذميم ، ومحمودٌ لولا أنه مفقود ، وغنىٌ لولا أنه منى ، وارتفاعٌ لولا أنه اتضاع ، وعلاءٌ لولا أنه بلاء ، وحسنٌ لولا أنه حزن ، وهو يومٌ لو وُثق له بغدٌ)^(١) .

وقال بعض الحكماء : (قد ملك الدنيا غيرٌ واحد ؛ من راغبٍ وزاهد ، فلا الراغب فيها استبقت ، ولا الزاهد فيها كفت) .

وقال أبو العتاهية^(٢) :

هي الدارُ دارُ الأذى والقذى ودارُ الفناءِ ودارُ الغيْرِ
فلو نلتَها بخدافِ رِها لمتَّ ولم تقضِ منها الوطرُ
أيا مَنْ يؤمِّلُ طولَ الحياةِ وطولُ الحياةِ عليه ضررُ
إذا ما كبرتَ وبانَ الشبابُ فلا خيرَ في العيشِ بعدَ الكِبَرِ

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اللهم ؛ إني أعوذُ بك من علمٍ لا ينفعُ ، ونفسٍ لا تشبعُ ، وقلبٍ لا يشبعُ ، وعينٍ لا تدمعُ ، هل يتوقَّعُ أحدُكم إلا غنىً مُطغياً ، أو فقراً مُنسياً ، أو مرضاً مُفسداً ، أو هرمًا مُفنداً ، أو الدجالَ فهو شرٌّ غائبٌ يُنتظرُ ، أو الساعةَ والساعةُ أدهى وأمرُّ !؟ »^(٣) .

وحكي : أن الله تعالى أوحى إلى عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : (أنْ هَبْ لي من قلبك الخشوعَ ، ومن بدنك الخضوعَ ، ومن عينك الدموعَ ، وادعُني فإنِّي قريبٌ)^(٤) .

= ويسمون المزدكية ، دعا إلى إباحة الحُرَم كلها ، وألا يمنع أحدُ أخاه ما يريده ، فلما تسلم أنوشروان الحكم . .

قتله ونكل باتباعه . ولزيادة الاطلاع انظر « منهاج اليقين » (ص ١٩٠ - ١٩١) .

(١) أورده في « سراج الملوك » (٣٠ / ١) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٦١ - ١٦٢) .

(٣) رواه أبو داود (١٥٤٨) ، والترمذي (٢٣٠٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو مركَّب من حديثين .

(٤) أورده في « عيون الأخبار » (٢ / ٢٩٨) ، و « المجالسة وجواهر العلم » (١٧١) ، و « بهجة المجالس »

(٢ / ٢٧١) .

وقال عيسى ابن مريم عليه السلام : (أوحى الله تعالى إلى الدنيا : مَنْ خدمني .. فآخذه ، وَمَنْ خدَمَكِ .. فاستخدميه)^(١) .

وقال بعض البلغاء : (زد من طول أملك في قصور عملك ؛ فَإِنَّ الدنيا ظلُّ الغمام ، وحُلُمُ النَّيَامِ)^(٢) ؛ فَمَنْ عرفها ثم طلبها .. فقد أخطأ الطريق ، وحُرِمَ التوفيق) .

وقال بعض الحكماء : (لا يؤمنك إقبال الدنيا عليك من إدارها عنك ، ولا دولة لك من إدالتها منك)^(٣) .

وقال آخر : (ما مضى من الدنيا كما لم يكن ، وما بقي منها كما قد مضى)^(٤) .
وقيل لزاهد : (قد خلعت الدنيا ؛ فكيف سَخَتْ نَفْسُك عنها ؟! فقال : أيقنْتُ أَنِّي أُخْرِجُ منها كارهاً ، فرأيتُ أَنْ أدعَها طائِعاً)^(٥) .

وقيل لحُرْقَةَ بنت النعمان : (ما لكِ تبكين ؟! فقالت : رأيت لأهلي غَضَارَةً ، ولن تمتلئ دَارٌ فَرَحاً إِلَّا امتلأت تَرَحاً)^(٦) .

وقال ابن السَّمَاك : (مَنْ جرَّعته الدنيا حلاوتها بميله إليها .. جرَّعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها)^(٧) .

وقال صاحب « كلیلة ودمنة » : (طالب الدنيا كشارب ماء البحر ؛ كلما ازداد شرباً .. ازداد عطشاً)^(٨) .

(١) رواه البيهقي في « الزهد » (١٤) ، وأورده في « البيان والتبيين » (١٦٦/٣) ، و« المستطرف » (٣٦٤/٣) .

(٢) أورده في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٢٧٩) ، و« الإعجاز والإيجاز » (ص ٤٦) مفرقاً .

(٣) أورده المزمزوقي في « شرح ديوان الحماسة » (١٢٠٠/٣) .

(٤) أورده في « التذكرة الحمدونية » (٢٩٠/٦) في خطبة لزيد بن علي رحمهما الله .

(٥) أورده في « البصائر والذخائر » (٢٠٢/١) ، و« ربيع الأبرار » (٩٣/١) .

(٦) أورده في « البيان والتبيين » (١٤٥/٣) ، و« التذكرة الحمدونية » (١٨٣/١) ، والغضارة : النعمة والسعة في العيش .

(٧) رواه البيهقي في « الزهد » (٢٦١) ، وابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٢٧٨) .

(٨) كلیلة ودمنة (ص ٩٢) ، ورواه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٣٤٢) من كلام السيد المسيح عليه السلام .

وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الأبيات كثيراً^(١) : [من الطويل]

نهارك يا مغرور سهوٌ وغفلةٌ وليك نومٌ والأسى لك لازمٌ
تُسَرُّ بما يفنى وتفرحُ بالمُنَى كما سُرَّ بالذاتِ في النومِ حالمٌ
وتُشغلُ فيما سوفَ تكرهُ غِبَّه كذلك في الدنيا تعيشُ البهائمُ

وسمع رجل رجلاً يقول لصاحبه : (لا أراك الله مكروهاً !! فقال : كأنك دعوت على صاحبك بالموت ؛ إن صاحبك ما صاحب الدنيا . . فلا بدَّ أن يرى مكروهاً)^(٢) .

وقال أبو العتاهية^(٣) : [من مجزوء الكامل]

إِنَّ الزَّمَانَ وَإِنْ أَلَا نَ لِأَهْلِهِ لَمُخَاشِنٌ
بِخُطْبِهِ الْمُتَحَرِّكَ تِ كَأَنَّهُنَّ سَوَاكِنٌ

ثم الحال الثانية من أحوال رياضتك لها : أن تصدق نفسك فيما منحتك من رغائبها ، وأنالتك من غرائبها ، فتعلم أن العطية فيها مرتجعة ، والمنحة فيها مستردة ، بعد أن يبقى عليك ما احتقت من أوزار وصولها إليك ، وحسرات خروجها عنك ؛ فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا تزولُ قدما ابنِ آدمَ من بين يدي الله تعالى حتى يُسألَ عن ثلاث : شبابه فيم أبلاه ؟ وعُمُرِه فيم أفناه ؟ وماله من أين اكتسبه ، وفيم أنفقه ؟ »^(٤) .

وروي عن عيسى ابن مريم عليه السلام أنه قال : (في المال ثلاثُ خصالٍ ، قالوا : وما هنَّ يا رُوحَ الله ؟ قال : يكسبه من غير حِلِّه ، قالوا : فإن كسبه من

(١) الأبيات لعبد الله بن عبد الأعلى الشيباني ، انظر « سيرة عمر بن عبد العزيز » لابن الجوزي (ص ٢٧٨) .

(٢) أورده في « المستطرف » (٣٥٠ / ٢) ، و « ربيع الأبرار » (٢٩٢ / ٤) .

(٣) البيتان في « ديوانه » (ص ٢٤٦ - دار صادر) .

(٤) كذا أورده في « البيان والتبيين » (١٢٥ / ٣) من قول الحسن ، والمشهور كما في « سنن الترمذي » (٢٤١٧) : أنه يُسأل عن أربع بزيادة (علمه) .

حِلَّهُ ؟ قال : يضعه في غير حَقِّه ، قالوا : فإنَّ وضعه في حَقِّه ؟ قال : يشغله عن عبادة ربِّه (١) .

ودخل أبو حازم على بشر بن مروان ، فقال له : (يا أبا حازم ؛ ما المَخْرَجُ ممَّا نحن فيه ؟ قال : تنظرُ ما عندك ، فلا تضعه إلا في حَقِّه ، وما ليس عندك ، فلا تأخذه إلا بحَقِّه .

قال : ومن يطيقُ هذا يا أبا حازم ؟ قال : فمن أجل ذلك مُلِئت جهنَّم من الجنَّة والناس أجمعين (٢) .

وعيرت اليهودُ عيسى ابنَ مريم عليه الصلاة والسلام بالفقر ، فقال : (من الغنى دُهِيتُم) (٣) .

ودخل قوم منزل عابد ، فلم يجدوا شيئاً يقعدون عليه ، فقال لهم : (لو كانت الدنيا دارَ مُقام . . لا تأخذنا لها أثاثاً) (٤) .

وقيل لبعض الزهاد : (ألا توصي ؟ قال : بماذا أوصي ؟ ! والله ؛ ما لنا شيءٌ ، وما لنا عند أحدٍ شيءٌ ، ولا لأحدٍ عندنا شيءٌ) (٥) ، انظر إلى هذه الراحة كيف تعجَّلها ، وإلى السلامة كيف صار إليها !! ولذلك قيل : (الفقرُ ملكٌ ليس فيه محاسبةٌ) (٦) .

وقيل لعيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : (ألا تتزوَّجُ ؟ فقال : إنَّما نحبُّ التكلُّفَ في دار البقاء) (٧) .

(١) أوردته في « عيون الأخبار » (٢٤٦ / ١) ، و « البيان والتبيين » (١٩١ / ٣) .

(٢) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٨١٠) ، و « تاريخ دمشق » (٢٩ / ٢٢) .

(٣) أوردته في « عيون الأخبار » (٢٤٧ / ١) ، ورواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٥٨٠) ، ودُهِيتُم : أُصِبتُم بالدهاية وهي المصيبة العظيمة .

(٤) أوردته في « التذكرة الحمدونية » (٢٢٧ / ١) .

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في « القبور » (٢١٨) ضمن خبر طويل .

(٦) أوردته في « محاضرات الأدباء » (٣٠٤ / ٢) ، و « التذكرة الحمدونية » (٨٤ / ٨) .

(٧) أوردته في « البصائر والذخائر » (٢٢٤ / ٩) بنحوه .

وقيل له : (لو دعوت الله تعالى أن يرزقك حماراً ؟ فقال : أنا أكرم على الله تعالى من أن يجعلني خادمَ حمار)^(١) .

وقيل لأبي حازم : (ما مالك ؟ فقال : شيثان ؛ الرضا عن الله تعالى ، والغنى عن الناس)^(٢) .

وقيل له : (إنك لمسكين ، فقال : كيف أكون مسكيناً ومولاي له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى !)^(٣) .

وقال بعض الحكماء : (ربّ مغبوطٍ بمسرةٍ هي دأؤه ، ومرحومٍ من سقمٍ هو شفاؤه)^(٤) .

وقال بعض الأدباء : (الناس أشتات ، ولكلّ جمعٍ شتات)^(٥) .

وقال بعض البلغاء : (الزهد بصحة اليقين ، وصحة اليقين بنور الدين ؛ فمن صحّ يقينه . . زهد في الثراء ، ومن قوي دينه . . أيقن بالجزاء ؛ فلا تغرنك صحة نفسك ، وسلامة أمسك ، فمدة العمر قليلة ، وصحة النفس مستحيلة)^(٦) .

وقال بعض الشعراء^(٧) :

ربّ مغروسٍ يُعاشُ بهِ عِدْمَتُهُ كَفُّ مُغْتَرِسِهِ
وكذاك الدهرُ مَأْتُمُهُ أقربُ الأشياءِ من عَرَسِهِ

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٣٠٩) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٣٧٦) .
(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٢٤٠) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٩٦٣) .
(٣) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٧٤٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٩/٢٢) .

(٤) أورده في « المحاسن والمساوى » (ص ٢٧٣) ، و « الفرج بعد الشدة » (١٥٨/١) .

(٥) أشتات : فرق ، وشتات : تفرق بعد اجتماع .

(٦) أورد بعضه في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٢٧٩) ، و « المستطرف » (٨٦/١) .

(٧) البيتان لسليمان الأعمى كما في « معجم الأدباء » (٣١٧/٤) ، و « عيون الأخبار » (٦١/٣) ، و « البيان والتبيين » (٢٠٢/٣) ، والمأتم : كل مجمع في حزن أو فرح ، أو هو خاص بالنساء ، وغلب على اجتماع الناس في حزن ، وعَرَسه : شدة السرور ، والمعنى : أن مجمع حزن الدهر أقرب من مجمع سروره وفرحه .

فإذا رُضتَ نفسك من هذه الحال بما وصفتُ . . اعتضتَ منها ثلاث خلال :

- إحداهنَّ : نصَحُ نفسك وقد استسلمتُ إليك ، والنظرُ لها وقد اعتمدتَ عليك ، فانظر لها ، ولا تنحرف عنها ؛ فإن غاشَّ نفسه مغبون ، والمنحرف عنها مأفون^(١) .

- والثانية : الزهد فيما ليس لك ؛ لتكفي تكلفَ طلبه ، وتسلم من تبعات كسبه .

- والثالثة : انتهاز الفرصة في مالك ؛ أن تضعه في حقه ، وأن تؤتيه لمستحقه ؛ ليكون لك ذخراً ، ولا يكون عليك وزراً ؛ فقد روي أن رجلاً قال : يا رسولَ الله ؛ إني أكره الموتَ ، قال : « ألك مالٌ ؟ » قال : نعم ، قال : « قدّم مالك ؛ فإنَّ قلبَ كلِّ امرئٍ عندَ مالِهِ »^(٢) .

وقالت عائشة رضي الله تعالى عنها : ذبحنا شاةً فتصدّقنا بها ، فقلت : يا رسولَ الله ؛ ما بقيَ إلّا كَتِفُها ، فقال : « كُلُّها بقيَ إلّا كَتِفُها »^(٣) .

وحكي : أنَّ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود باع داراً بثمانين ألف درهم ، فقيل له : (لو اتخذتَ لولدك من هذا المالَ ذخراً ؟ فقال : أنا أجعلُ هذا المالَ ذخراً لي عند الله تعالى ، وأجعلُ الله تعالى ذخراً لولدي ، وتصدّق بها)^(٤) .

وعُوتب سهل بن عبد الله المروزي في كثرة الصدقة ، فقال : (لو أنَّ رجلاً أراد أن ينتقل من دار إلى دار . . هل كان يُبقي في الأولى شيئاً ؟)^(٥) .

وقال سليمان بن عبد الملك لأبي حازم : (ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم

(١) المأفون : هو ناقص العقل ، وهو الذي يعجبك ولا خير فيه .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٦٣٤) .

(٣) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٢٨٦ / ٤٠) ، وأبو عبيد في « الأموال » (٨٨٦) .

(٤) رواه الدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٧٨٦) ، وابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٣٣٤ / ١) .

(٥) أوردته في « البصائر والذخائر » (١٣٠ / ٨) عن سهيل بن علي .

أخبرتكم آخرتكم ، وعمرتم دنياكم ؛ فكرهتم أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب (١) .

وقيل لعبد الله بن عمر : ترك زيد بن حارثة مئة ألف درهم ، قال : (لكنّها لا تتركه) (٢) .

وقال الحسن البصري : (ما أنعم الله تعالى على عبد نعمة إلا وعليه فيها تبعه إلا سليمان عليه السلام ؛ فإن الله تعالى قال : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾) (٣) .

وقال أبو حازم : (إن عُوفينا من شرٍّ ما أُعطينا . . لم يضرنا فقد ما زوي عنا) (٤) .

وقال بعض السلف : (قدّموا بعضاً ليكون لكم قرصاً ، ولا تخلفوا كلاً فيكون عليكم كلاً) (٥) .

وقال إبراهيم : (نِعَمَ القَوْمُ السَّوَالُ ؛ يدقُّون أبوابكم يقولون : توجّهون إلى الآخرة شيئاً ؟) (٦) .

وقال سعيد بن المسيب : (مرّ بي صلة بن أشيم ، فما تمالكت أن نهضت إليه فقلت : يا أبا الصهباء ؛ ادع لي ، فقال : رغبك الله فيما يبقى ، وزهدك فيما يفنى ، ووهب لك اليقين الذي لا تسكن النفوس إلا إليه ، ولا يُعوّل في الدين إلا عليه) (٧) .

(١) رواه الدارمي في « مسنده » (٦٧٣) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٧١) ، وأبو نعيم في « الحلية » (٢٣٤ / ٣) .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠١٩٦) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٧٩١) ، وفي النسخ ما عدا (أ) : (زيد بن خزيمة) .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٢١١) من زيادات نعيم بن حماد .

(٤) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٥٥٧) ، و « تاريخ دمشق » (٦٨ / ٢٢) .

(٥) أوردته في « الكشكول » (١٨٨ / ١) من كلام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وأبو علي القالي في « الأمالي » (٢٥٤ / ١) من خطبة لبعض الأعراب .

(٦) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٢ / ٨) ، وإبراهيم : هو ابن أدهم رحمه الله .

(٧) أوردته في « البيان والتبيين » (٢٨١ / ٣) ، ورواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٤١ / ٢) .

ولمّا ثقل عبد الملك بن مروان . رأى غَسَّالاً يلوي بيده ثوباً ، فقال :
(وددتُ أنّي كنت غَسَّالاً ؛ لا أعيش إلا بما أكسبه يوماً فيوماً ، فبلغ ذلك أبا
حازم ، فقال : الحمد لله الذي جعلهم يتمنون عند الموت ما نحن فيه ، ولا تمنى
عنده ما هم فيه)^(١) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنّه قال : « يقول ابنُ آدمَ : مالي مالي ،
ما لك من مالٍ إلا ما أكلت فأفنيته ، أو لبست فأبليت ، أو أعطيت فأمضيت »^(٢) .

وقال الشاعر^(٣) :

وما المالُ والأهلونَ إلا ودِعةٌ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ
وقال خالد بن صفوان : (بثُّ ليلةً أتمنّى ، فكبستُ البحرَ الأخضرَ بالذهب
الأحمر ؛ فإذا الذي يكفيني من ذلك رغيفان وكوزان وطِمران)^(٤) .

وقال مورّق العجلي : (يا بنَ آدمَ ؛ في كلّ يومٍ تؤتى رزقك وأنت تحزنُ ،
وينقص عمرُك وأنت لا تحزنُ ، تطلب ما يطغيك وعندك ما يكفيك !!)^(٥) .

وقال أبو حازم : (إنّما بيني وبين الملوك يومٌ واحدٌ ؛ أمّا أمسٍ . . فلا يجدون
لذّته ، وأنا وهم من غدٍ على وجل ؛ وإنّما هو اليومُ ، فما عسى أن يكون !؟)^(٦) .

وقال بعض السلف : (تعزَّ عن الشيء إذا مُنعتَه ؛ لقلّة ما يصحبك إذا
أعطيتَه)^(٧) .

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في « المحتضرين » (٧٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٥٧ / ٣٧) .

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٨) ، والترمذي (٢٣٤٢) عن سيدنا عبد الله بن الشَّخِير رضي الله عنه .

(٣) البيت للبيد في « ديوانه » (ص ١٧٠) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٣٤٩) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (١٨٢٩) ،
وأورده ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٣٦٧ / ٢) ، والطَّمران : ثوبان خلقان للارتداء والارتزار .

(٥) أورده في « سراج الملوك » (٩٤ / ١) ، ورواه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٥٩) ، وأبو نعيم في
« حلية الأولياء » (١٢٩ / ٣) من كلام شميظ بن عجلان رحمه الله تعالى .

(٦) أورده في « زهر الآداب » (١٦٩ / ١) ، و« محاضرات الأدباء » (٤٨ / ٤) ، والاستفهام للإنكار
التقليلي أو التحقيري ، و (يكون) تامة ؛ أي : فما عسى أن يكون يوم واحد ؟ !

(٧) أورده في « البيان والتبيين » (١٤٠ / ٢) ، و« البصائر والذخائر » (١٣١ / ٧) .

وقال بعض الحكماء : (مَنْ ترك نصيبه من الدنيا . . استوفى حظه من الآخرة) .

وقال آخر : (ترك التلبس بالدنيا قبل التشبث بها . . أهون من رفضها بعد ملاستها) .

وقال آخر : (ليكن طلبك للدنيا اضطراراً ، وفكرتك في الأمور اعتباراً ، وسعيك لمعادك ابتداراً)^(١) .

وقال آخر : (الزاهد : مَنْ لا يطلب المفقود ؛ حتى يفقد الموجود)^(٢) .

وقال آخر : (مَنْ آمن بالآخرة . . لم يحرص على الدنيا ، وَمَنْ أيقن بالمُجازاة . . لم يؤثر على الحسنی) .

وقال آخر : (مَنْ حاسب نفسه . . ربح ، وَمَنْ غفل عنها . . خسر)^(٣) .

وقال أبو العتاهية^(٤) :

[من الوافر]

أرى الدنيا لمن هي في يديه عذاباً كلما كثرت لديه
تُهينُ المُكْرِمِينَ لها بصُغُرٍ وتُكْرِمُ كُلَّ مَنْ هانت عليه
إذا استغْنيت عن شيء فدعهُ وخذ ما أنت مُحْتَاجٌ إليه

وحكى الأصمعيُّ قال : (دخلتُ على الرشيد يوماً وهو ينظر في كتابٍ ودموعه تسيل على خده ، فلما بصر بي . . قال : أرايتَ ما كان مني ؟ قلت : نعم يا أمير المؤمنين ؛ لا أبكى الله عينك ، قال : أما إنه لو كان لِأمرِ الدنيا . . ما رأيتَ هذا ، ثم رمى بالقرطاس ؛ فإذا فيه شعرُ أبي العتاهية :

[من الكامل]

هل أنت معتبرٌ بمن خربت منه غداة قضى دساكرهُ
وبمن أذلَّ الدهرُ مصرعهُ فبرأت منه عساكرهُ

(١) أوردته في « نهاية الأرب » (١٤٠ / ٦) .

(٢) رواه البيهقي في « الزهد » (٦٤) من كلام ذي النون رحمه الله تعالى ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١١٩ / ٥٦) من كلام الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى .

(٣) أوردته في « العقد الفريد » (١٥٢ / ٣) ممّا كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى ، و « التذكرة الحمدونية » (٣٦٠ / ١) من كلام سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٤) الأبيات في « ديوانه » (ص ٤١٠) .

وَبِمَنْ خَلَتْ مِنْهُ أَسِرَّتُهُ وَبِمَنْ خَلَتْ عَنْهُ مَنَابِرُهُ
أَيْنَ الْمُلُوكِ وَأَيْنَ عِزُّهُمْ صَارُوا مَصِيرًا أَنْتَ صَائِرُهُ
يَا مُؤَثِّرَ الدُّنْيَا لِلذَّيْهِ وَالْمُسْتَعِدَّ لِمَنْ يُفَاخِرُهُ
نَلْ مَا بَدَا لَكَ أَنْ تَنَالَ مِنْ الدِّ نِيَا فَإِنَّ الْمَوْتَ آخِرُهُ

فقال الرشيد : والله ؛ لَكَأَنِّي أَطَالِبُ بِهَذَا الشَّعْرَ دُونَ النَّاسِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ بَعْدَهُ
إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى مَاتَ (١) .

ثم الحال الثالثة من أحوال رياضتك لها : أَنْ تَكْشِفَ لِنَفْسِكَ حَالَ أَجْلِكَ ،
وَتَصْرِفَهَا عَنْ غُرُورِ أَمَلِكَ ؛ حَتَّى لَا يَطِيلَ لَكَ الْأَمَلُ أَجَلًا قَصِيرًا ، وَلَا يَنْسِيكَ مَوْتًا
وَلَا نَشُورًا .

روى عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ : « أَيُّهَا النَّاسُ ؛
إِنَّ الْأَيَّامَ تُطَوِّى ، وَالْأَعْمَارَ تَفْنَى ، وَالْأَبْدَانُ فِي الثَّرَى تَبْلَى ، وَإِنَّ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
يَتَرَاكضَانِ تَرَاضًى الْبَرِيدَ ؛ يُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ ، وَيُخْلِقَانِ كُلَّ جَدِيدٍ ، وَفِي ذَلِكَ -
عِبَادَ اللَّهِ - مَا أَلْهَى عَنِ الشَّهَوَاتِ ، وَرَغَّبَ فِي الْبَاقِيَاتِ الصَّالِحَاتِ » (٢) .

وقال مسعر : (كَمْ مِنْ مُسْتَقْبِلٍ يَوْمًا وَلَيْسَ بِمُسْتَكْمَلِهِ ، وَمُنْتَظَرٍ غَدًا وَلَيْسَ مِنْ
أَجَلِهِ ؟ ! وَلَوْ رَأَيْتُمُ الْأَجَلَ وَمُسِيرَهُ .. لَأَبْغَضْتُمُ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ) (٣) .

وقال رجلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : مَنْ أَكَيْسُ النَّاسِ ؟ قَالَ :
« أَكْثَرُهُمْ ذِكْرًا لِلْمَوْتِ ، وَأَشَدَّهُمْ اسْتِعْدَادًا لَهُ ، أُولَئِكَ الْأَكْيَاسُ ؛ ذَهَبُوا بِشَرْفِ
الدُّنْيَا ، وَكَرَامَةِ الْآخِرَةِ » (٤) .

(١) أوردته في « مروج الذهب » (٢٣١/٤) ، والأبيات في « ديوان أبي العتاهية » (ص ١٧٩) ،
وَالذُّشْكُورَةُ : بِنَاءٌ يَشْبَهُ الْقَصْرَ حَوْلَهُ بَيْوتٌ لِلْخُدَمِ وَالْحَشَمِ .

(٢) أوردته في « العاقبة في ذكر الموت » (ص ٨٧) ، و« سراج الملوك » (٩٥/١) .

(٣) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٠) ، وابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (١٠٨) عن مسعر بن كدام ،
عن معن ، عن عون بن عبد الله رحمهم الله تعالى .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٣) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٤٨٨) عن
سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

وقال عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : (كما تنامون .. كذلك تموتون ، وكما تستيقظون .. كذلك تُبعثون)^(١) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (أيُّها الناس ؛ اتقوا الله الذي إن قلتم .. سمع ، وإن أضمرتم .. علم ، وبادروا الموت الذي إن هربتم .. أدرككم ، وإن أقمتكم .. أخذكم)^(٢) .

وقال العلاء بن المسيَّب : (ليس قبل الموت شيءٌ إلا والموتُ أشدُّ منه ، وليس بعد الموت شيءٌ إلا والموتُ أيسرُ منه)^(٣) .

وقال بعض الحكماء : (إن للباقي بالماضي معتبراً ، وللآخر بالأول مزدجراً ، والسعيدُ لا يركنُ إلى الخدع ، ولا يغترُّ بالطمع)^(٤) .

وقال بعض الصلحاء : (إنَّ بقاءك إلى فناء ، وفناءك إلى بقاء ، فخذُ من فنائك الذي لا يبقى لبقائك الذي لا يفنى)^(٥) .

وقال بعض العلماء : (أيُّ عيش يطيب ، وليس للموت طيبٌ ؟)^(٦) .

وقال بعض البلغاء : (كلُّ امرئٍ يجري من عمره إلى غايةٍ تنتهي إليها مدَّةُ أجله ، وتنطوي عليها صحيفة عمله ، فخذُ من نفسك لنفسك ، وقسْ يومك بأمسك ، وكفَّ عن سيئاتك ، وزدْ في حسناتك ، قبل أن تستوفي مدَّةَ الأجل ، وتقصر عن الزيادة في السعي والعمل)^(٧) .

وقيل في منثور الحكم : (مَنْ لم يتعرَّض للنوائب .. تعرَّضت له)^(٨) .

(١) أورد ابن الأثير نحوه في « الكامل » (٦٥٩/١) عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام إذ أمر بإظهار دعوته .

(٢) أورد الميرد في « الكامل » (٤٩٣/٢) ، و « البصائر والذخائر » (٦٥/١) .

(٣) أورد في « الكشكول » (٢٧٨/٢) دون نسبة .

(٤) أورد في « العاقبة في ذكر الموت » (ص ٨٧) .

(٥) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣١٧/٥) ممَّا كتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى .

(٦) أورد في « العاقبة في ذكر الموت » (ص ٤٣) .

(٧) أورد في « العاقبة في ذكر الموت » (ص ٨٨) .

(٨) أورد في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٢٩) ، و « الأوائل » (ص ٢٦٦) من كلام ابن المعتز .

وقال أبو العتاهية^(١) :

[من مجزوء الكامل]

مَا لِلْمَقَابِرِ لَا تُجِيبُ بُ إِذَا دَعَاهُنَّ الْكُثِيبُ
حُفَرٌ مُشَقَّةٌ عَلَيْهِ هُنَّ الْجَنَادِلُ وَالْكَثِيبُ
فِيهِنَّ وَلَدَانٌ وَأَط فَالْ وَشُبَّانٌ وَشِيبُ
كَمْ مِنْ حَبِيبٍ لَمْ تَكُنْ نَفْسِي بِفُرْقَتِهِ تَطِيبُ
غَادَرْتُهُ فِي بَعْضِهِنَّ مُجْنَدَلًا وَهُوَ الْحَبِيبُ
وَسَلَوْتُ عَنْهُ كَأَنَّمَا عَهْدِي بِرُؤَيْتِهِ قَرِيبُ

وعظ النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً فقال له : « أَقْلِلْ مِنَ الدُّنْيَا . . . تَعِشْ حُرّاً ، وَأَقْلِلْ مِنَ الذَّنْبِ . . . يَهْنُ عَلَيْكَ الْمَوْتُ ، وَانْظُرْ حَيْثُ تَضَعُ وَلَدَكَ ؛ فَإِنَّ الْعِرْقَ دَسَّاسٌ »^(٢) .

وقال الرشيد لابن السمّاك : (عظمي وأوجز ، فقال : اعلم أَنَّكَ أَوَّلُ خَلِيفَةٍ يَمُوتُ)^(٣) .

وعزّى أعرابيٌّ رجلاً في ابنٍ له صغير ، فقال له : (الحمد لله الذي نَجَّاهُ مِمَّا هَلُكْنَا مِنَ الْكَدْرِ ، وَخَلَّصَهُ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْخَطَرِ)^(٤) .

وقال بعض السلف : (مَنْ عَمِلَ لِلْآخِرَةِ . . . أَحْرَزَهَا وَالدُّنْيَا ، وَمَنْ آثَرَ الدُّنْيَا . . . حُرِمَهَا وَالْآخِرَةُ) .

وقال بعض الصلحاء : (اسْتَغْنِمِ تَنْفُسَ الْأَجْلِ ، وَإِمَّاكَانَ الْعَمَلِ ، وَاقْطَعْ ذِكْرَ الْمَعَازِيرِ وَالْعَلَلِ ؛ فَإِنَّكَ فِي أَجَلٍ مُحَدَّدٍ ، وَنَفْسٍ مُعَدُّودٍ ، وَعُمْرٍ غَيْرِ مَمْدُودٍ)^(٥) .

(١) الأبيات في « ديوانه » (ص ٣٥) .

(٢) رواه الشهاب القضاوي في « مسنده » (٦٣٨) ، وابن الأعرابي في « معجمه » (٩٧٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ؛ وفيه وفي (هـ) : (أَقْلُ مِنَ الدِّينِ . . .) ، ومعنى (العرق دَسَّاسٌ) : أن الولد يشبه أصل الزوجة في الأخلاق والأعمال ؛ فإنها تسري إليه في خفاء ولطف .

(٣) أورده في « محاضرات الأدباء » (٢٨٦/٤) .

(٤) أورده في « البصائر والذخائر » (١٧٠/٤) .

(٥) أورده في « ربيع الأبرار » (٩٣/١) ، و« العاقبة في ذكر الموت » (٨٣/١) .

وقال بعض الحكماء : (الطيب معذور إذا لم يدفع المحذور) .

وقال بعض البلغاء : (اعمل عملَ المرحل ؛ فإنَّ حاديَّ الموت يحدُّوك ليومَ ليس يعدُّوك)^(١) .

وروي عن عليِّ بن أبي طالب عليه السلام أنه قال بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٢) :

[من مجزوء الرجز]

يَمُوتُ مَنْ جَا أَجْلُهُ	غَرَّ جَهْلُهُ وَلَا أَمَلُهُ
لَمْ تُغْنِ عَنْهُ حِيلُهُ	وَمَنْ دَنَا مِنْ حَقْفِهِ
قَدْ غَابَ عَنْهُ أَوَّلُهُ	وَمَا بَقَاءُ آخِرِهِ
فِي الْقَبْرِ إِلَّا عَمَلُهُ	وَالْمَرءُ لَا يَصْحَبُهُ

وقال أبو العتاهية^(٣) :

[من البسيط]

وإنَّ تَمَنَّيْتَ بِالْحُجَّابِ وَالْحَرَسِ	لا تأمنِ الموتَ في لحظٍ ولا نفسٍ
وثوبك الدهرَ مغسولٍ من الدَّنَسِ	ما بال دينك ترضى أن تَدْنُسَهُ
لكلِّ مُدَّرِعٍ مَنَا وَمُتَّرسٍ	واعلم بأنَّ سهامَ الموتِ قاصدةٌ
إنَّ السفينةَ لا تجري على اليبسِ	ترجو النجاةَ ولم تسلكِ مسالكها

فإذا رُضتَ نفسك من هذه الحال بما وصفتُ . . اعتضتَ منها ثلاثَ خلال :

- إحداهنَّ : أن تُكفَى تسويفَ أملٍ يُريدك ، وتسويلَ محالٍ يؤذيك ؛ فإنَّ تسويفَ الأملِ غرَّار ، وتسويلَ المحالِ ضرَّار .

- والثانية : أن تستيقظَ لعملٍ آخرتك ، وتغتنمَ بقيةَ أجلك بخيرِ عملك ؛ فإنَّ مَنْ قَصَرَ أمله ، واستقبلَ أجله . حسنَ عمله .

(١) أورده في « العاقبة في ذكر الموت » (ص ٨٣) ، و « الكشكول » (٢٧٨ / ٢) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص ٢١٣) .

(٣) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٩٤) ، والبيت الثاني زيادة من (ج) .

- والثالثة : أن يهون عليك نزول ما ليس عنه محيص ، ويسهل عليك حلول ما ليس إلى دفعه سبيل ؛ فَإِنَّ مَنْ تَحَقَّقَ أَمْرًا . تَوَطَّأَ لِحُلُولِهِ ، وَهَانَ عَلَيْهِ عِنْدَ نَزْوَلِهِ .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي ذرّ : « نَبَّهْ بِالتَّفَكُّرِ قَلْبَكَ ، وَجَافِ عَنِ النَّوْمِ جَنْبَكَ ، وَاتَّقِ اللَّهَ رَبَّكَ » (١) .

وقال عمر بن الخطاب لأبي ذرّ رضي الله عنهما : (عَظَنِي) فَقَالَ : (اَرْضَ بِالْقَوْتِ ، وَخَفِ الْقَوْتَ ، وَاجْعَلْ صَوْمَكَ الدُّنْيَا ، وَفَطْرَكَ الْمَوْتَ) .

وقال عمر بن عبد العزيز : (مَا رَأَيْتُ يَقِينًا لَا شَكَّ فِيهِ أَشْبَهَ بِشَكِّ لَا يَقِينٍ فِيهِ مِنْ يَقِينٍ نَحْنُ فِيهِ ؛ فَلَمَّا كُنَّا مُقَرَّرِينَ . . إِنَّا لَحَمَقْنَا ، وَلَمَّا كُنَّا جَاهِدِينَ . . إِنَّا لَهَلِكُنَا) (٢) .

وقال الحسن البصري : (نَهَارُكَ ضَيْفُكَ ، فَأَحْسِنْ إِلَيْهِ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أَحْسَنْتَ إِلَيْهِ . . ارْتَحَلَ بِحَمْدِكَ ، وَإِنْ أَسَأْتَ إِلَيْهِ . . ارْتَحَلَ بِذَمِّكَ ، وَكَذَا لَيْلُكَ) (٣) .

وقال الجاحظ في كتاب « البيان » : (وَجَدَ مَكْتُوبًا فِي حَجَرٍ : يَا بَنَ آدَمَ ؛ إِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ يَسِيرَ مَا بَقِيَ مِنْ أَجَلِكَ . . لَزَهَدْتَ فِي طَوِيلٍ مَا تَرْجُو مِنْ أَمَلِكَ ، وَلَرَغَبْتَ فِي الزِّيَادَةِ مِنْ عَمَلِكَ ، وَلَقَصَرْتَ فِي حِرْصِكَ وَحِيلِكَ ، وَإِنَّمَا يَلْقَاكَ غَدًا نَدْمُكَ لَوْ قَدْ زَلَّتْ بِكَ قَدَمُكَ ، وَأَسْلَمَكَ أَهْلُكَ وَحَشَمُكَ ، وَتَبَرَّأَ مِنْكَ الْقَرِيبُ ، وَانصَرَفَ عَنْكَ الْحَبِيبُ) (٤) .

ولمّا حضر بشر بن منصور الموت . . فرح ، فقيل له : (أَتَفْرَحُ بِالْمَوْتِ ؟ !) فقال : أَتَجْعَلُونَ قَدُومِي عَلَى خَالَتِي أَرْجُوهُ كَمُقَامِي مَعَ مَخْلُوقٍ أَخَافُهُ ؟ ! (٥) .

وقيل لأبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في مرضه الذي مات فيه : لو

(١) أوردته في « بهجة المجالس » (١١٥ / ١) من قول علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « ذم الدنيا » (٢٣٤) ، وأوردته في « محاضرات الأدباء » (٢٩٢ / ٤) .

(٣) أوردته في « البيان والتبيين » (١٦٤ / ٣) ، وروى نحوه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٢٨٦) .

(٤) البيان والتبيين (١٦٦ / ٣) .

(٥) أوردته ابن المعتز في « البديع » (ص ٣٧) ، و « محاضرات الأدباء » (٣١٣ / ٤) .

أرسلت إلى الطبيب ؟ فقال : (قد رأيي) قالوا : فما قال لك ؟ قال : (قال :
إني فعّال لما أريد)^(١) .

وقيل للربيع بن خثيم وقد اعتلّ : (ندعو لك الطبيب ؟ فقال : قد أردت
ذلك ، فذكرت عاداً وثمود وأصحاب الرّسّ وقروناً بين ذلك كثيراً ، وعلمت أنه
كان فيهم الداء والمُداوي ، فهلكوا جميعاً)^(٢) .

وسئل أنوشروان : (متى يكون عيش الدنيا ألدّ ؟ فقال : إذا كان الذي ينبغي
أن يعمل في حياته معمولاً) .

وقال بعض الحكماء : (مَنْ ذكر المنيّة . . نسي الأمنيّة)^(٣) .

وقال بعض الأدباء : (عن الموت تسلّ ، فهو كريشة تُسلّ) .

وقال بعض البلغاء : (الأمل حجاب الأجل) .

وأشدد بعض أهل الأدب ما ذكر أنه لعليّ بن أبي طالب عليه السلام^(٤) : [من الوافر]

ولو كنّا إذا متنا تُركنا لكان الموت راحة كلّ حيّ
ولكنّا إذا متنا بُعِثنا ونُسلّ بعد ذا عن كلّ شيء

وقال بعض الشعراء^(٥) : [من الطويل]

ألا إنّما الدنيا مَقِيلٌ لراكِب قضى وطراً من منزلٍ ثمّ هَجَرَا
فراح ولا يدري علام قدومه ألا كلّ ما قدّمت تلقى موفراً

روى سعيد بن مسعود أن أبا الدرداء رضي الله عنه قال : يا رسول الله ؛
أوصني ، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « اكسب طيباً ، واعمل صالحاً ،

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٥٨٧) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٥٨١) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (١٠٠) في زيادات نعيم بن حماد ، وابن أبي شيبة في « المصنف »
(٢٣٨٩٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٥١٤) .

(٣) أورده في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٢٧٩) .

(٤) البيتان في « ديوانه » (ص ٢٧٩) ، وفي « ديوان أبي العتاهية » (ص ٢٨٧ - دار صادر) .

(٥) البيتان هتف بهما هاتف بركب يسرون ؛ كما رواه ابن أبي الدنيا في « الزهد » (١٥٤) ، والدينوري في
« المجالسة وجواهر العلم » (٣٩١) عن وهب بن منبه رحمه الله تعالى .

واسأل الله تعالى رزق يومٍ يومٍ ، واعدد نفسك من الموتى^(١) .

وكتب الربيع بن خثيم إلى أخ له : (قدّم جهازك ، وافرغ من زادك ، وكن وصيّ نفسك ، والسلام)^(٢) .

وقال بعض السلف : (أصاب الدنيا من حذرها ، وأصاب الدنيا من أمنها)^(٣) .

ومرّ محمد بن واسع بقوم ، فقبل له : (هؤلاء زهاد ، فقال : وما قدر الدنيا حتى يُحمد من زهد فيها ؟)^(٤) .

وقال بعض الحكماء : (السعيد : من اعتبر بأمسه ، واستظهر لنفسه ، والشقي : من جمع لغيره ، وبخل على نفسه)^(٥) .

وقال بعض البلغاء : (لا تبت عن غير وصية وإن كنت من جسمك في صحة ، ومن عمرك في فسحة ؛ فإنّ الدهر خائن ، وكلّ ما هو كائن . . كائن)^(٦) .

وقال بعض الشعراء^(٧) :

مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ الْمَوْتَ مُدْرِكُهُ وَالْقَبْرَ مَسْكَنُهُ وَالْبَعَثَ مَخْرَجُهُ
وَأَنَّهُ بَيْنَ جَنَاتٍ سَتْبَهْجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ نَارٍ سَتَنْضِجُهُ
فَكُلُّ شَيْءٍ سِوَى التَّقْوَى بِهِ سَمِجٌ وَمَا أَقَامَ عَلَيْهِ مِنْهُ أَسْمَجُهُ
تَرَى الَّذِي اتَّخَذَ الدُّنْيَا لَهُ وَطْناً لَمْ يَدْرِ أَنَّ الْمَنَايَا سَوْفَ تُزْعِجُهُ

وروى جعفر بن محمد بن علي ، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في بعض خطبه : « أَيُّهَا النَّاسُ ؛ إِنَّ لَكُمْ نَهَايَةً

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٤٦٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢١٢/١) بنحوه .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (٩٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠٨/٦٦) .

(٣) أورده في « نهاية الأرب » (١٠٦/٦) من قول عبد الحميد ، و « البصائر والذخائر » (٦٢/٤) .

(٤) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١/٣٠١١) ، و « تاريخ دمشق » (١٥٣/٥٦) .

(٥) أورده في « نهاية الأرب » (١٠٧/٦) .

(٦) أورده في « العاقبة في ذكر الموت » (ص ٨٨) .

(٧) أورد الأبيات في « المستطرف » (٣/٣٥٨) ، و « سراج الملوك » (٦١/١) .

فانتَهُوا إلى نهايتكم ، وإنَّ لكم معالمَ فانتَهُوا إلى معالمكم ، وإنَّ المؤمن بين مخافتين ؛ أَجَلٍ قد مضى لا يدري ما الله تعالى صانعٌ فيه ، وأَجَلٍ قد بقي لا يدري ما الله تعالى قاضٍ فيه ، فليتزود العبدُ من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الحياة قبل الموت ؛ فإنَّ الدنيا خُلِقَتْ لكم ، وإنَّكم خُلِقْتُمْ للآخرة ، فوالذي نفسُ محمدٍ بيده ؛ ما بعدَ الموت من مُستعتَبٍ ، ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار» (١) .

وقال الحسن البصري : (أمسِ أَجَلٌ ، واليومَ عَمَلٌ ، وغداً أَمَلٌ) (٢) .

فأخذ أبو العتاهية هذا المعنى فنظمه شعراً ، فقال (٣) :

ليسَ فيما مضى ولا في الذي لم يأتِ من لَذَّةٍ لمُستَحْلِها
إنَّما أنتَ طُولَ عُمْرِكَ ما عُمِدَ رتَ في الساعة التي أنتَ فيها
قَنَّعَ النفسَ بالكفافِ وإلا طَلَبْتُ منك فوقَ ما يكفيها

وقيل لزاheid : (ما بالك تمشي على عصا ولست بكبير ولا مريض ؟ ! قال : لأنِّي أعلم أنني مسافر ، وأنها دارُ قُلعة ، وأن العصا من آلة السفر) (٤) .

وقال بعضهم (٥) :

حملتُ العصا لا الضعفُ أوجبَ حَمَلُها عليَّ ولا أنِّي تحيَّيتُ من كِبَرٍ
ولكنني ألزمتُ نفسي حَمَلُها لأُعَلِّمَها أنَّ المقيمَ على سَفَرٍ

وقال بعض المتصوِّفة : (الدنيا ساعة ، فاجعلها طاعة) (٦) .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « قصر الأمل » (١٩٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٠٩٧) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « كلام الليلي والأيام لابن آدم » (١٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٥٣ / ١٢) .

(٣) الأبيات في « ديوانه » (ص ٤١٦) .

(٤) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٢٨٤) ، وأورده في « ربيع الأبرار » (١٠٦ / ٢) ، ودار قُلعة ؛ أي : اقتلاع وتحول .

(٥) أوردهما في « عيون الأخبار » (٣٢٣ / ٢) .

(٦) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٧٣) ، و « زهر الآداب » (٨١٠ / ٢) .

وقال ذو القرنين : (رتّعنا في الدنيا جاهلين ، وعشنا فيها غافلين ، وأخرجنا منها كارهين)^(١) .

وقال عبد الحميد : (المرء أسير عُمرٍ يسير) .

وقيل في بعض المواضع : (عجبٌ لمن خاف العقاب كيف لا يكفُ ، وعجبٌ لمن يرجو الثواب كيف لا يعمل !؟)^(٢) .

وقال بعض الحكماء : (المسيءُ ميتٌ وإن كان في دار الحياة ، والمحسنُ حيٌّ وإن كان في دار الأموات ، وكلُّ بالآخر يومه أو غده)^(٣) .

وقال بعض السلف : (الله المستعان على ألسنة تصف ، وقلوب تعرف ، وأعمال تخالف)^(٤) .

وقال آخر : (إن الليل والنهار يعملان فيك ، فاعمل فيهما)^(٥) .

وقال آخر : (اعملوا لآخرتكم من هذه الأيام التي تسير كأنّها تطير)^(٦) .

وقال آخر : (الموتُ قُصاراك ، فخذ من دنياك لأخراك)^(٧) .

وقال آخر : (عبادَ الله ؛ الحذرَ الحذرَ ، فوالله ؛ لقد ستر حتى كأنه قد غفر ، ولقد أمهل حتى كأنه قد أهمل)^(٨) .

(١) أوردته في « الكشكول » (١٤٦/٢) لميلاطوس .

(٢) أوردته في « الإعجاز والإيجاز » (ص ٤٢) من قول سيدنا علي رضي الله عنه ، و « العقد الفريد »

(١٧٨/٣) من قول الحسن البصري رحمه الله تعالى .

(٣) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (١٤١) ، وأوردته في « البصائر والذخائر » (١١٤/٧) .

(٤) أوردته في « البيان والتبيين » (٢٨٤/١) ، و « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٧٢) من قول عمر بن ذر ،

وفي « العقد الفريد » (١٨٥/٣) من قول ابن السمّاك .

(٥) أوردته ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٤٧) ، ونسبه في « الإعجاز والإيجاز » (ص ٧٧)

لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى .

(٦) أوردته في « الكشكول » (٨٩/٢) .

(٧) قُصاراك : مبلغ جهدك وغايتك .

(٨) أوردته في « محاضرات الأدباء » (١١٣/٤) من قول ابن السمّاك ، وفي « شرح نهج البلاغة »

(١٤١/١٨) من قول سيدنا علي رضي الله عنه .

وقال آخر : (الأيام صحائف أعمالكم فخلدوها أجمل أفعالكم)^(١) .

وقيل في منشور الحكم : (اقبل نصح الشيب وإن عجل)^(٢) .

وقيل : (ما طلعت شمسٌ إلا وعظت بأمس) .

وقال محمد بن بشير^(٣) :

[من الطويل]

مضى أمسك الأذنَى شهيداً معدلاً ويومك هذا بالفعال شهيداً
فإن تك بالأمس اقترفت إساءةً فثن بإحسانٍ وأنت حميداً
ولا ترج فعل الخير منك إلى غدٍ لعل غداً يأتي وأنت فقيدُ
إذا ما المنيا أخطأتك وصادفتُ حميمك فاعلم أنها ستعودُ
وإن امرأً ينجو من النار بعدما تزود من أعمالها لسعيدُ

روى أبو هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ، وما رأيت مثل النار نام هاربها »^(٤) .

وقال عيسى ابن مريم عليه السلام : (إن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . الذين نظرُوا إلى باطن الدنيا حين نظر الناس إلى ظاهرها ، وإلى آجل الدنيا حين نظر الناس إلى عاجلها ، فأماؤا منها ما خشوا أن يُميت قلوبهم ، وتركوا منها ما علموا أنه ستركهم)^(٥) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : (الناس طالبان يطلبان ؛ فطالب يطلب الدنيا ، فافضوها في نحره ؛ فإنه ربما أدرك الذي يطلب منها فهلك بما أصاب منها ، وطالب يطلب الآخرة ، فإذا رأيت طالب الآخرة . . فنافسوه)^(٦) .

(١) أورده في « الإعجاز والإيجاز » (ص ٤٦)، و « زهر الآداب » (٢١٢/١) من قول أفريدون ملك المعجم .

(٢) أورده في « نثر الدر » (١٥٣/٣) من كلام ابن المعتز .

(٣) أورد الأبيات المرزباني في « معجم الشعراء » (ص ٤١٤) لمحمد بن يسير الرياشي ، وهي ممّا نسب لمحمود الوراق في « ديوانه » (ص ٢٤٧) وزاد في (ج) البيتين الأخيرين ، وهما ليزيد بن الصقيل العُقيلي ، أوردهما المبرد في « الكامل » (١٣٥/١) ، و « التذكرة الحمدونية » (٢٢٣/١) .

(٤) رواه الترمذي (٢٦٠١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٨٣) .

(٥) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٣٣٩) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٠/١) .

(٦) أورده في « البيان والتبيين » (١٣٨/٣) ، و « التذكرة الحمدونية » (١٢٧/١) .

ودخل أبو الدرداء الشام ، فقال : (يا أهل الشام ؛ اسمعوا قول أخ ناصح) ،
فاجتمعوا عليه ، فقال : (ما لي أراكم تبنون ما لا تسكنون ، وتؤمّلون ما لا
تدركون ، وتجمعون ما لا تأكلون ؟ ! إنّ الذين كانوا قبلكم بنوا مَشِيداً ، وأمّلوا
بعيداً ، وجمعوا كثيراً ، فأصبح أملهم غروراً ، وجمعهم بُوراً ، ومساكنهم
قبوراً)^(١) .

وقال أبو حازم : (إنّ الدنيا غرّت أقواماً ، فعملوا فيها بغير الحقّ ، ففاجأهم
الموت ، فخلّفوا ما لهم لمن لا يحمدهم ، وصاروا إلى من لا يعذرهم ، وقد
خلّفنا بعدهم ، فينبغي لنا أن ننظر الذي كرهناه منهم فنجتنبه ، والذي غبطناهم به
فنستعمله)^(٢) .

ومرّ بعض الزهّاد بباب ملك ، فقال : (بابّ جديد ، وموتٌ عتيد ، ونزعٌ
شديد ، وسفرٌ بعيد)^(٣) .

ومرّ بعض الزهّاد برجلٍ قد اجتمع عليه الناس ، فقالوا : (هذا مسكين سرق
منه رجلٌ جبةً !!) ، ومرّ به آخر فأعطاه جبةً ، فقال : (الحمد لله ، ﴿ إِنَّ سَعْيَكُمْ
لَشَقِيٌّ ﴾)^(٤) .

وقال بعض الحكماء : (ما أنصف من نفسه من أيقن بالحشر والحساب ،
وزهد في الأجر والثواب) .

وقال آخر : (بطول الأمل تقسو القلوب ، وبإخلاص النية تقلّ الذنوب) .

وقال آخر : (إياك والمُنَى ؛ فإنّها من بضائع النّوكى ، وتنبّط عن الآخرة
والأولى)^(٥) .

(١) رواه أبو داود في « الزهد » (٢٤٧) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٧٢٣) .

(٢) أورده في « البيان والتبيين » (١٢٧ / ٣) ، و « البصائر والذخائر » (٥٨ / ٨) .

(٣) أورده في « البيان والتبيين » (٢٨٦ / ١) .

(٤) أي : إن بعضكم يأخذ دناءة ، وبعضكم يعطي كرامة ، فسعيكم مختلف ، وأجركم كذلك .

(٥) أورده في « الإعجاز والإيجاز » (ص ٣٧) ، و « شرح نهج البلاغة » (٩٧ / ١٦) من كلام سيدنا علي رضي الله عنه .

وقال آخر : (قَصَّرْ أَمْلَكَ ؛ فالعمر قصير ، وأحْسِنْ سِيرَتَكَ ؛ فالبرُّ يسير) .

وقال عبد الله بن المعتز^(١) :

[من الطويل]

نسِيرُ إلى الآجَالِ في كُلِّ سَاعَةٍ وَأَيَّامُنَا تُطَوِّى وَهْنٌ مَرَّاحِلُ
ولم نَرِ مِثْلَ المَوْتِ حَقًّا كَأَنَّهُ إِذَا مَا تَخَطَّطَهُ الْأَمَانِيُّ بَاطِلُ
وما أَقْبَحَ التَّفْرِيطَ في زَمَنِ الصُّبَا فَكَيْفَ بِهِ وَالشَّيْبُ في الرَّأْسِ شَامِلُ
تَرَحَّلُ من الدُّنْيَا بِزَادٍ من التُّقَى فَعَمْرُكَ أَيَّامٌ تُعَدُّ قَلَائِلُ

وكان عبد الملك بن مروان يتمثل بهذين البيتين كثيراً :

[من الكامل]

فَاعْمَلْ عَلَى مَهَلٍ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ وَاكْذَحْ لِنَفْسِكَ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ
فَكَأَنَّ مَا قَدْ كَانَ لَمْ يَكُ إِذْ مَضَى وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ قَدْ كَانَ^(٢)

ونظر سليمان بن عبد الملك يوماً في المرأة فقال : أنا الملك الشاب ، وكان على رأسه جارية له ، فقال لها : أوما تقولين أنت ؟

ف قالت له الجارية :

[من الخفيف]

أَنْتَ نِعَمَ الْمَتَاعُ لو كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
لَيْسَ فِيمَا بَدَأَ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ كَانَ فِي النَّاسِ غَيْرَ أَنَّكَ فَانٍ^(٣)

روي عن عبد العزيز بن عبد الصمد ، عن أبان ، عن أنس قال : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته الجذعاء ، فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ ؛ كَأَنَّ المَوْتَ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ ، وَكَأَنَّ الْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ ، وَكَأَنَّ الَّذِينَ نَشِيعُ مِنَ الْأَمْوَاتِ سَفَرٌ قَلِيلٌ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ، نَبُوُّهُمْ أَجْدَاثُهُمْ ، وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ ، كَأَنَّا مَخْلُدُونَ بَعْدَهُمْ ، قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظَةٍ ، وَأَمِنَّا كُلَّ جَائِحَةٍ ، طَوْبَى لِمَنْ شَعَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ ، وَأَنْفَقَ مِنْ مَالٍ كَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ ، وَرَحِمَ أَهْلَ

(١) الأبيات في « ديوانه » (٤٠٤ / ٢) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الاعتبار » (٥٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣١ / ٣٧) ، والجريري في « المجلس الصالح » (١٤٠ / ٤) .

(٣) رواه البيهقي في « الزهد » (٦١٥) ، والبيتان لموسى بن يسار الملقب بشهوات ، قالهما في حمزة بن عبد الله بن الزبير . انظر « الأغاني » (١٢٠٧ / ٣) ، و « الشعر والشعراء » (ص ٥٧٨) .

الذَّلَّ وَالْمَسْكَنَةَ ، وَخَالَطَ أَهْلَ الْفَقْهِ وَالْحِكْمَةِ ، طَوْبِي لِمَنْ أَدَّبَ نَفْسَهُ ، وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ ، وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ ، طَوْبِي لِمَنْ عَمِلَ بَعْلَمَهُ ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَوَسَعَتِ السَّنَةُ ، وَلَمْ يَعُدَّهَا إِلَى بَدْعَةٍ ^(١) .

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : « زُورُوا الْقُبُورَ .. تَذْكُرُوا بِهَا الْآخِرَةَ ، وَغَسَّلُوا الْمَوْتَى ؛ فَإِنَّهَا مُعَالِجَةُ الْأَجْسَادِ الْخَاوِيَةِ ، وَمَوْعِظَةٌ بَلِيغَةٌ » ^(٢) .

وحفر الربيع بن خثيم في داره قبراً ، فكان إذا وجد من قلبه قسوةً .. جاء فاضطجع في القبر ، فمكث فيه ما شاء الله ، ثم يقول : ﴿ رَبِّ ارْجِعُونِي لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ ، ثم يردُّ على نفسه فيقول : (قد أرجعتك فجددي) ، فمكث على ذلك ما شاء الله ^(٣) .

وقال أبو محرز الطُّفَاوِيُّ : (كَفَتِكَ الْقُبُورُ مَوَاعِظَ الْأُمَمِ السَّالِفَةِ) ^(٤) .

وقيل لبعض الزُّهَّاد : (مَا أَبْلَغُ الْعِظَاتِ ؟) فَقَالَ : النَّظَرُ إِلَى مَحَلَّةِ الْأَمْوَاتِ ^(٥) .

فأخذه أبو العتاهية فقال ^(٦) :

وَعِظْتُكَ أَجْدَاتُ صُمْتُ وَنَعْتُكَ أَزْمِنَةُ خُفْتُ
وَتَكَلَّمْتُ عَنْ أَوْجِهِ تَبَلَّى وَعَنْ صُورِ سُبُتْ
وَأَرْتُكَ قَبْرَكَ فِي الْحَيَا وَأَنْتَ حَيٌّ لَمْ تُمُتْ

(١) رواه البزار في « مسنده » (٦٢٣٧ ، ٦٢٣٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٠٧٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤٠ / ٥٤) .

(٢) رواه الحاكم في « المستدرک » (٣٧٧ / ١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٨٥١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٨٨ / ٦٦) عن أبي ذر رضي الله عنه .

(٣) رواه البلاذري في « أنساب الأشراف » (٣١١ / ١١) .

(٤) رواه البيهقي في « الشعب » (٨٨٦٨) بنحوه .

(٥) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٨٦٦) ، وأورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٦) من كلام قُسَّ بن ساعدة الإيادي .

(٦) الأبيات في « ديوانه » (ص ٧٨) .

يَا شَامِتًا بِمَنِّيَّيْ إِنَّ الْمَنِيَّةَ لَمْ تَفُتْ
وَلَرَّبُّمَا انْقَلَبَ الشَّمَا تٌ فَحَلَّ بِالْقَوْمِ الشُّمْتُ

وُجِدَ مَكْتُوبًا عَلَى قَبْرِ : (قَهْرُنَا مَن قَهْرُنَا ، فَصَرْنَا لِلنَّازِرِينَ عِبْرَةً)^(١) .

وعلى آخر : (مَن أَتَلَ الْبَقَاءَ وَقَدْ رَأَى مَصَارِعَنَا . فهو مغرورٌ) .

وقيل في مثور الحكم : (ما أَكْثَرَ مَن يَعْرِفُ الْحَقَّ وَلَا يَطِيعُهُ) .

وقال بعض الحكماء : (مَن لَمْ يَمُتْ . . لَمْ يَفُتْ)^(٢) .

وقال بعض الصلحاء : (لَنَا مَن كُلِّ مَيِّتٍ عِظَةٌ بِحَالِهِ ، وَعِبْرَةٌ بِمَالِهِ)^(٣) .

وقال بعض العلماء : (مَن لَمْ يَتَّعِظْ بِمَوْتٍ وَلَد . . لَمْ يَتَّعِظْ بِقَوْلِ أَحَدٍ) .

وقال بعض البلغاء : (ما انقَضَتْ سَاعَةٌ مِنْ أَمْسِكَ إِلَّا بِبَضْعَةٍ مِنْ نَفْسِكَ)^(٤) .

فأخذه أبو العتاهية فقال^(٥) :

إِنَّ مَعَ الْيَوْمِ - فَأَعْلَمَنْ - غَدًا فَاَنْظُرْ بِمَا يَنْقُضِي مَجِيءُ غَدِهِ
مَا ارْتَدَّ طَرْفُ امْرِئٍ بِلَذَّتِهِ إِلَّا وَشَيْءٌ يَمُوتُ مِنْ جَسَدِهِ

ولمّا مات الإسكندر . . قال أرسطاطاليس : (لقد حَرَكَتْنَا بِسُكُونِكَ) .

وقال بعض الحكماء : (كَانَ الْمَلِكُ أَمْسٍ أَنْطَقَ مِنْهُ الْيَوْمَ ، وَهُوَ الْيَوْمُ أَوْعَظُ

مِنْهُ أَمْسٍ)^(٦) .

فأخذ هذا المعنى أبو العتاهية فقال^(٧) :

كَفَى حَزَنًا بِدَفْنِكَ ثُمَّ أَنِّي نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ عَنْ يَدَيَا
وَكُنْتُ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَاتٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا

(١) أورده في « سراج الملوك » (٥٣/١) .

(٢) أورده أبو عبيد في « الأمثال » (ص ٣٣٧) من كلام أكنم بن صيفي .

(٣) أورده في « العاقبة في ذكر الموت » (ص ٤٣) .

(٤) أورده في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٢٧٩) .

(٥) البيتان في « ديوانه » (ص ١٣٣) .

(٦) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٧٦) ، و « زهر الآداب » (٢/٦٧٣-٦٧٤) .

(٧) البيتان في « ديوانه » (ص ٦٧٩) .

وقال بعض الحكماء : (لو كان للخطايا ريحٌ . . لافترض الناسُ من كل عملٍ قبيح ، ولم يتجالسوا) .

فأخذ هذا المعنى أبو العتاهية فقال ^(١) :

[من مجزوء الرمل]

أَحْسَنَ اللَّهُ بِنَا أَنْ الْخَطَايَا لَا تَفْوُحُ
فَإِذَا الْمَسْتَوْرُ مِنَّا بَيْنَ ثَوْبَيْهِ فُضُوْحُ

وهذا كله مأخوذٌ من قول النبي صلى الله عليه وسلم : « لو تكاشفتُم . . ما تدافعتُم » ^(٢) .

وكتب رجلٌ إلى أبي العتاهية :

[من مجزوء الرمل]

يَا أَبَا إِسْحَاقَ إِنِّي وَائِثُّكَ مِنْكَ بِوُدِّكَ
فَاعْنِنِي بِأَبِي أَنْ تَعَلِّيَ غِيِّي بِرُشْدِكَ

فأجابه أبو العتاهية ^(٣) :

[من مجزوء الرمل]

أَطِيعِ اللَّهَ بِجَهْدِكَ رَاغِبًا أَوْ دُونَ جَهْدِكَ
أَعْطِ مَوْلَاكَ الَّذِي تَطْ لُبُّ مَنْ طَاعَهُ عَبْدُكَ

وقال بعض الحكماء : (مَنْ سَرَّهُ بُنُوهُ . . سَاءَتْهُ نَفْسُهُ) ^(٤) .

فأخذ هذا المعنى أبو العتاهية فقال ^(٥) :

[من الخفيف]

ابْنُ ذِي الْاِبْنِ كُلَّمَا زَادَ مِنْهُ مَشَرَعٌ زَادَ فِي فَنَاءِ أَبِيهِ
مَا بَقَاءُ الْأَبِ الْمُلْحِ عَلَيْهِ بِدَيْبِ الْبَلَى شَبَابُ بَنِيهِ

وفي معناه : ما حُكي عن زُرِّ بن حُبَيْش أنه عاش مئة وعشرين سنة ، فلمَّا

(١) البيتان في « ديوانه » (ص ٩٧) .

(٢) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٦١٦) ، و « عيون الأخبار » (٣٤٤ / ٢) من قول الحسن البصري رحمه الله تعالى .

(٣) البيتان في « ديوانه » (ص ٨٨ - دار صادر) .

(٤) أورده أبو عبيد في « الأمثال » (ص ١٤٦) ، و « عيون الأخبار » (٣٢٠ / ٢) من قول ضرار بن عمرو الضبي .

(٥) البيتان في « ديوانه » (ص ٢٧٧ - دار صادر) .

حضرتہ الوفاۃ أنشأ يقول :

[من مشطور الرجز]

إذا الرجال وَلَدَتْ أولادُها
وارتعشت من كِبَرِ أجسادُها
وجعلت أسقامُها تعادُها
تلك زُرُوعٌ قد دنا حصادُها^(١)

[من البسيط]

وكتب رجلٌ إلى صالح بن عبد القدوس^(٢) :

الموتُ بابٌ وكلُّ الناسِ داخلُهُ فليت شعري بعدَ البابِ ما الدارُ

[من البسيط]

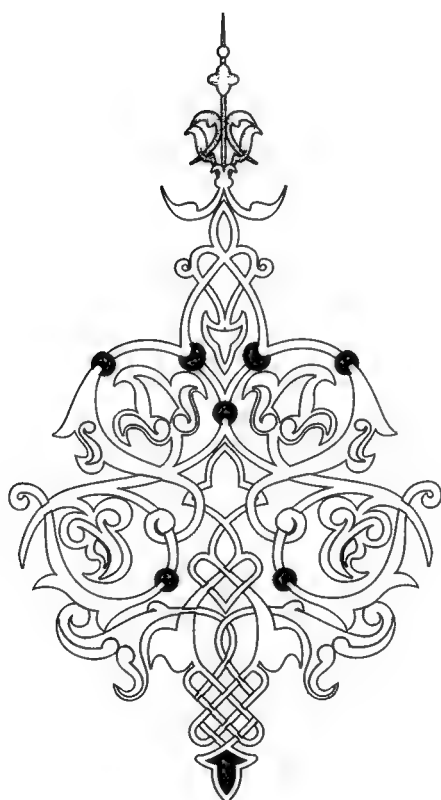
فأجابه صالح^(٣) :

الدارُ جنَّةٌ عَذِنَ إنْ عَمِلْتَ بما يُرضي الإلهَ وإنْ فرطتَ فالنارُ
هما محلانِ ما للناسِ غيرُهما فانظرْ لنفسِكَ ماذا أنتَ مُختارُ

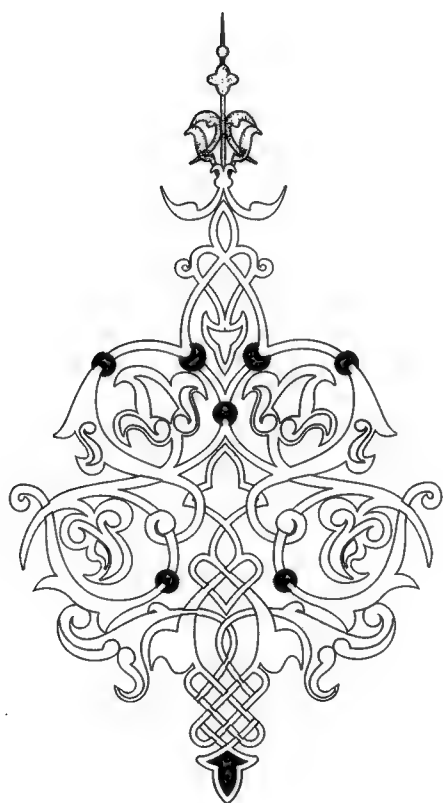
(١) أورده في « الصاهل والشاحج » (ص ٥٦٦) .

(٢) أورده في « ثمار القلوب » (٩٧٨/٢) ، وهذا البيت مع الأول من الجواب في « ديوان أبي العتاهية » (ص ١٤١) .

(٣) البيتان في « ديوانه » (ص ١١٩) .



البَابُ الرَّابِعُ
فِي أَكْبَارِ الدُّنْيَا



بَابُ أَدَبِ الدِّينِ

اعلم : أَنَّ الله تعالى لنافذ قدرته وبالع حكمة خلق الخلق بتدبيره ، وفطرهم بتقديره ، فكان من لطيف ما دبّر ، وبديع ما قدّر : أن خلقهم محتاجين ، وفطرهم عاجزين ؛ ليكون بالغنى متفرداً ، وبالقدرة مختصاً ؛ حتى يُشعرنا بقدرته أنه خالق ، ويُعلمنا بغناه أنه رازق ، فنذعن بطاعته رغبة ورهبةً ، ونقرّ بنقصنا عجزاً وحاجة .

ثم جعل الإنسان أكثر حاجةً من جميع الحيوان ؛ لأن من الحيوان ما يستقلُّ بنفسه عن جنسه ، والإنسان مطبوعٌ على الافتقار إلى جنسه ، والاستعانة به صفة لازمة لطبعه ، وخلقاً قائمة في جوهره ؛ ولذلك قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴾ يعني : ضعيفاً عن الصبر عما هو إليه مفتقرٌ ، واحتمال ما هو عنه عاجزٌ .

ولمّا كان الإنسان أكثر حاجةً من جميع الحيوان .. كان أظهر عجزاً ؛ لأن الحاجة إلى الشيء افتقارٌ إليه ، والمفتقر إلى الشيء عاجز به ^(١) .
وقد قال بعض حكماء المتقدمين : (استغناؤك عن الشيء خيرٌ من استغنائك به) ^(٢) .

وإنّما خصَّ الله تعالى الإنسان بكثرة الحوائج ، وظهور العجز ؛ نعمةً عليه ، ولطفاً به ؛ ليكون ذلُّ الحاجة ومهانة العجز يمنعان من طغيان الغنى وبغي القدرة ؛ لأنَّ الطغيان مركوزٌ في طبعه إذا استغنى ، والبغي مُستولٌ عليه إذا قدر ، وقد أنبا الله تعالى بذلك عنه فقال : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَآكْفٍ ۚ إِنَّ رَأْيَهُ أَسْفَهَى ﴾ ، ثم ليكون أقوى الأمور شاهداً على نقصه ، وأوضحها دليلاً على عجزه .

(١) فيه إيماء إلى أن الحاجة من العيوب .

(٢) أورده في « الكشكول » (١٥٨/٢) من كلام أرسطاطاليس .

وَأَشْدَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ لَابْنِ الرُّومِيِّ^(١) :

[من الطويل]

أَعَيَّرَتْنِي بِالنَّقْصِ وَالنَّقْصُ شَامِلٌ وَمَنْ ذَا الَّذِي أُعْطِيَ الْكَمَالَ فَيَكْمُلُ
وَأَشْهَدُ أَنِّي نَاقِصٌ غَيْرَ أَنَّنِي إِذَا قِيسَ بِي قَوْمٌ كَثِيرٌ تَقَلَّلُوا
تَفَاضَلَ هَذَا الْخَلْقُ بِالْفَضْلِ وَالْحِجَا فِي أَيَّامِ هَٰذِينَ أَنْتَ مَفْضَلُ
وَلَوْ مَنَحَ اللَّهُ الْكَمَالَ ابْنَ آدَمَ لَخَلَّدَهُ وَاللَّهُ مَا شَاءَ يَفْعَلُ

ولمّا خلق الله سبحانه الإنسان ماسّاً الحاجة ، ظاهر العجز . . جعل لنيل حاجته أسباباً ، ولدفع عجزه حيلةً ، دلّه عليهما بالعقل ، وأرشده إليهما بالفطنة ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴾ قال مجاهد : (قدّر أحوال خلقه ، فهدى إلى سبيل الخير والشر)^(٢) .

وقال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾ : (يعني الطريقين : طريق الخير ، وطريق الشر)^(٣) .

ثم لمّا كان العقل دالّاً على أسباب ما تدعو الحاجة إليه . . جعل الله تعالى الإدراك والظفر موقوفاً على ما قسم وقدر ؛ لكيلا يعتمدوا في الأرزاق على عقولهم ، وفي العجز على فطنهم ؛ لتدوم له الرغبة والرغبة ، ويظهر منه الغنى والقدرة .

وربّما عزّب هذا المعنى عمّن ساء ظنّه بخالقه حتى صار سبباً لضلاله ؛ كما قال الشاعر^(٤) :

[من البسيط]

سَبَحَانَ مَنْ أَنْزَلَ الْأَيَّامَ مِنْزَلَهَا وَصَيَّرَ الْخَلْقَ مَرْفُوضاً وَمَرْمُوقاً

(١) أورد الأبيات في « معجم الأدباء » (٦٤٨ / ١) ، و « ربيع الأبرار » (٥٥ / ٢) منسوبة لأحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار الثقفي الملقب بحمار العُزير ، كان ابن الرومي ينحله الشعر ، ولابن عمار كتاب في أخبار ابن الرومي ومختار شعره .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (١٥ / ٣٠ / ١٩١) .

(٣) رواه الحاكم في « المستدرک » (٥٢٣ / ٢) ، وابن المقرئ في « معجمه » (١١٤٨) .

(٤) الأبيات في « طبقات الشعراء » (ص ٤٤٦) لعمر القِصافي ، وفي « طبقات الشافعية الكبرى » (٢٣٢ / ٤) لأبي العلاء ، وفي « معاهد التنصيص » (١٤٧ / ١) لأحمد ابن الراوندي .

فعاقلٍ فطِنٍ أعيَتْ مَذهَبُهُ وجاهلٍ خرقٍ تلقاه مرزوقا
 ذاك الذي ترك الألبابَ حائرةً وصيّرَ العاقلَ النُّخِيرَ زنديقا

ولو حُسِنَ ظَنُّ العاقلِ حتَّى صَحَّ نظَرُهُ .. لعلم من علل المَصالح ما صار بها
 صديقاً لا زنديقاً ؛ لأنَّ من علل المصالح ما هو ظاهر ، ومنها ما هو غامض ،
 ومنها ما هو مغيب ؛ حكمةً استأثر بها .

ولذلك قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « حُسْنُ الظَّنِّ بالله مِنْ
 عِبَادَةِ اللَّهِ »^(١) .

ثم إنَّ الله سبحانه وتعالى جعل أسباب حاجاته وحيل عجزه في الدنيا التي
 جعلها دارَ تكليفٍ وعمل ؛ كما جعل الآخرة دارَ قرارٍ وجزاء ، فلزم لذلك أن
 يصرف الإنسان إلى دُنياه حظاً من عنايته ؛ لأنه لا غنىَ به عن التزوُّد منها لآخرته ،
 ولا له بدٌّ من سدِّ الخَلَّةِ فيها عند الحاجة .

وليس في هذا القول نقضٌ لما ذكرنا قبلُ من ترك فضولها^(٢) ، وزجر النفس
 عن الرغبة فيها ، بل الراغب فيها مَلُومٌ ، وطالب فضولها مذموم ، والرغبة إنَّما
 تختصُّ بما جاوز قدر الحاجة ، والفضول إنَّما ينطلق على ما زاد على قدر
 الكفاية^(٣) ؛ وقد قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ
 وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ۚ ﴾ قال أهل العلم بالتأويل : يعني : (وإذا فرغت من أمر دنياك ..
 فانصب في عبادة ربِّك)^(٤) .

وليس هذا القول منه ترغيباً لنبيِّه صلى الله عليه وسلم فيها ، ولكن ندبه إلى
 أخذ البُلغة منها ، وعلى هذا المعنى : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

(١) رواه الحاكم في « المستدرک » (٢٥٦ / ٤) ، وأبو داود (٤٩٩٣) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أي : لما ذكرناه قبلُ في أدب الدين .

(٣) أي : لا على قدر الحاجة والكفاية ، فحاصل كلامه : طالب ما زاد على قدر الحاجة مذموم ، وطالب
 قدر الحاجة ليس بمذموم بل ممدوح ، فلا تناقض بينهما ؛ لعدم اتحادهما في الإضافة . انظر « منهاج اليقين »
 (ص ٢٢٢) .

(٤) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٩٨ / ٣٠ / ١٥) عن مجاهد رحمه الله تعالى .

« ليس خيرُكم مَنْ تركَ الدنيا للآخرة ، ولا الآخرةَ للدنيا ، ولكنَّ خيرُكم مَنْ أخذَ مِنْ هَذِهِ وَهَذِهِ » (١) .

وروي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نِعَمَ الْمَطِيَّةُ الدُّنْيَا ؛ فَارْتَحِلُوهَا . . تَبْلُغُكُمْ الْآخِرَةُ » (٢) .

وذمَّ رجلٌ الدنيا عند عليِّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال عليٌّ عليه السلام : (الدنيا دارُ صدقٍ لِمَنْ صدَّقها ، ودارُ نِجاةٍ لِمَنْ تجاوز عنها ، ودارُ غنىٍّ لِمَنْ تزوَّد منها) (٣) .

وحكى مقاتل : أن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال : (يا ربِّ ؛ حتَّى متى أتردَّدُ في طلب الدنيا ؟ فقليل له : أمسِكْ عن هذا ؛ فليس طلبُ المَعاشِ من طلب الدنيا) .

وقال سفيان الثوري : (مكتوبٌ في التوراة : إذا كان في البيت بُزٌّ . . فتعبَّدْ ، وإذا لم يكن . . فاطلب ، يا بن آدم ؛ حرِّك يدَكَ . . يُسَبِّبْ لَكَ رِزْقَكَ) (٤) .

وقال بعض الحكماء : (ليس من الرغبة في الدنيا اكتسابُ ما يصون العِرضَ فيها) .

وقال بعض الأدباء : (ليس من الحرص اجتلابُ ما يقوت البدنَ) .

وقال محمود الوراق (٥) :

[من السريع]

لا تُتَبِعِ الدُّنْيَا وَأَيَّامَهَا ذِمًّا وَإِنْ دَارَتْ بِكَ الدَّائِرَةُ
مِنْ شَرَفِ الدُّنْيَا وَمِنْ فَضْلِهَا أَنْ بِهَا تُسْتَدْرَكُ الْآخِرَةُ
وإذ قد لزم بما بيَّناه النظرُ في أمور الدنيا . . فواجبُ سَبْرِ أحوالها ، والكشفُ

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٩٧/٦٥) ، وابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٥٠) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (١٠١) .

(٣) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٢١١) ، و« تاريخ دمشق » (٤٩٨/٤٢) .

(٤) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٢١١) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٨/٧) ، وأورده في « ربيع الأبرار » (٥٦/٤) .

(٥) البيتان في « ديوانه » (ص ٢٥٢) .

عن جهة انتظامها واختلالها ؛ لتعلم أسباب صلاحها وفسادها ، ومواد عمرانها وخرابها ؛ لتتنفي عن أهلها شبه الحيرة ، وتتجلى لهم أسباب الخير ، فيقصدوا الأمور من أبوابها ، ويعتمدوا إصلاح قواعدها وأسبابها .

واعلم : أن صلاح الدنيا معتبرٌ من وجهين :

أولهما : ما ينتظم به أمور جملتها .

والثاني : ما يصلح به حال كل واحدٍ من أهلها .

فهما شيان ، لا صلاح لأحدهما إلا بصاحبه ؛ لأن من صلحت حاله مع فساد الدنيا واختلال أمورها . لن يعدم أن يتعدى إليه فسادها ، ويقدر فيه اختلالها ؛ لأن منها يستمد ، وبها يستعد .

ومن فسدت حاله مع صلاح الدنيا وانتظام أمورها . لم يجد لصلاحها لذة ، ولا لاستقامتها أثراً ؛ لأن الإنسان دنيا نفسه ، فليس يرى الصلاح إلا إذا صلحت له ، ولا يعد الفساد إلا إذا فسدت عليه ؛ لأن نفسه أخص ، وحاله أوسع ، فصار نظره إلى ما يخصه مصروفاً ، وفكره على ما يمسه موقوفاً .

واعلم : أن الدنيا لم تكن قط لجميع أهلها مُسعدة ، ولا عن كافة ذويها مُعرضة ؛ لأن إعراضها عن جميعهم عطب ، وإسعادها لكافةًهم فساد ؛ لاختلاف والتباين ، واتفاقهم بالمساعدة والتعاون ، فإذا تساوى جميعهم . لم يجد أحدهم إلى الاستعانة بغيره سبيلاً ، وبهم من الحاجة والعجز ما وصفناه ، فيذهبوا حينئذٍ ضيعةً ، ويهلكوا عجزاً .

وإذا تباينوا واختلفوا . صاروا مؤتلفين بالمعاونة ، متواصلين بالحاجة ؛ لأن الحاجة وُصولٌ ، والمحتاج إليه موصولٌ ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ ، قال الحسن : (﴿ مُخْتَلِفِينَ ﴾ في الرزق ؛ فهذا غني ، وهذا فقير ، ﴿ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ يعني : للاختلاف بالغنى والفقير (١) .

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (١٧٧-١٧٦/١٢/٧) .

وقال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾ .

غيرَ أَنَّ الدنيا إذا صلحت . . كان إسعادها موفوراً ، وإعراضها ميسوراً ؛ لأنها إذا منحت . . هُتَّتْ وأودعت ، وإذا استردَّت . . رفقت وأبقت .

وإذا فسدت الدنيا . . كان إسعادها مكرراً ، وإعراضها غدرّاً ؛ لأنها إذا منحت . . كدَّتْ وأتعبت ، وإذا استردَّت . . استأصلت وأجحفت .

ومع هذا فصلاح الدنيا مصلحٌ لسرائر أهلها ؛ لوفور أماناتهم ، وظهور دياناتهم ، وفسادها مفسدٌ لسرائر أهلها ؛ لقلة أماناتهم ، وضعف دياناتهم ، وقد وُجد ذلك في شاهد الحال تجربةً وعرفاً ؛ كما يقتضيه دليلُ الحال تعليلًا وكشفًا ، فلا شيء أنفع من صلاحها ؛ كما أنه لا شيء أضرُّ من فسادها ؛ لأنَّ ما به تقوى دياناُتُ الناس وتتوفَّر أماناُتُهم . . فلا شيء أحقُّ به نفعاً ؛ كما أنَّ ما به تضعف دياناُتُهم وتذهب أماناُتُهم . . فلا شيء أجدرُّ به ضرراً .

وأنشد لأبي بكر بن دريد الأزدي^(١) :

الناسُ مثلُ زمانِهِمْ	قَدَّ الحِذاءُ على مِثَالِهِ
ورجالُ دهرِكَ مثلُ دَهْ	رِكَ في تَقْلُبِهِ وِحالِهِ
وكذا إذا فَسَدَ الزَّمانُ	نُ جرى الفسادُ على رِجالِهِ

وإذ قد بلغ بنا القولُ إلى ذلك . . فسنبداُ بذكر ما تصلح به الدنيا ، ثم نتلوه بوصف ما تصلح به حالُ الإنسان فيها .

(١) الأبيات في « ديوانه » : (ص ١٠٥) .

[فَصْلٌ]

[في قواعد صلاح الدنيا]

اعلم : أن ما به تصلح الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة ، وأمورها ملتزمة . . ستة أشياء ، هي قواعدُها وإن تفرعت ؛ وهي : دين متبع ، وسلطان قاهر ، وعدل شامل ، وأمن عامٌّ ، وخصب دارٌ ، وأمل فسيح .

فأما القاعدة الأولى وهي الدين المتبع : فلأنه يصرف النفوس عن شهواتها ، ويعطف القلوب عن إراداتها ، حتى يصير قاهرًا للسرائر ، زاجرًا للضمائر ، رقيبًا على النفوس في خلواتها ، نصوحًا لها في ملتماتها ، وهذه أمور لا يوصل بغير الدين إليها ، ولا يصلح سائر الناس إلا عليها ، فكان الدين أقوى قاعدة في صلاح الدنيا واستقامتها ، وأجدى الأمور نفعاً في انتظامها وسلامتها .

ولذلك لم يخل الله تعالى خلقه مذ فطرهم غفلاً من تكليف شرعيٍّ ، واعتقاد دينيٍّ ، ينقادون لحكمه ، فلا تختلف بهم الآراء ، ويستسلمون لأمره ، فلا تفرق فيهم الأهواء .

وإنما اختلف العلماء في العقل والشرع : هل جاء مجيئاً واحداً ، أو سبق العقل ثم تعقبه الشرع ؟ فقالت طائفة : جاء العقل والشرع معاً مجيئاً واحداً ، لم يسبق أحدهما صاحبه .

وقالت طائفة أخرى : بل سبق العقل ثم تعقبه الشرع ؛ لأن بكمال العقل يُستدل على صحة الشرع ، وقد قال الله تعالى : ﴿ اِيْحْسَبُ الْاِنْسُنُ اَنْ يُّرَكَّ سُدًى ﴾ ، وذلك لا يوجد منه إلا عند كمال عقله .

فثبت أن الدين من أقوى القواعد في صلاح الدنيا ، وهو الفرد الأوحـد في

صلاح الآخرة ، وما كان به صلاح الدنيا والآخرة . . فحقيقٌ بالعاقل أن يكون به متمسكاً ، وعليه محافظاً .

وقال بعض الحكماء : (الأدب أدبان : أدبٌ شريعةٌ ، وأدبٌ سياسةٌ ، فأدبُ الشريعة : ما أدَّى الفرض ، وأدبُ السياسة : ما عمر الأرض ، وكلاهما يرجع إلى العدل الذي به سلامةُ السلطان ، وعمارةُ البلدان ؛ لأنَّ مَنْ ترك الفرض . . فقد ظلم نفسه ، ومَنْ خرب الأرض . . فقد ظلم غيره)^(١) .

وقال سعيد بن حميد^(٢) :

ما صحّةُ أبداً بنافعةٍ حتّى يصحَّ الدّينُ والخُلُقُ

وأما القاعدةُ الثانية . . فهي سلطان قاهر : تأتلفُ برهته الأهواء المختلفة ، وتجتمع بهيته القلوبُ المتفرقة ، وتنكفُ بسطوته الأيدي الغالبة ، وتنقمع من خوفه النفوس المتعاندة ؛ لأنَّ في طباع الناس من حبِّ المغالبة على ما أثروه ، والقهر لمن عاندوه ما لا ينكفون عنه إلا بمانع قويّ ، وراذع مليّ ، وقد أوضح المتنبي ذلك حيث يقول^(٣) :

لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى حتّى يُراقَ على جَوَانِبِهِ الدَّمُ
والظُّلُمُ مِنْ شَيْمِ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجَدَّ ذَا عَفْةٍ فَلِعِلَّةٍ لَا يظْلِمُ

وهذه العلةُ المانعة من الظلم لا تخلو من أحد أربعة أشياء : إمّا عقلٌ زاجر ، أو دينٌ حاجز ، أو سلطانٌ رادع ، أو عجزٌ صاّد ، إذا تأملتُها . . لم تجد لها خامساً يقترن بها .

وربهةُ السلطان أبلغها ؛ لأنَّ العقل والدين ربّما كانا مضعوفين ، أو بداعي الهوى مغلوبين ، فتكون ربهة السلطان أشدَّ زجراً ، وأقوى ردعاً .

(١) أورده أسامة بن منقذ في « لباب الآداب » (ص ٥٦) .

(٢) أورد البيت في « أخبار القضاة » (٣/ ١٧٨) ، والعجلي في « معرفة الثقات » (٢/ ٤٦٥) .

(٣) البيتان في « ديوانه » (٤/ ١٢٥) .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ السُّلْطَانَ ظُلُّ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ ، يَأْوِي إِلَيْهِ كُلُّ مَظْلُومٍ »^(١) .

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ لَيَزَعُ بِالسُّلْطَانِ أَكْثَرَ مَا يَزَعُ بِالْقُرْآنِ »^(٢) .

وروي عنه أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ حُرَّاسًا فِي السَّمَاءِ ، وَحُرَّاسًا فِي الْأَرْضِ ؛ فَحُرَّاسُهُ فِي السَّمَاءِ الْمَلَائِكَةُ ، وَحُرَّاسُهُ فِي الْأَرْضِ الَّذِينَ يَقْبِضُونَ أَرْزَاقَهُمْ ، يَذُبُّونَ عَنِ النَّاسِ »^(٣) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الْإِمَامُ الْجَائِزُ خَيْرٌ مِنَ الْفِتْنَةِ ، وَكُلٌّ لَا خَيْرَ فِيهِ ، وَفِي بَعْضِ الشَّرِّ خَيْرٌ » .

وقال عبد الله بن مسعود : (السُّلْطَانُ يُفْسِدُ ، وَمَا يُصْلِحُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ أَكْثَرُ ؛ فَإِنْ عَدَلَ . . فَله الأجر ، وعليكم الشكر ، وَإِنْ جَارَ . . فعليه الوزر ، وعليكم الصبر)^(٤) .

وروى أبو هريرة قال : سُبَّتِ الْعِجَمُ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَنهَى عَنْ ذَلِكَ ، وقال : « لَا تَسُبُّوْهَا ؛ فَإِنَّهَا عَمَرَتْ بِلَادَ اللَّهِ تَعَالَى ، وَعَاشَ فِيهَا عِبَادُ اللَّهِ تَعَالَى » .

وقال بعض البلغاء : (السُّلْطَانُ فِي نَفْسِهِ إِمَامٌ مُتَبَوِّعٌ ، وَفِي سِيرَتِهِ دِينَ مُشْرُوعٌ ؛ فَإِنْ ظَلَمَ . . لَمْ يَعْدَلْ أَحَدٌ فِي حُكْمٍ ، وَإِنْ عَدَلَ . . لَمْ يَجْسِرْ أَحَدٌ عَلَى ظُلْمٍ) .

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٩٨٤) ، والبخاري في « مسنده » (٥٣٨٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٣٢٩/٤) من قول سيدنا عمر رضي الله عنه ، وأورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٢٩) ، وابن شبة في « تاريخ المدينة » (٩٨٨/٣) من قول سيدنا عثمان رضي الله عنه ، لينزع بالسُّلْطَانِ ؛ أي : لينزع بالسُّلْطَانِ عَنْ ارْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ وَالْآثَامِ مَا لَا يَمْنَعُ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِالْقُرْآنِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ الْأَكِيدِ وَالتَّهْدِيدِ الشَّدِيدِ .

(٣) رواه ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٢/١) عن خالد بن معدان مرسلًا .

(٤) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٨٤٤٩) موقوفًا ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٩٨٣) ، والخطيب في « موضح أوهام الجمع والتفريق » (٧١/٢) مرفوعًا .

وقال بعض العلماء : (إِنَّ أَقْرَبَ الدَّعَوَاتِ مِنَ الإِجَابَةِ دَعْوَةُ السُّلْطَانِ الْعَادِلِ الصَّالِحِ ، وَأَوْلَى الْحَسَنَاتِ بِالْأَجْرِ وَالثَّوَابِ أَمْرُهُ وَنَهْيُهُ فِي وَجْهِهِ الْمَصَالِحِ) .
فهذه آثار السلطان في أحوال الدنيا وما ينتظم به أمورها .

ثمَّ لما في السلطان من حراسة الدِّينِ والذِّبِّ عنه ، ومنع الأهواء منه ، وحراسة التبديل فيه ، وزجر مَنْ شَدَّ عنه بارتداد ، أو بغى فيه بعناد ، أو سعى فيه بفساد .
وهذه أمورٌ إن لم تنحسم عن الدِّينِ بسُلْطَانٍ قَوِيٍّ ورعايةٍ وافيةٍ . . أسرع فيه تبديل ذوي الأهواء ، وتحريف ذوي الآراء ، فليس دينٌ زال سلطانه إلا بُدِّلَتْ أحكامه ، وطُمِسَتْ أعلامه ، وكان لكلِّ زعيمٍ فيه بدعة ، ولكلِّ عصرٍ في وهائه أثر^(١) .

كما أنَّ السلطان إن لم يكن عن دينٍ تجتمع به القلوب حتى يرى أهلُه الطاعة فيه فرضاً ، والتناصر عليه حتماً . لم يكن للسلطان لبثٌ ، ولا لأيام صفوٌ ، وكان سلطاناً قهراً ، ومفسداً دهرٍ .

ومن ههنا الوجهين^(٢) وجب إقامة إمام يكون سلطان الوقت ، وزعيم الأمة ؛ ليكون الدين محروساً بسلطانه ، والسلطان جارياً على سنن الدين وأحكامه .

وقد قال عبد الله بن المعتز :

الملكُ بالدينِ يبقَى والدينُ بالملكِ يقوى^(٣)

واختلف الناس : هل وجب ذلك بالعقل ، أو بالشرع ؟

فقال طائفة : وجب بالعقل ؛ لأن معلوماً من حال العقلاء على اختلافهم

(١) الوهاء : الضعف ، يقال : وهى السقاء ؛ أي : استرخى رباطه ، وهوى الحائط : ضعف وهم بالسقوط .

(٢) أي : حراسة الدنيا ، وحراسة الدين .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٣٢) ، و « زهر الآداب » (٢ / ٦٧٥) .

الفرعُ إلى زعيم مندوب للنظر في مصالحهم .

وذهب آخرون : إلى وجوبه بالشرع ؛ لأن المقصود بالإمام القيامُ بأمور شرعية ؛ كإقامة الحدود ، واستيفاء الحقوق ، وقد كان يجوز الاستغناء عنها بالأمر بالتعبُد بها ، فبأن يجوز الاستغناء عما لا يراد إلا لها أولى^(١) .

وعلى هذا اختلفوا في وجوب بعثة الأنبياء وإرسال الرسل عليهم السلام :

فمن قال بوجوب ذلك بالعقل . . قال بوجوب بعثة الأنبياء .

ومن قال بوجوب ذلك بالشرع . . منع من وجوب بعثة الأنبياء ؛ لأنه لما كان المقصود ببعثتهم تعريف المصالح الشرعية ، وكان يجوز من المكلفين ألا تكون هذه الأمور مصلحة لهم . . لم تجب بعثة الأنبياء إليهم .

فأما إقامة إمامين أو ثلاثة في عصر واحد ، وبلد واحد . . فلا يجوز إجماعاً .

فأما في بلدان شتى وأمصار متباعدة :

فقد ذهب طائفة شاذة إلى جواز ذلك ؛ لأن الإمام مندوب للمصالح ، وإذا كانا إمامين في بلدين أو ناحيتين . . كان كل واحد منهما أقوم بما في يديه ، وأضبط لما يليه ، ولأنه لما جاز بعثة نبيين في عصر واحد ولم يؤد ذلك إلى إبطال النبوة . . كانت الإمامة أولى ، ولا يؤدي ذلك إلى إبطال الإمامة^(٢) .

وذهب الجمهور إلى أن إقامة إمامين في عصر واحد لا يجوز شرعاً ؛ لما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا بُويعَ لأمرين . . فاقتلوا آخرهما »^(٣) .

(١) ذهب بعض المعتزلة إلى وجوب ذلك بالعقل ؛ كالجاحظ والخياط والكعبي وأبي الحسين البصري وهم طائفة منهم ، وقال أهل السنة وعامة المعتزلة بوجوب ذلك بالشرع . انظر « منهاج اليقين » (ص ٢٣٢) .

(٢) هذا الدليل كان يتم لو كان أمر الإمامة مقصوراً على تسوية مصالح الرعية فقط بدون حراسة البيضة ؛ من عدو في الدين ، وليس كذلك ، بل هي أقدم أمورها وأعظمها ، وقياسه بالنبوة : قياس مع الفارق ؛ إذ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون عن عداوة نبي آخر واختلافه ، وأما في تعدد الإمامة . . فالاختلاف واقع لا محالة ، مع ما ينضم إليه من تحاسد الأكفاء ، أو بني الكثرة وعلو اليد ، أو ذل القلة والضعف . انظر « منهاج اليقين » (ص ٢٣٣) .

(٣) رواه مسلم (١٨٥٣) بنحوه عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ وَلَيْتُمْ أبا بكرٍ . . تَجِدُوهُ قَوِيًّا فِي دِينِ اللَّهِ ، ضَعِيفًا فِي بَدَنِهِ ، وَإِنَّ وَلَيْتُمْ عُمَرَ . . تَجِدُوهُ قَوِيًّا فِي دِينِ اللَّهِ ، قَوِيًّا فِي بَدَنِهِ ، وَإِنَّ وَلَيْتُمْ عَلِيًّا . . تَجِدُوهُ هَادِيًّا مُهْدِيًّا »^(١) .

فَتَبَيَّنَ بِهَذَا الْقَوْلِ أَنَّ إِقَامَةَ جَمِيعِهِمْ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ لَا يَصِحُّ ، وَلَوْ صَحَّ . .
لَأَشَارَ إِلَيْهِ ، وَنَبَّهَ عَلَيْهِ .

والذي يلزم سلطان الأمة من أمورها سبعة أشياء :

أحدها : حفظ الدين من تبديل فيه ، والحث على العمل به من غير إهمال له .

والثاني : حراسة البيضة ، والدب عن الأمة من عدو في دين ، أو باغي نفس أو مال^(٢) .

والثالث : عمارة البلدان باعتماد مصالحها ، وتهذيب سبلها ومسالكها .

والرابع : تقدير ما يتولاه من الأموال بسنن الدين من غير تحريف في أخذها وإعطائها .

والخامس : معاناة المظالم والأحكام بالتسوية بين أهلها ، واعتماد النصفة في فصلها .

والسادس : إقامة الحدود على مستحقيها من غير تجاوز فيها ، ولا تقصير عنها .

والسابع : اختيار خلفائه في الأمور أن يكونوا من أهل الكفاية فيها ، والأمانة عليها .

(١) رواه الحاكم في « المستدرک » (٧٠ / ٣) ، والبيهقي في « مسنده » (٧٨٣) ، والإمام أحمد في « فضائل الصحابة » (٢٨٤) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٢) حراسة البيضة ؛ أي : حماية حوزة الإسلام وساحة الأمة .

فإذا فعل مَنْ أفضى إليه سلطانُ الأمة ما ذكرنا من هذه الأشياء السبعة . . كان مؤدياً لحقِّ الله تعالى فيهم ، مستوجباً لطاعتهم ومناصحتهم وخلوص نياتهم ، مستحقاً لصدق ميلهم ومحبتهم .

وإن قصر عنها ولم يقم بحقِّها وواجبها . . كان بها مؤاخذاً ، وعليها معاقباً ، ثم هو من الرعية على استبطان معصية ومقت ، يترتصون الفرص بإظهارهما ، ويتوقعون الدوائر بإعلانهما ، وقد قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْسَكُمْ شِعْرًا ﴾ .

وفي قوله تعالى : ﴿ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِّنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ تأويلان : أحدهما : أن العذاب الذي من فوقهم : أمراء السوء ، والذي من تحت أرجلهم : عبيد السوء ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما .
والثاني : أن العذاب الذي من فوقهم : الرجم ، والذي من تحت أرجلهم : الخسف ، وهذا قول مجاهد وسعيد بن جبير .

وفي قوله تعالى : ﴿ أَوْ يَلْسَكُمْ شِعْرًا ﴾ تأويلان : أحدهما : أنه الأهواء المختلفة ، وهذا قول ابن عباس رضي الله عنهما .
والثاني : أنه الفتن والاختلاط ، وهذا قول مجاهد^(١) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من أميرٍ على عشرةٍ إلا وهو يجيء يوم القيامة مغلولاً يده إلى عنقه ؛ حتى يكون عمله هو الذي يُطلقه أو يُوبقه »^(٢) .

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خير أئمتكم : الذين تحبُّونهم

(١) انظر هذه الأقوال في « تفسير الطبري » (٢٧٥ / ٧ / ٥) وما بعدها .

(٢) رواه الحاكم في « المستدرک » (١٠٣ / ٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧١١٣) .

وَيُحِبُّونَكُمْ ، وَشَرُّ أُمَّتِكُمْ : الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ»^(١) .

وهذا صحيح ؛ لأنه إذا كان ذا خيرٍ . . أَحَبَّهُمْ وَأَحْبُوهُ ، وإذا كان ذا شرٍّ . . أَبْغَضَهُمْ وَأَبْغِضُوهُ .

وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا . . حَبَّهٖ إِلَى خَلْقِهِ ، فَاعْرِفْ مَنَزَلَتَكَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِمَنَزَلَتِكَ مِنَ النَّاسِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا لَكَ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِثْلُ مَا لِلَّهِ تَعَالَى عِنْدَكَ)^(٢) ، فكان هذا موضحاً لمعنى ما ذكرناه .

وأصل هذا : أن خشية الله تعالى تبعث على طاعته في خلقه ، وطاعته في خلقه تبعثهم على محبته ؛ فلذلك كانت محبتهم دليلاً على خيره وخشيته ، وبغضهم دليلاً على شره وقلة مراقبته .

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لبعض خلفائه : (أوصيك أن تخشى الله في الناس ، ولا تخشى الناس في الله)^(٣) .

وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه : (إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ فِيمَا تَقَلَّدْتُ) ، فقال : لست أخاف عليك أن تخافَ ، وَإِنَّمَا أَخَافُ عَلَيْكَ أَلَّا تَخَافَ^(٤) .

وهذا واضح ؛ لأن الخائف من الله تعالى مأمون الحيف ؛ كالذي روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال لأبي مريم السلولي وهو الذي قتل أخاه زيداً : (والله ؛ إِنِّي لَا أَحْبُبُكَ حَتَّى تَحَبَّ الْأَرْضُ الدَّمَ) ، قال : فيمنعني ذلك حقاً ؟ قال : (لَا) قال : فَلَا ضَيْرَ ، إِنَّمَا يَأْسَى عَلَى الْحَبِّ النِّسَاءُ^(٥) .

(١) رواه مسلم (١٨٥٥) ، والترمذي (٢٢٦٤) .

(٢) أورده في « البيان والتبيين » (١ / ٢٦١) ، و « الصداقة والصدق » (ص ٢١١) .

(٣) رواه أبو داود في « الزهد » (٣٧٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٥٨ / ٢١) من وصية سعيد بن عامر لعمر رضي الله عنهما .

(٤) أورده في « البيان والتبيين » (١ / ٢١١) ، ورواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٠٥٣) .

(٥) أورده في « عيون الأخبار » (١٣ / ٣) ، و « الأوائل » (ص ٢٤٤) .

وروي عن عبد الرحمن بن محمد قال : (أصدق طلحة بن عبيد الله أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق مئة ألف درهم ، وهو أول من أصدق هذا القدر ، فمَرَّ بالمال على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال : ما هذا ؟ قالوا : صدق أم كلثوم بنت أبي بكر ، قال : أدخلوه بيت المال ، فأخبر طلحة وقيل : كلمه ، فقال : ما أنا بفاعل ؛ لئن كان عمر يرى أن له فيه حقاً . لا يردّه بكلامي ، ولئن كان لا يرى فيه حقاً . ليردّنه ، فلمّا أصبح عمر . . أمر بالمال فدفع إلى أم كلثوم (١) .

وحكي : أن الرشيد حبس أبا العتاهية ، فكتب على حائط الحبس : [من الوافر]

أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ لُؤْمٌ وَمَا زَالَ المُسِيءُ هَوَ الظُّلُومُ
إِلَى دَيَّانٍ يَوْمَ الدِّينِ نَمُضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الخُصُومُ
سَتَعْلَمُ فِي المَعَادِ إِذَا التَّقِينَا غَدَاً عِنْدَ المَلِكِ مَنَ الظُّلُومُ

فأخبر الرشيد بذلك ، فبكى بكاءً شديداً ، ودعا أبا العتاهية فاستحلّه ، ووهب له ألف دينار وأطلقه (٢) .

وأما القاعدة الثالثة . . فهي عدلٌ شامل : يدعو إلى الألفة ، ويبعث على الطاعة ، وتعمّر به الأرض ، وتنمى به الأموال ، ويكثر معه النسل ، ويأمن به السلطان ، وقد قال الهرمزان لعمر رضي الله عنه حين رآه وقد نام متبدلاً : (عَدَلْتَ ، فَأَمِنْتُ ، فَنِمْتُ !!) (٣) .

وليس شيءٌ أسرع في خراب الأرض ، ولا أفسدَ لضمائر الخلق من الجور ؛ لأنّه ليس يقف على حدٍّ ، ولا ينتهي إلى غاية ، ولكلّ جزءٍ منه قسطٌ من الفساد حتى يستكمل .

(١) ذكر في « منهاج اليقين » (ص ٢٣٩) قصة هذا الخبر ؛ فانظره فيه فائدة .

(٢) أورده في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٢٣٢) ، والأبيات في « ديوانه » (ص ٣٥٣) .

(٣) أورده في « ثمار القلوب » (١٧٠/١) ، و « نهاية الأرب » (٣٦/٦) .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بئس الزادُ إلى المعادِ
العدوانُ على العبادِ » (١) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ثلاثٌ مُنجياتٌ ، وثلاثٌ مُهلِكَاتٌ ؛ فأما
المُنْجِياتُ : فالعدلُ في الغضب والرضا ، وخشيةُ الله تعالى في السرِّ والعلانية ،
والقصدُ في الغنى والفقر .

وأما المُهلِكَاتُ : فشحُّ مُطاعٍ ، وهوىٌ مُتَّبِعٌ ، وإعجابُ المرءِ بنفسه » (٢) .

وحكي : أن الإسكندر قال لحكماء الهند وقد رأى قلةَ الشرائع بها : (لم
صارت سننُ بلادكم قليلةً ؟ قالوا : لإعطائنا الحقَّ من أنفسنا ، ولعدل ملوكنا
فيها ، فقال لهم : أيُّما أفضلُ ؛ العدلُ أم الشجاعةُ ؟ قالوا : إذا استُعْمِلَ العدلُ . .
أغنى عن الشجاعة) (٣) .

وقال بعض الحكماء : (بالعدل والإنصاف تكون مدّة الائتلاف) .

وقال بعض البلغاء : (إن العدلَ ميزانُ الله تعالى الذي وضعه للخلق ، ونصبه
للحق ، فلا تخالفه في ميزانه ، ولا تعارضه في سلطانه ، واستعِنْ على العدل
بُخْلَتَيْنِ : قلةَ الطمع ، وكثرة الورع) (٤) .

وإذا كان العدلُ من إحدى قواعد الدنيا التي لا انتظامَ لها إلا به ، ولا صلاحَ
فيها إلا معه . . وجب أن يبدأ بعدل الإنسان في نفسه ، ثم بعدله في غيره .

(١) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٣٦٠) ، و« تاريخ دمشق » (٤٢٢/٤٨) من قول الفضيل بن
عياض رحمه الله تعالى ، وفي « تاريخ دمشق » (٤١١/٥١) من قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالى .

(٢) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٨٩٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٣١) عن سيدنا
أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٣) أورده أسامة بن منقذ في « لباب الآداب » (ص ٥٧) ، والمراد بسنن البلاد : قوانينها ؛ أي : قوانينهم
قليلة فلا يحتاجون إلى قوانين للخصومات والجرائم ؛ لمعرفة كل ما له وما عليه !! .

(٤) أورده بعضه في « ثمار القلوب » (٩٢/١) ، و« ربيع الأبرار » (٦٠٠/٣) .

فأما عدله في نفسه : فيكون بحملها على المصالح ، وبكفها عن القبائح ، ثم بالوقوف في أحوالها على أعدل الأمرين من تجاوز أو تقصير ؛ فإنَّ التجاوز بها جور ، والتقصير فيها ظلم ، ومن ظلم نفسه .. فهو لغيره أظلم ، ومن جار عليها .. فهو على غيره أجور .

وقال بعض الحكماء : (من توانى في نفسه .. ضاع)^(١) .

وأما عدله في غيره : فقد ينقسم حال الإنسان مع غيره ثلاثة أقسام :

- فالقسم الأول : عدل الإنسان فيمن دونه ؛ كالسلطان مع رعيته ، والرئيس مع صحابته ، فعدله فيهم يكون بأربعة أشياء : باتباع الميسور ، وحذف المعسور ، وترك التسلُّط بالقوة ، وابتغاء الحق في السيرة ؛ فإنَّ اتباع الميسور أدوم ، وحذف المعسور أسلم ، وترك التسلُّط أعطف على المحبة ، وابتغاء الحق أبعث على النصرة .

وهذه أمور إن لم تسلم للزعيم المدبّر . . كان الفساد بنظره أكثر ، والاختلال بتدبيره أظهر ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أشدُّ الناس عذاباً يوم القيامة من أشركه الله تعالى في سلطانه ، فجار في حكمه »^(٢) .

وقال بعض الحكماء : (الملك يبقى على الكفر ، ولا يبقى على الظلم)^(٣) .

وقال بعض الأدباء : (ليس للجائر جاز ، ولا تعم له دار) .

وقال بعض البلغاء : (أقرب الأشياء : صرعة الظلوم ، وأنفذ السهام : دعوة المظلوم)^(٤) .

(١) أورده في « البيان والتبيين » (٩٤ / ٤) من جملة ما أوصى به عبد الملك بن صالح ابنه .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٥ / ٤) من قول طاووس رحمه الله تعالى ، وذكره في « ربيع الأبرار » (٥١٣ / ٣) عن طاووس مرفوعاً .

(٣) أورده في « الإعجاز والإيجاز » (ص ٧٠) ، و « التذكرة الحمدونية » (٣١٣ / ١) .

(٤) ذكره البروسوي في « روح البيان » (٩٩ / ٩) .

وقال بعض حكماء الملوك : (العجبُ من مَلِكٍ استفسد رعيته وهو يعلم أن عزه بطاعتهم !!)^(١) .

وقال أردشير بن بابك : (إذا رغب الملكُ عن العدل . . رغبَت الرعيَةُ عن الطاعة)^(٢) .

وعُوتِبَ أنوشروان على ترك عقاب المذنبين ، فقال : (هم المرضى ، ونحن الأطباء ؛ فإذا لم نُدَاوِهِم بالعفو . . فَمَنْ لَهُمْ ؟ !) .

- والقسم الثاني : عدل الإنسان مع مَنْ فوقه ؛ كالرعيَّة مع سلطانها ، والصحابة مع رئيسها ، وذلك يكون بثلاثة أشياء : بإخلاص الطاعة ، وبذل النُّصرة ، وصدق الولاء ؛ فَإِنَّ إخلاص الطاعة أجمعُ للشمل ، وبذل النُّصرة أدفعُ للوهن ، وصدق الولاء أنفى لسوء الظن .

وهذه أمور إن لم تجتمع في المرعيِّ . . تسلَّطَ عليه مَنْ كان يدفع عنه ، واضطرَّ إلى اتِّقاء مَنْ كان يقِي عنه ؛ كما قال البحرى^(٣) :

متى أخرجتَ ذا كَرَمٍ تَخْطِئِي إِلَيْكَ بِيَعْضِ أَخْلَاقِ اللَّئِيمِ
وفي استمرار هذا حَلُّ نظامِ جامع ، وفسادُ صلاحِ شاملٍ .
وقد قال أبرويز : (أطعْ مَنْ فوقَكَ . . يُطِيعَكَ مَنْ دونَكَ)^(٤) .

وقال بعض الحكماء : (الظلمُ : مَسْلَبَةُ النِّعَم ، والبغيُّ : مَجْلَبَةُ النِّقَم)^(٥) .
وقال بعض البلغاء : (إِنَّ اللهَ تعالى لا يرضى عن خلقه إلا بتأدية حَقِّه ، وحَقُّه شكرُ النعمة ، ونصحُ الأمة ، وحسنُ الصَّنِيعَةِ ، ولزومُ الشريعة) .

(١) أورده في « شرح نهج البلاغة » (٩٥ / ١١) ، واستفسد رعيته : أساء إليهم حتى استعصوا عليه .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٣٦) ، و « زهر الآداب » (٢١٢ / ١) .

(٣) البيت في « ديوانه » (٢٠٧٩ / ٤) .

(٤) أورده في « الإعجاز والإيجاز » (ص ٦٦) ، و « زهر الآداب » (٢١٢ / ١) .

(٥) أورده في « لباب الآداب » (ص ٥٩) ، و « ربيع الأبرار » (٤٩٢ / ٣) .

- والقسم الثالث : عدل الإنسان مع أكفائه ، وقد يكون بثلاثة أشياء : بترك الاستطالة ، ومجانبة الإدلال ، وكفّ الأذى ؛ لأن ترك الاستطالة آلف ، ومجانبة الإدلال أعطف ، وكفّ الأذى أنصف .

وهذه أمورٌ إن لم تخلص في الأكفاء . . أسرع فيهم تقاطعُ الأعداء ، ففسدوا وأفسدوا .

وقد روي عن عمر بن عبد العزيز ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بشرارِ الناس ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « من نزلَ وحدَه ، ومنعَ رفدَه ، وجلدَ عبدَه » .

ثم قال : « أفلا أنبئكم بشرٍّ من هذا ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « مَنْ لا يُرجى خيره ، ولا يؤمنُ شرُّه » .

ثم قال : « ألا أنبئكم بشرٍّ من ذلك ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « مَنْ يُبغِضُ النَّاسَ وَيُغْضُوهُ ، إِنَّ عيسى ابن مريم عليه السلام قام خطيباً في بني إسرائيل فقال : يا بني إسرائيل ؛ لا تكلموا بالحكمة عند الجهال . . فتظلموها ، ولا تمنعوها أهلها . . فتظلموهم ، ولا تكافئوا ظالماً . . فيبطل فضلُكم ، يا بني إسرائيل ؛ الأمور ثلاثة : أمرٌ تبينَ رشدُه . . فاتبعوه ، وأمرٌ تبينَ غيُه . . فاجتنبوه ، وأمرٌ اختلف فيه . . فرُدُّوه إلى الله تعالى »^(١) .

وهذا الحديث جامعٌ لآداب العدل في الأحوال كلها .

وقد قال بعض الحكماء : (كلُّ عقلٍ لا يُدارى به الكلُّ . . فليس بعقل تامٌ) .

وقال بعض الشعراء^(٢) :

ما دُمتَ حيّاً فدارِ الناسَ كلَّهُم فإنما أنتَ في دارِ المُداراةِ
مَنْ يذرِ دارِي وَمَنْ لم يذرِ سَوْفَ يُرَى عمّا قليلٍ نديماً للنَّدَامَاتِ

(١) رواه بنحوه الحاكم في « المستدرک » (٢٧٠ / ٤) ، والإمام أحمد في « الزهد » (١٧٠٧) ، والباغندي في « مسند عمر بن عبد العزيز » (٥١) .

(٢) أورد البيت في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤١٩) ، و « معجم الأدباء » (١٦٠ / ٤) لأبي سليمان الخطابي ، والمدارة مستحبة مع الناس ؛ وهي لين الكلام ، وترك الإغلاظ في القول ، وهي من أخلاق المؤمنين ، والفرق بينها وبين المداينة المحرمة : أن المدارة الرفق بالجاهل في التعليم ، والفاسق بالنهاي عن فعله ، والمداينة : معاشره المعلن بالفسق ، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه باللسان ولا بالقلب .

وقد يتعلّق بهذه الطبقات أمور خاصّة ، يكون عدلُهم فيها بالتوسُّط في حالتي التقصير والسرف ؛ لأنّ العدل مأخوذ من الاعتدال ، فما جاوز الاعتدال . . فهو خروجٌ عن العدل .

وقد قالت الحكماء : (الفضائل : هيئات متوسّطة بين خُلّتين ناقصتين ، وأفعال الخير : توسّطٌ بين رذيلتين ؛ فالحكمة واسطة بين الشرّ والجهالة ، والشجاعة واسطة بين التقشُّم والجبن^(١) ، والعفة واسطة بين الشره وضعف الشهوة ، والسكينة واسطة بين السخط وضعف الغضب ، والغيرة واسطة بين الحسد وسوء العادة ، والظرف واسطة بين الخلاعة والفدامة^(٢) ، والتواضع واسطة بين الكبر ودناءة النفس ، والسّخاء واسطة بين التقتر والتبذير ، والحلم واسطة بين إفراط الغضب وعدمه ، والمودة واسطة بين الخلافة وجسا الخُلّ^(٣) ، والحياء واسطة بين الفحّة والحصر^(٤) ، والوفار واسطة بين الهزء والسّخافة) .

وإذا كان ما خرج عن الاعتدال إلى ما ليس باعتدالٍ خروجاً عن العدل إلى ما ليس بعدل . . كان ما خرج عن الأولى إلى ما ليس بأولى خروجاً عن العدل إلى ما ليس بعدل .

وقد قال بعض البلغاء : (السلطان السوء يخيف البريء ، ويصطنع الدنيء ، والبلد السوء يجمع السّفيل ، ويورث العلل ، والولد السوء يشين السلف ، ويهدم الشرف ، والجار السوء يفشي السر ، ويهتك الستر)^(٥) .

فجعل هذه الأشياء بخروجها عن الأولى إلى ما ليس بأولى خروجاً عن العدل إلى ما ليس بعدل ، ولست تجد فساداً إلا وسبب نتيجته : الخروج فيه عن حال العدل إلى ما ليس بعدل من حالتي الزيادة والنقصان ، فإذا لا شيء أنفع من العدل ؛ كما أنه لا شيء أضرّ ممّا ليس بعدل .

(١) التقشُّم : هو أن يرمي بنفسه في الأمر فجأة من غير روية ولا تأن .

(٢) الفدامة : العبيّ عن الحجة ، والكلام مع ثقل ورخاوة ، وقلة فهم .

(٣) الخلافة : الخداع بالقول اللطيف . وجسا الخُلّ : صلابته وغلظته .

(٤) الفحّة : يقال : وقح الرجل إذا قلّ حياؤه .

(٥) أورد بعضه أسامة بن منقذ في « لباب الآداب » (ص ٥٥) .

وأما القاعدة الرابعة . . فهي أمنٌ عامٌ : تطمئنُّ إليه النفوس ، وتنتشر فيه
الهمم ، ويسكن إليه البريء ، ويأنس به الضعيف ؛ فليس لخائفٍ راحة ،
ولا لحاذرٍ طمأنينة ، وقد قال بعض الحكماء : (الأمنُ أهناُ عيش ، والعدلُ أقوى
جيش)^(١) .

ولأنَّ الخوفَ يقبضُ الناسَ عن مصالحهم ، ويحجزهم عن تصرفهم ،
ويكفُّهم عن أسباب الموادِّ التي بها قوامُ أودهم ، وانتظامُ جملتهم .

ولئن كان الأمنُ من نتائج العدل ، والخوفُ من نتائج ما ليس بعدل . . فقد
يكون الخوفُ تارةً بمقاصد الآدميين الخارجة عن العدل ، وقد يكون تارةً بأسبابٍ
حادثيةٍ عن غير مقاصد الآدميين ، فلا تكونُ خارجةً عن حال العدل ؛ فمن أجل
ذلك لم يكن ما سبق من حال العدل مُقنعاً عن أن يكون الأمنُ في انتظام الدنيا
قاعدةً للعدل .

فإذا كان ذلك كذلك . . فالأمنُ المطلقُ ما عمَّ ، والخوفُ قد يتنوعُ تارةً ويعمُّ ؛
فتنوعُه : بأن يكون تارةً على النفس ، وتارةً على الأهل ، وتارةً على المال .

وعموُّه : أن يستوعب جميع الأحوال ، ولكلِّ واحدٍ من أنواعه حظٌّ من
الوهن ، ونصيب من الحزن .

وقد يختلف باختلاف أسبابه ، ويتفاضل بتباين جهاته ، ويكون بحسب
اختلاف الرغبة فيما خيف عليه ؛ فمن أجل ذلك لم يجز أن نصفَ حالَ كلِّ واحدٍ
من أنواعه بمقدارٍ من الوهن ، ونصيبٍ من الحزن ، لا سيَّما والخائفُ على الشيء
مختصُّ الهمِّ به ، منصرفُ الفكرِ عن غيره ، فهو يظنُّ أن لا خوفَ إلا إياه ، ويغفل
عن قدر النعمة بالأمن فيما سواه ، فصار كالمرضى الذي هو بمرضه متشاغل ،
وعما سواه غافل ؛ ولعلَّ ما صُرف عنه أعظمُ ممَّا بُلي به . [من الطويل]

على أنها تعفو الكلوم وإنما نوكل بالادنى وإن جلَّ ما يمضي^(٢)

(١) أورده في « الإعجاز والإيجاز » (ص ١٢٣) .

(٢) هذا البيت لأبي خراش الهذلي ؛ كما في « ديوان الهذليين » (١٥٨ / ٢) .

حكى : أَنَّ رجلاً قال وأعرابيٌّ حاضرٌ : (ما أَشدَّ وجعَ الضُّرسِ !! فقال الأعرابيُّ : كلُّ داءٍ أَشدُّ داءً)^(١) .

كذلك مَنْ عَمَّه الأَمْنُ كَمَنْ استولت عليه العافية ، فهو لا يعرف قدرَ النعمة بأمنه حتَّى يخاف ؛ كما لا يعرف المُعافى قدرَ النعمة بعافيته حتَّى يُصاب .
وقال بعض الحكماء : (إِنَّمَا يُعرفُ قدرُ النعمة بمُقاساةِ ضدها) .

فأخذ ذلك أبو تمام الطائي فقال^(٢) :

والحادثاتُ وإنْ أصابَكَ بؤسُها فهو الذي أنباك كيفَ نعيمُها
فالأولى بالعاقل : أن يتذكَّرَ عند مرضه وخوفه قدرَ النعمة فيما سوى ذلك من عافيته وأمنه ، وما انصرف عنه ممَّا هو أَشدُّ من مرضه وخوفه ؛ ليستبدل بالشكوى شكرًا ، وبالجَزَعِ صبرًا ، فيكون فرحاً مسروراً .

حكى : أن يعقوب قال ليوسف عليهما الصلاة والسلام حين لقيه : (أيُّ شيء كان خبرُكَ بعدي ؟ قال : لا تسألني عما فعل بي إخوتي ، سألني عما صنعه بي ربي)^(٣) .

وقال الشاعر :

لا تنسَ في الصَّحَةِ أَيَّامَ السَّقَمِ فإنَّ عُقبى تاركِ الحَزْمِ نَدَمٌ

وأما القاعدةُ الخامسة . . فهي خُصْبُ دأْرٍ : تتَّسع به الأحوال ، ويشارك فيه ذوو الإكثار والإقلال ، فيقلُّ في الناسِ الحسد ، وينتفي عنهم تباغضُ العدم ،

= والكُلوم : هي الجروح ، والمعنى : أن العادة نسيان المصائب البعيدة العهد وإن كانت عظيمة ، والتحنن بالمصيبة القريبة الحالَّة ولو حقيرة .

(١) أورده في « ربيع الأبرار » (١٠٦/٥) .

(٢) البيت في « ديوانه بشرح التبريزي » (٢٧٣/٣) .

(٣) أي : لا تسألني عما فعله بي إخوتي من الغدر ، وسألني عما صنعه بي ربي من الإعزاز والإكرام بالنبوة والتعبير ، والحكم والتعليم .

وتتسع النفوس في التوسع ، وتكثر المواساة والتواصل ، وذلك من أقوى الدواعي في صلاح الدنيا وانتظام أحوالها ؛ ولأنَّ الخُصْبَ يؤول إلى الغنى ، والغنى يحدث الأمانة والسخاء .

كتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري : (لا تستقصينَّ إلا ذا حَسَبٍ أو مالٍ ؛ فَإِنَّ ذا الحَسَبِ يخافُ العواقبَ ، وذا المالِ لا يرغبُ في مالٍ غيرِه)^(١) .

وقال بعض السلف : (إني وجدتُ خيرَ الدنيا والآخرة في خصلتين ، وشرَّ الدنيا والآخرة في خصلتين : فخيرُ الدنيا والآخرة في التَّقَى والغنى ، وشرُّ الدنيا والآخرة في الفُجور والفقر)^(٢) .

وقال بعض الشعراء^(٣) :

ولم أرَ بعدَ الدِّينِ خيراً مِنَ الغِنَى ولم أرَ بعدَ الكفرِ شرّاً مِنَ الفقرِ
وبحسبِ الغنى يكون إقلالُ البخيلِ وعطاؤه ، وإكثارُ الجوادِ وسخاؤه ؛ كما قال دِغِيل^(٤) :

لئن كنتَ لا تُؤلي يداً دونَ إمرةٍ فلستَ بمُولٍ نائلاً آخرَ الدَّهرِ
وأَيُّ إناءٍ لم يَفُضْ عندَ مَلئِهِ وأَيُّ بخيلٍ لم يُنلْ ساعةَ الوَفْرِ
وإذا كان الخُصْبُ يُحدثُ من أسبابِ الصلاحِ ما وصفتُ .. كان الجَدْبُ يُحدثُ من أسبابِ الفسادِ ما ضادَّها ؛ وكما أنَّ صلاحَ الخصبِ عامٌّ . فكَذلك

(١) رواه في « أخبار القضاة » (٧٦ / ١) ؛ وفيه : (وإن ذا الحسب لا يخشى العواقب بين الناس) ، وفي قوله : (وذا المال) نكتة لا بد من التنبيه عليها ؛ وهي أن الإضافة للعهد ؛ يعني : الحافظ لِماله ، المراعي له ؛ لكونه آلة لمجده ومكارمه ، لا لحرصه على ادخاره وجمعه ؛ وإلا .. فكم من ذوي أموالٍ وحسبٍ سلبوا من يد اليتيم الضرير عصاه !؟

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٧٤) من قول أبي صالح الأسدي رحمه الله تعالى .

(٣) البيت منسوب لسيدنا علي رضي الله عنه في « ديوانه » (ص ١٣١) ، ولصالح بن عبد القدوس في « ديوانه » (ص ١٥٠) ، ولمحمود الزرقا في « ديوانه » (ص ٢٢٣) .

(٤) البيتان في « ديوانه » (ص ١٥٧) .

فساد الجذب عامٌ ، وما عمَّ به الصلاحُ إن وُجد وعمَّ به الفسادُ إن فُقد . فأحرى أن يكون من قواعد الصلاح ودواعي الاستقامة .

والخُصْبُ يكون من وجهين ؛ خصب في المكاسب ، وخصب في المواد^(١) .

فأما خصبُ المكاسب . . فقد يتفرَّع من خصب المواد ، وهو من نتائج الأمن المقترن به .

وأما خصبُ المواد . . فقد يتفرَّع عن أسباب إلهية ، وهو من نتائج العدل المقترن بها .

وأما القاعدة السادسة . . فهي أمل فسيح : يبعث على اقتناء ما يقصر العمر عن استيعابه ، ويحثُّ على إنشاء ما ليس يوثق في دَرَكه بحياة أربابه .

ولولا أن الثاني يرتفق بما أنشأه الأولُ حتى يصير به مستغنياً . . لافتقر أهل كلِّ عصر إلى إنشاء ما يحتاجون إليه من منازل السكنى وأراضي الحرث ؛ وفي ذلك من الإعواز وتعذر الإمكان ما لا خفاء به ؛ فلذلك ما أرفق الله تعالى خلقه باتساع الآمال حتى عمر به الدنيا ، وتمَّ صلاحها ، وصارت تنتقل بعمرانها إلى قرن بعد قرن ، فيتمُّ الثاني ما أبقاه الأول من عمارتها ، ويرمُّ الثالث ما أحدثه الثاني من شعثها ؛ لتكون أحوالها على الأعصار ملتئمة ، وأمورها على مرور الدهور منتظمة .

ولو قصُرت الآمال . . لما تجاوز الواحد حاجة يومه ، ولا تعدَّى ضرورة وقته ، ولكانت تنتقل إلى من بعده خراباً ؛ لا يجد فيها بلغة ، ولا يدرك منها حاجة ، ثم تنتقل إلى من بعده بأسوأ من ذلك حالاً ، حتى لا ينمي فيها نبتٌ ، ولا يمكن فيها لبثٌ .

(١) وخصب في المواد - جمع مادة - : وهي عبارة عن أصول نامية بذواتها ؛ وهي شيطان : نبت نام ، وحيوان متناسل ، والمكسوب من وجهين : تقلَّب في تجارة ، وتصرَّف في صناعة . انظر « منهاج اليقين » (ص ٢٥١) .

وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الأملُ رحمةٌ من الله لأمتي ؛ ولولاه.. ما غرسَ غارسٌ شجراً ، ولا أرضعتْ أمٌ ولداً »^(١) .

وقال الشاعر^(٢) :

وللنُّفوسِ وإنْ كانتِ على وَجَلٍ مِنْ الْمَنِيَّةِ آمَالٌ تُقَوِّيهَا
فالمَرءُ يَبْسُطُهَا وَالذَّهْرُ يَقْبِضُهَا وَالنَّفْسُ تَنْشُرُهَا وَالْمَوْتُ يَطْوِيهَا
فأَمَّا حَالُ الأملِ في أمرِ الآخرة.. فهو من أقوى الأسبابِ في الغفلة عنها ،
وقلَّةُ الاستعداد لها ؛ وقد أفصح لبيد بن ربيعة مع أعرابيته بما بيَّن به حال الأمل في
الأمرين ، فقال^(٣) :

وأكْذِبِ النَّفْسَ إِذَا حَدَّثَتْهَا إِنَّ صِدْقَ النَّفْسِ يُزِرِّي بِالْأَمَلِ
غَيْرَ أَلَا تَكْذِبُهَا فِي التُّقَى وَأَجْزِهَا بِالْبِرِّ لِلَّهِ الْأَجَلُ
وفرقُ ما بين الآمال والأُماني : أنَّ الآمال ما تَقَيَّدَتْ بأسباب ، والأُماني
ما تَجَرَّدَتْ عنها .

فهذه القواعد الستُ التي تصلح بها أحوال الدنيا ، وتتنظم أمور جملتها ؛ فإن
كملت فيها.. كمل صلاحها ، وبعيدٌ أن يكون أمرُ الدنيا تاماً كاملاً ، وأن يكون
صلاحها عاماً شاملاً ؛ لأنها موضوعةٌ على التغيُّر والفناء ، ومنشأةٌ على التصرُّم
والانقضاء .

سمع بعض الحكماء رجلاً يقول : (قلبَ الله الدنيا !! قال : إذاً تستوي ؛
لأنَّها مقلوبة)^(٤) .

(١) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٥٠ / ٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .
(٢) البيتان لسيدنا علي رضي الله عنه في « ديوانه » (ص ٢٦٨) ، ونسبه في « منهاج اليقين » (ص ٢٥٢)
للشاعر سابق البربري .

(٣) البيتان في « ديوانه » بشرح الطوسي (ص ١٨٠) ؛ وفيه : (واخزها بالبر) أي : اقهرها .
(٤) أورده في « البصائر والذخائر » (٢٠٠ / ٧) ، و « نثر الدر » (١٠٩ / ٣) من قول الخليفة المأمون .

[من الطويل]

وقال بعض الشعراء^(١) :

وَمِنْ عَادَةِ الْأَيَّامِ أَنَّ خُطُوبَهَا إِذَا سَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ سَاءَ جَانِبُ
وَمَا أَعْرِفُ الْأَيَّامَ إِلَّا ذَمِيمَةً وَلَا الدَّهْرَ إِلَّا وَهُوَ لِلثَّارِ طَالِبُ
وَبَحَسَبَ مَا اخْتَلَّ مِنْ قَوَاعِدِهَا . . يَكُونُ اخْتِلَالُهَا وَفْسَادُهَا .

(١) البيتان لسعيد بن حميد الكاتب ؛ كما في « مقاتل الطالبين » (ص ٦١٣) ، ونسب الأول في « نهاية الأرب » (١١٠ / ٦) لقيس بن الخطيم ، وهو في « ديوانه » (ص ٢٢٦) مفرداً .

فَصَحَائِحُ

[في قواعد صلاح الإنسان في الدنيا]

فأما ما يصلح به حال الإنسان فيها . . فثلاثة أشياء ، هي قواعد أمره ، ونظام حاله ؛ وهي :

- نفسٌ مطيعةٌ إلى رشدها ، منتهيةٌ عن غيِّها .
- وألفةٌ جامعةٌ تنعطف القلوب عليها ، ويندفع المكروه بها .
- ومادةٌ كافيةٌ تسكن نفسه إليها ، ويستقيم أودُه بها .

فأما القاعدةُ الأولى التي هي نفسٌ مطيعةٌ : فلأنها إذا أطاعته . . ملكها ، وإذا عصته . . ملكته ولم يملكها ، ومن لم يملك نفسه . . فهو بالألَّ يملك غيرها أخرى ، ومن عصته . . كان بمعصية غيرها أولى .

وقد قال بعض الحكماء : (لا ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره وطاعة نفسه ممتنعة عليه)^(١) .

وقال الشاعر^(٢) :

أَتَطْمَعُ أَنْ يُطِيعَكَ قَلْبُ سُعْدَى وَتَزْعُمُ أَنَّ قَلْبَكَ قَدْ عَصَاكَ

وطاعة نفسه تكون من وجهين : أحدهما : نصح ، والثاني : انقياد .

فأما النصُّحُ : فهو أن ينظر إلى الأمور بحقائقها ، فيرى الرشدَ رشداً فيستحسنه ، ويرى الغيَّ غيًّا فيستقبحه ، وهذا يكون من صدق النفس إذا سلمت

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٠٨) ، و « محاضرات الأدباء » (٣٢ / ١) .

(٢) البيت للخليل بن أحمد في « ديوانه » (ص ١٦) ، ونقل في « منهاج اليقين » (ص ٢٥٤ - ٢٥٥) عن « المستطرف » (٣ / ٢١٠ - ٢١١) : أن الشعر للوليد بن يزيد حين طلق امرأته وتزوجت بعده ، وأرسل إليها أشعب برسالة وردت عليه في قصة طريفة ظريفة .

من دواعي الهوى ؛ ولذلك قيل : (مَنْ تَفَكَّرَ . . أَبْصَرَ)^(١) .

وأما الانقيادُ : فهو أن تسرع إلى الرشد إذا أمرها ، وتنتهي عن الغي إذا زجرها ، وهذا يكون من قبول النفس إذا كُفيت منازعة الشهوات ، قال الله تعالى : ﴿ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا ﴾ .

وللنفس آداب هي من تمام طاعتها ، وكمال مصلحتها ، قد أفردنا لها من هذا الكتاب باباً ، واقتصرنا في هذا الموضع على ما قد اقتضاه الترتيب ، واستدعاه التقريب^(٢) .

وأما القاعدةُ الثانية التي هي الألفة الجامعة : فلأنَّ الإنسان مقصودٌ بالأذية ، محسودٌ بالنعمة ، فإذا لم يكن ألفاً مألوفاً . تخطفته أيدي حاسديه ، وتحكمت فيه أهواء أعاديهِ ، فلم تسلم له نعمة ، ولم تصف له مدة .

وإذا كان ألفاً مألوفاً . انتصر بالألفة على أعاديهِ ، وامتنع بها من حاسديه ، فسلمت نعمته منهم ، وصفت مدته عنهم وإن كان صفو الزمان كدراً ، ويسره عسراً ، وسلمه خطراً .

وقد روى ابن جريج ، عن عطاء ، عن جابر ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المؤمنُ ألفٌ مألوفٌ ، ولا خيرَ فيمن لا يألفُ ولا يؤلفُ ، وخيرُ الناسِ أنفعُهُم للناسِ »^(٣) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إنَّ اللهَ تعالى يرضى لكم ثلاثاً ، ويكره لكم ثلاثاً ؛ يرضى لكم : أنْ تعبدُوهُ ولا تُشْرِكُوا به شيئاً ، وأنْ تعصِمُوا بحَبْلِهِ جميعاً ولا تفرَّقُوا ، وأنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وُلاهُ اللهُ تعالى أمرَكم ،

(١) أورده في « شرح نهج البلاغة » (٩٧/١٦) من قول سيدنا علي رضي الله عنه ، ورواه ابن طيفور في « بلاغات النساء » (ص ٥١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٦٦/٦٩) من قول الزرقاء بنت عددي الهمدانية .

(٢) سيأتي (ص ٣٦٧) .

(٣) رواه الشهاب في « مسنده » (١٢٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٠٤/٨) .

ويكره لكم : قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال «^(١) ، وكل ذلك حث منه على الألفة .

والعرب تقول : (مَنْ قَلَّ . . ذَلَّ)^(٢) .

[من الكامل]

وقال قيس بن عاصم^(٣) :

إِنَّ الْقِدَاحَ إِذَا اجْتَمَعْنَ فَرَامَهَا بِالْكَسْرِ ذُو حَنْقٍ وَبَطْشٍ أَيْدٍ
عَزَتْ فَلَمْ تُكْسَرْ وَإِنْ هِيَ بُدِّدَتْ فَالْوَهْنَ وَالتَّكْسِيرُ لِلْمُتَبَدِّدِ

وإذا كانت الألفة - كما ذكرت - تجمع الشمل ، وتمنع الذل . . اقتضت الحال ذكر أسبابها .

وأسباب الألفة خمسة ؛ وهي : الدين ، والنسب ، والمُصاهرة ، والمودة ، والبر .

فأما الدين : وهو الأول من أسباب الألفة . . فلأنه يبعث على التناصر ، ويمنع من التقاطع والتدابير ، ويمثل ذلك وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه وأمتة ؛ فروى سفيان ، عن الزهري ، عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقاطعوا ، ولا تدابروا ، ولا تحاسدوا ، وكُونُوا عبادَ الله إخواناً ، لا يحِلُّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث »^(٤) .

(١) رواه مسلم (١٧١٥) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٣٨٨) ، والبخاري في « الأدب المفرد » (٤٤٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وقوله : « قيل وقال » هو ما يكون من فضول المجالس مما يتحدث به فيها ؛ كقيل كذا وقال كذا مما لا يصح ولا يعلم حقيقته ، وربما جرَّ إلى غيبة أو نميمة ، أما من قال ما يصح وعُرف حقيقته ، وأسندته إلى ثقة صدوق ، ولم يجرَّ إلى منهى عنه . . فلا وجه لذمه .

(٢) أورده أبو عبيد في « الأمثال » (ص ٩٤) ؛ وتماهه : (وَمَنْ أَمِرَ . . فَلَّ) ، ورواه في « تاريخ دمشق » (٤٥٧/٣) من قول أوس بن حارثة جد قبيلة الأوس .

(٣) أورده البيهقي في « ديوان المعاني » (ص ١٥٢) لقيس بن عاصم المنقري ، وفي « ربيع الأبرار » (٤٥٧/١) و« تاريخ الإسلام » (١٤٣/٦) لعبد الله بن عبد الأعلى الشيباني ، وذو حنق : صاحب غيظ ، وبطش أي - على وزن : كيّس - أي : قوي وشديد .

(٤) رواه مسلم (٢٥٥٩) ، والترمذي (١٩٣٥) .

وهذا وإن كان اجتماعهم في الدين يقتضيه . . فهو على وجه التحذير من تذكر ترات الجاهلية ، وإحـن الضلالة ؛ فقد بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم والعرب أشد الناس تقاطعاً وتعادياً ، وأكثرهم اختلافاً وتمادياً ؛ حتى إن بني الأب الواحد كانوا يفترون أحزاباً مختلفة ، وينشأ بينهم بالتحزب والافتراق أحقاد الأعداء ، وإحـن البُعداء ، وكانت الأنصار أشدهم تقاطعاً وتعادياً ، وكان بين الأوس والخزرج من الاختلاف والتباين أكثر من غيرهم إلى أن أسلموا ، فذهبت إحنهم ، وانقطعت عداواتهم ، وصاروا بالإسلام إخواناً متواصلين ، وبألفة الدين أعواناً متناصرين .

قال الله تعالى : ﴿ وَأَذْكُرُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ يعني : أعداء في الجاهلية ، فألف بين قلوبكم بالإسلام .
وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ أَمْنٌ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾ يعني : حباً .

وعلى حسب التألف على الدين تكون العداوة فيه إذا اختلف بأهله ؛ فإن الإنسان قد يقطع في الدين من كان به برّاً ، وعليه مشفقاً ، هذا أبو عبيدة ابن الجراح وقد كانت له المنزلة العالية في الفضل ، والأثر المشهور في الإسلام . . قتل أباه يوم بدر ، وأتى برأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - طاعة لله ولرسوله - حين بقي على ضلّالته ، وانهمك في طغيانه ، فلم تعطفه عليه رحِم ، ولا كفّه عنه إشفاق وهو من أبرّ الأبناء ؛ تغليباً للدين على النسب ، ولطاعة الله تعالى على طاعة الأب ، وفيه أنزل الله تعالى : ﴿ لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ (١) .

وقد يختلف أهل الدين على مذاهب شتى ، وآراء مختلفة ، فيحدث بين

(١) روى نحوه الحاكم في « المستدرک » (٣ / ٢٦٤ - ٢٦٥) ، والبيهقي في « الكبرى » (٩ / ٢٧) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١ / ١٥٤) ، وفصل في « منهاج اليقين » (ص ٢٦٠) من جاهد أقرباءه وعشيرته من الصحابة .

المختلفين فيه من العداوة والتباين مثل ما يحدث بين المختلفين في الأديان .

وعلة ذلك : أن الدين والاجتماع على العقد الواحد فيه لما كان من أقوى أسباب الألفة . . كان الاختلاف فيه من أقوى أسباب الفرقة ، وإذا تكافأ أهل الأديان المختلفة والمذاهب المتباينة ولم يكن أحد الفريقين أعلى يداً وأكثر عدداً . . كانت العداوة بينهم أقوى ، والإحسَنُ فيهم أعظم ؛ لأنه ينضمُّ إلى عداوة الاختلاف تحاسدُ الأكفاء ، وتنافسُ النظراء .

وَأَمَّا النَّسَبُ :

وهو الثاني من أسباب الألفة . . فلأنَّ تعاطف الأرحام ، وحمية القرابة يبعثان على التناصر والألفة ، ويمنعان من التخاذل والفرقة ؛ أنفةً من استعلاء الأبعد على الأقارب ، وتوقياً من تسلُّط الغرباء الأجانب ؛ وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ الرَّحِمَ إِذَا تَمَاسَّتْ . . تعاطفت ، وإذا تقاست تقاطعت » .

ولذلك حفظت العرب أنسابها لما امتنعت بها عن سلطانٍ يقهرها ، ويكف الأذى عنها ؛ لتكون به متضافرةً على مَنْ ناوأها^(١) ، متناصرةً على مَنْ شاقَّها وعادها ، حتى بلغت بألفة الأنساب وتناصرها عزَّ القويِّ الأيِّد ، وتحكَّمت فيه تحكُّم المتسلِّط المتشدَّد ؛ حتى إِنَّ نبيَّ الله لوطاً أعذَرَ نفسه حين عَدِمَ عشيرةً تنصره ، فقال لِمَنْ بُعِثَ إليه : ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ﴾ يعني : إلى عشيرة مانعة .

وروى أبو سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « رَحِمَ اللهُ لوطاً !! لقد كان يأوي إلى ركنٍ شديدٍ » يعني : الله عزَّ وجلَّ ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « فما بعث الله بعده نبياً إلا في ثروةٍ مِنْ قَوْمِهِ »^(٢) .

(١) ناوأها : عادها وخاصمها .

(٢) رواه البخاري (٣٣٧٢) ، ومسلم (١٥١) ، والترمذي واللفظ له (٣١١٦) ، وقال في « منهاج =

وقال وهب : (لقد رَدَّتِ الرسلُ على لوط ، وقالوا : إِنَّ ركنَكَ لشديدٌ)^(١) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم : (أَنَّهُ كَانَ لَا يَتْرُكُ الْمَرْءَ مُفْرَجًا ؛ حَتَّى يَضُمَّهُ إِلَى قَبِيلَةٍ يَكُونُ مِنْهَا) ، قَالَ الرَّيَاشِيُّ : (وَالْمُفْرَجُ : الَّذِي لَا يَنْتَمِي إِلَى قَبِيلَةٍ يَكُونُ مِنْهَا)^(٢) .

كُلُّ ذَلِكَ حَثٌّ مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَلْفَةِ ، وَكَفَّ عَنْ الْفِرْقَةِ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « مَنْ كَثُرَ سَوَادُ قَوْمٍ . . فَهُوَ مِنْهُمْ »^(٣) .

وَإِذَا كَانَ النِّسَبُ بِهَذِهِ الْمَنْزِلَةِ مِنَ الْأَلْفَةِ . . فَقَدْ تَعَرَّضَ لَهُ عَوَارِضُ تَمْنَعُ مِنْهَا ، وَتَبَعَتْ عَلَى الْفِرْقَةِ الْمُنَافِيَةَ لَهَا ؛ فَإِذَا قَدْ لَزِمَ أَنْ نَصِفَ حَالَ الْأَنْسَابِ وَمَا يَعْضُرُ لَهَا مِنَ الْأَسْبَابِ .

وَجُمْلَةُ الْأَنْسَابِ : أَنَّهَا تَنْقَسِمُ ثَلَاثَةً أَقْسَامٍ : قِسْمٌ وَالِدُونَ ، وَقِسْمٌ مَوْلُودُونَ ، وَقِسْمٌ مَنَاسِبُونَ ، وَلِكُلِّ صِنْفٍ مِنْهُمْ مَنْزِلَةٌ فِي الْبِرِّ وَالصَّلَةِ ، وَعَارِضٌ يَطْرَأُ فَيُبْعَثُ عَلَى الْعُقُوقِ وَالْقَطِيعَةِ .

فَأَمَّا الْوَالِدُونَ : فَهُمُ الْآبَاءُ وَالْأُمَّهَاتُ ، وَالْأَجْدَادُ وَالْجَدَّاتُ ، وَهُمْ مُوسُومُونَ مَعَ سَلَامَةِ أَحْوَالِهِمْ بِخُلُقَيْنِ ؛ أَحَدُهُمَا : لَازِمٌ بِالطَّبْعِ ، وَالثَّانِي : حَادِثٌ بِاِكْتِسَابٍ .

فَأَمَّا مَا كَانَ لَازِمًا بِالطَّبْعِ : فَهُوَ الْحَذَرُ وَالْإِشْفَاقُ ؛ وَذَلِكَ لَا يَنْتَقِلُ عَنِ الْوَالِدِ

= اليقين » (ص ٢٦٢) : (يعني الله عز وجل : تفسير ومدرج في الحديث ، فما وقع من نسخ المتن : « وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم » لربط آخر الحديث بأوله ، لا لأنه حديث آخر ؛ كما رواه الحاكم [٥٦١/٢] عن أبي هريرة بتمامه وصححه) .

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (١١٠/١٢/٧) .

(٢) رواه الطبراني بنحوه في « المعجم الكبير » (٢٤/١٧) ، والدليمي في « الفردوس » (٧٨٥٥) عن سيدنا عمرو بن عوف رضي الله عنه ، وفي (ج) : (مُفْرَجًا) وقد روي الحديث بالوجهين ، والمُفْرَجُ : الْمُثْقَلُ بِالذَّيْنِ . انظر « تصحيقات المحدثين » (١٦٠/١) وما بعدها .

(٣) أورده الدليمي في « الفردوس » (٥٦٢١) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

بحال^(١) ، وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لكل شيء ثمرة ، وثمرَةُ القلبِ الولدُ »^(٢) .

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الولدُ مَبْخَلَةٌ مَجْهَلَةٌ ، مَجْبَنَةٌ مَحْزَنَةٌ »^(٣) فأخبر أنَّ الحذر عليه يكسب هذه الأوصاف ، ويحدث هذه الأخلاق .

وقد كره قومٌ طلبَ الولدِ كراهةً لهذه الحال التي لا يقدر على دفعها عن نفسه ؛ للزومها طبعاً ، وحدوثها حتماً .

قيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام : ما بالك تكره الولد ؟ فقال : (ما لي وللولد ؟ إن عاش .. كدَّني ، وإن مات .. هدَّني)^(٤) .

وقيل لعيسى ابن مريم عليهما السلام : ألا تتزوَّجُ ؟ فقال : (إِنَّمَا يُحِبُّ التَّكْثُرُ فِي دَارِ الْبَقَاءِ)^(٥) .

وأما ما كان حادثاً باكتسابٍ : فهي المحبة التي تنمي مع الأوقات ، وتتغير مع تغيرِ الحالات ؛ وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الولدُ أَلَوَطٌ »^(٦) ، يعني : أن حبه يلتصق بنياط القلب .

فإن انصرف الوالد عن حب الولد .. فليس ذلك لبغضة منه ؛ ولكن لسَلْوَةٍ حدثت من عقوقٍ أو تقصيرٍ مع بقاء الحذر والإشفاق الذي لا يزول عنه ، ولا ينتقل منه ، وقد قال محمد بن علي^(٧) : (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَضِيَ الْآبَاءَ لِلْأَبْنَاءِ ،

(١) في (أ) : (عن الولد بحال) .

(٢) رواه البزار في « مسنده » (٥٣٧٩) ، والديلمي في « الفردوس » (٧٧٩) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) رواه الحاكم في « المستدرک » (٢٩٦ / ٣) عن سيدنا الأسود بن خلف القرشي رضي الله عنه .

(٤) أورده في « تحسين القبيح وتقبيح الحسن » (ص ١٠٦) من قول السيد المسيح عليه السلام ، وفي « ربيع الأبرار » (٤٦٢ / ٤) دون نسبة .

(٥) أورده في « البصائر والذخائر » (٢٢٤ / ٩) بنحوه .

(٦) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٨٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٤٧ / ٤٤) من قول سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وفي (أ) : (الولد أنوط) .

(٧) هو سيدنا محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم .

فحذّرهم فتنّهم ، ولم يُوصِهِم بهم ، ولم يرَضَ الأبناءَ للآباء ، فأوصاهم بهم ، وإنَّ شرَّ الأبناء : مَنْ دعاه التقصيرُ إلى العقوق ، وشرُّ الآباء : مَنْ دعاه البرُّ إلى الإفراط (١) .

والأمّهاتُ أكثرُ إشفاقاً ، وأوفرُ حبّاً ؛ لما باشرنَ من الولادة ، وعانينَ من التربية ، وأنهنَّ أرقُّ قلوباً ، وألينَ نفوساً ، وبحسب ذلك وجب أن يكون التعطفُ من الأبناء عليهنَّ أكثرَ ، والبرُّ لهنَّ أوفرَ ؛ جزاءً لفعلهنَّ ، وكِفَاءً لحقهنَّ وإن كان الله تعالى قد أشركَ بينهما في البرِّ ، وجمعَ بينهما في الوصية ، فقال تعالى : ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ حُسْنًا ﴾ .

وقد رُوي أنَّ رجلاً جاء إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال : إنَّ لي أماً أنا مطيئُها ، أفعدها على ظهري ، ولا أصرف عنها وجهي ، وأردُّ إليها كسبي ، فهل جزئُها ؟ قال : « لا ، ولا بزفرةٍ واحدة » ، قال : ولمَ ؟ قال : « لأنَّها كانت تخدمُك وهي تحبُّ حياتك ، وأنتَ تخدمُها وتحبُّ موتها » (٢) .

وقال الحسن البصري : (حقُّ الوالد أعظمُ ، وبرُّ الوالدة ألزَمُ) (٣) .

ورُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أنهاكُم عن عُقُوقِ الأمّهاتِ ، ووَادِ البناتِ ، ومنَعَ وهاتِ » (٤) .

وروى خالد بن معدان ، عن المقدام قال : سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إنَّ اللهَ تبارك وتعالى يُوصيكم بأمّهاتِكُم ، ثمَّ يُوصيكم بأمّهاتِكُم ،

(١) كذا أورده في « بهجة المجالس » (٧٦٦ / ١) لمحمد الباقر رضي الله عنه ، ورواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٣٠٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٦٥ / ١٩) لزيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم .

(٢) رواه بنحوه البخاري في « الأدب المفرد » (١١) ، وابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٢٢١) ، وابن وهب في « الجامع في الحديث » (٩٠) من قول سيدنا عمر رضي الله عنه ، ورواه البزار (٤٣٨٠) عن سيدنا بريدة رضي الله عنه مرفوعاً مختصراً .

(٣) أورده في « محاضرات الأدباء » (٦٨٤ / ١) .

(٤) رواه البخاري بنحوه (٢٤٠٨) ، ومسلم في كتاب الأقضية ، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة (٥٩٣) عن سيدنا المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .

ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِأَمْهَاتِكُمْ ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِأَبَائِكُمْ ، ثُمَّ يُوصِيكُمْ بِالْأَقْرَبِ
فَالْأَقْرَبُ^(١) .

وَأَمَّا المولودون : فهم الأولاد وأولاد الأولاد ، والعرب تسمي ولد الولد
الصَّفْوة ؛ وهم مختصُّون مع سلامة أحوالهم بخُلُقَيْن : أحدهما لازم ، والآخر
منتقل .

فَأَمَّا اللّازِمُ : فهو الأنفة للآباء من تهضم أو خُمول ، والأنفة في الأبناء
في مقابلة الإشفاق في الآباء ، وقد لحظ أبو تمام الطائي ذلك في شعره
فقال^(٢) :

فأصَبْتُ يَلْقَانِي الزَّمانَ مِنْ أَجْلِهِ بِإِعْظَامِ مَوْلُودٍ وَإِشْفَاقِ وَالِدِ
وَأَمَّا المَنْتَقِلُ : فهو الإدلال ، وهو أوّل حال الولد ، والإدلال في الأبناء في
مقابلة المحبة في الآباء ؛ لأنّ المحبة بالآباء أخصُّ ، والإدلال بالأبناء أَمْسُ .

وقد رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال : قلتُ :
يا رسولَ الله ؛ ما بالنا نَرُقُّ على أولادنا ، ولا يَرُقُّونَ علينا ؟ قال : « لَأَنَّا
وَلَدْنَاهُمْ ، وَلَمْ يَلِدُونَا »^(٣) .

ثم إنّ الإدلال في الأبناء قد ينتقل مع الكبر إلى أحد أمرين ؛ إمّا إلى البرِّ
والإعظام ، وإمّا إلى الجفاء والعقوق .

فإن كان الولد رشيداً وكان الأب برّاً عطوفاً . صار الإدلال برّاً وإعظاماً ، وقد
روى الزهري ، عن عامر بن شراحيل^(٤) : أنّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال
لجبرير بن عبد الله : « إِنَّ حَقَّ الوالِدِ على الولدِ أَنْ يَخْشَعَ لَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ ، وَيُؤَثِّرَهُ

(١) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٦٠) ، وابن ماجه (٣٦٦١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان »
(٧٤٦١) .

(٢) البيت في « ديوانه » (٧٣ / ٢) .

(٣) قال في « منهاج اليقين » (ص ٢٦٥) : (وقيل لبعض الحكماء : لأي شيء نحب أولادنا ولا يحبوننا ؟ !
قال : لأن آدم لم يكن له أب حتى يحبه ، وورث منه بنوه ذلك !!) .

(٤) وهو المشهور بالشعبي رحمه الله تعالى .

على نفسه عند السَّغَابَةِ والنَّصَبِ ؛ فَإِنَّ المَكْفَىءَ ليس بالواصلِ ، ولكنَّ الواصلَ
مَنْ إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ .. وصلَهَا »^(١) .

وإن كان الولد غاوياً ، أو كان الوالد جافياً . صار الإدلالُ قطيعةً وعُقوقاً ؛
ولذلك قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « رَحِمَ اللهُ امرأً أعانَ ولدهُ على برِّهِ »^(٢) .
وبُشِّرَ عمرُ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه بمولودٍ فقال : (رِيحَانَةٌ أَشْمُهُا ،
ثم هو عن قريبٍ : ولدٌ باؤٌ ، أو عدوٌّ ضارٌّ)^(٣) .

وقد قيل في منشور الحكم : (العُقُوقُ تُكُلُّ مَنْ لَمْ يَثْكَلْ)^(٤) .

وقال بعض الحكماء : (ابنُك رِيحَانُكَ سِبْعاً ، وخادِمُكَ سِبْعاً ، ووزيرُكَ
سِبْعاً ، ثم هو صديقٌ أو عدوٌّ)^(٥) .

وأما المُنَاسِبُونَ : فهم مَنْ عدا الآباءَ والأبناءَ مِمَّنْ يُرْجَعُ بتعصيبٍ أو رَحِمٍ ،
والذي يختصُّون به الحَمِيَّةُ الباعثةُ على النُّصْرَةِ ، وهي أدنى رتبةٍ من الأَنَفَةِ ؛ لأنَّ
الأَنَفَةَ تمنع من التهضمِّ والخمول معاً ، والحَمِيَّةُ تمنع من التهضمِّ ، وليس لها في
كراهية الخمول نصيبٌ إلا أن يقتَرَنَ بها ما يبيعث على الأَنَفَةِ .

وحَمِيَّةُ المُنَاسِبِينَ : إِنَّمَا تدعو إلى النُّصْرَةِ على البُعْدَاءِ الأَجَانِبِ ، وهي
معرَّضةٌ لحسد الأَدَانِي والأَقَارِبِ ، موَكَّلةٌ إلى منافسة الضَاوِي والصَّاحِبِ^(٦) .

(١) رواه الطبراني في « الأحاديث الطوال » (٣) ، وابن شبة في « تاريخ المدينة المنورة » (٥٦٧/٢) من
طريق أخرى موصولاً ، والسَّغَابَةُ والنَّصَبُ : الجوع وعدم كفاية المؤونة فيقدم الولدُ والدَّهَ على نفسه ،
وقطعت : روي مبنياً للفاعل والمفعول . والحاصل من أقسامه ثلاثة : موصل ومكافىء وقاطع ؛ فالموصل :
من يتفضل ولا يُتفضل عليه ، والمكافىء : الذي لا يزيد في الإعطاء على ما يأخذ ، والقاطع : الذي يُتفضل
عليه ولا يتفضل . انظر « منهاج اليقين » (ص ٢٦٦) بتصرف .

(٢) رواه السلمي في « آداب الصَّحْبَةِ » (١٣٧) عن سيدنا علي رضي الله عنه ، وابن أبي شيبة في
« المصنف » (٢٥٩٢٤) عن الشعبي ، وابن وهب في « الجامع في الحديث » (١٣٨) عن عطاء رحمه الله
تعالى مرسلًا .

(٣) أورده في « البيان والتبيين » (٢٨٥/٣) ، و « التذكرة الحمدونية » (٢٧٣/٤) .

(٤) أورده أبو عبيد في « الأمثال » (ص ١٤٨) ، و « ربيع الأبرار » (٤٥٨/٤) من قول أوس بن حارثة ،
ومعناه : العقوق فقدان ولد لمن لم يفقده ، وقالوا : (إن العقوق أحد التكلين ؛ ولربَّ عقيمٍ أقر للعين) .

(٥) أورده في « عيون الأخبار » (٩٤/٣) ، و « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٥٩) .

(٦) في (ج ، د ، هـ) : (الصَّاحِبُ بالصَّاحِبِ) .

فإن حُرست بالتواصل والتلاطف.. تأكدت أسبابها ، واقترن بحمية النسب مصافاة المودة ؛ وذلك أوكد أسباب الألفة ، وقد قيل لبعض قريش : (أئِما أحبُّ إليك ؛ أخوك أو صديقك ؟ فقال : أخي إذا كان صديقاً)^(١) .

وقال مسلمة بن عبد الملك : (العيشُ في ثلاث : سعة المنزل ، وكثرة الخدم ، وموافقة الأهل)^(٢) .

وقال بعض الحكماء : (البعيد قريب بمودته ، والقريب بعيد بعداوته)^(٣) .
وإن أهِمِلتِ الحالَ بين المُناسِبين ؛ ثقةً بلُحمة النسب ، واعتماداً على حمية القرابة.. غلب عليها مقتُ الحسد ، أو منازعةُ التنافس ، فصارت المناسبة عداوة ، والقرابة تباعدًا .

وقال الكندي في بعض رسائله : (الأبُّ ربٌّ ، والولد كمد ، والأخ فخ ، والعم غم ، والخال وبال ، والأقارب عقارب)^(٤) .

وقال عبد الله بن المعتز^(٥) :

لُحُوْمُهُمْ لَحْمِي وَهُمْ يَأْكُلُونَهُ وما داهياتُ المرءِ إلا أقارِبُهُ
ومن أجل ذلك أمر الله تعالى بصلة الأرحام^(٦) ، وأثنى على واصليها فقال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾ ، قال المفسرون : (هي الرحم التي أمر الله تعالى بوصلها ، ويخشون ربهم : في قطعها ، ويخافون سوء الحساب : في المعاقبة عليها)^(٧) .

وقد روى عبد الرحمن بن عوف أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال :

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (٦٤) ، وأورده في « الموشى » (ص ٣١) من قول خالد بن صفوان .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٧٠) ، و « بهجة المجالس » (١٢٥ / ٢) .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٥) .

(٤) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٠) .

(٥) البيت في « ديوانه » (٤٤٩ / ١) .

(٦) ومن أجل ذلك ؛ أي : لأجل كون حمية المناسبين تتأكد بالتواصل ، وتنقطع بالإهمال .

(٧) أورده الطبري في « تفسيره » (١٧٧ / ١٣ / ٨) .

« يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : أَنَا الرَّحْمَنُ ، وَهِيَ الرَّحِمُ ، اسْتَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنْ اسْمِي ، فَمَنْ وَصَلَهَا .. وَصَلْتُهُ ، وَمَنْ قَطَعَهَا .. قَطَعْتُهُ » (١) .

وَرُوي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « صَلِّةُ الرَّحِمِ : مَنَامَةٌ لِلْعَدَدِ ، مَثْرَاءٌ لِلْمَالِ ، مَحَبَّةٌ فِي الْأَهْلِ ، مَنَسَاءٌ فِي الْأَجَلِ » (٢) .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : (بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ بِالْحُقُوقِ ، وَلَا تُجَفُّوْهَا بِالْعُقُوقِ) .

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ : (صَلُّوا أَرْحَامَكُمْ ؛ فَإِنَّهُ لَا تَبْلَى عَلَيْهَا أَصُولُكُمْ ، وَلَا تَهْتَضِمُ عَلَيْهَا فُرُوعُكُمْ) .

وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : (مَنْ لَمْ يَصْلُحْ لِأَهْلِهِ .. لَمْ يَصْلُحْ لَكَ ، وَمَنْ لَمْ يَذْبَ عَنْهُمْ .. لَمْ يَذْبَ عَنْكَ) .

وَقَالَ بَعْضُ الْفَصَحَاءِ : (مَنْ وَصَلَ رَحِمَهُ .. وَصَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَحِمَهُ ، وَمَنْ أَجَارَ جَارَهُ .. أَعَانَهُ اللَّهُ وَأَجَارَهُ) (٣) .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْدِيُّ (٤) :

وَحَسْبُكَ مِنْ ذَلٍّ وَسَوْءٍ صَنِيعَةٍ مُنَاوَاةُ ذِي الْقُرْبَى وَأَنْ قِيلَ قَاطِعُ
وَلَكِنْ أَوَاسِيهِ وَأَنْسَى ذُنُوبَهُ لَتَرْجِعَهُ يَوْمًا إِلَيَّ الرَّوَاجِعُ

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٥) :

وَلَا يَسْتَوِي فِي الْحَكَمِ عَبْدَانِ وَاصِلٌ وَعَبْدٌ لِأَرْحَامِ الْقَرَابَةِ قَاطِعُ

(١) رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ (١٦٩٤) ، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٩٠٧) ، وَالْمَعْنَى : إِنْ الرَّحِمُ أَثَرٌ مِنْ آثَارِ الرَّحْمَةِ ، مُشْتَبِكَةٌ بِهَا ، فَالْقَاطِعُ لَهَا مُنْقَطِعٌ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، وَلَيْسَ الْمَعْنَى : أَنَّهَا مِنْ ذَاتِ اللَّهِ ، تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا ، وَقَوْلُهُ : (وَصَلْتُهُ) كِتَابَةٌ عَنْ عَظِيمِ إِحْسَانِهِ بَعْدَهُ .

(٢) رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي « الْمُسْتَدْرَكِ » (١٦١ / ٤) ، وَالتِّرْمِذِيُّ (١٩٧٩) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٣) انْظُرِ « الْكَلِيَّاتِ » (٥٥ / ١) ، وَ« فَيْضُ الْقَدِيرِ » (٤٦٢ / ٥) .

(٤) أَوْرَدَ الْبَيْتَيْنِ الْمَرْزُوقِي فِي « شَرْحِ دِيْوَانِ الْحَمَاسَةِ » (٤٠٤ / ١) ، وَ« التَّذَكُّرَةُ الْحَمْدُونِيَّةُ » (٣٧٤ / ١) ، وَمِنْ ذَلٍّ : (مَنْ) : زَائِدَةٌ ، وَ(ذَلٌّ) : تَمَيُّيزٌ مِنَ النِّسْبَةِ ، وَأَنْ قِيلَ : (أَنْ) مُصَدَّرِيَّةٌ ؛ وَالْمَعْنَى : يَكْفِيكَ ذَلًّا وَسَوْءَ صَنِيعَةٍ مِبَاعِدَةِ الْأَقَارِبِ وَقَوْلِ النَّاسِ : هُوَ قَاطِعُ عَاقٍ ، فَوَاهَا لَكَ .

(٥) أَوْرَدَهُ فِي « تَارِيخِ دِمَشْقَ » (٢٧٤ / ٥٧) ، وَ« الْحَلَّةُ السَّيْرَاءُ » (٢٨ / ١) .

وأما المصاهرة وهي الثالثة من أسباب الألفة . . فلأنها استحداث مواصلة ،
وتمازج مناسبة ، صدراً عن رغبة واختيار ، وانعقاداً عن خبرة وإيثار ، فاجتمع
فيهما أسباب الألفة ، ومواد المصاهرة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ
مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ يعني بالمودة :
المحبة ، وبالرحمة : الحنو والشفقة ؛ وهما من أوكد أسباب الألفة .
وفيها تأويل آخر - قاله الحسن البصري - : (أَنَّ المودة : النكاح ، والرحمة :
الولد) (١) .

وقال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ
بَيْنًا وَحَفْدةً ﴾ فاختلف المفسرون في الحفدة ؛ فقال عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه : (هم أصهار الرجل على بناته) (٢) .

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (هم ولد الرجل ، وولد ولده) .
وحكي عنه : أنه قال : (إِنَّهُمْ بنو امرأة الرجل من غيره) (٣) .
وسُمُّوا حفدة ؛ لتحققهم في الخدمة ، وسرعتهم في العمل ؛ ومنه قولهم في
الغنوت : (وإليك نسعى ونحفد) (٤) أي : نُسرِع إلى العمل بطاعتك .
ولم تزل العرب تجتذب البُعْدَاء وتتألف الأعداء بالمصاهرة ، حتى يرجع النافر
مؤانساً ، ويصير العدو موالياً ، بل يصير الصهر بين الاثنين ألفةً بين القبيلتين ،
وموالاةً بين العشيرتين .

وحكي عن خالد بن يزيد بن معاوية أنه قال : (كان أبغض خلق الله إليّ آل الزبير ؛
حتى تزوجت فيهم رملة ، فصاروا أحب خلق الله إليّ) وفيهم يقول : [من الطويل]
تجولُ خَلاخِيلُ النساءِ ولا أرى لرملةَ خَلْخالاً يجولُ ولا قلباً

(١) أورده أبو حيان في « البحر المحيط » (١٦٦/٧) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (١٧٥/١٤/٨) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٧٧/٧) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (١٧٩/١٤/٨) .

(٤) أخرجه البيهقي في « الكبرى » (٢١١/٢) ، وعبد الرزاق (٤٩٦٨) عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

أَحِبُّ بَنِي الْعَوَامِ طَرّاً لِأَجْلِهَا وَمَنْ أَجْلَهَا أَحَبَّتْ أَسْوَالَهَا كَلْباً
فَإِنْ تُسَلِّمِي نُسَلِّمُ وَإِنْ تُتَنَصَّرِي يَخْطُ رِجَالٌ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ ضُلْباً^(١)
ولذلك قيل : (المرء على دين زوجته) لما يستنزله الميل إليها من المتابعة ،
ويجتذبه الحب لها من الموافقة ، فلا يجد إلى المخالفة سبيلاً ، ولا إلى المباينة
والمُشاقَّة طريقاً .

وإذا كانت المصاهرة والنكاح بهذه المنزلة من الألفة . . فقد يتغى بعقدها
أحد خمسة أوجه ؛ وهي : المال ، والجمال ، والدِّين ، والألفة ، والتعفُّف .
وقد روى سعيد بن أبي سعيد ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن
النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا ، وَلِجَمَالِهَا ،
وَلِحَسَبِهَا ، وَلِدِينِهَا ؛ فَأَظْفَرُ بِذَاتِ الدِّينِ ، تَرِبَتْ يَدَاكَ »^(٢) .

- فإن كان عقد النكاح لأجل المال ، وكان أقوى الدواعي إليه . . فالمال إذا هو
المنكوح ؛ فإن اقترن بذلك أحد الأسباب الباعثة على الائتلاف . . جاز أن يثبت
العقد ، وتدوم الألفة .

وإن تجرَّد عن غيره من الأسباب ، وعري عما سواه من المواد . . فأخلق
بالعقد أن ينحل ، وبالألفة أن تزول ، لا سيَّما إذا غلب الطمع ، وقلَّ الوفاء ؛ لأن
المال إن وُصل إليه . . فقد تقضَّى سبب الألفة به ؛ وقد قيل : (مَنْ وَدَّكَ لِأَمْرٍ . .
وَلَّى مَعَ انْقِضَائِهِ)^(٣) .

(١) أوردته ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٢٩/٦٩ - ١٣٠) ، والميرد في « الكامل » (٤٥٠/١) ،
وضلْباً : جمع : صليب ، والخطاب إلى غير معين ، فالتفاتة إلى رملة ليست لخصوصية ذاتها ، بل باعتبار
جنس النساء بقريته (رجال) ، ونكتة الالتفات إلى الغيبة في قوله : (يخط رجال) والتوجيه إلى غير معين :
تنزيه نفسه وإياها عن التنصُّر ، والتصريح بالبراءة عنه وإن كان مستتبعات التراكيب غير ملتفت إليها ؛
فالمعنى : وإن تنصَّرتنَّ أيتها النساء . . يتبعن رجال كثير يعلنون النصرانية بخط الصليب بين أعينهم ،
فاتقوا الله ولا تسببن بتنصرهم . انظر « منهاج اليقين » (ص ٢٧٣) .

(٢) رواه البخاري (٥٠٩٠) ، ومسلم (١٤٦٦) .

(٣) أوردته في « التذكرة الحمدونية » (٢٧٥/١) من قول الحسن بن محمد الجواد .

وإن أعوز الوصول إليه ، وتعذّرت القدرة عليه . . أعقب ذلك استهانة الآيس بعد شدة الأمل ، فحدثت منه عداوة الخائب بعد استحكام الطمع ، فصارت الوصلة فرقة ، والألفة عداوة ، وقد قيل : (مَنْ وَدَّكَ طَمَعاً فَيْكَ . . أَبْغَضَكَ إِذَا أَيْسَ مِنْكَ) .

وقال عبد الحميد : (مَنْ أَعْظَمَكَ لَاسْتِقْلَالِكَ . . اسْتَقْلَكَ عِنْدَ إِقْلَالِكَ) .

- وإن كان العقد رغبة في الجمال . . فذلك أدوم للألفة من المال ؛ لأن الجمال صفة لازمة ، والمال صفة زائلة ؛ ولذلك قيل : (حُسْنُ الصُّورَةِ أَوَّلُ السَّعَادَةِ)^(١) .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَعْظَمُ النَّسَاءِ بَرَكَةً : أَحْسَنُهُنَّ وَجْهًا ، وَأَقْلَهُنَّ مَهْرًا »^(٢) .

فإن سلمت الحال من الإدلال المُفضي إلى الملل . . استدامت الألفة ، واستحكمت الوصلة .

وقد كانوا يكرهون الجمال البارع ؛ إمّا لما يحدث عنه من شدة الإدلال ، وقد قيل : (مَنْ بَسَطَهُ الْإِدْلَالُ . . قَبَضَهُ الْإِذْلَالُ)^(٣) .

وإمّا لما يُخاف عليه من مَحْنِ الرغبة ، وبلوى المنازعة ؛ وقد حُكي : أن رجلاً شاور حكيماً في التزويج ، فقال : (افعل ، وإيّاك والجمال البارع ؛ فإنه مرعى أنيقٌ !!) .

قال الرجل : وكيف ذلك ؟ قال : كما قال الأول :

ولن تُصَادِفَ مَرَعَى مُمَرِّعاً أَبَداً إِلَّا وَجَدْتَ بِهِ آثَارَ مُنْتَجِعٍ^(٤)

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٩٦) .

(٢) رواه الشهاب القضاعي في « مسنده » (١١٤٦) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٣) أورده المناوي في « فيض القدير » (٥٠ / ١) .

(٤) أورده في « عيون الأخبار » (٩ / ٤) ، و « محاضرات الأدباء » (٣٩٧ / ٣) ، ومرعى أنيق : حسن مُعْجِب ، والانتجاع : طلب الكلأ ، ويقال : انتجعت فلاناً ؛ أي : طلبت معرفته ، والحكيم قصد هذا =

وإِذَا لما يخافه اللبيب من شدة الصَّبوة ، ويتوقاه الحازم من عواقب الفتنة ؛ فقد قال بعض الحكماء : (إِيَّاكَ ومخالطة النساء ؛ فَإِنَّ لَحْظَ المرأة سَهْمٌ ، ولفظها سَمٌ) .

ورأى بعض الحكماء صياداً يكلِّم امرأة ، فقال : (يا صيَّاد ؛ احذر أن تُصاد)^(١) .

وقال سليمان بن داود عليهما السلام لابنه : (امشِ وراء الأسد ، ولا تمشِ وراء المرأة)^(٢) .

وسمع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه امرأة تقول : [من البسيط]

إِنَّ النِّسَاءَ رِيَّاحِينَ خُلِقْنَ لَكُمْ وكلُّكُمْ يشتَهي شَمَّ الرِّيحِائِينَ

فقال عمر رضي الله تعالى عنه : [من البسيط]

إِنَّ النِّسَاءَ شَيَاطِينَ خُلِقْنَ لَنَا نعوذُ بالله من شرِّ الشَّيَاطِينِ^(٣)

- وإن كان العقد رغبةً في الدِّين . . فهو أوثقُ العقود حالاً ، وأدومُها ألفة ، وأحمدُها بدءاً وعاقبة ؛ لأن طالب الدِّين متبعٌ له ، ومَن اتبع الدِّين . . انقاد له ، فاستقامت حاله ، وانتظم أمره ، وأمن زلله ؛ ولذلك قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ ، تَرِبَتْ يَدَاكَ »^(٤) ؛ وفيه تأويلان :

أحدهما : تربت يداك إن لم تظفر بذات الدِّين .

= المعنى وإن كان السَّوق ظاهراً في المعنى الأول ، والبيت نسبة الجاحظ في « رسائله » (٣٤٤ / ١) للأحنف بن قيس ، وفي (أ) : (آثار مأكول) .

(١) أورده في « الإعجاز والإيجاز » (ص ١٥٥) من قول لقمان الحكيم .

(٢) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٢١٩) .

(٣) أورده المناوي في « فيض القدير » (١٧٧ / ٢) ، والبيت الأول أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص

٢١٨) ، ولعلها عرَّضت بشمها وهو محرم ؛ فلذلك استعاذ بالله من شرها .

(٤) رواه البخاري (٥٠٩٠) ، ومسلم (١٤٦٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

والثاني : أَنَّهَا كَلِمَةٌ تُذَكَّرُ لِلْمُبَالِغَةِ ، وَلَا يَرَادُ بِهَا سُوءٌ ؛ كَقَوْلِهِمْ :
مَا أَشْجَعَهُ ، قَاتَلَهُ اللَّهُ !!

وقيل : التَّأْوِيلَانِ أَحَدُهُمَا يَقْتَضِي : اسْتَغْنَيْتَ ، وَالثَّانِي : افْتَقَرْتَ .

- وَإِنْ كَانَ الْعَقْدُ رَغْبَةً فِي الْأَلْفَةِ . . فِهَذَا قَدْ يَكُونُ عَلَى أَحَدِ وَجْهَيْنِ :
إِمَّا أَنْ يَقْصِدَ بِهِ الْمَكَائِرَةَ بِاجْتِمَاعِ الْفَرِيقَيْنِ ، وَالْمُضَافَةِ بِتَنَاصُرِ الْفَتْنَيْنِ .
وَأَمَّا أَنْ يَقْصِدَ بِهِ تَأْلُفَ أَعْدَاءِ مُتَسَلِّطِينَ ؛ اسْتِكْفَافاً لِعَادِيَتِهِمْ ، وَتَسْكِيناً
لِصَوْلَتِهِمْ .

وهذان الوجهان قد يكونان في الأماثل ، وأهل المنازل ، وداعي الوجه
الأول : هو الرغبة ، وداعي الوجه الثاني : هو الرهبة ؛ وهما سببان في غير
المتناكحين .

فإن استدام السبب . . دامت الألفة ، وإن زال السبب بزوال الرغبة والرهبة . .
خِيفَ زَوَالُ الْأَلْفَةِ ، إِلَّا أَنْ يَنْضَمَّ إِلَيْهَا أَحَدُ الْأَسْبَابِ الْبَاعِثَةِ عَلَيْهَا ، وَالْمَقْتَرَنَةُ
بِهَا^(١) .

- وَإِنْ كَانَ الْعَقْدُ رَغْبَةً فِي التَّعَفُّفِ . . فَهُوَ الْوَجْهُ الْحَقِيقِيُّ الْمُبْتَغَى بِعَقْدِ
النِّكَاحِ ، وَمَا سِوَاهُ . . فَأَسْبَابٌ مُتَعَلِّقَةٌ عَلَيْهِ ، أَوْ مُضَافَةٌ إِلَيْهِ .

روي أنه لما نزل قوله تعالى : ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُورًا كَمَا الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ
مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ . . قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « خُلِقَ الرَّجُلُ مِنَ التُّرَابِ ، فَهَمُّهُ
فِي التُّرَابِ ، وَخُلِقَتِ الْمَرْأَةُ مِنَ الرَّجُلِ ، فَهَمُّهَا فِي الرَّجُلِ »^(٢) .

(١) فِي (ب ، د) : (وَالْمَقْوِيَّةُ لَهَا) .

(٢) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي «تَفْسِيرِهِ» (٤٧١٨) ، وَابْنُ بَيْهَقٍ فِي «شُعَبِ الْإِيمَانِ» (٧٤١١) عَنْ سَيِّدِنَا
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَوْقُوفاً ، فَهَمُّهُ فِي التُّرَابِ : بِالزَّرْعَةِ فِيهَا ، وَالْبِنَاءُ عَلَيْهَا ، وَالسَّيْرُ فِي
مَنَاكِبِهَا .

وروى عطية بن بسر ، عن عكاف بن وداعة الهلالي أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : « يا عكاف ؛ ألك زوجة ؟ » قال : لا ، قال : « فأنت إذا من إخوان الشياطين ؛ إن كنت من رُهبان النصارى . . فالحق بهم ، وإن كنت منّا . . فإن من سُنَّتِنَا النِّكَاحُ »^(١) ، فكان هذا القول منه حثاً على التعقُّف عن الفساد ، وباعثاً على طلب المكارثة بالأولاد .

ولهذا المعنى كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول للقفال من غزوهم : « إذا أفضيتُم إلى نسائِكُم . . فالكَيْسَ الكَيْسَ »^(٢) يعني : في طلب الولد .

فلزم حينئذٍ في عقد التعقُّف : تحكيم الاختيار فيه ، والتماسُ الأدوم من دواعيه ، وهي نوعان : نوعٌ يمكن حصر شروطه ، ونوعٌ لا يمكن ؛ لاختلاف أسبابه ، وتغاير شروطه .

فأمّا الشروطُ المحصورة فيه : فثلاثة شروط :

أحدها : الدِّينُ المُفضي إلى الستر والعفاف ، المؤدِّي إلى القناعة والكفاف ، قال أبو هريرة رضي الله عنه : « لا يفرِّك مؤمنٌ مؤمنةً ؛ إن كرهَ منها خُلُقاً . . رضي خُلُقاً »^(٣) .

وخطب رجلٌ من عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يتيمةً كانت عنده ، فقال : (لا أرضاها لك) قال : ولمَ وفي دارك نشأتُ ؟! قال : (إنَّها تتشرَّفُ) قال : لا أبالي ، قال : (الآنَ لا أرضاك لها)^(٤) .

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٥٠٩٤) ، وأبو يعلى في « مسنده » (٦٨٥٦) .

(٢) رواه البخاري (٢٠٩٧) ، ومسلم (٧١٥) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٣) رواه مسلم (١٤٦٩) مرفوعاً ، ولا يفرِّك : لا يُبْخِضُ .

(٤) أورده في « عيون الأخبار » (١٦/٤) ، وتتشرَّفُ : تتطلَّع وتنتظر ، ولا أرضاك لها : كأنه تفرس فيه أن نكاحه نكاحُ غلْمةٍ فردَّةٍ .

وفي معنى هذا قول بعض الحكماء : (مَنْ رَضِيَ بِصُحْبَةِ مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ . . لم يَرْضَ بِصُحْبَتِهِ مَنْ فِيهِ خَيْرٌ)^(١) .

والشرط الثاني : العقل الباعث على حسن التقدير ، الأمر بصواب التدبير ؛ فقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الْعَقْلُ حَيْثُ كَانَ الْوَفُ مَأْلُوفٌ »^(٢) .

ورُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عَلَيْكُمْ بِالْوُدُودِ الْوَلُودِ ، وَلَا تَنْكِحُوا الْحَمَقَاءَ ؛ فَإِنَّ صُحْبَتَهَا بَلَاءٌ ، وَلِلَّهِ ضِيَاعٌ »^(٣) .

والشرط الثالث : الأكفاء الذين ينتفي بهم العار ، ويحصل بهم الاستكثار ؛ فقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تَخَيَّرُوا لِنُطْفِكُمْ ، وَلَا تَضَعُوهَا إِلَّا فِي الْأَكْفَاءِ »^(٤) .

وقال أكنم بن صيفي لولده : (يَا بَنِي ؛ لَا يَحْمِلَنَّكُمْ جَمَالُ النِّسَاءِ عَنْ صِرَاحَةِ النِّسَبِ ؛ فَإِنَّ الْمَنَاحِكَ اللَّئِيمَةَ مَدْرَجَةٌ لِلشَّرَفِ ، وَالكَرِيمَةَ مَدْرَجَةٌ لِلشَّرَفِ)^(٥) .

وقال أبو الأسود الدؤلي لبنيه : (قَدْ أَحْسَنْتُ إِلَيْكُمْ صِغَاراً ، وَكِبَاراً ، وَقَبْلَ أَنْ تُوَلَّدُوا ، قَالُوا : وَكَيْفَ أَحْسَنْتَ إِلَيْنَا قَبْلَ أَنْ نُوَلَّدَ ؟ ! قَالَ : اخْتَرْتُ لَكُمْ مِنَ الْأَمْهَاتِ مَنْ لَا تُشْنَوْنَ بِهَا)^(٦) .

وأنشد الرِّياشيُّ :

[من الطويل]

فأولُّ إحساني إليكم تخييري
لما جِدَ الأعراقِ بادٍ عَفَافُها

(١) أوردته الآبيُّ في « نثر الدرر » (٢٣٠ / ٤) ، و« ربيع الأبرار » (٤٥٥ / ١) .

(٢) رواه ابن عساكر بنحوه في « تاريخ دمشق » (٤٠٤ / ٨) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

(٣) رواه أبو داود (٢٠٥٠) عن سيدنا معقل بن يسار رضي الله عنه ، وأورده الديلمي في « الفردوس » (٧٣٣٣) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٤) رواه الحاكم في « المستدرک » (١٦٣ / ٢) ، وابن ماجه (١٩٦٨) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٥) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٦) ، و« المعمرون والوصايا » (ص ١٥) .

(٦) أوردته في « بهجة المجالس » (٣٢ / ٢) ، و« ربيع الأبرار » (٣٠٦ / ٥) .

وقد ينضمُّ إلى هذه الشروط من صفات الذات وأحوال النفس ما يلزم التحرُّز منه ؛ لبُعد الخير عنه ، وقلة الرشد فيه ؛ فإنَّ كوامن الأخلاق بادية في الصور والأشكال ؛ كالذي روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لزيد بن حارثة : « أتزوَّجتَ يا زيدُ ؟ » قال : لا ، قال : « تزوَّجٌ .. تستعِفُّ مع عِفَّتِكَ ، ولا تزوَّجُ من النساءِ خمساً » قال : وما هنَّ يا رسولَ الله ؟

قال : « لا تزوَّجُ شَهْبَرَةً ، ولا لَهْبَرَةً ، ولا نَهْبَرَةً ، ولا هَنْدَرَةً ، ولا لَفُوتاً » .
قال : يا رسولَ الله ؛ ما أعرفُ ممَّا قلتَ شيئاً !!
قال : « أَمَّا الشَّهْبَرَةُ : فالزرقاء البَذِيَّةُ ، وأَمَّا اللَّهْبَرَةُ : فالطويلة المهزولة ، وأَمَّا النَّهْبَرَةُ : فالعجوز المُدْبِرَةُ ، وأَمَّا الهَنْدَرَةُ : فالقصيرة الذميمة ، وأَمَّا اللَّفُوتُ : فذاتُ الولد من غيرك »^(١) .

وقال شيخٌ من بني سُلَيْم لابنه : (يا بني ؛ إِيَّاكَ وَالرَّقُوبَ الغَضُوبَ القَطُوبَ) . الرَّقُوبُ : التي تراقبه أن يموت فتأخذ ماله^(٢) .

وأوصى بعض الأعراب ابناً له في التزويج ، فقال : (إِيَّاكَ وَالْحَنَانَةَ وَالْمَنَانَةَ وَالْأَنَانَةَ ؛ فَالْحَنَانَةُ : التي تحنُّ إلى زوج كان لها ، وَالْمَنَانَةُ : التي تملُّ على زوجها بمالها ، وَالْأَنَانَةُ : التي تتنُّ كسلاً وتمازضاً)^(٣) .

وقال أوفى بن دَلْهَم : (النساءُ أربع : فمنهنَّ مَعْمَعٌ ، لها شيءُها أجمع ، ومنهنَّ تَبَعٌ ، ترى ولا تتفع ، ومنهنَّ صَدَعٌ ، تفرَّق ولا تجمع ، ومنهنَّ غَيْثٌ وقع ، ببلدٍ فأمرع)^(٤) .

وقال الشاعر^(٥) :

أرئى صاحبَ النِّسوانِ يحسبُ أنَّها سواءٌ وبَوْنٌ بينهما بَعِيدٌ

(١) أورده الديلمي في « الفردوس » (٨٥٦١) .

(٢) أورده في « مجالس ثعلب » (٢١٤ / ١) .

(٣) أورده في « مجالس ثعلب » (٢١٤ / ١) ، والجاحظ في « المحاسن والأضداد » (ص ١٤٧) .

(٤) أورده القالي في « ذيل الأمالي » (١٢٦ / ٣) ، والمبرد في « الكامل » (١٤٤٢ / ٣) ، و« عيون الأخبار » (٣ / ٤) .

(٥) رواه في « الطيوريات » (١٢٢٦) لابن شبرمة .

فمنهنَّ جنَّاتٌ تَقِيءُ ظِلَّالُهَا

ومنهنَّ نيرانٌ لهنَّ وَقُودٌ

وأُشدُّ أبو العِيَاء عن أبي زيد^(١) :

[من البسيط]

إِنَّ النِّسَاءَ كَأَشْجَارٍ نَبْتَنَ مَعَا

منهنَّ مُرٌّ وبعضُ المُرِّ مأكولٌ

إِنَّ النِّسَاءَ وَلَوْ صُوِّرْنَ مِنْ ذَهَبٍ

فيهنَّ مِنْ هَفَوَاتِ الْجَهْلِ تَخِيلُ

إِنَّ النِّسَاءَ مَتَى يُنْهَيْنَ عَنْ خُلُقٍ

فإنَّه واجبٌ لا بدَّ مفعولٌ

وما وَعَدْنَكَ مِنْ شَرٍّ وَفَيْنَ بِهِ

وما وَعَدْنَكَ مِنْ خَيْرٍ فَمَمْطُولٌ

وأما النوع الآخر . فهو ما لا يمكن حصرُ شروطه ؛ لأنه قد يختلف باختلاف الأحوال ، وينتقل بتنقل الإنسان والأزمان ، فإنه لا يُستغنى فيه عن موافقة النفس ومتابعة الشهوة ؛ ليكون أდومَ لحال الألفة ، وأمدَّ لأسباب الوُصلة ؛ فإنَّ الرأي المعلوم لا يبقى على حاله ، والميل المدخول لا يدوم على دخله ، ولا بدَّ أن ينتقل إلى إحدى حالتين ؛ إمَّا إلى الزيادة والكمال ، وإمَّا إلى النقصان والزوال .

حُكي : أن رجلاً قال لعلِّي بن أبي طالب عليه السلام : إنِّي أحبُّك وأحبُّ معاوية ، فقال عليّ عليه السلام : (أما الآن . فأنت أعورُ ؛ فإمَّا أن تبرأ ، وإمَّا أن تعمى)^(٢) .

وإذا كان كذلك . فلا بدَّ من كشف السبب الباعث على هذا النوع ؛ فإنه لا يخلو من ثلاثة أحوال :

أحدها : أن يكون لطلب الولد ، فالأحمدُ فيه : التماسُ الحداثة والبكارة ؛ لأنها أخصُّ بالولادة ، وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عليكم

(١) أورد الأبيات الثلاثة الأولى في « الأغاني » (٦٠٤٢ / ١٧) لمالك بن عمرو الخزرجي ، والبيتان الأول والثالث في « ديوان طفيل الغنوي » (ص ٨٢) ، وما عدا البيت الثاني في « ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات » (ص ١٦٤) .

(٢) فأنت أعور : كالأعور في رؤيتك الإمامة - التي لا تكون إلا واحدة - متعددة ، وأراد بالأعور الأحول ؛ لأن تلك الرؤية من لوازم الحول الجعلي .

بالأبكار ؛ فَإِنَّهِنَّ أَعَذَّبَ أَفْوَهاً ، وَأَنْتَقَى أَرْحاماً ، وَأَرْضَى بِالْيَسِيرِ ^(١) ، ومعنى قوله : (أَنْتَقَى أَرْحاماً) أي : أكثرُ أولاداً .

وقال معاذ بن جبل : (عليكم بالأبكار ؛ فَإِنَّهِنَّ أَكْثَرُ حَبّاً ، وَأَقْلُ خَبّاً) ^(٢) .

وهذه الحال هي أولى الأحوال الثلاث ؛ لأنَّ النكاح موضوع لها ، والشرع واردٌ بها ، وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « سوداءٌ وَلَوْ دُ خَيْرٌ من حسناء عاقِرٍ » ^(٣) .

والعرب تقول : (مَنْ لَمْ يَلِدْ . فَلَا وَلَدٌ !!) ^(٤) .

وقد كانوا يختارون لمثل هذه الحال نكاح البُعْداء الأجانب ، وَيَرَوْنَ ذلك أنجبَ للولد ، وأبهيَ لخلقه ، ويجتنبون نكاح الأهل والأقارب ، ويرونه مُضوياً لخلق الولد ، بعيداً من نجابته ، وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اغْتَرِبُوا . . لَا تُضَوُّوا » ^(٥) .

وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال : (يا بني السائب ؛ قد أضويتم ، فانكحوا في الغرائب) ^(٦) .

(١) رواه ابن ماجه (١٨٦١) ، والبيهقي في « الكبرى » (٨١/٧) عن سيدنا عويم بن ساعدة رضي الله عنه ، وأعذب أفوهاً : أحلى كلاماً ؛ لعدم تعودهن فحش الكلام بمخالطة الرجال ، أو أطيب ريقاً .
(٢) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٧٩٩١) من قول سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، والطبراني في « الأوسط » (٧٦٧٣) عن سيدنا جابر رضي الله عنه ، وأقل خباً : خداعاً ومكرراً ، على أنه لم يدنسها لامس ، ولا استغشاها لابس ، ولها الوجه الحي ، والطرف الخفي ، واللسان العبي ، والقلب النقي .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٤١٦/١٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٠/١٤) عن سيدنا معاوية بن حيدة رضي الله عنه .

(٤) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٢٢١) ، وزاد فيه : (ومن لم يشتر . . فلا عبد) .

(٥) أوردته الحربي في « غريب الحديث » (٣٧٩/٢) ، و« عيون الأخبار » (٦٧/٢) من كلام العرب ، ولا تُضَوُّوا : لا تأتوا بأولاد مهزليل ضاوين . ونقل في « منهاج اليقين » (ص ٢٨٤) عن القسطلاني قوله : (وتوقف السبكي في هذا الحكم ؛ لعدم صحة الحديث الدال عليه ؛ فقد قال ابن الصلاح : لم أجد له أصلاً معتمداً . قال السبكي : فلا ينبغي إثباته لعدم الدليل . وقال الحافظ زين الدين العراقي : والحديث المذكور إنما يعرف من قول عمر) رضي الله عنه وأرضاه .

(٦) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٤٣٧) ، و« عيون الأخبار » (٦٦/٢) .

وقال الشاعر :

[من الطويل]

تجاوزت بنت العمّ وهي حبيبة مخافة أن تُضوي عليّ سليلي
وكان حكماء المتقدمين يرون أن أنجب الأولاد خلقاً وخلقاً : مَنْ كانت سُرُّ
أمّه ما بين العشرين والثلاثين ، وسُرُّ أبيه ما بين الثلاثين والخمسين .
والعرب تقول : (إنَّ ولد الغيْرُ لا ينجُبُ ، وإنَّ أنجب النساءِ الفَرُوكُ)^(١)
لأنَّ الرجل يغلبها على الشبه ؛ لزهدها في الرجال .
وقالوا : (إن الرجل إذا أكره المرأة وهي مذعورة ، ثم أذكّرت ..
أنجبت)^(٢) .

والحال الثانية : أن يكون المقصود به القيام بما يتولاه النساء من تدبير
المنازل ؛ فهذا وإن كان مختصاً بمعاناة النساء . . فليست ألزَمَ حالتي الزوجات ؛
لأنه قد يجوز أن يعانيه غيرهنَّ من النساء ، ولذلك قيل : (المرأة ريحانة ،
وليست بقهرمانة)^(٣) .

وليس في هذا القصد تأثيرٌ في دين ، ولا قدحٌ في مروءة ، والأحمدُ في مثل
هذا : التماسُ ذوات الأسنان والحُنْكة ممَّن قد خَبِرت تدبير المنازل ، وعرفت
عادات الرجال ، فإنهنَّ أقومُ بهذه الحال .

والحال الثالثة : أن يكون المقصود به الاستمتاع ، وهذه أذمُّ الأحوال
الثلاثة ، وأوهنها للمروءة ؛ لأنَّه ينقاد فيه لأخلاقه البهيمة ، ويتابع شهواته
الذميمة ، وقد قال الحارث بن النضر الأزدي : (شرُّ النكاح نكاحُ العُلْمة) .

(١) الغيْرُ : الشرهة الراغبة ، والفَرُوك : العفيفة الزاهدة .

(٢) أورده في « عيون الأخبار » (٦٥/٢) ، و« شرح ديوان الحماسة » (٨٧/١) ، وأذكرت : بالبناء
للمفعول ؛ يعني : جُمِعت ، وأنجبت : لأن شهوتها لا تزيد على شهوته حيثنَّ ، وأيضاً يسكن غضبها بميل
الزوج إليها وتطبيب قلبها فتعلق به وهي كاظمة لغيظها ، وحالة الكظم تحرك القوى العقلية ، والغضب مع
الكظم والتيقظ مادة النجابة ، وأيضاً الغضب يزيد حسن الجميلة ؛ وذلك يورث شدة حب زوجها .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٢١٥) ، و« عيون الأخبار » (١٧٠/١) من قول الحجاج ،
والقهرمان : الخازن والوكيل في الأمور .

إلا أن يفعل ذلك لكسر الشهوة وقهرها بالإضعاف لها عند الغلبة ، أو تسكين النفس عند المنازعة ؛ حتى لا تطمح له عينٌ بريئة ، ولا تنازعه نفسٌ إلى فجور ، ولا يلحقه في ذلك ذمٌ ، ولا يناله وِصْمٌ ، وهو بالحمد أجدرٌ ، وبالثناء أحقُّ .
ولو تنزَّه في مثل هذه الحال عن استبدال الحرائر إلى الإماء . . كان أكملَ لمروءته ، وأبلغ في صيانه .

وهذه الحال تقف على شهوات النفوس ، لا يمكن أن يرجح فيها أولى الأمور ، ثم هي أخطر الأحوال بالمنكوحة ؛ لأنَّ للشهوات غاياتٍ متناهية ، يزول بزوالها ما كان متعلقاً بها ، فتصير الشهوة في الابتداء كراهيةً في الانتهاء ؛ ولذلك كرهت العرب البنات ووأدتهنَّ إشفاقاً عليهنَّ ، وحميةً لهنَّ من أن يبتذلهنَّ اللثام بمثل هذه الحال ، وكان من تحوُّب من قتل البنات ؛ لركة أو محبة . . كان موئهنَّ أحبَّ إليه ، وآثرَ عنده .

خُطِبَ إلى عَقِيل بن عُلْفَةَ ابنته الجَرَبَاء ، فقال :

[من مشطور الرجز]

إِنِّي وَإِنْ سِيقَ إِلَيَّ الْمَهْرُ
أَلْفٌ وَعَبْدَانِ وَذَوْدُ عَشْرُ
أَحَبُّ أَصْهَارِي إِلَيَّ الْقَبْرِ^(١)

وقال عبيد الله بن عبد الله بن طاهر^(٢) :

[من الطويل]

لكلِّ أَبِي بِنْتٍ يُرَاعِي شُؤْنَهَا ثَلَاثَةُ أَصْهَارٍ إِذَا حُمِدَ الصَّهْرُ
فَبَعْلٌ يُرَاعِيهَا وَخِذْرٌ يَكْنُهَا وَقَبْرٌ يُوَارِيهَا وَخَيْرُهُمُ الْقَبْرُ

(١) أورده في « زهر الآداب » (٤٨٤/١) ، و« بهجة المجالس » (٧٦٨/١) ، والجرباء : زوج يزيد بن عبد الملك ، سُمِّيَتْ جرباء ؛ لأن النساء ينفرن عنها لتقيحها بمحاسنها محاسنهنَّ ، وكان أبوها شديد الغيرة .

(٢) أورده في « ديوان المعاني » (٢٥١/٢) ، و« زهر الآداب » (٤٨٤/١) .

فَصْلٌ

وأما المؤاخاة بالمودة وهي الرابع من أسباب الألفة . . فلأنها تكسب بصادق الميل إخلاصاً ومصافاة ، وتحدث بخُلوص المصافاة وفاءً وافيةً ، ومحاماة صافية ، وهذا أعلى مراتب الألفة وعمدتها ؛ لأنَّ أصلَ الألفة الصفاء ، ونتيجتها الوفاء ؛ ولذلك آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ؛ لتزيد ألفتهم ، ويقوى تضافرهم وتناصرهم .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « عليكم بإخوان الصديق ؛ فإنهم زينة في الرِّخاء ، وعِصمة في البلاء »^(١) .

وروى أبو الزبير ، عن سهل بن سعدٍ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « المرءُ كثيرٌ بأخيه ، ولا خيرَ في صُحبة مَنْ لا يرى لك من الحقِّ مثلَ ما ترى له »^(٢) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (لقاء الإخوان جلاء الأحران)^(٣) .

وقال خالد بن صفوان : (أعجزُ الناس : مَنْ قصَّر في طلب الإخوان ، وأعجزُ منه : مَنْ ضيَّع مَنْ ظفر به منهم)^(٤) .

وقال علي بن أبي طالب لابنه الحسن عليهما السلام : (يا بني ؛ الغريبُ مَنْ ليس له حبيبٌ)^(٥) .

وقال ابن المعتز : (مَنْ اتخذ إخواناً . كانوا له أعواناً)^(٦) .

وقال بعض الأدباء : (أفضلُ الذخائر أخٌ وفِيٌّ) .

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٩٩٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٦٣ / ١٠) عن سيدنا عمر رضي الله عنه موقوفاً .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (٢٤) ، وأبو الشيخ في « جزء أحاديث أبي الزبير عن غير جابر » (٢٣) .

(٣) أورده في « الموشى » (ص ٢٦) .

(٤) أورده في « الموشى » (ص ٢٤) .

(٥) أورده في « ربيع الأبرار » (٤٣٤ / ٤) ، و« شرح نهج البلاغة » (١١٣ / ١٦) .

(٦) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦١) بدون نسبة .

وقال بعض البلغاء : (صديقٌ مساعدٌ عضدٌ وساعد) .

وقال بعض الشعراء^(١) :

هُمُومٌ رَجَالٍ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ وَهَمِّي مِنَ الدُّنْيَا صَدِيقٌ مُسَاعِدٌ
نَكُونُ كُرُوحَ بَيْنِ جَسَمَيْنِ قُسَّمَا فَجَسَمَاهُمَا جَسَمَانِ وَالرُّوحُ وَاحِدٌ
وقيل : (إِنَّمَا سُمِّيَ الصَّدِيقُ صَدِيقًا ؛ لِصِدْقِهِ ، وَالْعَدُوُّ عَدُوًّا ؛ لِعَدْوِهِ
عَلَيْكَ)^(٢) .

وقال ثعلب : (إِنَّمَا سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا ؛ لِأَنَّ مُحِبَّتَهُ تَخْلَلُ الْقَلْبَ ، فَلَا تَدْعُ
فِيهِ خَلَلًا إِلَّا مَلَأْتَهُ) ، وَأُنْشِدَ قَوْلَ بَشَارِ :

قَدْ تَخَلَّلَتْ مَسَلِكَ الرُّوحِ مِنِّي وَبِهِ سُمِّيَ الْخَلِيلُ خَلِيلًا^(٣)

والمؤاخاة في الناس قد تكون على وجهين ؛ أحدهما : أخوة مكتسبة بالاتفاق
الجاري مجرى الاضطرار ، والثاني : أخوة مكتسبة بالقصد والاختيار .
فأما المكتسبة بالاتفاق . . فهي أوكد حالاً ؛ لأنها تنعقد عن أسباب تقود
إليها .

والمكتسبة بالقصد تُعقد لها أسباب تُقاد إليها .

وما كان جارياً بالطبع . . فهو أَلْزَمُ ممّا هو حادث بالقصد ، ونحن نبدأ بالوجه
الأول المكتسب بالاتفاق ، ثم نعقبه بالوجه الثاني المكتسب بالقصد .

أما المكتسب بالاتفاق : فله أسباب يبتدىء منها ، ثم ينتقل في غاية أحواله
المحدودة إلى مراتب سبع ، ربما يستكملهنّ ، وربما وقف على بعضهنّ ، ولكلّ

(١) البيتان لسيدنا علي رضي الله عنه في « ديوانه » (ص ١٠٢) .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٤) ، و « زهر الآداب » (٨٣٣ / ٢) من قول ابن المعتز .

(٣) أورده القرطبي في « تفسيره » (٤٠٠ / ٥) ، والبيت في « ديوان بشار » (١٦١ / ٤) ، وفي « ديوان
البحري » (١٩١٢ / ٣) .

مرتبة من ذلك حكمٌ خاص ، وسببٌ موجب ؛ كما قال الشاعر^(١) : [من المديد]

مَا هَوَى إِلَّا لَهُ سَبَبٌ يَتَدِي مِنْهُ وَيَنْشَعِبُ

فأول أسباب الإخاء : التجانس في حالٍ يجتمعان فيها ، ويأتلفان بها ؛ فإن قوي التجانس .. قوي الائتلاف به ، وإن ضعف .. كان ضعيفاً به ، ما لم تحدث علةٌ أخرى يقوى بها الائتلاف .

وإنما كان كذلك ؛ لأن الائتلاف بالتشاكل ، والتشاكل بالتجانس ، فإذا عدم التجانس من وجه .. انتفى التشاكل من كل وجه ، ومع انتفاء التشاكل يعدم الائتلاف ، فثبت أن التجانس - وإن تنوع - أصلٌ للإخاء ، وقاعدةٌ للائتلاف .

وقد روى يحيى بن سعيد ، عن عَمْرَةَ ، عن عائشة رضي الله عنها ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الأرواحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ ؛ فما تعارفَ منها .. ائْتَلَفَ ، وما تناكرَ منها .. اختلفَ »^(٢) ، وهذا واضحٌ ، وهي بالتجانس متعارفة ، وبفقدته متناكرة .

وقد قيل في منشور الحكم : (الأضداد لا تتفق ، والأشكال لا تفرق)^(٣) .

وقال بعض الحكماء : (بحسن تشاكل الإخوان يثبت التواصل) .

وقال بعض الشعراء^(٤) : [من الطويل]

فلا تحتقرُ نفسي وأنتَ خليلُها فكلُّ امرئٍ يصبُو إلى مَنْ يُجانسُ

وقال آخر^(٥) : [من الطويل]

فقلتُ أخي قالوا أخٌ من قرابة فقلتُ لهم إنَّ الشُّكُولَ أقاربُ

(١) البيت لأبي نواس في « ديوانه » (ص ٢٣٩) .

(٢) رواه البخاري (٣٣٣٦) .

(٣) ذكره الوطواط في « غرر الخصاص » (ص ٣٤٩) .

(٤) أورد البيت ابن داود الأصبهاني في « الزهرة » (١٦٩ / ١) لبعض أهل زمانه .

(٥) البيتان لأبي تمام في « ديوانه » (٤١ / ٤) ، والشُّكُول : جمع شَكَل ؛ أي : بعضهم يشبه بعضاً .

نسيبي في رأيي وعزمي وهمتي وإن فرقتنا في الأصول المناسب
ثم يحدث التجانس المواصل بين المتجانسين ؛ وهي الرتبة الثانية من رتب
الإخاء ، وسبب المواصل بينهما : وجود الاتفاق منهما ، فصارت المواصل
نتيجة التجانس ، والسبب فيه : وجود الاتفاق ؛ لأنَّ عدم الاتفاق منفّر .

وقد قال الشاعر^(١) :

الناسُ إنْ وافقتَهُمْ عَذُبُوا أَوْ لَا فَإِنَّ جَنَاهُمْ مُرٌّ
كَمْ مِنْ رِيَاضٍ لَا أُنِيسَ بِهَا تُرِكَتْ لِأَنَّ طَرِيقَهَا وَعُرٌّ
ثم تحدث عن المواصل رتبةً ثالثة ؛ وهي المؤانسة ، وسببها : الانبساط .
ثم تحدث عن المؤانسة رتبةً رابعة ؛ وهي المصافاة ، وسببها : خلوص
النية .

ثم تحدث عن المصافاة رتبةً خامسة ؛ وهي المودة ، وسببها : الثقة ، وهذه
الرتبة هي أدنى الكمال في أحوال الإخاء ، وما قبلها أسباب تقود إليها ؛ فإن اقترن
بها المعاضدة . فهي الصداقة .

ثم تحدث عن المودة رتبةً سادسة ؛ وهي المحبة ، وسببها : الاستحسان .
فإن كان سببها الاستحسان لفضائل النفس . . حدثت منه رتبة سابعة ؛ وهي
الإعظام ، وإن كان الاستحسان للصورة والحركات . . حدثت منه رتبة ثامنة ؛
وهي العشق ، وسببه : الطمع^(٢) .

وقد قال المأمون^(٣) :

أَوَّلُ الْعِشْقِ مُزَاحٌ وَوَلَعٌ ثُمَّ يَزْدَادُ إِذَا زَادَ الطَّمَعُ
كُلُّ مَنْ يَهْوَى وَإِنْ غَالَتْ بِهِ رَتَبَةُ الْمَلِكِ لَمَنْ يَهْوَى تَبَعٌ

(١) أورد البيهقي في « ديوان المعاني » (٢٣٩ / ٢) ، وفيه : (كم من رياض لا نظير لها) ، و « نهاية الأرب »

(١٣١ / ٦) ، عذبوا : بضم الذال ؛ أي : صاروا عذبا طيباً ومُستغاً .

(٢) يلاحظ أن الرتبتين الأخيرتين حالتان للرتبة التي تتلو رتبة (المحبة) ، وبذلك تكون الرتب سبعة كما أراد
المؤلف رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

(٣) أورد البيهقي في « مصارع العشاق » (١٦٧ / ٢) ، وفي (أ) : (كل من يهوى وإن غالت به . . .) .

وهذه الرتبة هي آخر الرتب المحدودة ، وليس لما جاوزها رتبة مقدرة ، ولا حال محدود ؛ لأنها قد تقول إلى مازجة النفوس وإن تميّزت ذاتها ، ونفسي إلى مخالطة الأرواح وإن تفرقت أجسادها ، وهذه حال لا يمكن حصر غايتها ، ولا الوقوف عند نهايتها .

وقد قال الكندي : (الصديق إنسان هو أنت إلا أنه غيرك)^(١) .

ومثل هذا القول يُحكى عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه في عمر رضي الله تعالى عنه حين أقطع طلحة بن عبيد الله أرضاً ، وكتب له بها كتاباً ، وأشهد فيه ناساً منهم عمر ، فأتى طلحة بكتابه إلى عمر ليختمه فامتنع عليه ، فرجع طلحة مغضباً إلى أبي بكر رضي الله عنه وقال : (والله ؛ ما أدري أأنت الخليفة أم عمر ؟) ، فقال : (بل عمر ، لكنّه أنا) رضي الله تعالى عنهم^(٢) .

وأما المكتسبة بالقصد : فلا بدّ لها من داع يدعو إليها ، وباعث يبعث عليها ؛ وذلك من وجهين : رغبة ، وفاقه .

- فأما الرغبة : فهو أن يظهر من الإنسان فضائل تبعث على إخائه ، ويتوسّم بجميل يدعو إلى اصطفائه .

وهذه الحال أقوى من التي بعدها ؛ لظهور الصفات المطلوبة من غير تكلفٍ طلبها ، وإنما يخاف عليها من الاغترار بالتصنع لها ؛ فليس كلّ من أظهر الخير كان من أهله ، ولا كلّ من تخلّق بالحسنى كان في طبعه ، والمتكلف للشيء مُنافٍ له إلا أن يدوم عليه مستحسناً له في العقل ، أو متديّناً به في الشرع ، فيصير متطبّعاً به ، لا مطبوعاً عليه ؛ لأنّه قد تقدّم من قول الحكماء : (ليس في الطبع أن يكون ما ليس في الطبع)^(٣) .

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٢) .

(٢) رواه أبو عبيد في « الأموال » (٦٩٩) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٣٧٠٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٩٤/٩) ، وفيها : (ولكنّه أبى) .

(٣) في (هـ) : (ما ليس من المتطبع) .

ثم أقول : من المتعذر أن تكون أخلاق الفاضل كاملةً بالطبع ، وإنَّما الأغلب : أن يكون بعضُ فضائله بالطبع ، وبعضُها بالتطبع الجاري بالعادة مجرى الطبع ، حتى يصير ما تطبع به في العادة أغلب عليه ممَّا كان مطبوعاً عليه إذا خالف العادة ؛ ولذلك قيل : (العادةُ طبعٌ ثانٍ)^(١) .

وقد قال ابن الرومي^(٢) :

واعلم بأنَّ الناسَ مِن طينةٍ يصدّق في الثلبِ لها الثالبُ
لولا علاجُ الناس أخلاقَهُمْ إذا لفاح الحمأُ اللازِبُ

- وأما الفاقة : فهو أن يفتقر الإنسان لوحشة انفراده ومهانة وحدته إلى اصطفاء من يأنس بمؤاخاته ، ويشق بنصرته وموالاته .

وقد قالت الحكماء : (مَنْ لم يرغب في ثلاث .. بُلي بسئ : مَنْ لم يرغب في الإخوان .. بُلي بالعداوة والخذلان ، وَمَنْ لم يرغب في السلامة .. بُلي بالشدائد والامتهان ، وَمَنْ لم يرغب في المعروف .. بُلي بالندامة والخسران)^(٣) .

ولعمري ؛ إِنَّ إخوان الصدق من أنفس الذخائر ، وأفضل العُدَد ؛ لأنَّهم سُهَماءُ النفوس^(٤) ، وأولياء النوائب .

وقد قالت الحكماء : (ربَّ صديق أوْدُ من شقيق) .

وقيل لمعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه : أيُّ الناس أحبُّ إليك ؟ قال : (صديقٌ يحبُّني إلى الناس)^(٥) .

(١) أورده في « جمهرة الأمثال » (٣٩ / ٢) .

(٢) البيتان في « ديوانه » (١٨٦ / ١) .

(٣) أورده قسمه الأول في « غرر الخصائص » (ص ٣٤٨) .

(٤) في (ج ، د) : (شفاء النفوس) ، وسهماء النفوس : أنصباؤها من هذه الدنيا الفانية .

(٥) أورده نحوه في « غرر الخصائص » (ص ٣٤٨) .

وقال ابن المعتز : (القريبُ بعداوته بعيدٌ ، والبعيدُ بمودَّته قريبٌ)^(١) .

وقال الشاعر :

[من الكامل]

لَمَوْدَةٌ مَمَّنْ يَحِبُّكَ مُخْلِصاً خَيْرٌ مِنَ الرَّحِمِ الْقَرِيبِ الْكَاشِحِ

وقال آخر^(٢) :

[من الطويل]

يَخُونُكَ ذُو الْقَرْبَى مِرَاراً وَرَبَّماً وَفِي لَكَ عِنْدَ الْعَهْدِ مَنْ لَا تُنَاسِبُهُ

فإذا عزم على اصطفاء الإخوان . . سبر أحوالهم قبل إخائهم ، وكشف عن أخلاقهم قبل اصطفائهم ؛ لما تقدّم من قول الحكماء : (اسْبُرْ . . تَخْبِرْ) .

ولا تبعثه الوحدة على الإقدام قبل الخبرة ، ولا حسن الظنّ على الاغترار بالتصنّع ؛ فَإِنَّ الْمَلَقَ مَصَائِدُ الْعُقُولِ^(٣) ، والنفاق تدليسُ الفطن ، وهما سجيّة المتصنّع ، وليس فيمن يكون النفاق والمَلَقُ بعضَ سجاياه خَيْرٌ يُرْجَى ، ولا صلاحٌ يؤمل .

ولأجل ذلك قالت الحكماء : (اعرف الرجل من فعله ، لا من كلامه ، واعرف محبته من عينه ، لا من لسانه)^(٤) .

وقال خالد بن صفوان : (إِنَّمَا نَفَقْتُ عِنْدَ إِخْوَانِي ؛ لِأَنِّي لَمْ أَسْتَعْمَلْ مَعَهُمُ النِّفَاقَ ، وَلَا قَصَرْتُ بِهِمْ عَنِ الْإِسْتِحْقَاقِ)^(٥) .

وقال حماد عَجْرَد^(٦) :

[من الكامل]

كَمْ مِنْ أَخٍ لَكَ لَسْتَ تُنْكِرُهُ مَا دُمْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فِي يُسْرِ
مُتَّصِنٌ لَكَ فِي مَوَدَّتِهِ يَلْقَاكَ بِالْتَّرْحِيبِ وَالْبُشْرِ
فَإِذَا عَدَا وَالذَّهْرُ ذُو غَيْرِ دَهْرٌ عَلَيْكَ عَدَا مَعَ الذَّهْرِ

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٥) .

(٢) البيت في « ديوان بشار » (١٦ / ٤) .

(٣) الملق : القول الحسن مع خبت القلب .

(٤) لأن العين رائد القلب ، واللسان ترجمانه ، وفي المثل : (رَبُّ عَيْنٍ أُنْمَ مِنْ لِسَانٍ) .

(٥) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٢) .

(٦) أورد الأبيات في « التذكرة الحمدونية » (٣٧٤ / ٤) ، و « الشعر والشعراء » (٧٨٠ / ٢) .

فأرفض بإجمالٍ مودةَ مَنْ يَقلِّي المَقِلَّ ويعشقُ المُثري
وعليكَ مَنْ حالاهُ واحدةٌ في العُسرِ إمّا كنتَ واليُسْرِ
على أَنَّ الإنسانَ موسومٌ بسِماءَ مَنْ قاربَ ، ومنسوبٌ إليه أفاعيلُ مَنْ
صاحبُ ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « المرءُ معَ مَنْ أحبَّ »^(١) .
وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (الصاحبُ مناسب)^(٢) .
وقال عبد الله بن مسعود : (ما شيءٌ أدلَّ على شيءٍ ، ولا الدخانُ على النارِ
من الصاحبِ على الصاحب)^(٣) .

وقال بعض الحكماء : (اعرف أخاك بأخيه قبلك)^(٤) .
وقال بعض الأدباء : (يُظنُّ بالمرءِ ما يُظنُّ بقرينه)^(٥) .
وقال عدي بن زيد^(٦) :

[من الطويل]

عنِ المرءِ لا تسألُ وسلَّ عنِ قرينهٍ فكلُّ قرينٍ بالمُقارنِ يقتدي
إذا كنتَ في قومٍ فصاحبُ خيارهمُ ولا تصحبِ الأردى فتردى معِ الردي
فلزم من هذا الوجه أيضاً^(٧) : أن يتحرَّزَ من أخلاءِ السوءِ ، ويُجنبَ صحبةَ
أهلِ الريبِ ؛ ليكونَ موفورَ العرضِ ، سليمَ الغيبِ ، فلا يَلامُ بلائمةٍ غيره ، وهذا
قبل التثبُّتِ والارتِباءِ ومداومةِ الاختبارِ والابتلاءِ . . متعذِّراً بل مُعوِّزٍ .
وقد ضربَ ذو الرُّمَّةِ مثلاً بالغاً فيمَن حَسُنَ ظاهرُهُ وخَبُثَ باطنُهُ ،
فقال^(٨) :

[من الطويل]

ألم ترَ أَنَّ الماءَ يخْبُثُ طَعْمُهُ وإنْ كانَ لونُ الماءِ أبيضَ صافياً

(١) رواه البخاري (٦١٦٨) ، ومسلم (٢٦٤٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) أورده في « شرح نهج البلاغة » (١١٧ / ١٦) ، ونسبه في « العقد الفريد » (٧٦ / ٣) لأَكنم بن صيفي .

(٣) أورده في « الصداقة والصديق » (ص ٤٠) ، و « البصائر والذخائر » (١٧٩ / ٧) .

(٤) أورده في « الكشكول » (٤٢١ / ٢) .

(٥) أورده الجاحظ في « رسائله » (١٢٦ / ١) .

(٦) انظر « ديوانه » (ص ١٠٦) ، وفي (أ) : (وأبصرَ قرينه) .

(٧) وهو الهلاك مع الهالكين .

(٨) البيت في « ديوانه » (١٩٢١ / ٣) ، وذو الرمة - بضم الراء وقد تكسر - : هي في الأصل قطعة جبل =

ونظر بعض الحكماء إلى رجل سوء حسن الوجه ، فقال : (أَمَا الْبَيْتُ . .
فَحَسَنٌ ، وَأَمَا السَّاكِنُ . . فَرْدِيءٌ)^(١) .

فأخذ جَحْظَةً هذا المعنى فقال^(٢) :

رَبِّ مَا أَبَيَّنَ التَّبَائِينَ فِيهِ مَنْزِلُ عَامِرٍ وَعَقْلُ خَرَابٍ

وأشدني بعض أهل العلم :

لَا تَرَكْنَنْ إِلَى ذِي مَنْظَرٍ حَسَنِ فَرَبِّ رَائِقَةٍ قَدْ سَاءَ مَخْبَرُهَا
مَا كُلُّ أَصْفَرَ دِينَارٍ تَصَرَّفُهُ صُفْرُ الْعِقَارِبِ أَدَاهَا وَأَنْكَرُهَا

ثم قد تقدّم من كلام الحكماء : (مَنْ لَمْ يَقْدَمْ الْامْتِحَانُ قَبْلَ الثِّقَةِ ، وَالثِّقَةُ قَبْلَ
الْأَنْسِ . . أَثْمَرَتْ مَوَدَّتُهُ نَدْمًا)^(٣) .

وقال بعض البلغاء : (مَصَارِمَةٌ قَبْلَ اخْتِبَارٍ أَفْضَلُ مِنْ مَوَاقِحَةٍ عَلَى اغْتِرَارٍ) .

وقال بعض الأدباء : (لَا تَتَّقُ بِالْصَدِيقِ قَبْلَ الْخَبْرَةِ ، وَلَا تَوَقَّعْ بِالْعَدُوِّ قَبْلَ
الْقُدْرَةِ)^(٤) .

وقال بعض الشعراء^(٥) :

لَا تَحْمَدَنَّ امْرَأً حَتَّى تُجَرِّبَهُ وَلَا تَذُمَّنَّهُ مِنْ غَيْرِ تَجْرِيْبٍ
فَحَمْدُكَ الْمَرْءَ مَا لَمْ تَبْلُهُ خَطَأً وَذَمُّكَ الْمَرْءَ بَعْدَ الْحَمْدِ تَكْذِيبٌ

= بالية ، قيل : علفت له تيممة في صغره فلُقب بذلك ، وقيل : لقبته محبوبته (مي) عندما استسقاها وعلى كتفه
قطعة جبل بالية ، فقالت له : اشرب يا ذا الرمة ، فكان أحب أسمائه إليه ، واسمه : غيلان بن عقبة . انظر
« منهاج اليقين » (ص ٢٩٩) .

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٧٦) ، و « البصائر والذخائر » (٩٤ / ٢) .

(٢) البيت في « ديوانه » (ص ٤٢) .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٤) ، و « التذكرة الحمدونية » (٣٦٣ / ٤) من قول جعفر بن
محمد رحمه الله تعالى .

(٤) أورده في « لباب الآداب » (ص ٦٠) .

(٥) البيتان لأبي الأسود الدؤلي في « ديوانه » (ص ٣٨٧) ، وفي (هـ) : (وَذُمَّهُ بَعْدَ حَمْدٍ شَرُّ تَكْذِيبٍ)
بلا إقواء .

فإذ قد لزم من هذين الوجهين سبرُ الإخوان قبل إخائهم^(١) ، وخبرَةُ أخلاقهم قبل اصطفتائهم . فالخصالُ المعتبرة في إخائهم بعد المجانسة التي هي أصل الاتفاق أربعُ خصال :

فالخصلة الأولى : عقلٌ موفور يهدي إلى مرشد الأمور ؛ فإنَّ الحُمو لا تثبت معه مودة ، ولا تدوم لصاحبه استقامة .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « البذاء لؤمٌ ، وصحبةُ الأحمق سُومٌ »^(٢) .

وقال بعض الحكماء : (عداوةُ العاقل أقلُّ ضرراً من مودةِ الأحمق)^(٣) لأنَّ الأحمق ربّما ضرَّ وهو يقدرُ أنه ينفع ، والعاقل لا يتجاوز الحدَّ في مضرَّته ، فمضرَّته لها حدٌّ يقف به عليه العقل ، ومضرَّةُ الجاهل ليست بذات حدٍّ ، فالمحدود أقلُّ ضرراً من غير المحدود .

وقال المنصور للمسيب بن زهير : (ما مائةُ العقل ؟ فقال : مجالسةُ العقلاء) .

وقال بعض البلغاء : (من الجهل : صحبةُ ذوي الجهل ، ومن المحال : مجادلةُ ذوي المحال)^(٤) .

وقال بعض الأدباء : (مَنْ أشار عليك باصطناع جاهلٍ أو عاجزٍ .. لم يخلُ :

(١) الوجهين ؛ أي : المدح والذم .

(٢) كذا أورده في « محاضرات الأدباء » (٤٤ / ٢) ، وروى أوله ابن أبي الدنيا في « الصمت وآداب اللسان » (٣٢٣) ، والخرائطي في « مساوى الأخلاق » (٦٨) ، وبقائه أورده في « كنز العمال » (٤٤٢١٥) ، و« شرح نهج البلاغة » (٢٧١ / ٢٠) من وصية سيدنا علي رضي الله عنه .

(٣) رواه الخطابي في « العزلة » (ص ٥٧) عن بعض الأعراب ، وأورده في « نهاية الأرب » (٣ / ٣٥٥) من قول سهل بن هارون رحمه الله تعالى .

(٤) أورده في « نهاية الأرب » (١٣٢ / ٦) ، ومن المحال - على وزن كتاب - يجيء لمعانٍ مثل : الكيد ، وتسخير أمر بالحيلة ، والتدبير والقدرة ، والعذاب والعقاب ، ومجادلة ذوي المحال : هو إما بكسر الميم أيضاً ؛ فالمعنى : من الهلاك أو العذاب والعقاب مجادلة أصحاب التدبير والعقل ، أو بفتحها : جمع (محل) أي : مجادلة أرباب المنازل وأصحاب المناصب .

إِذَا أَنْ يَكُونَ صَدِيقًا جَاهِلًا ، أَوْ عَدُوًّا عَاقِلًا ؛ لِأَنَّهُ يَشِيرُ بِمَا يَضُرُّكَ ، وَيَحْتَالُ
فِيمَا يَضَعُ مِنْكَ) .

وقال بعض الشعراء^(١) :

[من الوافر]

إِذَا مَا كُنْتَ مَتَّخِذًا خَلِيلًا فَلَا تَتَّقَنْ بِكُلِّ أَخِي إِخَاءَ
فَإِنْ خُيِّرْتَ بَيْنَهُمْ فَأَلْصِقْ بِأَهْلِ الْعَقْلِ مِنْهُمْ وَالْحَيَاءِ
فَإِنَّ الْعَقْلَ لَيْسَ لَهُ إِذَا مَا تَفَاضَلَتِ الْفَضَائِلُ مِنْ كِفَاءِ

والخصلة الثانية : الدِّينُ الواقفُ بصاحبه على الخيرات ؛ فَإِنْ تَارَكَ الدِّينَ عَدُوًّا
نَفْسِهِ ، فَكَيْفَ يُرْجَى مِنْهُ مَوَدَّةٌ غَيْرُهُ ؟!

وقال بعض الحكماء : (اصْطَفِ مِنَ الْإِخْوَانِ ذَا الدِّينِ وَالْحَسَبِ ، وَالرَّأْيِ
وَالْأَدَبِ ؛ فَإِنَّهُمْ رِذَّةٌ لَكَ عِنْدَ حَاجَتِكَ ، وَيدٌ عِنْدَ نَائِبَتِكَ ، وَأَنْسٌ عِنْدَ وَحْشَتِكَ ،
وَزِينٌ عِنْدَ عَافِيَتِكَ) .

وقال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه^(٢) :

[من الوافر]

أَخِلَاءُ الرَّخَاءِ هُمْ كَثِيرٌ وَلَكِنْ فِي الْبَلَاءِ هُمْ قَلِيلٌ
فَلَا يَغُرُّكَ خُلَّةٌ مِنْ تَوَاحِي فَمَا لَكَ عِنْدَ نَائِبَةِ خَلِيلٍ
وَكُلُّ أَخٍ يَقُولُ أَنَا وَفِيَّ وَلَكِنْ لَيْسَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ
سِوَى خَلٍّ لَهُ حَسَبٌ وَدِينٌ فَذَاكَ لِمَا يَقُولُ هُوَ الْفَعُولُ

وقال آخر :

[من الكامل]

مَنْ لَمْ تَكُنْ فِي اللَّهِ خُلَّةً فَخَلِيلُهُ مِنْهُ عَلَى خَطَرٍ

والخصلة الثالثة : أَنْ يَكُونَ مَحْمُودَ الْأَخْلَاقِ ، مَرْضِيَّ الْأَفْعَالِ ، مُؤَثِّرًا

(١) أورد الأبيات في « البيان والتبيين » (٢٤٤ / ١) ، و « الأغاني » (٦٦٥٣ / ١٩) لأبي عطاء السُّنْدِيِّ .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (٥٠٦ / ١) .

للخير ، آمراً به ، كارهاً للشر ، ناهياً عنه ؛ فإنَّ مودةَ الشرِّير تكسب الأعداء ، وتفسد الأخلاق ، ولا خيرَ في مودةٍ تجلب عداوة ، وتورث مذمةً وملامة ؛ فإنَّ المتبوعَ تابعٌ صاحبه^(١) .

وقال عبد الله بن المعتز : (إخوانُ السوء كشجر النار يُحرق بعضُه بعضاً)^(٢) .

وقال بعض الحكماء : (مخالطةُ الأشرار خطرٌ ، والصبرُ على صحبتهم كركوب البحر ، الذي مَنْ سلم ببدنه من التلَف فيه . . لم يسلم بقلبه من الحذر منه)^(٣) .

وقيل : (صحبةُ الأشرار تورث سوء الظنِّ بالأخيار)^(٤) .

وقال بعض البلغاء : (إنَّ من خير الاختيار صحبةُ الأخيار ، ومن شرِّ الاختيار صحبةُ الأشرار) .

وقال بعض الشعراء وهو سراقَةُ البارقي^(٥) :

[من الوافر]

مُجالسةُ السَّفِيهِ سَفَاهُ رأيٍ ومن عقلٍ مُجالسةُ الحليمِ
فإنَّكَ والقَريْنَ معاً سواءٌ كما قَدْ الأديمُ مِنَ الأديمِ

والخصلة الرابعة : أن يكون من كلِّ واحدٍ منهما ميلٌ إلى صاحبه ، ورغبةٌ في مؤاخاته ؛ فإنَّ ذلك أوكدُّ لحال المؤاخاة ، وأمدُّ لأسباب المصافاة ؛ إذ ليس كلُّ مطلوبٍ إليه طالباً ، ولا كلُّ مرغوبٍ إليه راغباً ، وَمَنْ طلب مودةَ ممتنعٍ عليه ،

(١) في (أ) : (فإن المسبوع سابع صاحبه) ، والمسبوع : من يُرمى بالقول القبيح ، يقال : هو أرقع من مسبوع .

(٢) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٤) ، و« تحسين القبيح » (ص ١٠٤) ، و« التذكرة الحمدونية » (٣٦١/٤) ، وفي (هـ) : (كشجر النارنج) .

(٣) أوردته في « نثر الدرر » (١٩٦/٤) .

(٤) أوردته في « كلیلة ودمنة » (ص ١٣٧) ، و« الإمتاع والمؤانسة » (ص ٣٦٤) .

(٥) البيتان في « ديوانه » (ص ٤٧) .

ورغب إلى زاهدٍ فيه . . كان معنًى خائباً ؛ كما قال البحتري^(١) :

وطلبتُ منكِ مودّةً لم أعطها إنّ المُعنّى طالبٌ لا يظفرُ

وقال العباس بن الأحنف^(٢) :

فإن كان لا يُدنيكَ إلا شفاعَةٌ فلا خيرَ في وُدٍّ يكونُ بشافعٍ
فأقسِمُ ما تَرَكِي عتابَكَ عن قَلِيٍّ ولكنْ لِعلمي أَنَّهُ غيرُ نافعٍ
وأني إذا لم ألزمِ الصَّبْرَ طائعاً فلا بدَّ منه مُكرهاً غيرَ طائعٍ

فإذا استكملت هذه الخصال في إنسانٍ . . وجب إخاؤه ، وتعيّن اصطفاؤه ، وبحسب وفورها فيه يجب أن يكون الميل إليه ، والثقة به ، وبحسب ما يرى من غلبة إحداها عليه يجعله مستعملاً في الخلق الغالب عليه ؛ فإنّ الإخوان على طبقات مختلفة ، وأنحاء متشعبة ، ولكلّ واحدٍ منهم حال يختصُّ بها في المشاركة ، وتُلمة يسدّها في المؤازرة والمظاهرة ، وليس تتفق أحوال جميعهم على حدٍّ واحد ؛ لأنّ التباين في الناس غالب ، واختلافهم في الشيم ظاهر .

وقد قال بعض الحكماء : (الرجال كالشجر ؛ شرابه واحد ، وثمره مختلف) .

وأخذ هذا المعنى منصور بن إسماعيل الفقيه فقال^(٣) :

بَنُو آدَمَ كَالنَّبَاتِ وَبَنَاتُ الْأَرْضِ أَلْوَانُ
فَمِنْهُ شَجَرُ الصَّنَدِ لِوَالْكَافُورِ وَالْبَانُ
وَمِنْهُ شَجَرُ أَفْضَ لِمَا يَحْمِلُ قَطْرَانُ

ومن رام إخواناً تتفق أحوال جميعهم . . فقد رام أمراً متعذراً ؛ بل لو اتفقوا . .

(١) البيت في « ديوانه » (١٠٧٠ / ٢) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٩٧) .

(٣) أورد الأبيات في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٢٧٥) ، والمعنى : الرجال كالنبات ؛ فمنهم : من يتفجع بهم الأحياء كالصندل ، ومنهم : من يتفجع بهم الأموات كالكاפור ، ومنهم : من يتفجع بهم المرضى كالبان ، ومنهم : من نفعه قليل وأذيته أكثر كالقطران .

لكان ربما وقع به خلل في نظامه ؛ إذ ليس الواحد من الإخوان يمكن الاستعانة به في كل حال ، ولا المجبولون على الخلق الواحد يمكن أن يتصرّفوا في جميع الأعمال ، وإنما بالاختلاف يكون الائتلاف .

وقد قال بعض الحكماء : (ليس بلبيب من لم يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بدأ)^(١) .

وقال المأمون : (الإخوان ثلاث طبقات : طبقة كالغذاء لا يُستغنى عنه ، وطبقة كالدواء يُحتاج إليه أحياناً ، وطبقة كالداء لا يُحتاج إليه أبداً)^(٢) .

ولعمري ؛ إن الناس على ما وصفهم لا الإخوان ، وليس من كان منهم كالداء من الإخوان المعدودين ، بل هم من الأعداء المحذورين ، وإنما يُداجون بالمودة استكفافاً لشُرِّهم^(٣) ، وتحزّزاً من مكاشفتهم ، فدخلوا في أعداد الإخوان بالمظاهرة والمساترة ، وفي الأعداء عند المكاشفة والمجاهرة .

وقد قال بعض الحكماء : (مثل العدو الضاحك إليك كالحنظلة الخضرة أوراقها ، القاتل مذاقها)^(٤) .

وقد قيل في حكم الفرس : (لا تغترن بمقاربة العدو ؛ فإنه كالماء ، إن أُطيل إسخائه بالنار . . لم يمنع من إطفائها)^(٥) .

وقال يزيد بن الحكم الثقف^(٦) :

[من الطويل]

تُكاشِرُنِي كُزْهًا كَأَنَّكَ نَاصِحٌ وَعَيْنُكَ تُبْدِي أَنَّ صَدْرَكَ لِي دَوِي
لِسَانُكَ مَعْسُولٌ وَنَفْسُكَ عَلَقَمٌ وَشُرُّكَ مَبْسُوطٌ وَخَيْرُكَ مُلْتَوِي

(١) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٨٨٩) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٧٠٤) ، وابن حبان في « روضة العقلاء » (١٩٧) عن محمد ابن الحنفية رحمه الله تعالى .

(٢) أورده في « عيون الأخبار » (٣/٣) ، و « المحاسن والأضداد » (ص ٤٠) .

(٣) يداجون ؛ أي : يساترون عداوتهم .

(٤) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٣) .

(٥) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٢٦٣) ، وفي « كلية ودمنة » (ص ١٩١) .

(٦) أورده الأبيات القالي في « الأمالي » (٦٨/١) ، و « لباب الآداب » (ص ٣٩٧) ، ودوي صدره : ضَمِين .

فليتَ كَفَافاً كَانَ خَيْرُكَ كُلُّهُ وشُرُّكَ عَنِّي مَا ارْتَوَى الْمَاءَ مُرْتَوِي
 فإذا خَرَجَ مَنْ كَانَ كَالدَّاءِ مِنْ عِدَادِ الْإِخْوَانِ . . فالإِخْوَانُ هُمُ الصَّنْفَانِ
 الْآخِرَانِ ؛ مَنْ كَانَ مِنْهُمُ كَالْغِذَاءِ ، أَوْ كَالدَّوَاءِ ؛ لِأَنَّ الْغِذَاءَ قَوَامُ النَّفْسِ وَحَيَاتِهَا ،
 وَالدَّوَاءُ عِلَاجُهَا وَصِلَاحُهَا ، وَأَفْضَلُهُمَا مَنْ كَانَ كَالْغِذَاءِ ؛ لِأَنَّ الْحَاجَةَ إِلَيْهِ أَعْمُ .
 وَإِذَا تَمَيَّزَ الْإِخْوَانُ . . وَجِبَ أَنْ يُنْزَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ حَيْثُ تَنَزَّلَتْ بِهِ أَحْوَالُهُ
 إِلَيْهِ ، وَاسْتَقَرَّتْ خُصَالُهُ وَخِلَالُهُ عَلَيْهِ ، فَمَنْ قَوِيَتْ أَسْبَابُهُ . . قَوِيَتْ الثِّقَةُ بِهِ ،
 وَبِحَسَبِ الثِّقَةِ بِهِ يَكُونُ الرُّكُونُ إِلَيْهِ ، وَالتَّعْوِيلُ عَلَيْهِ .

قال الشاعر^(١) :

مَا أَنْتَ بِالسَّبَبِ الضَّعِيفِ وَإِنَّمَا نَجَحُ الْأُمُورَ بِقُوَّةِ الْأَسْبَابِ
 فَالْيَوْمَ حَاجَتُنَا إِلَيْكَ وَإِنَّمَا يُدْعَى الطَّبِيبُ لَشِدَّةِ الْأَوْصَابِ

وقد اختلفت مذاهب الناس في اتخاذ الإخوان :
 فمنهم : مَنْ يَرَى أَنَّ الاسْتِكْثَارَ مِنْهُمْ أَوْلَى ؛ لِيَكُونُوا أَقْوَى مُنْعَةً وَبِدَاءً ، وَأَوْفَرَ
 تَحْتَنُّاً وَتَوَدُّدًا ، وَأَكْثَرَ تَعَاوُنًا وَتَفَقُّدًا .

وقيل لبعض الحكماء : (مَا الْعِيشُ ؟ فَقَالَ : إِقْبَالُ الزَّمَانِ ، وَعِزُّ السُّلْطَانِ ،
 وَكَثْرَةُ الْإِخْوَانِ)^(٢) .

وقيل : (حَلِيَّةُ الْمَرْءِ كَثْرَةُ إِخْوَانِهِ) .
 ومنهم : مَنْ يَرَى أَنَّ الْإِقْلَالَ مِنْهُمْ أَوْلَى ؛ لِأَنَّهُ أَخَفُّ أَثْقَالًا وَكُلْفًا ، وَأَقْلُّ
 تَنَازَعًا وَخُلْفًا .

وقد قال الإسكندر : (الْمُسْتَكْثَرُ مِنَ الْإِخْوَانِ مِنْ غَيْرِ اخْتِبَارٍ كَالْمُسْتَوْقِرِ مِنْ

(١) البيتان لعلي بن الحسن الباخري في « ديوانه » (ص ٨٠) ، ونَجَحُ الْأُمُورِ : الظفر بالحاجة ؛ أي :
 مَا أَنْتَ بِسَبَبٍ ضَعِيفٍ بِاعْتِمَادِنَا عَلَيْكَ ، وَوَثُوقِنَا بِكَ ، وَكَيْفَ نَحْسِبُكَ ضَعِيفًا وَالظْفَرَ بِالْأُمُورِ الْعِظَامِ بِالْأَسْبَابِ
 الْقَوِيَّةِ ؟ !

(٢) أورده في « المحاسن والمساوي » (ص ٢٦٩) ، ونحوه في « الصداقة والصديق » (ص ٦٤) عن
 عبد الملك بن صالح .

الحجارة^(١) ، والمقل من الإخوان المتخير لهم كالذي يتخير الجوهر .

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه : (مَنْ كَثُرَ إِخْوَانُهُ . . كَثُرَ غَرَمَاؤُهُ)^(٢) .

وقال إبراهيم بن العباس : (مثلُ الإخوان كالنار ؛ قليلُها متاع ، وكثيرُها بوار)^(٣) .

ولقد أحسن ابن الرومي في هذا المعنى ، ونبه على العلة حيث يقول^(٤) :

عَدُوُّكَ مِنْ صَدِيقِكَ مُسْتَفَادٌ فَلَا تَسْتَكْثِرَنَّ مِنَ الصُّحَابِ
فَإِنَّ الدَّاءَ أَكْثَرَ مَا تَرَاهُ يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ أَوْ الشَّرَابِ
فَدَعْ عَنْكَ الْكَثِيرَ فَكَمْ كَثِيرٍ يُعَافُ وَكَمْ قَلِيلٍ مُسْتَطَابِ
إِذَا انْقَلَبَ الصَّدِيقُ غَدًا عَدُوًّا مُبِينًا وَالْأُمُورُ لَهَا انْقِلَابُ
فَمَا اللَّجَجُ الْمِلَاحُ بِمُرُويَاتٍ وَتَلْقَى الرَّيَّ فِي النُّطْفِ الْعِذَابِ

وقال بعض البلغاء : (ليكن غرضك في اتخاذ الإخوان الأخلاء واصطناع النصحاء تكثير العدة ، لا تكثير العدة ، وتحصيل النفع ، لا تحصيل الجمع ، فواحدٌ يحصل به المراد . . خيرٌ من ألفٍ يكثر الأعداد) .

وإذا كان التجانس والتشاكل من قواعد الأخوة وأسباب المودة . . كان وفور العقل وظهور الفضل يقتضي من حال صاحبه قلة إخوانه ؛ لأنه يروم مثله ، ويطلب شكله ، وأمثاله من ذوي العقل والفضل أقل من أصداده من ذوي الحمق والنقص ؛ لأنَّ الخيار في كل جنس هو الأقل ، فلذلك قلَّ وفور العقل والفضل ؛ وقد قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِي يَنَادُوكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ ،

(١) المستورق : المتخذ حملاً ثقیلاً من الحجارة .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣١) ، و « زهر الآداب » (٥٥ / ١) .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٢) ، و « البصائر والذخائر » (٣٩ / ٩) .

(٤) الأبيات في « ديوانه » (٢٣١ / ١) ؛ وفيه : (والأُمُورُ إِلَى انْقِلَابِ) ، وعليه فلا إقواء .

فقلّ لهذا التعليل إخوانُ أهل الفضل ؛ لقلّتهم ، وكثر إخوان ذوي النقص والجهل ؛ لكثرتهم .

وقال الحكيم : (المرءُ حيث يجعل نفسه ؛ إن صانها . . ارتفعت ، وإن قصر بها . . اتّضعت)^(١) .

وقد قال في ذلك الشاعر^(٢) :

لكلِّ امرئٍ شكْلٌ منَ الناسِ مثلهُ فأكثرهمُ شكْلاً أقلُّهمُ عقْلاً
وكلُّ أناسٍ ألفونَ لشكْلِهِمْ فأكثرهمُ عقْلاً أقلُّهمُ شكْلاً
لأنَّ كثيرَ العقلِ ليسَ بواجدٍ له في طريقِ حينٍ يسلكُهُ مثلاً
وكلُّ سفيهٍ طائشٍ إنْ فقدتهُ وجدتَ له في كلِّ ناحيةٍ عدلاً

وإذا كان الأمرُ على ما وصفنا . . فقد تنقسم أحوال من دخل في عداد الإخوان أربعة أقسام : منهم : من يعين ويستعين ، ومنهم : من لا يعين ولا يستعين ، ومنهم : من يستعين ولا يعين ، ومنهم : من يعين ولا يستعين .

فأما المعين المستعين . . فهو معاوضٌ منصف ؛ يؤدّي ما عليه ، ويستوفي ما له ، فهو كالمقرض ؛ يُسعف عند الحاجة ، ويستردُّ عند الاستغناء ، فهو مشكورٌ في معونته ، ومعدورٌ في استعانته ، وهذه أعدل أحوال الإخوان .

وأما من لا يعين ولا يستعين . . فهو متارك ؛ قد منع خيره ، وقمع شرّه ، فلا هو صديق يُرجى ، ولا عدوٌّ يُخشى .

وقد قال المغيرة بن شعبة : (التاركُ للإخوان متروكٌ)^(٣) .

ومن كان كذلك . . فهو كالصورة الممثّلة ؛ يروعك حسنها ، ويخونك

(١) أوردته في « محاضرات الأدباء » (٦٢٤/١) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، والقول زيادة من (ج) .

(٢) أورد الأبيات في « الزهرة » (٢٩٧/٢) ، والبيتين الأولين في « العزلة » (ص ٤٥) .

(٣) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦١) .

نفعها ، فلا هو مشكور لمنع خيره ، ولا هو مذموم لقمع شره ، وإن كان بالذم أجدر .

وقال الشاعر^(١) :

وأسوأ أيام الفتى يوم لا يرى له أحداً يُزري عليه ويُنكر
غير أن فساد الوقت وتغيّر أهله يوجب شكر من كان شرّه مقطوعاً وإن كان
خيرّه ممنوعاً ؛ كما قال المتنبي^(٢) :

إنّا لفي زمنٍ ترك القبيح به من أكثر الناس إحساناً وإجمالاً

وأما من يستعين ولا يعين.. فهو لئيم كلّ ، ومهين مستذلّ ، قد قطع عنه
الرجبة ، ووسط فيه الرهبة ، فلا خيره يُرجى ، ولا شرّه يؤمن ، وحسبك مهانة
برجلٍ يستقلّ عند إقلاله ، ويستقلّ عند استقلاله ، فليس لمثله في الإخاء حظّ ،
ولا في الوداد نصيب ، وهو ممّن جعله المأمون من داء الإخوان لا من دوائهم ،
ومن شُمّهم لا من غذائهم^(٣) .

وقال بعض الحكماء : (شرّ ما في الكريم : أن يمنعك خيره ، وخير ما في
اللئيم : أن يكفّ عنك شرّه)^(٤) .

وقال ابن الرومي^(٥) :

عَذَرْنَا النَّخْلَ فِي إِبداءِ شوكِ يَرُدُّ به الأناملَ عن جَنَاهُ
فَمَا لِلْعَوْسَجِ الملعونِ أبْدَى لنا شوكاً بلا ثَمَرٍ نَرَاهُ

(١) أورده في « محاضرات الأدباء » (١ / ٥٢٦) لعبد الملك الحارثي .

(٢) البيت في « ديوانه » (٣ / ٢٨٧) .

(٣) أورده في « عيون الأخبار » (٣ / ٣) ، و « المحاسن والأضداد » (ص ٤٠) .

(٤) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٧٤) ، و « ربيع الأبرار » (٤ / ٦٠٩) .

(٥) البيت في « ديوانه » (١ / ١١٣) .

وأما مَنْ يعين ولا يستعين.. فهو كريم الطبع ، مشكور الصنع ، قد حاز فضيلتي الإسداء والاكتفاء ؛ فلا يُرى ثقيلاً في نائبة ، ولا يقعد عن نهضة في معونة ، فهو أشرف الإخوان نفساً ، وأكرمهم طبعاً .

فينبغي لمن أوجده الزمان مثله - وقُلَّ أن يكون له مثلٌ ؛ لأنَّ البرَّ الكريم ، والدُّرَّ اليتيم - أن يثني عليه خنصره ، ويعضَّ عليه ناجذَه ، ويكون به أشدَّ ضناً منه بنفائس أمواله ، وسنِّي ذخائره ؛ لأنَّ نفع الإخوان عامٌ ، ونفع الأموال خاصٌّ ، وما كان أعمَّ نفعاً.. فهو بالأدَّخار أحقُّ .

وقد قال الفرزدق^(١) :

يمضي أخوك فلا تلقى له خلفاً والمالُ بعدَ ذهابِ المالِ يُكتسَبُ

وقال آخر^(٢) :

لكلِّ شيءٍ عِدْمَتُهُ عَوْضٌ وما لفقْدِ الصَّدِيقِ مِنْ عَوْضٍ
ثم لا ينبغي أن يزهد فيه لخلقٍ أو خُلُقَيْن يكرههما منه إذا رضي سائر أخلاقه ،
وحمد أكثر شيمه ؛ فإنَّ اليسير مغفور ، والكمال مُعوَز .

وقد قال الكنديُّ : (كيف تريد من صديقك خلقاً واحداً وهو ذو طبائع أربع ؟)^(٣) .

مع أن نفس الإنسان التي هي أخصُّ النفوس به ، ومدبرة باختياره وإرادته .. لا تعطيه قيادها في كلِّ ما يريد ، ولا تجيب إلى طاعته في كلِّ ما يحبُّ ، فكيف بنفس غيره ؟ وحسبك أن يكون لك من أخيك أكثره .

وقد قال أبو الدرداء : (معاتبَةُ الأخ خيرٌ من فَقْدِهِ ، وَمَنْ لك بأخيك كَلَّة ؟)^(٤) .

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٧٠) ، و « نهاية الأرب » (٣ / ٧٥) .

(٢) أورده في « دمية القصر » (٢ / ٤١٤) .

(٣) أورده في « أخلاق الوزيرين » (ص ٣٩٠) ، و « الصداقة والصديق » (ص ٧١) من قول انكساغورس .
والطبائع الأربع : الحرارة ، والبرودة ، والرطوبة ، واليبوسة .

(٤) رواه أبو داوود في « الزهد » (٤٦٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١ / ٢١٥) .

فأخذ الشعراء هذا المعنى ، فقال أبو العتاهية ^(١) :

[من مجزوء الكامل]

أُخِيَّ مَنْ لَكَ مِنْ بَنِي الدُّ نِيَا بِكُلِّ أَخِيكَ مَنْ لَكَ
فَأَسْتَبِقِ بَعْضَكَ لَا يَمَدَّ لَكَ كُلُّ مَنْ أَعْطَيْتَ كُلَّكَ

وقال أبو تمام الطائي ^(٢) :

[من الرجز]

مَا غِبْنَ الْمَغْبُونُ مِثْلَ عَقْلِهِ مَنْ لَكَ يَوْمًا بِأَخِيكَ كُلِّهِ

وقال بعض الحكماء : (طلب الأنصاف من قلة الإنصاف) ^(٣) .

وقال بعض البلغاء : (لا يزهّدنّك في رجلٍ حمّدت سيرته ، وارتضيت وتيرته ، وعرفت فضله ، وبطنت عقله . . عيبٌ خفيّ يحيط به كثرةُ فضائله ، أو ذنبٌ صغير تستغفرُ له قوّةُ وسائله ؛ فإنّك لن تجد ما بقيت مهذباً لا يكون فيه عيبٌ ، ولا يقع منه ذنبٌ ، فاعتبر بنفسك بعد ألا تراها بعين الرضا ، ولا تجري فيها على حكم الهوى ؛ فإنّ في اعتبارك بها ، وفي اختبارك لها . . ما يؤيسُّك ممّا تطلب ، ويعطفك على من يذنب) .

وقال الشاعر ^(٤) :

[من الطويل]

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ مَعَايِبُهُ

وقال النابغة الذبياني ^(٥) :

[من الطويل]

وَلَسْتُ بِمُسْتَبِقٍ أَخَا لَا تَلُمُّهُ عَلَى شَعَثِ أَيِّ الرِّجَالِ الْمُهْدَبُ

وليس ينقض هذا القول ما وصفنا من اختياره ، واختبار الخصال الأربع فيه ؛ لأنّ ما أعوز معفو عنه .

(١) البيتان في « ديوانه » (ص ٦١٥) .

(٢) البيت في « ديوانه » (٤ / ٥٣٠) .

(٣) طلب الأنصاف : جمع نصف ؛ أي : ما فوق الواحد ؛ إذ لا يكون لشيء إلا نصفان ؛ يعني طلب الكل من الصديق ، من قلة الإنصاف ؛ أي : من عدم العدل . انظر « منهاج اليقين » (ص ٣٠٩) .

(٤) البيت في « ديوان علي بن الجهم » (ص ٧٩) ، ونسبه في « منهاج اليقين » (ص ٣٠٩) إلى يزيد بن محمد الباهلي ، ونقل عن الإمام السيوطي : أنه المهلب ، والله أعلم .

(٥) البيت في « ديوانه » (ص ٧٤) .

وهكذا لا ينبغي أن توحشه فترةٌ يجدها منه ، ولا أن يسيء به الظنُّ في نبوةٍ تكون منه ، ما لم يتحقَّق تغيُّره ، ولم يتيقَّن تنكُّره ، وليصرف ذاك إلى فترات النفوس ، واستراحات الخواطر ؛ فإنَّ الإنسان قد يفتر عن مراعاة نفسه التي هي أخصُّ النفوس به ، ولا يكون ذلك من عداوةٍ لها ، ولا مللٍ منها .
وقد قيل في منشور الحكم : (لا يفسدك الظنُّ على صديقٍ قد أصلحك اليقين له) (١) .

وقال جعفر بن محمد لابنه : (يا بني ؛ مَنْ غضب من إخوانك ثلاث مرات ، فلم يقل فيك سوءاً . فاتخذته لنفسك خلاً) (٢) .
وقال الحسن بن وهب : (من حقوق المودة : أخذُ عفو الإخوان ، والإغضاء عن تقصير إن كان) (٣) .

وقد روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ فَاصْفَحْ الصَّفَحَ الْجَمِيلَ ﴾ قال : (الرِّضَا بغير عِتَاب) (٤) .
وقال ابن الرومي (٥) :

[من الطويل]

هُمُ النَّاسُ وَالْدُّنْيَا وَلَا بَدَّ مِنْ قَدَى يُلِمُّ بَعِينَ أَوْ يَكْدُرُ مَشْرَبَا
وَمِنْ قَلَّةِ الْإِنصَافِ أَنَّكَ تَبْتَغِي الـ مَهْدَبَ فِي الدُّنْيَا وَلَسْتَ الْمَهْدَبَا

[من الوافر]

تَوَاصَّلْنَا عَلَى الْأَيَّامِ بَاقٍ وَلَكِنْ هَجَرْنَا مَطَرُ الرِّيعِ
يَرَوْعُكَ صَوْبُهُ لَكِنْ تَرَاهُ عَلَى عِلَاتِهِ دَانِي النَّزُوعِ

-
- (١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٤) ، و « زهر الآداب » (٨٣٣ / ٢) من قول ابن المعتز .
(٢) أورده في « تاريخ اليعقوبي » (٣٨٣ / ٢) .
(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٣) .
(٤) رواه في « تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس » (٩٨٥) عنه ، وفي « شعب الإيمان » (٧٩٨٦) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .
(٥) أورد البيهقي في « الصداقة والصديق » (ص ٣١٠) دون نسبة .
(٦) أورد الأبيات في « معجم الأدباء » (٢٤٨ / ١) ، و « مصارع العشاق » (١٩٤ / ٢) لنفطويه إبراهيم بن محمد .

مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ تُلْفَى غِضَاباً سَوَى دَلِّ الْمُطَاعِ عَلَى الْمُطِيعِ
وَأُنْشِدَ الْأَزْدِيُّ (١) :

[من الكامل]

لَا يُؤَيِّسَنَّكَ مِنْ صَدِيقٍ نَبَوَةٌ يَنْبُو الْفَتَى وَهُوَ الْجَوَادُ الْخَضِرُ
فَإِذَا نَأَى فَاسْتَبَقِهِ وَتَأَنَّهُ حَتَّى تَفِيءَ بِهِ الطَّبَاعُ الْأَكْرَمُ

وَأَمَّا الْمَلُولُ.. فهو السريع التغير ، الوشيك التئكر ، فوداده خطر ،
وإخاؤه غرر ؛ لأنه لا يبقى على حالة ، ولا يخلو من استحالة ؛ وقد قال ابن
الرومي (٢) :

[من الطويل]

إِذَا أَنَا عَاتَبْتُ الْمَلُولَ فَإِنَّمَا أَخْطُطُ فِي صُحُفٍ مِنَ الْمَاءِ أَحْرُفَا
وَهَبْهُ ارْعَوِي بَعْدَ الْعِتَابِ أَلَمْ تَكُنْ مَوَدَّتُهُ طَبْعاً فَصَارَتْ تَكْلُفَا

وهم نوعان : منهم : مَنْ يكون مللته استراحة ، ثم يعود إلى المعهود من
إخائه ، فهذا أسلم المملكين ، وأقرب الرجلين ، يُسَامَحُ في وقت استراحته ،
وحين فترته ؛ ليرجع إلى الحسنى ، ويؤوب إلى الإخاء وإن تقدم المثل بما نظمته
الشاعر حيث يقول (٣) :

[من الطويل]

وَقَالُوا يَعُودُ الْمَاءُ فِي النَّهْرِ بَعْدَمَا عَفَّتْ مِنْهُ آثَارٌ وَجَفَّتْ مَشَارِعُهُ
فَقُلْتُ إِلَى أَنْ يَرْجَعَ الْمَاءُ عَائِداً وَيُعْشِبَ شَطْأُهُ تَمُوتُ ضَفَادِعُهُ

ولكن لا يُطْرَحُ حَقُّهُ بِالتَّوَهُّمِ ، ولا تسقط حرمة بالظنون ، وقد قال
الشاعر :

[من الوافر]

إِذَا مَا حَالَ عَهْدُ أَخِيكَ يَوْماً وَحَادَ عَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ

(١) أورد البيهقي في « التذكرة الحمدونية » (١٥٩ / ٨) ، و « محاضرات الأدباء » (٣٧٠ / ٢) .

(٢) أورد البيهقي في « التذكرة الحمدونية » (٥٢ / ٥) ، و « من غاب عنه المطرب » (ص ١٨٧) لأبي الحسن
الناشي الأصغر .

(٣) أورد البيهقي في « يتيمة الدهر » (٤٨٣ / ٣) لأحمد بن بندار .

فلا تعجلْ بَلْوَمِكَ واستدِمْهُ فَإِنَّ أَخَا الحِفَاطِ المُسْتَدِمْ^(١)
فإن تَكْ زَلَّةٌ مِنْهُ وإلا فلا تبعدْ عن الخُلُقِ الكريمِ

ومِنْهُمْ : مَنْ يكون مللَهُ تركاً واطِّراحاً ، لا يراجع إِخَاءً ولا وِدّاً ، ولا يتذكَّرْ
حِفَاطاً ولا عهداً ؛ كما قال الأشجع بن عمرو السُّلَمِيُّ :
[من الكامل]

إِنِّي رَأَيْتُ لَهَا مُوَاصِلَةً كَالسُّمِّ تُفَرِّغُهُ عَلَى الشَّهْدِ
فإذا أَخَذْتُ بَعْدَ ذِمَّتِهَا لِعِبِّ الصُّدُودِ بِذَلِكَ الْعَهْدِ

وهذا أَذْمُ الرجلين حالاً ؛ لأنَّ مودَّتَهُ من وساوس الخطرات ، وعوارض
الشهوات ، وليس إلا استدراك الحال معه بالإقلاع قبل الخِلْطَةِ ، أو حسن
المُتَارَكَةِ بعد الورطة ؛ كما قال العباس بن الأحنف :
[من المتقارب]

تَدَارَكْتُ نَفْسِي فَعَزَّيْتُهَا وَنَعَّصْتُهَا فِيكَ آمَالَهَا
وما طَابَتِ النَفْسُ عَنْ سَلْوَةٍ وَلَكِنْ حَمَلَتْ عَلَيْهَا لَهَا

وما مِثْلُ مَنْ هَذِهِ حَالُهُ إِلَّا كما قال إبراهيم بن هرمة^(٢) :

فإنَّكَ واطِّراحَكَ وَصَلَ سَلْمِي لِأُخْرَى فِي مودَّتِهَا نُكُوبُ
كثاقِبَةٍ لِحَلِي مُسْتَعَارٍ لِأُذْنِهَا فَشَانَتْهَا الثُّقُوبُ
فأَدَّتْ حَلِي جَارَتِهَا إِلَيْهَا وَقَدْ بَقِيَتْ بِأُذْنِهَا نُدُوبُ

فإذا صَفَّتْ عنده أخلاقُ مَنْ سِبره ، وتمهَّدت لديه أحوالُ مَنْ خبره ، وأقدم
على اصطفائه أَخاً ، وعلى اتِّخاذه خِذْناً . لزمته حينئذٍ حقوقُهُ ، ووجبت عليه
حرمانُهُ ، فقد قال عمرو بن مسعدة : (العبودية عبودية الإخاء ، لا عبودية
الرَّقِّ)^(٣) .

(١) الحِفَاطُ المستديم : المصدر بمعنى الفاعل ، وإضافته من إضافة الصفة إلى مفعوله ، يعني : لا تعجل في
لومه ، وتأن فيه ؛ فإن أَخَا المحافظ للاستدامة مستديمٌ كَأَخِيهِ عَلَى ما هو حكم المقارنة وقاعدة الإضافة ،
فأخبر محذوف ولا إقواء في القافية . انظر « منهاج اليقين » (ص ٣١٢) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص ٦٨) .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٢) .

وقال بعض الحكماء : (مَنْ جَادَ لَكَ بِمَوَدَّتِهِ .. فَقَدْ جَعَلَكَ عَدِيلَ نَفْسِهِ) .

فأَوَّلُ حقوقه : اعتقادُ مودَّتِهِ ، ثم إيناسُهُ بالانبساطِ إليه في غيرِ محرَّم ، ثم نصْحُهُ في السِّرِّ والعلانية ، ثم تخفيفُ الأثقالِ عنه ، ثم معاونتُهُ فيما ينوبه من حادثة ، أو يناله من نكبة ؛ فإنَّ مراقبته في الظاهرِ نفاق ، وتركه في الشدَّة لؤم^(١) .

وقد رُوِيَ عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « خَيْرُ أَصْحَابِكَ : الْمُعِينُ لَكَ عَلَى دَهْرِكَ ، وَشَرُّهُمْ : مَنْ سَعَى لَكَ بِسَوْقِ يَوْمِهِ »^(٢) .

وقيل : يا رسولَ اللهِ ؛ أَيُّ الْأَصْحَابِ خَيْرٌ ؟ قَالَ : « الَّذِي إِذَا ذَكَرْتَ .. أَعَانَكَ ، وَإِذَا نَسِيتَ .. ذَكَرَكَ »^(٣) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (خَيْرُ إِخْوَانِكَ : مَنْ وَاسَاكَ ، وَخَيْرُ مَنْهُ : مَنْ كَفَاكَ)^(٤) .

وكان أبو هريرة رضي الله عنه يقول : (اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِمَّنْ لَا يَلْتَمِسُ خَالِصَ مَوَدَّتِي إِلَّا بِمُوافَقَةِ شَهْوَتِي ، وَمِمَّنْ يَسَاعِدُنِي عَلَى سُرُورِ سَاعَتِي ، وَلَا يَفْكُرُ فِي حَوَادِثِ غَدِي)^(٥) .

وقال بعض الحكماء : (عَقُودُ الْغَادِرِ مَحْلُولَةٌ ، وَعَهْدُهُ مَدْخُولَةٌ) .

وقال بعض البلغاء : (مَا وَدَّكَ مَنْ أَهْمَلَ وَدَّكَ ، وَلَا أَحَبَّكَ مَنْ أَبْغَضَ حَبَّكَ) .

وقال بعض الشعراء^(٦) :

وَكُلُّ أَخٍ عِنْدَ الْهُوَيْنَا مُلَاطِفٌ وَلَكِنَّمَا الْإِخْوَانُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ

(١) في (ب) : (وتركه في السَّرْلُوم) .

(٢) رواه في « الصداقة والصدق » (ص ٢٥٦) من قول موسى بن جعفر رحمه الله تعالى .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (٤٢) عن الحسن رحمه الله تعالى مرسلًا .

(٤) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٠) ، و « زهر الآداب » (٤٣ / ١) .

(٥) أورده في « عيون الأخبار » (٣١ / ١) ، و « التذكرة الحمدونية » (٣٠٣ / ٣) من قول ابن هبيرة رحمه الله تعالى .

(٦) البيت لأبي الأسود الدؤلي في « ديوانه » (ص ٣٥٤) .

[من البسيط]

وقال صالح بن عبد القدوس^(١) :

شَرُّ الْأَخْلَاءِ مَنْ كَانَتْ مَوَدَّتُهُ مَعَ الزَّمَانِ إِذَا مَا خَافَ أَوْ رَغِبَا
إِذَا وَتَرْتَ امْرَأً فَاحْذَرْ عِدَاوَتَهُ مَنْ يَزْرَعُ الشَّوْكَ لَا يَحْصُدُ بِهِ عِنَبَا
إِنَّ الْعَدُوَّ وَإِنْ أَبْدَى مُسَالِمَةً إِذَا رَأَى مِنْكَ يَوْمًا فُرْصَةً وَتَبَا
وينبغي أن يتوقَّى الإفراط في محبته ؛ فإنَّ الإفراط دأب إلى التقصير ، ولأنَّ
تكون الحال بينهما نامية . . أولى من أن تكون متناهية .

وقد روى ابن سيرين ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال : « أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا ، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضُكَ يَوْمًا
مَا ، وَأَبْغَضُ بَغِيضِكَ هَوْنًا مَا ، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبُكَ يَوْمًا مَا »^(٢) .
وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : (لَا يَكُنْ حُبَّكَ كَلْفًا ،
وَلَا بَغْضُكَ تَلْفًا)^(٣) .

[من الطويل]

وقال أبو الأسود الدؤلي^(٤) :

وَكُنْ مَعِدْنًا لِلْخَيْرِ وَاصْفَحْ عَنِ الْأَذَى فَإِنَّكَ رَأَى مَا عَمِلْتَ وَسَامِعُ
وَأَحِبِّ إِذَا أَحْبَبْتَ حَبًّا مُقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَازِعُ
وَأَبْغَضْ إِذَا أَبْغَضْتَ غَيْرَ مُبَايِنٍ فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ
وقال عدي بن زيد^(٥) :

[من الطويل]

وَلَا تَأْمَنْ مِنْ مُبْغِضٍ قَرَبَ دَارِهِ وَلَا مِنْ مُحِبٍّ ؛ أَنْ يَمْلَأَ فَيُعِدَا
وَلِنَّمَا يُلْزَمُ مِنْ حَقِّ الْإِخَاءِ : بَذْلُ الْمَجْهُودِ فِي النَّصْحِ ، وَالتَّنَاهِي فِي رِعَايَةِ
مَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْحَقِّ ؛ فَلَيْسَ فِي ذَلِكَ إِفْرَاطٌ وَإِنْ تَنَاهَى ، وَلَا مَجَاوِزَةٌ حَدٌّ وَإِنْ كَثُرَ

(١) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٣٦) .

(٢) رواه الترمذي (١٩٩٧) ، وتَمَامُ الرَّازِيَّ فِي « فوائده » (١١٩٣) ، وَالْهَوْنُ : مصدر بمعنى السكينة ،
(ما) : زائدة للتقليل ، أو إبهامية تزيد النكرة شياعاً .

(٣) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (١٣٢٢) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (٢٠٢٦٩) .

(٤) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٠٤) .

(٥) البيت في « ديوانه » (ص ١٢١) ، وقوله : (أَنْ يَمْلَأَ) معناه : خشية أن يملأ .

وأوفى ، وتستوي حالتهما في المغيب والمشهد ، ولأن يكون مغيبهما أفضل من مشهدهما . . أولى ؛ فإن فضل المشهد على المغيب لؤم ، وفضل المغيب على المشهد كرم ، واستواؤهما حفاظ .

وقال بعض الشعراء^(١) :

عليّ لإخواني رقيبٌ من الصِّفا تَبِيدُ اللَّيَالِي وَهُوَ لَيْسَ يَبِيدُ
يُذَكِّرُنِيهِمْ فِي مَغِيبي وَمَشْهَدِي فَسَيَّانٍ مِنْهُمْ غَائِبٌ وَشَهِيدُ
وإِنِّي لَأَسْتَحْيِي أَخِي أَنْ أَبْرَهُ قَرِيباً وَأَنْ أَجْفُوهُ وَهُوَ بَعِيدُ

وهكذا يقصد التوسط في زيارته وغشيانه غير مقلل ولا مكثر ؛ فإنَّ تقليل الزيارة داعية الهجران ، وكثرتها سبب الملل .

وقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « يا أبا هريرة ؛ زُرْ غَيْباً . . تَزِدُّ حُبّاً »^(٢) .

وقال لبيد :

تَوَقَّفْ عَنْ زِيَارَةِ كُلِّ يَوْمٍ إِذَا أَكْثَرْتَ مَلْكَ مَنْ تَزُورُ

وقال آخر^(٣) :

عَلَيْكَ بِإِقْلَالِ الزِّيَارَةِ إِنَّهَا إِذَا كَثُرَتْ كَانَتْ إِلَى الْهَجْرِ مَسْلَكَا
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْغَيْثَ يُسَامُ دَائِماً وَيُسَالُ بِالْأَيْدِي إِذَا هُوَ أَمْسَكَ

وقال آخر^(٤) :

أَقْلِلْ زِيَارَتَكَ الصَّدِيقَ وَلَا تُطْلُ هَجْرَانَهُ فَيَلْجُ فِي هَجْرَانِهِ
إِنَّ الصَّدِيقَ يَلْجُ فِي غَشْيَانِهِ لَصَدِيقِهِ فَيَمَلُّ مِنْ غَشْيَانِهِ

(١) أورد الأبيات في « الحماسة البصرية » (٨٣٩ / ٢) للحارث المخزومي .

(٢) رواه ابن قتيبة في « عيون الأخبار » (٢٤ / ٣) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٠٠٨) ، والبيزار في « مسنده » (٩٣١٥) .

(٣) أورد البيهقي في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٣) ، و« ديوان المعاني » (٢٣٩ / ٢) ، ونسبهما في « وفيات الأعيان » (٢٧٧ / ٥) لعبد المنعم بن غلبون المصري ، وهما زيادة من (ج) .

(٤) الأبيات لأبي العتاهية في « ديوانه » (ص ٤٠١) .

حَتَّى تَرَاهُ بَعْدَ طَوِيلِ سُرُورِهِ بِمَكَانِهِ مُتَشَاوِلًا بِمَكَانِهِ
وَإِذَا تَوَانَى عَنْ صِيَانَةِ نَفْسِهِ رَجُلٌ تَنْقُصَ وَاسْتُخِفَّ بِشَانِهِ

وَبِحَسَبِ ذَلِكَ فَلْيَكُنْ فِي عِتَابِهِ ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْعِتَابِ سَبَبٌ لِلْقَطِيعَةِ ، وَاطِّرَاحِ
جَمِيعِهِ دَلِيلٌ عَلَى قَلَّةِ الْإِكْتِرَافِ بِأَمْرِ الصَّدِيقِ ، وَقَدْ قِيلَ : (عِلَّةُ الْمَعَادَاةِ قَلَّةُ
الْمُبَالَاةِ)^(١) .

بَلْ يَتَوَسَّطُ حَالَتِي تَرْكِهِ وَعِتَابِهِ - فَإِنَّ ذَلِكَ أَدْوَمُ لِإِخَائِهِمَا ، وَأَحْفَظُ لَصِفَاتِهِمَا -
فِيَسَامَحُ بِالْمُتَارَكَةِ ، وَيَسْتَصْلِحُ بِالْمَعَاتِبَةِ ؛ فَإِنَّ الْمَسَامَحَةَ وَالِاسْتِصْلَاحَ إِذَا
اجْتَمَعَا . . لَمْ يَلْبَثْ مَعَهُمَا نَفُورٌ ، وَلَمْ يَبْقَ مَعَهُمَا وَجَدٌ .

وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : (لَا تَكْثُرَنَّ مَعَاتِبَةُ إِخْوَانِكَ . . فِيهِونَ عَلَيْهِمْ
سَخَطُكَ) .

وَقَالَ مَنْصُورُ النَّمَرِيِّ^(٢) :

أَقْلِلْ عِتَابَ مَنْ اسْتَرْبَتْ بُوْدُهُ لَيْسَتْ تُنَالُ مَوْدَّةَ بَعْتَابِ
وَقَالَ بَشَارُ بْنُ بَرْدٍ^(٣) :

إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَاتِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلَقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ
وَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مِرَارًا عَلَى الْقَذَى ظَمِئْتَ وَأَيُّ النَّاسِ تَصْفُو مَشَارِبُهُ
فَعِشْ وَاحِدًا أَوْ صِلْ أَخَاكَ فَإِنَّهُ مُقَارِفُ ذَنْبٍ مَرَّةً وَمُجَانِبُهُ

ثُمَّ مِنْ حَقِّ الْإِخْوَانِ : أَنْ تَغْفِرَ هَفْوَتَهُمْ ، وَتَسْتَرْزِلْتَهُمْ^(٤) ؛ لِأَنَّ مَنْ رَامَ بَرِيئًا
مِنَ الْهَفْوَاتِ ، سَلِيمًا مِنَ الزَّلَّاتِ . . رَامَ أَمْرًا مُعَوِزًا ، وَاقْتَرَحَ وَصْفًا مُعْجِزًا ؛ وَقَدْ
قَالَتِ الْحُكَمَاءُ : (أَيُّ عَالِمٍ لَا يَهْفُو ، وَصَارِمٍ لَا يَنْبُو ، وَجَوَادٍ لَا يَكْبُو !؟)^(٥) .
وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : (مَنْ حَاوَلَ صَدِيقًا بِأَمْنٍ زَلَّتْهُ ، وَيدُومُ اغْتِبَاطُهُ بِهِ . .

(١) أوردته في « نهاية الأرب » (١٠٤ / ٦) .

(٢) البيت في « ديوانه » (ص ٧٠) .

(٣) الأبيات في « ديوانه » (٣٢٦ / ١) .

(٤) في (أ) : (ثم من حق الإخاء : أن تغفر هفوته ، وتسترزلته) .

(٥) أوردته في « المستطرف » (٢١٨ / ١) ، و « التذكرة الحمدونية » (٢٦٤ / ٧) .

كان كضالَّ الطريق الذي لا يزداد لنفسه إيتاعاً إلا ازداد من غايته بُعداً^(١) .

وقيل لخالد بن صفوان : (أَيُّ إِخْوَانِكَ أَحَبُّ إِلَيْكَ ؟ قال : مَنْ غَفَرَ زَلَّيْ ، وقَطَعَ عِلَّيْ ، وَبَلَّغَنِي أَمَلِي)^(٢) .

وقال بعض الشعراء^(٣) :

ما كدْتُ أَفْخَصُ عَنْ أَخِي ثِقَةٍ إِلَّا ذَمَمْتُ عَوَاقِبَ الْفَخْصِ
وَأُنْشَدْتُ عَنْ الرَّبِيعِ لِلشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(٤) :

أَحَبُّ مَنْ إِخْوَانٍ كُلِّ مُؤَاتِي وَكُلَّ غَضِيضِ الطَّرْفِ عَنْ عَثْرَاتِي
يُؤَافِقُنِي فِي كُلِّ أَمْرٍ أُرِيدُهُ وَيَحْفَظُنِي حَيًّا وَبَعْدَ وَفَاتِي
فَمَنْ لِي بِهِذَا لَيْتَ أَنِّي أَصَبْتُهُ فَقَاسَمْتُهُ مَا لِي مِنَ الْحَسَنَاتِ
تَصَفَّحْتُ إِخْوَانِي فَكَانَ أَقْلُهُمْ عَلَى كَثْرَةِ إِخْوَانِ أَهْلِ ثِقَاتِي
وَأُنْشَدُ ثَعْلَبُ^(٥) :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَسْتَقْبِلِ الْأَمْرَ لَمْ تَجِدْ لَكَفَيْكَ فِي إِدْبَارِهِ مُتَعَلِّقًا
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَتْرُكْ أَخَاكَ وَزَلَّةً إِذَا زَلَّهَا أَوْشَكْتُمَا أَنْ تَفَرَّقَا
وَحَكَى الْأَصْمَعِيُّ عَنْ بَعْضِ الْأَعْرَابِ أَنَّهُ قَالَ : (تَنَاسَ مَسَاوِيءَ الْإِخْوَانِ .
يَدُمُ لَكَ وَدُّهُمْ)^(٦) .

ووصَّى بعضُ الأدباءِ أخاً له فقال : (كُنْ لِلوَدِّ حَافِظًا وَإِنْ لَمْ تَجِدْ مُحَافِظًا ،
وَلِلْخِلِّ وَاصِلًا وَإِنْ لَمْ تَجِدْ مُوَاصِلًا)^(٧) .

(١) أورده في « فضل الكلاب على كثير ممن لبس الثياب » (ص ٥) ، و « نثر الدر » (٢٣٠ / ٤) .

(٢) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٣٢٩٤) ، وأورده المبرِّد في « الكامل » (٦٩٦ / ٢) .

(٣) البيت لمحمود الوراق في « ديوانه » (ص ١٣٧) .

(٤) الأبيات في « ديوانه » (ص ٤٣) ، و « مناقب الشافعي » للبيهقي (٧٩ / ٢) ، ونسبت لأبي العتاهية في

« ديوانه » (ص ٥٩) ، والبيتان الأولان نسبا لجحظة البرمكي في « ديوانه » (ص ٥٨) .

(٥) أورد البيتين في « الزهرة » (١٩٥ / ١) ، و « الحماسة البصرية » (٨٦٠ / ٢) .

(٦) رواه السُّلَمِيُّ في « آداب الصحبة » (ص ٤٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٦٨٦) .

(٧) أورده في « فيض القدير » (١٩٦ / ٤) .

[من الطويل]

وقال رجلٌ من إِياد ليزيد بن المُهَلَّب^(١) :

إذا لم تَجَاوِزْ عن أخٍ عندَ زَلَّةٍ فلستَ غداً عن عَثرتي مُتَجَاوِزا
وكيفَ يُرَجِّيكَ البعيدُ لنفعِهِ إذا كانَ عن مولاكَ خيرُكَ عاجِزا
ظلمتَ امرأً كلَّفَتْهُ فوقَ وُسْعِهِ وهلَ كانتِ الأخلاقُ إلا غرائِزا

وقال أبو مسعود كاتب الرضا : كنَّا في مجلس الرضا ، فشكا رجلٌ أخاه ،

فأنشأ الرضا رحمه الله تعالى يقول :

اعذِرْ أخاكَ على ذُنُوبِهِ واستُرْ وغطَّ على عُيُوبِهِ
واصْبِرْ على بَهْتِ السَّفِيهِ وللزمانِ على خُطُوبِهِ
ودَعْ الجَوَابَ تَفَضُّلاً وكلِ الظُّلُومَ إلى حَسِيهِ
واعلَمْ بأنَّ الحِلْمَ عندَ سدِّ الغيِّ أحسنُ من رُكُوبِهِ^(٢)

وحُكي عن بنت عبد الله بن مطيع أنها قالت لزوجها طلحة بن عبد الله بن عوف الزُّهريِّ وكان أجودَ قريش في زمانه : (ما رأيتُ قوماً أَلَمَ من إخوانك ، قال لها : مَهْ ؛ ولمَ قلتِ ذاك ؟ ! قالت : أراهم إذا أيسرت .. لزموك ، وإذا أعسرت .. تركوك !! قال : هذا - والله - من كرمهم ؛ يأتوننا في حال القوَّة بنا عليهم ، ويتركوننا في حال الضعف منَّا عنهم)^(٣) .

انظر كيف تأوَّل بكرمه هذا التأويل ؛ حتى جعل قبيحَ فعلهم حسناً ، وظاهرَ غدرهم وفاءً ، وهذا محض الكرم ، ولباب الفضل ، وبمثل هذا يلزم ذوي الفضل أن يتأوَّلوا هفواتِ إخوانهم .

(١) أورد البيهقي الأولين في « روضة العقلاء » (٦٥٤ / ٢) ، والثالث في « محاضرات الأدباء » (٥٧٠ / ١) .

(٢) أورد ابن بشران في « أماليه » (٧٩٣) ، وابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٣٧ / ١٩) دون البيت الأخير عن ابن أبي مسعود ، عن كاتب الفياض ، عن أبيه قال : (حضرنا مجلس الرضا . . .) ، والأبيات الثلاثة الأولى منسوبة لسيدنا علي رضي الله عنه في « ديوانه » (ص ٨٠) .

(٣) رواه في « روضة العقلاء » (٣٩٣) ، وأورده في « الصداقة والصديق » (ص ١٨٧) .

وقد قال بعض الشعراء^(١) :

[من الطويل]

أحْبُ الْفَتَى يَنْفِي الْفَوَاحِشَ سَمْعُهُ كَأَنَّ بِهِ عَنْ كُلِّ فَاحِشَةٍ وَقُرَا
سَلِيمٌ دَوَاعِي الصَّدْرِ لَا بَاسَ طُ أَذَى وَلَا مَانِعٌ خَيْرًا وَلَا قَائِلٌ هُجْرًا
إِذَا شَتَّ أَنْ تُدْعَى كَرِيمًا مُعْطَفًا حَلِيمًا ظَرِيفًا مَاجِدًا فَطِنًا حُرًّا
إِذَا مَا بَدَتْ مِنْ صَاحِبٍ لَكَ زَلَّةٌ فَكُنْ أَنْتَ مُحْتَالًا لَزَلَتِهِ عُدْرًا

والداعي إلى هذا التأويل شيئان : التغافل الحادث عن الفطنة ، والتألف الصادر عن الوفاء .

وقد قال أكنم بن صيفي : (مَنْ تَشَدَّدَ .. نَفَر ، وَمَنْ تَرَاحَى .. تَأَلَّفَ ،
والشرف في التغافل)^(٢) .

وقال شبيب بن شيبه : (الأريب العاقل : هو الفطن المتغافل)^(٣) .

وقال بعض الحكماء : (وجدتُ أكثر أمور الدنيا لا تجوز إلا بالتغافل) .

وقال أبو تمام الطائي^(٤) :

[من الكامل]

لَيْسَ الْغَبِيُّ بَسِيْدٍ فِي قَوْمِهِ لَكِنْ سَيِّدٌ قَوْمِهِ الْمُتَغَابِي

وقال أبو العتاهية^(٥) :

[من الخفيف]

إِنَّ فِي صِحَّةِ الْإِخَاءِ مِنَ النَّاسِ سِ وَفِي خُلَّةِ الْوَفَاءِ لِقَلَّةُ
فَالْبَسِ النَّاسَ مَا اسْتَطَعْتَ عَلَى النَّقْدِ صِ وَإِلَّا لَمْ تَسْتَقِمْ لَكَ خُلَّةُ
عِشٍّ وَحِيدًا إِنْ كُنْتَ لَا تَقْبَلُ الْعُدُوَّ رَ وَإِنْ كُنْتَ لَا تُجَاوِزُ زَلَّةُ

(١) أورد الأبيات التبريزي في « شرح ديوان الحماسة » (١٤٥ / ٣) ، وهي في « التذكرة الحمدونية » (٣٦٦ / ٤) ما عدا البيت الثالث ، لسالم بن وابصة الأسدي .

(٢) أوردته في « المعمرين والوصايا » (ص ٢١) ، و « نهاية الأرب » (١٣٦ / ٦) .

(٣) أوردته في « البصائر والذخائر » (١٥٢ / ٥) عن عبد الصمد بن أبي شبيب عن أبيه .

(٤) البيت في « ديوانه » (٨٧ / ١) .

(٥) الأبيات في « ديوانه » (ص ٣٣٨) ، فالبس الناس ؛ أي : عاشرهم على قدر أخلاقهم ، ولبست فلاناً على ما فيه ؛ أي : احتملته وقبلته ، وفي المال : المراد به : لازمُهُ وهو الميراث ، وأبناء علة : أمهاتهم مختلفة وأبوهما واحد .

مِنَ أَبٍ وَاحِدٍ وَأُمٍّ خُلِقْنَا غَيْرَ أَنَّا فِي الْمَالِ أَوْلَادُ عَلَّةٍ

ومِمَّا يتبع هذا الفصل ^(١) تألَّفُ الأعداء بما يثنيهم عن البغضة ، ويعطفهم على المحبة ، وذلك قد يكون بصُنوفٍ من البرِّ ، ويختلف بحسَبِ اختلاف الأحوال ؛ فإنَّ ذلك من سمات الفضل ، وشروط السؤدد ، فإنَّه ما أحدٌ يعدم عدوًّا ، ولا يفقد حاسدًا ، وبحسَبِ وُفُورِ النِّعمة تكثر الأعداء والحسدة ؛ كما قال البحتري ^(٢) :

وَلَنْ تَسْتَبِينَ الدَّهْرَ مَوْعَ نِعْمَةٍ إِذَا أَنْتَ لَمْ تُدَلِّلْ عَلَيْهَا بِحَاسِدٍ
فَإِنْ أَغْفَلَ تَأَلَّفَ الْأَعْدَاءُ مَعَ وُفُورِ النِّعْمَةِ وَظَهُورِ الْحَسَدِ . . تَوَالَى عَلَيْهِ مِنْ مَكْرِ
حَلِيمِهِمْ وَبَادِرَةِ سَفِيهِهِمْ مَا تَصِيرُ بِهِ النِّعْمَةُ غَرَامًا ، وَالذُّعَى مَلَامًا .

وروى ابن المسيَّب ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ » ^(٣) .

وقال سليمان بن داود عليهما السلام لابنه : (لَا تَسْتَكْثِرُ أَنْ يَكُونَ لَكَ أَلْفُ صَدِيقٍ ، فَالْأَلْفُ قَلِيلٌ ، وَلَا تَسْتَقِلَّ أَنْ يَكُونَ لَكَ عَدُوٌّ وَاحِدٌ ، فَالْوَاحِدُ كَثِيرٌ) ^(٤) .

فنظم ابن الرومي هذا المعنى فقال ^(٥) :

تَكْثُرُ مِنَ الْإِخْوَانِ مَا اسْطَغَتْ إِنْهُمْ بَطُونٌ إِذَا اسْتَنْجَدْتَهُمْ وَظُهُورٌ

(١) وهو المؤاخاة بالمودة .

(٢) البيت في « ديوانه » (٦٢٥ / ١) .

(٣) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٦٣٧) ، وابن أبي الدنيا في « الإخوان » (١٤٠) ، والقصد بهذا الحديث : الحث على مداراة الناس بكل ما أمكن من الإحساس ، وتحمل أذاهم ، وكف الأذى عنهم وملاظمتهم ، ولفظ (الناس) : عام يشمل الأعداء ، فكما أن الإيمان من أسباب الألفة بين المسلمين . . فالتودد من أسبابها بين جميع الناس .

(٤) كذا رواه ابن أبي الدنيا في « الإخوان » (٣١) ، وفي « عيون الأخبار » (١ / ٣) : أَنَّ دَاوُدَ النَّبِيَّ قَالَ لَابْنَهُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ .

(٥) البيتان ليسا في « ديوانه » ، وهما في « ديوان سيدنا علي » (ص ١٣٨) ، و« ديوان الخليل بن أحمد » =

وليس كثيراً ألفَ خِلٌّ وصاحبٌ وإنَّ عدوّاً واحداً لكثيرٌ
وقيل لعبد الملك بن مروان : (ما الذي أفدّت في ملكك هذا ؟ قال :
موذّات الرجال) .

وقال بعض الحكماء : (من علامة الإقبال اصطناعُ الرجال)^(١) .

وقال بعض البلغاء : (مَنْ استصلح عدوّه . . زاد في عدّده ، وَمَنْ استفسد
صديقَه . . نقص من عدّده)^(٢) .

وقال بعض الأدباء : (العَجَبُ مَمَّنْ يَطْرَحَ عاقلاً كافياً ؛ لِمَا يضمّره من
عداوته ، وبصطنع عاجزاً جاهلاً بما يظهره من محبّته ، وهو يقدر على استصلاح
مَنْ يُعاديّه بحسن صنائعه وأياديّه) .

وقال عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما : ثلاثة أبيات جامعة لكلِّ ما قالته
العرب ، وهي للأفوه الأوديّ :
[من الوافر]

بَلَوْتُ النَّاسَ قَرْنًا بَعْدَ قَرْنٍ فَلَـمْ أَرَّ غَيْرَ خَتَالٍ وَقَالَ
وَذُقْتُ مَرَارَةَ الْأَشْيَاءِ جَمْعًا فَمَا طَعُمُ أَمْرٍ مِّنَ السُّؤَالِ
وَلَمْ أَرَّ فِي الْخُطُوبِ أَشَدَّ هَوْلًا وَأَصْعَبَ مِنْ مُّعَادَاةِ الرِّجَالِ^(٣)
وقال القاضي التَّنُوخِيُّ^(٤) :

إِلَّقَ الْعَدُوَّ بَوَاجِهٍ لَا قُطُوبَ بِهِ يَكَادُ يَقْطُرُ مِنْ مَاءِ الْبَشَاشَاتِ
[من البسيط]

= (ص ٩) ، و « ديوان محمود الرزّاق » (ص ٢٥٠) ، والبيت الثاني فقط في « ديوان الشافعي » (ص ٦٧) .

(١) أوردته في « لباب الآداب » (ص ٦٨) نقلًا عن « الفرائد والقلائد » ، و « نهاية الأرب » (١٠٣ / ٦) .

(٢) أوردته في « لباب الآداب » (ص ٦٠) ، والقلعي في « تهذيب الرياسة في ترتيب السياسة » (ص ٢٢٥) .

(٣) رواه الجبريّ في « المجلس الصالح الكافي » (٣ / ٣٤٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٩٨ / ٢٨) ، والأبيات في « ديوان الأفوه الأوديّ » (ص ١٠٤) ، وذكر ابن عساكر : أن سيدنا معاوية رضي الله عنه طلب من سيدنا ابن الزبير رضي الله عنهما أن ينشده ثلاثة أبيات من أجمع ما قالته العرب ، قال : (نعم يا أمير المؤمنين ؛ بثلاث مئة ألف . . .) وأنشده هذه الأبيات وحُمِلَ المال إلى بيته .

(٤) أورد الأبيات في « معجم الأدباء » (٢٨٩ / ٥) ؛ وفيه : (الصبر خيرٌ وخير القول . . .) ، و « محاضرات الأدباء » (٥١٠ / ١) .

فَأَحْزَمُ النَّاسِ مَنْ يَلْقَى أَعَادِيَهُ فِي جَسْمٍ حَقْدٍ وَثَوْبٍ مِنْ مَوَدَّاتِ
الرَّفْقِ يُمْنٌ وَخَيْرُ الْقَوْلِ أَصْدَقُهُ وَكَثْرَةُ الْمَزْحِ مِفْتَاحُ الْعَدَاوَاتِ

وَأُنْشِدْتُ عَنْ الرَّبِيعِ لِلشَّافِعِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى (١) :

لَمَّا عَفَوْتُ وَلَمْ أَحْقِدْ عَلَى أَحَدٍ أَرَحْتُ نَفْسِي مِنْ هَمِّ الْعَدَاوَاتِ
إِنِّي أَحْيِي عَدُوِّي عِنْدَ رُؤْيَيْهِ لَأُدْفَعَ الشَّرَّ عَنِّي بِالتَّحِيَّاتِ
وَأُظْهِرُ الْبَشَرَ لِلْإِنْسَانِ أَبْغَضُهُ كَأَنَّمَا قَدْ حَسَا قَلْبِي مَحَبَّاتِ
وَلَسْتُ أَسْلَمُ مِمَّنْ لَسْتُ أَذْكُرُهُ فَكَيْفَ أَسْلَمُ مِنْ أَهْلِ الْمَوَدَّاتِ
النَّاسُ دَاءٌ دَوَاءُ النَّاسِ تَرْكُهُمْ وَفِي الْجَفَا لَهُمْ قَطْعُ الْأُخْوَاتِ
فَخَالِقِ النَّاسَ وَأَصْبِرْ مَا بَقِيَتْ لَهُمْ أَصَمَّ أَبْكُمْ أَعْمَى ذَا تَقَيَّاتِ

وليس - وإن كان يتألف الأعداء مأموراً ، وإلى مقاربتهم مندوباً - ينبغي أن يكون إليهم رакناً ، وبهم واثقاً ، بل يكون منهم على حذر ، ومن مكرهم على تحرّز ؛ فإنّ العداوة إذا استحكمت في الطباع . . صارت طبعاً لا يستحيل ، وجبلة لا تزول ، وإنّما يستكف بالتألف إظهارها ، ويستدفع به أضرارها ؛ كالنار يُستدفع بالماء إحراقها ، ويُستفاد به إنضاجها وإن كانت محرقة بطبع لا يزول ، وجوهر لا يتغيّر .

وقال الشاعر (٢) :

وَإِذَا عَجَزْتَ عَنِ الْعَدُوِّ فَدَارِهِ وَامْزِجْ لَهُ إِنَّ الْمِزَاجَ وَفَاقُ
فَالنَّارُ بِالمَاءِ الَّذِي هُوَ ضِدُّهَا تَعْطِي النَّضَاجَ وَطَبْعُهَا الْإِحْرَاقُ

(١) الأبيات في « ديوانه » (ص ٤٢) ، والأربعة الأولى في « مناقب الشافعي » للبيهقي (٨٧/٢) ، والبيت الخامس في النسخ ما عدا (ج) هكذا :

النَّاسُ دَاءٌ وَدَاءُ النَّاسِ قُرْبُهُمْ وَفِي أَعْتِزَالِهِمْ قَطْعُ الْمَوَدَّاتِ
(٢) البيتان لابن نباتة السعدي في « ديوانه » (٢٧٢-٢٧٣) ، وفي (ب ، ج ، هـ) : (وامزج له إن المزاج) .

فَضَائِلُ

[البرّ خامس أسباب الألفة]

وأما البرّ وهو الخامس من أسباب الألفة . . فلأنّه يوصل إلى القلوب أطافاً ،
ويثنيها محبةً وانعطافاً ؛ ولذلك ندب الله تعالى إلى التعاون به ، وقرنه بالتقوى
له ، فقال سبحانه : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ ؛ لأنّ في التقوى رضا الله تعالى ،
وفي البرّ رضا الناس ، ومن جمع بين رضا الله تعالى ورضا الناس . . فقد تَمَّتْ
سعادته ، وعمَّتْ نعمته .

وروى الأعمش ، عن خيثمة ، عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال :
سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول : « جُبِلَتِ القلوبُ على حُبِّ مَنْ
أَحْسَنَ إِلَيْهَا ، وَبُغِضَ مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهَا »^(١) .

وحكي : أنّ الله تعالى أوحى إلى داود عليه الصلاة والسلام : (ذكّرْ عبادي
إحساني إليهم ليحبّوني ؛ فإنّ عبادي لا يحبّون إلا مَنْ أَحْسَنَ إليهم)^(٢) .

وأنشدني أبو الحسن بن أبي الحارث الهاشمي رحمه الله تعالى^(٣) : [من مجزوء الكامل]

النَّاسُ كُلُّهُمْ عِيَا لُ اللهِ تَحْتَ ظِلَالِهِ
فَأَحَبُّهُمْ طَرّاً إِلَيْهِ هِ أَبَرُّهُمْ بَعِيَالِهِ

والبرّ نوعان : صلةً ، ومعروفٌ .

فأما الصّلة : فهي التبرّع ببذل المال في جهاتٍ محمودَةٍ لغير عوضٍ

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٥٧٤) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٢١ / ٤) .

(٢) أورده في « نثر الدرّ » (٣٢ / ٧) ، وانظر « فيض القدير » (٣ / ٣٧١ - ٣٧٢) .

(٣) البيتان لأبي العتاهية في « ديوانه » (ص ٣٣٥) .

مطلوب^(١) ، وهذا يبعث عليه سماحة النفس وسخاؤها ، ويمنع منه شحها وإباؤها ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شَحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ .

وروى محمد بن إبراهيم التيمي ، عن عروة بن الزبير ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « السَّخِيُّ قَرِيبٌ مِّنَ اللَّهِ ، قَرِيبٌ مِّنَ الْجَنَّةِ ، قَرِيبٌ مِّنَ النَّاسِ ، بَعِيدٌ مِّنَ النَّارِ ، وَالْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِّنَ اللَّهِ ، بَعِيدٌ مِّنَ الْجَنَّةِ ، بَعِيدٌ مِّنَ النَّاسِ ، قَرِيبٌ مِّنَ النَّارِ »^(٢) .

وقال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم : « رَفَعَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْ أَيْبِكَ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ لِسَخَائِهِ » .

وبلغه صلى الله عليه وسلم عن الزبير إمساك ، ف جذب عِمَامَتَهُ إِلَيْهِ ، وقال : « يَا زَبِيرُ ؛ أَنَا رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ وَإِلَىٰ غَيْرِكَ ، يَقُولُ اللَّهُ : أَنْفِقْ . . أَنْفِقْ عَلَيْكَ ، وَلَا تُؤْك . . فَأَوْكِي عَلَيْكَ »^(٣) .

وروى أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَا مِنْ يَوْمٍ غَرِبَتْ فِيهِ شَمْسُهُ إِلَّا وَمَلَكَانِ يُنَادِيَانِ : اللَّهُمَّ ؛ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلْفًا ، وَمُمْسِكًا تَلْفًا ، وَأُنْزِلْ فِي ذَلِكَ الْقُرْآنُ ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنِيْرُهُ لِيْسْرَىٰ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ فَسَنِيْرُهُ لِّلْعُسْرَىٰ ﴾ »^(٤) .

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : (يعني : مَنْ أَعْطَىٰ فِيمَا أُمِرَ ، وَاتَّقَىٰ فِيمَا حُظِرَ ، وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ؛ يعني : بِالْخَلْفِ مِنْ عَطَائِهِ)^(٥) .

(١) في (أ) : (غرض مطلوب) .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٣٥٧) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٣٦٣) عن محمد بن إبراهيم التيمي ، عن أبيه ، عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٣) رواه الحكيم الترمذي في « النوادر » (ص ١٥٠) في الأصل (١١٦) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢١٦ / ١٠) ، و « بهجة المجالس » (١ / ٦٢٥) .

(٤) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٧٩ / ٣٠ / ١٥) ، وابن حبان في « صحيحه » (٣٣٢٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣١٣٩) .

(٥) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٣٣٢) بنحوه .

فَعِنْدَهَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : (سَادَةُ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا الْأَسْخِيَاءُ ، وَفِي الْآخِرَةِ الْأَتْقِيَاءُ) (١) .

وَقِيلَ فِي مَنْثُورِ الْحَكَمِ : (الْجُودُ عَنْ مَوْجُودٍ) (٢) .

وَقِيلَ فِي الْمَثَلِ : (سَوْدُ دُّبْلَا جُودِ كَمَلِكٍ بَلَا جُنُودٍ) (٣) .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : (الْجُودُ حَارِسُ الْأَعْرَاضِ) (٤) .

وَقَالَ بَعْضُ الْأَدْبَاءِ : (مَنْ جَادَ . . سَادَ ، وَمَنْ أَضْعَفَ . . ازْدَادَ) (٥) .

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ : (جُودُ الرَّجُلِ يُحِبُّهُ إِلَى أَضْدَادِهِ ، وَبُخْلُهُ يُبْغِضُهُ إِلَى أَوْلَادِهِ) (٦) .

وَقَالَ بَعْضُ الْفَصَحَاءِ : (خَيْرُ الْأَمْوَالِ مَا اسْتَرْقَ حَرًّا ، وَخَيْرُ الْأَعْمَالِ مَا اسْتَحَقَّ شُكْرًا) (٧) .

وَقَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقَدُّوسِ (٨) :

[من الطويل]

وَيُظْهِرُ عَيْبَ الْمَرْءِ فِي النَّاسِ بُخْلُهُ وَيَسْتُرُهُ عَنْهُمْ جَمِيعاً سَخَاؤُهُ
تَغْطِ بِأَثْوَابِ السَّخَاءِ فَإِنَّنِّي أَرَى كُلَّ عَيْبٍ وَالسَّخَاءُ غِطَاؤُهُ

وَحَدُّ السَّخَاءِ : بِذَلِكَ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَأَنْ يَوْصَلَ إِلَى مُسْتَحَقِّهِ بِقَدْرِ الطَّاقَةِ ، وَتَدْبِيرِ ذَلِكَ مُسْتَصْعَبٌ .

(١) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي « شُعَبِ الْإِيمَانِ » (١٠٣٩٥) ، وَابْنُ عَسَاكِرٍ فِي « تَارِيخِ دِمَشْقَ » (٥٢ / ٤٣) عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٢) فِي (أ) : (الْجُودُ خَيْرٌ مَوْجُودٍ) .

(٣) أَوْرَدَهُ فِي « غَرَرِ الْخَصَائِصِ » (ص ١٩٨) .

(٤) أَوْرَدَهُ فِي « التَّذَكُّرَةِ الْحَمْدُونِيَّةِ » (٢ / ٢٦٠) عَنْ سَيِّدِنَا عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَ« الْبَصَائِرِ وَالذَّخَائِرِ » (١٩٨ / ٥) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٥) أَوْرَدَهُ فِي « التَّذَكُّرَةِ الْحَمْدُونِيَّةِ » (١ / ١٠٢) ، وَ« نَهَايَةِ الْأَرْبِ » (٣ / ٢٠٥) مِنْ كَلَامِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا .

(٦) أَوْرَدَهُ فِي « الْكَشْكُولِ » (٢ / ٧٧) .

(٧) انْظُرْ « فَيْضَ الْقَدِيرِ » (٢ / ٣٤٦) .

(٨) الْبَيْتَانِ فِي « دِيْوَانِهِ » (ص ١١٩) .

ولعلَّ بعض مَنْ يحبُّ أن يُنسَبَ إلى الكرم يُنكر حدَّ السخاء ، ويجعل تقدير العطية فيه نوعاً من البخل ، وأنَّ الجود بذلُّ الموجود ، وهذا تكلفٌ يفضي إلى الجهل بحدود الفضائل ، ولو كان حدُّ الجود بذلُّ الموجود.. لما كان للسَّرف موضعاً ، ولا للتبذير موقعاً ، وقد ورد الكتاب بذكرهما ، وجاءت السنة بالنهي عنهما .

وإذا كان السخاء محدوداً ؛ فمَنْ وقف على حدِّه.. سُمِّي كريماً ، وكان للحمد مستحقاً ، ومَنْ قصَّر عنه.. كان بخيلاً ، وكان للذمِّ مستوجباً .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ إِيمَاءَ أَنْتَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾ .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أقسم الله تعالى بعزته ؛ لا يُجاوزه بخيلٌ »^(١) .

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « طعامُ الجوادِ دواءٌ ، وطعامُ البخيلِ داءٌ »^(٢) .

وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يقول : الشحيحُ أعذرُ من الظالم ، فقال : « لعنَ الله الشحيحَ ، ولعنَ الظالمَ »^(٣) .

وقال بعض الحكماء : (البخلُ جلبابُ المسكنة)^(٤) .

(١) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٥٥١٨) ، والخطيب في « البخلاء » (٦٠) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) رواه الخطيب في « البخلاء » (٢٢) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) رواه الجريدي في « الجليس الصالح » (٢٢٧/٢) ، والخطيب في « البخلاء » (٥٩) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه بنحوه . وأصل اللعن : الطرد والإبعاد إن كان من الله ، وإن كان من الخلق.. فالسب والدعاء عليه ، والنبي صلى الله عليه وسلم لم يبعث لعناً ؛ وإنما أوحى الله إليه : أن الله لعن فأخبر عن الله أنه لعن ، لا أنه إنشأ ولا دعاء منه عليه الصلاة والسلام ، وكذا كل ما ورد عنه من اللعن فإنه مؤولٌ بذلك . انظر « منهاج اليقين » (ص ٣٢٨) بتصرف .

(٤) أورده في « بهجة المجالس » (١/٦٢٦) من قول سيدنا علي رضي الله عنه .

وقال بعض الأدباء : (البخيل ليس له خليل) .

وقال بعض البلغاء : (البخيل حارس نعمته ، وخازن ورثته)^(١) .

وقال بعض الشعراء^(٢) :

إذا كنتَ جَمَاعاً لِمَالِكَ مُمَسِكاً فَأَنْتَ عَلَيْهِ خَازِنٌ وَأَمِينُ
تَوَدِّيهِ مَذْمُوماً إِلَى غَيْرِ حَامِدٍ فَيَأْكُلُهُ عَفْواً وَأَنْتَ دَفِينُ
وتظاهر بعض ذوي النَّباهة بحُبِّ الثَّناء مع إِمساكِ فيه ، فقال فيه بعض
الشعراء^(٣) :

أَرَاكَ تَوَمَّلُ حُسْنَ الثَّناءِ وَلَمْ يَرْزُقِ اللهُ ذَاكَ الْبَخِيلاً
وَكَيْفَ يَسُودُ أَخُو بَطْنَةٍ يُمْنٌ كَثِيراً وَيُعْطِي قَلِيلاً
وقد يتنافى حُبُّ الثَّناءِ وحُبُّ المَالِ ؛ لأنَّ حَبَّ الثَّناءِ يبعث على البذل ، وحَبُّ
المال يمنع منه ، فَإِنْ ظَهَرَ عَلَيْهِ . . كان حُبُّ الثَّناءِ كاذباً .

وقال بعض الشعراء^(٤) :

جَمَعْتَ أَمْرَيْنِ ضَاعَ الْحَزْمُ بَيْنَهُمَا تِيَةَ الْمُلُوكِ وَأَخْلَاقَ الْمَمَالِكِ
أَرَدْتَ شُكْراً بِلَا بَرٍّ وَلَا صِلَةٍ لَقَدْ سَلَكْتَ طَرِيقاً غَيْرَ مَسْلُوكِ
ظَنَنْتَ عِرْضَكَ لَمْ يُقَرَّغْ بِقَارِعَةٍ وَمَا أَرَاكَ عَلَى حَالٍ بِمَتْرُوكِ
لِئِنْ سَبَقَتْ إِلَى مَالٍ حَظِيَّتْ بِهِ لَمَّا سَبَقَتْ إِلَى شَيْءٍ سِوَى التُّوكِ

(١) أوردته في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٢٧٩) ، و « المستطرف » (١ / ٨٧) .

(٢) أورد البيهقي في « التذكرة الحمدونية » (٢ / ٣٢٦) ، و « محاضرات الأدباء » (٢ / ٣٢٥) ؛ وفي (أ) :
(فأكله صفواً وأنت دفين) .

(٣) أورد البيهقي في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٤٢١) ، و « المجالسة وجواهر العلم » (٣٢٥٦) دون
نسبة .

(٤) الأبيات الثلاثة الأولى لعلّي بن الجهم في « ديوانه » (ص ١٦٩) .

وقد يحدث عن البخل من الأخلاق المذمومة - وإن كان ذريعة إلى كل مذمة -
أربعة أخلاق ، ناهيك بها ذمًا ؛ وهي الحرص ، والشره ، وسوء الظن ، ومنع
الحقوق .

فأما الحرص .. فهو شدة الكدح ، والإسراف في الطلب .

وأما الشره .. فهو استقلال الكفاية ، والاستكثار لغير حاجة ، وهذا فرق
ما بين الحرص والشره .

وقد روى العلاء بن حريز ، عن أبيه ، عن سالم بن مسرور قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ لَا يُجْزِيهِ مِنَ الْعَيْشِ مَا يَكْفِيهِ .. لَمْ يَجِدْ
مَا عَاشَ مَا يُغْنِيهِ »^(١) .

وقال بعض الحكماء : (الشره من غرائز اللؤم)^(٢) .

وأما سوء الظن .. فهو عدم الثقة بمن هو لها أهل ؛ فإن كانت بالخالق ..
كانت شكًا يؤول إلى ضلال ، وإن كانت بالمخلوق .. كانت استخانة يصير بها
مُختانًا ، أو خَوَانًا ؛ لأنَّ ظنَّ الإنسان بغيره بحسب ما يراه من نفسه ، فإن وجد فيها
خيرًا .. ظنَّه في غيره ، وإن رأى منها سوءًا .. اعتقده في الناس .

وقد قيل في المثل : (كلُّ إناءٍ ينضجُ بما فيه)^(٣) .

فإن قيل : قد تقدّم من قول الحكماء أنَّ من الحزم سوء الظن .. قيل : تأويله
قلّة الاسترسال إليهم ، لا اعتقادُ السوء فيهم .

(١) أورده الخطّابي في « العزلة » (ص ٤٨) من كلام الحكماء .

(٢) في (ب) : (عزائم اللؤم) .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٠٣) ، و « محاضرات الأدباء » (١ / ٥٧٠) .

وأما منعُ الحقوق . . فإن نفس البخل لا تسمح بفراق محبوبها ، ولا تنقاد إلى ترك مطلوبها ، فلا تدعن لحقٍّ ، ولا تُجيب إلى إنصافٍ .

وإذا آلَ البخلُ إلى ما وصفنا من هذه الأخلاق المدمومة ، والشَّيمِ اللثيمة . . لم يبقَ معه خيرٌ مرجوٌّ ، ولا صلاحٌ مأمولٌ .

وقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال للأَنْصار : « مَنْ سَيِّدُكُمْ ؟ » قالوا : الجدُّ بن قيس على بخلٍ فيه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « وأيّ داءٍ أدوأ من البخل ؟ »^(١) .

قالوا : وكيف ذلك يا رسولَ الله ؟ قال : « إنَّ قومًا نزلوا بساحل البحر ، فكبرهُوا لُبخلهم نُزولَ الأضياف بهم ، فقالوا : ليبعدَ الرجالُ منا عن النساء ؛ حتى يعتذرَ الرجالُ إلى الأضياف ببعدِ النساء ، ويعتذرَ النساءُ ببعدِ الرجال ، ففعلوا وطالَ ذلك بهم ، فاشتغلَ الرجالُ بالرجال ، والنساءُ بالنساء »^(٢) .

فأما السَّرَفُ والتبذير . . فإنَّ مَنْ زاد على حدِّ السخاء . . فهو مسرف ومبذِّر ، وهو بالذَّمِّ جدير .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ .

ورُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما عالَ مَنْ اقتصد »^(٣) .

وقال المأمون : (لا خيرَ في السَّرَف ، ولا سَرَفَ في الخير)^(٤) .

وقال بعض الحكماء : (صديقُ الرجل قصده ، وسَرَفُهُ عدوُّه) .

(١) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٢٩٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٣٦١) عن سيدنا

جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، والمعنى : وأيُّ عيبٍ أقبح من البخل ؟ !

(٢) أورده القرطبي في « تفسيره » (٢٩٢ / ٤) وعزاه للمؤلف .

(٣) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٤٤٧ / ١) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٧١٣٦) ، والبيهقي

في « شعب الإيمان » (٦١٤٩) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٤) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٣٥) ، و « بهجة المجالس » (٦١٤ / ١) من قول الحسن بن

سهل وزير المأمون وقد أنفق أموالاً عظيمة في دخول ابنته على المأمون .

وقال بعض البلغاء : (لا كثير مع إسراف ، ولا قليل مع احتراف)^(١) .

واعلم : أنَّ السَّرَفَ والتبذير قد يفترق معناهما ، فالسَّرَفُ : هو الجهل بمقادير الحقوق ، والتبذير : هو الجهل بمواقع الحقوق ، وكلاهما مذموم ، وذمُّ التبذير أعظم ؛ لأنَّ المسرفَ مخطئٌ في الزيادة ، والمبذرَ مخطئٌ في الجمع .

ومن جهل مواقع الحقوق ومقاديرها بماله وأخطأها . . فهو كمن جهلها بفعاله فتعدَّاهما ، وكما أنه بتبذيره قد يضع الشيء في غير موضعه . . فهكذا قد يعدل به عن موضعه ؛ لأنَّ المال أقلُّ من أن يُوضَعَ في كل موضع من حقٍّ وغير حقٍّ .

وقد قال معاوية بن أبي سفيان : (كلُّ سرفٍ . . فبإزائه حقٌّ مُضَيِّعٌ)^(٢) .

وقال بعض الحكماء : (الخطأ في إعطاء ما لا ينبغي ومنع ما ينبغي واحدٌ)^(٣) .

وقال سفيان الثوري رحمه الله تعالى : (الحلال لا يحتمل السرف)^(٤) .

سرف

وليس يتمُّ السخاء ببذل ما في يده حتَّى تسخو نفسه عمَّا بيد غيره ، فلا يميل إلى طلب ، ولا يكفَّ عن بذل .

وقد حُكي : أنَّ الله تعالى أوحى إلى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام :
(أتدري لِمَ اتَّخَذْتُكَ خَلِيلاً ؟ قال : لا يا ربِّ ، قال : لَأَنِّي رَأَيْتُكَ تَحُبُّ أَنْ تُعْطِيَ ، وَلَا تَحِبُّ أَنْ تَأْخُذَ)^(٥) .

(١) أورده في « نثر الدر » (١٩٤ / ٤) .

(٢) أورده في « عيون الأخبار » (٣٣٢ / ١) ، و « البيان والتبيين » (٢٦٧ / ٣) ، ورواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٦٧٠) من قول سفيان بن عيينة .

(٣) أورده في « ديوان المعاني » (٩٣ / ٢) من قول سقراط .

(٤) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٨٢ / ٦) عن الثوري ، ورواه السلمي في « طبقات الصوفية » (ص ٤٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠٨ / ١٠) عن بشر بن الحارث .

(٥) أورده الديلمي في « الفردوس » (٨٤٢٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وروى سهل بن سعد الساعدي رضي الله تعالى عنه قال : أتى رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ أخبرني بعمل يحبني الله تعالى عليه ، ويحبني الناس ، فقال : « ازهّد في الدنيا . يُحبك الله ، وازهّد فيما في أيدي الناس . يُحبك الناس » (١) .

وقال أيوب السخّيّاني : (لا ينبلُ الرجلُ حتّى يكونَ فيه خصلتان : العفّة عن أموال الناس ، والتجاوزُ عنهم) (٢) .

وقيل لسفيان : (ما الزهّد في الدنيا ؟ قال : الزهّد في الناس) (٣) .

وكتب كسرى إلى ابنه هرمز : (يا بني ؛ استقللِ الكثيرَ ممّا تعطي ، واستكثرِ القليلَ ممّا تأخذ ؛ فإنّ قرّةَ عيون الكرام في الإعطاء ، وسرور اللثام في الأخذ ، ولا تعدّ الشحيح أميناً ، ولا الكذاب حرّاً ؛ فإنه لا عفة مع الشخّ ، ولا مروءة مع الكذب) (٤) .

وقال بعض الحكماء : (السخاءُ سخاءان ، وأشرفُهُما سخاؤك عمّا بيد غيرك) (٥) .

وقال بعض البلغاء : (السخاء : أن تكون بمالك متبرّعاً ، وعن مال غيرك متورّعاً) (٦) .

وقال بعض الصلحاء : (الجودُ غايةُ الزهد ، والزهدُ غايةُ الجود) (٧) .

وقال بعض الشعراء :

إذا لم تكنْ نفسُ الشّريفِ شريفةً وإن كان ذا قدرٍ فليس له شرفٌ

(١) رواه الحاكم في « المستدرک » (٣١٣/٤) ، وابن ماجه (٤١٠٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٠٤٤) ، والطبراني في « الكبير » (١٩٣/٦) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « مداراة الناس » (٣٤) ، وابن المقرئ في « المعجم » (٥٣٠) .

(٣) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦٩/٧) ، وأورده في « ربيع الأبرار » (١٩٣/٢) .

(٤) أورده في « البصائر والذخائر » (١٨١/٧) .

(٥) القول لابن المقفّع في « الأدب الكبير » (ص ٢٦٨) ضمن « آثار ابن المقفّع » ، ورواه عنه الجريفي في « المجلس الصالح » (٤٩/٤) .

(٦) أورده في « ديوان المعاني » (١٣٩/١) ، و « نهاية الأرب » (٢٠٤/٣) من قول عمرو بن عبّيد .

(٧) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٠٩) .

والبذل على وجهين : أحدهما : ما ابتدأ به الإنسان من غير سؤال ، والثاني : ما كان عن طلب وسؤال .

فأما المبتدئ به .. فهو أطبعهما سخاء ، وأشرفهما عطاءً .

سئل علي بن أبي طالب عليه السلام عن السخاء ، فقال : (ما كان منه ابتداءً ، فأما ما كان عن مسألة .. فحياءً وتكرُّمٌ)^(١) .

وقال بعض الحكماء : (أجلُّ النِّوالِ : ما وصل قبل السؤال) .

وقال بعض الشعراء^(٢) :

وفتًى خلا من ماله ومن المروءة غير خال
أعطاك قبل سؤاله فكفالك مكروه السؤال

وهذا النوع من البذل قد يكون لأحد تسعة أسباب :

فالسبب الأول : أن يرى خلة يقدر على سدّها ، وفاقة يتمكّن من إزالتها ، فلا يدعّ الكرم أو التدبّن إلا أن يكون زعيم صلاحها ، وكفيل نجاحها ؛ رغبة في الأجر إن تدبّن ، وفي الشكر إن تکرّم^(٣) .

وقال أبو العتاهية :

ما النَّاسُ إِلَّا آلَةٌ مُعْتَمِلَةٌ
للخير والشر جميعاً فعلة

والسبب الثاني : أن يرى في ماله فضلاً عن حاجته ، وفي يده زيادة عن

(١) رواه ابن عساکر في « تاريخ دمشق » (٥١٧/٤٢) .

(٢) البيتان لسلم الخاسر في « ديوانه » (ص ١١٠) ضمن « شعراء عباسيون » لغرونيانوم ، وفي « ديوان عبد الله بن المبارك » (ص ٨٨) ، والبيت الثاني في « ديوان صريع الغواني » (ص ٣٣٦) .

(٣) في (د) : (رغبة في الأجر أن يتوفّر ، وفي الشكر أن يكثر) .

كفايته ، فيرى انتهاز الفرصة بها ، فيضعها حيث تكون له ذخراً مُعدّاً ، وغنماً مُستجداً .

فقد قال الحسن البصري : (ما أنصفك مَنْ كَلَّفَكَ إجلاله ، ومنعَكَ ماله)^(١) .

وقيل لهند بنت الحُصَّ : (مَنْ أعظمُ الناسِ في عَيْنِكَ ؟ قالت : مَنْ كان لي إليه حاجةً)^(٢) .

وقال الشاعر^(٣) :

[من الطويل]

وما ضاعَ مالٌ ورثَ الحمدَ أهلهُ ولكنَّ أموالَ البخيلِ تضيعُ

والسبب الثالث : أن يكون لتعريضِ يتنبَّه عليه بفطنته ، وإشارةٍ يستدلُّ عليها بكرمه ، فلا يدعه الكرمُ أن يغفل ، ولا الحياءُ أن يكفَّ ؛ كالذي حُكي أن رجلاً سائرَ بعضِ الولاة ، فقال : (ما أهزلُ بِرِذْوَنِكَ !! فقال : يدُه مع أيدينا)^(٤) ، فوصله اكتفاءً بهذا التعريض الذي بلغ ما لا يبلغه صريحُ السؤال .

ولذلك قال أكثم بن صيفي : (السخاءُ : حسنُ الفطنة ، واللؤمُ : سوء التغافل)^(٥) .

وحُكي : أن عبيد الله بن سليمان لما تقلَّد وزارة المعتضد . . كتب إليه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ، فقال :

[من الطويل]

أبى دهرُنا إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا فيمَن نحبُّ ونُكرمُ
فقلت له نِعْمَاكَ فيهم أتمَّها ودعْ أمرنا إنَّ المَهمَّ المَقْدَمُ

(١) أورده في « الأجوبة المسكتة » (١١٣٨) ، و « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٣) ، و « زهر الآداب » (٥٦/١) .

(٢) أورده في « نثر الدرر » (٥٧/٤) .

(٣) البيت لبشار في « ديوانه » (١٢١/٤) .

(٤) أورده في « الأجوبة المسكتة » (١١٣٨) ، و « محاضرات الأدباء » (٣٧٤/٢) ، يده مع أيدينا : عساراً ويساراً ؛ يعني : أن سمته ورفاهه مع سعتنا وإكثارنا ، فليس وليس .

(٥) أورده في « نثر الدرر » (١٥١/٤) ، و « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٣١) .

فقال عبيد الله : (ما أحسنَ ما شكَا أمرَه بين أضعاف مدحه !!) وقضى حاجته^(١) .

ولذلك قال بعض الشعراء :

وَمَنْ لَا يَرَى مِنْ نَفْسِهِ مُذْكَرًا لَهَا رَأَى طَلَبَ الْمُسْتَجِدِينَ ثَقِيلًا

والسبب الرابع : أن يكون ذلك رعايةً ليد ، أو جزاءً على صَنِيعَةٍ ، فيرى تأدية الحقِّ عليه طَوْعاً ؛ إمَّا أَنفَةً ، وإمَّا شكرًا ؛ ليكون من أَسْرِ الامتنان طليقاً ، ومن رِقِّ الإحسان عتيقاً .

وقد قال بعض الحكماء : (الإحسانُ رِقٌّ ، والمكافأةُ عِتْقٌ)^(٢) .

وقال أبو العتاهية^(٣) :

وَلَيْسَتْ أَيَادِي النَّاسِ عِنْدِي غَنِيمَةٌ وَرُبَّ يَدٍ عِنْدِي أَشَدُّ مِنْ الْأَسْرِ

والسبب الخامس : أن يؤثر الإذعان بتقديمه ، والإقرار بتعظيمه ؛ توطيداً لرئاسة هو لها محبٌّ ، وعلى طلبها مكبٌّ .

وقد قال الشاعر^(٤) :

حُبُّ الرِّيَاسَةِ دَاءٌ لَا دَوَاءَ لَهُ وَقَلَّمَا تَجَدُّ الرَّاظِينَ بِالْقِسَمِ

فتستصعب عليه إجابةُ النفوس له طَوْعاً إلا بالاستعطاف ، وإذعانها إلا بالرغبة والإسعاف ؛ فقد قال بعض الأدباء : (بالإحسان يرتبط الإنسان) .

وقال بعض البلغاء : (مَنْ بذل مَالَهُ . . أدرك آمالَهُ) .

(١) أورده في « البصائر والذخائر » (٢٠٣ / ٨) ، و « زهر الآداب » (٨٧٣ / ٢) .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٢٢) ، و « نثر الدرر » (١٥٢ / ٣) .

(٣) البيت في « ديوانه » (ص ٥٥٤) .

(٤) البيت في « ديوان عبد الله بن المبارك » (ص ٦١) .

[من الوافر]

وقال بعض الشعراء^(١) :

أترجُو أن تُسودَ ولا تُعنَى وكيف يُسودُ ذو الدَّعةِ البخیلُ

والسبب السادس : أن يستدفع به سطوة الأعداء ، ويستكف به نِفَارَ الخصماء ؛ ليصيروا له بعد الخصومة أعواناً ، وبعد العداوة إخواناً ؛ إمّا لصيانة عرض ، وإمّا لحراسة مجد .

[من الطويل]

وقد قال أبو تَمّام الطائي^(٢) :

فلم يجتمعْ شرقٌ وغربٌ لقاصِدٍ ولا المجدُ في كفٍّ امرئٍ والدِّراهِمُ
ولم أرَ كالْمَعْرُوفِ تُدعى حُقُوقُهُ مَغَارِمَ في الأقوامِ وَهِيَ مَغَانِمُ
وقال بعض الأدباء : (مَنْ عَظُمَتْ مَرافِقُهُ . . أعَظَمَهُ مُرافِقُهُ) .

والسبب السابع : أن يُرَبِّ به سالفَ صَنِيعَةٍ أُولاهَا ، ويراعي به قديمَ نعمةٍ أسداها ؛ كي لا يُنسى ما أُولاه ، أو يُضَاعَ ما أسداه ؛ فَإِنَّ مَقْطُوعَ الْبِرِّ ضائع ، ومُهْمَلُ الْإِحْسَانِ ضالٌّ .

[من الطويل]

وقد قال الشاعر^(٣) :

وَسَمَتَ امرأً بِالْعُرْفِ ثُمَّ أَطْرَحَتْهُ ومن أَفْضَلَ الْأَشْيَاءِ رَبُّ الصَّنَائِعِ

[من الطويل]

وقال محمد بن داود الأصبهاني^(٤) :

بَدَأْتُ بِنُعْمَى أَوْجَبَتْ لِي حُرْمَةً عَلَيْكَ فَعُدْ بِالْفَضْلِ فَالْعَوْدُ أَحْمَدُ

(١) أورد البيت في « البيان والتبيين » (٢٧٥ / ١) للأعلام الهذلي ، وفي « محاضرات الأدباء » (١ / ٣٢٥) .

(٢) البيتان في « ديوانه » (١٧٨ / ٣) .

(٣) أورد البيت في « ربيع الأبرار » (٥٨٥ / ٤) دون نسبة .

(٤) البيت ليس في مطبوع « ديوانه » .

والسبب الثامن : المحبةُ التي يؤثر بها المحبوبُ على ماله ، فلا يَضُرُّ عليه بمرغوب ، ولا يَنْفُسُ عليه بمطلوب ؛ لِلذَّةِ التي هي عنده أحلى ، وإلى نفسه أشهى ؛ لأنَّ النفسَ إلى محبوبها أَشَوَّ ، وإلى مُمايلته أَسَبُّ .

وقد قال الشاعر^(١) :

وما زُرْتُكُمْ عَمْدًا وَلَكِنَّ ذَا الْهَوَىٰ
إِلَىٰ حَيْثُ يَهْوَى الْقَلْبُ تَهْوِي بِهِ الرَّجُلُ
وهذا وإن دخل في أقسام العطاء . . فخارجٌ عن حدِّ السخاء ، وهكذا الخامس والسادس من هذه الأسباب ، وإنَّما ذكرناها ؛ لدخولها تحت أقسام العطاء .

والسبب التاسع وليس بسبب : أن يفعل ذلك لغير ما سبب ، وإنَّما هي منه سَجِيَّةٌ قد فُطِرَ عليها ، وشِيمَةٌ قد طُبِعَ بها ، فلا يَمِيزُ بين مستحقٍّ ومحروم ، ولا يفرِّق بين محمود ومذموم ؛ كما قال بشار^(٢) :

لَيْسَ يُعْطِيكَ لِلرَّجَاءِ وَلَا الْخَوْفِ وَلَكِنْ يَلْدُ طَعْمَ الْعَطَاءِ

وقد اختلف الناس في مثل هذا ؛ هل يكون منسوباً إلى السخاء فيُحَمَّدَ ، أو خارجاً عنه فيُذَمُّ ؟

فقال قوم : هذا هو السخيُّ طبعاً ، والجوادُ كرمًا ، وهو أحقُّ ممَّن كان به ممدوحاً ، وإليه منسوباً .

قالوا : (والتمييزُ شرطُ البخلِ ، والبذلُّ لسببٍ إيجابٍ ضرورة) .

وقال أبو تمام^(٣) :

مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبٍ يُدْنِي سَبَبًا لِلْحُرِّ أَنْ يَجْتَدِي حُرًّا بَلَا سَبَبٍ

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٨٦) لعبد الملك الحارثي المعروف بـ (اللُّجلاج) .

(٢) البيت في « ديوانه » (١٣٦ / ١) .

(٣) البيت في « ديوانه » (١١٥ / ١) .

وقد قال الحسن بن سهل : (إذا لم أعطِ إلا مستحقاً . فكأنني أعطيت غريماً)^(١) .
وقال : (الشَّرَفُ في السَّرَفِ ، فقليل له : لا خيرَ في السَّرَفِ ، فقال : لا
سَرَفَ في الخير)^(٢) .

وقال الفضل بن سهل : (العَجَبُ لِمَن يَرجو مَن فوقه كيف يحرمُ مَن
دونه !؟)^(٣) .

وقال بشار^(٤) :

[من الطويل]
وما الناسُ إلا صاحبانِ فمنهُم سَخِيٌّ ومغلولُ اليدينِ مِنَ البُخلِ
فسامِحٌ يداً ما أمكتَكَ فإنَّها تُقِلُّ وتُثْري والعَوَازِلُ في شُغلِ
وقال آخرون : هذا خارجٌ من السخاء المحمود إلى السَّرَفِ والتبذير
المذموم ؛ لأنَّ العطاء إذا كان لغير سببٍ . . كان المنع لغير سبب ؛ لأنَّ المالَ يَقِلُّ
عن الحقوق ، ويقصرُ عن الواجبات ؛ فإذا أعطى غيرَ مستحقٍّ . . فقد يمنع
مستحقاً .

وما يناله من الذمِّ بمنع المستحقِّ أكثرُ ممَّا يناله من الحمد بإعطاء غير
المستحقِّ ، وحسبك ذمًّا بمن كانت أفعاله تصدر عن غير تمييز ، وتوجد لغير
علَّة .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ
مَلُومًا تَحْسُرًا ﴾ ، فنهى عن بسطها سرفاً ، كما نهى عن قبضها بخلاً ، فدلَّ على
استواء الأمرين ذمًّا ، وعلى اتفاقهما لوماً .

وقال الشاعر^(٥) :

وكان المالُ يأتينا فكُنَّا نُبْذِرُهُ وليس لنا عُقُولُ

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٤٧) .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٣٥) ، و « بهجة المجالس » (٦١٤ / ١) .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٤٧) .

(٤) البيتان في ملحق « ديوانه » (١٦٤ / ٤) .

(٥) أورده في « محاضرات الأدباء » (٢٩٠ / ٢) دون نسبة ، والبيتان خبراً لفظاً وتحسُّراً وندامةً معنىً .

فَلَمَّا أَنْ تَوَلَّى الْمَالُ عَنَّا عَقَلْنَا حِينَ لَيْسَ لَنَا فُضُولٌ
 قالوا : ولأنَّ العطاء والمنع إذا كانا لغير علة . . أفضيا إلى ذمِّ الممنوع ، وقلة
 شكرِ المُعْطَى ؛ أمَّا الممنوعُ . . فلأنه قد فُضِّلَ عليه مَنْ ساواه .
 وأمَّا المُعْطَى . . فلأنه وجد ذلك اتِّفَاقاً ، وربَّما أمَّلَ بالاتِّفَاقِ أضعافاً ، فصار
 ذلك مُفضِياً إلى اجتلاب الذمِّ ، وإحباط الشكر ، وليس فيما أفضى إلى واحدٍ
 منهما خيرٌ يُرجى ، وهو جديرٌ أن يكونَ شراً يُتَّقَى ، ولمثل هذا قيل : (منعُ
 الجميعِ أرضى للجميعِ)^(١) ، وعطاءٌ يكون المنع أرضى منه . . خسرانٌ مبين .

فأما إذا كان البذل والعطاء عن سؤالٍ وطلبٍ . . فشروطه معتبرةٌ من وجهين :
 أحدهما : في السائل ، والثاني : في المسؤول .

فأما ما كان معتبراً في السائل . . فله ثلاثة شروط :
 الشرط الأول : أن يكون السؤال لسبب ، والطلب لموجب ؛ فإن كان
 لضرورة . . ارتفع عنه الحرج ، وسقط عنه اللوم .
 وقد قال بعض الحكماء : (الضرورة توفِّحُ الصورة) .

وقال بعض الشعراء^(٢) :
 أَلَا قَبَّحَ اللَّهُ الضَّرُورَةَ إِنَّهَا تُكَلِّفُ أَعْلَى الْخَلْقِ أَدْنَى الْخَلَائِقِ
 وَلِلَّهِ دَرُّ الْإِتْسَاعِ فَإِنَّهُ يُبَيِّنُ فَضْلَ السَّبْقِ مِنْ غَيْرِ سَابِقٍ
 وقال الكمي^(٣) :

إذا لم يكن إلا الأسنَّة مَرَكَبٌ فلا رأي للمُضْطَرِّ إلا رُكُوبُهَا

(١) أورده في « جمهرة الأمثال » (١٩٥ / ٢) ، و « عيون الأخبار » (٤ / ٢) من قول محمد بن الجهم .

(٢) أورد البيهقي في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٠٤) .

(٣) البيت في « ديوانه » (ص ٧١) .

فإن ارتفعت الضرورة ، ودعت الحاجة فيما هو أولى الأمرين أن يكون وإن جاز ألا يكون . . فالنفسُ المُسامحة تُغلبُ الحاجةَ ، وتسمح في الطلب ، وتراعي ما استقام به الحال ، وانتظم به الأمرُ وإن نالته بذلةٌ ، ولحقها وهنٌ ، ويُتأَوَّل لصاحبها قولُ البحريّ^(١) :

وربّما كان مكروهُ الأمورِ إلى محبوبها سبباً ما مثله سببُ
والنفس الشريفة تطلب الصيانة ، وتراعي النزاهة ، وتحتمل من الضُرِّ ما احتملت ، ومن الشدة ما أطاقت ؛ ليبقى تجملُها ، ويدومَ تصوُّنُها ، فتكون كما قال الشاعر^(٢) :

رَأَوْا بِرَزِّي فَقَضَوْا أَتْنِي مَنَ الْمَالِ فِي ثَرَوَةٍ مُثْرِيَّةٍ
فَقُلْتُ لَهُمْ لَيْسَ مَا قَسْتُمْ سَوَاءً لَدَى الْعَدْلِ وَالتَّسْوِيَةِ
وَقَدْ يَكْتَسِي الْمَرْءُ خَزَّ الثِّيَابِ وَمِنْ دُونِهَا حَالَةٌ مُضْنِيَّةٌ
كَمَنْ يَكْتَسِي خَذُهُ حُمْرَةً وَعَلَتْهَا وَرَمٌ فِي الرِّيَّةِ
ولا يرى أن يتدنَّس بمطالب الشؤم ، ومطالع اللؤم ؛ فإن من البهائم الوحشية ما يأبى ذلك ، ويأنف منه ، قال الشاعر^(٣) :

وَلَيْسَ اللَّيْثُ مِنْ جُوعٍ بَغَادٍ عَلَى جَيْفٍ تَحِيْطُ بِهَا كِلَابُ
فكيف بالإنسان الفاضل الذي هو أكرمُ الحيوان جنساً ، وأشرفه نفساً ، هل يحسن به أن يرى لوحشِيَّ البهائم عليه فضلاً ؟
وقد قال الشاعر^(٤) :

عَلَى كُلِّ حَالٍ يَأْكُلُ الْمَرْءُ زَادَهُ عَلَى الْبُؤْسِ وَالضَّرَاءِ وَالْحَدَثَانِ
والفضلُ في مثل هذا ما قيل لبعض الزُّهاد : (لو سألت جارك . . لأعطاك ؟

(١) البيت في « ديوانه » (١٧١/١) .

(٢) الأبيات في « ديوان البستي » (ص ٣٩٨) .

(٣) أورده في « يتيمة الدهر » (٦٠/٣) ، و « محاضرات الأدباء » (٣١٨/٢) لابن حجاج .

(٤) أورد البيت في « مجالس ثعلب » (٤٢١/٢) ، و « التذكرة الحمدونية » (٣٢٠/٤) لأعرابية .

فقال : والله ؛ ما أسأل الدنيا من يملكها ، فكيف من لا يملكها ؟ (١) .

ووصف بعض الشعراء قوماً فقال (٢) :

[من الطويل]

إذا افتَقَرُوا أَغْضَوْا عَلَى الضَّرِّ حِسْبَةً وَإِنْ أَيْسَرُوا عَادُوا سِرَاعاً إِلَى الْفَقْرِ
فَأَمَّا مَنْ يَسْأَلُ مِنْ غَيْرِ ضَرُورَةٍ مَسَتْ ، وَلَا حَاجَةَ دَعَتْ . . فذلِكَ صَرِيحُ اللُّؤْمِ ،
وَمَحْضُ الدَّنَاءَةِ ، وَقَلَمًا تَجِدُ مِثْلَهُ مَلْحُوظًا ، أَوْ مَمُولًا مَحْظُوظًا ؛ لِأَنَّ الْحِرْمَانَ قَادَهُ
إِلَى أَضْيَاقِ الْأَرْزَاقِ ، وَاللُّؤْمَ سَاقَهُ إِلَى أَخْبَثِ الْمَطَاعِمِ ، فَلَمْ يَبْقَ لَوَجْهِهِ مَاءٌ إِلَّا أَرَاقَهُ ،
وَلَا ذَلٌّ إِلَّا ذَاقَهُ ؛ كَمَا قَالَ عَبْدُ الصَّمَدِ بْنِ الْمُعَدَّلِ لِأَبِي تَمَّامِ الطَّائِيِّ (٣) : [من الخفيف]

أَنْتَ بَيْنَ اثْنَيْنِ تَبْرُزُ لِلنَّاسِ سِوِ وَكِلْتَاهُمَا بِوَجْهِ مُذَالٍ
لَسْتَ تَنْفَكُ طَالِبًا لَوَصَالٍ مِنْ حَبِيبٍ أَوْ طَالِبًا لِنَوَالٍ
أَيُّ مَاءٍ لِحُرِّ وَجْهِكَ يَبْقَى بَيْنَ ذَلِّ الْهَوَى وَذَلِّ السَّوَالِ
وَلَوْ اسْتَقْبَحَ الْعَارَ ، وَأَنْفَ مِنَ الذَّلِّ . . لَوْجَدَ غَيْرَ السَّوَالِ مَكْسَبًا يَمُونَهُ ، وَلَقَدَّرَ
عَلَيْ مَا يَقْلُهُ وَيَصُونَهُ .

وقد قال الشاعر (٤) :

[من الكامل]

لَا تَطْلَبَنَّ مَعِيشَةً بِتَذَلٍّ فَلْيَأْتِيَنَّكَ رِزْقُكَ الْمَقْدُورُ
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ آخِذٌ كُلَّ الَّذِي لَكَ فِي الْكِتَابِ مُجَبَّرٌ مَسْطُورُ

والشرط الثاني من شروط السؤال : أن يضيق الزمان عن إرجائه ، ويقصر الوقت عن إبطائه ، فلا يجد لنفسه في التأخير فُسحة ، ولا في التَّماذي مُهلة ، فيصير من المعذورين ، وداخلاً في عداد المضطَّرين .
فأما إذا كان الوقت متَّسعاً ، والزمان ممتدّاً . . فتعجيلُ السؤال لؤْمٌ وقُنُوطٌ .

(١) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٨٠) ، و« تاريخ بغداد » (٦٤ / ٢٠) من قول سالم بن عبد الله بن عمر مع الخليفة هشام بن عبد الملك .

(٢) أورده في « المجالسة وجواهر العلم » (١٥٨٠ / م) ، و« عيون الأخبار » (٢٤٧ / ١) .

(٣) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٦١) ، ومُذال : مهان .

(٤) أورده البيهقي في « روضة العقلاء » (٥٢٢ / ١) .

وقال الشاعر^(١) :

[من الطويل]

أَبَى لِي إِغْضَاءَ الْجُفُونِ عَلَى الْقَدَى يَقِينِي أَنْ لَا عُسَرَ إِلَّا مُفْرَجُ
أَلَا رُبَّمَا ضَاقَ الْفَضَاءُ بِأَهْلِهِ وَأَمَكْنَ مِنْ بَيْنِ الْأَسْنَةِ مَخْرَجُ

والشرط الثالث : اختيار المسؤول أن يكون مرجو الإجابة ، مأمول النجح ؛
إما لحرمة السائل ، أو لكرم في المسؤول ؛ فَإِنَّ مَنْ سَأَلَ لثِيماً لَا يِرَاعِي حَرَمَهُ ،
وَلَا يُؤَلِي مَكْرُمَةً . . فهو في اختياره ملوم ، وفي سؤاله محروم .

وقد قال بعض الحكماء : (المخذول : من كانت له إلى اللئام حاجة)^(٢) .

وقال بعض البلغاء : (أذلُّ من اللئيم سائله ، وأقلُّ من البخيل نائله) .

وقال بعض الشعراء^(٣) :

[من مجزوء الكامل]

مَنْ كَانَ يَأْمُلُ أَنْ يَرَى مِنْ سَاقِطٍ أَمْرًا سَنِيًّا
فَلَقَدْ رَجَا أَنْ يَجْتَنِي مِنْ عَوْسَجٍ رُطْبًا جَنِيًّا

وأما الشروط المعتمدة في المسؤول . . فثلاثة :

فالشرط الأول : أن يكتفي بالتعريض ، ولا يلجئ إلى السؤال الصريح ؛
ليصون السائل عن ذلِّ الطلب ، فَإِنَّ الْحَالَ نَاطِقَةٌ ، والتعريض كافٍ ، وقد قال
الشاعر^(٤) :

[من المتقارب]

أَقُولُ وَسِتْرُ الدُّجَى مُسْبَلٌ كَمَا قَالَ حِينَ شَكَ الضُّفْدُ

(١) أورد البيهقي القاضي التنوخي في « الفرج بعد الشدة » (٨٩ / ٥) لمحمد بن وهيب الحميري .

(٢) أوردته في « لباب الآداب » (ص ٤٢٩) .

(٣) أورد البيهقي في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٢٦٩) دون نسبة ، وفي النسخ عدا (أ) : (من ساقط نيلاً سنيا) .

(٤) أورد البيهقي في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٢٦١) دون نسبة ، ولقد عرض الشاعر بقصة الضفدع الذي استقرض قمحاً من نملة فردته ، وقالت : لا أرعى جاراً ضيع صيفه بالقهقهة ، فعمل الشاعر استيحاً من تلقي مثل جواب النملة ، فتستر بالدجى ونادى رجاء الإجابة .

كلامِي إِنْ قَلْتُهُ ضَائِرِي وفي الصَّمْتِ حَتْفِي فما أَصْنَعُ

وربّما فهم المسؤول الإشارة ، فألجأ إلى التصريح بالعبارة ؛ تهجيناً للسائل
ليخجل فيمسك ، ويستحيي فيكفّ ، فيكون كما قال أبو تمام^(١) : [من الكامل]
مَنْ كَانَ مَفْقُودَ الْحَيَاءِ فَوَجْهُهُ مِنْ غَيْرِ بَوَابٍ لَهُ بَوَابُ

والشرط الثاني : أَنْ يَتَلَقَّى بِالْبَشَرِ والترحيب ، ويقابل بالطلاقة والتقريب ؛
ليكون مشكوراً إن أعطى ، ومعدوراً إن منع .

وقد قال بعض الحكماء : (إِلَقَ صَاحِبِ الْحَاجَةِ بِالْبَشَرِ ؛ فَإِنْ عَدِمَتْ
شُكْرَهُ .. لَمْ تَعْدَمْ عِذْرَهُ)^(٢) .

وحكى ابنُ لُكَّكَ : أَنَّ أَبَا بَكْرٍ بَنَ دُرَيْدٍ قَصَدَ بَعْضَ الْوُزَرَاءِ فِي حَاجَةٍ فَلَمْ
يَقْضِهَا ، وَظَهَرَ لَهُ مِنْهُ ضَجَرٌ ، فَقَالَ^(٣) :

لَا تَدْخُلَنَّكَ ضَجْرَةٌ مِنْ سَائِلٍ	فَلْخَيْرُ دَهْرِكَ أَنْ تُرَى مُسْؤُولًا
لَا تَجْبَهَنَّ بِالرَّدِّ وَجَهَ مُؤَمِّلٍ	فَبَقَاءُ عِزِّكَ أَنْ تُرَى مَأْمُولًا
تَلْقَى الْكَرِيمَ فَتُسَدِّلُ بِيْشْرِهِ	وَتَرَى الْعُبُوسَ عَلَى اللَّئِيمِ دَلِيلًا
وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ صَائِرٌ	خَبْرًا فَكُنْ خَبْرًا يَرُوقُ جَمِيلًا

والشرط الثالث : تصديق الأمل فيه ، وتحقيق الظنّ به ، ثم اعتبار حاله وحال
سائله ، فإنّهما لا يخلوان من أربع أحوال :

فالحال الأولي : أَنْ يَكُونَ السَّائِلُ مُسْتَوْجِبًا ، وَالْمَسْؤُولُ مُتِمِّكِنًا ؛

(١) البيت في « ديوانه » (٣١١/٤) .

(٢) أورده في « التذكرة الحمدونية » (١٥٩/٨) ، و « ربيع الأبرار » (٥٧٦/٢) .

(٣) الأبيات عدا الثالث منها في « ديوانه » (ص ١٠٥) ، وهي جميعها في « ديوان محمد بن حازم الباهلي »
(ص ٩١ - البقاعي) .

فالإجابة ههنا تُستحقُّ كرمًا ، وتلزم مروءةً ، وليس إلى الردِّ سبيل إلا لمن استولى عليه البخل ، وهان عليه الذمُّ ، فيكون كمن قال فيه عبد الرحمن بن حسان^(١) :

إني رأيتُ من المكارمِ حسبكم أن تلبسوا خَزَّ الثيابِ وتشبعوا
فإذا تذكَّرتِ المكارمِ مرَّةً في مجلسٍ أنتم به فتقنعوا
ونعوذ بالله ممَّن حرم ثروته ماله ، ومنع حسنَ حاله . . أن يكون مستودعاً في صنيعٍ مشكور ، وبرٍّ مذخور .

قيل لبخيل : (لم حبستَ مالك ؟ قال : للنوائب ، قيل : فقد نزلت بك) .

وقال بعض الشعراء :

مالك من مالِكَ إلا الذي قدَّمتَ فابذل طائعاً مالكا
تقولُ أعمالي ولو فتشُّوا رأيتَ أعمالكَ أعمى لكا
ثم قد أسقط حقَّ نفسه ، ورفع أسباب شكره ، فصار كأن لا حقَّ له ؛ مذموماً كمشكور ، ومأثوماً كمأجور .

قال أبو العتاهية^(٢) :

جُزِيَ البخيلُ عليَّ صالحاً إذ لم يُثَقِّل بِرُّهُ ظَهري
أعلى ونزَّةً عن يديه يدي فعَلَّتْ ونزَّةً قدرُهُ قَدري
ما فاتني خيرٌ امرئٍ وضعتُ عنِّي يداهُ مَوُونةَ الشُّكرِ
ورزقتُ من جدِّواهُ عاقبةً ألا يضيِّقَ بِشُكرِهِ صَدري

فإذا لم يكن إلى الردِّ في مثل هذه الحال سبيلٌ . . نظر ؛ فإن كان التأخير مضرّاً . . عَجِّلْ بذَّله ، وقطع مَطْلَه ، وكانت إجابته فعلاً ، وقوله عملاً .

(١) البيت الأول في « كتاب سيبويه » (١٥٣/٣) لعبد الرحمن ، ونسبهما في « الزهرة » (٣٥٥/٢) لسيدنا حسان بن ثابت رضي الله عنه .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٧١) .

وقد قال بعض الحكماء : (من مروءة المطلوب إليه : ألا يُلجىء إلى الإلحاح عليه) .

وقال محمد بن حازم^(١) :

[من الوافر]
ومنتظرٍ سُؤَالَكَ بِالْعَطَايَا وَأَشْرَفُ مِنْ عَطَايَاهُ السُّؤَالُ
إِذَا لَمْ يَأْتِكَ الْمَعْرُوفُ طَوْعاً فَدَعُهُ فَالْتَنَزُهُ عَنْهُ مَالُ
وإن كان في الوقت مهلةً ، وفي التأخير فسحةً . فقد اختلفت مذاهب الفضلاء
فيه :

- فذهب بعضهم إلى أن الأولى : تعجيلُ الوعد قولاً ، ثم يتعقبه الإنجازُ
فعلاً ؛ ليكون السائلُ مسروراً بتعجيل الوعد ، ثم بأجل الإنجاز ، ويكون
المسؤولُ مرهوناً بالكرم ، ملحوظاً بالوفاء .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الْعِدَّةُ عَظِيَّةٌ »^(٢) .
وقال الفضل بن سهل لرجلٍ سأله حاجةً : (أَعِدْكَ الْيَوْمَ ، وَأَحْبُوكَ غَدًا
بِالْإِنْجَازِ ؛ لتذوق حلاوة الأمل ، وأتزيّن بثوب الوفاء)^(٣) .

ووعده يحيى بن خالد رجلاً بحاجةٍ سأله إياها ، فقبل له : (تعدّ وأنت قادر ؟ !
فقال : إنَّ الحاجة إذا لم يتقدّمها وعدٌ ينتظر صاحبُها نُجَحَهُ . . لم يجد سرورها ؛
لأنَّ الوعدَ طُعْمٌ ، والإنجازَ طعامٌ ، وليس مَنْ فاجأه الطعامُ كَمَنْ يجد رائحته
ويتطعمه ، فدعِ الحاجة تختمر بالوعد ؛ ليكون لها طَعْمٌ عند المصطنعِ إليه)^(٤) .

وقال بعض البلغاء : (إذا أحسنت القول . . فأحسن الفعل ؛ ليجتمع لك مزيةُ
اللسان ، وثمرةُ الإحسان ، ولا تقلُ ما لا تفعل ؛ فإنَّك لا تخلو في ذلك من ذنبٍ
تكتسبه ، أو عجزٍ تلتزمه)^(٥) .

(١) البيتان في « ديوانه » (ص ٨٥- العاشور) ، وأوردتهما في « ديوان المعاني » (١٣٩ / ١) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٥٩ / ٨) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٣) رواه في « ديوان المعاني » (٢٠٥ / ٢) ، و « الطيوريات » (٦٨٤) .

(٤) رواه في « ديوان المعاني » (٢٠٤ / ٢) ، وأورد بعضه في « بهجة المجالس » (٤٩٥ / ١) .

(٥) انظر « فيض القدير » (٣٧٧ / ٤) .

- ومنهم مَنْ ذهب إلى : أنَّ تعجيل البذل فعلاً من غير وعدٍ أولى ، وتقديمه من غير ترقيبٍ ولا انتظارٍ أهني ، وإنما يقدم الوعدَ واحدٌ من رجلين : إمّا مُعَوِّزٌ ينتظر جِدَّةً ، وإمّا شحيحٌ يروض نفسه توطئةً ، وليس للوعد في غير هاتين الحالتين وجهٌ يصحُّ ، ولا رأيٌ يتضح مع ما يغيّره الليل والنهار ، وتتقلب به الحال من يسارٍ وإعسار .

وقال بعض الشعراء^(١) :

يا أيُّها المَلِكُ المُقَدَّ مُ أَمْرُهُ شَرْقاً وَغَرْباً
أُمْنُنْ بِخَتْمِ صَحِيفَتِي ما دَامَ هَذَا الطَّيْنُ رَطْباً
واعْلَمْ بأنَّ جَفَافَهُ ممَّا يُعِيدُ السَّهْلَ صَعْباً

قالوا : (ولأنَّ في الرجوع عنه من الانكسار ، وفي توقُّع الوعد من مرارة الانتظار ، وفي العود إليه من بذلة الاقتضاء ، وذلة الاجتداء . . ما يكدرُ برِّه ، ويوهنُ شكره) .

وقد قال الشاعر^(٢) :

إنَّ الحوائجَ ربِّمَّا أزرى بها عندَ الذي تُقضى له تطويلُها
فإذا ضمنتَ لصاحبٍ لك حاجةً فاعْلَمْ بأنَّ تمامها تعجيلُها

والحال الثانية : أن يكون السائل غير مستوجب ، والمسؤول غير متمكِّن ؛ ففي الردَّ فسحة ، وفي المنع عذر ، غير أنه يلين عند الردَّ لينا يقيه الذمَّ ، ويظهر عذراً يدفع عنه اللوم ؛ فليس كلُّ مقلٍّ يعرف ، ولا كلُّ معذورٍ ينصف .

وقال أبو العتاهية يصف الناس^(٣) :

أيا رَبِّ إنَّ النَّاسَ لا يُنصِفُونَنِي فكيفَ وإنَّ أنصفتُهُم ظَلَمُونِي

(١) أورد الأبيات في « الأوائل » (ص ٧٠) ، و « محاضرات الأدباء » (١ / ٢١٤) .

(٢) أورد البيهقي في « تاريخ إربل » (١ / ١٨٨) .

(٣) الأبيات في « ديوانه » (ص ٣٦٥) .

وإن كان لي شيءٌ تصدّوا لأخذه
وإن نالهم بذلي فلا شكرَ عندهم
وإن طرقتني نكبةٌ فكهُوا بها
سأمنعُ قلبي أن يحزنَ إليهم
وأقطعُ أيامي بيومِ سهولةٍ
ألا إن أصفى العيشِ ما طابَ غيبُهُ
وإن جئتُ أبغي شيئهم منعوني
وإن أنا لم أبذلْ لهم شتموني
وإن صحبتني نعمةٌ حسدوني
وأحجبُ عنهم ناظري وجفوني
أقضي بها عمري ويوم حُزوني
وما نلتَه في لذةٍ وسُكونٍ

والحال الثالثة : أن يكون السائل مستوجباً ، والمسؤول غير متمكّن ، فيأتي بالحمل على النفس ما أمكن من يسير يسدّ خلّةً ، ويدفع مدّةً ، أو يوضح من أعذار المُعوّزين أو توجّع المتألّمين . . ما يجعله في المنع معذوراً ، وبالتوجّع مشكوراً ؛ كما قال أبو النصر العتبي رحمه الله (١) :

اللهُ يعلمُ أنّي لستُ ذا بخلٍ ولستُ ملتَمِساً في البُخلِ لي عِللاً
لكنّ طاقةً مثلي غيرُ خافيةٍ والنملُ يُعذّرُ في القدرِ الذي حملاً
وربّما تحسّرَ بحدوثِ العجزِ بعد تقدّمِ القدرة على قوتِ الصّنيعة ،
وزوالِ العادة ، حتّى صار أنضى جسداً ، وأزیدَ كَمَداً ؛ كما قال بعض الشعراء (٢) :

وكنْتُ كَبازِ الجوّ قُصَّ جناحُه يرى حشراتٍ كلّما طارَ طائرُ
يرى طائراتِ الجوّ يخفقن حوْلُه فيذكرُ إذ ريشَ الجناحينِ وافرُ

والحال الرابعة : أن يكون السائل غير مستوجب ، والمسؤول متمكّناً ، وعلى البذل قادراً ، فينظر ؛ فإن خاف بالردّ قدحَ عرضٍ ، أو قبحَ هجاءٍ مُمضٍ . . كان إلى البذل مندوباً ؛ صيانةً لا وجوباً .

(١) أورد البيهقي في « يتيمة الدهر » (٤ / ٤٦٦) .

(٢) أورد البيهقي في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٦٦) .

فقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما وقى المرءُ بهِ عِرْضَه . . فهو له صَدَقَةٌ »^(١) .

وإن أمن ذلك وسلم منه ؛ فمن الناس مَنْ غَلَبَ المسألة ، وأمر بالبذل ؛ لئلا يقابل الرجاء بالخيبة ، والأمل بالإياس ، ثم لما فيه من اعتياد الرَدِّ ، واستسهال المنع ، وكما أن اعتياد البذل مفضٍ إلى السخاء . . كذلك اعتيادُ المنع مفضٍ إلى الشحِّ .

وأنشد الأصمعيُّ عن الكسائيِّ^(٢) :

[من الوافر]

كَأَنَّكَ فِي الْكِتَابِ وَجَدْتَ لَاءً مُحَرَّمَةً عَلَيْكَ فَلَا تَحِلُّ
فَمَا تَدْرِي إِذَا أُعْطِيتَ مَا لَّا أَكْثَرُ مِنْ سَمَاحِكَ أَمْ يَقِلُّ
إِذَا حَضَرَ الشِّتَاءُ فَأَنْتَ شَمْسٌ وَإِنْ حَضَرَ الْمَصِيفُ فَأَنْتَ ظِلُّ

ومن الناس مَنْ اعتبر الأسباب ، وغلبَ حال السائل ، وندب إلى المنع إذا كان العطاء في غير حق ؛ ليقوى على الحقوق إذا عرضت ، ولا يعجز عنها إذا لزمته وتعيَّنت .

وقال بعض الشعراء^(٣) :

[من الخفيف]

لَا تَجُدْ بِالْعَطَاءِ فِي غَيْرِ حَقٍّ لَيْسَ فِي مَنَعٍ غَيْرِ ذِي الْحَقِّ بُخْلُ
إِنَّمَا الْجُودُ أَنْ تَجُودَ عَلَى مَنْ هُوَ لِلْجُودِ وَالنَّدَى مِنْكَ أَهْلُ

فأما مَنْ أجاب السَّوْالَ ، ووعد بالبذل والنَّوَالَ . . فقد صار بوعده مرهوناً ، وصار وفاؤه بالوعد مقروناً ، ولا اعتبارَ باستحقاق السائل بعد الوعد ، ولا سبيلَ

(١) رواه الحاكم في « المستدرک » (٥٠ / ٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٢٢٠) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

(٢) البیتان الأخیران لبکر بن النطّاح في « دیوانه » (ص ٣١) ، وأوردها في « العقد الفريد » (٤٥٠ / ٣) دون نسبة .

(٣) البیتان لصالح بن عبد القدّوس في « دیوانه » (ص ١١٨) .

إلى مراجعة نفسه في الردِّ ، فيستوجب مع ذمِّ المنع لؤمُ المُخْلِيفِ ، ومقت الغادر ، وهُجْنَةُ الكَذُوبِ .

ثم لا سبيلَ إلى مَطله بعد الوعد ؛ لما في المَطل من تكدير الصَّنِيعِ ، وتمحيق الشكر ، والعرب تقول في أمثالها : (المَطلُ : أحدُ المَنعِينِ ، واليأسُ : أحدُ النُّجَحِينِ)^(١) .

وقال بشار بن برد^(٢) :

[من الطويل]
أَظَلَّتْ عَلَيْنَا مِنْكَ يَوْمًا غَمَامَةٌ أَضَاءَتْ لَنَا بَرْقًا وَأَبْطَأَ رَشَاشُهَا
فَلَا غَيْمُهَا يُجْلَى فَيُئَسُّ طَامِعٌ وَلَا غَيْثُهَا يَأْتِي فَيُرَوَّى عِطَاشُهَا
ثم إذا أنجز وعده ، وأوفى عهده . . لم يُبِعْ نَفْسَهُ مَا أُعْطِيَ ، وَسُرَّ إِذْ كَانَتْ يَدُهُ
الْعُلْيَا ، قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى »^(٣) .
وقال الشاعر^(٤) :

[من الطويل]
وإِنَّكَ لَا تَدْرِي إِذَا جَاءَ سَائِلٌ أَنْتَ بِمَا تُعْطِيهِ أَمْ هُوَ أَسْعَدُ
عَسَى سَائِلٌ ذُو حَاجَةٍ إِنْ مَنَعْتَهُ مِنْ الْيَوْمِ سُؤلاً أَنْ يَكُونَ لَهُ غَدُ
وليكن من سروره إذ كانت الأرزاق مقدرةً ، أن تكونَ على يده جاريةً ، ومن جهته واصلهً ، لا تتنقل عنه بمنع ، ولا تتحوَّل عنه بإياس .

حُكِيَ : أَنَّ رَجُلًا شَكََا كَثْرَةَ عِيَالِهِ إِلَى بَعْضِ الزَّهَّادِ ، فَقَالَ : (انْظُرْ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ لَيْسَ رِزْقُهُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى . . فَحَوِّلْهُ إِلَى مَنْزِلِي)^(٥) .

وقال ابن سيرين لرجلٍ كان يَأْتِيهِ عَلَى دَابَّةٍ ، فَفَقَدَ الدَّابَّةَ وَلَمْ يَرَهَا تَحْتَهُ ، فَقَالَ

(١) أورده في « البصائر والذخائر » (١٩/٩) ، و « التذكرة الحمدونية » (٢٥٨/٩) .

(٢) البيهقي في « ديوانه » (١٠٤/٤) .

(٣) رواه البخاري (١٤٢٩) ، ومسلم (١٠٣٣) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٤) أورده البيهقي في « خزنة الأدب » (٥٥٩/٨) لأبي اللّحَامِ حُرَيْثِ التَّغْلِبِيِّ .

(٥) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٢٧٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٤٥/٦) ،

والزاهد : إبراهيم بن أدهم رحمه الله تعالى .

له : (ما فعل بردؤنك ؟ قال : اشتدَّت عليَّ مؤونته فبعته ، قال : أفتراه خلف رزقه عندك ؟) (١) .

وقال ابن الرومي (٢) :

أَنَّ اللَّهَ غَيْرَ مَرَعَاكَ مَرَعَى نَرْتَعِيهِ وَغَيْرَ مَائِكَ مَاءً
أَنَّ اللَّهَ بِالْبَرِيَّةِ لُطْفًا سَبَقَ الْأُمَّهَاتِ وَالْآبَاءَ
ثم ليكن غالبُ عطائه لله تعالى ، وأكثرُ قصده ابتغاء ما عنده ؛ كالذي حكاه أبو بكره
عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : أَنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَاهُ فَقَالَ : [من مشطور الرجز]

يَا عَمْرُ الْخَيْرُ جُرِيتَ الْجَنَّةُ
أَكْسُ بُيَّاتِي وَأُمَهَّيْنَهُ
وَكُنْ لَنَا مِنَ الزَّمَانِ جُنَّةُ
أَقْسِمُ بِاللَّهِ لَتَفْعَلَنَّ

فقال عمر رضي الله عنه : (إن لم أفعل .. يكون ماذا ؟) فقال :

إِذَا أَبَا حَفْصٍ لَأَذْهَبَنَّ

فقال : (فإذا ذهبت .. يكون ماذا ؟) قال :

يَكُونُ عَنْ حَالِي لَتَسْأَلَنَّهُ
يَوْمَ تَكُونُ الْأَعْطِيَاتُ هَنَّةُ
وَمَوْقِفُ الْمَسْؤُولِ بَيْنَهُنَّ
إِمَّا إِلَى نَارٍ وَإِمَّا جَنَّةُ

فبكى عمر رضي الله عنه حتَّى اخضَلَّتْ لحيته ، ثم قال : (يا غلامُ ؛ أعطه قميصي هذا لذلك اليوم ، لا لشعره ، أمَّا والله ؛ لا أملك غيره) (٣) .

فإذا كان العطاء على هذا الوجه .. خلا من طلب جزاء وشكر ، وعري من

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢ / ٢٦٥) ، وصاحب البرذون : سَلَّمَ بن قتيبة رحمه الله تعالى .

(٢) البيتان في « ديوانه » (١ / ٨٨) ، وهمزة (أُنْ) مفتوحة في الموضعين ؛ لأنها مسبوقه بـ (تَعْلَمُ) و (تَبَيَّنَ) .

(٣) رواه الجبري في « المجلس الصالح » (٢ / ٢٣٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٤ / ٣٤٩) .

امتنانٍ ونشر ، فكان ذلك أشرفَ للباذل ، وأهنأ للقابل .

فأما المُعطي إذا التمس بعطائه الجزاء ، وطلب به الشكرَ والثناءً . . فخارجُ
بعطائه عن حكم السَّخاء ؛ لأنَّه إن طلب به الشكرَ والثناءً . . كان صاحب سمعةٍ
ورياء ، وفي هذين من الذمِّ ما يُنافي السخاء ، وإن طلب به الجزاء . . كان تاجراً
مترجِّحاً ، لا يستحقُّ حمداً ولا مدحاً .

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَمْنُنْ
تَسْكَثُ ﴾ : (إنه الذي يُعطي عطيةً يلتمس بها أفضلَ منها) .

وكان الحسن البصري يقول في تأويل ذلك : (لا تمننْ بعملك تستكثرُ على
ربِّك) (١) .

وقال أبو العتاهية (٢) :

وليسَتْ يَدٌ أَوْلَيْتَهَا بَغْنِمَةً إذا كنتَ تبغي أنْ تُعَدَّ لها شُكْراً
غنى المرء ما يكفيه من سدِّ خَلَةٍ فإنْ زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقراً
واعلم : أنَّ الكريم يُجْتَدَى بالكرامة واللفظ ، والمهين اللثيم يُجْتَدَى بالمهانة
والعنف ، فلا وجود إلا خوفاً ، ولا يُجيب إلا عنفاً ، كما قال الشاعر (٣) : [من الطويل]
رَأَيْتُكَ مِثْلَ الْجَوْزِ يَمْنَعُ لُبَّهُ صحيحاً ويُعطي خيره حينَ يُكْسَرُ
فاحذر أن تكون المهانة طريقاً إلى اجتدائك ، والخوف سبيلاً إلى إعطائك ،
فتجرَّ عليك سَفَهَ الطَّغَامِ (٤) ، وامتهان اللثام ، وليكن جودك كرمًا ورغباً ، لا لؤماً
ورهباً ؛ كي لا يكون مع الوَصمة ؛ كما قال العباس بن الأحنف (٥) : [من المنسرح]
أَحْرَمُ مِنْكُمْ بِمَا أَقُولُ وَقَدْ نال به العاشقونَ مَنْ عَشِقُوا

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (١٤ / ٢٩ / ١٨٠ - ١٨١) .

(٢) البيتان في « ديوانه » (ص ١٥٩) ، والبيت الثاني نسبهُ أبو تمام في « الحماسة » (٣ / ١٤٥) بشرح
التبريزي لسالم بن وابصة الأسدي .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٢٧١) .

(٤) الطَّغَام : الأراذل والأوغاد .

(٥) البيتان في « ديوانه » (ص ٢٢١) ، والذُّبالة : الفتيلة التي يُصَبِّحُ بها السَّراج .

صِرْتُ كَأَنِّي ذُبَالَةٌ نُصِبْتُ تُضِيءُ لِلنَّاسِ وَهِيَ تَحْتَرِقُ

وأما النوع الثاني من البرِّ.. فهو المعروف ، ويتنوع أيضاً نوعين : قولٌ ، وعملٌ .

فأما القولُ : فهو طيب الكلام ، وحسن البشر ، والتودُّد بجميل القول ، ولهذا يبعث عليه حسن الخلق ، ورقة الطبع ، ويجب أن يكون محدوداً كالسخاء ؛ فإنه إن أسرف فيه.. كان مَلَقاً مذموماً ، وإن توسَّط واقتصد فيه.. كان معروفاً وبراً محموداً .

وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما في تأويل قوله تعالى : ﴿وَالْبَقِيَّةُ الصَّالِحَةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ : (إنها الكلام الطيب) .

وكان سعيد بن جبير يتأول : (أنها الصلوات الخمس) .

وعن مالك رضي الله تعالى عنه أنه قال : (هي قولُ العبدِ : سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، ولا إله إلا الله)^(١) .

وروى سعيد^(٢) ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّكُمْ لَنْ تَسْعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ ؛ فَلْيَسْعَهُمْ مِنْكُمْ بَسْطُ الْوَجْهِ ، وَحُسْنُ الْخُلُقِ »^(٣) .

وروي : أن النبي صلى الله عليه وسلم أنشد عنده قول الأعرابي : [من الطويل]

وَحَيَّ ذَوِي الْأَضْغَانِ تَسْبِ قُلُوبُهُمْ تَحِيَّتُكَ الْحُسْنَى فَقَدْ يُرْقِعُ النَّغْلَ
فَإِنْ نَبَسُوا بِالْمَكْرِ فَاعْفُ تَكْرُمًا وَإِنْ خَسَنُوا عَنْكَ الْحَدِيثَ فَلَا تَسْلَ
فَإِنَّ الَّذِي يُوْذِيكَ مِنْهُ سَمَاعُهُ وَإِنَّ الَّذِي قَالُوا وَرَاءَكَ لَمْ يَقْلَ

(١) روى الأقوال الطبري في « تفسيره » (٣١٣ ، ٣٠٩ / ١٥ / ٩) ، وقول مالك في « الموطأ » (٢١٠ / ١) .

(٢) في النسخ عدا (هـ) : (أبو سعيد) والمثبت هو الصواب ؛ لأن المقصود هو سيدنا سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥٨٤٢) ، وأبو يعلى في « المسند » (٦٥٥٠) .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنْ الشَّعْرِ لِحُكْمًا ، وَإِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لِسِحْرًا »^(١) .

وقيل للعتابي : (إِنَّكَ تَلْقَى الْعَامَةَ بِبَشِيرٍ وَتَقْرِبُ ؟) قال : دَفَعُ ضَغِينَةَ بَاسِرٍ مَوْوَنَةً ، وَاکْتَسَابُ إِخْوَانٍ بِأَهْوَنٍ مَبْذُولٍ^(٢) .

وقيل في منشور الحكم : (مَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ . . قَلَّ أَحْبَاؤُهُ)^(٣) .

وقال بعض الشعراء^(٤) :

بُنِيَ إِنْ الْبِرِّ شَيْءٌ هَيْنُ وَجَهٌ طَلِيقٌ وَكَلَامٌ لَيْنُ
وَأُنْشَدَنِي بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ :

الْمَرْءُ لَا يُعْرِفُ مِقْدَارَهُ مَا لَمْ تَبْنِ لِلنَّاسِ أَفْعَالَهُ
وَكُلُّ مَنْ يَمْنَعُنِي بِشْرَهُ فَقَلَّمَا يَنْفَعُنِي مَالُهُ

وَأَمَّا الْعَمَلُ : فَهُوَ بَذْلُ الْجَاهِ ، وَالْإِسْعَادُ بِالنَّفْسِ ، وَالْمَعُونَةُ فِي النَّائِبَةِ ، وَهَذَا يَبْعَثُ عَلَيْهِ حُبُّ الْخَيْرِ لِلنَّاسِ ، وَإِثَارُ الصَّلَاحِ لَهُمْ ، وَلَيْسَ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ سَرْفٌ ، وَلَا لَغَايَتَهَا حَدٌّ ، بِخِلَافِ النَّوعِ الْأَوَّلِ ؛ لِأَنَّهَا وَإِنْ كَثُرَتْ . . فَهِيَ أَفْعَالُ خَيْرٍ تَعُودُ بِنَفْعَيْنِ ؛ نَفْعٍ عَلَى فَاعِلِهَا فِي اكْتِسَابِ الْأَجْرِ ، وَجَمِيلِ الذِّكْرِ ، وَنَفْعٍ عَلَى الْمُعَانِ بِهَا فِي التَّخْفِيفِ عَنْهُ ، وَالْمُسَاعَدَةِ لَهُ .

وَقَدْ رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ الْمُنْكَدَرِ ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا :

(١) أوردته في « العقد الفريد » (٣٣٦/٢) ، و« العملة » (٤٠٨/١) ، والمنشد : هو سيدنا العلاء بن الحضرمي رضي الله عنه ، والمرفوع رواه الحاكم في « المستدرک » (٦١٣/٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨٢/٢٤) . والنقل : فساد الجلد في دباغه ، وفي (ج) : (يُرْفَعُ النَّعْلُ) أي : الضَّغْنُ . ونبسوا : تكلَّموا أَقَلَّ الكلام .

(٢) رواه في « تاريخ بغداد » (٤٨٧/١٢) ، وأوردته في « بهجة المجالس » (٦٦٥/١) .

(٣) ذكره في « فيض القدير » (٣٣/٥) .

(٤) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (١٤٨) عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وأوردته في « محاضرات الأدباء » (٥٧٢/١) لسفيان بن عيينة رحمه الله تعالى .

أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ »^(١) .

وقال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ الشُّوءِ »^(٢) .
وعنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « الْمَعْرُوفُ كَاسِمُهُ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ
الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَعْرُوفُ وَأَهْلُهُ »^(٣) .

وقال عليُّ بن أبي طالب عليه السلام : (لَا يَزْهَدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ كُفْرٌ مَن
كَفَرَهُ ؛ فَقَدْ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ بِإِضْعَافٍ جُحُودَ الْكَافِرِ)^(٤) .

وقال الحطّيثُ^(٥) :

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
وَأُنْشِدَ الرِّيَاشِيَّ^(٦) :

يَدْ الْمَعْرُوفِ غُنْمٌ حَيْثُ كَانَتْ تَحْمَلُهَا كَفُورٌ أَوْ شَكُورٌ
فَفِي شُكْرِ الشُّكُورِ لَهَا جِزَاءٌ وَعِنْدَ اللَّهِ مَا كَفَرَ الْكُفُورُ

فينبغي لِمَنْ قَدَّرَ عَلَى إِسْدَاءِ الْمَعْرُوفِ : أَنْ يَعْبِجْهُ حَذَرُ فَوَاتِهِ ، وَيَبَادِرْ بِهِ خِيفَةَ
عَجْزِهِ ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مِنْ فُرْصِ زَمَانِهِ وَغَنَائِمِ إِمْكَانِهِ ، وَلَا يَهْمَلْ ثِقَةً بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ ،
فَكَمْ مِنْ وَائِقٍ بِالْقُدْرَةِ زَالَتْ عَنْهُ ، وَمِنْ مَهْمَلٍ الْمَعْرُوفِ خَابَ مِنْهُ ، وَكَمْ وَائِقٍ
بِقُدْرَةِ فَاتَتْ ، فَأَعْقَبَتْ نَدَمًا ، وَمَعْوَلٍ عَلَى مُكْنَةِ زَالَتْ ، فَأَوْرَثَتْ خَجَلًا ؛ كَمَا قَالَ
الشَّاعِرُ^(٧) :

مَا زِلْتُ أَسْمَعُ كَمَ مِنْ وَائِقٍ خَجِلَ حَتَّى ابْتَلَيْتُ فَكُنْتُ الْوَائِقَ الْخَجِلَا

(١) رواه البخاري (٦٠٢١) ، والترمذي (١٩٧٠) .

(٢) رواه الشهاب في « المسند » (١٠٢) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٩٤٣) عن سيدنا معاوية بن
حِذَّة رضي الله عنه .

(٣) أورده في « ديوان المعاني » (١٥٤/١) ، ورواه ابن شاذان في « مشيخته » (٦٧) .

(٤) أورده المبرّد في « الفاضل » (ص ٩٤) ، و« شرح نهج البلاغة » (٢٤/١٩) بنحوه .

(٥) البيت في « ديوانه » (ص ٥١) .

(٦) البيتان لعبد الله بن المبارك في « ديوانه » (ص ٧٩) ، وأوردهما في « ربيع الأبرار » (٣٢٣/٥)
لجعفر بن محمد الصادق رحمهما الله تعالى .

(٧) أورده البيت في « يتيمة الدهر » (١٠٦/٣) لابن حجاج .

ولو فطن لنوائب دهره ، وتحفّظ من عواقب مكره.. لكانت مغامره
مذخورة ، ومغارمه مجبورة .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ فُتِحَ عَلَيْهِ بَابٌ مِنْ
الْخَيْرِ .. فَلْيَسْتَهْزِهِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَتَى يُغْلَقُ عَنْهُ »^(١) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لِكُلِّ شَيْءٍ ثَمَرَةٌ ، وَثَمَرَةُ
الْمَعْرُوفِ تَعْجِيلُ السَّرَاحِ »^(٢) .

وقيل لأنوشروان : (ما أعظمُ المصائب عندكم ؟ فقال : أن تقدرَ على
المعروف ، فلا تصطنعه حتّى يفوت)^(٣) .

وقال عبد الحميد : (مَنْ أَخَّرَ الْفُرْصَةَ عَنْ وَقْتِهَا .. فَلْيَكُنْ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ
فَوْتِهَا)^(٤) .

وقال حكيم : (خَيْرُ الْبَرِّ مَا وَافَقَ وَقْتَ الْحَاجَةِ) .

وقال بعض الشعراء^(٥) :

إِذَا هَبَّتْ رِيَا حُكَ فَاعْتَنِمَهَا فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سُكُونُ
وَلَا تَغْفَلْ عَنِ الْإِحْسَانِ فِيهَا فَمَا تَدْرِي السُّكُونُ مَتَى يَكُونُ
وَإِنْ دَرَّتْ نِيَا قَكَ فَاحْتَلِبَهَا فَمَا تَدْرِي الْفَصِيلُ لِمَنْ يَكُونُ
وَحُكِي : أن بعض وزراء بني العباس مطل راغباً إليه في عملٍ يستكفيه إياه ،

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٢٣٣٥) ، وابن المبارك في « الزهد » (١١٧) عن حكيم بن عمير
رحمه الله تعالى رسلاً .

(٢) رواه في « ديوان المعاني » (١٥٤/١) من قول سيدنا عمر رضي الله عنه ، وأورده في « شرح نهج
البلاغة » (٢٦٣/٢٠) من قول سيدنا علي رضي الله عنه .

(٣) ذكره القرطبي في « تفسيره » (٣٨٤/٥) .

(٤) ذكره القرطبي في « تفسيره » (٣٨٤/٥) معزواً لقائله ، وأورده في « نهاية الأرب » (١٣٧/٦) دون
نسبة .

(٥) البيتان في « ديوان علي بن أبي طالب » (ص ٢٥٩) ، وفي « ديوان الشافعي » (ص ١٣٣) ، والبيت
الثالث زيادة من (هـ) .

فكتب إليه بعد طول المَطل به :

[من الوافر]

أما يدعوكُ طُولُ الصَّبْرِ مِنِّي على استئنافٍ منفعتي وشُغلي
وعلمكُ أنَّ ذا السلطانِ غادٍ على خطَرَيْنِ من موتٍ وعَزَلِ
وأَنَّكَ إنْ تركتَ قضاءَ حقِّي إلى وقتِ التَّفرُّغِ والتَّخَلِّي
ستُصبحُ نادماً أسفاً مُعزَّى على فَوْتِ الصَّنِيعَةِ عندَ مثلي

وكتب بعض ذوي الحُرَمَاتِ إلى والٍ قَصَّرَ في رعاية حرَمته^(١) :

[من الكامل]

أعلى الصُّراطِ تُريدُ رَعِيَّةَ حُرمتي أم في الحِسابِ تُمُنُّ بالإنعامِ
للفَّع في الدنيا أريدكُ فانتبه لحوائجي من رقدةِ النُّومِ

كتب أبو علي البصير إلى بعض الوزراء وقد اعتذر إليه بكثرة
الأشغال^(٢) :

[من الطويل]

لنا كلَّ يومِ نوبةٌ قد نُؤبِها وليسَ لنا رِزقٌ ولا عندنا فُضْلُ
فإنْ تعتذرِ بالشُّغْلِ عَنَّا فإنَّما تُناطُ بكُ الآمالُ ما اتَّصلَ الشُّغْلُ

واعلم : أنَّ للمعروف شروطاً لا يتمُّ إلا بها ، ولا يكملُ إلا معها .

فمن ذلك : ستره عن إذاعةٍ يستطيل لها ، وإخفاؤه عن إشاعةٍ يستدلُّ بها ؛ فقد
قال بعض الحكماء : (إذا اصطنعتَ المعروفَ .. فاستُرْهُ ، وإذا اصطنعَ إليك ..
فانشُرْهُ)^(٣) .

[من المتقارب]

وقال دِغْبِلُ الخزاعي^(٤) :

إذا انتقمُوا أعلنوا أمرَهُم وإنْ أنعمُوا أنعمُوا باكتِتامِ
يقومُ القُعودُ إذا أقبلُوا وتقعُدُ هيبَتُهُم بالقيامِ

(١) أورد البيت الأول في « محاضرات الأدباء » (٤٠٢/٢) لمعاوية بن أبي أيوب .

(٢) أورد البيت الثاني في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٩١) ، و « معجم الشعراء » (ص ٢٢٦) .

(٣) أوردته في « المستطرف » (٨٩/١) .

(٤) البيتان في « ديوانه » (ص ٤٢١) .

على أن سترَ المعروف من أقوى أسباب ظهوره ، وأبلغ دواعي نشره ؛ لما
جُبِلت عليه النفوس من إظهار ما أخفي ، وإعلان ما كُتِم .

وقد قال سهل بن هارون^(١) :

خِلْ إِذَا جِئْتَهُ يَوْمًا لِتَسْأَلَهُ أَعْطَاكَ مَا مَلَكَتْ كَفَّاهُ وَاعْتَذَرَا
يُخْفِي صَنَائِعَهُ وَاللَّهُ يُظْهِرُهَا إِنَّ الْجَمِيلَ إِذَا أَخْفَيْتَهُ ظَهَرَا

ومن شروط المعروف : تصغيره عن أن يراه مستكبراً ، وتقليله عن أن يكون
مستكثرأ ؛ لئلا يصير مُدْلِلاً بطراً ، أو مستطيلاً أشرأ .

قال العباس بن عبد المطلب رضي الله تعالى عنه : (لا يتم المعروف إلا
بثلاث خصال : تعجيله ، وتصغيره ، وستره ؛ فإذا عجلته .. هنأته ، وإذا
صغرتة .. عظمتة ، وإذا سترته .. أتممتة)^(٢) .

وقال بعض الشعراء^(٣) :

زَادَ مَعْرُوفَكَ عِنْدِي عِظْمًا أَنَّهُ عِنْدَكَ مَسْتَوْرٌ حَقِيرُ
تَنَاسَاهُ كَأَن لَمْ تَأْتِهِ وَهُوَ عِنْدَ النَّاسِ مَشْهُورٌ خَطِيرُ

ومن شروط المعروف : مجانية الامتنان به ، وترك الإعجاب بفعله ؛ لما
فيهما من إسقاط الشكر ، وإحباط الأجر .

وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِيَّاكُمْ وَالْامْتِنَانِ
بِالْمَعْرُوفِ ؛ فَإِنَّهُ يُبْطِلُ الشُّكْرَ ، وَيَمْحَقُ الْأَجْرَ ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ لَا تُبْطِلُوا
صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾ »^(٤) .

(١) أورد البيتين في « المحاسن والأضداد » (ص ٥٦) ، و « المحاسن والمساوي » (ص ٢١٠) دون
نسبة .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « اصطناع المعروف » (٢٢) ، وابن شاذان في « مشيخته » (٦٧) .

(٣) البیتان في « الشعر والشعراء » (٢ / ٨٥٦) ، و « المنصف » (١ / ٣٧٣) لأبي يعقوب الخريزي .

(٤) أوردته في « محاضرات الأدباء » (٢ / ٤٩٦) ، وانظر « تفسير القرطبي » (٣ / ٣١٢) .

وسمع ابنُ سيرين رجلاً يقول لرجلٍ : فعلتُ إليك وفعلتُ ، فقال ابن سيرين : (اسكت ، فلا خيرَ في المعروف إذا أُحصي)^(١) .

وقال بعض الحكماء : (المَنُّ : مَفْسَدَةُ الصَّنِيعَةِ)^(٢) .

وقال بعض الأدباء : (كَذَرَ معروفًا امتنانٌ ، وَضَيَعَ حسَبًا امتهانٌ) .

وقال بعض البلغاء : (مَنْ مَنَّ بِمَعْرُوفِهِ .. سَقَطَ شُكْرُهُ ، وَمَنْ أُعْجِبَ بِعَمَلِهِ .. حَبِطَ أَجْرُهُ)^(٣) .

وقال بعض الفصحاء : (قُوَّةُ الْمِنَّةِ مِنْ ضَعْفِ الْمُتَنِّ) .

وقال بعض الشعراء^(٤) :

[من البسيط]

أفسدتَ بالْمَنِّ ما أسديتَ من حَسَنِ ليس الكريمُ إذا أسدى بِمَنِّانٍ

[من المديد]

وقال أبو نواس^(٥) :

فامضِ لا تَمُنْ عَلَيَّ يَدَا مُتَّكَ المَعْرُوفِ مِنْ كَدَرِهِ

[من مجزوء الكامل]

وَأُنْشَدْتُ عَنِ الرَّبِيعِ لِلشَّافِعِيِّ رَحِمَهُمُ اللَّهُ^(٦) :

لا تَحْمِلَنَّ لِمَنْ يَمُرُّ مِنْ الْأَنْامِ عَلَيْكَ مِنْهُ
وَاخْتَرِ لِنَفْسِكَ حَظَّهَا وَاصْبِرْ فَإِنَّ الصَّبْرَ جُنَّةُ
مِنْ الرِّجَالِ عَلَى الْقُلُوبِ بِ أَشَدُّ مِنْ وَقْعِ الْأَسِنَّةِ

ومن شروط المعروف : ألا تحتقرَ منه شيئاً وإن كان قليلاً نَزَرًا إذا كان الكثيرُ

(١) أوردته في « عيون الأخبار » (١٧٧/٣) من قول ابن شُبْرُمة رحمه الله تعالى ، ورواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٧٢٩/م) ، و« تاريخ دمشق » (١٥٤/٢٢) من قول سَلَمَ بن قتيبة رحمه الله تعالى .

(٢) رواه في « تاريخ دمشق » (٥٢٩/٤٢) من قول سيدنا علي رضي الله عنه شعراً ، وهو في « ديوانه » (ص ١٦٨) .

(٣) أوردته في « المستطرف » (٨٩/١) .

(٤) أوردته في « الصداقة والصديق » (ص ١٨٢) ، و« المجالسة وجواهر العلم » (١٣٨٤) دون نسبة .

(٥) البيت في « ديوانه » (ص ٤٢٨) .

(٦) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٤٩) .

مُعْوزاً ، وَكُنْتَ عَنْهُ عَاجِزاً ؛ فَإِنَّ مَنْ حَقَرَ سِيرَهُ فَمَنْعَ مِنْهُ . . أَعْجَزَهُ كَثِيرُهُ فَاثْمَعُ عَنْهُ ، وَفَعَلَ قَلِيلُ الْخَيْرِ أَفْضَلُ مِنْ تَرْكِهِ .

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا يَمْنَعَنَّكُمْ مِنْ مَعْرُوفٍ صَغِيرُهُ »^(١) .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ : (لَا تَسْتَحْيِ مِنَ الْقَلِيلِ ؛ فَإِنَّ الْمَنْعَ أَقْلُ مِنْهُ ، وَلَا تَجْبُنْ عَنِ الْكَثِيرِ ؛ فَإِنَّكَ أَكْثَرُ مِنْهُ)^(٢) .

وَقَالَ الشَّاعِرُ^(٣) :

أَفْعَلِ الْخَيْرَ مَا اسْتَطَعْتَ وَإِنْ كَانَ سِيرًا فَلَنْ تُحِيطَ بِكُلِّهِ
وَمَتَى تَفْعَلِ الْكَثِيرَ مِنَ الْخَيْرِ إِذَا كُنْتَ تَارِكًا لِأَقْلِهِ
عَلَى أَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ مَا لَا كَلْفَةَ عَلَى مُوَلِيهِ ، وَلَا مَشَقَّةَ عَلَى مُسَدِيهِ ، وَإِنَّمَا
هُوَ جَاءٌ يَسْتَظِلُّ بِهِ الْأَدْنَى ، وَيَرْتَفِقُ بِهِ التَّابِعُ .

وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ^(٤) :

ظِلُّ الْفَتَى يَنْفَعُ مَنْ دُونَهُ وَمَالُهُ فِي ظِلِّهِ حَظٌّ

وَأَعْلَمُ : أَنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تُوسِعَ جَمِيعَ النَّاسِ مَعْرُوفَكَ ، وَلَا أَنْ تُؤَلِّهِمْ إِحْسَانَكَ ، فَاعْتَمِدْ بِذَلِكَ أَهْلَ الْفَضْلِ مِنْهُمْ وَالْحِفَاطَ ، وَاقْصِدْ بِهِ ذَوِي الرِّعَايَةِ وَالْوُدَادِ ؛ لِيَكُونَ مَعْرُوفُكَ فِيهِمْ نَامِيًا ، وَصَنِيعُكَ عَنْدهُمْ زَاكِيًا .

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا تَنْفَعُ الصَّنِيعَةُ إِلَّا عِنْدَ ذِي حَسَبٍ وَدِينٍ »^(٥) .

(١) أوردته في « محاضرات الأدباء » (٣٩٠ / ٢) .

(٢) أوردته في « محاضرات الأدباء » (٣٩٠ / ٢) ، و « نثر الدر » (٤٢٣ / ١) .

(٣) أوردته في « ربيع الأبرار » (٢١٦ / ٢) ، و « تاريخ دمشق » (٢٥٥ / ١٧) لعبد الله بن طاهر .

(٤) البيت لأبي الفتح البستي في « ديوانه » (ص ٢٢٧) .

(٥) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » بنحوه (١٠٤٦٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٦٨ / ١٣)

عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

وقال صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد الله تعالى بعبدٍ خيراً . . جعل صنائعه في أهل الحِفاظِ »^(١) .

وقال حسان بن ثابت الأنصاري^(٢) :

[من الكامل]

إِنَّ الصَّنِيعَةَ لَا تَكُونُ صَنِيعَةً حَتَّى يُصَابَ بِهَا طَرِيقُ الْمَصْنَعِ
فَإِذَا صَنَعْتَ صَنِيعَةً فَاعْمَلْ بِهَا لِلَّهِ أَوْ لِذَوِي الْقَرَابَةِ أَوْ دَعِ
وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحَكَمِ : (لَا خَيْرَ فِي مَعْرُوفٍ إِلَى غَيْرِ عَرُوفٍ)^(٣) .

وقد ضرب به الشاعر مثلاً ، فقال^(٤) :

[من المديد]

كحَمَارِ السُّوءِ إِنْ أَشْبَعَتْهُ رَمَحَ النَّاسَ وَإِنْ جَاعَ نَهَقَ
وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : (عَلَى قَدْرِ الْمَغَارِسِ يَكُونُ اجْتِنَاءُ الْغَارِسِ) .

فأخذه بعض الشعراء فقال^(٥) :

[من الطويل]

لَعَمْرُكَ مَا الْمَعْرُوفُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ وَفِي أَهْلِهِ إِلَّا كَبَعْضِ الْوَدَائِعِ
فَمُسْتَوْدَعُ ضَاعَ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ وَمُسْتَوْدَعٌ مَا عِنْدَهُ غَيْرُ ضَائِعِ
وَمَا النَّاسُ فِي شُكْرِ الصَّنِيعَةِ عِنْدَهُمْ وَفِي كُفْرِهَا إِلَّا كَبَعْضِ الْمَزَارِعِ
فَمَزْرَعَةٌ طَابَتْ وَأَضْعَفَ نَبْتُهَا وَمَزْرَعَةٌ أَكَدَتْ عَلَى كُلِّ زَارِعِ

فَأَمَّا مَنْ أُسْدِيَ إِلَيْهِ الْمَعْرُوفُ ، وَاصْطَنَعَ إِلَيْهِ الْإِحْسَانَ . . فَقَدْ صَارَ بِأَسْرِ الْمَعْرُوفِ مُوثَقاً ، وَفِي مَلَكَةِ الْإِحْسَانِ مَرْقُوقاً ، وَلِزِمَهُ إِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْمَكَافَأَةِ . . أَنْ يُكَافِيََ عَلَيْهَا ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِهَا . . أَنْ يَقَابِلَ الْمَعْرُوفَ بِنَشْرِهِ ، وَيُجَازِيَ الْفَاعِلَ بِشُكْرِهِ .

(١) أورده الديلمي في « الفردوس » (٩٣٦) عن السيدة أم سلمة رضي الله عنها .

(٢) البتآن في « ديوانه » (ص ٤٩٣) ، ونسبهما في « معجم الشعراء » (ص ٥٢٩) للذهيل الأشجعي .

(٣) أورده في « الكشكول » (٢٢٩ / ١) من كلام سيدنا علي رضي الله عنه .

(٤) البيت لمسكين الدارمي في « ديوانه » (ص ٧٨) .

(٥) أورد الأبيات في « روضة العقلاء » (٩١٧ / ٢ - ٩١٨) لعبد الله بن همام السلولي ، وفي « المتحل » (ص ٨٣) .

رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ أودَعَ معروفًا . . فليُنْشَرهُ ؛ فَإِنْ نَشَرَهُ . . فقد شَكَرَهُ ، وَإِنْ كَتَمَهُ . . فقد كَفَرَهُ » (١) .

وروى الزهري ، عن عروة ، عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : دخل عليَّ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وأنا أتمثلُ بهذين البيتين : [من الكامل]

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يَحْزُرْ بِكَ ضَعْفُهُ يوماً فتدركهُ العواقبُ قد نَمَى
يَجْزِيكَ أَوْ يُثْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَنْ أثْنَى عَلَيْكَ بما فعلتَ فقد جَزَى

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « رُدِّي عليَّ قول اليهوديِّ قاتله الله ، لقد أتاني جبريلُ برسالةٍ من ربِّي تعالى : أيُّما رجلٍ صنَعَ إلى أخيه صَنِيعَةً ، فلم يجدْ لها جزاءً إلا الدُّعَاءَ والثناءَ . . فقد كافأه » (٢) .

وقيل في منشور الحكم : (الشكرُ : قيدُ النِّعمِ) (٣) .

وقال عبد الحميد : (مَنْ لم يشكرِ الإنعامَ . . فاعُدُّهُ من الأنعام) .

وقيل في منشور الحكم : (قيمةُ كلِّ نعمةٍ شكرُها) .

وقال بعض الحكماء : (كفرُ النِّعمِ : من أماراتِ البَطَرِ ، وأسبابِ الغِيَرِ) (٤) .

وقال بعض الفصحاء : (الكريمُ : شُكُورٌ أو مشكور ، واللئيمُ : كَفُورٌ أو مكفور) .

وقال بعض البلغاء : (لا زوالَ للنِّعمةِ مع الشكر ، ولا بقاءَ لها مع الكفر) (٥) .

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٣٤١٥) ، والشهاب في « مسنده » (٤٨٥) عن سيدنا جابر رضي الله عنه .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « اصطناع المعروف » (٥٥) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٨٧١٤) . والبيتان للسموئل في « ديوانه » (ص ٥٣) ، ونسبا لزهير بن جناب الكلبي في « ديوانه » (ص ١٢٠) .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤١٦) ، و « زهر الآداب » (١ / ٣٣٤) .

(٤) أورده في « التذكرة الحمدونية » (١٨٢ / ٢) من قول محمد بن علي بن موسى بن جعفر .

(٥) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٥٤٤) ، و « تاريخ دمشق » (٥٣ / ٦٠) من قول سيدنا المغيرة بن شعبة رضي الله عنه .

وقال بعض الأدباء : (شكرُ الإله : بطول الثناء ، وشكرُ الوُلاة : بصدق الولاء ، وشكرُ النظير : بحسن الجزاء ، وشكرُ مَنْ دونك : بسبب العطاء)^(١) .

وقال بعض الشعراء^(٢) :

فلو كان يستغني عن الشُّكرِ ماجدٌ لِعِزَّةِ ملكٍ أو عُلُوِّ مكانٍ
لَمَّا أمرَ اللهُ العبادَ بِشُكْرِهِ فقال اشْكُرُوا لي أَيُّهَا الثَّقَلَانِ
فإنَّ شكرَ معروفٍ مَنْ أحسنَ إليه ، ونشرَ إنعامٍ مَنْ أفضلَ عليه . . فقد أدَّى حقَّ
النعمة ، وقضى موجبَ الصَّنيعة ، ولم يبقَ عليه إلا استدامة ذلك ؛ إتماماً
لشكره ، ليكون للمزيد مستحقاً ، ولمتابعة الإحسان مستوجباً .

حكى : أن الحجاج أتى بقوم من الخوارج وكان فيهم صديقٌ له ، فأمر بقتلهم
إلا ذلك الصديق فإنه عفا عنه ، وأطلقه ووصله ، فرجع الرجل إلى قَطَرِيٍّ وكان
من أصحابه ، فقال له : (عُدْ إلى قتال الحجاج عدوَّ الله ، فقال : هيهات !! عَلَّ
يبدأً مطلقها ، واسترقَّ رقبَةً معتقها) ، وأنشأ يقول :

أَقَاتِلْ الْحَجَّاجَ عَنْ سُلْطَانِهِ بِيَدِ ثَقَرٍ بَأَنَّهُا مَوْلَانُهُ
إِنِّي إِذَا لَأَخُو الدَّنَاءِ وَالَّذِي شَهِدْتُ بِأَقْبَحِ فِعْلِهِ غَدْرَاتُهُ
مَاذَا أَقُولُ إِذَا وَقَفْتُ إِزَاءَهُ فِي الصَّفِّ وَاحْتَجَّتْ لَهُ فَعَلَاتُهُ
أَقُولُ جَارَ عَلِيٍّ لَا إِنِّي إِذَا لَأَحَقُّ مَنْ جَارَتْ عَلَيْهِ وُلَاتُهُ
وَتَحَدَّثَ الْأَقْوَامُ أَنَّ صَنَائِعاً غُرِسْتُ لَدَيَّ فَحَنَظَلْتُ نَخْلَاتُهُ^(٣)
وقيل في منشور الحكم : (المعروفُ رِقٌّ ، والمكافأةُ عِتْقٌ)^(٤) .

(١) في (هـ) جعله شعراً من المتقارب لكن صدره أثلم فقال :

شكرُ الإله بطول الثناء وشكرُ الوُلاة بصدق الولاء
وشكرُ النظير بحسن الجزاء وشكرُ الدُّنْيَا بحسن العطاء

(٢) البيتان لمحمود الوراق في « ديوانه » (ص ١٩٦) .

(٣) رواه الجريدي في « المجلس الصالح » (٢٤٠ / ١) ولم يسمِّ الشاعر ، ونسب الأبيات في « زهر الآداب »

(٨٥٥ / ٢) لعمران بن حِطَّان ، وانظر « شعر الخوارج » (ص ١٦٩) .

(٤) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٢٢) ، و« نثر الدرر » (١٥٢ / ٣) من قول عبد الله بن المعتز .

[من البسيط]

وَمِنْ أَشْكَرِ النَّاسِ الَّذِي يَقُولُ^(١) :

لَأَشْكُرَنَّكَ مَعْرُوفاً هَمَمْتُ بِهِ إِنَّ اهْتِمَامَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفٌ
وَلَا أَلُومُكَ إِنْ لَمْ يُمِضْهُ قَدَرٌ فَالْشَيْءُ بِالْقَدَرِ الْمَحْتَوِمْ مَصْرُوفٌ
وهذا النوع من الشكر الذي يتعجل المعروف ، ويتقدم البرّ . . قد يكون على
وجوه :

- فيكون تارةً من حسن الثقة بالمشكور في وصول برّه ، وإسداء عُرْفه ، ولا
أرى لِمَنْ حسن به ظنُّ شاكرٍ أَنْ يُخلف حسنَ ظنّه فيه ، فيكونَ كما قال
العتابي^(٢) :

قَدْ أَوْرَقْتُ فِيكَ آمَالِي بِوَعْدِكَ لِي وَلَيْسَ فِي وَرَقِ الْأَمَالِ لِي ثَمَرٌ

- وقد يكون تارةً من فرط شكر الراجي ، وحسن مكافأة الأمل ، فلا يرضى
لنفسه إلا بتعجيل الحقّ ، وإسلاف الشكر ، وليس لِمَنْ صادف لمعروفه معدناً
زاكياً ، ومغرساً نامياً . . أَنْ يَفُوتَ نَفْسَهُ غُنْماً ، وَلَا يَحْرَمَهَا رِبْحاً ، فهذا وجهٌ
ثاني .

- وقد يكون تارةً ارتهاناً للمأمول ، وحثاً للمسؤول ، وبحسب ما أسلفه من
الشكر يكون الذمُّ عند الإياس .

قال بعض الأدباء من حكماء المتقدمين : (مَنْ شَكَرَكَ عَلَى مَعْرُوفٍ لَمْ تُسَدِّهِ
إِلَيْهِ . . فَعَاجِلُهُ بِالْبَرِّ ؛ وَإِلَّا . . اُنْعَكَسَ فَصَارَ ذِمّاً)^(٣) .

(١) أورد البيهقي في « التذكرة الحمدونية » (٩١ / ٤) ، و « المتحل » (ص ٨٢) لمحمد بن حازم الباهلي ،
وفي « ديوانه » (ص ٧٣ - البقاعي) .

(٢) في (ج ، د) : (الغساني) .

(٣) أوردته في « لباب الآداب » (ص ٤٦٦) من قول أفلاطون .

[من الطويل]

وقال ابن الرومي في ذلك^(١) :

وما الحقدُ إلا توءمُ الشكرِ في الفتى وبعضُ السَّجَايا يَنْتَسِبْنَ إلى بعضِ
فحيثُ ترى حِقْداً على ذي إساءةٍ فثمَّ ترى شُكْراً على حَسَنِ القرضِ
إذا الأرضُ أدَّت ريعَ ما أنت زارعٌ من البذرِ فيها فهَي ناهيكَ من أرضِ

فأما مَنْ ستر معروف المنعم ، ولم يشكر على ما أولاه من نعم . . فقد كفر
النعمة ، وجحد الصَّنِيعَة ، وأنبا من دني الخلائق وسوء الطرائق عما يستوجب به
قبَح الردِّ ، وسوء المنع .

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« لا يشكُرُ اللهَ مَنْ لا يشكُرُ الناسَ »^(٢) .

وقال بعض الأدباء : (مَنْ لم يشكُرْ لِمُنْعِمِهِ . . استحقَّ قطعَ نعمه)^(٣) .

وقال بعض الفصحاء : (مَنْ كفر نعمة المفيد . . استوجب حرمان المزيّد) .

وقال بعض البلغاء : (مَنْ أنكر حسن الصَّنِيعَة . . استوجب قبَح
القطيعة)^(٤) .

وأشدني بعض الأدباء ما ذكر أنه لعلي بن أبي طالب عليه السلام^(٥) : [من السريع]

مَنْ جاورَ النِّعمةَ بالشُّكرِ لم يَخْشَ على النِّعمةِ مُغتالها
لو شَكَرُوا النِّعمةَ زادتْهُمْ مَقالةُ اللهِ التي قالها
لِئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ لَكِنَّمَا كُفِّرْهُمْ غالها
والكفرُ بالنِّعمةِ يدعو إلى زوالها والشُّكرُ أبقي لها

(١) الأبيات في « ديوانه » (١٣٨٠ / ٤) .

(٢) رواه أبو داود (٤٨١١) ، والترمذي (١٩٥٤) .

(٣) رواه في « الطيوريات » (٨١٢) من قول السري السَّقَطِي رحمه الله تعالى .

(٤) أورده في « المستطرف » (٨٩ / ١) .

(٥) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٩٢) .

فهذا آخر ما يتعلّق بالقاعدة الثانية من أسباب الألفة الجامعة .

وأما القاعدة الثالثة . . فهي المادة الكافية ؛ لأنّ حاجة الإنسان لازمة لا يعرئ منها بشر^(١) ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ .

فإذا عدم المادة التي هي قوام نفسه . . لم تدُم له حياة ، ولم تستقم له دنيا ، وإذا تعدّر شيء منها عليه . . لحقه من الوهن في نفسه ، والاختلال في دنياه بقدر ما تعدّر من المادة عليه ؛ لأنّ الشيء القائم بغيره يكمل بكماله ، ويختل باختلاله .

ثم لما كانت المواد مطلوبة ؛ لحاجة الكافة إليها . . أعوزت بغير طلب ، وعدمت لغير سبب ، وأسباب المواد مختلفة ، وجهات المكاسب متشعبة ؛ ليكون اختلاف أسبابها علّة للائتلاف بها ، وتشعب جهاتها توسعة لطلابها ؛ كي لا يجتمعوا على سبب واحد فلا يلتصمون ، أو يشتركوا في جهة واحدة فلا يكتفون .

ثم هداهم الله تعالى إليها بعقولهم ، وأرشدهم إليها بطباعهم ؛ حتّى لا يتكلفوا ائتلافهم في المعاش المختلفة فيعجزوا ، ولا يُعانوا تقدير موادّهم بالمكاسب المتشعبة فيختلّوا ؛ حكمة منه سبحانه وتعالى اطّلع بها على عواقب الأمور .

وقد أنبأ الله تعالى في كتابه إخباراً وإذكّاراً بقوله تعالى : ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ .

فاختلف المفسرون في تأويل ذلك :

فقال قتادة : (أعطى كلّ شيء ما يصلحه ، ثم هداه له) .

(١) لا يعرئ : لا يتجرد .

وقال مجاهد : (أعطى كل شيء صورته ، ثم هداه لمعيشته) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (أعطى كل شيء زوجه ، ثم هداه لنكاحه)^(١) .

وقال الله تعالى : ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ يعني : معاشهم ؛ متى يزرعون ، ومتى يغرسون ﴿ وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفْلُونَ ﴾ .

وقال الله تعالى : ﴿ وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّالِبِينَ ﴾ .

قال عكرمة : (قدّر في كل بلدة منها ما لم يجعله في الأخرى ؛ ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد) .

وقال الحسن البصري وعبد الرحمن بن زيد : (قدّر أرزاق أهلها سواءً للساكنين الزيادة في أرزاقهم)^(٢) .

ثم إن الله تعالى جعل لهم مع ما هداهم إليه من مكاسبهم ، وأرشدهم إليه من معاشهم ديناً يكون لهم حكماً ، وشرعاً يكون عليهم قيماً ؛ ليصلوا إلى موادهم بتقديره ، ويطلبوا أسباب مكاسبهم بتدبيره ؛ حتى لا ينفردوا بإرادتهم فيتغالبوا ، ولا تستولي عليهم أهواؤهم فيتقاطعوا ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ﴾ قال المفسرون : (الحق في هذا الموضع : هو الله سبحانه وتعالى)^(٣) .

فلأجل ذلك لم يجعل المواد مطلوبةً بالإلهام حتى جعل العقل هادياً إليها ، والدّين قاضياً عليها ؛ لتتمّ السعادة ، وتعمّ المصلحة .

ثم إنه - جلّت عظمتة - جعل سدّ حاجتهم ، وتوصلهم إلى منافعهم من وجهين : بمادّة ، وكسب .

(١) روى هذه الأقوال الطبري في « تفسيره » (٢١٨-٢١٧/١٦/٩) .

(٢) روى الطبري هذه الأقوال في « تفسيره » (١١٧/٢٤/١٢ ، ١١٩) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٥٥/١٨/١٠) .

أما المادّة : فهي حادثه عن اقتناء أصولٍ نامية بذواتها ؛ وهي شيئان : نبتٌ نامٍ ، وحيوانٌ متناسِلٌ .

قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ ، قال أبو صالح : (أغنى : خلّقه بالمال ، وأقنى : جعل لهم قنية ، هي أصول الأموال)^(١) .

وأما الكسبُ : فيكون بالأفعال الموصلة إلى المادّة ، والتصرّف المؤدّي إلى الحاجة ؛ وذلك من وجهين : أحدهما : تقلُّبٌ في تجارة ، والثاني : تصرّفٌ في صناعة ، وهذان الوجهان هما فرعٌ لوجهي المادّة .

فصارت أسباب الموادّ المألوفة ، وجهاتُ المكاسب المعروفة . . من أربعة أوجه : نماء زراعة ، ونتاج حيوان ، وربح تجارة ، وكسب صناعة .

وقد حكى الحسن بن رجاء نحو ذلك عن المأمون قال : سمعته يقول : (معاشُ الناس على أربعة أقسام : زراعة ، وصناعة ، وتجارة ، وإمارة ؛ فمن خرج عنها . . كان كلاً عليها)^(٢) .

وإذ قد تقرّرت أسباب الموادّ بما ذكرنا . . فنصنف حال كل واحدٍ منها بقولٍ موجزٍ :

أما الأول من أسبابها وهو الزراعة : فهي مادّة أهل الحضّر ، وسكان الأمصار والمدن ، والاستمداد بها أعمُّ نفعاً ، وأوفرُ فرعاً ؛ ولذلك ضرب الله تعالى بها المثل فقال : ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبٍّ وَاللَّهُ يُضَعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ .

وروي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خيرُ المالِ عينٌ ساهرةٌ لعينٍ نائمةٍ »^(٣) .

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٩٤ / ٢٧ / ١٣) .

(٢) أورده الذهبي في « تاريخ الإسلام » (٢٢٥ / ١٨) .

(٣) أورده في « النهاية في غريب الحديث » (٤٢٨ / ٢) ، وأورده المبرّد في « الكامل » (٣٠٧ / ١) من قول =

وقال صلى الله عليه وسلم : « نِعِمَّتِ الْعِمَّةُ لَكُمْ النَخْلَةُ !! تَشْرَبُ مِنْ عَيْنِ خَرَّارَةٍ ، وَتُغْرَسُ فِي أَرْضِ خَوَّارَةٍ » (١) .

وقال صلى الله عليه وسلم في النخل : « هُنَّ الرَاسَخَاتُ فِي الْوَحْلِ ، الْمُطْعِمَاتُ فِي الْمَحَلِّ » (٢) .

وقال بعض السلف : (خَيْرُ الْمَالِ عَيْنُ خَرَّارَةٌ ، فِي أَرْضِ خَوَّارَةٍ ، تَفْجَّرُهَا الْفَارَةُ ؛ تَسْهَرُ إِذَا نِمْتَ ، وَتَشْهَدُ إِذَا غَبْتَ ، وَتَكُونُ عَقِباً إِذَا مِتَّ) (٣) .

وروى هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « التَّمِسُّوا الرِّزْقَ فِي حَبَايَا الْأَرْضِ » يعني : الزرع (٤) .

وحُكِيَ عن المعتضد أنه قال : (رَأَيْتُ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْمَنَامِ ، فَتَنَاوَلَنِي مِسْحَاةً ، فَقَالَ : خُذْهَا ؛ فَإِنَّهَا مِفَاتِيحُ خَزَائِنِ الْأَرْضِ) (٥) .

وقال كسرى للموبد : (مَا قِيَمَةُ تَاجِي هَذَا ؟ فَأَطْرَقَ سَاعَةً ، وَقَالَ : مَا أَعْرِفُ لَهُ قِيَمَةً إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَطْرَةً فِي نَيْسَانَ ؛ فَإِنَّهَا تُصْلِحُ مِنْ مَعَايِشِ الرِّعْيَةِ مَا تَكُونُ قِيَمَتُهُ مِثْلَ مَقْدَارِ تَاجِ الْمَلِكِ) (٦) .

ولقي عبد الله بن عبد الملك ابنَ شهاب الزُّهريُّ ، فقال له : دَلَّنِي عَلَى مَالٍ

= سيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما ، وعين ساهرة : جارية لا تفتقر أصلاً ، لعين نائمة : وهي عين صاحبها ؛ لأنه فارغ البال .

(١) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٢٦) ، و« البيان والتبيين » (٢٠/٢) ، وعين خرارة : غزيرة النبع كثيرة الجريان ، وأرض خوارة : لينة سهلة .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٣٩١٦) ، والشهاب في « مسنده » (١٣١٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أوردته في « عيون الأخبار » (٢٥٢/٣) ، و« سمط اللآلي » (٣٧٥/١) من قول سيدنا معاوية رضي الله عنه .

(٤) رواه الإمام أحمد في « فضائل الصحابة » (٤٣١) ، وأبو يعلى في « مسنده » (٤٣٨٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١١٧٨) .

(٥) ذكرها القرطبي في « تفسيره » (٣٠٦/٣) .

(٦) ذكر نحوها ابن المجاور في « تاريخ المستبصر » (ص ٣٢٢) عن أنوشروان يخاطب وزيره بزرجمهر .

أَعَالِجُهُ ، فَأَنْشَأَ ابْنُ شَهَابٍ يَقُولُ :

[من الطويل]

تَبَّعْ خَبَايَا الْأَرْضِ وَادْعُ مَلِكَهَا لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تُجَابَ فَتُرْزَقَا
فِيؤْتِيكَ مَالًا وَاسِعًا ذَا مَثَابَةٍ إِذَا مَا مِيَاهُ الْأَرْضِ غَارَتْ تَدْفَقَا^(١)
وقد اختلف الناس في تفضيل الزرع والشجر بما ليس يتسع كتابنا لهذا لبسط
القول فيه ، غير أَنَّ مَنْ فَضَّلَ الزَّرْعَ . . فلَقُرْبَ مَدَاهُ ، وَوُفُورَ جَدَوَاهُ ، وَمَنْ فَضَّلَ
الشَّجَرَ . . فَلَثُبَاتُ أَصْلِهِ ، وَتَوَالِي ثَمَرِهِ .

وَأَمَّا الثَّانِي مِنْ أَسْبَابِهَا وَهُوَ نِتَاجُ الْحَيَوَانِ : فَهُوَ مَادَّةُ أَهْلِ الْفَلَوَاتِ ، وَسَكَّانِ
الْخِيَامِ ؛ لِأَنَّهُمْ لَمَّا لَمْ تَسْتَقَرَّ بِهِمْ دَارٌ ، وَلَمْ تَضُمَّهُمْ أَمْصَارٌ . . افْتَقَرُوا إِلَى الْأَمْوَالِ
الْمُنْتَقِلَةِ مَعَهُمْ ، وَمَا لَا يَنْقَطِعُ نِمَاؤُهُ بِالظُّعْنِ وَالرَّحْلَةِ ، فَاقْتَنَوْا الْحَيَوَانَ ؛ لِأَنَّهُ
يَسْتَقِلُّ فِي الثَّقَلِ بِنَفْسِهِ ، وَيَسْتَغْنِي فِي الْعُلُوفَةِ بِرِعِيهِ ، ثُمَّ هُوَ مَرْكُوبٌ وَمَحْلُوبٌ ،
فَكَانَ اقْتِنَاؤُهُ عَلَى أَهْلِ الْخِيَامِ أَيْسَرَ ؛ لِقَلَّةِ مَوْوَنَتِهِ ، وَتَسْهِيلِ الْكُلْفَةِ بِهِ ، وَكَانَتْ
جَدَوَاهُ عَلَيْهِمْ أَكْثَرَ ؛ لَوْفُورِ نَسْلِهِ ، وَاقْتِنَاتِ رِسْلِهِ^(٢) ؛ إِلَهَامًا مِنْ اللَّهِ تَعَالَى لَخَلْقِهِ
فِي تَعْدِيلِ الْمَصَالِحِ فِيهِمْ ، وَإِرْشَادِ أَلْعِبَادَةِ فِي قِسْمَةِ الْمَنَافِعِ بَيْنَهُمْ .

وَقَدْ رُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « خَيْرُ الْمَالِ : مُهْرَةٌ
مَأْمُورَةٌ ، أَوْ سَكَّةٌ مَأْبُورَةٌ » مَعْنَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ)
أَي : كَثِيرَةُ النَّسْلِ ، وَمِنْهُ مَا تَأَوَّلَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا
فِيهَا ﴾ أَي : أَكْثَرْنَا عَدَدَهُمْ ، وَأَمَّا (السَّكَّةُ الْمَأْبُورَةُ) : فَهِيَ النَّخْلُ الْمُؤَبَّرَةُ
الْحَمْلُ^(٣) .

وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ فِي الْغَنَمِ : « سَمْنُهَا مَعَاشٌ ،
وَصُوفُهَا رِيَاشٌ »^(٤) .

(١) رَوَاهُ فِي « تَارِيخِ دِمَشْقَ » (٢٩ / ٣٥٠) . وَفِي (أ) : (تَبَّعْ خَبَايَا . . .) .

(٢) وَاقْتِنَاتِ رِسْلِهِ : ارْتِزَاقَ لَبْنِهِ ، وَفِي (هـ) : (وَيَسْتَغْنِي عَنِ الْعُلُوفَةِ) .

(٣) رَوَاهُ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي « الْمَعْجَمِ » (٥٠٠) ، وَالْحَارِثُ فِي « مَسْنَدِهِ » (٤٢٢) عَنْ سَيِّدِنَا سُؤِيدِ بْنِ هُبَيْرَةَ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَانْظُرْ « الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ » لِلْبَيْهَقِيِّ (٣٣١) .

(٤) رَوَاهُ الرَّاهِمَزِيُّ فِي « أَمْثَالِ الْحَدِيثِ » (١٢٢) .

ورُوي عن أبي ظبيان أنه قال : قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (ما مالك يا أبا ظبيان ؟) قال : قلتُ : عطائي ألفان ، قال : (اتَّخِذْ من هذا الحَرثِ والسَّايِءِ قَبْلَ أَنْ تَلِيكَ غِلْمَةٌ من قريش لا تُعَدُّ العطاءَ معهم مالا)^(١) والسَّايِءُ : النَّجاسُ .

ورُوي أَنَّ امرأةَ أَتَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقالت : يا رسولَ اللهِ ؛ إِنِّي اتَّخَذْتُ غَنَمًا أَبْتَغِي نَسْلَهَا وَرِسْلَهَا ، وَإِنَّهَا لَا تَنْمِي ، فقال لها النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « ما ألوانُها ؟ » قالت : سُودٌ ، فقال لها : « عَفْرِي »^(٢) .
وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم في مناحج الأدميين : « اغتربوا . . لا تُضُوبُوا »^(٣) .

وأما الثالث من أسبابها وهو التجارة : فهي فرعٌ لمادتي الزرع والنَّجاسِ ، ورُوي عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : « تسعةُ أعشارِ الرِّزْقِ في التَّجَارَةِ ، والجزءُ الباقي في السَّايِءِ »^(٤) .
وهي نوعان :

- تَقَلُّبٌ في الحَضَرِ ، من غير نُقْلَةٍ ولا سَفَرٍ ، وهذا تَرْبُصٌ واحتكار ، قد رغب عنه أولو الأقدار ، وزهد فيه ذوو الأخطار .
- والثاني : تَقَلُّبُ المالِ بالأسفار ، ونقله إلى الأمصار ، فهذا أَلِيقٌ بأهل المروءة ، وأعمُّ جَدْوًى ومنفعة ، غير أنه أَكْثَرُ خَطَرًا ، وأعظمُ غَرَرًا .
وقد رُوي عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : « إِنَّ المسافِرَ وماله لَعَلِيْ

(١) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٥٧٦) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٨٥٩٦) .

(٢) أورده في « عيون الأخبار » (٧٦/٢) ، و« النهاية في غريب الحديث » (٢٦١/٣) .

(٣) أورده الحري في « غريب الحديث » (٣٧٩/٢) ، و« عيون الأخبار » (٦٧/٢) من كلام العرب .

(٤) أورده أبو عبيد في « غريب الحديث » (٢٩٩/١) ، ورواه الرافعي القزويني في « التدوين في أخبار قزوين » (٢٣١/١) عن نعيم بن عبد الرحمن الأزدي ، وليس في هذا الحديث تعرُّضٌ لأفضل طريق الكسب ، وأفضلها : سهم الغازي ، ثم الزراعة ، ثم الصناعة ، ثم التجارة . انظر « منهاج اليقين » (ص ٣٦٨) .

قَلَّتْ إِلَّا مَا وَقَى اللَّهُ تَعَالَى»^(١) يعني : على خَطَر .
وقيل : في التوراة : (يا بن آدم ؛ أَحْدِثْ سَفَرًا . . أَحْدِثْ لَكَ رِزْقًا)^(٢) .

وأما الرابع من أسبابها وهو الصناعة : فقد تتعلّق بما مضى من الأسباب الثلاثة ، وتنقسم أقساماً ثلاثة : صناعة فكر ، وصناعة عمل ، وصناعة مشتركة بين فكر وعمل ؛ لأنّ الناس آلات للصناعات .

فأشرفهم نفساً متهيّئاً لأشرفها جنساً ؛ كما أنّ أردلهم نفساً متهيّئاً لأردلها جنساً ؛ لأنّ الطبع يبعث على ما لاءمه ، ويدعو إلى ما جانسه .

حكى : أنّ الإسكندر لما أراد الخروج إلى أقاصي الأرض . . قال لأرسطاطاليس : (أخرج معي ، قال : قد نحلّ جسمي وضعف عن الحركة ، فلا تزعجني ، قال : فما أصنع في عمّالي خاصة ؟ قال : انظر ؛ فمن كان له عبيد فأحسن سياستهم . . فولّه الجند ، ومن كانت له ضيعة فأحسن تدبيرها . . فولّه الخراج)^(٣) .

فنبّه باعتبار الطّباع على ما أغناه عن كُلف التجربة .

وأشرف الصناعات : صناعة الفكر ، وأردلها : صناعة العمل ؛ لأنّ العمل نتيجة الفكر ، وهو مدبّر به .

فأما صناعة الفكر . . فقد تنقسم قسمين :

أحدهما : ما وقعت على التدبيرات الصادرة عن نتائج الآراء الصحيحة ؛ كسياسة الناس ، وتدبير البلاد ، وقد أفردنا للسياسة كتاباً لخصنا فيه من جملها ما ليس يحتمل هذا الكتاب ذكر زيادة عليها^(٤) .

(١) أورده في «الجلس الصالح» (٥٨٦/١) ، و«تاريخ دمشق» (٨٥/٥٠) .

(٢) أورده في «التمثيل والمحاضرة» (ص ٣٩٩) ، و«بهجة المجالس» (٢٢٢/١) .

(٣) أورده في «لباب الآداب» (ص ٥٢) ، و«بهجة المجالس» (٣٣٧/١) .

(٤) لعله أراد رحمه الله تعالى «قوانين الوزارة وسياسة الملك» ، أو «الأحكام السلطانية» ، والله تعالى أعلم .

والثاني : ما أدَّت إلى المعلومات الحادثة عن الأفكار النظرية ، وقد مضى في العلم من كتابنا هذا بابٌ أغنى ما فيه عن زيادة قولٍ فيه .

وأما صناعة العمل . . فقد تنقسم قسمين : عمل صناعي ، وعمل بهيمي .
فالعمل الصناعي : أعلاه رتبة ؛ لأنه يحتاج إلى مُعَاوَاة في تعلُّمه ، ومُعَاوَاة في تصوُّره ، فصار آخذاً للشبه من المعلومات الفكرية .
والآخر : إنّما هو صناعة كدٍّ ، وآلُهُ مهنة ؛ وهي الصناعة التي تقتصر عليها النفوس الرذلة ، وتقف عليها الطباع الجاسية^(١) ؛ كما قال أكتهم بن صيفي :
(لكل ساقطة لاقطة)^(٢) .

وقال المُتلمِّس^(٣) :

[من البسيط]

ولا يُقِيمُ عَلَى ضَيْمٍ يُسَامُ بِهِ إِلَّا الْأَذْلَانِ عَيْرُ الْحَيِّ وَالْوَتْدُ
هَذَا عَلَى الْخَسْفِ مَرْبُوطٌ بِرُمْتِهِ وَذَا يُشَجُّ فَلَا يَرِثِي لَهُ أَحَدُ

وأما الصناعة المشتركة بين الفكر والعمل . . فقد تنقسم قسمين :
أحدهما : أن تكون صناعةُ الفكر أغلب ، والعمل تبعاً ؛ كالكتابة .
والثاني : أن تكون صناعةُ العمل أغلب ، والفكر تبعاً ؛ كالبناء .
فأعلاه رتبة : ما كانت صناعةُ الفكر أغلب عليها ، والعمل تبعاً لها .
فهذه أحوال الخلق التي ركبهم الله تعالى عليها في ارتياد موادهم ، ووكلهم إلى فطرهم في طلب أكسابهم ، وفرّق بين همّهم في التماسها ؛ ليكون ذلك سبباً لألفتهم .

فسبحان مَنْ تفرّد فينا بلطيف حكمته ، وأظهر لفطننا عزائم قدرته !!

(١) الطباع الجاسية : القاسية الصلبة الغليظة .

(٢) أورده أبو عبيد في « الأمثال » (ص ٤١) ، والجاحظ في « المحاسن والأضداد » (ص ١٦) .

(٣) البيتان في « ديوانه » (ص ٢٠٨ ، ٢١١) .

وإذ قد وضع القول في أسباب المواد ، وجهات المكاسب . . فليس يخلو حال الإنسان فيها من ثلاثة أمور :

أحدها : أن يطلب منها قدر كفايته ، ويلتمس وفق حاجته ، من غير أن يتعدى إلى زيادة عليها ، أو يقتصر على نقصان منها ، فهذه أحمد أحوال الطالبين ، وأعدل مراتب المقتصدين .

وقد روى قتادة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أوحى الله تعالى إليّ كلمات ، فدخلن في أذني ، وقرن في قلبي : مَنْ أعطى فضل ماله . . فهو خير له ، وَمَنْ أمسك . . فهو شرُّ له ، ولا يلوم الله على كفاف »^(١) .

وروى حميد ، عن معاوية بن حيدة قال : قلت : يا رسول الله ؛ ما يكفيني من الدنيا ؟ قال : « ما سدَّ جوعتك ، وسترَ عورتك ، فإن كان دار . . فذاك ، وإن كان حمار . . فبخ بخ ، فلق من خبز ، وجر من ماء ، وأنت مسؤول عما فوق الإزار »^(٢) .

وقد حكى عن ابن عباس ومجاهد في قوله تعالى : ﴿ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا ﴾ : (أَنْ كُلِّ مَنْ يملكُ بيتاً وزوجةً وخادماً . . فهو مَلِكٌ)^(٣) .

وروى زيد بن أسلم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ كان له بيتٌ وخادم . . فهو مَلِكٌ »^(٤) ، وهو في المعنى صحيح ؛ لأنه بالزوجة والخادم مطاعٌ في أمره ، وبالدار محجوبٌ إلا عن إذنه .

وليس على مَنْ طلب قدر الكفاية ، ولم يتجاوز تبعات الزيادة إلا توحى الحلال منه ، وإجمال الطلب فيه ، ومجانبة الشبهة الممازجة له ؛ فقد روى نافع ، عن

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٥٧/١١/٧) ، ورواه مسلم (١٠٣٦) ، والترمذي (٢٣٤٣) عن سيدنا أبي أمامة رضي الله عنه .

(٢) رواه أبو يوسف القسوي في « المعرفة والتاريخ » (٤٦٧/٣) ، وفي (أ) : (عما فوق الإناء) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٢٠/٦/٤) .

(٤) رواه الطبري في « تفسيره » (٢١٩/٦/٤) .

ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْحَلَالُ بَيْنٌ ، وَالْحَرَامُ بَيْنٌ ، فَدَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ ، فَلَنْ تَجِدَ فَقْدَ شَيْءٍ تَرَكْتَهُ لِلَّهِ » (١) .

وسُئِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم عن الزُّهْدِ ، فقال : « أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بِإِضَاعَةِ الْمَالِ ، وَلَا تَحْرِيمِ الْحَلَالِ ؛ وَلَكِنْ أَنْ تَكُونَ بِمَا يَبِيدُ اللَّهُ أَوْثَقَ مِنْكَ بِمَا فِي يَدِكَ ، وَأَنْ يَكُونَ ثَوَابُ الْمُصِيبَةِ أَرْجَحَ عِنْدَكَ مِنْ بَقَائِهَا » (٢) .

وحكى عبد الله بن المبارك قال : كتب عمر بن عبد العزيز إلى الجراح بن عبد الله الحكمي : (إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَدَعَ مِمَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ مَا يَكُونُ حَاجِزاً بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْحَرَامِ .. فَافْعَلْ ؛ فَإِنَّهُ مَنْ اسْتَوْعَبَ الْحَلَالَ .. تَاقَتْ نَفْسُهُ إِلَى الْحَرَامِ) (٣) .

وقد اختلف أهل التأويل في قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَهُ مَعِيشَةٌ ضَنْكًا ﴾ فقال عكرمة : (يعني : كسباً حراماً) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : (هو إنفاقٌ مَنْ لَا يَوْقِنُ بِالْخَلْفِ) (٤) .

وقال يحيى بن معاذ : (الدَّرْهَمُ عَقْرَبٌ ؛ فَإِنْ أَحْسَنْتَ رُقِيَّتَهَا ، وَإِلَّا .. فَلَا تَأْخُذْهَا) (٥) .

وقيل : (مَنْ قَلَّ تَوْقِيهِ .. كَثُرَتْ مَسَاوِيهِ) (٦) .

وقال بعض البلغاء : (خَيْرُ الْأَمْوَالِ : مَا أَخَذْتَهُ مِنَ الْحَلَالِ ، وَصَرَفْتَهُ فِي النَّوَالِ ، وَشَرُّ الْأَمْوَالِ : مَا أَخَذْتَهُ مِنَ الْحَرَامِ ، وَصَرَفْتَهُ فِي الْآثَامِ) (٧) .

(١) رواه الراهرمزي في « أمثال الحديث » (٤) ، وابن الأعرابي في « المعجم » (١٥٢٨) .

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٠) ، وابن ماجه (٤١٠٠) عن سيدنا أبي ذر الغفاري رضي الله عنه .

(٣) أورده في « البيان والتبيين » (١٧٠ / ٣) ، و « التذكرة الحمدونية » (٢٠٦ / ١) .

(٤) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٨٣ / ١٦ / ٩) .

(٥) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦٠ / ١٠) .

(٦) ذكره المناوي في « فيض القدير » (٦٥ / ١) .

(٧) أورده في « المستطرف » (٩٠ / ١) .

وكان الأوزاعيُّ الفقيه رحمه الله تعالى كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات^(١) : [من الكامل]

المالُ ينفدُ حِلُّهُ وحَرَامُهُ يوماً وتبقى بعدهُ آثامُهُ
ليسَ التقيُّ بمُتَّقٍ لِلِإِلَهِ حتَّى يطيبَ شِرابُهُ وطعامُهُ
ويطيبَ ما يجني ويكسبُ أهْلُهُ ويطيبَ من لفظ الحديثِ كلامُهُ
فبذاك خَبَرْنَا النَّبِيَّ مُحَمَّدٌ فعلى النبيِّ صلاتُهُ وسلامُهُ

وحكي عن ابن المعتمر السُّلَميَّ أنه قال : (الناس ثلاثة أصنافٍ : أغنياء ، وفقراء ، وأوساط ، فالفقراء موتى إلا مَنْ أغناه الله تعالى بعزِّ القناعة ، والأغنياء سكارى إلا مَنْ عصمه الله تعالى بتوقُّع الغَيْر ، وأكثرُ الخير مع أكثرِ الأوساط ، وأكثرُ الشرِّ مع أكثرِ الفقراء والأغنياء ؛ لسُخف الفقر ، وبطر الغنى)^(٢) .

والحال الثانية : أن يقصِّر عن طلب كفايته ، ويزهد في التماس مادته ، وهذا التقصير قد يكون على ثلاثة أوجه : فيكون تارة كسلاً ، وتارة توكُّلاً ، وتارة زهداً وتقنعاً .

- فإن كان تقصيره لكسل .. فقد حُرِم ثروة النشاط ، ومرح الاغتباط ، ولن يعدم أن يكون كلاً مقصياً ، أو ضائعاً شقيّاً .

رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كاد الحسدُ أن يغلبَ القدرَ ، وكاد الفقرُ أن يكونَ كُفراً »^(٣) .

وقال بُزْرجُمَهْر : (إن كان شيءٌ فوق الحياة .. فالصَّحَّة ، وإن كان شيءٌ مثلاً .. فالغنى ، وإن كان شيءٌ فوق الموت .. فالمرضُ ، وإن كان شيءٌ مثله .. فالفقرُ)^(٤) .

(١) البيتان الأولان رواهما ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٣٥) للأوزاعي ، ورواها جميعاً في « شعب الإيمان » (٥٤٠٥) .

(٢) أورده في « عيون الأخبار » (٣٣١/١) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٤٣٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦١٨٨) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٥٣/٨) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٠٢) ، و « التذكرة الحمدونية » (٣٣٧/٤) .

وقيل في منشور الحكم : (القبرُ خيرٌ من الفقر)^(١) .

ووجد في نيل مصرَ مكتوبٌ على حجر : [من الرمل]

عُقْبَةُ الصَّبْرِ نَجَاحٌ وَغِنَى وَرِداءُ الْفَقْرِ مِنْ نَسْجِ الْكَسَلِ

وقال بعض الشعراء^(٢) : [من الطويل]

أَعُوذُ بِكَ اللَّهُمَّ مِنْ بَطَرِ الْغِنَى وَمِنْ نَهْكَ الْبَلَوِ وَمِنْ ذِلَّةِ الْفَقْرِ
وَمِنْ أَمَلٍ يَمْتَدُّ فِي كُلِّ شَارِقٍ وَيَرْجِعُنِي مِنْهُ بِحِظٍّ يَدِ صَفْرِ
إِذَا لَمْ تَدْنِسْنِي الذُّنُوبَ بِعَارِهَا فَلَسْتُ أَبَالِي مَا تَشَعَّثَ مِنْ أَمْرِي

- وإن كان تقصيره لتوكل . . فذلك عجزٌ قد أعذر به نفسه ، وترك حزم قد غيّر اسمه ؛ لأن الله تعالى إنما أمر بالتوكل عند انقطاع الحيل ، والتسليم إلى القضاء بعد الإعذار .

وقد روى معمر ، عن أيوب ، عن أبي قلابة قال : ذَكَرَ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ ، فَذُكِرَ فِيهِ خَيْرٌ ، وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ خَرَجَ مَعَنَا حَاجًّا ، فَإِذَا نَزَلْنَا مَنْزِلًا . . لَمْ يَزَلْ يَصَلِّي حَتَّى نَرْتَحِلَ ، فَإِذَا ارْتَحَلْنَا . . لَمْ يَزَلْ يَذْكُرُ اللَّهَ تَعَالَى حَتَّى نَنْزِلَ ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « فَمَنْ كَانَ يَكْفِيهِ عِلْفَ نَاقَتِهِ ، وَصَنَعَ طَعَامَهُ ؟ » قَالُوا : كُلُّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : « فَكُلُّكُمْ خَيْرٌ مِنْهُ »^(٣) .

وقال بعض الحكماء : (ليس من توكل المرء إضاعته للحزم ، ولا من الحزم إضاعه نصيبه من التوكل)^(٤) .

(١) رواه في « تاريخ دمشق » (٤٥٧ / ٣) ، والقالي في « الأماشي » (١٠٢ / ١) من قول أوس بن حارثة .

(٢) من نهكة البلوى : إهلاكها لي وإجهادها ، وكل شارق : لامع كالشمس ، ويد صفر : خالية لا شيء فيها ، وما تشعث : ما تفرّق .

(٣) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٢٠٤٤٢) ، فكلكم خير منه ؛ لعدم كونكم كلاً على غيركم ، أو لأنه راعى يعمله ليستخدمكم ، فهو غير مأجور في عمله ، وأنتم مأجورون في خدمتكم .

(٤) أوردته في « التذكرة الحمدونية » (٣٨٢ / ١) ، و « نثر الدر » (١١٩ / ٣) من قول المأمون .

- وإن كان تقصيره لزهيد وتقنع . . فهذه حالٌ مَنْ علم بمحاسبة نفسه تبعات الغنى والثروة ، وخاف عليها بوائق الهوى والقدرة ، فأثر الفقر على الغنى ، وزجر النفس عن ركوب الهوى .

وقد روى أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما مِنْ يوم طَلَعَتْ فيه شمسٌ إِلَّا وبِجَنَّتَيْهَا مَلَكَانِ يُنَادِيَانِ ، يَسْمَعُهُمَا خَلَقَ اللهُ كُلَّهُم إِلَّا الثَّقَلَيْنِ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ ؛ هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ ، إِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَالْهَى » (١) .

وروى زيد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « انتَظَرُ الفَرَجَ مِنْ اللهِ تَعَالَى عِبَادَةً ، وَمَنْ رَضِيَ بِالْقَلِيلِ مِنَ الرِّزْقِ . . رَضِيَ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْعَمَلِ » (٢) .
وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه قال : (من بُئِلَ الفقر : أَنْكَ لَا تَجِدُ أَحَدًا يَعْصِي اللهُ تَعَالَى لِفَتْقَرٍ) (٣) .

فأخذه محمود الوراق فقال (٤) :

[من السريع]

يا عائبَ الفقرِ ألا تزدَجِرُ عيبُ الغِنَى أكبرُ لو تعتَبِرُ
مِنْ شَرَفِ الْفَقْرِ وَمِنْ فَضْلِهِ على الغِنَى إِنْ صَحَّ مِنْكَ النَّظَرُ
أَنْكَ تَعْصِي لَتَنَالِ الْغِنَى ولستَ تعصي اللهَ كي تفتَقِرُ

وقال ابن المقفع (٥) :

[من الطويل]

دليلُكَ أَنَّ الْفَقْرَ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى وَأَنَّ الْقَلِيلَ الْمَالِ خَيْرٌ مِنَ الْمُثْرَى

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٣٣٢٩) ، والحاكم في « المستدرک » (٤٤٥ / ٢) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الفرج بعد الشدة » (١) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٥٣١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٢٩ / ٥٧) ، عن علي بن الحسين رحمهما الله تعالى .

(٣) أورده في « عيون الأخبار » (٢٤٧ / ١) ، ورواه في « تاريخ دمشق » (٢٢٦ / ٣٢) من قول السيد المسيح عليه السلام .

(٤) الأبيات في « ديوانه » (ص ٢١٦) .

(٥) أورد البيهقي في « الوافي بالوفيات » (٦٣٤ / ١٧) ، وهما منسوبان لسيدنا علي رضي الله عنه في « ديوانه » (ص ١٣١) .

لِقَاؤُكَ مخلوقاً عَصَى اللهَ بالغِنَى ولم ترَ مخلوقاً عَصَى اللهَ بالفقرِ
وهذه الحال إنما تصحُّ لِمَن نصح نفسه فأطاعته ، وصدَّقها فأجابته ؛ حتى لَانَ
قيادُها ، وهانَ عنادُها ، وعلمت أن مَنْ لم يتقنَّ بالقليل . . لم يتقنَّ بالكثير ؛ كما
كتب الحسن البصريُّ إلى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنهما : (يا أخي ؛
مَنْ استغنى بالله تعالى . . اكتفى ، وَمَنْ انقطع إلى غيره . . تعنى ، وَمَنْ كان من
قليل الدنيا لا يشبع . . لم يُغنه منها كثرة ما يجمع ، فعليك منها بالكفاف ، وألزم
نفسك العفاف ، وإياك وجمع الفضول ؛ فإنَّ حسابَه يطول) (١) .

وقال بعض الحكماء : (هيهات منك الغنى إن لم يُقنعك ما حَوَيْت) (٢) .

فأما مَنْ عزفت نفسه عن قبول نصحه ، وجمحت به عن قناعة زهده . . فليس
إلى إكراهها سبيلٌ ، ولا إلى الحمل عليها وجهٌ إلا بالرياضة والمُرون ، وأن
يستزلها عن السير الذي لا تنفر منه ، فإذا استقرَّت عليه . . استزلها إلى ما هو
أقلُّ منه ؛ لتنتهيَ بالتدرّج إلى الغاية المطلوبة ، وتستقرَّ بالرياضة والمُرون على
الحال المحبوبة ، فقد تقدّم قول الحكماء بأنَّ الكره يسهُل بالمُرون .
فهذا حكم ما في الحال الثانية من التقصير عن طلب الكفاية .

وأما الحال الثالثة : فهو ألا يقنع بالكفاية ، ويطلب الزيادة والكثرة ، فقد
يدعو إلى ذلك أربعة أسباب :

أحدها : منازعة الشهوات التي لا تُنال إلا بزيادة المال ، وكثرة المادة ، فإذا
نازعتَه الشهوةُ . . طلب من المال ما يوصله إليها ، وليس للشهوات حدٌّ متناهٍ ،
فيصير ذلك ذريعةً إلى أن ما يطلبه من الزيادة غيرُ متناهٍ ، وَمَنْ لم يتناهَ طلبُه . .
استدام كدُّه وتعبُه ، وَمَنْ استدام به الكدُّ والتعب . . لم يفِ التذاذه بنيل شهواته ؛
بما يعانيه من استدامة كدِّه وإتعبه ، مع ما قد لزمه من ذمِّ الانقياد لمغالبة

(١) رواه البيهقي في « الزهد » (١٠٣) من قول سيدنا عمر رضي الله عنه .

(٢) وقال بعضهم - كما في « منهاج اليقين » (ص ٣٧٧) - : (انتقم من الحرص بالقناعة كما تنتقم من عدوك
بالقصاص) .

الشهوات ، والتعرض لآكتساب التَّبَعات ؛ حتَّى يصيرَ كالبهيمة التي قد انصرف طلبها إلى ما تدعو إليه شهوتها ، فلا تنزجرُ منه بعقل ، ولا تنكفُ عنه بقناعة .

وقد روى عليُّ بن أبي طالب عليه السلام ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا . حَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَهْوَتِهِ ، وَحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قَلْبِهِ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِ شَرًّا . وَكَلَّهُ إِلَى نَفْسِهِ » .

وقال الشاعر^(١) :

وإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ بطنَكَ هَمَّهُ وَفَرَجَكَ نالاً مُنتهى الدَّمِّ أَجمَعَا

والسبب الثاني : أن يطلب الزيادة ، ويلتمس الكثرة ؛ ليصرفها في وجوه الخير ، ويتقرب بها في وجوه البر ، ويصطنع بها المعروف ، ويغيث بها الملهوف .

فهذا أعذرُ ، وهو بالحمد أحرى وأجدرُ إذا انصرفت عنه تبعات المطالب ، وتوفَّى شبهات المكاسب ، وأحسن التقدير في حالتي فائدته وإفادته على قدر الزمان ، وبقدر الإمكان ؛ لأنَّ المال آلة المكارم ، وعونٌ على الدِّين والمغارم ، وبه يُتَأَلَّف الإخوان .

ومَن فقدَه من أبناء الدنيا . قلَّت الرغبةُ فيه ، والرهبةُ منه ، ومَن لم يكن منهم بموضع رهبةٍ ولا رغبةٍ . استهانوا به ؛ وقد روى عبد الله بن بُريدة ، عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ أَحْسَبَ أَهْلِ الدُّنْيَا هَذَا الْمَالُ »^(٢) .

وقال مجاهد : (الخير في القرآن كلُّه : هو المال ؛ فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكُمْ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدُونَ ﴾ يعني : المال ، ومنه : ﴿ أَحَبُّتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾

(١) البيت لحاتم الطائي في « ديوانه » (ص ٤٢) .

(٢) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٦٦٩) ، والنسائي (٦٤ / ٦) .

يعني : المال ، ومنه : ﴿ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ يعني : مالا ، وقال سبحانه على لسان شعيب عليه السلام : ﴿ إِنِّي أَرْزُقُكُمْ بِخَيْرٍ ﴾ يعني : الغنى والمال ^(١) .

وإنما سمى الله تعالى المال خيراً إذا كان في الخير مصروفاً ؛ لأن ما أدى إلى الخير . . فهو في نفسه خيرٌ .

وقد اختلف أهل التأويل في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا إِنَّا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ وَقَدْ آتَيْنَاكَ الْآخِرَةَ حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةٌ ﴾ ، فقال السدي وعبد الرحمن بن زيد : (الحسنه في الدنيا : المال ، وفي الآخرة : الجنة . وقال الحسن البصري وسفيان الثوري : الحسنه في الدنيا : العلم والعبادة ، وفي الآخرة : الجنة) ^(٢) .

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (الدراهم والدنانير خواتيم الله في الأرض ، لا تؤكل ولا تُشرب ، حيث قصدت بها . . قُضِيَتْ حاجتك) ^(٣) .

وقال قيس بن سعد : (اللهم ؛ ارزقني حمداً ومجداً ، فإنه لا حمد إلا بفعل ، ولا مجد إلا بمال) ^(٤) .

وقيل لأبي الزناد : (لِمَ تحبُّ الدراهم وهي تُدِينُكَ من الدنيا ؟ فقال : هي وإن أدتني منها . . فقد صانتني عنها) ^(٥) .

وقال بعض الحكماء : (مَنْ أصلح ماله . . فقد صان الأكرمين : الدين ، والعرض) ^(٦) .

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (١٥٩ / ٢ / ٢) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٤٠٠ / ٢ / ٢ - ٤٠١) .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٥٠٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٩٤ / ٦٣) من قول وهب بن منبه رحمه الله تعالى .

(٤) أورده في « البيان والتبيين » (١٤٧ / ٢) ، ورواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٢١٠) .

(٥) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٢١٢) ، و« تاريخ دمشق » (٦١ / ٢٨) .

(٦) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٢٨) ، و« زهر الآداب » (٩٨٥ / ٢) .

وقيل في منشور الحكم : (مَنْ اسْتَغْنَى . . كَرَّمَ عَلَى أَهْلِهِ)^(١) .

ومرَّ رجلٌ من أرباب الأموال ببعض العلماء ، فتحرك له وأكرمه ، فقيل له بعد ذلك : (أكانت لك إلى هذا حاجة ؟ قال : لا ؛ ولكنني رأيتُ ذا المالِ مهيباً)^(٢) .

وسأل رجلٌ محمدَ بنَ عُمَيْرِ بنَ عَطَّارِدَ وَعَتَّابَ بنَ ورقاءَ في عشرِ دِيَّاتٍ ، فقال محمد : (عَلَيَّ دِيَّةٌ) ، وقال عَتَّاب : (الباقي عليَّ) ، فقال محمد : (نعمَ العونُ على المجدِّ اليسارُ)^(٣) .

وكان يقال : (الدراهمُ مَراهمُ ؛ لأنها تداوي كلَّ جُرح ، ويطيب بها كلُّ صُلح)^(٤) .

وقيل في منشور الحكم : (الْفَقْرُ مَخْذَلَةٌ ، وَالْغِنَى مَجْذَلَةٌ ، وَالْبُؤْسُ مَرْدَلَةٌ ، وَالسُّؤَالُ مَبْذَلَةٌ)^(٥) .

وقال الأحنف بن قيس^(٦) :

فلو مُدَّ سَرْوِي بِمَالٍ كَثِيرٍ لَجَذْتُ وَكُنْتُ لَهُ بَاذِلًا
فإنَّ المَروءَةَ لَا تُسْتَطَاعُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَالُهَا فَاضِلًا

(١) أورده أبو عبيد في « الأمثال » (ص ٢٨٩) ، والعسكري في « جمهرة الأمثال » (٢٩٧/٢) لحسن بن حذيفة .

(٢) أورده أبو عبيد في « الأمثال » (ص ١٩١) ، وفي « محاضرات الأدباء » (٢٨١/٢) للشعبي .

(٣) أورده في « البيان والتبيين » (٢٩٢/٢) .

(٤) أورده أوله في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٢٨٨) ، وذكره تاماً في « فيض القدير » (٤٢٦/١) .

(٥) ذكره الألويسي في « روح المعاني » (٢٠٣/٤) ، ومخذلة : داع إلى الخذلان ، ومجذلة : داعي جذل ؛ وهو الفرح ، والبؤس مردلة : شدة الحاجة سبب رذالة ومساوئ أفعال ، والسؤال مبذلة : داع إلى بذل الحياء وإراقة ماء الوجه .

(٦) أورده البيهقي في « البيان والتبيين » (٢٩٢/٢) ، و« بهجة المجالس » (٦٤٧/١) . والبيتان في (ج ، هـ) فقط ، وسَرْوِي : مصدر (سرو الرجل) إذا كان ذا مروءة في شرف وأصالة ، ومعنى البيت : تأسف وتلف على عدم المال ؛ فكأنه قيل : (الجود بذل الموجود) .

وقال ابن الجَلَّاح (١) :

[من البسيط]

رُزِقْتُ لُبًّا وَلَمْ أُرْزَقْ مَرْوَةً
إِذَا أَرَدْتُ مُسَامَاةً تُبَاعِدُنِي
وَمَا الْمَرْوَةُ إِلَّا كَثْرَةُ الْمَالِ
عَمَّا يُنَوِّهُ بِاسْمِي رِقَّةُ الْحَالِ

وقال أوس بن حجر (٢) :

[من الطويل]

أَقِيمُ بَدَارِ الْحَزْمِ مَا دَامَ حَزْمُهَا
فَإِنِّي وَجَدْتُ النَّاسَ إِلَّا أَقْلَهُمْ
وَأُخْرَى إِذَا حَالَتْ بِأَنْ أَتَحَوَّلَا
بَنِي أُمَّ ذِي الْمَالِ الْكَثِيرِ يَرَوْنَهُ
خِفَافَ الْعُهُودِ يُكْثِرُونَ التَّنْقِلَا
وَهُمْ لِمَقْلِّ الْمَالِ أَوْلَادُ عَلَّةٍ
وَإِنْ كَانَ عَبْدًا سَيِّدَ الْأَمْرِ جَخَفَلَا
وَإِنْ كَانَ مَحْضًا فِي الْعَشِيرَةِ مُخَوَّلَا

وقال أبو بشر الضَّرِير (٣) :

[من الطويل]

كَفَى حَزَنًا أَنِّي أَرْوَحُ وَأَغْتَدِي
وَأَكْثَرُ مَا أَلْقَى الصَّدِيقَ بَمَرْحَبَا
وَمَا لِي مِنْ مَالٍ أَصُونُ بِهِ عَرْضِي
وَذَلِكَ لَا يَكْفِي الصَّدِيقَ وَلَا يُرْضِي

وقال آخر (٤) :

[من الطويل]

أَجَلَّكَ قَوْمٌ حِينَ صِرْتَ إِلَى الْغِنَى
وَلَيْسَ الْغِنَى إِلَّا غِنَى زَيْنِ الْفَتَى
وَكُلُّ غِنَىٍّ فِي الْعُيُونِ جَلِيلُ
عَشِيَّةٍ يَقْرِي أَوْ غَدَاةٍ يُنِيلُ

وقد اختلف الناسُ في تفضيل الغنى والفقر ، مع اتفاقهم : أنَّ ما أحوَجَ من الفقر مكرهٌ ، وما أبَطَرَ من الغنى مذمومٌ .

فذهب قومٌ إلى تفضيل الغنى على الفقر ؛ لأنَّ الغنيَّ مقتدرٌ ، والفقرَ عاجزٌ ،

(١) البيتان ليسا في «ديوانه» المطبوع ، ومنسوبان للخليل في «ديوانه» (ص ١٨) ، وانظر «عيون الأخبار» (٢٣٩/١) ، والمساماة : المفاخرة .

(٢) الأبيات في «ديوانه» (ص ٨٣ ، ٩١) .

(٣) أوردهما ابن أبي الدنيا في «إصلاح المال» (١٠٥) ، والبيتان زيادة من (ج ، هـ) .

(٤) البيتان لأبي العتاهية في «ديوانه» (ص ٣١٨) ، يقري : ما يقدم للضيف ، وينيل : يعطي ، وفي البيت نصح وإرشاد لما يفعله صاحب المال ، أو هو تعريض ببخل المخاطب .

والقدرة أفضل من العجز ، وهذا مذهب مَنْ غلب عليه حبُّ النباهة .

وذهب آخرون إلى تفضيل الفقر على الغنى ؛ لأنَّ الفقير تارك ، والغنيُّ مُلَابِس ، وترك الدنيا أفضل من ملابتها ، وهذا مذهب مَنْ غلب عليه حبُّ السلامة .

وذهب آخرون إلى تفضيل التوسط بين الأمرين ؛ بأن يخرج عن حدِّ الفقر إلى أدنى مراتب الغنى ؛ ليصل إلى فضيلة الأمرين ، ويسلم من مذمة الحالين ، وهذا مذهب مَنْ يرى تفضيل الاعتدال ، وأنَّ خيار الأمور أوساطها ، وقد مضى من شواهد كلِّ فريق في موضعه ما أغنى عن إعادته .

والسبب الثالث : أن يطلب الزيادة ، ويقتني الأموال ؛ ليدَّخرها لولده ، ويخلفها على ورثته مع شدة ضنِّه على نفسه ، وكفِّه عن صرف ذلك في حقِّه ؛ إشفافاً عليهم من كدح الطلب ، وسوء المنقلب .

فهذا شقيٌّ بجمعها ، مأخوذٌ بوزرها ، قد استحقَّ اللومَ ، واستوجب الذمَّ من وجوه لا تختلُّ على ذي لبٍّ :

منها : سوء ظنِّه بخالقه في أنه لا يرزقهم إلا من جهته ، وقد قيل : (قتل القنوطُ صاحبه) .

وفي حسن الظنِّ بالله تعالى راحةُ القلوب ، وقال عبد الحميد : (كيف تبقى على حالتِكَ والدهرُ في إحالتِكَ !؟)^(١) .

ومنها : الثقةُ ببقاء ذلك على ولده مع نوائب الزمان ومصائبه ، وقد قيل : (الدهرُ حُسوْدٌ ، لا يأتي على شيءٍ إلا غيَّره) .

وقيل في منشور الحكم : (المالُ ملولٌ)^(٢) .

(١) في إحالتك : في إفنائك ، يقال : أحالت الدار : إذا أتى عليها أحوال ؛ أي سنون .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٩٣) .

وقال بعض الحكماء : (الدنيا إن بقيت لك . . لم تبقى لها)^(١) .

ومنها : ما حُرِمَ من منافع ماله ، وسُلبَ من وفور حاله ، وقد قيل : (إنَّما مالُكَ : لك ، أو للوارث ، أو للجائحة ، فلا تكن أشقى الثلاثة)^(٢) .

وقال عبد الحميد : (اطْرَحْ كواذِبَ آمالِكَ ، وكنْ وارثَ مالِكَ) .

ومنها : ما لحقه من شقاء جمعه ، وناله من عناء كدِّه ، حتَّى صار ساعياً محروماً ، وجاهداً مذموماً ، وقد قيل : (ربِّ مغبوطٍ بمسرَّةٍ هي داؤه ، ومرحومٍ من سقمٍ هو شفاؤه)^(٣) .

وقال الشاعر^(٤) :

[من الطويل]

وَمَنْ كَلَّفَتْهُ النَّفْسُ فَوْقَ كَفَافِهَا فَمَا يَنْقُضِي حَتَّى الْمَمَاتِ عَنَاؤُهُ

ومنها : ما يُؤَاخِذُ به من وزره وآثامه ، ويُحَاسِبُ عليه من تبعاته وإجرامه ؛ كما حُكي : أنَّ هشام بن عبد الملك لَمَّا ثَقُلَ . . بكى عليه ولدَّه ، فقال لهم : (جاد لكم هشام بالدنيا ، وجُدتُم عليه بالبكاء !! وترك لكم ما كسب ، وتركتم عليه ما اكتسب !! ما أسوأ حالَ هشام إن لم يغفر الله له !!)^(٥) .

فأخذ هذا المعنى محمود الورَّاق ، فقال^(٦) :

[من المتقارب]

وإِلا فلا مالَ إن أنْتَ مّا	تمتّع بمالِكَ قبلَ المَماتِ
لغيرِكَ بُعداً وسُخفاً ومَقْتاً	شقيتَ بِهِ ثُمَّ خَلَفْتَهُ
وَجُدتَ عليهم بما قد جمَعْتا	فجادوا عليك بزورِ البُكاءِ
وخلّوكَ رهنأ بما قد كسبْتا	فأرهنَّتْهُم كلَّ ما في يديكَ

(١) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٢٤٩) ، و« نهاية الأرب » (١١٠/٦) .

(٢) رواه في « البيان والتبيين » (١٩١/٣) ، وأوردته في « بهجة المجالس » (١٩٦/١) من قول سيدنا أبي ذر رضي الله عنه .

(٣) أوردته في « لباب الآداب » (ص ٤٦٣) .

(٤) البيت لأبي العتاهية في « ديوانه » (ص ٤) .

(٥) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٣٠٨٧) ، و« الجليس الصالح » (٣٨٦/٢) ، وترك لكم

ما كسب من الدنيا ، وتركتم عليه ما اكتسب من الآثام والمعاصي !!

(٦) الأبيات في « ديوانه » (ص ٨٨) .

وقد رُوي أن العباس بن عبد المطلب جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ؛ ولّني ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عباس ، يا عمّ النبي ؛ قليلٌ يكفيك خيرٌ من كثيرٍ يُرديك ، يا عباس ، يا عمّ النبي ؛ نفسٌ تُنجيها خيرٌ من إمارةٍ لا تُحصيها ، يا عباس ، يا عمّ النبي ؛ إنّ الإمارةَ أولُها ندامةٌ ، وأوسطُها مَلامةٌ ، وآخرُها خِزيٌّ يومَ القيامةِ » فقال : يا رسول الله ؛ إلا مَنْ عدلَ ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « وكيف تعدّلونَ معَ الأقاربِ ؟ »^(١) .

وقال رجلٌ للحسن البصريّ : (إنّني أخاف الموتَ وأكرهه !! فقال : إنّك خلّفتَ مالَكَ ، ولو قدّمته . . لسرّكَ اللّحاقُ به)^(٢) .

وقيل في منثور الحكم : (كثرةُ مالٍ الميت تُعزّي ورثته عنه)^(٣) .

فأخذ هذا المعنى ابنُ الروميّ ، فقال وزاد^(٤) :

[من البسيط]

أبقيتَ مالَكَ ميراثاً لوارثِهِ	فليتَ شِعْري ما بقى لكَ المالُ
القومُ بعدَكَ في حالٍ تسرُّهُمُ	فكيفَ بعدَهُمُ حالَتُ بكَ الحالُ
ملُّوا البكاءَ فما يبيّكُ من أحدٍ	واستحكَمَ القيلُ في الميراثِ والقالُ
ألَهَتْهُمُ عنكَ دنيا أقبلتَ لَهُمُ	وأدبرتَ عنكَ والأَيامُ أحوالُ

والسبب الرابع : أن يجمع المال ، ويطلب المكاثرة ؛ استحلاءً لجمعه ، وشغفاً باحتجانه^(٥) .

فهذا أسوأ الناس حالاً فيه ، وأشدُّهم حرماناً له ، قد توجَّهت إليه سائرُ

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٠٢٤) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٣٢١١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٣٩ / ٤٨) .

(٢) أورده في « البيان والتبيين » (٢٦٤ / ١) ، ورواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٥٢٢) .

(٣) أورده في « التذكرة الحمدونية » (١٠٨ / ٨) ، و « نثر الدر » (١٥١ / ٣) من قول عبد الله بن المعتز .

(٤) الأبيات منسوبة لمحمود الوراق في « ديوانه » (ص ٢٣٠) .

(٥) احتجان المال : جمعه وضم ما انتشر منه ، والاستلذاذ بجمعه وجذبه كما يُجذب الشيء بالمحجن .

المَلَاوِم ؛ حتى صار وبالاً عليه ، وَمَذَامٌ لَهُ ، وفي مثله قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَتَّقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « تَبًّا لِلذَّهَبِ ، تَبًّا لِلْفِضَّةِ » فسقَ ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : فَأَيَّ مَالٍ نَتَّخِذُ ؟ قال عمر رضي الله تعالى عنه : أنا أعلمُ لكم ذلك ، فقال : يا رسول الله ؛ إِنَّ أصحابك قد سقوا عليهم ما قلت ، وقالوا : فَأَيَّ مَالٍ نَتَّخِذُ ؟ فقال : « لساناً ذاكراً ، وقلباً شاكراً ، وزوجةً مؤمنةً تُعِينُ أَحَدَكُم عَلَى دِينِهِ »^(١) .

وروى شَهْرُ بْنُ حَوْشِبٍ ، عن أَبِي أُمَامَةَ قَالَ : مات رجلٌ من أهل الصُّفَّةِ ، فَوُجِدَ في مِثْرَه دِينَارٌ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كَيْتٌ » ثم مات آخر ، فَوُجِدَ في مِثْرَه دِينَارَانِ ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « كَيْتَانِ »^(٢) .

وإنَّما ذكر ذلك فيهما وإن كان قد مات على عهده مَنْ ترك أموالاً جَمَّةً ، وأحوالاً ضَخْمَةً ، فلم يكن منه فيهم ما كان في هَٰذَيْنِ ؛ لأنَّهما تظاهرا بالقناعة ، واحتجنا ما ليس بهما إليه حاجةٌ ، فصار ما احتجنا وزراً عليهما ، وعقاباً لهما .

وقد قال الشاعر^(٣) :

إذا كنتَ ذا مالٍ ولم تَكُ ذا نَدَى فأنتَ إذا والمُقْتِرُونَ سَوَاءُ
على أَنَّ في الأموالِ يوماً تِبَاعَةً على أهلِها والمُقْتِرُونَ بُرَاءُ

وأنشدت عن الربيع للشافعي رضي الله عنه^(٤) :

إنَّ الذي رَزَقَ اليسارَ فلم يُصِبْ حمداً ولا أجراً لَغَيْرِ مُوَفَّقٍ

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٤٠) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٨٤) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٢٢٧٤) ، وقال في « منهاج اليقين » (ص ٣٨٣) : (والله در المصنف ؛ لقد ساق الآية في مساقٍ اندفع به شبهات المفسرين ، حتى ذهب بعضهم إلى أن آية الزكاة نسخت آية الكنز ، وبنى الزمخشري تفسيرها على ما روي عنه عليه السلام : « كل ما أدبت زكاته . . فليس يكثر وإن كان باطلاً ، وما لم يُزَكَّ . . فهو كنز وإن كان ظاهراً ») .

(٢) رواه هناد في « الزهد » (٦٣١) ، والإمام أحمد في « المسند » (٢٥٢/٥) .

(٣) البيتان أوردهما الخطابي في « غريب الحديث » (٨٨/١) مما أنشده ثعلب ، والمُقْتِرُونَ : المُقِلُّونَ .

(٤) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٠٠-١٠١) ، وفي « مناقب الشافعي » للبيهقي (٩٢/٢) ، =

وَالْجَدُّ يُدْنِي كُلَّ شَيْءٍ شَاسِعٍ وَالْجَدُّ يَفْتَحُ كُلَّ بَابٍ مُغْلَقٍ
فَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنْ مَجْدُودًا حَوَى عَوْدًا فَأَوْرَقَ فِي يَدَيْهِ فَحَقَّقَ
وَإِذَا سَمِعْتَ بِأَنْ مَحْدُودًا أَتَى مَاءً لِيَشْرِبَهُ فَجَفَّ فَصَدَّقَ
وَأَحَقُّ خَلْقِ اللَّهِ بِالْهَمِّ امْرُؤٌ ذُو هِمَّةٍ يُبْلَى بِعَيْشِ ضَيْقِ
وَمَنْ الدَّلِيلُ عَلَى الْقَضَاءِ وَكَوْنِهِ بَوْسُ اللَّيْبِ وَطَيْبُ عَيْشِ الْأَحْمَقِ

وَأَفَةُ مَنْ بُلِيَ بِالْجَمْعِ وَالِاسْتِكْثَارِ ، وَمُنَى بِالِإِمْسَاكِ وَالِادِّخَارِ ، حَتَّى انصَرَفَ
عَنْ رَشْدِهِ فَغَوَى ، وَانْحَرَفَ عَنْ سَنَنِ قَصْدِهِ فَهَوَى . . أَنْ يَسْتَوِلِيَ عَلَيْهِ حُبُّ
الْمَالِ ، وَبَعْدُ الْأَمَلِ ، فَيَبِيعُهُ حُبُّ الْمَالِ عَلَى الْحَرَصِ فِي طَلْبِهِ ، وَيَدْعُوهُ بَعْدُ
الْأَمَلِ عَلَى الشُّحِّ بِهِ .

وَالْحَرَصُ وَالشُّحُّ أَصْلًا كُلُّ ذِمٍّ ، وَسَبِيًّا كُلُّ لُؤْمٍ ؛ لِأَنَّ الشُّحَّ يَمْنَعُ مِنْ أَدَاءِ
الْحَقُوقِ ، وَيَبِيعُ عَلَى الْقَطِيعَةِ وَالْعَقُوقِ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « شَرُّ مَا أُعْطِيَ الْعَبْدُ : شُحُّ هَالِعٌ ، وَجُبْنٌ خَالِعٌ » ^(١) .
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءَ : (الْغِنَى الْبَخِيلُ كَالْقَوِيُّ الْجَبَانُ) .

وَأَمَّا الْحَرَصُ . . فَيَسْلُبُ فَضَائِلَ النَّفْسِ ؛ لِاسْتِيلَائِهِ عَلَيْهَا ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّوَفُّرِ
عَلَى الْعِبَادَةِ ؛ لِتَشَاغُلِهِ عَنْهَا ، وَيَبِيعُ عَلَى التَّوَرُّطِ فِي الشَّبَهَاتِ ؛ لِقَلَّةِ تَحَرُّزِهِ
مِنْهَا ، وَهَذِهِ ثَلَاثُ خِلَالٍ هُنَّ جَامِعَاتُ الرِّذَائِلِ ، وَسَالِبَاتُ الْفَضَائِلِ ^(٢) .

مَعَ أَنَّ الْحَرِيسَ لَا يَكْسِبُ بِحَرَصِهِ زِيَادَةً عَلَى رِزْقِهِ سِوَى إِذْلَالِ نَفْسِهِ ،
وَإِسْخَاطِ خَالِقِهِ .

= وَالْجَدُّ : الْأَوَّلُ بِالْفَتْحِ : الْحِظُّ وَالْبَخْتُ ، وَالثَّانِي بِالْكَسْرِ : السَّعْيُ وَالِاجْتِهَادُ ، وَالشَّاسِعُ : الْبَعِيدُ .

وَالْمَجْدُودُ : الْمَحْظُوظُ ، وَالْمَحْدُودُ عَكْسُهُ ؛ وَهُوَ الْمَحْرُومُ .

(١) رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي « صَحِيحِهِ » (٣٢٥٠) ، وَأَبُو دَاوُدَ (٢٥١١) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،
وَشُحُّ هَالِعٌ : الْبَخْلُ الَّذِي يَمْنَعُ مِنْ إِخْرَاجِ الْحَقِّ الْوَاجِبِ عَلَيْهِ ؛ فَإِذَا اسْتَخْرَجَ مِنْهُ . . هَلَعَ وَجَزَعَ ، وَجَبَنَ
خَالِعٌ : شَدِيدٌ يَخْلَعُ الْفُؤَادَ مِنْ شِدَّتِهِ .

(٢) وَهَذِهِ الثَّلَاثُ هِيَ : سَلْبُ الْفَضَائِلِ ، وَمَنْعُ الْعِبَادَةِ ، وَالتَّوَرُّطُ فِي الشَّبَهَاتِ .

ورُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الحرصُ الجاهدُ ، والقنعُ الزاهدُ . . يستوفيانِ أَكْلَهُمَا غيرَ منتَقَصٍ منه شيئاً ، فعَلامَ التَّهافتِ في النارِ ؟ ! » (١) .

وقال بعض الحكماء : (الحرصُ مفسدةٌ للدين والمروءة ، والله ؛ ما عرفت من وجه رجلٍ حرصاً فرأيتُ أَنَّ فيه مُصْطَبَعاً) (٢) .

وقال آخر : (الحرصُ أسيرُ مهانةٍ ، لا يُفكُّ أسره) .

وقال بعض البلغاء : (المقاديرُ الغالبة لا تُنال بالمُغالبة ، والأرزاق المكتوبة لا تُنال بالشدة والمُكالبة ، فذلُّ للمقاديرِ نفسك ، واعلم بأنك غيرُ نائلٍ بالحرص إلا حظَّك) (٣) .

وقال بعض الأدباء : (ربَّ حظٍّ أدركه غيرُ طالبه ، ودَرَ أحرزه غيرُ حالبه) (٤) .

وأنشدني بعض أهل الأدب لمحمد بن حازم (٥) :

يا أسيرَ الطَّمَعِ الكَا ذبٍ في غُلِّ الهَوَانِ
إِنَّ عِزَّ اليَاسِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ ذُلِّ الأَمَانِي
سامِحِ الدَّهْرَ إذا عَزَّ وخُذْ صَفْوَ الزَّمَانِ
ربَّما أَعَدَمَ ذو الحِرِّ صِ وأَثَرِي ذو التَّوَانِي

وليس للحرص غايةٌ مقصودةٌ يقف عندها ، ولا نهايةٌ محدودةٌ يقتنع بها ؛ لأنَّه إن وصل بالحرص إلى ما أُمِّل . . أغراه ذلك بزيادة الحرص والأمل ، وإن لم يصل . . رأى إضاعةَ العناء لوماً ، والصبرَ عليه حزماً ، وصار بما سلف من عنائه أقوى رجاءً ، وأبسط أملاً .

(١) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٧٤٥) ، وأورده ابن أبي الدنيا في « القناعة والتعفف » (٦٦) من قول الحسن البصري رحمه الله .

(٢) رواه في « الأغاني » (١٢٨٩/٤) ، وأورده في « ربيع الأبرار » (٤٣٨/٣) من قول المأمون .

(٣) أورده في « البصائر والذخائر » (١٥٦/٣) .

(٤) أورده في « جمهرة الأمثال » (١٣٧/١) .

(٥) الأبيات في « ديوانه » (ص ٩٨ - العاشر) .

وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يَشِيبُ ابْنُ آدَمَ وَتَشِبُّ مِنْهُ خَصْلَتَانِ : الْحَرَصُ وَالْأَمَلُ »^(١) .

وقيل للمسيح عليه السلام : (ما بالُ المشايخ أحرصَ على الدنيا من الشباب ؟ قال : لأنَّهم ذاقُوا من طعم الدنيا ما لم يذُقْهُ الشباب)^(٢) .

ولو صدق الحريصُ نفسه ، واستنصح عقله . . لعلم أنَّ من تمام السعادة ، وحسن التوفيق . . الرضا بالقضاء ، والقناعة بالقسم .

رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اقْتَصِدُوا فِي الطَّلَبِ ؛ فَإِنَّ مَا رَزَقْتُمُوهُ أَشَدُّ طَلَباً لَكُمْ مِنْكُمْ لَهُ ، وَمَا حُرِمْتُمُوهُ . . فَلَنْ تَنَالُوهُ وَلَوْ حَرَصْتُمْ »^(٣) .

ورُوي أنَّ جبريل عليه السلام هبط على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ ، وَيَقُولُ لَكَ : اقْرَأْ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَابْقَى ﴾ ، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم منادياً فنادى : « مَنْ لَمْ يَتَأَدَّبْ بِأَدَبِ اللَّهِ تَعَالَى . . تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَاتٍ »^(٤) .

وقيل : (مكتوبٌ في بعض الكتب : رُدُّوا أَبْصَارَكُمْ عَلَيْكُمْ ؛ فَإِنَّ لَكُمْ فِيهَا شُغْلًا)^(٥) .

وقال مجاهد في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّكُمْ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ قال : (بالقناعة)^(٦) .

(١) رواه الترمذي (٢٣٣٩) ، وابن ماجه (٤٢٣٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) أورده في « البصائر والذخائر » (١٣٠ / ٨) ، و « محاضرات الأدباء » (٣٢٩ / ٢) .

(٣) أورده في « محاضرات الأدباء » (٢٥٨ / ٢) .

(٤) ذكره المؤلف في « النكت والعيون » (٤٣٤ / ٣) .

(٥) رواه ابن عساکر في « تاريخ دمشق » (٨٢ / ١٣) عن مالك بن دينار رحمه الله تعالى .

(٦) رواه الطبري في « تفسيره » (٢٠٩ / ١٤ / ٨) عن سيدنا علي رضي الله عنه والحسن البصري رحمه الله تعالى .

وقال أكثم بن صيفي : (مَنْ باع الحرصَ بالقناعة .. ظفر بالغنى والثروة)^(١) .

وقال بعض السلف : (قد يخيب الجاهدُ الساعي ، ويظفر الوادعُ الهادي) .
فأخذه البحرئي فقال^(٢) :

لم أَلَقْ مقدوراً على استحقاقِهِ في الحظِّ إمّا ناقصاً أو زائداً
وعجبتُ للمحدودِ يُحرّمُ ناصباً كَلِفاً وللمجدودِ يغنمُ قاعداً
ما خَطُبُ مَنْ حُرِمَ الإرادةَ وادعاً خَطُبَ الذي حُرِمَ الإرادةَ جاهداً

وقال بعض الحكماء : (إِنَّ مَنْ قنعَ .. كان غنياً وإن كان مقتراً ، ومن لم يقنعْ .. كان فقيراً وإن كان مُكثِراً)^(٣) .

وقال بعض البلغاء : (إذا طلبتَ العزَّ .. فاطلبه بالطاعة ، وإذا طلبتَ الغنى .. فاطلبه بالقناعة ، فمن أطاع الله عز وجل .. عزَّ نصرُهُ ، ومن لزم القناعة .. زال فقرُهُ)^(٤) .

وقال بعض الأدباء : (القناعةُ : عزُّ المعسر ، والصَّدَقَةُ : حرزُ الموسر)^(٥) .

وقال بعض الشعراء^(٦) :

إِنِّي أَرى مَنْ لَهُ قُنُوعٌ يُدْرِكُ ما نالَ مَنْ تَمَنَّى
والرِّزْقُ يَأْتِي بِلا عَناءٍ وربِّما فاتَ مَنْ تَعَنَّى

(١) أوردته في « ربيع الأبرار » (٣٧٣/٥) .
(٢) الأبيات في « ديوانه » (٨٢٢-٨٢١/٢) ، والمحدود : المحروم ، والمجدود : ذو الحظِّ .
(٣) أوردته في « الكشكول » (٨٩/٢) .
(٤) أوردته في « الكشكول » (٥٥/٢) .
(٥) أوردته في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٢٧٩) ، و« الكشكول » (٨٩/٢) ، وحرز الموسر : حصنه وملجأه .
(٦) البيتان رواهما في « الطيوريات » (٧٩٩) ، وأوردتهما في « الزهرة » (٩٧/٢) .

والقناعة قد تكون على ثلاثة أوجه :

فالوجه الأول : أن يقتنع بالبلغة من دنياه ، ويصرف نفسه عن التعرّض لما سواه ، وهذا أعلى منازل أهل القناعة .

وقال الشاعر^(١) :

إذا شئت أن تحيا غنياً فلا تكن على حالةٍ إلا رضيتَ بدونها
وقال مالك بن دينار : (أزهّد الناس في الدنيا : من لم تتجاوز رغبته من الدنيا ببلغته) .

وقال بعض الحكماء : (الرضا بالكفاف يؤدّي إلى العفاف)^(٢) .

وقال بعض الأدباء : (ربّ ضيقٍ أفضل من سعة ، وعناء خير من دعة)^(٣) .

وأنشدني بعض أهل الأدب وذكر أنّه لعليّ بن أبي طالب عليه السلام^(٤) : [من الوافر]

أفادتني القناعة كلَّ عزٍّ وأيّ غنى أعزُّ من القناعة
فصيّرَها لنفسك رأسَ مالٍ وصيّرَ بعدها التّقوى بضاعةً
تُحزِرُ ربّحينَ تغنى عن بخيلٍ وتنعمُ في الجنانِ بصبرِ ساعةٍ

والوجه الثاني : أن تنتهي به القناعة إلى الكفاية ، ويحذف الفضول الزائدة ، وهذه أوسط أحوال المقتنع .

وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من عبدٍ إلا بينه وبينَ

(١) في النسخ كلها إلا (هـ) : (وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال) ، وهو بيت شعر ذكر في كثير من المصادر ؛ انظر « الصلة » لابن بشكوval (٢٦ / ١) ، و « وفيات الأعيان » (٣٢٨ / ٣) في ترجمة ابن حزم الظاهري حيث قال عنه : (أنشدني والدي الوزير في بعض وصاياه لي رحمه الله تعالى . . .) وذكر البيت .

(٢) أورده في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٢٧٩) ، و « يتيمة الدهر » (٣٤٩ / ٤) من قول أبي الفتح البستي .

(٣) خيرٌ من دعة : خيرٌ من سكونٍ وراحة .

(٤) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٦٢) .

رَزَقَهُ حِجَابٌ ؛ فَإِنْ قَنَعَ وَاقْتَصَدَ . . أَتَاهُ رِزْقُهُ ، وَإِنْ هَتَكَ الْحِجَابَ . . لَمْ يُزِدْ فِي رِزْقِهِ « (١) .

وقال بعض الحكماء : (طَلَبُ مَا فَوْقَ الْكَفَافِ إِسْرَافٌ) .

وقال بعض البلغاء : (مَنْ رَضِيَ بِالْمَقْدُورِ . . قَنَعَ بِالْمَيْسُورِ) (٢) .

وقال البحتري (٣) :

تَطْلُبُ الْأَكْثَرَ فِي الدُّنْيَا وَقَدْ تَبْلَغُ الْحَاجَةَ مِنْهَا بِالْأَقْلِ

وَأُنْشَدَتْ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَدْبَرِ (٤) :

إِنَّ الْقَنَاعَةَ وَالْعِفَا فَ لِغِنْيَانِ عَنِ الْغِنَى

فَإِذَا صَبَرْتَ عَنِ الْمُنَى فَاشْكُرْ فَقَدْ نِلْتَ الْمُنَى

والوجه الثالث : أن تنتهي به القناعة إلى الوقوف على ما سنع ؛ فلا يكره ما أتاه وإن كان كثيراً ، ولا يطلب ما تعدّر وإن كان يسيراً .

وهذه الحال أدنى منازل أهل القناعة ؛ لأنها مشتركة بين رغبة ورهبة ؛ أما الرغبة . . فلأنه لا يكره الزيادة على الكفاية إذا سئحت ، وأما الرهبة . . فلأنه لا يطلب المتعدّر عن نقصان المادة إذا تعدّرت .

وفي مثله قال ذو النون : (مَنْ كَانَتْ قَنَاعَتُهُ سَمِينَةً . . طَابَتْ لَهُ كُلُّ مَرَقَةٍ) (٥) .

وقد روى الحسن بن عليّ ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الدُّنْيَا دُولٌ ؛ فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ . . أَتَاكَ عَلَى

(١) أورده في « عيون الأخبار » (١٨٣ / ٣) ، ورواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١١١٢) من قول سيدنا عمر رضي الله عنه .

(٢) انظر « فيض القدير » (٢٢٤ / ١) .

(٣) البيت في « ديوانه » (١٧١٧ / ٣) .

(٤) أورد البيهقي في « بهجة المجالس » (١٢٣ / ١) .

(٥) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤١١) .

ضعفِكَ ، وما كان منها عليك . . لم تدفعهُ بقوّتك ، ومن انقطع رجاءهُ ممّا فات . . استراح بدّهُ ، ومن رضي بما رزقهُ الله تعالى . . قرّت عينهُ » (١) .

وقال أبو حازم الأعرج : (وجدت الدنيا شيئين : شيئاً هو لي لن أعجله قبل أجله ولو طلبته بقوّة السماوات والأرض ، وشيئاً هو لغيري ؛ وذلك مما لم أنله فيما مضى ، ولا أناله فيما بقي ، يُمنع الذي لي من غيري ؛ كما يُمنع الذي لغيري منّي ، ففي أيّ هذين أفني عمري ، وأهلك نفسي ؟) (٢) .

وقال أبو تمام الطائي (٣) :

لا تأخذني بالزّمان فليس لي تبعاً ولست على الزّمان كفيلاً
من زاحف الأيّام ثمّ عباً لها غير القنّاعة لم يزل مقلّولاً
من كان مرعى عزمه وهمومه روض الأمانى لم يزل مهزولاً
لو جار سلطان القنوع وحكمه في الخلق ما كان القليل قليلاً
والرزق لا تكمد عليه فإنّه يأتي ولم تبعث إليه رسولاً

وأشدني بعض أهل الأدب لابن الرومي (٤) :

جرى فلم القضاء بما يكون فسيان التّحرّك والسّكون
جنون منك أن تسعى لرزق ويرزق في غشاوته الجنين

ونحن نسأل الله تعالى - أكرم مسؤول - ، وأفضل مأمول - أن يُحسن لنا التوفيق فيما منح ، ويصرف عنا الرغبة فيما منع ؛ استكفافاً لتبعات الثروة ، وموَبقات الشهوة !!

(١) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٥٦١) عن زين العابدين عن أبيه عن جده رضي الله عنهم ، وأورده الدلمي في « الفردوس » (٣١١٣) ، والدنيا دول - جمع : دولة - وهي عبارة عن انقلاب الزمان ، والغالبية والمغلوبة بالنوبة ؛ أي : ذات انقلابات كثيرة .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١٢٤٠) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٣٧/٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٠/٢٢) .

(٣) الأبيات في « ديوانه » (٦٧-٦٨) .

(٤) البيتان في « يتيمة الدهر » (١٦٣/٥) لأبي الفرج بن هندو ، وفي « وفيات الأعيان » (٢٨٣/٣) لأبي الخير الكاتب الواسطي .

روى شريك بن أبي نمر ، عن أبي الجذع ، عن أعمامه وأجداده ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خير أمتي الذين لم يُعطوا حتى يبطروا ، ولم يُقتَرَّ عليهم حتى يسألوا » (١) .

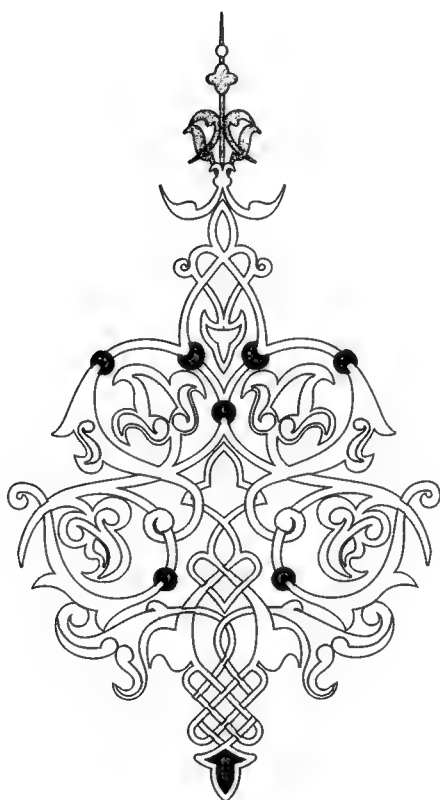
وقال أبو تمام الطائي (٢) :

عندي من الأيام ما لو أنه أضحي بشارب مُرقِدٍ ما غمّضا
لا تطلبن الرّزقَ بعدَ شماسِه فترومه سبعا إذا ما غيضا
ما عوّض الصّبرَ امرؤا إلا رأى ما فاتهُ دونَ الذي قد عوّضا

(١) رواه الخطيب في « موضح أوهام الجمع والتفريق » (٣٨١ / ٢) عن ابن الجذع عن أبيه ، والبخاري في « التاريخ الكبير » (٣٠٥ / ٨) عن ابن الحوا عن أعمامه ، وفي (ب ، ج) : (عن ابن أبي الجذع عن أعمامه ...) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (٣٠٣ / ٢) ، والمرقد : دواء مُنيم ، وما غمضا ؛ أي : عينه لشدة الأهوال ، وبعد شماسه : بعد امتناعه ، وغيضا : إذا دخل الغيضة ؛ أي : الأجمة .

البَابُ الْخَامِسُ
فِي أَكْبَارِ النَّفْسِ



بَابُ أَدَبِ النَّفْسِ

اعلم : أنَّ النفسَ مجبولةٌ على شِيَمٍ مهملةٍ ، وأخلاقٍ مرسلةٍ ، لا تستغني بمحمودها عن التآديب ، ولا تكفي بالمرضيِّ منها عن التهذيب ؛ لأنَّ لمحمودها أصداداً مقابلةً ، يُسعدُها هوى مطاع ، وشهوةٌ غالبةٌ .

فإنَّ أغفلَ تأديبها تفويضاً إلى العقل ، أو توكلّاً على أن تنقاد إلى الأحسن بالطبع . . أعدمه التفويضُ دَرَكَ المجتهدين ، وأعقبه التوكلُّ ندمَ الخائبين ، فصار من الأدب عاطلاً^(١) ، وفي صورة الجهل داخلاً ؛ لأنَّ أكثرَ الأدبِ مكتسبٌ بالتجربة ، أو مستحسنٌ بالعادة ، ولكلُّ قومٍ مُواضعةٌ ، وكلُّ ذلك لا يُنال بتوقيف العقل ، ولا بالانقياد للطبع حتى يُكتسبَ بالتجربة والمُعانة ، ويُستفادَ بالدُّربة والمُعاطاة ، ثم يكون العقل عليه قَيِّماً ، وزكيُّ الطبع إليه سُلماً .

ولو كان العقل مُغنياً عن الأدب . . لكان أنبياءُ الله تعالى عن أدبه مستغنيين ، وبعقولهم مستكفين ؛ وقد روي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ »^(٢) .

وقيل لعيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : مَنْ أَدَبَكَ ؟ فقال : « مَا أَدَّبَنِي أَحَدٌ ، رَأَيْتُ جَهْلَ الْجَاهِلِ فَاجْتَنَبْتُهُ »^(٣) .

وقال عليُّ بن أبي طالب عليه السلام : (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ وَمَحَاسِنَهَا وَصْلاً بَيْنَهُ وَبَيْنَكُمْ ؛ فَبِحَسَبِ الرَّجُلِ أَنْ يَتَّصَلَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِخُلُقٍ مِنْهَا)^(٤) .

(١) درك المجتهدين : اللحاق بهم ، ومن الأدب عاطلاً ؛ أي : خالياً ، يقال للمرأة : عاطل إذا خلا جيدها من الحلي .

(٢) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٢٧٣) ، والحاكم في « المستدرک » (٦١٣/٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أورده في « بهجة المجالس » (١١٤/١) ، و « العقد الفريد » (٤٤٢/٢) .

(٤) أورده في « التذكرة الحمدونية » (١٧٣/٢) ، و « نثر الدرر » (٣٠٤/١) .

وقال أردشير بن بابك : (من فضيلة الأدب : أنه ممدوحٌ بكل لسان ، ومتزيّنٌ به في كل مكان ، وباقٍ ذكرُهُ على أيّام الزمان)^(١) .

وقال مهبوذ : (شُبّه العالمُ الشريفُ العديمُ الأدبِ : بالبنيان الخراب الذي كلّما علا سَمْكُهُ .. كان أشدَّ لوحشته ، وبالنهر اليابس الذي كلّما كان أعرضَ وأعمقَ .. كان أشدَّ لوعورته ، وبالأرض الجيدة المعطّلة التي كلّما طال خرابها .. ازداد نباتها غيرُ المنتفع به التفافاً ، وصار للهوامُ مسكناً) .

وقال ابن المقفّع : (ما نحن على ما نتقوّى به على حواسِّنا من المطعم والمشرب بأحوجَ منّا إلى الأدب الذي هو لقاحُ عقولنا ؛ فإنَّ الحبة المدفونة في الثرى لا تقدر أن تطلع زهرتها ونضارتها إلا بالماء الذي يعود إليها من مُستودعها)^(٢) .

وحكى الأصمعيّ : أن أعرابياً قال لابنه : (يا بنيّ ؛ الأدبُ دِعامَةٌ أَيْدِ اللهُ بها الألبابُ ، وحِليّةٌ زَيَّنَ اللهُ بها عواطلَ الأحساب ؛ فالعاقلُ لا يستغني - وإن صحَّتْ غريزته - عن الأدب المخرج زهرته ؛ كما لا تستغني الأرض - وإن عذبت تربتها - عن الماء المخرج ثمرتها)^(٣) .

وقال بعض الحكماء : (الأدب صورة العقل ، فصور عقلك كيف شئت)^(٤) .

وقال آخر : (العقلُ بلا أدب كالشجر العاقر ، ومع الأدب كالشجرة المثمرة)^(٥) .

وقيل : (الأدب أحد المنصبين)^(٦) .

(١) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٧٨٨) في فضيلة العلم .

(٢) الأدب الصغير (ص ٢٨٣) ضمن « آثار ابن المقفّع » .

(٣) أوردته في « الكشكول » (١٣٣ / ٢) .

(٤) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٥٩) ، و « التذكرة الحمدونية » (٢٦٨ / ٣) .

(٥) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٥٩) .

(٦) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٥٩) .

وقال بعض البلغاء : (الفضلُ بالعقل والأدب ، لا بالأصل والنسب ؛ لأنَّ مَنْ ساء أدبه .. ضاع نسبه ، وَمَنْ قلَّ عقله .. ضلَّ أصله)^(١) .

وقال بعض الأدباء : (ذكَّ قلبك بالأدب كما تُذَكِّي النار بالحطب ، واتَّخذ الأدبَ غُنىً ، والحرصَ عليه حظاً .. يرتجيك راغبٌ ، ويخافُ صولتك راهبٌ ، ويؤمِّلُ نفعك ، ويُرجي عدلك)^(٢) .

وقال بعض العلماء : (الأدب وسيلةٌ إلى كلِّ فضيلة ، وذريعةٌ إلى كلِّ شريعة)^(٣) .

وقال بعض الفصحاء : (الأدب يسترُّ قبحَ النَّسب)^(٤) .

وقال بعض الشعراء :

[من المتقارب]

فما خَلَقَ اللهُ مثْلَ العُقُوفِ ولا اكتسَبَ النَّاسُ مثْلَ الأَدَبِ
وما كَرَّمَ المرءُ إلا التَّقَى ولا حَسَبُ المرءِ إلا النَّسَبُ
وفي العِلْمِ زَيْنٌ لأهلِ الحِجَا وآفَةُ ذِي الحِلْمِ طَيْشُ الغَضَبِ

وقال الأصمعي^(٥) :

[من البسيط]

إِنْ يَكُنِ العَقْلُ مولوداً فَلَسْتُ أَرَى ذا العَقْلِ مُستغنياً عن حادِثِ الأَدَبِ
إِنِّي رأيتُهما كالْماءِ مختلِطاً بالثُّرْبِ تَظْهَرُ عنه زَهْرَةُ العُشْبِ
وكلُّ مَنْ أخطأتهُ في مَوَالِدِهِ غريزةُ العَقْلِ حاكي البَهِمِ في النَّسَبِ

(١) أورده في « الإعجاز والإيجاز » (ص ٣٨) ، و « الكشكول » (١٣٣ / ٢) :

(٢) أورده بعضه في « التذكرة الحمدونية » (٣٣٠ / ٣) ، و « العقد الفريد » (١٥٧ / ٣) من وصية سيدنا علي رضي الله عنه لابنه محمد رحمه الله تعالى ، وَذَكَ : أمرٌ من التذكية ، يقال : ذَكَتِ النارُ ؛ أي : اشتد لهيبها ، أي : نَوَّرَ به .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٥٩) .

(٤) أورده العاملي في « الكشكول » (١٣٣ / ٢) .

(٥) روى الأبيات القالي في « ذيل الأمالي » (٣٣ / ٣) ، والمحكاة : المشابهة .

والتأدُّبُ يلزم من وجهين :

أحدهما : ما لزم الوالدَ للولد في صغره .

والثاني : ما لزم الإنسانَ في نفسه عند نشوئه وكبره .

فأمَّا التأدُّبُ اللازم للأب . . فهو أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب ؛ ليأنس بها ، وينشأ عليها ، فيسهل عليه قبولها عند الكبر ؛ لاستئناسه بمبادئها في الصغر ، لأنَّ نشوء الصَّغير على الشيء يجعله متطبِّعاً به ، وَمَنْ أَغْفَلَ فِي الصَّغَرِ . . كان تأديبه في الكِبَرِ عسيراً .

وقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما نَحَلَ والدٌ وَلَدَهُ نَحْلَةَ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنِ يُفِيدُهُ إِيَّاهُ ، أَوْ جَهْلٍ قَبِيحٍ يَكْفُهُ عَنْهُ ، وَيَمْنَعُهُ مِنْهُ »^(١) .

وقال بعض الحكماء : (بادِروا بتأديب الأطفال قَبْلَ تراكمِ الأشغال ، وتفرُّقِ البال)^(٢) .

وقال بعض الشعراء^(٣) :

[من البسيط]

قد ينفعُ الأدبُ الأحداثَ في مَهَلٍ وليسَ ينفعُ بعدَ الشَّيْبَةِ الأدبُ
إنَّ الغصونَ إذا قوِّمَتْها اعتدلتْ ولا يلينُ إذا قوِّمَتْهُ الخشبُ

[من البسيط]

وقال آخر^(٤) :

يَنشُو الصَّغِيرُ على ما كان والدُه إنَّ الأصولَ عليها تنبُتُ الشَّجَرُ

(١) رواه الحاكم في « المستدرک » (٢٦٣ / ٤) ، والترمذي (١٩٥٢) عن سعيد بن العاص رحمه الله تعالى مرسلًا .

(٢) أورد أوله في « محاضرات الأدباء » (٩٥ / ١) ، وانظر « فيض القدير » (٣٩٤ / ٣) .

(٣) البيتان لصالح بن عبد القدوس في « ديوانه » (ص ١٣٣) ، ونسبهما في « بهجة المجالس » (١١٣ / ١) لسابق البربري ، وفي « الحماسة المغربية » (١٢٤٨ / ٢) لطرفة .

(٤) أورد البيت في « جمهرة الأمثال » (٢٩٨ / ٢) ، و« الموشى » (ص ٢١) .

وأما الأدب اللازم للإنسان عند نشوئه وكبره.. فأدبان : أدب مُواضعة واصطلاح ، وأدب رياضة واستصلاح .

فأما أدب المواضعة والاصطلاح : فيؤخذ تقليداً على ما استقرَّ عليه اصطلاحُ العقلاء ، واتفق عليه استحسانُ الأدباء .

وليس لاصطلاحهم على وضعه تعليلٌ مستنبط ، ولا لاتِّفاقهم على استحسانه دليلٌ موجب ؛ كاصطلاحهم على مواضعات الخطاب ، واتِّفاقهم على هيئات اللباس ؛ حتَّى إنَّ الإنسان الآن إذا تجاوز ما اتَّفَقوا عليه منها.. صار مجانباً للأدب ، مستوجباً للذمِّ ؛ لأنَّ فراق المألوف في العادة ، ومُجانبته ما صار متَّفقاً عليه بالمواضعة.. مُفضي إلى استحقاق الذمِّ بالعقل ، ما لم يكن لمخالفته علةٌ ظاهرة ، ومعنى حادث .

وقد كان جائزاً في العقل أن يُوضَعَ ذلك على غير ما اتَّفَقوا عليه ، فيرونه حسناً ، ويرون ما سواه قبيحاً ، فصار هذا مشاركاً لما وجب بالعقل من حيث توجُّه الذمِّ على تاركه ، ومخالفاً له من حيث إنه كان جائزاً في العقل أن يُوضَعَ على خلافه .

وأما أدب الرياضة والاستصلاح : فهو ما كان محمولاً على حالٍ لا يجوز في العقل أن تكون بخلافها ، ولا أن يختلف العقلاء في صلاحها وفسادها .

وما كان كذلك.. فتعليله بالعقل مستنبط ، ووضوح صحته بالدليل مرتبط ، وللنفس على ما يأتي من ذلك شاهدٌ ألهمها الله تعالى إرشاداً لها ، قال الله تعالى : ﴿ فَالْتَمِمْهَا جُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما : (بيِّن لها ما تأتي من الخير ، وتذر من الشر)^(١) .

وسنذكر تعليل كل شيء في موضعه ؛ فإنَّه أولى به وأحق .

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (١٥ / ٣٠ / ٢٦٤) .

فأول مقدمات أدب الرياضة والاستصلاح : ألاَّ يسبقَ إلى حسن الظن بنفسه ،
فيخفى عنه مذمومٌ شيمه ، ومساوئُ أخلاقه ؛ لأنَّ النفوس بالشهوات آمرة ، وعن
الرشد زاجرة ، ولذا قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾^(١) .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك ، ثم
أهلك ، ثم عيالك »^(٢) .

ودعت أعرابية لرجل فقالت : (كبتَ اللهُ كُلَّ عدوِّ لك إلا نفسك)^(٣) .

فأخذه بعض الشعراء فقال^(٤) :

[من السريع]

قلبي إلى ما ضُرّني داعي يُكثِرُ أسقامي وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي إذا كان عدوي بين أضلاعي

وإذا كانت النفس كذلك . . فحسنُ الظنِّ بها ذريعةٌ إلى تحكيمها ، وتحكيمها
داعٍ إلى سلاطتها ، وفسادِ الأخلاق بها ، وإذا صرف حسنُ الظنِّ عنها ، وتوسّمها
بما هي عليه من التسويف والمكر . . فازبطاعتها ، وانحاز عن معصيتها .

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : (العاجزُ : مَنْ عجز عن
سياسة نفسه)^(٥) .

وقال بعض الحكماء : (مَنْ ساس نفسه . . ساد ناسه) .

(١) أراد الجنس ؛ أي : إن هذا الجنس يأمر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات إلا ما رحم ربي
بالعصمة لمن خصّهم بذلك ؛ كالملائكة والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

(٢) رواه البيهقي في « الزهد » (٣٤٣) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، والدليمي في
« الفردوس » (٥٢٤٨) عن سيدنا أبي مالك الأشعري رضي الله عنه ، وأعدى أعدائك ؛ أي : مِنْ أَشَدِّ
أعدائك ، وليس المراد بالعداوة البغض ، بل المراد : المحنة المفوّنة للخير .

(٣) أورده في « البيان والتبيين » (٢٧١ / ٣) ، ورواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٩٣٣) ، وكبت :
صرع وأذل وأخزى .

(٤) البيتان للعباس بن الأحنف في « ديوانه » (ص ٢٠٢) ، ونسيهما في « الأغاني » (٩٣٥٤ / ٢٧) لبكر بن
خارجة .

(٥) أخرجه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠٠ / ٦٧) ، والذهبي في « تاريخ الإسلام » (٦١٩ / ٢٣) عن
أبي عمر الدمشقي رحمه الله تعالى .

فأما سوء الظنّ بها . . فقد اختلف الناس فيه :

- فمنهم مَنْ كرهه ؛ لما فيه من اتهام طاعتها ، وردّ مُناصحتها ؛ فإنّ النفس وإن كان لها مكرٌ يُردي . . فلها نصحٌ يهدي ، فلمّا كان حسنُ الظنّ بها يُعمي عن مساوئها . . كان سوءُ الظنّ بها يُعمي عن محاسنها ، ومَنْ عمي عن محاسن نفسه . . كان كمَنْ عمي عن مساوئها ، فلم ينف عنها قبيحاً ، ولم يهد إليها حسناً .

وقد قال الجاحظ في كتاب « البيان » : (يجب أن يكون في التهمة لنفسه معتدلاً ، وفي حسن الظنّ بها مقتصدًا ؛ فإنّه إن تجاوز مقدار الحق في التهمة . . ظلّمها ، فأودّعها ذلّة المظلومين ، وإن تجاوز بها الحق في مقدار حسن الظنّ . . أودعها تهاوُن الآمنين ، ولكلّ ذلك مقدارٌ من الشغل ، ولكلّ شغلٍ مقدارٌ من الوهن ، ولكلّ وهنٍ مقدارٌ من الجهل)^(١) .

وقال الأحنف بن قيس : (مَنْ ظلم نفسه . . كان لغيره أظلم ، ومَنْ هدم دينه . . كان لمجده أهدم)^(٢) .

- وذهب قوم إلى أن سوء الظنّ بها أبلغ في صلاحها ، وأوفر في اجتهادها ؛ لأنّ للنفس جوراً لا ينفك إلا بالسخط عليها ، وغروراً لا ينكشف إلا بالتهمة لها ؛ لأنّها محبوبة تجور إدلالاً ، وتغرّ مكرّاً ، فإن لم يُسوّ الظنّ بها . . غلب عليه جورُها ، وتموّه عليه غرورُها ، فصار بميسورها قانعاً ، وبالشُّبه من أفعالها راضياً .

وقد قالت الحكماء : (مَنْ رضي عن نفسه . . أسخط عليه الناس) .

وقال كشاجم^(٣) :

لم أرضَ عن نفسي مَخَافَةَ سَخَطِهَا وَرِضَا الْفَتَى عَنْ نَفْسِهِ إِغْضَابُهَا
وَلَوْ أَنَّي عَنْهَا رَضِيتُ لَقَصَّرْتُ عَمَّا تَزِيدُ بِمَثَلِهِ آدَابُهَا

(١) البيان والتبيين (٩٣/١) في بيان ما يجب أن يتصف به الخطيب لتجتمع لديه آلة البلاغة .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٥٢) ، و « ربيع الأبرار » (٣/٥٠٠) .

(٣) الأبيات في « ديوانه » (ص ٣٣) .

وَتَبَيَّنَتْ آثَارُ ذَلِكَ فَأَكْثَرَتْ عَذْلِي عَلَيْهِ وَطَالَ فِيهِ عِتَابُهَا

وقد استُحْسِنَ قولُ أبي تمام الطائي^(١) :

[من الكامل]

وَيْسِيءٌ بِالْإِحْسَانِ ظَنًّا لَا كَمَنْ هُوَ بَابِنِهِ وَبِشْعِرِهِ مَفْتُونٌ

فلم يروا إساءةَ ظنِّه بالإحسان ذمًّا ، ولا استقلالَ عمله لومًا ، بل رأوا ذلك أبلغَ في الفضل ، وأبعثَ على الازدياد .

فإذا عرف من نفسه ما تُجِئُ ، وتصوّر منها ما تُكِنُّ^(٢) ، ولم يطاوعها فيما تحبُّ إذا كان غيًّا ، ولا صرف عنها ما تكره إذا كان رشداً . فقد ملكها بعد أن كان في ملكتها ، وغلبها بعد أن كان في غلبتها .

وقد روى أبو حازم ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ »^(٣) .

وقال عون بن عبد الله : (إذا عصتكَ نفسك فيما كرهت . . فلا تُطعها فيما أحبَّت ، ولا يغرّنكَ ثناءٌ مَنْ جهل أمرَكَ)^(٤) .

وقال بعض البلغاء : (مَنْ قَوِيَ عَلَى نَفْسِهِ . . تناهى في القوّة ، وَمَنْ صَبَرَ عَنْ شَهْوَتِهِ . . بالغ في المروّة) .

فحينئذٍ يأخذ نفسه عند معرفة ما أكنّت ، وخبرة ما أجنّت بتقويم عوجها ، وإصلاح فاسدها .

وقد روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : يا رسول الله ؛ متى يعرف الإنسان ربّه ؟ فقال : « إِذَا عَرَفَ نَفْسَهُ »^(٥) .

(١) البيت في « ديوانه » (٣٣١ / ٣) .

(٢) ما تُجِئُ وما تُكِنُّ : ما تُخفي وما تُستر .

(٣) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٧١٧) ، وهناد في « الزهد » (١٣٠٢) .

(٤) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٩٥١) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٧٩ / ٤٧) .

(٥) ذكر الحافظ السخاوي في « المقاصد الحسنة » (ص ٤١٩) أنه من قول يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله تعالى ، ولا يُعرف مرفوعاً ، وقيل في تأويله : (من عرف نفسه بالحدوث . . عرف ربه بالقدم ، ومن عرف نفسه بالفناء . . عرف ربه بالبقاء) .

ثم يراعي منها ما صلح واستقام من زيغ يحدث عن إغفال ، أو ميل يكون عن إهمال ؛ ليتم له الصَّلاحُ ، وتستديم له الاستقامة ؛ فإنَّ المُغفل بعد المُعانة ضائعٌ ، والمُهمَل بعد المُراعاة زائعٌ .

وسنذكر من أحوال أدب الرياضة والاستصلاح فصولاً تحتوي على ما يلزم مراعاته من الأخلاق ، ويجب معاناته من الآداب ، وهي ستة فصولٍ متفرعة .

فَالْفَصْلُ الْأَوَّلُ مِنْهَا

في مجانب الكبر والإعجاب

لأنَّهما يسلبان الفضائل ، ويكسبان الرذائل ، وليس لَمَنْ استوليا عليه إصغاءٌ لنصح ، ولا قبولٌ لتأديب ؛ لأنَّ الكبر يكون بالمنزلة ، والعُجب يكون بالفضيلة ؛ فالمتكبر يجلُّ نفسه عن رتبة المتعلِّمين ، والمُعجب يستكثر فضله عن استزادة المتأدِّبين ؛ فلذلك وجب تقديم القول فيهما ، بإبانة ما يكسبانه من ذمٍّ ، ويوجبانه من لوم^(١) ، فنقول :

أما الكبرُ : فيكسب المقت ، ويُلْهي عن التألُّف^(٢) ، ويُوغر صدور الإخوان ، وحسبك بذلك سوءاً عن استقصاء ذمِّه ؛ ولذلك قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لعَمَّة العباس رضي الله تعالى عنه : « أَنهَكَ عَنِ الشَّرِّ بِاللَّهِ وَالْكِبَرِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحْتَجِبُ مِنْهُمَا »^(٣) .

وقال أردشير بن بابك : (ما الكبرُ إلا فضلٌ حُمي ، لم يدرِ صاحبه أين يذهب به ، فصرفه إلى الكبر)^(٤) ؛ وما أشبه ما قال بالحق !!

حُكي : أن مطرّف بن عبد الله بن الشَّخِير نظر إلى المهلب بن أبي صُفْرة وعليه حُلَّة يسحبها ، ويمشي الخيلاء ، فقال له : (يا عبدَ الله ؛ ما هذه المِشْيَةُ التي يُبْغِضُها اللهُ ورسولُهُ ؟) فقال المهلب : أَوَمَا تعرفُني ؟ قال : (بلى أَعرفُكَ ؛ أَوَلَيْكَ : نطفَةٌ مَذْرُوءَةٌ ، وآخِرُكَ : جِيفَةٌ قَدِرَةٌ ، وحشَوُكَ فيما بين ذلك : بولٌ وعَذْرَةٌ)^(٥) .

(١) لأنَّهما كقطَّاع الطريق بينه وبين حسن الخلق ، فوجب استئصالهما ؛ ليأمن الطريق .

(٢) في (أ) : (ويلْهي عن التآلُّه) ، وفي (ج) : (ويشير الحقد) .

(٣) رواه النسائي في « السنن الكبرى » (١٠٦٠٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٨٧ / ٦٢) من وصية سيدنا نوح عليه السلام لابنه ، ويحتجب منهما ؛ أي : لا يغفر لصاحبهما .

(٤) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٤٤) ، و « نهاية الأرب » (٣ / ٣٧١) .

(٥) أوردته في « محاضرات الأدباء » (١ / ٥٣٧) .

فأخذ ابن عون هذا الكلام فنظمه شعراً ، فقال^(١) :

[من المنسرح]

عَجِبْتُ مِنْ مُعْجَبٍ بِصُورَتِهِ وَكَانَ بِالْأَمْسِ نُظْفَةً مَذِرَةً
وَفِي غَدٍ بَعْدَ حُسْنِ صُورَتِهِ يَصِيرُ فِي اللَّحْدِ جِيفَةً قَذِرَةً
وَهُوَ عَلَى تَيْهِهِ وَنَخْوَتِهِ مَا يَبْنِي ثَوْبِيهِ يَحْمِلُ الْعَذِرَةَ

وقال آخر^(٢) :

[من الطويل]

فَتَى كَانَ عَذَبَ الرُّوحَ لَا مِنْ غَضَاظَةٍ وَلَكِنَّ كِبَرًا أَنْ يُقَالَ بِهِ كِبَرُ
وَقَدْ كَانَ الْمَهْلَبُ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يَخْدَعَ نَفْسَهُ بِهَذَا الْجَوَابِ ، وَلَكِنَّهَا زَلَّةٌ مِنْ
زَلَّاتِ الْإِسْتِرْسَالِ ، وَخَطِيئَةٌ مِنْ خَطَايَا الْإِدْلَالِ .

فَأَمَّا الْحُمُقُ الصَّرِيحُ ، وَالْجَهْلُ الْقَبِيحُ . . فهو ما حُكِيَ عَنْ نَافِعِ بْنِ جَبْرِ بْنِ
مَطْعَمٍ : أَنَّهُ جَلَسَ فِي حَلْقَةِ الْعَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُرَقِيِّ وَهُوَ يَقْرَأُ النَّاسَ ،
فَلَمَّا فَرَغَ . . قَالَ : (أَنْدَرُونَ لَمْ جَلَسْتُ إِلَيْكُمْ ؟) قَالُوا : جَلَسْتَ لِتَسْمَعَ ، قَالَ :
لَا ؛ لَكِنِّي أَرَدْتُ أَنْ أَتَوَاضَعَ لِلَّهِ بِالْجُلُوسِ إِلَيْكُمْ)^(٣) ؛ فَهَلْ يُرْجَى مِنْ مِثْلِ هَذَا
فَضْلٌ ، أَوْ يَنْفَعُ فِيهِ عَدْلٌ ؟ !

وَقَدْ قَالَ ابْنُ الْمَعْتَزِ : (لَمَّا عَرَفَ أَهْلُ النِّقْصِ حَالَهُمْ عِنْدَ ذَوِي الْكَمَالِ . .
اسْتَعَانُوا بِالْكِبَرِ ؛ لِيَعْظُمَ صَغِيرًا ، وَيَرْفَعَ حَقِيرًا ، وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ)^(٤) .

وَأَمَّا الْإِعْجَابُ : فَيُخْفِي الْمَحَاسِنَ ، وَيُظْهِرُ الْمَسَاوِيءَ ، وَيَكْسِبُ الْمَذَامَ ،
وَيَصُدُّ عَنِ الْفَضَائِلِ .

وَقَدْ رَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ الْعُجْبَ لَيَأْكُلُ
الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ »^(٥) .

(١) رَوَى الْأَبْيَاتُ فِي « يَتِيمَةُ الدَّهْرِ » (١٤٣ / ٣) لِأَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَاهِي الْخَوَارِزْمِيِّ .

(٢) الْبَيْتُ زِيَادَةٌ مِنْ (ج) ، وَهُوَ لِأَبِي تَمَامٍ فِي « دِيْوَانِهِ » (٨٢ / ٤) .

(٣) رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي « الطَّبَقَاتِ الْكُبْرَى » (٢٠٥ / ٧) ، وَابْنُ قَتِيْبَةٍ فِي « الْمَعَارِفِ » (ص ٢٨٥) .

(٤) أَوْرَدَهُ فِي « التَّمَثِيلِ وَالْمَحَاضِرَةِ » (ص ٤٤٥) ، وَ« نَهَايَةُ الْأَرْبِ » (٣٧١ / ٣) .

(٥) أَوْرَدَهُ فِي « رِبْعِ الْأَبْرَارِ » (٣٢٠ / ٤) ، وَ« مُحَاضَرَاتِ الْأَدْبَاءِ » (٥٣٢ / ١) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (الإعجابُ ضدُّ الصواب ، وآفةُ الألباب)^(١) .

وقال بُزْرَجُمَهْرَ : (النعمةُ التي لا يُحَسَدُ صاحبُها عليها : التواضعُ ، والبلاءُ الذي لا يُرْحَمُ منه صاحبُه : العُجْبُ)^(٢) .

وقال بعض الحكماء : (عَجْبُ المرء بنفسه أحدُ حُسَادِ عقله)^(٣) .

وليس لما يكسبه الكبرُ من المقت حذٌّ ، ولا لما ينتهي إليه العُجْبُ من الجهل غايةٌ ؛ حتى إنه ليطمس من المحاسن ما انتشر ، ويسلب من الفضائل ما اشتهر ، وناهيك بسيئة تحبط كلَّ حسنة ، وبمذمة تهدم كلَّ فضيلة ، مع ما تثيره من حَقِّ ، وتنشئه من حقد .

وحكى عمر بن حصن قال : (قيل للحجاج : كيف وجدتَ منزلَك بالعراق ؟ قال : خيرَ منزل ، لو كان الله بُلَغني أربعةً ، فتقرَّبْتُ إليه بدمائهم ، قيل : ومَن هم ؟

قال : مقاتلُ بنِ مِسمَعٍ : ولي سجستان ، فأتاه الناس فأعطاهم الأموالَ ، فلَمَّا عَزَلَ . . دخل مسجد البصرة ، فبسط له الناسُ أُرديتَهم ، فمشى عليها وقال لرجلٍ يُماشيه : لمثلِ هذا فليعملِ العاملونَ .

وعبيد الله بن زياد بن ظبيان التيميُّ : حزب أهل البصرة أمرٌ ، فخطب خطبةً أوجز فيها ، فنادى الناسُ من أعراض المسجد : أكثرَ اللهُ فينا أمثالَكَ !! فقال : لقد كلَّفتم الله شَطَطاً .

ومعبدُ بن زُرارة : كان ذات يومٍ جالساً في طريق ، فمرَّت به امرأةٌ فقالت :

(١) أوردته في « شرح نهج البلاغة » (٨٤ / ١٦) .

(٢) أوردته في « الجليس الصالح » (٨٨ / ٤) ، و « التذكرة الحمدونية » (١٠٥ / ٣) .

(٣) أوردته في « ديوان المعاني » (٩٤ / ٢) ، و « التذكرة الحمدونية » (٩٨ / ٣) من قول سيدنا علي رضي الله عنه .

يا عبد الله ؛ كيف الطريقُ إلى موضع كذا ؟ فقال : يا هَتَّاهُ ؛ مثلي يكونُ من عبيد الله ؟!

وأبو سَمَالِ الأَسَدِيُّ : أضلَّ راحلته ، فالتمسها الناس فلم يجدوها ، فقال : والله ؛ لئن لم يردَّ اللهُ عليَّ راحلتي . . لا صليتُ له أبداً ، فالتمسها الناس حتى وجدوها ، فقالوا له : قد ردَّ اللهُ راحلتك فصلِّ ، فقال : إنَّ يميني يمينُ مُصِرٍّ^(١) .

فانظر إلى هؤلاء ، كيف أفضى بهم العُجب إلى حُمقٍ صاروا به نكالا في الأولين ، ومثلاً في الآخرين .

ولو تصوّر المُعْجَب والمتكبرُ ما فطّر عليه من جبلة ، وئلي به من مهنة . .
لخفض جناح نفسه ، واستبدل ليناً من عُتوه ، وسكوناً من نُفوره .

قال الأحنف بن قيس : (عجبْتُ لَمَن جَرى في مجرى البول مرتين ، كيف يتكبرُ !؟)^(٢) .

وقد وصف بعض الشعراء الإنسان ، فقال^(٣) :

يا مُظهِرَ الكبرِ إعجاباً بصُورتهِ	انظُرْ خَلَاكَ فَإِنَّ النَّشْنَ تَشْرِبُ
لو فَكَّرَ الناسُ فيما في بُطُونِهِم	ما استشعرَ الكبرَ شُبَّانٌ ولا شَيْبُ
هل في ابن آدمٍ مثلُ الرأسِ مَكْرُمَةٌ	وهوَ بِخَمْسٍ مِنَ الأَفْذارِ مَضْرُوبُ
أنفٌ يَسِيلُ وأُذُنٌ رِيحُها سَهْكَ	والعينُ مُرْمَصَةٌ والثغرُ مَلْعُوبُ
يا بَنَ الترابِ ومأكولَ الترابِ غداً	أَقْصِرْ فَإِنَّكَ مَأْكُولٌ ومَشْرُوبُ

(١) رواه في « عيون الأخبار » (٢٦٩/١ - ٢٧٠) ، ورواه : (زُحْر بن حصن) ، وأورده في « التذكرة الحمدونية » (١٠٧/٣) .

(٢) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٢١٦٣) ، و« شعب الإيمان » (٧٨٦١) .

(٣) أورد الأبيات في « المجالسة وجواهر العلم » (١٥٨٢) ، و« عيون الأخبار » (٢٧٢/١) ، والشريب : اللوم ، ومضروب : مشهور ، والسهك : ريح كريهة يجدها الإنسان ممن عرق ، والأصل في معناه : صدأ الحديد وريح السمك وقبح رائحة اللحم .

وأحقُّ مَنْ كانَ للكبرِ مجانباً ، وللإعجابِ مبيناً . مَنْ جَلَّ في الدنيا قدرُهُ ، وعظمَ فيها خطرُهُ ؛ لأنَّهُ قد يستقلُّ بعاليِ همِّهِ كلَّ كثير ، ويستصغرُ معها كلَّ كبير .

وقد قال محمد بن علي الباقر رضي الله عنه : (لا ينبغي للشریف أن يرى شيئاً من الدنيا لنفسه خطراً ، فيكونَ بها تائهاً)^(١) .

وقال ابن السمَّك لعيسى بن موسى : (تواضعُك في شرفك أشرفُ لك من شرفك)^(٢) .

وكان يقال : (اسمان متضادان بمعنى واحدٍ : التواضعُ والشرفُ)^(٣) .

وللكبر أسباب ، فمن أقوى أسبابه : علوُّ اليد ، ونفوذُ الأمر ، وقلةُ مخالطة الأَكفَاء .

حُكي : أن قوماً مشوا خلفَ عليِّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : (أبعادوا عني خَفَقَ نعالكم ؛ فإنها مفسدةٌ لقلوبِ نوکی الرجال)^(٤) .

ومشوا خلف ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ، فقال : (ارجعوا ؛ فإنها ذلةٌ للتابع ، وفتنةٌ للمتبع)^(٥) .

وروى قيس بن أبي حازم : أنَّ رجلاً أتى به النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فأصابته رعدةٌ ، فقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « هَوْنٌ عليك ؛ فإنما أنا ابنُ امرأةٍ كانت تَأْكُلُ القَدِيدَ »^(٦) .

(١) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٣٧) ، و« تاريخ دمشق » (٤٠٨/٤١) .

(٢) أورده في « عيون الأخبار » (٢٦٧/١) ، ورواه في « تاريخ دمشق » (١٩٢/٦١) .

(٣) أورده في « الكشكول » (٩/٢) .

(٤) رواه الإمام أحمد في « فضائل الصحابة » (٩٢١) ، والدارمي في « مسنده » (٥٥١) .

(٥) رواه ابن أبي شيبه في « المصنف » (٢٦٨٣٩) .

(٦) رواه الحاكم في « المستدرک » (٤٦٦/٢) ، وابن ماجه (٣٣١٢) ، وأصابته رعدةٌ ؛ أي : من دهشة القدوم عليه صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم من رآه بديهةً . . هابه ، ومن خالطه . . أحبه عليه الصلاة والسلام .

وإنما قال ذلك صلى الله عليه وسلم حسماً لموادِّ الكبر ، وقطعاً لذرائع الإعجاب ، وكسراً لأشْرِ النفس^(١) ، وتذليلاً لسطوة الاستعلاء .

ومثل ذلك : ما رُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه نادى : (الصلاة جامعة) فلما اجتمع الناس . . صعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : (أيُّها الناسُ ؛ لقد رأيتني أرعى على خالاتٍ لي من بني مخزومٍ ، فيقبضن لي القُبْضةَ من التمر والزبيب ، فأظللُ اليومَ ، وأيُّ يومٍ !؟) .

فقال له عبد الرحمن بن عوف : (والله يا أمير المؤمنين ؛ ما زدت على أن قصرت بنفسك) ، فقال له عمر : (ويحك يا بن عوف ؛ إنني خلوتُ بنفسي ، فحدثتني نفسي فقالت : أنت أمير المؤمنين ، فمن ذا أفضل منك ؟! فأردتُ أن أعرفها نفسها)^(٢) .

وللإعجاب أسباب ، فمن أقوى أسبابه : كثرة مديح المتقرِّين ، وإطراء المتملِّقين ، الذين قد جعلوا النفاق مادةً ومكسباً ، والتملُّق خديعةً وملعباً ، فإذا وجدوه مقبولاً في العقول الضعيفة . . أغروا أربابها باعتقاد كذبهم ، وجعلوا ذلك ذريعةً إلى الاستهزاء بهم .

وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سمع رجلاً يزكي رجلاً ، فقال : « قَطَعْتَ مطأه ؛ لو سمعها . . ما أفلح بعدها »^(٣) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (الممدحُ ذبيحٌ)^(٤) .

(١) أشر النفس : بطورها وتكبرها .

(٢) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٦٨٢) ، و « تاريخ دمشق » (٣١٤ / ٤٤) ، وأي يوم : فيه تحشُّرٌ على ما فات مع أنه خليفة ، وقصرت بنفسك : لأن تحشُّرَ العالي الكبير على الدنيا الحقيق من دناءة النفس ، ويحك : كلمة رحمة ؛ كما أن (ويل) كلمة عذاب .

(٣) رواه الإمام أحمد في « المسند » (٥١ / ٥) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٥٢٧) عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه ، ومطأه : ظهره .

(٤) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٣٣٦) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت » (٦٠٦) ، والممدح ذبيحٌ ، لا يحسُّ به المذبوب ؛ لحدة سنان اللسان .

وقال ابن المقفع : (قابل المدح كمدح نفسه)^(١) .

وقال بعض الحكماء : (مَنْ رَضِيَ أَنْ يُمدَحَ بما ليس فيه . . فقد أمكنَ السَّاحِرَ منه) .

رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِيَّاكُمْ وَالتَّمَادُحَ ؛ فَإِنَّهُ الذَّبْحُ »^(٢) ، « إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحاً أَخَاهُ لَا مَحَالَةَ . . فليقل : أَحسبُ ، وَلَا أَزْكِي عَلَى اللَّهِ أَحداً »^(٣)

وقيل : فيما أنزل الله تعالى من الكتب السالفة : (عجباً لِمَنْ قِيلَ فِيهِ الْخَيْرُ وليس فيه كيف يفرحُ ؟ ! وعجباً لِمَنْ قِيلَ فِيهِ الشَّرُّ وهو فيه كيف يغضبُ ؟ !)^(٤) .

وقال بعض الشعراء :

يا جاهلاً غرَّهُ إفراطُ مادِحِهِ لا يغلبُنْ جهْلُ مَنْ أطْرَاكَ عِلْمَكَ بِكَ
أثنى وقال بلا عِلْمٍ أحاطَ بِهِ وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْمَحْصُولِ مِنْ رَبِّكَ
وهذا أمرٌ ينبغي للعاقل أن يضبطَ نفسه عن أن يستفزَّها ، ويمنعها من تصديق
المدح لها ؛ فَإِنَّ للنفس ميلاً إلى حُبِّ الثناء ، وسماع المدح .

قال الشاعر^(٥) :

يَهْوَى الثَّنَاءَ مُبَرِّزٌ وَمُقَصِّرٌ حُبُّ الثَّنَاءِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ
وإذا سَامَحَ نَفْسَهُ فِي هَذِهِ الصَّبُوءِ ، وَتَابَعَهَا عَلَى هَذِهِ الشَّهْوَةِ . . تشاغلَ بها
عن الفضائل الممدوحة ، ولها بها عن المحاسن الممنوحة ، فصار الظاهرُ من
مدحه كذباً ، والباطنُ من ذمِّه صدقاً ، وعند تقابلهما يكون الصدقُ أَلْزَمَ الأمرين ،

(١) الأدب الكبير (ص ٢٤٨) ضمن « آثار ابن المقفع » .

(٢) رواه ابن ماجه (٣٧٤٣) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦٧٨٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٨٢٥) عن سيدنا معاوية رضي الله عنه ، فإنه الذبح : لأن المذبوح يفتن عن العمل ، والمدح يوجب الفتور ، أو لأنه يوجب العجب والكبر وهو مهلك كالذبح .

(٣) رواه البخاري (٢٦٦٣) ، ومسلم (٣٠٠٠) عن سيدنا أبي بكر رضي الله عنه .

(٤) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٦ / ٢٤٣٥) ، وأورده في « عيون الأخبار » (١ / ٢٧٦) .

(٥) البيت لابن نباتة السعدي في « ديوانه » (١ / ٥٤٦) ، والمبرِّز : من فاق أصحابه فضلاً وشجاعة ، وضده المقتصر .

وهذه خُدعةٌ لا يرتضيها عاقل ، ولا ينخدع بها مميّز .

وليعلم أنّ المتقرّب بالمدح يُسرف مع القبول ، ويكفّ مع الإباء ، فلا يغلبه حسنُ الظنّ على تصديق مدحٍ هو أعرف بحقيقته .

ولتكن تهمة المادح أغلب عليه ؛ فقلّ مدحٌ كان جميعه صدقاً ، وقلّ ثناءٌ كان كلّهُ حقّاً ؛ ولذلك كره أهل الفضل أن يطلقوا ألسنتهم بالثناء والمدح ؛ تحرّزاً من التجاوز فيه ، وتنزّهاً عن التملّق به^(١) .

وقد روى مكحولٌ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تكونوا عَيَّابِينَ ، ولا تكونوا لَعَّائِينَ ، ولا مُتَمَادِحِينَ ، ولا مُتَمَاوِتِينَ »^(٢) .

وحكى الأصمعيّ : أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان إذا مُدِح . . قال : (اللهم ؛ أنت أعلم بي من نفسي ، وأنا أعلمُ بنفسي منهم ، اللهم ؛ اجعلني خيراً ممّا يحسبون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون)^(٣) .

وقال بعض الشعراء^(٤) :

إذا المرء لم يمدحه حُسْنُ فِعَالِهِ فمادحه يهذي وإن كان مُفَصِّحاً
وربّما آل حُبُّ المدح بصاحبه إلى أن يصيرَ مادحَ نفسه ؛ إمّا لتوهّمه أن الناس قد غفلوا عن فضله ، وأخلّوا بحقه ، وإمّا ليخدعهم بتدليس نفسه بالمدح والإطراء ، فيعتقدوا أنّ قوله حقٌّ متبع ، وصدقٌ مستمع ، وإمّا ليتلذذَ بسماع الثناء ، ويسرّ نفسه بالمدح والإطراء ؛ كما يتغنّى لنفسه طرباً إذا لم يسمع صوتاً مطرباً ، ولا غناءً ممتعاً ، ولأَيِّ ذلك كان . . فهو الجهل الصريح ، والنقص الفاضح .

(١) المدح متضمنٌ للكذب والباطل ، وقد قيل : (إن أحلى المدح أكذبه !!) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٩١) ، والشهاب في « مسنده » (٩٤٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٨١/٥٧) .

(٣) رواه في « أسد الغابة » (٣٢٥/٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٣٢/٣٠) ، وقول سيدنا أبي بكر رضي الله عنه ودعاؤه هذا . . هو توبة الممدوح ، فاقصدوا به رضي الله عنه .

(٤) أورد البيت في « عيون الأخبار » (٢٧٧/١) .

[من الطويل]

قال بعض الشعراء^(١) :

وما شرف أن يمدح المرء نفسه ولكن أعمالاً تَذُمُّ وتمدحُ
وما كل حين يصدق المرء ظنه ولا كل أصحاب التجارة يربحُ
ولا كل من ترجو لغيرك حافظاً ولا كل من ضمّ الودعة يصلحُ

وينبغي للعاقل أن يسترشد إخوان الصدق ، الذين هم أصفياء القلوب ، ومرايا المحاسن والعيوب على ما ينبّهونه عليه من مساويه التي صرفه حسن الظن عنها ؛ فإنهم أمكن نظراً ، وأسلم فكراً ، ويجعل ما ينبّهونه عليه من مساويه عوضاً عن تصديق المدح فيه .

وقد روى أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المؤمنُ مرآةُ المؤمن ، إذا رأى فيه عيباً . . أصلحه »^(٢) .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : (رَحِمَ اللهُ امرأً أهدى إلينا مساوينا)^(٣) .

وقيل لبعض الحكماء : (أتحبُّ أن تُهدى إليك عيوبك ؟ قال : نعم ؛ من ناصح)^(٤) .

ومما يقارب معنى هذا القول : ما رُوي عن عمر رضي الله عنه أنه قال لابن عباس رضي الله عنهما : (مَنْ ترى أن نولّيه حمصاً ؟ قال : رجلاً صحيحاً منك ، صحيحاً لك ، قال : فكن أنت ذلك الرجل ، قال : لا تنتفع بي مع سوء ظني بك ، وسوء ظنك بي !!)^(٥) .

(١) الأبيات للمغيرة بن حبناء في « ديوانه » (٨٢/٣ - ٨٣) ضمن « شعراء أمويون » .

(٢) رواه البزار في « مسنده » (٦١٩٣) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٢١١٤) بنحوه ، ولفظه رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٢٣٨) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) رواه الدرامي في « مسنده » (٦٧٥) ، وأورده في « البيان والتبيين » (١٣٤/٣) .

(٤) رواه الخطيب في « المتفق والمفترق » (٩٦٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢١٧/٧) من قول مسعر بن كدام رحمه الله تعالى ، ومن ناصح ؛ أي : يريد براءتي من العيوب ، لا من عدوّ يشمت بالذنوب .

(٥) أورده ابن المعتز في « البديع » (ص ٥٤) ، و« نثر الدر » (٤١٤/١) ؛ وفيه : (مع سوء ظني في سوء ظنك بي) ، وسوء ظنك بي : لمّا حملت كلامي على التعريض وسؤال الولاية ، ولا يُنتفع مع سوء الظن .

وقد قيل في مثثور الحكم : (مَنْ أظهر عيبَ نفسه .. فقد زكَّاهَا)^(١) .

فإذا قطع أسباب الكبر ، وحسم موادَّ العُجب .. اعتاض بالكبر تواضعاً ، وبالعُجب تودُّداً ؛ وذلك من أوكد أسباب الكرامة ، وأقوى موادَّ النعم ، وأبلغ شافعٍ إلى القلوب ، يعطفها إلى المحبة ، ويشيئها عن البغضة .

وقد قال بعض الحكماء : (مَنْ برىء من ثلاثٍ .. نال ثلاثاً ؛ مَنْ برىء من الشرِّ .. نال العزَّ ، وَمَنْ برىء من البخل .. نال الشَّرَفَ ، وَمَنْ برىء من الكبر .. نال الكرامة) .

وقال مصعب بن الزبير : (التواضع أحدُ مصادد الشَّرَف)^(٢) .

وقيل في مثثور الحكم : (مَنْ دام تواضعه .. كثر صديقه) .

وقد تُحدث المنازل والولايات لقوم أخلاقاً مذمومة ، يُظهرها سوء طباعهم ، ولآخرين فضائل محمودة ، يبعث عليها زكيَّ شيمهم ؛ لأنَّ لتقلُّب الأحوال سكرةً تُظهر من الأخلاق مكنونها ، ومن السرائر مخزونها ، لا سيَّما إذا هجمت بغير تدريج ، وطرقت من غير تأهّب .

وقال بعض الحكماء : (في تقلُّب الأحوال تُعرَف جواهر الرجال)^(٣) .

وقال الفضل بن سهل : (مَنْ كانت ولايته فوق قدره .. تكبر لها ، وَمَنْ كانت ولايته دون قدره .. تواضع لها)^(٤) .

وقال بعض البلغاء : (الناس في الولاية رجلان : رجلٌ يجلُّ عن العمل بفضله ومروءته ، ورجلٌ يجلُّ بالعمل لنقصه ودناءته ، فَمَنْ جلَّ عن عمله .. ازداد به تواضعاً وبشراً ، وَمَنْ جلَّ عنه عمله .. لبس به تجبُّراً وكِبَراً) .

(١) أورده في « عيون الأخبار » (٢٧٥ / ١) ، و « بهجة المجالس » (٥٢٠ / ١) .

(٢) أورده في « لباب الآداب » (ص ٢٥٧) ، و « زهر الآداب » (٥٥ / ١) ، وقال في « منهاج اليقين » (ص ٤٠٤) : (مصادد : جمع مصيدة ، ولعله مُصَحَّف : مصاعد ؛ جمع : مصعد) .

(٣) أورده في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٣٦٥) ، و « التذكرة الحمدونية » (٣٥٢ / ١) .

(٤) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٤٩) .

الفصل الثاني

في حسن الخلق

رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى اخْتَارَ لَكُمْ الإسلامَ ديناً ، فأَكْرَمُوهُ بِحُسْنِ الخُلُقِ والسَّخَاءِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَكْمُلُ إِلَّا بهما » (١) .

وقال الأحنف بن قيس : (أَلَا أَخْبِرُكُمْ بِأَدْوَاءِ الدَّاءِ ؟ قالوا : بلى ، قال : الخُلُقُ الدَّنِيّ ، واللِّسانُ البَذِيّ) (٢) .

وقال بعض الحكماء : (مَنْ سَاءَ خُلُقُهُ . . ضاقَ رِزْقُهُ) (٣) . وعِلَّةُ هذا القول ظاهرة (٤) .

وقال بعض البلغاء : (الحَسَنُ الخُلُقِ : مَنْ نَفْسُهُ فِي رَاحَةٍ ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي سَلَامَةٍ ، وَالسَّيِّئُ الخُلُقِ : النَّاسُ مِنْهُ فِي بَلَاءٍ ، وَهُوَ مِنْ نَفْسِهِ فِي عَنَاءٍ) (٥) .

وقال بعض الأدباء : (عَاشِرُ أَهْلِكَ بِأَحْسَنِ أَخْلَاقِكَ ؛ فَإِنَّ الثَّوَاءَ فِيهِمْ قَلِيلٌ) (٦) .

وقال بعض الشعراء (٧) :

إِذَا لَمْ تَسْجَعْ أَخْلَاقَ قَوْمٍ يَضِيقُ بِهِمُ الْفَسِيخُ مِنَ الْبِلَادِ
إِذَا مَا الْمَرْءُ لَمْ يُخْلَقْ لِبَيِّاً فَلَيْسَ اللَّبُّ عَنْ قِدَمِ الْوِلَادِ

(١) رواه ابن عساکر في « تاريخ دمشق » (٢٨٩ / ٥٠) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٣٤١) ، وابن عساکر في « تاريخ دمشق » (٣٣٧ / ٢٤) ، واللسان البذي : الفاحش القول وقبيحه .

(٣) أوردته في « المستطرف » (٨٩ / ١) .

(٤) وهي أن الرزق يكتسب بالألفة ، ولا ألفة بسوء الخلق .

(٥) أوردته الحافظ المزني في « تهذيب الكمال » (٧٣ / ١٠) من قول عبيد الله بن أبي جعفر رحمه الله تعالى .

(٦) رواه ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٤٠) ، وأوردته في « نثر الدر » (١٩٠ / ٥) من كلام الحسن البصري رحمه الله تعالى ، والثواء : البقاء أو الإقامة .

(٧) أورد البيتين في « فضل الكلاب » (ص ١٦) ، و « تاريخ دمشق » (٨ / ١٦) .

فإذا حسنت أخلاق الإنسان . . كثر مُصافوه ، وقلَّ مُعادوه ، وتسهَّلت عليه الأمور الصَّعاب ، ولانت له القلوبُ الغِضاب .

وقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « حُسْنُ الخُلُقِ ، وَحُسْنُ الجِوارِ . . يَعمُرانِ الدَّيارَ ، وَيَزِيدانِ في الأعمارِ »^(١) .

وقال بعض الحكماء : (في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق)^(٢) .

وسبب ذلك : ما ذكرنا من كثرة الأصفياء المُسعين ، وقلة الأعداء المجحفين ؛ ولذلك قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « أَجِبْكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنُكُمْ أخلاقاً ، الْمُوطَّوُونَ أَكْثافاً ، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ »^(٣) .

وحسن الخُلُقِ : أن يكون سهلَ العريكة ، لَيِّنَ الجانب ، طَلَقَ الوجه ، قليلَ الثُّقور ، طَيَّبَ الكلمة ، وقد بيَّن رسولُ الله صلى الله عليه وسلم هذه الأوصاف فقال : « أَهْلُ الجَنَّةِ : كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ ، سهلٌ طَلَقٍ »^(٤) .

ولما ذكرنا من هذه الأوصاف حدودَ مقدرة ، ومواقعُ مستحقة ؛ كما قال الشاعر^(٥) :

أصْفُو وأكْدَرُ أحياناً لِمُخْتَبِرِي وليس مُستَحَسناً صَفْوَ بلا كَدَرِ
وليس يريد الكَدَرُ الذي هو البَداءُ وشراسةُ الخُلُقِ ؛ فإن ذلك ذمٌّ لا يُستَحَسَن ، وعيبٌ لا يُرتَضَى ، وإنما يريد الكَفَّ والانقباض في موضعٍ يُلام فيه المساعد ، ويُذمُّ فيه الموافق .

فإذا كانت لمحاسن الأخلاق حدودٌ مقدرة ، ومواقع مستحقة ؛ فإن تجاوز

(١) رواه الإمام أحمد في « المسند » (١٥٩/٦) عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، وأورده في « عيون الأخبار » (٢٣/٣) .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٤) ، و « محاضرات الأدباء » (١/٥٦٦) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٢٥٥) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٢/٣٢٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والموطؤون أكتافاً : المتواضعون اللينون الهينون .

(٤) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٧٧١) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٥) البيت لسعيد الخالدي في « ديوان الخالديين » (ص ١٢٩) .

بها الحدّ . . . صارت مَلَقًا ، وإن عدل بها عن مواضعها . . . صارت نفاقًا ، والمَلَقُ ذَلٌّ ، والنَّفَاقُ لَوْمٌ ، وليس لَمَن وُسِمَ بهما ودُّ مبرور ، ولا أثرٌ مشكور .

وقد روى حكيم ، عن جابر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « شَرُّ النَّاسِ ذُو الْوَجْهَيْنِ ؛ الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بَوَجْهِ ، وهَؤُلَاءِ بَوَجْهِ » (١) .

وروى مكحول ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَا يَنْبَغِي لِذِي الْوَجْهَيْنِ أَنْ يَكُونَ وَجِيهًا عِنْدَ اللَّهِ » (٢) .

وقال سعيد بن أبي عروبة : (لَأَنْ يَكُونَ لِي نَصْفُ وَجْهِ وَنَصْفُ لِسَانٍ عَلَى مَا فِيهِمَا مِنْ قُبْحِ الْمَنْظَرِ ، وَعَجْزِ الْمَخْبَرِ . . أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ ذَا وَجْهَيْنِ ، وَذَا لِسَانَيْنِ ، وَذَا قَوْلَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ) (٣) .

وقال الشاعر (٤) :

خَلَّ النَّفَاقَ لِأَهْلِهِ وَعَلَيْكَ فَالْتِمَسِ الطَّرِيقَا
وَارْغَبْ بِنَفْسِكَ أَنْ تَرَى إِلَّا عِدْوًا أَوْ صَدِيقَا

وقال إبراهيم بن محمد (٥) :

وَكَمْ مِنْ صَدِيقٍ وَدَّهْ بِلِسَانِهِ خَوْوُنٌ بظَهْرِ الْغَيْبِ لَا يَتَذَمَّمُ
يُضَاحِكُنِي عُجْبًا إِذَا مَا لَقِيْتُهُ وَيَصْدِفُنِي مِنْهُ إِذَا غِبْتُ أَسْهَمُ
كَذَلِكَ ذُو الْوَجْهَيْنِ يُرْضِيكَ شَاهِدًا وَفِي غَيْبِهِ إِنْ غَابَ صَابٌ وَعَلَقَمُ

(١) رواه البخاري (٧١٧٩) ، ومسلم (٩٩/٢٥٢٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٣١٣) ، والإمام أحمد في « المسند » (٢٨٩/٢) عن سلمان الأغر عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أورده في « البيان والتبيين » (١٤٩/٢) .

(٤) البيهقي لإبراهيم الصولي في « ديوانه » (ص ١٦١) ضمن « الطرائف الأدبية » .

(٥) أورده الأبيات في « التذكرة الحمدونية » (٢٠٧/٢) ، و« روضة العقلاء » (٤٣٦/١) ، وصابٌ وعلقم : الشيء المرء مثل الحنظل .

وربما تغيّر حُسْنُ الخُلُقِ والوَطَاءُ ، إلى الشَّرَاسَةِ والبَذَاءِ ؛ لأسبابٍ عارضة ، وأُمُورٍ طارئة ، تجعل اللِّينَ خُسُونَةً ، والوَطَاءَ غِلْظَةً ، والظَّلَاقَةَ عُبُوساً ؛ فمن أسباب ذلك :

- الولاية : التي قد تُحدِثُ في الأخلاقِ تغيُّراً ، وعلى الخُلَطَاءِ تنكُّراً ؛ إمّا من لُؤْمٍ طَبِيعٍ ، وإمّا من ضيقِ صدرٍ .

وقد قيل : (مَنْ تاه في ولايته . . ذلٌّ في عزله)^(١) .

وقيل : (ذلُّ العزلِ يضحك من تبه الولاية)^(٢) .

ومنها : العزل ؛ فقد يسوء به الخُلُقُ ، ويضيق به الصدر ؛ إمّا لشدة أسفٍ ، أو لقلّة صبرٍ .

حكى حميد الطويل : أنَّ عَمَّارَ بنِ ياسرٍ عَزَلَ عن ولاية ، فاشتدَّ ذلك عليه ، وقال : (إِنِّي وجدْتُها حلوة الرِّضَاعِ ، مرّة الفِطَامِ)^(٣) .

ومنها : الغنى ؛ فقد تتغيّر به أخلاق اللئيم بطراً ، وتسوء طرائقه أشراً ؛ ولذلك قيل : (مَنْ نال . . استطال)^(٤) .

وأُنشد الرِّياشي^(٥) :

غَضَبَانُ يَعْلَمُ أَنَّ المَالَ سَاقَ لَهُ مَا لَمْ يَسْقُهُ لَهُ دِينَ وَلَا خُلُقُ
فَمَنْ يَكُنْ عَنْ كِرَامِ النَّاسِ يَسْأَلُنِي فَأَكْرَمُ النَّاسِ مَنْ كَانَتْ لَهُ وَرَقُ

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٤٩) .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٤٩) ، و« زهر الآداب » (٨٢٦/٢) من قول ابن المعتز .

(٣) أورده في « المحاسن والأضداد » (ص ٤١) ، و« البصائر والذخائر » (١٢٨/١) .

(٤) أورده في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٣٦٥) ، و« ديوان المعاني » (٩٤/٢) ، واستطال : تكبر .

(٥) أورد البيهقي في « عيون الأخبار » (٢٤٠/١) ، و« العقد الفريد » (٢٩/٣) .

[من الطويل]

وقال بعض الشعراء^(١) :

فإن تَكُنِ الدُّنْيَا أَنَا لَتَكْ ثَرَوَةٌ فأصبحتَ ذا يُسْرِ وقد كنتَ ذا عُسْرِ
لقد كَشَفَ الإِثْرَاءُ مِنْكَ خِلَافَةً مِنَ اللُّؤْمِ كَانَتْ تَحْتَ ثَوْبٍ مِنَ الْفَقْرِ
وبحسب ما أفسده الغنى . . كذلك يصلحه الفقر .

كتب قتيبة بن مسلم إلى الحجاج : (أنَّ أهل الشام قد التاثوا عليه)^(٢) ،
فكتب إليه : (أنِ اقْطَعْ عَنْهُمْ الْأَرْزَاقَ) ، ففعل ، فساءت حالهم ، فاجتمعوا إليه
فقالوا : (أَقْلُنَا) فكتب إلى الحجاج فيهم ، فكتب إليه : (إن كنتَ آنستَ منهم
رشدًا . . فأجرِ عليهم ما كنتَ تُجري) .

واعلم : أنَّ الْفَقْرَ جُنْدُ اللَّهِ الْأَكْبَرِ ، يذُلُّ بِهِ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مُتَكَبِّرٍ ، وقد رُوي
عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَذَلَّ ابْنَ آدَمَ بِثَلَاثٍ . .
مَا طَاطَأَ رَأْسُهُ لَشَيْءٍ : الْفَقْرُ ، وَالْمَرَضُ ، وَالْمَوْتُ »^(٣) .

ومنها : الْفَقْرُ ؛ فَقَدْ يَتَغَيَّرُ بِهِ الْخُلُقُ ؛ إِمَّا أَنْفَةً مِنْ ذُلِّ الْإِسْكَانَةِ ، أَوْ أَسْفًا عَلَى
فَائِثِ الْغِنَى ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ
كُفْرًا ، وَكَادَ الْحَسَدُ أَنْ يَغْلِبَ الْقَدَرَ »^(٤) .

[من الطويل]

وقال أبو تمام الطائي^(٥) :

وَأَعْجَبُ حَالَاتِ ابْنِ آدَمَ خُلُقُهُ يَضِلُّ إِذَا فَكَّرَتْ فِي كُنْهِهِ الْفِكْرُ
فَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الْقَلِيلِ بِقَاوُهُ وَيَجْزَعُ لَمَّا صَارَ وَهُوَ لَهُ ذُخْرُ

(١) البيتان لإبراهيم الصولي في « ديوانه » (ص ١٥٨) ضمن « الطرائف الأدبية » .

(٢) التاثوا عليه : تغيروا على قتيبة وفسدوا عليه حين كان كاتب عبد الملك .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٤٨٤) ، والدينوري في « المجالسة وجواهر العلم » (٤٥٦)

من كلام الحسن البصري رحمه الله تعالى .

(٤) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦١٨٨) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٥٣ / ٣) .

(٥) البيتان في « ديوانه » (٨٦ / ٤) .

وَرَبِّمَا تَسَلَّى مَنْ هَذِهِ حَالُهُ بِالْأَمَانِي وَإِنْ قَلَّ صَدْقُهَا ؛ فَقَدْ قِيلَ : (قَلَّمَا تَصَدَّقُ الْأُمْنِيَّةُ)^(١) لَكِنْ قَدْ يَعْتَاضُ بِهَا سُلُوءٌ مِنْ هَمٍّ ، وَمَسْرَةٌ تُرْجَى .

وقد قال أبو العتاهية^(٢) :

حَرَّكَ مُنَاكَ إِذَا اغْتَمَمْتُ سَتَ فَلَإِنَّهُنَّ مَرَاوِحُ

وقال آخر^(٣) :

إِذَا تَمَنَيْتُ بِكَ اللَّيْلَ مَغْتَبِطًا إِنَّ الْمُنَى رَأْسُ أَمْوَالِ الْمَفَالِيسِ

ومنها : الهموم التي تذهل اللب ، وتشغل القلب ، فلا يتسع لاحتمال ، ولا يقوى على صبر ؛ فقد قيل : (الهمُّ كالسَّمِّ)^(٤) .

وقال بعض الأدباء : (الحزن كالداء المخزون في فؤاد المحزون)^(٥) .

وقال بعض الشعراء^(٦) :

هَمُومُكَ بِالْعَيْشِ مَقْرُونَةٌ فَمَا تَقْطَعُ الْعَيْشَ إِلَّا بِهِمْ
إِذَا تَمَّ أَمْرٌ بَدَا نَقْصُهُ تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمَّ
إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْزَعْهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمَ
وَحَامِ عَلَيْهَا بِشُكْرِ الْإِلَهِ فَإِنَّ الْإِلَهَ سَرِيعُ النِّقَمِ

(١) أورده في « ديوان المعاني » (٩٤ / ٢) .

(٢) البيت في « ديوانه » (ص ٧٢ - دار صادر) ؛ فالحرارة تلزم الاغتمام ، ولذا يكون دمع الحزن حاراً ومضراً بالعين ، والأمنية مروحة الاغتمام .

(٣) أورد البيت في « عيون الأخبار » (٢٦١ / ١) ، و « المحاسن والمساوي » (ص ٢٧٠) .

(٤) الهم : ما يكون لأمر يُنتظر وقوعه وذهابه ، والغم : ما يكون لأمر واقع أو لخير فات ، وهما يُحدثان الحميات اليومية ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يستعيز من الهم والحزن بدير كل صلاة .

(٥) أورده في « الكشكول » (١٧١ / ٢) .

(٦) أورد الأبيات الثلاثة الأولى مع الخامس في « تاريخ دمشق » (١٠٣ / ٥١) ، والبيت الرابع زيادة من (هـ) ، وقوله : (إِلَّا بِسْمِ) أي : بِسْمِ النحل ؛ إلا أنه أراد العموم ، واستحضر تلك الصورة البديعة ؛ للتنبيه على الغفلة ، فكل نعمة تنعمت بها من الدنيا ليست نعمة بل هي سم ونقمة ، متى تدرك أوانه . . تجد آلامه .

حلاوة دنيآك مسمومة فما تَأْكُلُ الشَّهْدَ إِلَّا بِسَمِّ
فكم قَدَرِ دَبِّ فِي مُهْلَةٍ فلم يَعْلَمِ النَّاسُ حَتَّى هَجَمَ

ومنها : الأمراض التي يتغيَّر بها الطبع كما يتغيَّر بها الجسم ، فلا تبقى الأخلاق على اعتدال ، ولا يقدر معها على احتمال .

وقد قال المتنبي^(١) :

آلَةُ الْعَيْشِ صِحَّةٌ وَشَبَابٌ فَإِذَا وَلَّىا عَنِ الْمَرِّ وَلَّى
وَإِذَا الشَّيْخُ قَالَ أَفَّ فَمَا مَلَّ حَيَاةً وَإِنَّمَا الضَّعْفُ مَلًّا
وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ النَّاسِ كَفْوَاً ذَاتُ خِذْرِ أَرَادَتْ الْمَوْتَ بَعْلَا
أَبْدَأُ تَسْتَرِدُّ مَا تَهَبُّ الدُّنَا يَا فَيَا لَيْتَ جُودَهَا كَانَ بُخْلَا

ومنها : علوُّ السِّنِّ ، وحدوثُ الهرَمِ ؛ لتأثيره في آلة الجسد ، كذلك يكون تأثيره في أخلاق النفس ، فكما يضعف الجسد عن احتمال ما كان يُطيقُه من الأثقال . . فكذلك تعجز النفس عن احتمال ما كانت تصبرُ عليه من مخالفة الوفاق ، ومضض الشَّقَاق ، وكذلك ما ضاهاه^(٢) .

قال منصور التَّمَرِيُّ^(٣) :

مَا كُنْتُ أَوْفِي شَبَابِي كُنْهَ غِرَّتِهِ حَتَّى مَضَى فَإِذَا الدُّنْيَا لَهُ تَبَعُ
أَصْبَحْتُ لَمْ تَطْعَمِي ثُكُلَ الشَّبَابِ وَلَمْ تَسْجِي بِغُصَّتِهِ فَالْعَذْرُ لَا يَقَعُ
مَا كَانَ أَقْصَرَ أَيَّامِ الشَّبَابِ وَمَا أَبْقَى حَلَاوَةَ ذِكْرَاهُ الَّذِي يَدْعُ
مَا وَاجَهَ الشَّيْبَ مِنْ عَيْنٍ وَإِنْ رَمَقْتُ إِلَّا لَهُ نَبْوَةٌ عَنْهُ وَمُرتَدَعُ

(١) الأبيات في « ديوانه » (١٢٩/٣ - ١٣٠) .

(٢) ومضض الشَّقَاق : وجع العداوة والمخالفة ، وما ضاهاه : ما شابهه .

(٣) الأبيات في « ديوانه » (ص ٩٦ - ٩٧) .

قد كدتَ تقضي على فَوْتِ الشَّبَابِ أَسَى لولا تَعَزِّيكَ أَنَّ الشَّيْبَ مُنْقَطِعُ
أبكي شَبَاباً سُلِبْنَاهُ فَكَانَ وَلَا تفي بقيمتِهِ الدُّنْيَا وما تَسَعُ

فهذه سبعة أسبابٍ إن أحدثت سوءَ الخُلُقِ . . كان عامّاً .

وهل هنا سببٌ خاصٌّ قد يُحدِث سوءَ خُلُقٍ خاصٍّ ؛ وهو البغض الذي تنفر منه
النفس ، فتُحدِث نفوراً على المبعوض يؤول إلى سوء خُلُقٍ يخصُّه دون غيره .

وإذا كان سوءُ الخُلُقِ حادثاً لسبب . . كان زواله مقروناً بزوال ذلك السبب ، ثم
بالضدّ^(١) .

(من الطويل)

(١) وأعي الأسباب علاجاً : الهرم ؛ كما قال التميمي :
إذا كانت السبعون سنّك لم يكن لدائك إلا أن تموتَ طيبُ

الفصل الثالث

في الحياء

اعلم : أَنَّ الخَيْرَ والشرَّ معانٍ كامنةٌ تُعرَفُ بِسِمَاتٍ دالَّةٍ ؛ كما قالت العرب في أمثالها : (تُخْبِرُ عَنْ مَجْهُولِهِ مَرَأَتُهُ)^(١) .

وكما قال سَلَمٌ بن عمرو الشاعر^(٢) :

لا تَسْأَلِ المرءَ عَنْ خَلَائِقِهِ فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ الْخَبَرِ
فِسْمَةُ الْخَيْرِ : الدَّعَةُ والحياءُ ، وَسِمَةُ الشَّرِّ : الْفَحَةُ والبذاء^(٣) ، وكفى
بالحياءِ خَيْراً أَنْ يَكُونَ عَلَى الْخَيْرِ دَلِيلًا ، وكفى بِالْفَحَةِ والبذاءِ شَرًّا أَنْ يَكُونَ إِلَى
الشَّرِّ سَبِيلًا .

وقد روى حسان بن عطية ، عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ »^(٤) .

ويشبه أن يكون العِيُّ في معنى الصمت ، والبيانُ في معنى التشذُّق ؛ كما جاء في الحديث الآخر : « إِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ : الثَّرَثَارُونَ الْمُتَفِيهِقُونَ الْمُتَشَدِّقُونَ »^(٥) .

وروى أبو سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْحَيَاءُ مِنَ الْإِيمَانِ ، وَالْإِيمَانُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْجَفَاءِ ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ »^(٦) .

(١) أورده أبو عبيد في « الأمثال » (ص ٢٥٤) .

(٢) البيت في « ديوانه » (ص ١٠٠) .

(٣) الفحة : مصدر (وقح الرجل) أي : قلَّ حياؤه ، والبذاء : التكلم بالكلام الفاحش .

(٤) رواه الحاكم في « المستدرک » (٩/١) ، والترمذي (٢٠٢٧) .

(٥) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٤٨٢) ، والترمذي (٢٠١٨) .

(٦) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٦٠٨) ، والترمذي (٢٠٠٩) .

وقال بعض الحكماء : (مَنْ كساه الحياءُ ثوبَهُ . . لم يرَ الناسُ عِيَهُ)^(١) .

وقال بعض البلغاء : (حياءُ الوجهِ بحيائه ؛ كما أَنَّ حياةَ الغرسِ بمائه)^(٢) .

وقال بعض البلغاء العلماء : (يا عجباً !! كيف لا تستحي من كثرة ما لا تستحي ، وتتقي من طول ما لا تتقي ؟ !) .

وقال بعض الشعراء وهو صالح بن عبد القدوس^(٣) :

إذا قلَّ ماءُ الوجهِ قلَّ حياؤُهُ ولا خيرَ في وجهٍ إذا قلَّ ماؤُهُ
حياءُكَ فاحفظهُ عليك فإنَّما يدُلُّ على فعلِ الكريمِ حياؤُهُ
وليس لَمَنْ سُلِبَ الحياءُ صاڈٌ عن قبيح ، ولا زاجرٌ عن محذور ، فهو يُقدِّمُ
على ما يشاء ، ويأتي ما يهوى ، وبذلك جاء الخبر : روى شعبه ، عن منصور ،
عن ربعي ، عن أبي مسعود البدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إِنَّ مِمَّا أدركَ الناسُ من كلامِ النبوةِ الأولى : يا بنَ آدمَ ؛ إذا لم تستحيِ . . فاصنعْ
ما شئت »^(٤) .

وليس هذا القولُ إغراءً منه بفعل المعاصي عند قلَّة الحياء ؛ كما توهمه بعضُ
مَنْ جهل معاني الكلام ، ومواضع الخطاب .

وفي مثل هذا الخبر قولُ الشاعر^(٥) :

إذا لم تخشَ عاقبةَ اللَّيالي ولم تستحيِ فاصنعْ ما تشاء
فلا والله ما في العيشِ خيرٌ ولا الدُّنيا إذا ذهبَ الحياءُ
يعيشُ المرءُ ما استحيا بخيرٍ ويبقى العودُ ما بقي اللِّحاءُ

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤١٣) ، و « زهر الآداب » (٩٨٤ / ٢) من قول يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى .

(٢) ذكره المناوي في « التيسير شرح الجامع الصغير » (٥١٠ / ١) .

(٣) البيتان في « ديوانه » (ص ١١٩) .

(٤) رواه البخاري (١٦٢٠) ، وابن حبان في « صحيحه » (٦٠٧) ، وأبو داود (٤٧٩٧) ، وأحمد في « مسنده » (١٢١ / ٤) .

(٥) الأبيات لأبي تمام في « ديوانه » (٢٩٧ / ٤) .

واختلف أهل العلم في معنى هذا الخبر :

فقال أبو بكر محمد بن علي الشاشي في « أصول الفقه » : (معنى هذا الخبر : أن مَنْ لم يستحي . . دعاه ترك الحياء إلى أن يعمل ما يشاء ، لا يردعه عنه رادعٌ ، فليستحي المرء ؛ فإنَّ الحياء يردُّه) .

وسمعت مَنْ يحكي عن أبي بكر الرازي من أصحاب أبي حنيفة : (أنَّ المعنى فيه : إذا عُرِضت عليك أفعالك التي هممت بفعلها فلم تستحي منها ؛ لحسنها وجمالها . . فاصنع ما شئت منها) فجعل الحياء حكماً على أفعاله .

وكلا القولين حسن^(١) ، والأوّل أشبه ؛ لأنَّ الكلام خرج من النبيّ صلى الله عليه وسلم مخرج الذمّ ، لا مخرج الأمر .

لكن قد جاء الحديث بما يضاهي القول الثاني ؛ وهو قوله صلى الله عليه وسلم : « ما أحببت أن تسمعه أذنك . . فأنته ، وما كرهت أن تسمعه أذنك . . فاجتنبه »^(٢) .

ويجوز أن يُحمَلَ هذا الحديث على المعنى الصريح فيه ، ويكون التأويل الأول في الحديث المتقدم أصحّ ؛ إذ ليس يلزم أن تكون أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كلّها متّقة المعاني ، بل اختلاف معانيها أدخل في الحكمة ، وأبلغ في الفصاحة إذا لم يضاد بعضها بعضاً .

واعلم : أنَّ الحياء في الإنسان قد يكون من ثلاثة أوجه : أحدها : حياؤه من الله تعالى ، والثاني : حياؤه من الناس ، والثالث : حياؤه من نفسه .

فأمّا حياؤه من الله تعالى . . فيكون بامتنال أوامره ، والكفّ عن زواجه .

وروى ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبيّ صلى الله عليه وسلم قال :

(١) فمبنى الأول : حمل الأمر على التهديد ، ومبنى الثاني : حمله على الإباحة ، وكلاهما حسن من حيث المبنى والمعنى .

(٢) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٢٢٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٦١٨) عن سيدنا حرمة بن عبد الله رضي الله عنه .

« اسْتَحْيُوا مَنْ اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ الْحَيَاءِ » قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ كَيْفَ نَسْتَحْيِي مَنْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَقَّ الْحَيَاءِ ؟ قَالَ : « مَنْ حَفِظَ الرَّأْسَ وَمَا حَوَى ، وَالْبَطْنَ وَمَا وَعَى ، وَتَرَكَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَذَكَرَ الْمَوْتَ وَالْبَلِيَّ .. فَقَدْ اسْتَحْيَا مَنْ اللَّهَ حَقَّ الْحَيَاءِ » (١) ، وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنْ أُبْلَغِ الْوَصَايَا .

قَالَ أَقْضَى الْقَضَاةِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَنَامِ ذَاتَ لَيْلَةٍ ، فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أَوْصِنِي ، فَقَالَ : « اسْتَحْيِ مَنْ اللَّهَ حَقَّ الْحَيَاءِ » ، ثُمَّ قَالَ : « تَغَيَّرَ النَّاسُ » قُلْتُ : وَكَيْفَ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « كُنْتُ أَنْظُرُ إِلَى الصَّبِيِّ فَأَرَى فِي وَجْهِهِ الْبَشَرَ وَالْحَيَاءَ ، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ الْيَوْمَ فَلَا أَرَى ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ !! » .

ثُمَّ تَكَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ بِوَصَايَا وَعِظَاتٍ تَصَوَّرْتُهَا ، وَأَذْهَلَنِي السَّرُورُ عَنْ حِفْظِهَا ، وَوَدِدْتُ أَنِّي لَوْ حَفِظْتُهَا ، فَلَمْ يَبْدَأْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِشَيْءٍ قَبْلَ الْوَصِيَّةِ بِالْحَيَاءِ مِنْ اللَّهَ تَعَالَى ، وَجَعَلَ مَا سُلِّبَ الصَّبِيِّ مِنَ الْبَشَرِ وَالْحَيَاءِ سَبَبًا لِتَغْيِيرِ النَّاسِ ، وَخَصَّ الصَّبِيَّ ؛ لِأَنَّهُ مَا يَأْتِيهِ بِالطَّبِيعِ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ .

فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ هَادٍ لِأَمَتِهِ ، تَابِعَ إِذْهَارَهَا ، وَقَطَعَ أَعْذَارَهَا ، وَوَاصَلَ تَأْذِيْبَهَا ، وَحَفِظَ تَهْذِيْبَهَا ، وَجَعَلَ لِكُلِّ عَصْرٍِ حَظًّا مِنْ زَوَاجِرِهِ ، وَنَصِيْبًا مِنْ أَمْرِهِ ، أَعَانَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى قَبُولِهَا بِالْعَمَلِ ، وَعَلَى اسْتِدَامَتِهَا بِالتَّوْفِيقِ !!

وَقَدْ رُوي أَنَّ عَلْقَمَةَ بِنَ عُلَاثَةَ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ عِظْنِي ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اسْتَحْيِ مَنْ اللَّهَ تَعَالَى اسْتِحْيَاءَكَ مِنْ ذِي الْهَيْبَةِ مِنْ قَوْمِكَ » (٢) .

وَهَذَا النُّوعُ مِنَ الْحَيَاءِ يَكُونُ مِنْ قُوَّةِ الدِّينِ ، وَصَحَّةِ الْيَقِينِ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ

(١) رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي « الْمُسْتَدْرَكِ » (٣٢٣ / ٤) ، وَالتِّرْمِذِيُّ (٢٤٥٨) ، وَعَطَفَ (مَا حَوَى) عَلَى (الرَّأْسِ) إِشَارَةً إِلَى أَنَّ حِفْظَ الرَّأْسِ عِبَارَةٌ عَنِ التَّنَزُّهِ عَنِ الشَّرْكِ ؛ فَلَا يَسْجُدُ إِلَّا لِلَّهِ ، وَلَا يَرْفَعُهُ تَكْبَرًا ، وَالْعَطْفُ عَلَى الْبَطْنِ إِشَارَةٌ إِلَى حِفْظِهِ عَنِ الْحَرَامِ ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ أَنْ يَمْلَأَهُ مِنَ الْمَبَاحِ .

(٢) رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي « شُعَبِ الْإِيمَانِ » (٧٣٤٣) .

النبي صلى الله عليه وسلم : « قِلَّةُ الْحَيَاءِ كُفْرٌ »^(١) يعني : من الله تعالى ؛ لما فيه من مخالفة أوامره .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الْحَيَاءُ نِظَامُ الْإِيمَانِ ، فإذا انحَلَّ نظام الشيء .. تَبَدَّدَ ما فيه وتَفَرَّقَ »^(٢) .

وأما حيائه من الناس .. فيكون بكفِّ الأذى ، وترك المجاهرة بالقبيح .
وقد رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مِنْ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى اتِّقَاءُ النَّاسِ » .

ورُوِيَ أَنَّ حذيفةَ بن اليمانِ أتى الجمعةَ ، فوجد الناسَ قد انصرفوا ، فتَنَكَّبَ الطريقَ عن الناسِ ، وقال : (لا خَيْرَ فِيمَنْ لا يَسْتَحْيِي مِنَ النَّاسِ)^(٣) .

وقال بشار بن برد^(٤) :

ولقد أَصْرَفُ الْفَوَادَ عَنِ الشَّيْءِ حَيَاءٌ وَحُبُّهُ فِي السَّوَادِ
أُمْسِكُ النَّفْسَ بِالْعَفَافِ وَأُمْسِي ذَاكِرًا فِي غَدِ حَدِيثِ الْأَعَادِي

وهذا النوع من الحياء قد يكون من كمال المروءة ، وحبِّ الثناء ؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ .. فلا غِيْبَةَ لَهُ »^(٥) يعني والله تعالى أعلم : لقلَّة مروهته ، وظهور شهوته .

وروى الحسن ، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٥٨٥٨) عن ابن المسيب رحمه الله تعالى مرسلًا ، والحكيم الترمذي في « المنهيات » (ص ٩٦) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) أورده في « بهجة المجالس » (٥٩١ / ١) من قول سيدنا سليمان عليه السلام .

(٣) رواه عبد الرزاق في « المصنف » (٥٤٦١) ؛ وفيه : أن حذيفة رضي الله عنه أمر من تأخر بتَنَكُّب سَنَنِ الناس .

(٤) البيتان في « ديوانه » (١٢٩ / ٢) ؛ وفي (أ) : (حديث المعاد) .

(٥) رواه البيهقي في « السنن الكبرى » (٢١٠ / ١٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠٤ / ٣٣) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، والمعنى : أن المتجاهر بالفواحش لا يحرم ذكره بما تجاهر به ؛ كي يحذره الناس .

صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ مِنْ مُرْوَةِ الرَّجْلِ مَمْشَاهُ ، وَمَدْخَلُهُ ، وَمَخْرَجُهُ ، وَمَجْلِسُهُ ، وَالْفَهْ ، وَجَلِيسُهُ » (١) .

وقال بعض الشعراء (٢) :

وَرَبَّ قَبِيحَةٍ مَا حَالَ بَيْنِي وَيَنْ رُكُوبِهَا إِلَّا الْحَيَاءُ
إِذَا رُزِقَ الْفَتَى وَجْهًا وَقَاحًا تَقَلَّبَ فِي الْأُمُورِ كَمَا يَشَاءُ

وقال آخر (٣) :

إِذَا لَمْ تَصُنْ عِرْضًا وَلَمْ تَخْشَ خَالِقًا وَتَسْتَحْيَ مَخْلُوقًا فَمَا شَتَّ فَاصِنَعِ

وَأَمَّا حَيَاؤُهُ مِنْ نَفْسِهِ . . فَيَكُونُ بِالْعِفَّةِ وَصِيَانَةِ الْخُلُوتِ .

وقد قال بعض الحكماء : (لِيَكُنْ اسْتِحْيَاؤُكَ مِنْ نَفْسِكَ أَكْثَرَ مِنْ اسْتِحْيَاكَ مِنْ غَيْرِكَ) (٤) .

وقال بعض الأدباء : (مَنْ عَمِلَ فِي السِّرِّ عَمَلًا يَسْتَحْيِي مِنْهُ فِي الْعِلَانِيَةِ . . فَلَيْسَ لِنَفْسِهِ عِنْدَهُ قَدْرٌ) (٥) .

ودعا قومٌ رجلاً كان يَأْلَفُ عَشْرَتَهُمْ ، فلم يُجِبْهُمْ ، وقال : (إِنِّي دَخَلْتُ الْبَارِحَةَ فِي الْأَرْبَعِينَ ، وَأَنَا أَسْتَحْيِي مِنْ سَنِي) (٦) .

وقال بعض الشعراء (٧) :

فَسِرِّي كإِعْلَانِي وَتِلْكَ خَلِيقَتِي وَظُلْمَةُ لَيْلِي مِثْلُ ضَوْءِ نَهَارِي

(١) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي « الْمَصْنَفِ » (٢٦١٠٤) ، وَابْنُ الْمُبَارَكِ فِي « الزَّهْدِ » (٩٨٨) عَنْ سَيِّدِنَا أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْقُوفًا ، وَالْمَعْنَى : تَظْهَرُ مَرْوَتُهُ فِي كُلِّ مِنْ ذَلِكَ .

(٢) الْبَيْتَانِ لَعَلِي بْنِ الْجَهْمِ فِي « دِيْوَانِهِ » (ص ٥٧) .

(٣) أَوْرَدَ الْبَيْتَ فِي « رَوْضَةِ الْعُقَلَاءِ » (٢٦٨ / ١) ، وَ« بَهْجَةِ الْمَجَالِسِ » (٥٩٣ / ١) لِأَبِي ذُلْفِ الْعِجْلِيِّ .

(٤) أَوْرَدَهُ ابْنُ أَبِي أَصِيْبَةَ فِي « عَيُونِ الْأَنْبَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَطْبَاءِ » (ص ٦٦) .

(٥) رَوَاهُ الدَّارِقُطْنِيُّ فِي « الْمُؤْتَلَفِ وَالْمُخْتَلَفِ » (١٠٠٠ / ٢) مِنْ قَوْلِ ذِي النُّونِ الْمَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(٦) أَوْرَدَهُ ابْنُ الْمَعْتِزِّ فِي « الْبَدِيعِ » (ص ١٥) .

(٧) أَوْرَدَ الْبَيْتَ ابْنُ الْمَعْتِزِّ فِي « الْبَدِيعِ » (ص ٧٥) لِرَافِعِ بْنِ هُرَيْمِ الْيَرْبُوعِيِّ .

وهذا النوع من الحياء قد يكون من فضيلة النفس ، وحسن السريرة .

فمتى كمل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة . . فقد كملت فيه أسباب الخير ، وانتفت عنه أسباب الشر ، وصار بالفضل مشهوراً ، وبالجميل مذكوراً .

وقال بعض الشعراء^(١) :

وإني ليشيني عن الجهل والخنا وعن شتم ذي القربى خلائق أربع
حياء وإسلام وتقوى وأنني كريم ومثلي من يضر وينفع
وإن أخل بأحد وجوه الحياء . . لحقه من النقص بإخلاله بقدر ما كان يلحقه من
الفضل بكماله .

وقد قال الرّياشي : يقال : إن أبا بكر الصديق رضي الله تعالى عنه كان يتمثل
بهذا الشعر^(٢) :

إني سأستر ما ذو العقل سائرهُ من حاجة وأميت السرّ كتماناً
وحاجة دون أخرى قد سنحت لها جعلتها للتي أخفيت عنواناً
إني كأني أرى من لا حياء له ولا أمانة وسط الناس عرياناً

(١) البيتان في « ديوان أبي الأسود الدؤلي » (ص ١١٨) ، و« ديوان محمد بن حازم الباهلي » (ص ٧٢- البقاعي) .

(٢) أورد الأبيات في « الزهرة » (٤١٤/١) ، و« شرح ديوان الحماسة » للتبريزي (٣٠٤/٣) لسوّار بن المضرّب .

الفصل الرابع

في حلم والغضب

روى محمود بن حارث الهلالي : أَنَّ جبريلَ عليه السلام نزل على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : (يا مُحَمَّدُ ؛ إِنِّي أُتَيْتُكَ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾)^(١) .

وروى سفيان بن عيينة : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ حِينَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ ﴾ : « يَا جَبْرِيلُ ؛ مَا هَذَا ؟ » قَالَ : لَا أَدْرِي حَتَّى أَسْأَلَ الْعَالَمَ ، ثُمَّ عَادَ جَبْرِيلُ وَقَالَ : « يَا مُحَمَّدُ ؛ إِنَّ رَبَّكَ يَأْمُرُكَ : أَنْ تَصَلَ مَنْ قَطَعَكَ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ ، وَتَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ »^(٢) .

وروى هشام ، عن الحسن : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « أَيْعَجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ كَأَبِي ضَمْضَمَ ؟ » كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ مَنْزِلِهِ . . قَالَ : اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي قَدْ تَصَدَّقْتُ بِعِزِّي عَلَى عِبَادِكَ »^(٣) .

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ الْحَلِيمَ الْحَيَّ ، وَيُبْغِضُ الْفَاحِشَ الْبَذِيَّ »^(٤) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (مَنْ حُلْمٌ . . سَادَ ، وَمَنْ تَفَهُمٌ . . اَزْدَادَ)^(٥) .

(١) أورده الإمام مكي ابن أبي طالب القيسي في « الهداية إلى بلوغ النهاية » (٢٦٩٢/٤) ، والدميري في « حياة الحيوان الكبير » (٤٥٣/٣) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (١٩٣/٩/٦) ، وابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (٢٥) .

(٣) رواه البزار في « مسنده » (٧٢٦٩) ، وابن السني في « عمل اليوم والليلة » (٦٥) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٤) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٩٦/١٠) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٥) أورده في « التذكرة الحمدونية » (٣٣٠/٣) ، و « العقد الفريد » (١٥٧/٣) ضمن وصيته لابنه محمد رضي الله عنهما .

وقال بعض الأدباء : (مَنْ غرسَ شجرةَ الحِلْمِ .. اجتنى ثمرَةَ السَّلْمِ) .

وقال بعض البلغاء : (ما ذَبَّ عن الأعراض كالصَّفْح والإعراض)^(١) .

وقال بعض الشعراء^(٢) :

[من الوافر]

أحبُّ مَكَارِمِ الأخلاقِ جهدي وأكرهُ أَنْ أَعِيبَ وَأَنْ أُعَابَا
وأصْفَحُ عن سِبَابِ النَّاسِ حِلْمًا وشرُّ النَّاسِ مَنْ يَهْوَى السَّبَابَا
وَمَنْ هَابَ الرَّجَالَ تَهَيَّؤُهُ وَمَنْ حَقَرَ الرَّجَالَ فَلَنْ يُهَابَا

والحِلْمُ من أشرف الأخلاق وأحقها بذوي الألباب ؛ لما فيه من سلامة العِرض ، وراحة الجسد ، واجتلاب الحمد .

وقد قال علي بن أبي طالب عليه السلام : (أَوَّلُ عِوَضِ الحليم عن حِلْمه .. أَنْ النَّاسَ أَنْصَارُهُ)^(٣) .

وحدُّ الحِلْمِ : ضبطُ النفس عن هيجان الغضب ، وهذا يكون لباعث وسبب .

وأَسبابُ الحِلْمِ الباعثة على ضبط النفس عشرة :

أحدها : الرحمة للجهال ؛ وذلك من خيرِ يوافق رِقَّة .

وقد قيل في منشور الحكم : (من أوكد أسباب الحِلْمِ : رحمةُ الجهال) .

وقال أبو الدرداء لرجلٍ أسمعَه كلاماً : (يا هذا ؛ لا تُغْرِقَنَّ في سَبِّنا ، ودَعْ للصُّلحِ موضعاً ؛ فإنَّا لا نُكَافِي مَنْ عَصَى اللَّهَ فِينَا بِأَكْثَرِ مَنْ أَنْ نَطِيعَ اللَّهَ فِيهِ)^(٤) .

(١) ما ذَبَّ : ما دفع وطرده .

(٢) أورد الأبيات في « العقد الفريد » (٢٨٤ / ٢) للحسن بن رجاء ، و « البصائر والذخائر » (١٤٨ / ٢) للحسين بن مطير الأسدي ، وجهدي ؛ بالضم : الطاقة ، وبالفتح : المشقة .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الحِلْم » (١٢) ، وأورده في « عيون الأخبار » (٢٨٥ / ١) .

(٤) رواه في « المجلس الصالح » (١٤٥ / ٣) ، و « تاريخ دمشق » (٢٧ / ٤٥) بين عمر بن ذر وابن عياش رحمهما الله تعالى .

وشتم رجلٌ الشَّعْبِيَّ ، فقال : (إن كنتُ كما قلتَ . . فغفر الله لي ، وإن لم أكن كما قلتَ . . فغفر الله لك)^(١) .

واغتازت عائشة رضي الله عنها على خادم لها ، ثم رجعت إلى نفسها ، فقالت : (لله دُرُّ التقوى ، ما تركت لذي غيظٍ شفاءً)^(٢) .

وقسم معاوية رضي الله عنه قُطُفًا ، فأعطى شيخاً من أهل دمشق قطيفةً فلم تعجبه ، فحلف أن يضربَ بها رأسَ معاوية ، فأتاه فأخبره ، فقال له معاوية : (أوفِ بنذرِكَ ، وليرفِقِ الشيخُ بالشيخ) .

والثاني من أسبابه : القدرة على الانتصار ، وذلك من سعة الصدر ، وحسن الثقة .

وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا قَدَرْتَ على عدوِّكَ . . فاجعلِ العفوَ عنه شُكْرًا للقدرةِ عليه »^(٣) .

وقال بعض الحكماء : (ليس من الكرم عقوبةٌ مَنْ لا يجد امتناعاً من السَّطوة)^(٤) .

وقال بعض البلغاء : (أحسنُ المكارم : عفوُ المقتدر ، وجُودُ المفتقر)^(٥) .

والثالث من أسبابه : الترفع عن السباب ؛ وذلك من شرف النفس ، وعلو الهمة ؛ كما قالت الحكماء : (شرفُ النفس : أن تحمل المكاره كما تحملُ المكارم) .

(١) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٨٠٠) ، و« تاريخ دمشق » (٣٨١ / ٢٥) .

(٢) أورده في « التذكرة الحمدونية » (١٤٥ / ١) .

(٣) أورده في « الإعجاز والإيجاز » (ص ٣٨) ، و« التذكرة الحمدونية » (١٠٤ / ٤) من قول سيدنا علي كرم الله وجهه .

(٤) أورده في « غرر الخصائص » (ص ٣٢٥) .

(٥) أورده في « المستطرف » (٩٠ / ١) .

وقد قيل : (إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامَ سَيِّدًا ؛ لِحِلْمِهِ)^(١) .

وقال الشاعر^(٢) :

[من البسيط]

لَنْ يَبْلُغَ الْمَجْدَ أَقْوَامٌ وَإِنْ كَرُمُوا حَتَّى يَذِلُّوا وَإِنْ عَزَّوْا لِأَقْوَامٍ
وَيُشْتَمُّوا فَتَرَى الْأَلْوَانَ مُسْفِرَةً لَا صَفْحَ ذُلٍّ وَلَكِنْ صَفْحَ أَحْلَامٍ

والرابع من أسبابه : الاستهانة بالسبَّاب^(٣) ؛ وذلك عن ضرب من ضروب
الكِبَر والإعجاب ؛ كما حُكي : عن مصعب بن الزبير : أنه لما ولي العراق ..
جلس يوماً لعطاء الجند ، وأمر مناديه فنادى : (أين عمرو بن جُرْمُوز ؟) وهو
الذي قتل أباه الزبير ، ف قيل له : أيُّها الأمير ؛ إنه قد تباعد في الأرض ، فقال :
(أَوْظَنَ الْجَاهِلُ أَنِّي أُقِيدُهُ بِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ ؟ فليظهر آمناً ، وليأخذ عطاءه موقراً) فعَدَّ
الناس ذلك من مستحسن الكِبَر^(٤) .

ومثل ذلك قول بعض الزعماء في شعره^(٥) :

[من الكامل]

أَوْكَلَّمَا طَنَّ الدُّبَابُ طَرْدَتُهُ إِنَّ الدُّبَابَ إِذَا عَلِيَ كَرِيمٌ

وأكثرَ رجلٌ من سبِّ الأحنف وهو لا يجيبه ، فقال : (والله ؛ ما منعه من
جوابي إلا هَوَانِي عَلَيْهِ)^(٦) .

وفي مثله يقول الشاعر^(٧) :

[من المتقارب]

نَجَا بَكَ لَوْ مُكَّ مَنَجَى الدُّبَابِ حَمَتُهُ مَقَاذِرُهُ أَنْ يُنَالَا

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٣٢٧/٣/٣) عن قتادة وسعيد بن جبير رحمهما الله تعالى .

(٢) أورد البيهقي في « الجليس الصالح » (٣٣٤/٣) ، و « الحماسة البصرية » (٧٩١/٢) لعبد الله بن زياد الحارثي .

(٣) في (هـ) : (الاستهانة بالمسيء) .

(٤) أوردته في « الأوائل » (ص ١٤٦) .

(٥) أورد البيت في « مجالس ثعلب » (٣٤٥/٢) ، و « المتنخل » (ص ١٣٤) .

(٦) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٧٩٩) ، و « عيون الأخبار » (٢٨٣/١) .

(٧) البيت لإبراهيم الصولي في « ديوانه » (ص ١٦٣) ضمن « الطرائف الأدبية » .

وأسمع رجلاً ابنَ هُبَيْرَةَ ، فأعرض عنه ، فقال له الرجل : (إِيَّاكَ أَعْنِي ، فقال : وعنكَ أَعْرِضْ) (١) .

وفي مثله يقول الشاعر (٢) :

فَاذْهَبْ فَأَنْتَ طَلِيقُ عِرْضِكَ إِنَّهُ عِرْضُ عَزَزْتَ بِهِ وَأَنْتَ ذَلِيلُ

وقال عمر بن علي (٣) :

إِذَا نَطَقَ السَّفِيهُ فَلَا تُجِبْهُ فَخَيْرٌ مِنْ إِجَابَتِهِ السُّكُوتُ
سَكَتٌ عَنِ السَّفِيهِ فَظَنَّ أَنِّي عَيَيْتُ عَنِ الْجَوَابِ وَمَا عَيَيْتُ

والخامس من أسبابه : الاستحياء من خُنا الجواب ، وهذا يكون من صيانة النفس ، وكمال المروءة .

وقد قال بعض الحكماء : (احتمالُ السَّفِيهِ أيسرُ من التحلِّي بصورته ، والإغضاء عن الجاهل خيرٌ من مشاكلته) .

وقال بعض الأدباء : (ما أفحشَ حليمٌ ، ولا أوحشَ كريمٌ) .

وقال لقيط بن زُرارة (٤) :

وَقُلْ لَبَنِي سَعِدٍ فَمَا لِي وَمَا لَكُمْ تَرْقُونَ مِنِّي مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَعْتَقُ
أَغْرَكُمُ أَنِّي بِأَحْسَنِ شِيمَةٍ بَصِيرٌ وَأَنِّي بِالْفَوَاحِشِ أَخْرَقُ
وَأَنْ تَكُ قَدْ فَاخَشْتَنِي فَقَهَرْتَنِي هَنِئًا مَرِيئًا أَنْتَ بِالْفُحْشِ أَحَذَقُ

(١) أورده المبرّد في « الكامل » (٩٨٣/٢) ، و « التذكرة الحمدونية » (١٢٣/٢) .

(٢) البيت لمسلم بن الوليد صريع الغواني في « ديوانه » (ص ٣٣٤) ، ونُسب لدعبل في « ديوانه » (ص ٤١٢) .

(٣) أورد البيهقي في « الزهرة » (٢٠٤/٢) لأبي اللؤلؤ ، و « روضة العقلاء » (٥٥٥ - ٥٥٦) قال : أخبرنا محمد بن المنذر ، حدثنا عمر بن علي بن زياد العنبري قال : سمعت سلم بن ميمون الخواص .

(٤) البيهقي الأخيران في « ديوان المعاني » (٨١/١) ، و « الزهرة » (٢٠٠/٢) ، وأخرق : أحرق ، وفاخشتني : إن طلبت المغالبة في الفحش فغلبتني وقهرتني .. بورك لك ذلك سبق ؛ فأنت أحذق بالفحش وأعلم به !! .

والسادس من أسبابه : التفضُّل على السَّابِّ ، وهذا يكون من الكرم ، وحبِّ التألُّف ؛ كما قيل للإسكندر : (إِنَّ فلاناً وفلاناً يتنقَّصانك ويثلبانك ، فلو عاقبتَهُما !! فقال : هما بعد العقوبة أعذرُ في تنقُّصي وتلبي) فكان هذا تفضُّلاً منه وتألُّفاً .

وقد حُكي عن الأحنف بن قيس أنه قال : (ما عاداني أحدٌ قطُّ إلا أخذتُ في أمره بإحدى ثلاث خصال : إن كان أعلى مني . . عرفتُ له قدره ، وإن كان دوني . . رفعتُ قدري عنه ، وإن كان عدلي . . تفضَّلتُ عليه)^(١) .

فأخذه الخليل بن أحمد فنظمه شعراً ، فقال^(٢) :

سألزِمُ نفسي الصَّفَحَ عن كلِّ مذنبٍ وإنَّ عَظُمْتَ منه إليَّ الجرائمُ
فما النَّاسُ إلا واحدٌ من ثلاثةٍ شريفٌ ومشروفٌ ومثلٌ مُقاومٌ
فأما الذي فوقِي فأعرفُ قدره وأتبعُ فيه الحقَّ والحقُّ لازمٌ
وأما الذي دوني فأحلُمُ دائباً أصونُ به عِرْضي وإنَّ لأمَ لائمٌ
وأما الذي مثلي فإنَّ زلَّ أو هفا تفضَّلتُ إنَّ الفضلَ بالعزَّ حاكمٌ

والسابع من أسبابه : استكفاف السَّابِّ ، وقطع السَّبَاب ، وهذا يكون من الحزم ؛ كما حُكي : أنَّ رجلاً قال لضرار بن القعقاع : (والله ؛ لو قلتُ واحدةً . . لسمعتُ عشرأ ، فقال ضرار : والله ؛ لو قلتُ عشرأ . . لم تسمع واحدةً)^(٣) .

وحُكي : أنَّ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام قال لعامر بن مَرَّة الزُّهري : (مَنْ أحمقُ النَّاسِ ؟ فقال : مَنْ ظنَّ أنَّه أعقلُ النَّاسِ ، قال : صدقتَ ، قال : فمَنْ أعقلُ النَّاسِ ؟ قال : مَنْ لم يتجاوز الصمتَ في عقوبة الجَهالِ) .
وقال الشعبي : (ما أدركتُ أمي فأبرَّها ؛ ولكن لا أسبُّ أحداً فيسبَّها) .

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٢٩ / ٢٤) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص ٢١) .

(٣) رواه في « عيون الأخبار » (٢٨٥ / ١) ، و « المجالسة وجواهر العلم » (٨٠٣) .

وقال بعض الحكماء : (في إعراضك صونٌ أعراضك) .

[من الطويل]

وقال بعض الشعراء^(١) :

وفي الحِلْمِ رَدْعٌ للسَّفِيهِ عَنِ الْأَذَى وفي الخُرْقِ إغراءٌ فلا تَكُ أخْرَقَا
فَتَنَدَمَ إِذْ لَا تَنْفَعُنكَ نَدَامَةٌ كما نَدِمَ الْمَغْبُونُ لَمَّا تَفَرَّقَا

[من البسيط]

وقال آخر^(٢) :

قُلْ مَا بَدَا لَكَ مِنْ زُورٍ وَمِنْ كَذِبٍ حِلْمِي أَصَمُّ وَأُذْنِي غَيْرُ صَمَاءٍ

والثامن من أسبابه : الخوف من العقوبة على الجواب ، وهذا يكون من ضعف النفس ، وربما أوجبه الرأي ، واقتضاه الحزم .

وقد قيل في منشور الحكم : (الْحِلْمُ حِجَابُ الْآفَاتِ)^(٣) .

[من البسيط]

وقال الشاعر :

أَرْفُقْ إِذَا خِفْتَ مِنْ ذِي هَفْوَةٍ خُرْقًا ليس الحليم كَمَنْ فِي أَمْرِهِ خُرْقُ

والتاسع من أسبابه : الرِّعاية ليدَّ سالفه ، أو حرمة لازمة ، وهذا يكون من الوفاء ، وحسن العهد .

وقد قيل في منشور الحكم : (أَكْرَمُ الشَّيْمِ أَرْعَاهَا لِلذَّمِّ) .

[من الكامل]

وقال الشاعر :

إِنَّ الْوَفَاءَ عَلَى الْكِرَامِ فَرِيضَةٌ واللَّوْمُ مَقْرُونٌ بِذِي الْإِخْلَافِ
وترى الكريمَ لَمَنْ يُعَاشِرُ مُنْصِفًا وترى اللئيمَ مُجَانِبَ الْإِنْصَافِ

(١) أورد البيهقي في « العقد الفريد » (٢٨١ / ٢) ، والأول في « ربيع الأبرار » (٣٠٥ / ٢) .

(٢) البيت لبشار بن برد في « ديوانه » (١٥٠ / ١) .

(٣) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤١٣) ، و « زهر الآداب » (٩٨٤ / ٢) من كلام يحيى بن معاذ رحمه الله تعالى .

والعاشر من أسبابه : المكر ، وتوقع الفرص الخفية ، وهذا يكون من الدهاء .

وقد قيل في منشور الحكم : (مَنْ ظَهَرَ غَضَبُهُ .. قَلَّ كَيْدُهُ)^(١) .

وقال بعض الأدباء : (غَضَبُ الْجَاهِلِ فِي قَوْلِهِ ، وَغَضَبُ الْعَاقِلِ فِي فِعْلِهِ)^(٢) .

وقال بعض الحكماء : (إِذَا سَكَتَ عَنِ الْجَاهِلِ .. فَقَدْ أَوْسَعَتْهُ جَوَاباً ، وَأَوْجَعَتْهُ عِقَاباً) .

وقال إياس بن قتادة^(٣) :

تُعَاقِبُ أَيْدِينَا وَيَحْلُمُ رَأْيُنَا وَنَشْتِمُ بِالْأَفْعَالِ لَا بِالتَّكَلُّمِ
وقال شاعر آخر^(٤) :

وَلَلْكَفُّ عَنْ شَتْمِ اللَّئِيمِ تَكْرُماً أَضُرُّ لَهُ مِنْ شَتْمِهِ حِينَ يَشْتِمُ
فهذه عشرة أسباب تدعو إلى الحلم ، وبعض الأسباب أفضل من بعض ، وليس إذا كان بعض أسبابه مفضولاً ما يقتضي أن يكون نتيجة من الحلم مذموماً ، وإنما الأولى بالإنسان : أن يدعوه إلى الحلم أفضل أسبابه وإن كان الحلم كله فضلاً .

وإن عري عن أحد هذه الأسباب .. كان ذلاً ، ولم يكن حِلماً ؛ لأننا قد ذكرنا في حدِّ الحلم أنه ضبط النفس عن هيجان الغضب ، فإذا فقد الغضب بسماع ما يُغضب منه .. كان ذلك من ذلِّ النفس ، وقلة الحمية .

(١) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٥٠) .

(٢) القول لابن المعتز في « البديع » (ص ٤٦) .

(٣) أوردته في « عيون الأخبار » (١٧٨/٢) لإياس ، وفي « شرح ديوان الحماسة » للتبريزي (١٨٥/٢) ، و« الزهرة » (٢١٣/٢) منسوباً لمعبد بن علقمة .

(٤) أوردته في « شرح ديوان الحماسة » للتبريزي (١٤٦/٣) ، و« معجم الأدباء » (١٥٢/٧) للمؤمل بن أميل المحاربي .

ولذلك قالت الحكماء : (ثلاثة لا يُعرفون إلا في ثلاثة مواطن : لا يُعرف الجواد إلا في العُسرة ، ولا الشجاع إلا في الحرب ، ولا الحليم إلا في الغضب)^(١) .

وقال الشاعر^(٢) :

ليست الأحلام في حال الرضا إنما الأحلام في حال الغضب

وقال آخر :

من يدعي الحلم أغضبه لتعرفه لا يعرف الحلم إلا ساعة الغضب

وأشد النابغة الجعدي بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم : [من الطويل]

ولا خير في حلم إذا لم يكن له بواذر تحمي صفوه أن يكذرا

ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فلم يُنكر صلى الله عليه وسلم قوله عليه^(٣) .

ومن فقد الغضب في الأشياء المُغضبة ، حتى استوت حالته قبل الإغصاب وبعده . . فقد عدم من فضائل النفس : الشجاعة والأنفة ، والحمية والغيرة ، والدفاع والأخذ بالتأثر ؛ لأنها خصال مركبة من الغضب ، فإذا عدما الإنسان . . هان بها ، ولم يكن لباقي فضائله في النفس موضع ، ولا لوفور حلمه في القلوب موقع .

وقد قال المنصور : (إذا كان الحلم مفسدة . . كان العفو معجزة)^(٤) .

وقال بعض السلف : (العفو يُفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم)^(٥) .

(١) أورده في « البيان والتبيين » (٧٦/٢) ، ورواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٥٢٠) من قول لقمان الحكيم عليه السلام .

(٢) البيت لمسكين الدارمي في « ديوانه » (ص ٢٢) .

(٣) رواه الحارث في « مسنده » (٨٩٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٣٢/٥٠) ؛ وفيه أنه دعا له : « لا يفضض الله فاك » ، والبيتان في « ديوانه » (ص ٨٥) .

(٤) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٣٨) .

(٥) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤١٢) ، و« ربيع الأبرار » (١٤١/٢) .

وقال عمرو بن العاص : (أكرموا سفهاءكم ؛ فإنهم يكفونكم العار والشَّارَ)^(١) .

وقال مصعب بن الزبير : (ما قلَّ سفهاء قوم إلا ذُلُّوا)^(٢) .

وقال أبو تمام الطائي^(٣) :

[من الكامل]

والحربُ تركبُ رأسَهَا في مَشْهَدٍ عُدِلَ السَّفِيهَ بِهِ بِأَلْفِ حَلِيمٍ

وليس هذا القولُ إغراءً بتحكيم الغضب والانقياد له عند حدوث ما يُغضب ، فيكتسب بالانقياد للغضب من الرذائل أكثر مما يسلبه عدم الغضب من الفضائل ؛ ولكن إذا ثار به الغضب عند هجوم ما يُغضبه . . كفَّ سَورته بحزمه ، وأطفأ نائرتَه بحلمه ، ووكل مَنْ استحقَّ المقابلة إلى غيره ، فلن يعدم مسيءٌ مكافئاً ؛ كما لن يعدم محسنٌ مجازياً .

والعرب تقول : (دخل بيتاً ما خرج منه) أي : إن خرج منه خيرٌ . . دخله خيرٌ ، وإن خرج منه شرٌ . . دخله شرٌ .

وأنشد ابن دريد عن أبي حاتم^(٤) :

[من الطويل]

إذا أَمِنَ الْجُهَّالُ جَهْلَكَ مَرَّةً فِعْرُضُكَ لِلْجُهَّالِ غُنْمٌ مِنَ الْغُنْمِ
فَعُمَّ عَلَيْهِ الْحِلْمَ وَالْجَهْلَ وَالْقَهْ
إذا أَنْتَ جَازَيْتَ السَّفِيهَ كَمَا جَزَى
فَأَنْتَ سَفِيهٌ مِثْلُهُ غَيْرُ ذِي حِلْمٍ
ولا تَعْضِيقُ عِرْضَ السَّفِيهِ وَدَارِهِ
بِحِلْمٍ فَإِنْ أَعْيَا عَلَيْكَ فَبِالصَّرْمِ
فِيرْجُوكَ تَارَاتٍ وَيَخْشَاكَ تَارَةً
وَتَأْخُذُ فِيمَا بَيْنَ ذَلِكَ بِالْحَزْمِ
فَإِنْ لَمْ تَجِدْ بُدْأً مِنَ الْجَهْلِ فَاسْتَعِنْ
عَلَيْهِ بِجُهَّالٍ فَذَاكَ مِنَ الْعَزْمِ

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣١) ، و« زهر الآداب » (١/ ٥٥) .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٣) .

(٣) البيت في « ديوانه » (٢٦٦/٣) .

(٤) روى الأبيات في « تاريخ دمشق » (٨٦/٥١) ، ولا تعضين : لا تنقصه ولا تطعن به ، والصرم : هو القطع ؛ والمعنى : لا تطعن عرض السفيه ، بل داره بحلم ؛ فإن أعيا وأشكل عليك أمر ذلك . . فاطعنه بالصرم .

وهذا من أحكم آيات وجدتها في تدبير الحِلْم والغضب .

وهذا التدبير إنّما يُستعمل فيمن لا يجد الإنسان بدءاً من مقارنته^(١) ، ولا سبيلاً إلى أطراحه ومتاركته ؛ إمّا لخوف شرّه ، أو للزوم أمره .
فأما من أمكن أطراحه ، ولم يضرّ إبعاده . . فالفهوانُ به أولى ، والإعراضُ عنه أصونُ .

فإذا كان على ما وصفتُ . . استفاد بتحريك الغضب فضائله ، وأمن بكفّ نفسه عن الانقياد له رذائله ، وصار الحِلْم مدبراً للأمور المغضبة بقدر لا يعتوره نقصٌ بعدم الغضب ، ولا يلحقه زيادةٌ بفقد الحِلْم .

ولو عزب عنه الحِلْم حتّى انقاد لغضبه . . ضلّ عنه وجهُ الصّواب فيه ، وضعف رأيه عن خبرة أسبابه ودواعيه ؛ حتّى يصير بليد الرأي ، مغمور الرويّة ، مقطوع الحجة ، مسلوب العزاء ، قليل الحيلة ، مع ما يناله من أثر ذلك في نفسه وجسده ، حتّى يصير أضرباً عليه ممّا غضب له^(٢) .

وقد قال بعض الحكماء : (مَنْ كَثُرَ شَطَطُهُ . . كَثُرَ غَلَطُهُ)^(٣) .

وروي أنّ سلمان قال لعليّ بن أبي طالب عليه السلام : (ما الذي يُباعِدني من غضب الله تعالى ؟) قال : (أَلَّا تَغْضِبَ)^(٤) .

وقال بعض السلف : (أقربُ ما يكون العبد من غضب الله تعالى إذا غَضِبَ)^(٥) .

وقال بعض البلغاء : (مَنْ رَدَّ غَضَبَهُ . . هَدَّ مَنْ أَغْضَبَهُ) .

(١) وهذا التدبير : وهو الاستعانة بالسفهاء .

(٢) أي : كمن غضب على فرسه فكسر رجلها ، أو على زوجته فطلقها ، أو على عبده فقتله !!

(٣) أورده في « نهاية الأرب » (٩٥ / ٦) ، و« ربيع الأبرار » (٤٩٢ / ٣) ، والشطط : التباعد عن الحق .

(٤) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٢٩٦) ، والإمام أحمد في « المسند » (١٧٥ / ٢) عن سيدنا عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٥) أورده في « البيان والتبيين » (١٩٥ / ٢) ، و« المجالسة وجواهر العلم » (١٤٤٤) من قول سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

وقال بعض الأدباء : (ما هَيَّجَ جَاشَكَ كَغِيظِ أَجَاشِكَ)^(١) .

وقال رجلٌ لبعض الحكماء : (عِظْنِي ، فَقَالَ : لَا تَغْضَبْ) .

فينبغي لذي اللَّبِّ السَّوِيِّ ، والحزم القويِّ . . أن يتلقَّى قوة الغضب بحلمه فيصدِّها ، ويقابل عوادي شَرِّته بحزمه فيردِّها ؛ ليحظى بانجلاء الحيرة ، ويسعد بحميد العاقبة ؛ فقد قال بعض الأدباء : (في إغضائك راحة أعضاءك) .

وسبب الغضب : هجوم ما تكرهه النفس ممَّن دونها ، وسبب الحزن : هجوم ما تكرهه النفس ممَّن فوقها .

والغضب يتحرَّك من داخل الجسد إلى خارجه ، والحزن يتحرَّك من خارج الجسد إلى داخله ؛ ولذلك قتل الحزنُ ، ولم يقتل الغضبُ ؛ لبروز الغضب ، وكمون الحزن^(٢) ، فصار الحادثُ عن الغضب السَّطوَّة والانتقام لبروزه ، والحادثُ عن الحزن المرضَ والأسقامَ لكمونه ؛ فمن أجل ذلك : أفضى الحزنُ إلى الموت ، ولم يُفَضَّ إليه الغضب ، فهذا فرقُ ما بين الحزن والغضب .

واعلم : أنَّ لتسكين الغضب إذا هجم أسباباً يُستعان بها على الحلم :

منها : أن يذكر الله تعالى ، فيدعوه ذكره إلى الخوف منه ، ويبعثه الخوف منه على الطاعة له ، فيرجع إلى أدبه ، ويأخذ بيديه ؛ فعند ذلك يزول الغضب^(٣) .

قال الله تعالى : ﴿ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ قال عكرمة : (يعني : إذا غضبت)^(٤) .

وقال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّمَا يَنْزَعَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ ومعنى قوله : (ينزعَنَّكَ) أي : يُغْضِبَنَّكَ ﴿ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ يعني :

(١) جاشك - بتسهيل الهمزة وقد ثبتت على الأصل - : وهو رواع القلب إذا اضطرب عند الفزع ، وأجاشك ؛ أي : أفرعك .

(٢) فالغاضب كالرامي ، والمحزون كالرمي إليه ، وسهم الغضب مسمومة .

(٣) لأن المخلاة التي خرجها سيف الجلالة لا تنتفخ بنفخ الشيطان .

(٤) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٩٤٣) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣ / ٣٣٤) .

إنه سميعٌ بجهل مَنْ جهل ، عليمٌ بما يُذهبُ عنك الغضبَ .

وذكر أنّ في التوراة مكتوباً : (يا بن آدم ؛ اذكرني حينَ تغضبُ .. اذكركَ حينَ أغضبُ ، فلا أمحَقَكَ فيمَن أمحَقُ)^(١) .

وحكي : أنّ بعض ملوك الفرس كتب كتاباً ودفعه إلى وزيره وقال له : (إذا غضبتُ .. فتاولنيه) ، وكان فيه مكتوب : (ما لك وللغضبِ ؟ ! إنّما أنت بشرٌ ، ارحمَ مَنْ في الأرض .. يرحمكَ مَنْ في السماء)^(٢) .

وقال بعض الحكماء : (مَنْ ذكر قدرة الله تعالى .. لم يستعمل قدرته في ظلم عباد الله)^(٣) .

وقال عبد الله بن مسلم بن محارب لهارون الرشيد : (يا أمير المؤمنين ؛ أسألك بالذي أنت بين يديه أذلُّ منِّي بين يديك ، وبالذي هو أقدرُ على عقابك منك على عقابي .. لما عفوت عني !!) فعفا عنه لما ذكره قدرة الله تعالى عليه^(٤) .

وروي أنّ رجلاً شكّا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم القسوة ، فقال : « اطلع في القبور ، واعتبر بالشُّور »^(٥) .

وكان بعض ملوك الطوائف إذا غضب .. ألقي عنده مفاتيحُ تُرب الملوك ، فيزول عنه غضبه^(٦) .

ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه : (مَنْ أكثرَ ذكرَ الموتِ .. رضي من الدنيا باليسير)^(٧) .

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٦٥ / ٣) ، وابن حبان في « روضة العقلاء » (٥٥١ / ٢) ، وإطلاق الغضب على الله سبحانه مجازيٌّ ؛ أي : حين أردت أن أفعل بك ما يفعله الملك إذا غضب على من تحت يده من الانتقام وإنزال العقوبة ، ومعنى الشيء : إبطاله ومحوه ؛ بحيث لم يُبقِ أثراً منه ولا علامة .

(٢) أورده المبرّد في « التعازي والمراثي » (ص ٣٠٢) ، و« ربيع الأبرار » (٣٠٢ / ٢) .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٥٢) .

(٤) أورده في « عيون الأخبار » (١٠٢ / ١) .

(٥) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٨٨٥٢) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٦) ذكره في « سراج الملوك » (٣٥٤ / ١) .

(٧) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٣٥) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧٤ / ٤٥) من كتاب عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى إلى أهل الشام .

ومنها : أن ينتقل عن الحالة التي هو فيها إلى حالةٍ غيرها ، فيزول عنه الغضب بتغيُّر الأحوال ، والتَّنَقُّل من حالٍ إلى حال ، وكان هذا مذهب المأمون إذا غضب أو شتم^(١) .

وكانت الفرس تقول : (إذا غضب القائم .. فليجلس ، وإذا غضب الجالس .. فليقم)^(٢) .

ومنها : أن يتذكَّر ما يؤول إليه الغضب من الندم ، ومَدْمَة الانتقام .
كتب أبرويز إلى ابنه شيرويه : (إنَّ كلمةً منك تسفك دماً ، وإنَّ أخرى منك تحقن دماً ، وإنَّ نفاذ أمرِك مع ظهور كلامك ، فاحترس في غضبك من قولك أن يُخطيء ، ومن لونك أن يتغيَّر ، ومن جسدك أن يخفَّ ؛ فإن الملوك تعاقب قدرةً ، وتعفو حلماً)^(٣) .

وقال بعض الحكماء : (الغضبُ على مَنْ لا تملك عجزٌ ، وعلى مَنْ تملك لؤمٌ)^(٤) .

وقال بعض الأدباء : (إِيَّاكَ وعِزَّة الغضب ؛ فَإِنَّهَا تفضي بك إلى ذلِّ العذر)^(٥) .

وقال بعض الشعراء^(٦) :

وَإِذَا مَا اعْتَرَّتْكَ فِي الْغَضَبِ الْعِزَّةُ فَادْكُرْ تَذَلُّلَ الْإِعْذَارِ

[من الخفيف]

(١) في (أ) : (أو شتم) .

(٢) ذكره في « سراج الملوك » (٣٥٤ / ١) .

(٣) أورده في « عيون الأخبار » (٢٨٨ / ١) ، و « المجالسة وجواهر العلم » (٢١٤٣) .

(٤) ذكره في « سراج الملوك » (٣٥٧ / ١) .

(٥) أورده في « عيون الأخبار » (٢٩١ / ١) ، و « الإعجاز والإيجاز » (ص ٧٢) من كلام سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه .

(٦) أورده البيت في « ربيع الأبرار » (٢٩٦ / ٢) .

ومنها : أن يذكرَ ثوابَ العفو ، وجزاءَ الصفح ، فيقهر نفسه على الغضب ؛
رغبةً في الجزاء والثواب ، وحذراً من استحقاق الذم والعقاب .

رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يُنادي مُنادٍ يومَ القيامةِ : مَنْ له
أجرٌ على الله عزَّ وجل . . فليَقُمْ ، فيقومُ العافونُ عنِ الناسِ » ثم تلا : ﴿ فَمَنْ عَفَا
وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ (١) .

وقال رجاء بن حيوة لعبد الملك بن مروان في أسارى ابن الأشعث : (إن الله
عز وجل قد أعطاك ما تحبُّ من الظفر ، فأعطِ الله ما يحبُّ من العفو) (٢) .

ورُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الخيرُ ثلاثُ خصالٍ ، مَنْ كُنَّ
فيه . . استكملَ الإيمانَ : مَنْ إذا رضي . . لم يُدخلْهُ رِضاؤه في باطلٍ ، وإذا
غَضِبَ . . لم يُخرِجْهُ غَضَبُهُ من حقٍّ ، وإذا قَدَرَ . . عفا » (٣) .

وأسمع رجلاً كلاماً لعمر بن عبد العزيز ، فقال عمر : (أردتَ أن يستفزني
الشيطانُ بعزِّ السلطان ، فأناَل منك اليومَ ما تناله منِّي غداً ، انصرف
يرحمك الله) (٤) .

ومنها : أن يتذكرَ انعطافَ القلوب عليه ، وميلَ النفوس إليه ، فلا يرى إضاعة
ذلك بتنفير الناس عنه ، وبعدهم منه ، فيكفَّ عن متابعة الغضب ، فيرغب في
التألف وجميل الثناء .

روى ابن أبي ليلى ، عن عطية ، عن أبي سعيد قال : قال رسولُ الله صلى الله
عليه وسلم : « ما ازدادَ أحدٌ بعفوٍ إلا عزّاً ، فاعفُوا . . يُعَزِّكُمْ اللهُ » (٥) .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الأحوال » (٢١٨) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٨٧ / ٦) عن سيدنا أنس
رضي الله عنه .

(٢) أورده في « البيان والتبيين » (١٠٧ / ٢) ، و « نهاية الأرب » (٦٣ / ٦) .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الصغير » (٦١ / ١) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٤) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٩٧١) وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠٥ / ٤٥) .

(٥) روى نحوه مسلم (٢٥٨٨) ، والترمذي (٢٠٢٩) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

وقال بعض البلغاء : (ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام ، ولا من شروط الكرم إزالة النعم)^(١) .

وقال المأمون لإبراهيم بن المهدي : (إنني شاورْتُ في أمرِك ، فأشاروا عليَّ بقتلِك إلا أنني وجدتُ قدرك فوق ذنبيك ، فكرهت القتل ؛ للآزم حرمتك) .

فقال : (يا أمير المؤمنين ؛ إنَّ المشيرَ أشار بما جرت به العادة في السياسة ، إلا أنَّك أبيتَ أن تطلب النصر إلا من حيثُ عُوِّدته من العفو ؛ فإن عاقبت . . فلك نظيرٌ ، وإن عفوت . . فلا نظيرَ لك) وأنشأ يقول :

البرُّ بي منك وطأ العُذرَ عندك لي فيما فعلتُ فلم تعدلُ ولم تلم
وقام علمُك بي فاحتجَّ عندك لي مقامَ شاهدٍ عدلٍ غيرِ متهم
لئن جحدتُك معروفاً مننتَ به إنِّي لفي اللُّؤم أحظى منك في الكرم
تعفو بعدلٍ وتسطو إن سطوتَ به فلا عدمناك من عافٍ ومُنْتَقِم^(٢)

(١) أورده في « تهذيب السياسة » (ص ٢٠٨) ، و « المستطرف » (٥٧٢/١) .

(٢) أورد الخبر في « التذكرة الحمدونية » (١١٧/٤) ، و « نثر الدر » (١٤٦/٣) ، وأورد الأبيات سوى الثالث في « الفرج بعد الشدة » (٣٥١/٣) ، والبيت الثالث في « العمدة » (٤٨٤/١) ، وكان قد خرج عليه في بغداد وبإيعه العباسيون ، وكان المأمون وقتها بخراسان ، فرجع إلى بغداد فاخْتَفَى إبراهيم ؛ حتى أخذ وهو منتقَب مع نسوة ، فأخذه وجرى بينهما ما قصه المؤلف رحمه الله تعالى .

الفصل الخامس

في الصدق والكذب

قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ ثُمَّ نَبْتَلُ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ ^(١) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للحسن بن عليّ عليهما السلام : « دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ رِيَّةٌ ، وَالصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ » ^(٢) .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أَصْلَحَ مِنْ لِسَانِهِ ، وَقَصَرَ مِنْ عِنَانِهِ ، وَأَلْزَمَ طَرِيقَ الْحَقِّ مَقُولُهُ ، وَلَمْ يُعَوِّدِ الْخَطْلَ مِقْصَلُهُ » ^(٣) .

وروي صفوان بن سليم قال : قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : أَيْكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا ؟ قال : « نَعَمْ » قيل : أَيْكُونُ بَخِيلًا ؟ قال : « نَعَمْ » قيل : أَيْكُونُ كَذَابًا ؟ قال : « لَا » ^(٤) .

(١) ثم نبتل : بأن نقول : بهلة الله على الكاذب منا ومنكم ، والبهلة : اللعنة ، وبهلة الله : لعنه الله وأبعده من رحمته .

(٢) رواه الحاكم في « المستدرک » (٩٩ / ٤) ، والترمذي (٢٥١٨) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥٣٦٣) .

(٣) روى صدره البيهقي في « شعب الإيمان » (١٥٥٧) عن سيدنا عمر رضي الله عنه ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٠٣ / ٥٣) عن سيدنا أنس رضي الله عنه ، وسبب الحديث : أن سيدنا عمر رضي الله عنه مرَّ على قوم أخطؤوا في رميهم ، ولما تكلموا . لحنا في قولهم فقال : (والله ؛ لخطؤكم في لسانكم أشد عليّ من خطئكم في رميكم ؛ سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ...) ، وقوله : (وقصر من عنانه ... إلخ) مدرج في الحديث وتفسيره ، ولسان مقصّل : حديث دُرْب .

(٤) رواه الإمام مالك في « الموطأ » (٩٩٠ / ٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٤٧٢) .

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾
أي : (لا تخلطوا الصدق بالكذب)^(١) .

وقيل في منشور الحكم : (الكذاب لصٌ ؛ لأنَّ اللصَّ يسرق مالك ، والكذاب يسرق عقلك)^(٢) .

وقال بعض الحكماء : (الخرسُ خيرٌ من الكذب ، وصدقُ اللسان أوَّلُ السعادة)^(٣) .

وقال بعض البلغاء : (الصادق مُصانٌ جليل ، والكاذب مُهانٌ ذليل) .

وقال بعض الأدباء : (لا سيفَ كالحقِّ ، ولا عونَ كالصدق)^(٤) .

وقال بعض الشعراء :

وما شيءٌ إذا فُكِّرتَ فيه بأذهبَ للمروءةِ والجَمالِ
منَ الكذبِ الذي لا خيرَ فيه وأبعدَ بالبَهَاءِ منَ الرِّجالِ
والكذبُ جِماعُ كلِّ شرٍّ ، وأصلُّ كلِّ ذمٍّ ؛ لسوء عواقبه ، وخُبث نتائجه ؛ لأنه
ينتج التَّيَمُّمَ ، والتَّيَمُّمَةُ تنتج البغضاء ، والبغضاء تؤوِلُ إلى العداوة ، وليس مع
العداوة أمنٌ ولا راحة ؛ ولذلك قيل : (مَنْ قَلَّ صدقُهُ . . قَلَّ صديقُهُ)^(٥) .

والصدق والكذب يدخلان الأخبار الماضية ؛ كما أن الوفاء والخُلف يدخلان
المواعيد المستقبلية ؛ فالصدق : هو الإخبار عن الشيء على ما هو عليه ،
والكذب : هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما كان عليه .

ولكلٍّ واحدٍ منهما دواعٍ ؛ فدواعي الصدق لازمةٌ ، ودواعي الكذب عارضةٌ ؛

(١) رواه الطبري في « تفسيره » (٣٣٥ / ١ / ١) .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٤٦) ، و « زهر الآداب » (٤٢٧ / ١) من قول الحسن بن سهل .

(٣) أورده في « ربيع الأبرار » (٣٥١ / ٥) .

(٤) ذكره المناوي في « فيض القدير » (٢٣ / ٤) .

(٥) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤١٢) ، و « زهر الآداب » (٨٣٤ / ٢) .

لأن الصدق يدعو إليه عقلٌ موجبٌ ، وشرعٌ مؤكِّدٌ ، والكذب يمنع منه العقل ، ويصدُّ عنه الشرع .

ولذلك جاز أن تستفيض الأخبار الصادقة حتى تصير متواترة^(١) ، ولم يجز أن تستفيض الأخبار الكاذبة ؛ لأنَّ اتِّفاق الناس في الصدق والكذب إنّما هو لا اتِّفاق الدواعي ، فدواعي الصدق يجوز أن يتَّفق الجمع الكثير عليها ؛ حتى إذا نقلوا خبراً وكانوا عدداً ينتفي عن مثلهم المواطأة . . وقع في النفس صدقه ؛ لأنَّ الدواعي إليه نافعةٌ ، واتِّفاق الناس في الدواعي النافعة ممكنٌ .

ولا يجوز أن يتَّفق العدد الكثير الذي لا يمكن مواطأة مثلهم على نقل خبر يكون كذباً ؛ لأنَّ الدواعي إليه غير نافعة ، وربّما كانت ضارّةً ، وليس في جاري العادة أن يتَّفق الجمع الكثير على دواعٍ غير نافعة ؛ فلذلك جاز اتِّفاق الناس على الصدق ؛ لجواز اتِّفاق دواعيهم ، ولم يجز أن يتَّفقوا على الكذب ؛ لامتناع اتِّفاق دواعيهم .

وإذا كان للصدق والكذب دواعٍ . . فلا بدّ من ذكر ما سنع به الخاطر من دواعيهما^(٢) .

أمّا دواعي الصّدق :

فمنها : العقل ؛ لأنّه موجبٌ لقبح الكذب ، لا سيّما إذا لم يجلب نفعاً ، ولم يدفع ضرراً ، وموجبٌ لحسن الصدق ، لا سيّما إذا لم ينفع نفعاً ، ولم يجلب ضرراً ، والعقل يدعو إلى فعل ما كان فيه مستحسنًا ، ويمنع من إتيان ما كان فيه مستقبّحاً .

وليس ما استُحسن من مبالغات الشعراء حتى صارت كذباً صريحاً . . استحساناً

(١) الاستفاضة : الانتشار .

(٢) السنوح : ظهور رأي وعروضه في الخاطر .

للكذب في العقل ؛ كالذي أنشدنيه الأزدي لبعض الشعراء ^(١) :

[من الطويل]

توهمه فكري فأصبح خدّه وفيه مكان الوهم من فكرتي أثر
وصافحه كفي فآلم كفه فمن لمس كفي في أنامله عقر
ومرّ بقلبي خاطراً فجرّحته فلم أر شيئاً قطّ يجرّحه الفكر

وكقول العباس بن الأحنف وإن كان دون هذه المبالغة ^(٢) :

[من الوافر]

تقول وقد كتبت دقيق خطّي إليها لم تجنبت الجليلا
فقلت لها نخلت فصار خطّي مساعداً لكتابه نحيلاً

لأنه خرج مخرج المبالغة في التشبيه والاقتدار على صنعة الشعر ، وأن شواهد الحال تخرجه عن تلبيس الكذب ؛ فلذلك استحسن في الصنعة ^(٣) ، ولم يستقبّح في العقل وإن كان الكذب مستقبّحاً فيه .

ومنها : الذين الوارد باتّباع الصدق ، وحظر الكذب ؛ لأنّ الشرع لا يجوز أن يردّ بإرخاص ما حظره العقل ، بل قد جاء الشرع زائداً على ما اقتضاه العقل من حظر الكذب ؛ لأنّ الشرع ورد بحظر الكذب وإن جرّ نفعاً ، أو دفع ضرراً ، والعقل إنّما حظر من الكذب ما لا يجلب نفعاً ، ولا يدفع ضرراً .

ومنها : المروءة ؛ فإنّها مانعة من الكذب ، باعثة على الصدق ؛ لأنّها قد تمنع من فعل ما كان مستكرهاً ، فأولى أن تمنع من فعل ما كان مستقبّحاً .

(١) الأبيات لأبي نواس في « ديوانه » (ص ٧٣٠) ، ونسبه في « الوافي بالوفيات » (١٥ / ٦) و « الكشكول »

(٢ / ١١١) للنظام ، والأثر : أثر الجرح يبقى بعد البرء .

(٢) أورد البيهقي في « الزهرة » (٤٠٧ / ١) ، و « المحاسن والمساوي » (ص ١٤) دون نسبة .

(٣) في (أ ، ب) : (فلذلك ما استحسن في الصنعة) .

ومنها : حبُّ الثناء والاشتهار بالصدق ، حتى لا يُردَّ عليه قولٌ ، ولا يُخلفَ
بذمٌ .

وقد قال بعض البلغاء : (ليكن مرجعك إلى الحقِّ ، ومنتزعك إلى الصدق ؛
فالحقُّ أقوى مُعين ، والصدقُ أفضلُ قرين)^(١) .

وقال بعض الشعراء^(٢) :

عَوِّذْ لِسَانَكَ قَوْلَ الصِّدْقِ تَحْظَ بِهِ إِنَّ اللِّسَانَ لِمَا عَوِّدَتْ مُعْتَادُ
مُوَكَّلٌ بِتَقَاضِي مَا سَنَنْتَ لَهُ فَاحْتَلْ لِنَفْسِكَ وَاَنْظُرْ كَيْفَ تَرْتَادُ

وأما دواعي الكذب :

فمنها : اجتلاب النفع ، واستدفاع الضرر ، فيرى أنَّ الكذب أَسْلَمُ وَأَغْنَمُ ،
فيرخص لنفسه فيه ؛ اغتراراً بالخدع ، واستشفافاً للطمع ، وربَّما كان الكذب أبعدَ
لما يأملُ ، وأقربَ لما يخافُ ؛ لأنَّ القبيحَ لا يكون حسناً ، والشرُّ لا يصير خيراً ،
وليس يُجنى من الشوك العنبُ ، ولا من الكرم الحنظلُ .

وقد روي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « تَحَرَّوْا الصِّدْقَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ
أَنَّ فِيهِ الْهَلَكَةُ ؛ فَإِنَّ فِيهِ النَّجَاةَ ، وَتَجَنَّبُوا الْكَذِبَ وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَنَّ فِيهِ النَّجَاةَ ؛ فَإِنَّ فِيهِ
الْهَلَكَةَ »^(٣) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (لَأَنْ يَضَعَنِي الصِّدْقُ وَقَلَّمَا يَفْعَلُ ..
أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَرْفَعَنِي الْكَذِبُ وَقَلَّمَا يَفْعَلُ) .

(١) أورده في « لباب الآداب » (ص ٥٥) .

(٢) أورد البيهقي في « الجليس الصالح » (٥٨٤ / ١) ، و« روضة العقلاء » (٢٣٣ / ١) ، وفي غير (أ) :
(في الخير والشر فانظر كيف ترتاد) ، والتقاضي : طلب الدَّين ، والسنة : الطريقة والطبيعة والجملة ،
والارتياذ : الطلب ؛ فاللسان يطلب ما عودته ، وقال يحيى بن خالد : رأينا شارب خمر نزع ، ولصاً أفلح ،
وصاحب فواحش رجع ، ولم نر كذاباً صار صادقاً !!

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « مكارم الأخلاق » (١٣٧) ، وهناد في « الزهد » (١٣٧٥) مرسلًا .

وقال بعض الحكماء : (الصدق مُنْجِيكَ وَإِنْ خَفْتَهُ ، والكذب مُرْدِيكَ وَإِنْ أُمِنْتَهُ)^(١) .

وقال الجاحظ : (الصدقُ والوفاءُ توءمان ، والصبرُ والحلمُ توءمان ، فيهنَّ تمامُ كلِّ دين ، وصلاحُ كلِّ دنيا ، وأضدادُهنَّ سببُ كلِّ فرقة ، وأصلُ كلِّ فساد)^(٢) .

ومنها : أن يؤثر أن يكون حديثه مستغرباً ، وكلامه مستظرفاً ، فلا يجد صدقاً يُغرب ، ولا حقاً يُطرب ، فيستملُّ الكذب الذي ليست غرائبه معوزةً ، ولا طرائقه معجزةً .

وهذا النوع أسوأ حالاً ممَّا قبل ؛ لأنه يصدر عن مهانة النفس ، ودناءة الهمة ، وقد قال الجاحظ : (لم يكذب أحدٌ قطُّ إلا لصِغَرِ قدر نفسه عنده)^(٣) .

وقال ابن المقفع : (لا تهاونَنَّ بإرسال الكذبة من الهزل ؛ فإنَّها تُسرِعُ إلى إبطال الحق)^(٤) .

ومنها : أن يقصد بالكذب التَّشْفِيَّ من عدوٍّ ، فيشتمه بقبايح يتخَرَّضُها عليه ، ويصمُّه بفضائح ينسبها إليه ، ويرى أنَّ معرَّة الكذب غنمٌ ، وأنَّ إرسالها في العدوِّ سهمٌ وسَمٌ .

وهذا أسوأ حالاً من النوعين الأولين ؛ لأنَّه قد جمع بين الكذب المُعِرِّ ، والشرُّ المُضِرِّ ؛ ولذلك ورد الشرعُ برَدِّ شهادة العدوِّ على عدوِّه .

(١) أورده في « نهاية الأرب » (٣ / ٣٦٠) .

(٢) المعاش والمعاد (١ / ١٢٥) ضمن « رسائل الجاحظ » .

(٣) المعاش والمعاد (١ / ١٢٤) ضمن « رسائل الجاحظ » .

(٤) الأدب الكبير (ص ٢٥٨) ضمن « آثار ابن المقفع » .

ومنها : أن تكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه حتّى أَلْفَهَا ، فصار الكذب له عادةً ، ونفسه إليه منقاداً ، حتّى لو رام مُجانبةَ الكذب . . عسر عليه ؛ لأنّ العادة طبعٌ ثانٍ .

وقد قالت الحكماء : (مَنْ استحلّ رِضَاعَ الكذب . . عسرِ فِطامُهُ)^(١) .
وقيل في منشور الحكم : (لا يلزم الكذبُ شيئاً إلا غلبَ عليه)^(٢) .

واعلم : أنّ للكذاب قبل خبرته أماراتٍ دالّةٌ عليه :
فمنها : أنك إذا لقّنته الحديث . . تلقّنه ، ولم يكن بين ما لقّنته وبين ما أورده فرقٌ عنده .

ومنها : أنك إذا شكّكته فيه . . تشكّك ، حتّى يكاد أن يرجع فيه ، ولولاك . .
ما تخالجه الشكُّ فيه .

ومنها : أنك إذا ردّدت عليه قوله . . حصّر وارتبك ، ولم يكن عنده نصرَةٌ المحتجّين ، ولا برهانُ الصادقين ؛ ولذلك قال علي بن أبي طالب عليه السلام :
(الكذابُ كالسّرّاب)^(٣) .

ومنها : ما يظهر عليه من ريبة الكذّابين ، ويُنمُّ عليه من ذلّة المتهمين ؛ لأنّ هذه أمورٌ لا يمكن الإنسان دفعها عن نفسه ؛ لما في الطبع من إثارتها ، ولذلك
قالت الحكماء : (العينان أنمُّ من اللسان)^(٤) .

وقال بعض البلغاء : (الوجوهُ مرايا تُريك أسرارَ البرايا) .

(١) أورده في « محاضرات الأدباء » (٢٤٨ / ١) .

(٢) أورده في « المعمّرون والوصايا » (ص ٢٣) ، و « جمهرة الأمثال » (٤٠٢ / ١) من قول أكنم بن صبيّ
رحمه الله تعالى .

(٣) أورده في « شرح نهج البلاغة » (١٥٧ / ١٨) ، و « التذكرة الحمدونية » (٣٦٢ / ١) ، والمعنى : أنك
كلما تقرّبت منه . . تباعد عنك .

(٤) أورده في « التذكرة الحمدونية » (١٥٥ / ٣) ، و « بهجة المجالس » (١٨١ / ٢) من قول خالد بن
صفوان ؛ فالعينان تفشيان ما كتمه من الريب ، ولذلك قيل : لا شاهد على غائب أعدل من طرفٍ على
قلب .

[من البسيط]

وقال بعض الشعراء^(١) :

تُرِيكَ أَعْيُنُهُمْ مَا فِي صُدُورِهِمْ إِنَّ الْعُيُونَ يُوَدِّي سِرَّهَا النَّظْرُ

وإذا اتَّسَمَ بالكذب . . نُسِبَتْ إليه شوارِدُ الكذب المجهولة ، وأُضِيفَتْ إلى أكاذيبه زياداتٌ مفعولة ؛ حتَّى يصيرَ الكاذبُ مكذوباً عليه ، فيجمع بين مَعْرِة الكذب منه ، ومَضَرَّة الكذب عليه .

[من مجزوء الكامل]

وقد قال الشاعر^(٢) :

حَسَبُ الْكَذُوبِ مِنَ الْبَلِيَّةِ بَعْضُ مَا يُحْكِي عَلَيْهِ
مَا إِنْ سَمِعْتَ بِكَذِبَةٍ مِنْ غَيْرِهِ نُسِبَتْ إِلَيْهِ
ثم إن تحرَّى الصدق . . اتَّهِمَ ، وإن جانبَ الكذب . . أَكْذَبَ ؛ حتَّى لا يُعْتَقَدَ له حديثٌ مَصْدَقٌ ، ولا كَذِبٌ مُسْتَكْرَرٌ .

[من الطويل]

قال الشاعر^(٣) :

إِذَا عُرِفَ الْكَذَّابُ بِالْكَذِبِ لَمْ يَكْذُ يُصَدِّقُ فِي شَيْءٍ وَإِنْ كَانَ صَادِقًا
وَمِنْ آفَةِ الْكَذَّابِ نِسْيَانُ كَذِبِهِ وَتَلْقَاهُ ذَا حِفْظٍ إِذَا كَانَ حَازِقًا

وقد وردت السُّنَّةُ بإرخاص الكذب في الحرب ، وإصلاح ذات البين ، على وجه التورية والتأويل دون التصريح به ؛ فَإِنَّ السنة لا يجوز أن تردَّ بإباحة الكذب ، لما فيه من التنفير ، وإلَّما ذلك على طريق التورية والتعريض ؛ كما سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تطرَّفَ بَدْرًا وانفرد عن أصحابه ، فقال له رجلٌ : مِمَّنْ أَنْتَ ؟ فقال : « من ماء »^(٤) .

(١) البيت لمجنون ليلى في « ديوانه » (ص ١٣٥) ؛ وفيه : (إِنَّ الصُّدُورَ يُوَدِّي غَيْبَهَا النَّظْرُ) .

(٢) أورد البيهقي في « عيون الأخبار » (٢٨ / ٢) ، و« البصائر والذخائر » (١٤١ / ٩) .

(٣) البيهقي لمحمود الوراق في « ديوانه » (ص ١٥٢) ؛ وفيه : (بِالْكَذِبِ لَمْ يَكُنْ لَدَى النَّاسِ ذَا صَدَقٍ) .

(٤) أورد ابن هشام في « السيرة النبوية » (١ / ٦١٥) ، و« عيون الأخبار » (١ / ١٩٤) .

فورئى عن الإخبار بنسبه بأميرٍ محتمل ، فظنَّ السائل أنه عنى القبيلة المنسوبة إلى ذلك ، وإنما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنه من الماء الذي يُخلَق منه الإنسان ، فبلغ ما أحبَّ من إخفاء نسبه ، وصدق في خبره صلى الله عليه وسلم .

وكالذي حُكي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يسير خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر معه ، فتلقاه العربُ وهم يعرفون أبا بكر ، ولا يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقولون : يا أبا بكر ؛ مَنْ هذا ؟ فيقول : (يهديني السبيل)^(١) ، فيظنون أنه يعني : هداية الطريق ؛ وهو إنما يريد سبيل الخير ، فيصدق في قوله ، ويُورئى عن مراده .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ فِي الْمَعَارِضِ لَمَنْدُوحَةً عَنِ الْكَذِبِ »^(٢) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (إِنَّ فِي الْمَعَارِضِ مَا يَكْفِي أَنْ يَعْفَ الرَّجُلُ عَنِ الْكَذِبِ)^(٣) .

وقال بعض أهل التأويل في قوله تعالى : ﴿ لَا تُؤَاخِذُنِي بِمَا نَسِيتُ ﴾ : (إِنَّهُ لَمْ يَنْسَ ؛ وَلَكِنَّهُ مَعَارِضُ الْكَلَامِ)^(٤) .

وقال ابن سيرين : (الْكَلَامُ أَوْسَعُ مِنْ أَنْ يُصْرَحَ فِيهِ بِالْكَذِبِ)^(٥) .

واعلم : أنَّ من الصدق ما يقوم مقامَ الكذب في القبح والمعرّة ، ويزيد عليه في الأذى والمضرة ؛ وهو : الغيبة ، والنميمة ، والسعاية .

(١) رواه البخاري (٣٩١١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٢) رواه البيهقي في « السنن الكبرى » (١٩٩ / ١٠) ، والشهاب في « مسنده » (١٠١١) عن سيدنا عمران بن حصين رضي الله عنهما ، والمعارض - جمع معارض - : وهو التورية وإرادة غير الظاهر المتبادر من الكلام ، والمندوحة : السعة والفسحة ، والمراد : أن المعارض يستغني بها الرجل عن الكذب .

(٣) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٨٨٤) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦٦١٩) .

(٤) رواه الطبري في « تفسيره » (٣٤٦ / ١٥ / ٩) عن سيدنا أبي بن كعب الأنصاري رضي الله عنه .

(٥) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٥٥٥) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٦٤ / ٢) .

فَأَمَّا الْغِيْبَةُ : فَإِنَّهَا خِيَانَةٌ وَهَتْكَ سِتْرُ ، يحدثان عن حَسَدٍ وَغَدْرِ .

قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ يعني : أنه كما لا يحلُّ لحْمُهُ مَيْتًا . لا تحلُّ غِيْبَتُهُ حَيًّا .

وروي أنَّ امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجعلتا تغتابان الناس ، فأخبر بذلك النبيُّ صلى الله عليه وسلم ، فقال : « صامتا عما أحلَّ لهما ، وأفطرتا على ما حرَّم عليهما »^(١) .

وروت أسماء بنت يزيد قالت : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ دَبَّ عَنْ لَحْمِ أَخِيهِ بظَهْرِ الْغَيْبِ . . كان حقًّا على الله تعالى أَنْ يُحرِّمَ لَحْمَهُ على النارِ »^(٢) .

وقال عديُّ بن حاتم : (الْغِيْبَةُ رَعِي اللَّئَامِ)^(٣) .

وكان الحسن البصري يقول : (الْغِيْبَةُ فَاكِهَةُ النَّسَاكِ)^(٤) .

وقال رجلٌ لابن سيرين : (إِنِّي اغْتَبْتُكَ ، فَاجْعَلْنِي فِي حِلٍّ ؟ فقال : ما أَحَبُّ أَنْ أَحِلَّ لَكَ ما حرَّم الله عليك)^(٥) .

وقال ابن السَّمَّاك : (لَا تُعِنِ النَّاسَ عَلَى عَيْبِكَ بِسَوْءِ غَيْبِكَ) .

وقال الشاعر^(٦) :

لا تلتَمِسْ من مَسَاوِي النَّاسِ ما سَتَرُوا فَيَهْتَكَ اللهُ سِتْرًا مِنْ مَسَاوِيكَ
واذْكُرْ مَحَاسِنَ ما فِيهِمْ إِذَا ذَكَرُوا وَلَا تَعِبْ أَحَدًا مِنْهُمْ بِما فِيكَ

(١) رواه أبو يعلى في « مسنده » (١٥٧٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٧٥ / ٤) عن سيدنا عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنه ، وكما قال الزمخشري : (أنزع منك صائم وفي لحم أخيك سائم !) .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٦٨٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٢٣٦) .

(٣) أورده في « بهجة المجالس » (٣٩٨ / ١) .

(٤) أورده في « المجلس الصالح » (٢٧٦ / ١) ، ورواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٣٦٠) من قول فضيل بن عياض رحمه الله تعالى ، وفيهما : (فاكهة القراء) ، وفي (ب) : (فاكهة النساء) .

(٥) رواه الخرائطي في « مساوئ الأخلاق » (١٩٠) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٦٣ / ٢) .

(٦) البيتان لمحمود الوراق في « ديوانه » (ص ١٥٨) .

وربما أعذر المغتاب نفسه بأنه يقول حقاً ، ويُعلن فسقاً ، ويستشهد بما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاثة ليست غيبتهم بغيبة : الإمام الجائر ، وشارب الخمر ، والمعلنُ بفسقه »^(١) ، فيبعد من الصواب ، ويجانب الأدب ؛ لأنه وإن كان بالغيبة صادقاً . فقد هتك سترأ كان بصونه أولى ، وجاهر من أسر وأخفى .

وربما دعا المغتاب ذلك إلى إظهار ما كان يستره ، والمجاهرة بما كان يضمره ، فلم يفذه ذلك إلا فساد أخلاقه من غير أن يكون فيه صلاحٌ لغيره . وقد قيل لأنوشروان : (ما الذي لا خير فيه ؟ قال : ما ضرني ولم ينفع غيري ، أو ضرَّ غيري ولم ينفعني ، لا أعلم فيه خيراً) . وقيل في منشور الحكم : (لا تُبد من العيوب ما ستره علام الغيوب) .

وقد روى العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة ، فقال : « هو أن تقول لأخيك ما فيه ؛ فإن كنت صادقاً . فقد اغتبتَه ، وإن كنت كاذباً . فقد بهتَه »^(٢) .

وقال عبد الرحمن بن زيد في قوله تعالى : ﴿ يَتَأَيَّبُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرَ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ﴾ : (إنه استهزاء المسلم بمن أعلن بفسقه)^(٣) .

ودخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم تستفتيه ، فلما خرجت . . قالت عائشة رضي الله تعالى عنها : يا رسول الله ؛ ما أقصرها !! فقال : « مهلاً ، إياك

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٢٢٣) من قول إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٣٧٤) من قول ابن عيينة رحمه الله تعالى ؛ وفيه : (المبتدع) بدل : (شارب الخمر) .

(٢) رواه مسلم (٢٥٨٩) ، وأبو داود (٤٨٧٤) ، والترمذي (١٩٣٤) ؛ وفيه : (ذكرك أخاك بما يكره) .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (١٦٠ / ٢٦ / ١٣) .

والغيبية» قالت : يا رسول الله ؛ إنما قلتُ ما فيها ، قال : « أَجَلٌ ، ولولا ذلك . . لَكَانَ بُهْتَانًا » (١) .

وسُئِلَ بعضُ الأدباء عن صفة اللثيم ، فقال : (اللثيمُ إذا غاب . . عاب ، وإذا حضر . . اغتاب) (٢) .

فأمَّا الخبرُ . . فمحمولٌ على الإنكار لأفعال هؤلاء ، ولا يكون الإنكار غيبية ؛ لأنه نهى عن منكر ، وفرق بين إنكار المجاهر ، وغيبية المسائر .

وأمَّا النَّمِيمةُ : فهي تجمعُ إلى مذمة الغيبة رداءةً وشرًّا ، وتضمُّ إلى لؤمها دناءةً وغدرًا ، ثم تؤول إلى تقاطع المتواصلين ، وتباعد المتقاربين ، وتباغض المتحابين .

وقد روى شهرُ بن حَوْشَب ، عن أسماء بنت يزيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « مِنْ شِرَارِكُمْ : الْمَشَاوُونَ بِالنَّمِيمةِ ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحْبَةِ ، الْبَاغُونَ الْعُيُوبَ » (٣) .

وروى محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « ملعونٌ ذو الوجهين ، ملعونٌ ذو اللسانين ، ملعونٌ كلُّ شَقَّارٍ ، ملعونٌ كلُّ قَتَّاتٍ ، ملعونٌ كلُّ مَنَانٍ » (٤) .

الشَّقَّارُ : المُحَرِّشُ بين الناس يُلقِي بينهم العداوة والبغضاء .

والقَتَّاتُ : النَّمَام . وقيل : إِنَّ النَّمَام : هو الذي يكون مع القوم يتحدثون ،

(١) رواه ابن وهب في « الجامع » (٥٥٨) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت » (٢٠٨) بنحوه .

(٢) أورده في « غرر الخصائص » (٣٨٧) .

(٣) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٣٢٣) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١٠٥٩٦) ؛ وفيه : (الْبَاغُونَ الْبُرَاءَ الْعَنَتَ) .

(٤) أورده في « سراج الملوك » (٦١٣/٢) ، و« المستطرف » (٢٧٧/١) ؛ وفيه وفي (هـ) : (شَقَّاز) ، والشَّقَّازُ : الإغراء بين القوم ، وفي (ج ، د) : (شَقَّار) ، يقال : اشتغرت الحرب بين الفريقين إذا اتسعت وعظمت .

فِينُمُ حَدِيثَهُمْ ، وَالْقَتَات : هو الذي يَتَسَمَّعُ عَلَى قَوْمٍ وَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، فِينُمُ حَدِيثَهُمْ ، وَالْمَنَان : الذي يعمل الخيرَ ويمُنُّ به .

وقيل في منشور الحكم : (النَّمِيمَةُ سَيْفٌ قَاتِلٌ)^(١) .

وقال بعض الأدباء : (لم يمشِ ماشٍ شَرٌّ من وَاشٍ)^(٢) .

وَأَمَّا السَّعَايَةُ : فهي شَرُّ الثلاثة^(٣) ؛ لِأَنَّهَا تَجْمَعُ إِلَى مَدَمَّةِ الْغِيْبَةِ وَلَوْمِ النَّمِيمَةِ التَّغْرِيرِ بِالنَّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ ، وَالْقَدَحَ فِي الْمَنَازِلِ وَالْأَحْوَالِ .

روى ابن قتيبة أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « الْجَنَّةُ لَا يَدْخُلُهَا دَيُّوْبٌ ، وَلَا قَلَّاعٌ »^(٤) .

فَالدَّيُّوْبُ : الذي يجمع بين الرجال والنساء ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَدْبُ بَيْنَهُمْ .
وَالْقَلَّاعُ : هو الساعِي الذي يقع في الناس عند الأمراء ، سُمِّيَ قَلَّاعاً لِأَنَّهُ يَأْتِي الرَّجُلَ الْمُتَمَكِّنَ عِنْدَ الْأَمِيرِ ، فَلَا يَزَالُ يَقَعُ فِيهِ حَتَّى يَقْلَعَهُ .

وقال بعض الحكماء : (الساعِي بين منزلتين قبيحتين ؛ إِمَّا أَنْ يَكُونَ صَدَقٌ . . فَقَدْ خَانَ الْأَمَانَةَ ، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ كَذَبَ . . فَخَالَفَ الْمَرْوَةَ)^(٥) .

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٥٥) .

(٢) أورده في « نهاية الأرب » (٢٩٣ / ٣) .

(٣) قال في « منهاج اليقين » (ص ٤٤١) : (وقد وُجِدَ فِي حَكْمِ الْقَدَمَاءِ : أَبْغَضَ النَّاسِ الْمُثَلَّثَ ، قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : هُوَ الَّذِي يَسْعَى بِأَخِيهِ إِلَى السُّلْطَانِ فَيُهْلِكُ نَفْسَهُ وَأَخَاهُ وَإِمَامَهُ !!) .

(٤) أورده في « النهاية في غريب الحديث » (٩٦ / ٢) ، و « سراج الملوك » (٦١٥ / ٢) ؛ وَفِي النسخ ما عدا (أ) : (لَا يَدْخُلُهَا دِيُوْبٌ) وَهِيَ بِمَعْنَى .

(٥) فِي هَامِش (د) : (وَحُكِيَ : أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ فَلَانًا سَبَّكَ ، [فأحضر] الرَّجُلَ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّكَ سَبَبْتَنِي وَهَذَا يَسْمَعُ ، فَقَالَ الْمَسْعِيُّ بِهِ لِلْسَّاعِي :

وَأَنْتَ أَمَرْتُ إِمَّا أَتَمَتُّكَ خَالِيًا فُخِنْتَ وَإِمَّا قُلْتَ قَوْلًا بِلَا عِلْمٍ
فَأَنْتَ مِنَ الْأَمْرِ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا بِمَنْزِلَةٍ بَيْنَ الْخِيَانَةِ وَالْإِثْمِ

وَالْخَبَرُ أَوْرَدَهُ فِي « عَيُون الْأَخْبَارِ » (٤١ / ١) ، وَ « تَارِيخُ دِمَشْقَ » (٣٥٩ / ٣٣) عَنْ ابْنِ زِيَادٍ ، وَرَوَاهُ فِي « رَوْضَةِ الْعُقَلَاءِ » (٦٨٣ / ٢) عَنْ زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ ، وَالْمَسْعِيُّ بِهِ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ هَمَّامِ السَّلُولِيُّ .

وقال بعض حكماء الفرس : (الصدقُ يزينُ كلَّ أحدٍ إلا الشعاة ؛ فإنَّ الساعيَ أذمُّ وأثمُّ ما يكون إذا صدق)^(١) .

وقال بعض البلغاء : (النَمِيمةُ دَناءٌ ، والسَّعايةُ رَداءٌ ، وهما رأسُ الغدر ، وأساسُ الشرِّ ، فتجنَّبْ سبيلَهُما ، واجتنبْ أهلَهُما) .

ووقع الفضلُ بنُ سهلٍ على قصَّةِ ساعٍ سعى إليه في رجلٍ : (نحن نرى قبولَ السَّعايةِ شراً منها ؛ لأنَّ السَّعايةَ دلالةٌ ، والقبولُ إجازةٌ ، فاتَّقوا الساعيَ ؛ فإنَّه إن كان في سعائته صادقاً . كان في صدقه أثماً ؛ إذ لم يحفظ الحُرمةَ ، ويستر العورةَ)^(٢) .

وقال الإسكندر لساعٍ سعى إليه برجلٍ : (أتحتُّ أن نقبل منك ما تقول فيه على أن نقبل منه ما يقول فيك ؟ قال : لا ، قال : فكفَّ عن الشرِّ . . يكفَّ عنك الشرُّ)^(٣) .

وحكي : أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى موسى عليه الصلاة والسلام : (إنَّ في بلدك ساعياً ، ولست أطرُّك وهو في أرضك !! قال : يا ربِّ ؛ دلَّني عليه حتَّى أخرجَه ، فقال : يا موسى ؛ أكره النَمِيمةَ وأثمُّ ؟)^(٤) .

(١) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٧١٩ / م) ، والخرائطي في « مساوى الأخلاق » (٢٢٧) .

(٢) أورده في « عيون الأخبار » (٢٣ / ٢) ، و« التذكرة الحمدونية » (١٥٧ / ٣) ، ورواه في « حلية الأولياء » (١٢٢ / ٩) من قول الإمام الشافعي رضي الله عنه .

(٣) أورده في « عيون الأخبار » (٢٤ / ٢) ، و« العقد الفريد » (٣٣٣ / ٢) .

(٤) أورده ابن قدامة المقدسي في « التوايين » (ص ٨٠) .

الفصل السادس

في الحسد والمنافسة

اعلم : أنَّ الحسد خلُقَ ذميماً مع إضراره بالبدن ، وإفساده الدِّين ؛ حتَّى لقد أمر الله تعالى بالاستعاذة من شرِّه ، فقال تعالى : ﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾ وناهيك بحال ذلك شرّاً .

وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ الْبَغْضَاءُ وَالْحَسَدُ ، وَهِيَ الْحَالِقَةُ حَالِقَةُ الدِّينِ ، لَا حَالِقَةُ الشَّعْرِ ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ؛ لَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا ، أَلَا أُبَيِّنُكُمْ بِأَمْرِ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ . . تَحَابَبْتُمْ ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ » (١) .

فأخبر صلى الله عليه وسلم بحال الحسد ، وأنَّ التَّحَابُّ يَنْفِيهِ ، وأنَّ السَّلَامَ يَبْعَثُ عَلَى التَّحَابِّ ، فَصَارَ السَّلَامُ إِذَا نَافِياً لِلْحَسَدِ ، وَقَدْ جَاءَ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى بِمَا يُوَافِقُ هَذَا الْقَوْلَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ قَالَ مُجَاهِدٌ : (إِنَّ مَعْنَاهُ : ادْفَعْ بِالسَّلَامِ إِسَاءَةَ الْمُسِيءِ) (٢) .

وقال الشاعر (٣) :

قَدْ يَلْبَثُ النَّاسُ حِيناً لَيْسَ بَيْنَهُمْ وَدٌّ فَيَزِرُهُ التَّسْلِيمُ وَاللَّطْفُ

وقال بعض السَّلف : (الْحَسَدُ أَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي السَّمَاءِ ؛ يَعْنِي : حَسَدَ إِبْلِيسَ لِآدَمَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَأَوَّلُ ذَنْبٍ عُصِيَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فِي

(١) رواه الترمذي (٢٥١٠) ، والبيهقي في « السنن الكبرى » (٢٣٢/١٠) عن سيدنا الزبير بن العوام رضي الله عنه .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (١٤٦/٢٤/١٢) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (٢٠٢٢٥) .

(٣) أورد البيت في « المحاسن والأضداد » (ص ٣٩) ، ونسبه ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (٦٩/٢٠) لأبي حفص الشطرنجي .

الأرض ؛ يعني : حسد قابيل ابن آدم لأخيه حتى قتله (١).

وقال بعض الحكماء : (مَنْ رضي بقضاء الله تعالى.. رضي الله عنه ولم يُسِخْطْ أَحَدٌ ، وَمَنْ قَنَعَ بِعَطَائِهِ.. لم يدخله حسد) (٢).

وقال بعض البلغاء : (الناس حاسدٌ ومحسودٌ ، ولكلٍّ نعمةٌ حسودٌ) .

وقال بعض الأدباء : (ما رأيتُ ظالماً أشبهَ بمظلومٍ من الحسود ؛ نفسٌ دائمٌ ، وهمٌّ لازمٌ ، وقلبٌ هائمٌ) (٣) .

فأخذه بعض الشعراء فقال :

إِنَّ الْحُسُودَ الظُّلُومَ فِي كُرْبٍ يَخَالُهُ مَنْ يَرَاهُ مَظْلُوماً
ذَا نَفْسٍ دَائِمٍ عَلَى نَفْسٍ يُظْهِرُ مِنْهُ مَا كَانَ مَكْتُوماً

ولو لم يكن من ذم الحسد إلا أنه خُلِقَ دنيءٌ يتوجَّه نحو الأكفاء والأقارب ، ويختصُّ بالمُخَالِطِ والمُصَاحِبِ.. لكانت التَّزَاهَةُ عنه كَرَمًا ، والسَّلَامَةُ منه مَغْنَمًا ، فكيف وهو بالنفس مُضِرٌّ ، وعلى الهمِّ مُصِرٌّ ؛ حتَّى ربَّما أفضى بصاحبه إلى التَّلَفِ من غير نِكايةٍ بعدوٍّ ، ولا إضرارٍ بمحسود ؟!

وقال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه : (ليس في خِصال الشرِّ أعدلُ من الحسد ، يقتلُ الحاسدُ قبل أن يصل إلى المحسود) (٤) .

وقال بعض الحكماء : (يكفيك من الحسود : أن يغتمَّ وقتَ سرورك) (٥) .

وقيل في منشور الحكم : (عقوبةُ الحاسد من نفسه) (٦) .

(١) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٦٥٩) من قول ابن عيينة رحمه الله تعالى ، وأورده في « عيون الأخبار » (١١ / ٢) .

(٢) أورده في « المستطرف » (٨٦ / ١) .

(٣) أورده في « الموشى » (ص ٥) ، ورواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٢١١) من قول الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى .

(٤) أورده المبرِّد في « الفاضل » (ص ١٠٠) ، و« بهجة المجالس » (٤١٤ / ١) .

(٥) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٢٩) من قول سيدنا عثمان رضي الله عنه ، وفي « المستطرف »

(٥١ / ٢) من قول سيدنا عمر رضي الله عنه .

(٦) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٥٢) .

وقال الأصمعيُّ : (قلت لأعرابيٍّ : ما أطولَ عمرَكَ !! فقال : تركتُ الحسدَ فبقيتُ) (١) .

وقال رجلٌ لشريح القاضي : (إني لأحسدُكَ على ما أرى من صبرِكَ على الخصوم ، ووقوفِكَ على غامض الحُكم ، فقال : ما نفعكَ اللهُ بذلك ، ولا ضررَني) (٢) .

وقال عبد الله بن المعتز (٣) :

اصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الْحَسُو دِ فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ
النَّارُ تَأْكُلُ بَعْضَهَا إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

وحقيقةُ الحسد : شدةُ الأسى على الخير أن يكونَ للناس الأفاضل ، وهو غيرُ المنافسة .

وربَّما غلط قومٌ فظنُّوا أن المنافسة في الخير هي الحسد ، وليس الأمرُ كما ظنُّوا ؛ لأنَّ المنافسةَ طلبُ التشبُّه بالأفاضل من غير إدخالِ ضررٍ عليهم ، والحسدُ مصروفٌ إلى الضرر ؛ لأنَّ غايته أن يعدمَ الفاضلُ فضلَه من غير أن يصيرَ الفضلُ له ، فهذا هو الفرق بين المنافسة والحسد .

فالمنافسة إذاً فضيلةٌ ؛ لأنها داعيةٌ إلى اكتساب الفضائل ، والاقتداء بالأخيار والأفاضل .

وقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المؤمنُ يَغِيْطُ ، والمنافقُ يحسُدُ » (٤) .

(١) رواه في « الطيوريات » (٤٤٥) ، و« المجالسة وجواهر العلم » (٦٦٠) .

(٢) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (١٣٧ / ٤) .

(٣) البيهقي في « ديوانه » (٤٠٣ / ٢) .

(٤) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٩٥ / ٨) من قول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى .

وقال الشاعر^(١) :

[من السريع]

نَافِسٌ عَلَى الْخَيْرَاتِ أَهْلُ الْعُلَا فَإِنَّمَا الدُّنْيَا أَحَادِيثُ
كُلُّ أَمْرٍ فِي شَأْنِهِ كَادِحٌ فَوَارَتْ مِنْهُمْ وَمُورُوثُ

واعلم : أن دواعي الحسد ثلاثة :

أحدها : بغض المحسود ، فيأسى عليه بفضيلة تظهر ، أو منقبة تشكر ، فيثير حسداً قد خامر بغضاً .

وهذا النوع لا يكون عاماً وإن كان أضرّها ؛ لأنه ليس يبغض كل الناس .

والثاني : أن يظهر من المحسود فضلٌ يعجز عنه الحاسد ، فيكره تقدّمه فيه ، واختصاصه به ، فيثير ذلك حسداً لولاه . . لكفّ .

وهذا أوسطها ؛ لأنّه لا يحسد الأكفء ومَن دنا ، وإنّما يختصُّ بحسد مَن علا ، وقد يمتزج بهذا النوع ضربٌ من المنافسة ؛ ولكنها مع عجز ، فلذلك صارت حسداً .

والثالث : أن يكون في الحاسد شحٌّ بالفضائل ، وبخلٌ بالنعم ، وليست إليه فيمنع منها ، ولا بيده فيدفع عنها ؛ لأنّها مواهبٌ قد منحها الله تعالى مَن شاء ، فيسخطُ على الله تعالى في قضائه ، ويحسد على ما منح من عطائه وإن كانت نعمُ الله تعالى عنده أكثر ، ومنحه عليه أظهر .

وهذا النوع من الحسد أعمّها وأخبثها ؛ إذ ليس لصاحبه راحةٌ ، ولا لرضاه غايةٌ ؛ فإن اقترن بشرٍّ وقدره . . كان بواراً وانتقاماً ، وإن صادف عجزاً ومهانة . . كان كمداً وسقاماً .

وقد قال عبد الحميد : (الحسود من الهمّ كساقى السمِّ ، فإذا سرى سمّه . . سرّي عنه همّه) .

(١) أورد البيهقي « البيان والتبيين » (٢ / ١٠٤) .

واعلم : أنَّ بحسب فضائل الإنسان وظهور النعمة عليه يكون حسدُ الناس له ؛ فإن كثر فضله . . كثر حُساده ، وإن قلَّ . . قلُّوا ؛ لأنَّ ظهور الفضل يثير الحسد ، وحدوث النعمة يُضاعف الكمد ؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « استعينوا على قضاء الحوائج بسرها ؛ فإنَّ كلَّ ذي نعمة محسودٌ »^(١) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (ما كانت لله على أحد نعمة إلا وجد لها حاسداً ، ولو كان الرجل أقوم من القِدْح . . لما عدم غامزاً)^(٢) .

وقد قال الشاعر^(٣) :

إنَّ يحسُدُونِي فَإِنِّي غَيْرُ لَائِمِهِمْ قَبْلِي مِنَ النَّاسِ أَهْلُ الْفَضْلِ قَدْ حُسِدُوا
فَدَامَ لِي وَلَهُمْ مَا بِي وَمَا بِهِمْ وَمَاتَ أَكْثَرُنَا غِيظاً بِمَا يَجِدُ

وربَّما كان الحسد منبهاً على فضل المحسود ، ونقص الحسود ؛ كما قال أبو تمام الطائي^(٤) :

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ طَوِيَتْ أُنَاحَ لَهَا لِسَانُ حَسُودٍ
لَوْلا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عَرَفِ الْعُودِ
لَوْلا التَّخَوُّفُ لِلْعَوَاقِبِ لَمْ تَزَلْ لِلْحَاسِدِ النُّعْمَى عَلَى الْمَحْسُودِ

فأما ما يستعمله من كان الحسدُ عليه غالباً ، وكان طبعه إليه مائلاً ؛ لينتفي عنه فيكفاه ، ويسلم من ضرره وعدواه . . فأمورٌ هي له حَسْمٌ ، إن صادفها عَزَمٌ .

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٢٢٨) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢١٥ / ٥) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه ؛ وفيه وفي (ب ، د) : (الحوائج بالكتمان) .

(٢) رواه في « جمهرة الأمثال » (٤٠٢ / ١) ، و « روضة العقلاء » (٥٣٨ / ٢) ، والقِدْحُ : السهم المقوم قبل أن يُرَاشَ ويُتَصَلَ .

(٣) البيتان لبشار بن برد في « ديوانه » (٩٥ / ٣) ، ونسبهما في « بهجة المجالس » (٤١٣ / ١) للبيد بن عطار بن حاجب التميمي .

(٤) الأبيات في « ديوانه » (٣٩٧ / ١) ؛ وفي (أ) : (طيب نشر العود) ، والعَرَفُ : الرائحة طيبة كانت أو خبيثة ؛ ولذا أضيف إلى الطيب ، يعني : كما يتضوع رائحة العود بالنار . . كذلك تنتشر الفضيلة بلسان الحسود .

منها : اتّباع الدّين في اجتنابه ، والرجوع إلى الله تعالى في ندبه وآدابه ، فيقهر نفسه على مذموم خلقها ، وينقلها عن لئيم طبعها وإن كان نقل الطباع عسراً ؛ لكن بالرياضة والتدريج يسهل منه ما استصعب ، ويُحبّب منه ما أتعّب ، وإن تقدّم قول القائل : (مَنْ رَبُّهُ خَلَقَهُ كَيْفَ يُخَلِّي خُلُقَهُ ؟) .

غير أنه إذا عانى تهذيب نفسه . . تظاهر بالتخلّق دون الخلق ، ثم بالعادة يصير كالخلق .

قال أبو تمام الطائي^(١) :

فلم أجِدِ الأخلاقَ إلّا تخلّقا ولم أجِدِ الإفضالَ إلّا تفضّلا

ومنها : العقل الذي يستقيح به من نتائج الحسد ما لا يرضيه ، ويستنكف من هُجنة مساويه ، فيذلّل نفسه أنفةً ، ويقهرها حميّةً ، فتدعن لرشدّها ، وتجيّب إلى صلاحها ، وهذا إنّما يصحّ لذي النفس الأبيّة ، والهمة العليّة وإن كان ذو الهمة يجلّ عن دناءة الحسد .

وقد قال الشاعر^(٢) :

أبيّ له نفسانِ نفسٌ زكيّةٌ ونفسٌ إذا ما خافتِ الظلمَ تَشْمُسُ

ومنها : أن يستدفع الضرورة ، ويتوقّى الأثرة ، ويعلم أنّ نكايته في نفسه أبلغ ، ومن المحسود أبعد ، فيستعمل الحزم في دفع ما كدّه وأجهدّه ؛ ليكون أطيّب نفساً ، وأهنأ عيشاً .

وقد قيل : (العجبُ لغفلة الحُسّاد عن سلامة الأجساد !!)^(٣) .

(١) البيت في « ديوانه » (١٠٥ / ٣) .

(٢) أبيّ : أي : الممدوح أبي لا يتقاد لنفسه الأمانة بالسوء ، وتشمس : تبدي عداوتها لمن يخاف ظلمه .

(٣) أورده في « ربيع الأبرار » (٢٨٨ / ٣) من قول سيدنا علي رضي الله عنه ، وفي « نشر الدرّ »

(١٩٢ / ٤) .

وقال الشاعر^(١) :

[من الطويل]

بصيرٌ بأعقابِ الأمورِ كأنما يرى بصوابِ الرأي ما هو واقعٌ

ومنها : ما يرى من نفور الناس عنه ، وبُعدهم منه ، فيخافهم : إمّا على نفسه من عداوة ، أو على عرضه من ملامة ، فيتألفهم بمعالجة نفسه ، ويراهم إن صلحوا أجدى نفعاً ، وأخلص ودّاً .

وقال ابن العميد^(٢) :

[من الكامل]

داوى جوى بجوى وليس بحازم من يستكف النار بالحلفاء

وقال المؤمل بن أميل^(٣) :

[من البسيط]

لا تحسبوني غنياً عن مودتكم إنني إليكم وإن أيسرت مفتقر

ومنها : أن يساعد القضاء ، ويستسلم للمقدور ، ولا يرى أن يغالب قضاء الله تعالى ، فيرجع مغلوباً ، ولا أن يعارضه في أمره ، فيردّ مسلوباً محروباً .

وقد قال أردشير بن بابك : (إذا لم يساعدنا القضاء . . ساعدناه)^(٤) .

وقال محمود الوراق^(٥) :

[من مجزوء الخفيف]

قَدَرُ اللَّهِ كَأَنَّ حِينَ يَقْضَى وَرُودُهُ

(١) أورد البيت في « عيون الأخبار » (٣٥ / ١) ، و « العقد الفريد » (٢٥١ / ٢) .
(٢) أورد البيت في « التذكرة الحمدونية » (٥٢ / ٥) ، و « يتيمة الدهر » (٢٠٤ / ٣) ، و « الجوى » : مرض مزمن في القلب أو في الصدر ، و « الجوى » أيضاً : احتراق القلب من شدة الوجد والعشق ، و « الحلفاء » : نوع من الحشيش يوقد به النار ؛ والمعنى : مداواة احتراق القلب من الحسد بمعاودة الناس ليست معقولة ؛ لأنه كالذي يمنع سرابة النار بحافظ من الحلفاء !!

(٣) أورد البيت في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٩٠) ، و « الحماسة البصرية » (١٠٤٣ / ٣) .

(٤) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٣٧) ؛ أي : ساعدناه باتباعه ورضاه .

(٥) الأبيات في « ديوانه » (ص ٢٤٩) .

قَدْ مَضَىٰ فِيكَ عِلْمُهُ وَانْتَهَىٰ مَا يُرِيدُهُ
وَأَخَوِ الْحَزْمَ حَزْمُهُ لَيْسَ مِمَّا يَزِيدُهُ
فَأَرِدْ مَا يَكُونُ إِنْ لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُهُ

فإن أظفرت السَّعادةَ بأحد هذه الأسباب ، وهدته المرآشد إلى استعمال الصَّواب . . سلِّم من سَقامه ، وخلص من غَرامه ، واستبدل بالنقص فضلاً ، واعتاض من الذمَّ حمداً .

ولمَن استنزل نفسه عن مذمَّة ، وصرفها عن لائمة . . فهو أظهر حزمًا ، وأقوى عزماً ممَّن كَفَّته النفسُ جهادها ، وأعطته قيادها ؛ ولذلك قال عليُّ بن أبي طالب عليه السلام : (خِيَارُكُمْ كُلُّ مُفْتَنٍّ تَوَّابٍ)^(١) .

وإن صدَّته الشَّقوة عن مرآشده ، وأضلَّه الحرمان عن مقاصده ، فانقاد للطبع اللئيم ، وغلب عليه الخُلُق الذَّميم ، حتَّى ظهر حسدُهُ ، واشتدَّ كمدُهُ . . فقد باء بأربع مدام :

إحداهنَّ : حسرات الحسد ، وسقام الجسد ، ثم لا يجد لحسرتة انتهاءً ، ولا يأمل لسقامه شفاءً ، وقد قال ابن المعتزَّ : (الحسد داء الجسد)^(٢) .

والثانية : انخفاض المنزلة ، وانحطاط الرُّتبة ؛ لانحراف الناس عنه ، ونفورهم منه ، وقد قيل في منشور الحكم : (الحسود لا يسود)^(٣) .

والثالثة : مقتُّ الناس له ، حتَّى لا يجدَ فيهم محبًّا ، وعداوتهم له ، حتَّى لا يرى فيهم وليًّا ، فيصير بالعداوة موتوراً ، وبالمقت مزجوراً ؛ ولذلك قال النبيُّ

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٧١٨) ، وهناد في « الزهد » (٩٠٩) ، ورواه البزار في « مسنده » (٧٠٠) عن سيدنا عليٍّ رضي الله عنه مرفوعاً ؛ كما في (ب) ، ومُفْتَنٌ : اسم مفعول ، يقال : فتنه إذا أوقعه في الفتنة ؛ أي : كل ممتحن يمتحنه الله تعالى بالذنوب ثم يتوب عليه ، ثم يعود ثم يتوب عليه سبحانه .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٥١) .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٥١) ، و« البصائر والذخائر » (١ / ٢٣٢) .

صلى الله عليه وسلم : « شَرُّ النَّاسِ مَنْ يَبْغِضُ النَّاسَ وَيَبْغُضُونَهُ » (١) .

والرابعة : إسخاطُ الله تعالى في معارضته ، واحتقَاب الأوزار في مخالفته ؛
إذ ليس يرى قضاء الله تعالى عدلاً ، ولا لنعمه من الناس أهلاً ؛ ولذلك قال النبيُّ
صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ » (٢) .

وقال عبد الله بن المعتز : (الحاسدُ مغتاطٌ على مَنْ لا ذنبَ له ، بخيلٌ بما
لا يملكه ، طالبٌ لما لا يجده) (٣) .

وإذا بُلي الإنسان بمن هذه حاله من حُساد النِّعم وأعداء الفضل . . استعاذ بالله
من شرِّه ، وتوقَّى مصارع كيده ، وتحَرَّز من غوائل حسده ، وبُعِد عن ملابسته
وإدنائته ؛ لِعُضْل دائه ، وإعواز دوائه ؛ فقد قيل : (حاسدُ النعمة لا يرضيه إلا
زوالها) (٤) .

وقال بعض الحكماء : (مَنْ ضَرَّ بطبعه . . فلا تأنسُ بقربه ؛ فإنَّ قلبَ الأعيان
صعبُ المَرَامِ) .

وقال عبد الحميد : (أَسَدُ تقاربه خيرٌ من حَسودٍ تراقبه) .

وقال محمود الوراق (٥) :

[من الكامل]

أَعْطَيْتُ كُلَّ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي الرِّضَا	إِلَّا الْحَسُودَ فَإِنَّهُ أَعْيَانِي
مَا إِنَّ لِي ذَنْباً إِلَيْهِ عَلِمْتُهُ	إِلَّا تَظَاهَرُ نِعْمَةَ الرَّحْمَنِ
وَأَبَى فَمَا يُرْضِيهِ إِلَّا ذِلَّتِي	وَذَهَابُ أَمْوَالِي وَقَطْعُ لِسَانِي

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٧٠٧) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٣١٨/١٠) عن سيدنا
عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٢) رواه أبو داود (٤٩٠٣) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦١٨٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله
عنه .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٥٢) ، و« نثر الدر » (١٤٩/٣) .

(٤) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٦٥٧/م) ، و« تاريخ دمشق » (٢٠٠/٥٩) من قول سيدنا
معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما .

(٥) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٩٧) .

وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ثلاث لا يسلّم أحدٌ
منهنَّ : الطَّيْرَةُ ، وسُوء الظَّنِّ ، والحسدُ ؛ فإذا تطيَّرتَ .. فلا ترجعْ ، وإذا
ظننتَ .. فلا تحقِّقْ ، وإذا حسدتَ .. فلا تبغْ » (١) .

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١١٢٩) ، وعبد الرزاق في « المصنف » (١٩٥٠٤) ، والطَّيْرَةُ :
التشاؤم بالشر .

فَضَائِلُ

[أدب المواضعة والاصطلاح]

وأما أدب المواضعة والاصطلاح . . فضربان^(١) :

أحدهما : ما تكون المواضعة في فروعه ، والعقل موجبٌ لأصوله .

والثاني : ما تكون المواضعة في فروعه وأصوله ، وذلك يتضح في الفصول

التي نذكرها إذا سُبِرَتْ ؛ وهي ثمانية .

(١) وأما أدب المواضعة : معطوف على قوله فيما سبق : (فأما أدب الرياضة والاستصلاح) اللذين هما قسمان من الأدب اللازم للإنسان عند نشوئه وكبره ، فلما فرغ من بيان أدب الرياضة في ستة فصول . . شرع في تفصيل أدب المواضعة الذي يؤخذ تقليداً ، على ما استقرَّ عليه اصطلاح العقلاء ، واتفق عليه استحسان الأدباء . انظر « منهاج اليقين » (ص ٤٤٩) .

الفصل الأول

في الكلام والصمت

اعلم : أنَّ الكلام ترجمان يعبر عن مستودعات الضمائر ، ويخبر بمكنونات السرائر ، لا يمكن استرجاع بواده ، ولا يُقدَّر على ردِّ شوارده ، فحقُّ على العاقل : أن يتحرَّزَ من زَلَّله بالإمساك عنه ، أو بالإقلال منه .

رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رَحِمَ اللهُ مَنْ قال خيراً فغَنِمَ ، أو سَكَتَ فسَلِمَ »^(١) .

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم لمعاذ : « يا معاذُ ؛ أنتَ سالمٌ ما سَكَتَ ، فإذا تكلَّمْتَ . . فعليك أو لك »^(٢) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (اللسان معيارٌ ، أطاشه الجهلُ ، وأرجحه العقلُ)^(٣) .

وقال بعض الحكماء : (الزم الصمتَ تعدد حكيماً ، جاهلاً كنتَ أو عليماً)^(٤) .
وقال بعض الأدباء : (سَعِدَ مَنْ لسانُه صَمُوتٌ ، وكلامُه قُوتٌ) .

وقال بعض العلماء : (مِنْ أَعُوذَ ما يتكلَّم به العاقل : ألا يتكلَّم إلا بحاجته ، أو حُجَّتَه ، ولا يتفكَّر إلا في عاقبته ، أو آخرته)^(٥) .

وقال بعض البلغاء : (الزم الصمتَ ؛ فإنَّه يكسبك صفوَ المحبَّة ، ويؤمِّنك سوءَ المَغَبَّة ، ويلبسك ثوبَ الوَقار ، ويكفيك مؤوَنَةَ الاعتذار) .

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٥٨٩) ، والشهاب في « مسنده » (٥٨٢) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٦٠٨) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٧٣ / ٢٠) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٣) أورده في « البصائر والذخائر » (٤٧ / ٧) ، و « لباب الآداب » (ص ٢٧١) ، وأطاشه : خفَّقه وأطلقه جهل صاحبه ، وأرجحه العقل : أثقله وقيد عقله .

(٤) أورده في « الموشى » (ص ٩) .

(٥) في (هـ) : (مَنْ أعوزَ ما يتكلَّم به العاقل) أي : أصعبه وأشدَّه .

وقال بعض الفصحاء : (اعقل لسانك إلا عن حقّ توضّحه ، أو باطلٍ تدحضه ، أو حكمةٍ تنشرها ، أو نعمةٍ تشكرها) .

وقال بعض الشعراء^(١) :

رَأَيْتُ الْعِزَّ فِي أَدَبٍ وَعَقْلٍ فِي الْجَهْلِ الْمَذَلَّةُ وَالْهَوَانُ
وَمَا حُسْنُ الرَّجَالِ لَهُمْ بِحُسْنٍ إِذَا لَمْ يُسْعِدِ الْحُسْنَ الْبَيَانُ
كَفَى بِالْمَرْءِ عَيْباً أَنْ تَرَاهُ لَهُ وَجْهٌ وَلَيْسَ لَهُ لِسَانُ

واعلم : أن للكلام شروطاً ، لا يسلم المتكلّم من الزلل إلا بها ، ولا يعرئ من النقص إلا أن يستوعبها ؛ وهي أربعة :

فالشرط الأول : أن يكون الكلام لداعٍ يدعو إليه ؛ إمّا في اجتلاب نفع ، أو دفع ضرر .

والشرط الثاني : أن يأتي به في موضعه ، ويتوخّى به إصابة فرصته .

والشرط الثالث : أن يقتصر منه على قدر حاجته .

والشرط الرابع : أن يتخير اللفظ الذي يتكلّم به .

فهذه أربعة شروط ، متى أحلّ المتكلّم بشرطٍ منها . . فقد أوهن فضيلة باقيها ، وسنذكر من تعليل كلّ شرطٍ منها ما يُنبئ عن لزومه .

فأمّا الشرط الأول : وهو الداعي إلى الكلام ؛ فلأنّ ما لا داعيَ إليه هذيانٌ ، وما لا سبب له هُجرٌ^(٢) .

ومنّ سامح نفسه في الكلام إذا عنّ ، ولم يُراعِ صحّةَ دواعيه ، وإصابة معانيه . . كان قوله مردولاً ، ورأيه معلولاً ؛ كالذي حكى ابنُ عائشة : أنّ شاباً

(١) أورد البيهقي الأخيرين المبرد في « الكامل » (٦٥٢/٢) ، و « المجالسة وجواهر العلم » (٢٧٣٣) ، وليس له لسان : يجلب منافعه ، ويدفع مضاره ؛ ولذا شرع الوكالة في الدعاوي لإظهار الحق .
(٢) الهُجر : قبيح الكلام .

كان يجالس الأحنف ويطيل الصمت ، فأعجب ذلك الأحنف ، فخلت الحلقة يوماً ، فقال له الأحنف : (تكلم يا بن أخي ، فقال : يا عم ؛ رأيت لو أن رجلاً سقط من شرفة هذا المسجد . . كان يضربه شيء ؟ فقال : يا بن أخي ؛ ليتنا تركناك مستوراً !!) ثم تمثّل الأحنف بقول الأعور الشنّي : [من الطويل]

وكائن ترى من صامت لك مُعجِب زيادته أو نقصه في التكلّم
لسان الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤاده فلم يبقَ إلا صورة اللحم والدم^(١)

وكالذي حكي عن أبي يوسف الفقيه صاحب أبي حنيفة رحمهما الله تعالى : أن رجلاً كان يجلس إليه فيطيل الصمت ، فقال له أبو يوسف : (ألا تسأل ؟ قال : بلى ، متى يفطر الصيّام ؟ قال : إذا غربت الشمس ، قال : فإن لم تغرب الشمس إلى نصف الليل ؟) ، فتبسّم أبو يوسف ، وتمثّل بيّتي الخطف جدّ جرير :

عجبت لإزراء الغبيّ بنفسه وصمت الذي قد كان بالعلم أعلماً
وفي الصمت سترٌ للغبيّ وإنما صحيفة لبّ المرء أن يتكلّم^(٢)

قال أفضى القضاة رحمه الله : ومما أطرّفك به عني : أنني كنت يوماً في مجلسي بالبصرة وأنا مُقبلٌ على تدريس أصحابي ، إذ دخل شيخٌ مسنٌ قد ناهز الثمانين أو جاوزها ، فقال لي : قد قصدتك بمسألة اخترتُك لها .

فقلت : سل ، عافاك الله تعالى ، وظننته يسأل عن حادثٍ نزل به .

فقال : أخبرني عن نجم إبليس ونجم آدم عليه السلام ما هو ؛ فإن هذين لعظم شأنهما لا يُسأل عنهما إلا علماء الدين ؟!

(١) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٥٣١) ، والخطيب في « الفقيه والمتفقه » (٦٩١) ، وكائن أصله (أي) دخلت الكاف عليه ، وصارت بمعنى (كم) الخبرية ، والنون تنوينٌ أثبت في الخط على غير قياس ، والمعنى : وكم صامت يعجبك صمته فتستحسنه ، وإنما تظهر زيادته على غيره ونقصانه عند تكلمه .

(٢) رواه الخطيب في « تاريخ بغداد » (٢٥١ / ١٤) ، والخطف - بفتحات وقصر الألف - : لقب حذيفة جد جرير .

فَعَجِبْتُ وَعَجِبَ مَنْ فِي مَجْلِسِي مِنْ سُؤَالِهِ ، وَبَدَرَ إِلَيْهِ قَوْمٌ مِنْهُمْ بِالْإِنْكَارِ
وَالِاسْتِخْفَافِ ، فَكَفَفْتُهُمْ ، وَقُلْتُ : هَذَا لَا يَقْتَنِعُ مَعَ مَا يَظْهَرُ مِنْ حَالِهِ إِلَّا بِجَوَابِ
مِثْلِهِ ، فَأَقْبَلْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ : يَا هَذَا ؛ إِنَّ الْمُنْجَمِينَ يَزْعُمُونَ : أَنَّ نَجُومَ النَّاسِ
لَا تُعْرَفُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ مَوَالِيدِهِمْ ؛ فَإِنْ ظَفَرْتَ بِمَنْ يَعْرِفُ ذَلِكَ . . فَاسْأَلْهُ .

فَحِينَئِذٍ أَقْبَلَ عَلَيَّ ، وَقَالَ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، ثُمَّ انْصَرَفَ مُسْرُورًا ، فَلَمَّا كَانَ
بَعْدَ أَيَّامٍ . . عَادَ وَقَالَ : مَا وَجَدْتُ إِلَيَّ وَقْتِي هَذَا مَنْ يَعْرِفُ مَوْلِدَ هَٰذِهِنَّ .

فَانْظُرْ إِلَيَّ هَؤُلَاءِ كَيْفَ أَبَانَ الْكَلَامُ عَنْ جَهْلِهِمْ ، وَأَعْرَبَ السُّؤَالَ عَنْ نَقْصِهِمْ ؛
إِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ دَاعٍ إِلَيْهِ ، وَلَا رَوِيَّةٌ فِيمَا تَكَلَّمُوا بِهِ ، وَلَوْ صَدَرَ عَنْ رَوِيَّةٍ ، وَدَعَا إِلَيْهِ
دَاعٍ . . لَسَلِمُوا مِنْ شَيْئِهِ ، وَبَرِئُوا مِنْ عَيْبِهِ .

وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لِسَانُ الْعَاقِلِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ ، فَإِذَا
أَرَادَ الْكَلَامَ . . رَجَعَ إِلَى قَلْبِهِ ؛ فَإِنْ كَانَ لَهُ . . تَكَلَّمَ ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ . . أَمْسَكَ ،
وَقَلْبُ الْجَاهِلِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ ، يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا عَرَضَ لَهُ » ^(١) .

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : (مَنْ لَمْ يُعَدِّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ . . كَثُرَتْ
خَطَايَاهُ) ^(٢) .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : (عَقْلُ الْمَرْءِ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ) ^(٣) .

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ : (أَحْسِنُ لِسَانَكَ قَبْلَ أَنْ يُطِيلَ حَبْسَكَ ، أَوْ يُتْلَفَ نَفْسَكَ ،
فَلَا شَيْءَ أَوْلَى بِطُولِ حَبْسٍ مِنْ لِسَانٍ يَقْصُرُ عَنِ الصَّوَابِ ، وَيَسْرِعُ إِلَى الْجَوَابِ) .

وَقَالَ أَبُو تَمَامٍ الطَّائِيُّ ^(٤) :

وَمِمَّا كَانَتْ الْحُكَمَاءُ قَالَتْ لِسَانُ الْمَرْءِ مِنْ تَبَعِ الْفَوَادِ
وَكَانَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ يَحْسِمُ الرِّخْصَةَ فِي الْكَلَامِ ، وَيَقُولُ : (إِذَا جَالَسْتَ

(١) رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ فِي « الزَّهْدِ » (١٥٤٠) ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي « الْمَصْنَفِ » (٣٦٧٨٤) مِنْ قَوْلِ الْحَسَنِ
الْبَصْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(٢) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي « الْمَصْنَفِ » (٣٦٢٤٦) ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي « شُعَبِ الْإِيمَانِ » (١٦٨٠) .

(٣) أَوْرَدَهُ فِي « الْبَيَانِ وَالتَّيْبِينَ » (١٧١ / ١) ، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي « أَدَبِ الْمَجَالَسَةِ » (ص ٤٤) .

(٤) الْبَيْتُ فِي « دِيْوَانِهِ » (٣٧٥ / ١) ؛ وَفِي (أ) : (مَنْ خَدِمَ الْفَوَادِ) .

الْجُهَالُ .. فَأَنْصِتْ لَهُمْ ، وَإِذَا جَالَسْتَ الْعُلَمَاءَ .. فَأَنْصِتْ لَهُمْ ؛ فَإِنَّ فِي إِنْصَاتِكَ
عَنِ الْجُهَالِ زِيَادَةً فِي الْحِلْمِ ، وَفِي إِنْصَاتِكَ لِلْعُلَمَاءِ زِيَادَةٌ فِي الْعِلْمِ .

وأما الشرط الثاني : وهو أن يَأْتِيَ بالكلام في موضعه ؛ فَإِنَّ الكلام في غير
حينه لا يقع موقع الانتفاع به ، وما لا يُتَنَفَّعُ به من الكلام .. فقد تقدَّم القولُ فيه بأنَّه
هَذَا يَنْ وَهَجَر ؛ فَإِنْ قَدَّمَ ما يقتضي التأخير .. كان عَجَلَةً وَخُرْقًا ، وَإِنْ أَخَّرَ
ما يقتضي التقديم .. كان تَوَانِيًا وَعَجْزًا ؛ لِأَنَّ لكلِّ مقامٍ قولًا ، وَفِي كلِّ زمانٍ
عملًا .

وقد قال الشاعر^(١) :

تَضَعُ الْحَدِيثَ عَلَى مَوَاضِعِهِ وَكَلَامُهَا مِنْ بَعْدِهِ نَزْرُ

وأما الشرط الثالث : وهو أن يقتصرَ منه على قدر حاجته ؛ فَإِنَّ الكلام إذا لم
ينحصر بالحاجة ، ولم يتقدَّر بالكفاية .. لم يكن لِحَدِّه غايةً ، وَلَا لِقَدْرِهِ نهايةً ،
وما لم يكن من الكلام محصوراً .. كان إمَّا حَصْرًا إِنْ قَصُرَ ، أَوْ هَذَرًا إِنْ كَثُرَ .

رُوي أَنَّ أَعْرَابِيًّا تَكَلَّمَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَوَّلَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَمْ دُونَ لِسَانِكَ مِنْ حِجَابٍ ؟ » فَقَالَ : شَفَتَايَ
وَأَسْنَانِي ، قَالَ : « فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَكْرَهُ الْإِنْبِعَاقَ فِي الْكَلَامِ ، فَضَضَرَ اللَّهُ وَجْهَهُ
أَمْرِيءٌ أَوْجَزَ فِي كَلَامِهِ ، وَاقْتَصَرَ عَلَى حَاجَتِهِ »^(٢) .

وحُكي : أَنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ رَأَى رَجُلًا يَكْثُرُ الْكَلَامَ ، وَيَقُلُّ السَّكُوتَ ، فَقَالَ :
(إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِنَّمَا خَلَقَ لَكَ أُذُنَيْنِ وَلِسَانًا وَاحِدًا ؛ لِيَكُونَ مَا تَسْمَعُهُ ضَعْفَ
مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ)^(٣) .

(١) البيت لعمر بن أبي ربيعة في « ديوانه » (ص ٩٠) .

(٢) أورده في « البصائر والذخائر » (١٥٥ / ٨) ، والانبعاث في الكلام ، والتكثير منه ، والاندفاع
إليه .

(٣) أورده في « لباب الآداب » (ص ٤٦٥) ، و « بهجة المجالس » (١٨٢ / ٢) .

وقال بعض الحكماء : (مَنْ كثر كلامُهُ . . كثر آثامُهُ)^(١) .

وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : (أَنْذِرْكُمْ فُضُولَ المنطق)^(٢) .

وقال بعض البلغاء : (كلامُ المرء : بيانُ فضله ، وترجمانُ عقله ، فاقصره على الجميل ، واقتصر منه على القليل ، وإياك وما يُسَخِّطُ سلطانك ، أو يُوحِشُ إخوانك ، فَمَنْ أسخط سلطانَه . . تعرَّضَ للمنيَّة ، وَمَنْ أوحش إخوانَه . . تبرَّأ من الحرِّيَّة)^(٣) .

وقال بعض الشعراء^(٤) :

وَزِنِ الْكَلَامَ إِذَا نَطَقْتَ فَإِنَّمَا يُبْدِي عُيُوبَ ذَوِي الْعُقُولِ الْمَنَظِقُ
ولمخالفة قدر الحاجة من الكلام حالتان : تقصيرٌ يكون حَصْرًا ، وتكثيرٌ يكون هَذَرًا ، وكلاهما شَيْنٌ ، وشَيْنُ الهَذَرِ أشنعُ ، وربَّما كان في الغالب أخوف .
قال النبي صلى الله عليه وسلم : « وهل يَكْبُ النَّاسَ عَلَى مَنَاحِرِهِمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ ؟ »^(٥) .

وقال بعض الحكماء : (مَقْتُلُ الرَّجُلِ بَيْنَ فِكْهِهِ)^(٦) .

وقال بعض البلغاء : (الْحَصْرُ خَيْرٌ مِنَ الْهَذَرِ ؛ لِأَنَّ الْحَصْرَ يُضَعِّفُ الْحُجَّةَ ، وَالْهَذَرَ يَتْلَفُ الْمُهِجَّةَ) .

وقال بعض الشعراء^(٧) :

رَأَيْتُ اللِّسَانَ عَلَى أَهْلِهِ إِذَا سَاسَهُ الْجَهْلُ لَيْشًا مُغِيرًا

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٨٤٢) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت » (٨٩) من قول شُفَيِّ بن مَاتِع الْأَصْبَحِيِّ .

(٢) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٣٧٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٦٤٤) .

(٣) أورده في « غرر الخصاص » (ص ١٤٧) .

(٤) البيت لصالح بن عبد القدوس في « ديوانه » (ص ١٢١) .

(٥) رواه الحاكم في « المستدرک » (٤١٣/٢) ، والترمذي (٢٦١٦) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٦) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٨٧٩) ، وأورده في « عيون الأخبار » (٣٣١/١) من قول أکثم بن صيفي رحمه الله تعالى .

(٧) أورد البيت في « عيون الأخبار » (٣٣٠/١) ، و « المجالسة وجواهر العلم » (٨٧٩) .

وقال آخر^(١) :

[من المتقارب]

وَيَا رَبَّ أَلْسِنَةٍ كَالسُّيُوفِ تَقَطُّعُ أَعْنَاقَ أَصْحَابِهَا
وَمَا يَنْتَقِصُ مِنْ سَبَابِ الرِّجَالِ يَزِدُّ فِي نُهَاهَا وَأَلْبَابِهَا

وقد ذهب بعضهم إلى أنَّ الكلام إذا كثر عن قدر الحاجة ، وزاد على حدِّ الكفاية ، وكان صواباً لا يشوبه خطلٌ ، وسليماً لا يعتوره زللٌ .. فهو البيان والسَّحرُ الحلال .

وقال سليمان بن عبد الملك وقد ذمَّ الكلام في مجلسه : (كلاً ؛ إنَّ مَنْ تكلَّمَ فأحسن .. قدر على أن يسكتَ فيُحسن ، وليس كلُّ مَنْ سكتَ فأحسن .. قدر على أن يتكلَّمَ فيُحسن)^(٢) .

ووصف بعضهم الكاتب فقال : (الكاتبُ : مَنْ إذا أخذَ شبراً .. كفاه ، وإنَّ وجدَ طوماراً .. ملأه)^(٣) .

وأنشد بعضهم في خطباء إِياد^(٤) :

[من الكامل]

يَرْمُونَ بِالْخُطْبِ الطَّوَالِ وَتَارَةً وَخِي الْمَلَا حِظَّ خِيْفَةِ الرُّقْبَاءِ

وقال الهيثم بن صالح لابنه : (يا بني ؛ إذا أقللتَ من الكلام .. أكثرتَ من الصَّواب ، قال : يا أبتِ ؛ فإن أنا أكثرتُ وأكثرتُ ؟ يعني : كلاماً وصواباً ، قال : يا بني ؛ ما رأيتُ موعوظاً أحقَّ بأن يكونَ واعظاً منك)^(٥) .

وأنشدتُ لأبي الفتح البُستي^(٦) :

[من الطويل]

تَكَلَّمْ وَسَدِّدْ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا كَلَامُكَ حَيٌّ وَالشُّكُوتُ جَمَادُ

(١) البیتان لابن المعتز في « ديوانه » (٢٣ / ١) .

(٢) رواه في « ديوان المعاني » (١٤٩ / ١) ، و « تاريخ بغداد » (٢٤٣ / ٨) .

(٣) أورده في « محاضرات الأدباء » (١١٩ / ١) ، و « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٥٦) ، والطومار : الصحيفة ، والمعنى : أنه يراعي المقام فيأتي بالإيجاز الوفي ، ولا يعجز عن الإطناب في محله .

(٤) أورد البيت في « البيان والتبيين » (١٥٥ / ١) ، و « العقد الفريد » (٥٥ / ٤) لأبي دُوَادَ الإيادي .

(٥) أورده في « البيان والتبيين » (٢٦٤ / ١) .

(٦) البیتان في « ديوانه » (ص ١٢٦) .

فَإِنْ لَمْ تَجِدْ قَوْلًا سَدِيدًا تَقُولُهُ فَصَمْتُكَ عَنْ غَيْرِ السَّدَادِ سَدَادٌ

وقيل لإياس بن معاوية : (ما فيكَ عيبٌ إلا كثرة الكلام ، قال : أفنسمعون صواباً أم خطأ ؟ قالوا : لا ، بل صواباً ، قال : فالزيادة من الخير خيرٌ) .

قال أبو عثمان الجاحظ : (وليس كما قال ؛ لأنَّ للكلام غايةً ، ولنشاط السامعين نهايةً ، وما فضل عن مقدار الاحتمال ، ودعا إلى الاستثقال والمَلال .. فذلك الفاضلُ هو الهَذَرُ)^(١) .

وصدق أبو عثمان في هذا ؛ لأنَّ الإكثار منه - وإن كان صواباً - يُملُّ السامعُ ، ويُكلُّ الخاطرُ ؛ فهو صادرٌ عن إعجابٍ به ، لولاه .. لأقصر عنه ، ومَن أعجب بكلامه .. استرسل فيه ، والمسترسلُ في كلامه كثيرُ الزَّلَل ، دائمُ العِثار . قال بعض الحكماء : (مَن أعجب بقوله .. أُصيب بعقله) .

وليس للمكثر الهَذَر رجاءٌ يقابل خوفه ، ولا نفعٌ يوازي ضرره ؛ لأنه يُخاف من نفسه الزَّلَل ، ومن سامعيه السَّامةُ والمَلَلُ ، وليس في مقابلة هذين حاجةً داعيةً ، ولا نفعٌ مرجوٌّ .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَبْغُضُكُمْ إِلَيَّ : الْمُتَفِيهُقُ الْمِكْثَارُ ، وَالْمُلِحُّ الْمِهْذَارُ » .

وسأل رجل حكيمًا فقال : (متى أَتَكَلَّمُ ؟ قال : إذا اشتهيت الصَّمْتَ ، قال : فمتى أَصَمْتُ ؟ قال : إذا اشتهيت الكلامَ)^(٢) .

وقال جعفر بن يحيى : (إذا كان الإيجازُ كافيًا . كان الإكثار عيبًا ، وإذا كان الإكثار واجبًا . كان التقصير عجزًا)^(٣) .

وقيل في منشور الحكم : (إذا تمَّ العقل .. نقص الكلام)^(٤) .

(١) البيان والتبيين (٩٩ / ١) .

(٢) أورده في « العقد الفريد » (٤٧٣ / ٢) ، والحكيم : عمر بن عبد العزيز .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٤٦) ، و « عيون الأخبار » (١٧٤ / ٢) .

(٤) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٠٨) ، و « الفقيه والمتفقه » (٥٢ / ٢) من قول ابن المعتز .

وقال بعض الأدباء : (مَنْ طَالَ صَمْتُهُ .. اجْتَلَبَ مِنَ الْهَيْبَةِ مَا يَنْفَعُهُ ، وَمَنِ الْوَحْشَةُ مَا لَا يَضُرُّهُ)^(١) .

وقال بعض البلغاء : (عِيٌّ تَسْلُمُ بِهِ خَيْرٌ مِنْ نَطْقٍ تَنْدُمُ عَلَيْهِ)^(٢) .

فاقتصر من الكلام على ما يقيم حاجتك ، ويبلغ حاجتك ، وإياك وفُضُولَهُ ؛ فَإِنَّهَا تَزُلُّ الْقَدَمَ ، وَتَوْرَثُ النَّدَمَ .

وقال الشاعر^(٣) :

[من الطويل]

إِذَا كُنْتَ عَنْ أَنْ تُحْسِنَ الصَّمْتَ عَاجِزًا فَأَنْتَ عَنِ الْإِبْلَاحِ فِي الْقَوْلِ أَعْجَزُ

وقال بعض الفصحاء : (فَمُ الْعَاقِلُ مُلْجَمٌ ، إِذَا هَمَّ بِالْكَلامِ .. أَحْجَمُ ، وَفَمُ الْبَاحِلِ مُطْلَقٌ ، كُلَّمَا شَاءَ .. أَطْلَقَ) .

وقال بعض الشعراء^(٤) :

[من البسيط]

إِنَّ الْكَلَامَ يُعِزُّ الْقَوْمَ جَلُوتُهُ حَتَّى يَلْجَ بِهِ عِيٌّ وَإِكْثَارُ

وأما الشرط الرابع : وهو اختيار اللفظ الذي يتكلم به ؛ فَلَأَنَّ اللِّسَانَ عَنَوانُ الْإِنْسَانِ ، يَتَرَجَّمُ عَنْ مَجْهُولِهِ ، وَيَبْرَهِنُ عَنْ مَحْصُولِهِ ، فَلَزِمَهُ أَنْ يَكُونَ بِتَهْذِيبِ أَلْفَاظِهِ حَرِيًّا ، وَبِتَقْوِيمِ لِسَانِهِ مَلِيًّا .

رُوي عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ لِعَمَّةِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « يُعْجِبُنِي جَمَالُكَ » قَالَ : وَمَا جَمَالُ الرَّجُلِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « لِسَانُهُ »^(٥) .

(١) أورده في « البيان والتبيين » (١٧٤ / ٢) ، و « بهجة المجالس » (٨٢ / ١) .

(٢) أورده في « المستطرف » (٩٠ / ١) .

(٣) البيت لأبي العتاهية في « ديوانه » (ص ١٨٦) ، وهو زيادة من (ج) .

(٤) البيت لإبراهيم بن هرمة في « ديوانه » (ص ١٢٤) ؛ وفيه وفي (ب) : (إِنَّ الْكَلَامَ تَغَرُّ الْقَوْمَ خَلُوتُهُ) .

(٥) أورده في « لباب الآداب » (ص ٢٧٠) .

وقال خالد بن صفوان : (ما الإنسانُ لولا اللسانُ إلا بهيمةٌ مُهملةٌ ، أو صورةٌ مُمثّلةٌ)^(١) .

وقال بعض الحكماء : (اللسانُ وزير الإنسان) .

وقال بعض الأدباء : (كلامُ المرءِ وافدٌ أدبه) .

وقال بعض البلغاء : (يُستدلُّ على عقل الرجل بقوله ، وعلى أصله بفعله) .

وقال بعض الشعراء^(٢) :

وإنَّ لسانَ المرءِ ما لم تكنْ لَهُ حِصَاةٌ على عَوْرَاتِهِ لَدَلِيلُ

وليس يصحُّ اختيارُ الكلامِ إلا لمن أخذ نفسه بالبلاغة ، وكلفها لزومَ الفصاحة ، حتّى يصير متدرّباً بها ، معتاداً لها ، فلا يأتي بكلامٍ مستكرّه اللفظ ، ولا مختلّ المعنى ؛ لأنَّ البلاغة ليست معاني مفردة ، ولا ألفاظاً عارية .

وإنّما البلاغةُ : أن تكونَ المعاني الصحيحةً مستودعةً في ألفاظٍ فصيحة ، فتكونُ فصاحةُ الألفاظ مع صحّة المعاني هي البلاغة .

وقد قيل لليونانيّ : (ما البلاغةُ ؟ فقال : اختيارُ الكلام ، وتصحيحُ الأقسام) .

وقيل للروميّ : (ما البلاغةُ ؟ فقال : حسن الاختصار عند البديهة ، والغزارة يومَ الإطالة) .

وقيل للهنديّ : (ما البلاغةُ ؟ فقال : معرفةُ الفصلِ من الوصلِ)^(٣) .

وقيل للعربيّ : (ما البلاغةُ ؟ فقال : ما حُسِّنَ إيجازُه ، وقلَّ مجازُه)^(٤) .

(١) رواه في « البيان والتبيين » (٣٥٣/١) ، وأورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣١٢) .

(٢) البيت لطرفة بن العبد في « ديوانه » (ص ٨٥) .

(٣) أورد ثلاثتها في « البيان والتبيين » (٨٨/١) ، و« زهر الآداب » (١١٨/١) ، والأخير فيهما للفارسيّ .

(٤) أورده في « زهر الآداب » (١١٨/١) لعليّ بن عيسى الرّمانيّ ، و« نهاية الأرب » (١١/٧) لابن المعتزّ .

وقيل للبدوي ، فقال : (ما دون السَّحَر ، وفوق الشَّعر ، يثقب الخَرْدَل ، ويحطُّ الجَنْدَل)^(١) .

وقيل للحَضَرِي ، فقال : (ما كثر إعجازه ، وتناسبت صدوره وأعجازه)^(٢) .

وقال ابن المقفَّع : (البلاغة : قلة الحَصَر ، والجَراءة على البَشَر)^(٣) .

وسأل الحجاجُ ابنَ القُرَيْبَةِ عن الإيجاز^(٤) ، فقال : (أن تقولَ فلا تبطيء ، وأن تُصيبَ فلا تخطيء ، ثم قال : أَقْلِي ، قال : قد فعلتُ ، قال : هو ألا تبطيء ، ولا تخطيء)^(٥) .

وقال الشاعر^(٦) :

[من المجتث]

خيرُ الكلامِ قليلٌ	على كثيرٍ دليلٌ
والعِيُّ معنًى قصيرٌ	يحويه لفظٌ طويلٌ
وفي الكلامِ فضُولٌ	وفيه قالٌ وقيلٌ

وأما صحَّة المعاني . . فتكون من ثلاثة أوجه :

أحدها : إيضاح تفسيرها ، حتَّى لا تكونَ مشكلةً ولا معجَلةً .

والثاني : استيفاء تقسيمها ، حتَّى لا يدخلَ فيها ما ليس منها ، ولا يخرجَ عنها ما هو منها .

والثالث : صحَّة مقابلاتها .

والمقابلة تكون من وجهين :

(١) أوردته في « زهر الآداب » (٩ / ١) ، و « البصائر والذخائر » (٢٥ / ٨) لطالبي .

(٢) أوردته في « زهر الآداب » (١١٨ / ١) للرماني .

(٣) أوردته في « العقد الفريد » (١٨٩ / ٤) .

(٤) في (أ ، ج) : (ابن القُبَيْرِ) .

(٥) أوردته في « البيان والتبيين » (٩٦ / ١) ، و « العقد الفريد » (٢٦١ / ٢) بين سيدنا معاوية رضي الله عنه وصُحارِ العَبْدِي رحمه الله تعالى .

(٦) أورد الأبيات في « معجم الأدباء » (٤٢٦ / ١) ، وأورد البيتين الأولين في « بهجة المجالس » (٦١ / ١) لأحمد بن إسماعيل الكاتب .

- أحدهما : مقابلة المعنى بما يوافقه ، وحقيقة هذا المقاربة ؛ لأنَّ المعاني
تصير متشاكلة .

- والثاني : مقابلته بما يضادّه ، وهو حقيقة المقابلة .
وليس للمقابلة إلا أحد هذين الوجهين : الموافقة في الائتلاف ، والمضادة
مع الاختلاف .

وأما فصاحة الألفاظ . . فتكون بثلاثة أوجه :

أحدها : مجانبة الغريب الوحشي ، حتّى لا يمجّه سمعٌ ، ولا ينفّر منه طبعٌ .
والثاني : تنكّب اللفظ المستبدّل ، والعدول عن الكلام المستردّل ، حتّى
لا يستسقطه خاصيٌّ ، ولا ينبو عن فهمه عاميٌّ ؛ كما قال الجاحظ في كتاب
« البيان » : (أما أنا . . فلم أر أقواماً أمثلَ طريقة في البلاغة من الكتاب ؛ وذلك
أنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ، ولا ساقطاً عامياً)^(١) .
والثالث : أن تكون بين الألفاظ ومعانيها مناسبة ومطابقة .

أما المطابقة : فهو أن تكون الألفاظ كالقوايب لمعانيها ، فلا تزيد عليها ،
ولا تقصر عنها .

وقد قال بشر بن المعتمر في وصيته في البلاغة : (إذا لم تجد اللفظة واقعةً
موقعها ، ولا صائرة إلى مستقرها ، ولا حالة في مركزها ، بل وجدتّها قلقةً في
مكانها ، نافرةً عن موضعها . . فلا تُكرهها على القرار في غير موضعها ؛ فإنك إذا
لم تتعاطَ قريضَ الشعر الموزون ، ولم تتكلّف اختيارَ الكلام المشثور . . لم يعبك
بترك ذلك أحدٌ ، وإذا أنت تكلّفتهما ولم تكن حاذقاً فيهما . . عابك من أنت أقلُّ
عيباً منه ، وأزرى عليك من أنت فوقه)^(٢) .

(١) البيان والتبيين (١/ ١٣٧) .

(٢) أورده في « الصناعتين » (ص ١٣٤) ، و« سر الفصاحة » (ص ١٧٢) .

وأما المناسبةُ : فهو أن يكون المعنى يليق ببعض الألفاظ ؛ إما لعُرْفٍ مستعمل ، أو لاتِّفَاقٍ مستحسن ، حتَّى إذا ذُكِرت تلك المعاني بغير تلك الألفاظ . . كانت نافرةً عنها وإن كانت أفصح وأوضح ؛ لاعتیاد ما سواها .

وقد قال بعض البلغاء : (لا يكون البليغُ بليغاً حتَّى يكون معنى كلامه أسبق إلى فهمك من لفظه إلى سمعك)^(١) .

فأما مُعاطاةُ الإعراب ، وتجنُّبُ اللَّحْنِ . . فإنَّما هو من صفات الصواب ، والبلاغةُ أعلى منه رتبةً ، وأشرفُ منزلةً ، وليس لمن لحن في كلامه مدخلٌ في الأدباء ، فضلاً عن أن يكون في عداد البلغاء الفصحاء .

واعلم : أنَّ للكلام آداباً ، إن أغفلها المتكلِّمُ . . أذهب رونقَ كلامه ، وطمس بهجةً بيانه ، ولها الناسُ عن محاسن فضله بمساوئ أدبه ، وعدلوا عن نشر مناقبه بذكر مثالبه .

فمن آدابه : ألا يتجوَّزَ في مدح ، ولا يسرفَ في ذمٍّ وإن كانت النَّزاهةُ عن الذمِّ كرماً .

والتَّجَوُّزُ في المدح مَلَقٌ يصدر عن مَهانة ، والسَّرَفُ في الذمِّ انتقامٌ يصدر عن شرٍّ ، وكلاهما شَيْنٌ وإن سلِمَ من الكذب .

رُوي أنَّه لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفدٌ تميم . . سأل رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ابنُ الأَهم عن قيس بن عاصم ، فمدَّحه ، فتكلَّم قيسٌ بما غضبَ منه ابنُ الأَهم ، فدَمَّه^(٢) ، فقال له رسولُ الله : « ما هذا ؟ مَدَحْتُهُ ثُمَّ دَمَّمْتُهُ !! » فقال قيسٌ : واللهِ يا رسولَ الله ؛ لقد علم أنَّي خيرٌ ممَّا وصف ؛ ولكنَّه حسدني .

(١) أورده في « البيان والتبيين » (١١٥ / ١) ، و « نهاية الأرب » (٨ / ٧) .

(٢) قال في « منهاج اليقين » (ص ٤٦٧) : (وهما الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأَهم . . . فما وقع في نسخ المتن من قيس بن عاصم في الموضعين وهم ؛ لما سبق أن قيساً هو أول من وأد في الجاهلية ولم يذمه به) .

فَذَمَّهُ عَمْرُو ، وَقَالَ : وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ لَقَدْ صَدَقْتُ فِي الْأَوَّلِي ، وَمَا كَذَبْتُ فِي الْآخَرِي ؛ لِأَنِّي رَضِيتُ فِي الْأَوَّلِي ، فَقُلْتُ أَحْسَنَ مَا عَلِمْتُ ، وَسَخَطْتُ فِي الْآخَرِي ، فَقُلْتُ أَقْبَحَ مَا عَلِمْتُ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « إِنَّ مِنْ الْبَيَانِ لَسِحْرًا » (١) .

عَلَى أَنَّ السَّلَامَةَ مِنَ الْكَذْبِ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ مُتَعَدِّرَةٌ ، لَا سِيَّمَا إِذَا مَدَحَ تَقَرُّبًا ، وَذَمَّ حَقًّا .

حُكِيَ عَنِ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ أَنَّهُ قَالَ : (سَهَرْتُ لَيْلَةً أَفَكَّرْتُ فِي كَلِمَةٍ أَرْضِي بِهَا سُلْطَانِي ، وَلَا أُسَخِطُ بِهَا رَبِّي ؛ فَمَا وَجَدْتُهَا) (٢) .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : (إِنَّ الرَّجُلَ لِيَدْخُلَ عَلَى السُّلْطَانِ وَمَعَهُ دِينُهُ ، فَيُخْرِجَ وَمَا مَعَهُ دِينُهُ) قِيلَ : وَكَيْفَ ذَلِكَ ؟ قَالَ : (يُرْضِيهِ بِمَا يُسَخِطُ اللَّهُ تَعَالَى) (٣) .

وَسَمِعَ ابْنَ الرُّومِيِّ رَجُلًا يَصِفُ رَجُلًا وَيُبَالِغُ فِي مَدْحِهِ ، فَأَنْشَأَ يَقُولُ (٤) : [مِنِ الْمُتَقَارِبِ]

إِذَا مَا وَصَفْتَ امْرَأً لَامَرِيءٍ فَلَا تَغْلُ فِي وَصْفِهِ وَاقْصِدِ
فَإِنَّكَ إِنْ تَغْلُ تَغْلُ الظُّنُ نُ فِيهِ إِلَى الْأَمَدِ الْأَبْعَدِ
فَيُضَوِّلُ مَنْ حَيْثُ فَحَّمْتَهُ لِفَضْلِ الْمَغِيبِ عَلَى الْمَشْهَدِ

وَمِنْ آدَابِهِ : أَلَّا تَبْعَثَهُ الرِّغْبَةَ وَلَا الرِّهْبَةَ عَلَى الْإِسْتِرْسَالِ فِي وَعْدٍ أَوْ وَعِيدٍ يَعْجِزُ عَنْهُمَا ، وَلَا يَقْدِرَ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِمَا ؛ فَإِنَّ مَنْ أَطْلَقَ بِهِمَا لِسَانَهُ ، وَأَرْسَلَ فِيهِمَا

(١) كَذَا أوردته في « لباب الآداب » (ص ٣٥٤) ، ورواه الحاكم في « المستدرک » (٦١٣ / ٣) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (٣٠٩٦) بين الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم ، وبحضور قيس بن عاصم رضي الله عنهم .

(٢) أوردته في « نثر الدرر » (٥٣ / ٥) ، و« الكشكول » (١٥٥ / ٢) .

(٣) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبير » (٣٢٧ / ٨) ، وهناد في « الزهد » (١١٥٢) .

(٤) الأبيات في « ديوانه » (٦٨٨ / ٢) ، والغلو : تجاوز الحد ، والقصد : المجانبية عن الإفراط ، وتغل : الأول من الغلو ، والثاني من الغليان ، وأمَّد الشيء : غايته ومتمناه .

عِناَنَه ، ولم يَسْتَقِلْ من القول ما يَسْتَقِلُّه من العمل . . صار وعدُه نَكْثًا ، ووعدُه عَجْزًا .

وقد حُكي : أنَّ سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام مرَّ بعصفورٍ يدور حولَ عصفورة ، فقال لأصحابه : (هل تدرّون ما يقولُ لها ؟) قالوا : لا ، يا نبيَّ الله .

قال : (إِنَّه يخطُبُها إلى نفسه ، ويقول : زَوِّجيني نفسَك . . أُسْكِنُك أيَّ غُرفٍ دمشقٍ شئتَ) ، قال سليمان عليه السلام : (وكذب العصفورُ ؛ غُرفُ دمشقٍ مبنيةٌ بالصخر ، لا يقدر أن يُسْكِنَها هناك ؛ ولكن كلَّ خاطبٍ كذابٌ !!)^(١) .

ومن آدابه : أنه إذا قال قولاً . . حقَّقه بفعله ، وإذا تكلم بكلام . . صدَّقه بعمله ؛ فإنَّ إرسالَ القول اختيارٌ ، والعملُ به اضطرارٌ ، ولأنَّ يفعلَ ما لم يقلْ أجملُ به من أن يقولَ ما لا يفعلُ .

وقد قال بعض الحكماء : (أحسنُ الكلام : ما لا يُحتاج فيه إلى الكلام) أي : يُكتفى بالفعل من القول .

وقال محمود الوراق^(٢) :

[من السريع]

القولُ ما صدَّقه الفعلُ والفعلُ ما وكدَّه العقلُ
لا يثبتُ الفرعُ إذا لم يكن يُقلُّهُ من تحته الأصلُ

ومن آدابه : أن يراعيَ مخارجَ كلامه بحسبِ مقاصده وأغراضه ؛ فإنَّ كانَ ترغيباً . . قرنه باللين واللطف ، وإنَّ كانَ ترهيباً . . خلطه بالخشونة والعنف ؛ فإنَّ لينَ اللفظ في الترهيب ، وخشونته في الترغيب . . خروجٌ عن موضوعهما ، وتعطيلٌ للمقصود بهما ، فيصير الكلام لغواً ، والغرض المقصود لهواً .

(١) رواه في « تاريخ دمشق » (٢٣٢ / ٢٢) ، و« ربيع الأبرار » (٢٩٠ / ٥) .

(٢) البيهقي في « ديوانه » (ص ١٦٩) .

وقد قال أبو الأسود الدؤلي لابنه : (يا بني ، إذا كنت في قوم .. فلا تتكلم بكلام من هو فوقك فيمقتوك ، ولا بكلام من هو دونك فيزدروك)^(١) .

ومن آدابه : ألا يرفع بكلامه صوتاً مستكراً ، ولا ينزعج له انزعاجاً مستهجنأ ، وليكف عن حركة تكون طيشأ ، وعن إشارة تكون عبأ ؛ فإن نقص الطيش أكثر من فضل البلاغة .

وقد حكي : أن الحجاج قال لأعرابي : (أخطيب أنا ؟ قال : نعم ؛ لولا أنك تكثر الرد ، وتشير باليد ، وتقول : أما بعد)^(٢) .

ومن آدابه : أن يتجافى هجر القول ، ومستقبح الكلام ، وليعدل إلى الكناية عما يستقبح صريحه ، ويستهجئ فصيحته ، ليلغ الغرض ولسانه نزهة ، وأدبه مصون .

وقد قال محمد بن علي في تأويل قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴾ قال : (كانوا إذا ذكروا القروج .. كنوا عنها)^(٣) .

وكما أنه يصون لسانه عن ذلك .. فهكذا يصون سمعه عنه ، فلا يسمع خناً^(٤) ، ولا يصغي إلى فحش ؛ فإن سماع الفحش داع إلى إظهاره ، وذريعة إلى إكثاره ، وإذا وُجد عن الفحش معرضاً .. كف قائله ، وكان إعراضه أحد النكيرين ؛ كما أن استماعه أحد الباعثين .

(١) أورده في « التذكرة الحمدونية » (٣ / ٣٤٢) ، و « ربيع الأبرار » (٥٧٧ / ٢) .

(٢) أورده في « الصناعتين » (ص ١٥٩) ، و « نثر الدر » (٨٢ / ٦) ، والأعرابي : هو ابن القرية ، وتكلم ابن السماك يوماً وجارية له تسمع ، فلما انصرف إليها .. قال : (كيف سمعت كلامي ؟ قالت : ما أحسنه ؛ لولا أنك تكثر ترداده !! فقال : أرده حتى يفهمه من لم يفهمه ، قالت : إلى أن يفهمه من لم يفهمه .. قد مله من فهمه) .

(٣) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٧٨٥١) عن مجاهد ، وأورده في « محاضرات الأدباء »

(٥٠٤ / ٣) عن محمد بن سيرين رحمه الله تعالى .

(٤) الخنا : الفحش في المنطق .

وَأَشْدَنِي أَبُو الْحَسَنِ بْنُ أَبِي الْحَارِثِ الْهَاشِمِيُّ^(١) :

[من المتقارب]

تَحَرَّ مِنْ الطَّرْقِ أَوْسَاطَهَا وَعَدَّ عَنِ الْمَوْضِعِ الْمَشْتَبِهِ
وَسَمِعَكَ صُنْ عَنْ سَمَاعِ الْقَبِيحِ كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ بِهِ
فَإِنَّكَ عِنْدَ اسْتِمَاعِ الْقَبِيحِ شَرِيكَ لِقَائِهِ فَاَنْتَبِهْ

ومما يجري مجرى فحش القول وهجره في وجوب اجتنابه ، ولزوم تنجبه ..
ما كان شنع البديهة^(٢) ، مستنكر الظاهر وإن كان مع التأمل سليماً ، وبعد الكشف
والرؤية مستقيماً ؛ كالذي رواه الأزدي ، عن الصولي لبعض المتكلفين من
الشعراء^(٣) :

إِنَّنِي شَيْخٌ كَبِيرٌ كَافِرٌ ، بِاللَّهِ سِيرِي
أَنْتَ رَبِّي ، وَإِلَهِي رَازِقُ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ
يريد بقوله : (كافرٌ) أي : لابسٌ ؛ لأنَّ الكفرَ التَّغْيِيبَ ؛ ولذلك سُمِّيَ الكافر
بالله كافراً ، لأنه قد غطى نعمة الله بمعصيته .

وقوله : (باللهِ سيري) أقسم عليها بالله تعالى أن تسير .
وقوله : (أَنْتَ رَبِّي) يعني : رَبِّي وَلَدِكْ ؛ من التربية ، (وَإِلَهِي رَازِقُ الطِّفْلِ
الصَّغِيرِ) كما أنَّه رَازِقُ الْجِلْدِ الْكَبِيرِ .

فانظر إلى هذا التكلُّف البَشِيع ، والتعمُّق الشَّنِيع ، ما اعتاضَ من حيث
البديهة إذا سلم بعد الفكر والرؤية إلا لوماً إن حسن فيه الظنُّ ، أو ذمّاً إن قوي فيه
الارتيابُ ، وقلماً يكون ذلك إلا من خَلِيع بَطَر ، أو مُرْتَاب أَشِر .

فأمَّا الحديثُ المرويُّ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « لَا تُصَلُّوا عَلَى

(١) الأبيات لمحمود الوراق في «ديوانه» (ص ٢٦٧) ، ونسبها في «الزهرة» (٢/٢٠٠) لعمّار بن
ياسر ، وفي «معجم الأدباء» (٩٢/٤) للحسين بن محمد الشَّهْوَاجِي .

(٢) لزوم تنجبه : لزوم تجنّبه والعدول عنه .

(٣) أورد البيهقي في «الزهرة» (٢/٣٣١) ، وجعل قوله : (سيري) مستأنفاً .

النَّبِيِّ»^(١) . . فخارجٌ عن هذا النوع من التلبس ، وفي تأويله وجهان :

أحدهما : أنه أراد التَّهْيَ عن الصلاة في المكان المرتفع المُحدَوِد ، مأخوذاً من النَّبْوة .

والثاني : أنه أراد به الطريق ، ومنه سُمِّيَ رسلُ الله أنبياءً ؛ لأنَّهم الطُّرُقُ إليه .
وإنَّما زال عنه التلبسُ إذ قاله النبيُّ صلى الله عليه وسلم - وإن كان من قول غيره تلبساً شنعاً - لأنَّ موضوعَ خطابه ، وشواهدَ أحواله . . يصرفان كلامه عن التَّجَوُّز والاسترسال في أمرٍ أو نهْيٍ إلى ما يجوز أن يرد به شرعٌ ، وينهى عنه نبِيٌّ ، وليس يمتنع ذلك في غيره ؛ فلذلك ما افترق وجوده منه ومن غيره .

ومن آدابه : أن يجتنب أمثالَ العامَّة الغوغاء ، ويتخصَّص بأمثال العلماء والأدباء ؛ فإنَّ لكلِّ صنفٍ من الناس أمثالاً تُشاكِلُهُمْ ، فلا تجد لساقطٍ إلا مثلاً ساقطاً ، وتشبيهاً مستقبِحاً .

وقد قال الصَّنَوْبَرِيُّ^(٢) :

وللسَّقَّاطِ أمثالٌ فَمِنْهَا تَمَثَّلُهُمْ لَذي الشَّيْءِ المُرِيبِ
إذا ما كُنْتَ ذا بَولٍ صَحيحٍ ألا فاضربْ بِهِ وَجَهَ الطَّيِّبِ
ولذلك علَّتان :

إحدهما : أن الأمثال من هواجس الهَمَم ، وخطرات النفوس فلم تكن لذي الهمة الساقطة إلا مثلاً مردولاً ، وتشبيهاً معلولاً .

والثانية : أن الأمثال مستخرجةٌ من أحوال المتمثِّلين بها ، فبحسب ما هم عليه تكون أمثالهم .

فلهاتين العلَّتَيْنِ ما وقع الفرقُ بين أمثال الخاصة والعامَّة .

(١) أورده في « النهاية في غريب الحديث » (١١ / ٥) .

(٢) البيتان في « ديوانه » (ص ٣٩٧) ، يقال : له بول كثير ؛ أي : ولد أو عدد كثير ، وبال الماء : إذا انفجر ، ومعنى المثل : إذا كنت صحيحاً . . فلا تُبالِ ما صنعت .

وربما ألف المتخصص مثلاً عامياً ، وتشبيهاً ركيكاً ؛ لكثرة ما يطرق سمعه من مخالطة الأردال ، فيسترسل في ضربه مثلاً ، فيصير به في الناس مثلاً ؛ كالذي حكي عن الأصمعيّ : أنَّ الرشيد سألَهُ يوماً عن أنساب بعض العرب ، فقال : (على الخبير سقطت يا أمير المؤمنين ، فقال له الفضل بن الربيع : أسقط الله حسك !! أتخاطبُ أمير المؤمنين بمثل هذا الخطاب ؟)^(١) .

فكان الفضل بن الربيع مع قلة علمه أعرف بما يُستعمل من الكلام في محاوره الخلفاء من الأصمعيّ الذي هو واحد عصره ، وقرعُ دهره .

وللأمثال في الكلام مواقع في الأسماع ، وتأثير في القلوب ، لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها ، ولا يؤثر تأثيرها ؛ لأنَّ المعاني بها لائحة ، والشواهد عليها واضحة ، والنفوس لها وامة ، والقلوب بها واثقة ، والعقول لها موافقة^(٢) .

ولذلك ضرب الله تعالى الأمثال في كتبه ، وجعلها من دلائل رُسله ، وأوضح بها الحجة على خلقه ؛ لأنها في العقول مقبولة ، وفي القلوب معقولة .

ولها أربعة شروط :

أحدها : صحة التشبيه ، وإصابة التمثيل .

والثاني : أن يكون العلمُ بها سابقاً ، والكلُّ عليها موافقاً .

والثالث : أن يسرع وصولها إلى الفهم ، ويتعجل تصوُّرها في الوهم ، من غير ارتباك في استخراجها ، ولا كدَّ فكرٍ في استنباطها .

والرابع : أن تناسب حال السامع ؛ لتكون أبلغ تأثيراً ، وأحسن موقعاً .

فإذا جمعت الأمثال المضروبة هذه الشروط الأربعة . . كانت زينة الكلام ، وجلاء المعاني ، ونذير الأفهام .

(١) أورده في « محاضرات الأدباء » (٣٨٦ / ١) بنحوه .

(٢) وامة : عاشقة محبة لتلك الغرابية .

الفصل الثاني

في الصبر والجموع

اعلم : أنَّ من حسن التوفيق ، وأمارات السعادة الصبر في المُلِمَّات ، والرَّفَقَ عند النوازل ، بذلك نزل الكتاب ، وجاءت السنة .

قال الله تعالى : ﴿ يَتَّيِبُهَا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْدِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ .

يعني : ﴿ أَصْدِرُوا ﴾ على ما افترض الله عليكم ، ﴿ وَصَابِرُوا ﴾ عدوكم ، ﴿ وَرَابِطُوا ﴾ فيه تأويلان ؛ أحدهما : وربطوا على الجهاد ، والثاني : رابطوا على انتظار الصلوات^(١) .

وروى أبو هريرة رضي الله تعالى عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يُحْبِطُ اللَّهُ بِهِ الْخَطَايَا ، ويرفعُ به الدَّرَجَاتِ ؟ » قالوا : بلى ، يا رسول الله ، قال : « إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ الْمَكَارِهِ ، وَكَثْرَةُ الْخُطَا إِلَى الْمَسَاجِدِ ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ ؛ فَذَلِكَ الرِّبَاطُ ، فَذَلِكَ الرِّبَاطُ »^(٢) .

فنزل الكتاب بتأكيد الصبر فيما أمر به وندب إليه ، وجعله من عزائم التَّقْوَى فيما افترضه وحثَّ عليه .

رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الصَّبْرُ سَتْرٌ مِنَ الْكُرُوبِ ، وَعَوْنٌ عَلَى الْخُطُوبِ »^(٣) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (الصَّبْرُ مَطِيَّةٌ لَا تَكْبُو ، والقناعة سيفٌ لا يَنْبُو)^(٤) .

(١) انظر « تفسير الطبري » (٢٧٧-٢٧٦ / ٤ / ٣) .

(٢) رواه مسلم (٢٥١) ، والترمذي (٥٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

(٣) أورده في « لباب الآداب » (ص ٢٩٣) ، و« سراج الملوك » (٣٩٦ / ١) .

(٤) أورده في « محاضرات الأدباء » (٣٢٧ / ٤) ، و« سراج الملوك » (٣٩٦ / ١) .

وقال عبد الحميد : لم أسمع أعجب من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (لو أن الصبر والشكر بعيران .. ما باليتُ أيُّهما ركبتُ) (١) .

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (أفضلُ العُدَّة : الصَّبْرُ على الشَّدَّة) (٢) .

وقال بعض البلغاء : (من خير خِلالك : الصَّبْرُ على اختلالك) .

وقيل في منشور الحكم : (مَنْ أَحَبَّ البقاء .. فليُعدَّ للمصائب قلباً صبوراً) (٣) .

وقال بعض الحكماء : (بالصبر على مواقع الكُرْه تُدرَكُ الحظوظُ) (٤) .

وقال بعض الشعراء وهو عبيد بن الأبرص (٥) :

صَبْرِ النَّفْسِ عِنْدَ كُلِّ مُلِمٍّ إِنَّ فِي الصَّبْرِ حِيلَةَ الْمُحْتَالِ
لَا تَضِيقَنَّ فِي الْأُمُورِ فَقْدُكَ شَفُّ غَمَائِهَا بِغَيْرِ احْتِيَالِ
رَبِّمَا تَجَزَعُ النَّفْسُ مِنَ الْأَمْرِ رِ لَهْ فَرْجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ

وقال ابن المقفع في كتاب « اليتيمة » : (الصَّبْرُ صبران ؛ فاللثامُ أصبرُ أجساماً ، والكرامُ أصبرُ نفوساً ، وليس الصَّبْرُ الممدوحُ صاحبه أن يكون الرجلُ قويَّ الجسد على الكدِّ والعمل ؛ لأنَّ هذا من صفات الحمير ، ولكن أن يكون للنفس غُلُوباً ، وللأُمُور محتملاً ، ولجأشه عند الحِفاظ مرتبطاً) (٦) .

(١) أورده في « البيان والتبيين » (١٢٦/٣) عن أبي عبد الحميد ، وقول سيدنا عمر رضي الله عنه رواه ابن أبي الدنيا في « الصبر » (٧) ، و « المجالسة وجواهر العلم » (١٥٥٨) .

(٢) أورده في « سراج الملوك » (٣٩٦/١) ، و « المحاسن والمساوي » (ص ٣٠٥) .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الاعتبار » (٢١) ، و « تاريخ دمشق » (٢٠٩/١٩) من قول عبد الرحمن بن أبي بكرة رضي الله عنهما .

(٤) أورده في « لباب الآداب » (ص ٢٩٤) ، و « سراج الملوك » (٣٩٦/١) .

(٥) الأبيات في « ديوانه » (ص ٣٣٠) .

(٦) انظر « الأدب الكبير » (ص ٢٦٨) ضمن « آثار ابن المقفع » ، والحِفاظ : الغضب .

واعلم : أن الصبر على ستة أقسام ، وهو في كل قسم منها محمودٌ .

فأول أقسامه وأولاه : الصبر على امتثال ما أمر الله تعالى به ، والانتفاء عما نهى الله تعالى عنه ؛ لأنَّ به تخلص الطاعة ، وبخلوص الطاعة يصحُّ الدين ، وتؤدَّى الفروض ، ويُستحقُّ الثواب ؛ كما قال تعالى في مُحْكَم الكتاب : ﴿ إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ .

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الصَّبْرُ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْجَسَدِ » (١) .

وليس لمن قلَّ صبره على طاعة الله تعالى حظٌّ من برٍّ ، ولا نصيبٌ من صلاح ، ومن لم يرَ لنفسه صبراً يكسبها ثواباً ، ويدفع عنها عقاباً . كان مع سوء الاختيار بعيداً من الرِّشَاد ، حَقِيقاً بالضَّلَال .

وقد قال الحسن البصريُّ : (يا مَنْ يطلب من الدنيا ما لا يلحقه ؛ أترجو أن تلحق من الآخرة ما لا تطلبه ؟) (٢) .

وقال أبو العتاهية (٣) :

أراك امرأً ترجو من الله عَفْوَهُ وَأَنْتَ عَلَى مَا لَا يُحِبُّ مُقِيمٌ
تدُلُّ عَلَى التَّقْوَى وَأَنْتَ مُقَصِّرٌ فَيَا مَنْ يُدَاوِي النَّاسَ وَهُوَ سَقِيمٌ
وهذا النوع من الصبر إنما يكون لفرط الجزع ، وشدة الخوف ؛ فإنَّ مَنْ خاف الله تعالى . . صبر على طاعته ، ومن جزع من عقابه . . وقف عند أوامره .

والقسم الثاني : الصبر على ما تقصَّت أوقاته به من رَزِيَّةٍ قد أجهده الحزنُ عليها ، أو حادثة قد استكدَّ الكَمَدُ والهَمُّ بها (٤) ؛ فإنَّ الصبر عليها يُعَقِّبُ الراحةَ

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (٣١٠٧٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٠) عن سيدنا علي رضي الله عنه موقوفاً .

(٢) أورده في « الكشكول » (١٥٣ / ٢) .

(٣) البیتان في « دیوانه » (ص ٣٤٧ - ٣٤٨) .

(٤) الرزية : المصيبة ، واستكده : أتعبه وأثقل كاهله .

منها ، ويكسبه المَثُوبَةُ بها ؛ فَإِنْ صَبِرَ طَائِعاً ، وَإِلَّا . . . احتمال هَمّاً لازماً ، وصبر كارهاً آثماً .

ورُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يقول الله تعالى : مَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَائِي ، وَلَمْ يَصْبِرْ عَلَيَّ بِلَائِي . . . فليَحْتَزِرْ رَبّاً سِوَايَ »^(١) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام للأشعث بن قيس : (إِنَّكَ إِنْ صَبَرْتَ . . . جَرَى عَلَيْكَ الْقَلَمُ وَأَنْتَ مَاجُورٌ ، وَإِنْ جَزَعْتَ . . . جَرَى عَلَيْكَ الْقَلَمُ وَأَنْتَ مَازُورٌ)^(٢) .

فذكر ذلك أبو تمام في شعره ، فقال^(٣) :

وقال عليٌّ في التَّعَاذِي لِأَشْعَثَ وخافَ عليه بعضَ تلكَ المآثمِ
أَتَصْبِرُ لِلْبَلَاءِ عَزَاءً وَحِسْبَةً فتُوجَرَأُ أو تُسَلُّو سُلُوَّ الْبَهَائِمِ
وقال شبيب بن شيبَةَ للمهدي : (إِنَّ أَحَقَّ مَا صَبِرَ عَلَيْهِ . . . ما لم تجدُ سبيلاً
إِلَى دَفْعِهِ) ، وأنشد :

وَإِذَا تُصِيبُكَ مُصِيبَةٌ فَاصْبِرْ لَهَا عَظُمَتْ مُصِيبَةُ مُبْتَلًى لَا يَصْبِرُ^(٤)
وقال آخر^(٥) :

تَصَبَّرْتُ مَغْلُوباً وَإِنِّي لَمَوْجَعٌ كَمَا صَبَرَ الظَّمْآنُ فِي الْبَلَدِ الْقَفْرِ
وَلَيْسَ أَصْطَبَارِي عَنْكَ صَبْرَ اسْتَطَاعَةٍ وَلَكِنَّهُ صَبْرٌ أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ

والقسم الثالث : الصبر على ما فات إدراكه من رغبة مرجوة ، وأعوز نيْلُه من مسرة مأمولة ؛ فَإِنَّ الصبر عنها يُعَقِّبُ السَّلْوةَ مِنْهَا ، وَالْأَسْفَ بَعْدَ الْيَأْسِ خُرْقٌ .

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٣٢٠ / ٢٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٦٠ / ٢١) ، وفي الحديث : الحث على الرضا بالقضاء ، والصبر على البلاء .

(٢) أورده في « التذكرة الحمدونية » (١٩٥ / ٤) ، و« شرح نهج البلاغة » (١٩٢ / ١٩) ؛ وفيه وفي (ب) : (جرى عليك القدر) في الموضعين .

(٣) البيتان في « ديوانه » (٢٥٩ / ٣) .

(٤) أورده في « سراج الملوك » (٤٠٠ / ١) ، وروى البيت في « تاريخ دمشق » (١٥ / ٣٦) لسليمان بن عبد الملك .

(٥) البيت الأول في « ديوان أبي حكيمة » (ص ١١٩) ، وفي « زهر الآداب » (٦٥٨ / ٢) .

رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ أُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَمُنِعَ فَصَبَرَ ، وَظَلِمَ فَغَفَرَ ، وَظَلَمَ فَاسْتَغْفَرَ . أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ » (١) .

وقال بعض الحكماء : (اجعل ما طلبته من الدنيا فلم تنله مثل ما لم يخطر ببالك ولم تنله) (٢) .

وقال بعض الشعراء (٣) :

إِذَا مَلَكَ الْقَضَاءُ عَلَيْكَ أَمْرًا فَلَيْسَ يَحُلُّهُ غَيْرُ الْقَضَاءِ
فَمَا لَكَ وَالْمُقَامَ بَدَارِ ذُلٍّ وَدَارُ الْعِزِّ وَاسِعَةُ الْفَضَاءِ

وقال بعض الحكماء : (إِنْ كُنْتَ تَجْزَعُ عَلَى مَا فَاتَ مِنْ يَدِكَ . . فَاجْزَعْ عَلَى مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ) (٤) .

فأخذه بعض الشعراء فقال (٥) :

لَا تُطِلِ الْحُزْنَ عَلَى فَائِتٍ فَقَلَمَّا يُجِدِي عَلَيْكَ الْحَزْنَ
سَيَّانٍ مُحْزُونٍ عَلَى فَائِتٍ وَمُضْمِرٍ حُزْنًا لِمَا لَمْ يَكُنْ

والقسم الرابع : الصبر فيما يخشى حدوثه من رهبة يخافها ، أو يحذر حلوله من نكبة يخشاها ، فلا يتعجل هم ما لم يأت ؛ فَإِنَّ أَكْثَرَ الهموم كاذبة ، والأغلب من الخوف مدفوع .

(١) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٣٨ / ٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤١١٧) عن سيدنا سَخْبَرَةَ رضي الله عنه .

(٢) رواه في « طبقات الصوفية » (ص ٨٠) من قول أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى ؛ وفي (ب ، ج) : (ببالك فلم تنله) .

(٣) أورد البيتين في « ديوان المعاني » (١٩٣ / ٢) ، و « التذكرة الحمدونية » (٧٩ / ١) منسوباً لسيدنا علي رضي الله عنه ، وهما في « ديوانه » (ص ٣٥) برواية وقافية أخرى .

(٤) أوردته في « التذكرة الحمدونية » (٣٣٠ / ٣) ، و « شرح ديوان البلاغة » (٣٢٤ / ١) من وصية سيدنا علي لابنه محمد رضي الله عنهما .

(٥) البیتان لمحمود الوراق في « ديوانه » (ص ١٨٣) .

وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بالصَّبْرِ يُتَوَقَّعُ الْفَرَجُ ،
وَمَنْ يُدِمِّنْ قَرَعَ الْأَبْوَابِ .. يَلْجُ »^(١) .

وقال الحسن البصري : (لا تَحْمِلَنَّ عَلَى يَوْمِكَ هَمَّ غَدِكَ ، فَحَسْبُ كُلِّ يَوْمٍ
هَمُّهُ)^(٢) .

وأنشد الجاحظ لحارثة بن بدر^(٣) :

إذا الهمُّ أمسى وَهُوَ داءٌ فأمضِهِ ولستَ بمُضِيهِ وَأَنْتَ تُعَادِلُهُ
ولا تُنْزِلَنَّ أَمْرَ الشَّدِيدَةِ بامرئٍ إذا همَّ امرأٌ عَوَّقَتْهُ عَوَازِلُهُ
وقلْ للفؤادِ إنْ نَزَا بكْ نَزْوَةً منَ الرُّوعِ أَفْرِخْ أَكْثُرُ الهمِّ باطلُهُ

والقسم الخامس : الصبر فيما يتوقعه من رغبة يرجوها ، ويتنظره من نعمة
يأملها ؛ فإنه إن أدهشه التوقع لها ، وأذهله التطلع إليها . انسدت عليه سبلُ
المطالب ، واستفزّه تسويلُ المطامع ؛ فكان أبعدَ لرجائه ، وأعظمَ لبلائه .

وإذا كان مع الرَّغبة وَقوراً ، وعند الطلب صَبوراً .. انجلت عنه عَمَائُهُ
الدَّهْشُ ، وانجابت عنه حَيْرَةُ الْوَلَةِ ، فأبصر رشده ، وعرف قصده .

وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الصَّبْرُ ضِيَاءٌ »^(٤) يعني -
والله أعلم - : أنه يكشف ظُلَمَ الْحَيَرةِ ، ويوضح حقائق الأمور .

وقال أكتثم بن صيفي : (مَنْ صَبَرَ .. ظَفِرَ)^(٥) .

(١) الشطر الأول من الحديث أورده في « المستطرف » (٣٣٤ / ٢) ، والثاني رواه في « شعب الإيمان »
(٩٥٣٠) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٩٧٨٥) عن سيدنا أبي الدرداء رضي الله عنه .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٤) ، ورواه في « تاريخ دمشق » (٦٨ / ٦٠) من قول السيد
المسيح عليه السلام .

(٣) الأبيات في « البيان والتبيين » (٢١٨ / ٣) ، وتعادله : تحار بين فعله وتركه ، وأفرخ الروح : ذهب
الفرع .

(٤) رواه مسلم (٢٢٣) ، والترمذي (٣٥١٧) عن سيدنا أبي مالك الأشعري رضي الله عنه .

(٥) رواه القالي في « الأمالي » (١٧٢ / ٢) ، وأورده في « سراج الملوك » (١ / ٣٩٥) .

وقال ابن المقفع : (كان في قصر أردشير مكتوبٌ : الصبرُ مفتاحُ الدرك)^(١) .

وقال بعض الحكماء : (بحسن التأني تسهلُ المطالبُ)^(٢) .

وقال بعض البلغاء : (مَنْ صَبَرَ .. نال المُنَى ، وَمَنْ شَكَرَ .. حصَّنَ التَّعْمَى) .

وقال محمد بن بشير^(٣) :

[من البسيط]

إِنَّ الْأُمُورَ إِذَا انْسَدَّتْ مُطَالِبُهَا فَالصَّبْرُ يَفْتَقُ مِنْهَا كُلَّ مَا ارْتَجَا
لَا تِيَأْسَنَّ وَإِنْ طَالَتْ مُطَالِبُهُ إِذَا اسْتَعْنَتْ بِصَبْرٍ أَنْ تَرَى فَرَجًا
أَخْلَقُ بِذِي الصَّبْرِ أَنْ يَحْظَى بِحَاجَتِهِ وَمُدْمِنْ الْقَرَعِ لِلْأَبْوَابِ أَنْ يَلْجَا

والقسم السادس : الصبر على ما نزل من مكروه ، أو حلٍّ من أمرٍ مخوف ، وبالصبر في هذا تنفتح وجوه الآراء ، وتُستدفع مكاييد الأعداء ؛ فإنَّ مَنْ قَلَّ صَبْرُهُ .. عَزَبَ رَأْيُهُ ، واشتدَّ جَزَعُهُ ، فصار صريعَ همومه ، وفريسةَ غمومه^(٤) .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ .

روى ابن عباس رضي الله عنهما ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُعَامِلَ اللَّهَ بِالرِّضَا وَالْيَقِينِ .. فَافْعَلْ ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ .. فَاصْبِرْ ؛ فَإِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّهُ خَيْرًا كَثِيرًا ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ ، وَالْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ ، وَالْيُسْرَ مَعَ الْعُسْرِ »^(٥) .

(١) أورده في « سراج الملوك » (٣٩٥ / ١) .

(٢) أورده في « ترتيب المدارك » (٥٠٠ / ١) من قول عيسى بن مسكين رحمه الله تعالى ، و« سراج الملوك » (٧٦٤ / ٢) .

(٣) أورد الأبيات في « شعراء أمويون » (٢٠٠ / ٣) .

(٤) عَزَبَ رَأْيُهُ : غاب وضلَّ ، وفريسة غمومه : مقتول غمومه ومغلوبها .

(٥) رواه الحاكم في « المستدرک » (٥٤١ / ٣) ؛ وفي غير (أ) : (أن تعمل لله بالرضا) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (الصبرُ : مناضلُ الحِذْثانِ ،
والجَزَعُ : من أعوانِ الزَّمانِ)^(١) .

وقال بعض الحكماء : (بمفتاح عزيمة الصبر تُعالج مغاليقُ الأمور)^(٢) .

وقال بعض البلغاء : (عند انسداد الفُرج تبدو مَطالِعُ الفَرَج)^(٣) .

روى ابن عباس رضي الله عنهما : (أنَّ سليمان بن داود عليهما الصلاة
والسلام لما استكدَّ شياطينه في البناء . . شكَّوا ذلك إلى إبليس لعنه الله ، فقال :
أَلَسْتُمْ تَذْهَبُونَ فُرْغاً وترجعون مشاغِلَ ؟ قالوا : بلى ، قال : ففي هذا لكم راحةٌ .

فبلغ ذلك سليمان ، فشغلهم ذاهبين وراجعين ، فشكَّوا ذلك إلى إبليس
لعنه الله ، فقال : أَلَسْتُمْ تستريحون بالليل ؟ قالوا : بلى ، قال : ففي هذا راحةٌ
لكم نصفَ دهرِكم .

فبلغ ذلك سليمان عليه السلام ، فاستعملهم بالليل والنهار ، فشكَّوا ذلك إلى
إبليس لعنه الله ، فقال : الآن جاءكم الفَرَجُ ، فما لِبِثُوا أن أُصِيبَ سليمان عليه
السلام ميتاً على عصاه)^(٤) .

فإذا كان هذا في نبيٍّ من أنبياء الله عليهم السلام ؛ يعمل بأمره ، ويقف على
حدِّه . . فكيف بما جرَّته الأقدارُ من أيدٍ عادية ، وساقه القضاء من حوادث نازلة ،
هل تكونُ مع التناهي إلا منقرضةً ، وعند بلوغ الغاية إلا منحسرةً ؟!

وأنشد بعض الأدباء لعثمان بن عفان رضي الله عنه^(٥) :

خليلي لا والله ما من مُلِّمةٍ تدومُ على حيٍّ وإن هي جَلَّتْ
[من الطويل]

(١) أوردته في « ربيع الأبرار » (١٨٧/٣) ، و « شرح نهج البلاغة » (٣٢٠/١) ، والمناضلة : المراماة ،
والحِذْثان : نوابغ الدهر ومصائبه .

(٢) أوردته في « جمهرة الأمثال » (٢٤٤/١) ، و « البصائر والذخائر » (١٥٣/٤) .

(٣) أوردته في « نزهة المجالس » (٨٤/١) .

(٤) أوردته في « نهاية الأرب » (١٣٧/١٤) ، و « نزهة المجالس » (٨٤/١) ، واستكدَّ شياطينه : أتعبهم
في بناء بيت المقدس .

(٥) أورد الأبيات سوى الرابع في « الفرج بعد الشدة » (٦/٥) ، والثالث والرابع في « الكشكول » (٧١/٢) .

فَإِنْ نَزَلَتْ يَوْمًا فَلَا تَخْضَعْنَ لَهَا وَلَا تُكْثِرِ الشَّكْوَى إِذَا النَّعْلُ زَلَّتِ
فَكَمْ مِنْ كَرِيمٍ قَدْ بُلِيَ بِنَوَائِبِ فَصَابِرَهَا حَتَّى مَضَتْ وَاضْمَحَلَّتِ
وَكَمْ غَمْرَةٍ هَاجَتْ بِأَمْوَاجِ غَمْرَةٍ تَلْقَيْتُهَا بِالصَّبْرِ حَتَّى تَجَلَّتِ
وَكَانَتْ عَلَى الْأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الدَّلِّ ذَلَّتِ
فَقُلْتُ لَهَا يَا نَفْسُ مُوتِي كَرِيمَةً فَقَدْ كَانَتْ الدُّنْيَا لَنَا ثَمًّا وَلَّتِ

ولتسهيل المصائب ، وتخفيف الشدائد أسباب ، إذا قارنت حزمًا ، وصادفت
عزمًا . . هان وقعها ، وقل تأثيرها وضررها .

فمنها : إشعار النفس بما تعلمه من حلول الفناء ، وتقضي المسار ، وأن لها
أجالاً منصرفة ، ومُددًا منقضية ؛ إذ ليس للدنيا حالٌ تدوم ، ولا لمخلوق فيها
بقاء .

روى ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رَاكِبٍ ؛ مَالَ إِلَى ظِلِّ شَجَرَةٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ ، ثُمَّ رَاحَ
وَتَرَكَهَا » (١) .

وسئل علي بن أبي طالب عليه السلام عن الدنيا ، فقال : (تَغُرُّ وَتَضُرُّ
وَتُمَرُّ) (٢) .

وسئل بعض الحكماء عن الدنيا ، فقال : (إِذَا أَقْبَلَتْ . . أَدْبَرَتْ) .

وقال عمرو بن عبيد : (الدُّنْيَا أَمَدٌ ، وَالْآخِرَةُ أَبَدٌ) (٣) .

وقال أنوشروان : (إِنْ أَحْبَبْتَ أَلَّا تَغْنَمَ . . فَلَا تَقْتَنِ شَيْئًا) (٤) .

(١) رواه الحاكم في « المستدرک » (٤ / ٣١٠) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٣٥٤٤٤) .

(٢) أورده في « محاضرات الأدباء » (٤ / ٦١) ، و « شرح نهج البلاغة » (٢٠ / ٥١) ، وتغر : تخدع وتطمع
بالباطل .

(٣) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣ / ٢٧٣) ، وابن أبي الدنيا في « الزهد » (٢٣٧) من قول عبيد بن
عمير الليثي .

(٤) في (هـ) : (فلا تقتن ما به تهتم) .

[من الطويل]

فأخذه بعض الشعراء فقال^(١) :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهْرَ مِنْ سُوءِ فِعْلِهِ يُكَدِّرُ مَا أُعْطِيَ وَيَسْلُبُ مَا أُسْدِي
فَمَنْ سَرَّهُ إِلَّا يَرَى مَا يَسُوهُ فَلَا يَتَّخِذُ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَقْدَا

[من الكامل]

وأنشد بعض الحكماء :

لِحَكِيمِنَا بُقْرَاطُ خَيْرُ قَضِيَّةٍ وَوَصِيَّةٍ تَنْفِي الِهُمُومَ الرُّكْدَا
قَالَ الِهُمُومُ تَكُونُ مِنْ طَمَعِ الْوَرَى فِي لَبِّ مَا فِي طَبْعِهِ أَنْ يَنْفَدَا
فَإِذَا اقْتَنِيتَ مِنَ الزُّجَاجَةِ قَابِلًا لِلْكَسْرِ فَاَنْكَسَرَتْ فَلَا تَكُ مُكْمَدَا

[من مجزوء الرمل]

وأنشدني بعض أهل العلم لسعيد بن سلم^(٢) :

إِنَّمَا الدُّنْيَا هِبَاتٌ وَعَوَارٍ مُسْتَرْدَّةٌ
شِدَّةٌ بَعْدَ رَخَاءٍ وَرَخَاءٌ بَعْدَ شِدَّةٍ

ولَمَّا قُتِلَ بُزْرَجُمَهْرَ . . وَجِدَ فِي جَيْبِ قَمِيصِهِ رَقْعَةً فِيهَا مَكْتُوبٌ : (إِذَا لَمْ يَكُنْ جَدًّا . . فَفَيْمَ الْكَدِّ ؟ وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْأَمْرِ دَوَامٌ . . فَفَيْمَ الشُّرُورِ ؟ وَإِذَا لَمْ يَرِدِ اللَّهُ تَعَالَى دَوَامٌ مُلْكٍ . . فَفَيْمَ الْحِيلَةِ ؟)^(٣) .

[من الطويل]

وقال ابن الرومي^(٤) :

رَأَيْتُ حَيَاةَ الْمَرْءِ رَهْنًا بِمَوْتِهِ وَصَحَّتَهُ رَهْنًا كَذَلِكَ بِالسُّقْمِ
إِذَا طَابَ لِي عَيْشٌ تَنْغَصْتُ طِيبَهُ بِصِدْقٍ يَقِينِي أَنْ سِيذْهَبُ كَالْحُلْمِ
وَمَنْ كَانَ فِي عَيْشٍ يِرَاعِي زَوَالَهُ فَذَلِكَ فِي بَوْسٍ وَإِنْ كَانَ فِي نَعْمِ

(١) أوردهما في « التذكرة الحمدونية » (١٠٥ / ٨) ، و « المستطرف » (٢٨٨ / ٢) لعبد الله بن طاهر ، وفي « الإعجاز والإيجاز » (ص ٢٤٢) لعبد الله بن عبد الله بن طاهر .

(٢) أورده في « نهاية الأرب » (١١١ / ٦) ، ونسبه في « الفرج بعد الشدة » (١٩ / ٥) لأبي العتاهية ، وهو في « ديوانه » (ص ٥٢٤) .

(٣) جَد : البخت والحظ والنصيب ؛ أي : إذا لم يكن لك حظ . . فلا تتعب نفسك ، ودوام ملك : دوام حياة .

(٤) الأبيات في « ديوانه » (٢١٢٩ / ٥) .

ومنها : أن يتصوّر انجلاء الشدائد ، وانكشاف الهموم ، وأنها تتقدّر بأوقات لا تتصرّم قبلها ، ولا تستديم بعدها ، ولا تقصّر بجزع ، ولا تطول بصبر ، وأنّ كلّ يوم يمرّ بها . فهو يذهب منها بشطر ، ويأخذ منها بنصيب ، حتّى تنجلي وهو عنها غافل .

حُكي : أنّ الرشيد حبس رجلاً ، ثم سأل عنه بعد زمان ، فقال للموكل به : (قل له : كلّ يوم يمضي من نعيمك . . يمضي من بؤسي مثله ، والأمّر قريب ، والحكم الله تعالى)^(١) .

فأخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال^(٢) :

لو أنّ ما أنتم فيه يدوم لكم	ظنّنت ما أنا فيه دائماً أبداً
لكن رأيت الليالي غير تاركة	ما ساء من حادثٍ أو سرٍّ مُطرّداً
فقد سكّنت إلى أنّي وأنكم	سنستجدّ خلاف الحالين غداً
وأنشدت لبعض الشعراء ^(٣) :	

[من الطويل]

عواقبُ مكروهِ الأمورِ خيارُ	وأيامُ شرٍّ لا تدومُ قصارُ
وليسَ بياقِ بُؤسها ونعيمها	إذا كَرَّ ليلٌ ثمَّ كَرَّ نهارُ

وأنشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين حضرته الوفاة^(٤) :

[من الوافر]

ألم تر أنّ ربّك ليس تُحصى	أياديهِ الحَديثَةُ والقَدِيمَةُ
تسلّ عن الهموم فليس شيءٌ	يُقيمُ ولا همومُك بالمُقيمةِ
لعلّ الله ينظرُ بعدَ هذا	إليكَ بنظرةٍ منه رَحيمةِ

(١) أوردته في « عيون الأخبار » (٣٧٥ / ٢) ، و « العقد الفريد » (١٦١ / ٢) .

(٢) أورد الأبيات في « الإيضاح في علوم البلاغة » (ص ٤٠٧) ، و « التذكرة الحمدونية » (٢٧ / ٨) ، و « ذيل تاريخ بغداد » (٧٣ / ١٩) .

(٣) روى البيهقي في « الفرج بعد الشدة » (٢٩٤ / ١) ، و « الوافي بالوفيات » (٣٦٨ / ٧) لابن ثوبة الكاتب .

(٤) أورد الأبيات ابن أبي الدنيا في « الفرج بعد الشدة » (٩٨ - نسخة المتلدى الإسلامي) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٥٤٩) ، والأبيادي : النعم ؛ فلا النعم دائمة ، ولا الهموم والأحزان دائمة .

ومنها : أن يعلم أنَّ فيما وُقِي من الرِّزايا ، وكُفِي من الحوادث . . ما هو أعظم من رزيتِه ، وأشدُّ من حادثته ؛ ليعلم أنه ممنوحٌ بحسن الدفاع .
ولذلك قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الله تعالى في أثناء كلِّ مِحنةٍ منحةٌ » .

وقيل للشعبي في نائبةٍ : (كيف أصبحت ؟ قال : بين نعمتين : خيرٍ منشورٍ ، وشرٍّ مستورٍ) .

وقال بعض الشعراء^(١) :

[من الكامل]

لا تَكْرِهِ المَكْرُوءَةَ عِنْدَ حُلُولِهِ إِنَّ العَوَاقِبَ لَمْ تَزَلْ مُبَايِنَةً
كَمْ نِعْمَةٍ لَا تَسْتَقِلُّ بِشُكْرِهَا اللَّهُ فِي طَيِّ المَكَارِهِ كَامِنَةٌ

ومنها : أن يتأسَّى بذوي الغَيْرِ ، ويتسلَّى بأولي العِبرِ ، ويعلم أنَّهم الأكثرون عدداً ، والأسرعون مدداً ، فيستنجد من سلوة الأسيِّ وحسن العزاء ما يخففُ شَجْوَهُ ، ويُقِلُّ هَلَعَهُ .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (الصَّقُوا بِذَوِي الغَيْرِ . . تَسْغِ قلوبُكم) .

وعلى مثل ذلك كانت مراثي الشعراء ، حتَّى قال البحتريُّ^(٢) :

[من الطويل]

فَلا عَجَبٌ لِلأُسْدِ إِنْ ظَفِرَتْ بِهَا كَلَابُ الأَعَادِي مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمٍ
فَحَرْبُهُ وَحَشِيٌّ سَقَتْ حِمْزَةَ الرَّدَى وَمَوْتُ عَلِيٍّ مِنْ حَسَامِ ابْنِ مُلْجَمٍ

وقال أبو فراس^(٣) :

[من الكامل]

المَرءُ بَيْنَ مَصَائِبٍ مَا تَنْقُضِي حَتَّى يُوَارَى شَخْصُهُ فِي رَمْسِهِ
فَمُوجَلٌّ يَلْقَى الرَّدَى فِي أَهْلِهِ وَمُعْجَلٌّ يَلْقَى الرَّدَى فِي نَفْسِهِ

(١) البيتان في « ديوان سيدنا علي » رضي الله عنه (ص ٢٥٤) .

(٢) البيتان في « ديوانه » (٣/ ١٩٤٨) .

(٣) البيتان في « ديوانه » (ص ١٤٢) .

ومنها : أن يعلم أَنَّ النَّعَمَ زائِرَةٌ ، وَأَنَّهَا لَا مُحَالَةَ زَائِلَةٌ ، وَأَنَّ السُّرُورَ بِهَا إِذَا أَقْبَلَتْ مَشُوبٌ بِالْحُزْرِ مِنْ فِرَاقِهَا إِذَا أُدْبِرَتْ ، وَأَنَّهَا لَا تَمُزُّ بِإِقْبَالِهَا فَرَحًا حَتَّى تُعْقِبَ بِفِرَاقِهَا تَرَحُّاً ، فَعَلَى قَدْرِ السُّرُورِ يَكُونُ الْحُزْنُ .

وقد قيل في منشور الحكم : (المفروحُ به هو المحزونُ عليه)^(١) .

وقيل : (مَنْ بَلَغَ غَايَةَ مَا يَحِبُّ . . فليَتَوَقَّعْ غَايَةَ مَا يَكْرَهُ)^(٢) .

وقال بعض الحكماء : (مَنْ عَلِمَ أَنَّ كُلَّ ثَابِتٍ إِلَى انْقِضَاءٍ . . حَسُنَ عَزَاؤُهُ عِنْدَ نَزُولِ الْبَلَاءِ)^(٣) .

وقيل للحسن البصري رحمه الله : (كيف ترى الدنيا ؟ فقال : شغلني توقُّعُ بِلَائِهَا عَنِ الْفَرَحِ بِرِخَائِهَا)^(٤) .

فأخذه أبو العتاهية فقال^(٥) :

[من السريع]

تَزِيدُهُ الْإَيَّامُ إِنْ أَقْبَلَتْ شِدَّةَ خَوْفٍ لَتَصَارِفِهَا
كَأَنَّهَا فِي حَالِ إِسْعَافِهَا تُسْمِعُهُ وَقْعَةَ تَخْوِيفِهَا

ومنها : أن يعلم أَنَّ سُرُورَهُ مَقْرُونٌ بِمَسَاءَةِ غَيْرِهِ ، وَكَذَلِكَ حُزْنُهُ مَقْرُونٌ بِسُرُورِ غَيْرِهِ ؛ إِذْ كَانَتْ الدُّنْيَا تَتَنَقَّلُ مِنْ صَاحِبٍ إِلَى صَاحِبٍ ، وَتَصِلُ صَاحِباً بِفِرَاقِ صَاحِبٍ ، فَتَكُونُ سُرُوراً لِمَنْ وَصَلَتْهُ ، وَحُزْناً لِمَنْ فَارَقَتْهُ .

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَا قُرِعَتْ عَصَا عَلَى عَصَا إِلَّا فَرِحَ لَهَا قَوْمٌ ، وَحُزِنَ آخَرُونَ »^(٦) .

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٣) ، و « الكشكول » (١ / ٨٤) .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٣) ، و « محاضرات الأدباء » (٤ / ٥٦) .

(٣) أورده في « سراج الملوك » (١ / ٤٠٠) .

(٤) أورده في « الكشكول » (٢ / ٦٦) .

(٥) البيتان في « ديوانه » (ص ١٦٥ - دار صادر) .

(٦) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٢٩٥) ، وأبو عبيد في « الأمثال » (ص ٢٥٨) .

وقال البحرئي^(١) :

[من الطويل]

مَتَى أَرَتِ الدُّنْيَا نَبَاهَةً خَامِلٍ فَلَا تَرْتَقِبْ إِلَّا خُمُولَ نَبِيهِ

وأوضحه المتنبي فقال^(٢) :

[من الطويل]

بِذَا قَضَتِ الْأَيَّامُ مَا بَيْنَ أَهْلِهَا مَصَائِبُ قَوْمٍ عِنْدَ قَوْمٍ فَوَائِدُ

وأنشد بعض أهل الأدب^(٣) :

[من الطويل]

أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا غَضَارَةٌ أَيْكَةٌ إِذَا اخْضَرَ مِنْهَا جَانِبٌ جَفَّ جَانِبُ
فَلَا تَفْرَحَنَّ مِنْهَا لَشَيْءٍ تَفِيدُهُ سِيذْهَبُ يَوْمًا مِثْلَمَا أَنْتَ ذَاهِبُ
وَمَا هَذِهِ الْأَيَّامُ إِلَّا فَجَائِعٌ وَمَا الْعَيْشُ وَاللَّذَاتُ إِلَّا مَصَائِبُ
فَلَا تَكْتَحِلْ عَيْنَاكَ مِنْهَا بِعَبْرَةٍ عَلَى ذَاهِبٍ فِيهَا فَإِنَّكَ ذَاهِبُ

ومنها : أن يعلم أنَّ طوارق الإنسان من دلائل فضله ، ومَحَنَهُ من شواهد
نُبلِهِ ؛ ولذلك إحدى عِلَّتَيْنِ :

- إمَّا لِأَنَّ الْكَمَالَ مُعَوِزٌ ، وَالنَّقْصَ لَازِمٌ ، فَإِذَا تَوَفَّرَ الْفَضْلُ عَلَيْهِ . . صار النقص
فيما سواه .

وقد قيل : (مَنْ زِيدَ فِي عَقْلِهِ . . نُقِصَ مِنْ رِزْقِهِ)^(٤) .

ورُوي عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « مَا انْتَقَصَتْ جَارِحَةٌ مِنْ إِنْسَانٍ
إِلَّا كَانَتْ ذِكَاءً فِي عَقْلِهِ » .

وقال أبو العتاهية^(٥) :

[من البسيط]

مَا جَاوَزَ الْمَرْءُ مِنْ أَطْرَافِهِ طَرَفًا إِلَّا تَخَوَّنَهُ النُّقْصَانُ فِي طَرَفٍ

(١) البيت في « ديوانه » (٢٣٩٩ / ٤) .

(٢) البيت في « ديوانه » (٢٧٦ / ١) .

(٣) الأبيات لابن عبد ربه في « ديوانه » (ص ٤٩) ، والغضارة : النعمة والسعة والخصب والوفرة في
العيشة ، والأيكَة : هو الشجر الملتف الكثير ، وفجائع - جمع فجيرة - : وهي الرزية والمصيبة .

(٤) رواه في « حلية الأولياء » (٢٧١ / ٧) من قول سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى .

(٥) البيت في « ديوانه » (ص ٢٣٩) .

[من الطويل]

وأنشد بعض الأدباء لإبراهيم بن هلال الكاتب (١) :

إذا جمعت بين امرأتين صناعةً فأحببت أن تدري الذي هو أحذق
فلا تتفقد منهما غير ما جرت به لهما الأرزاق حين تُفرق
فحيث يكون النقص فالرزق واسعٌ وحيث يكون الفضل فالرزق ضيقٌ

- وإما لأنّ ذا الفضل محسود ، وبالأذى مقصود ؛ فهو لا يسلم من برة مُعادٍ ،
واشتطاط مُناوٍ (٢) .

[من الكامل]

وقد قال الصنوبري (٣) :

مَحْنُ الْفَتَى يُخْبِرُنَ عَنْ فَضْلِ الْفَتَى كَالنَّارِ مُخْبِرَةٌ بِفَضْلِ الْعَبْرِ
وقلّما تكون محنةً فاضلٍ إلا من جهة ناقص ، وبلوى عالم إلا على يد جاهل ؛
لاستحكام العداوة بينهما بالمباينة ، وحدوث الانتقام لأجل التّقدم .

[من الطويل]

وقد قال الشاعر (٤) :

فلا غَرَوْ أَنْ يُمْنِي أَدِيبٌ بِجَاهِلٍ فَمِنْ ذَنْبِ التَّنِينِ تَنْكِسِفُ الشَّمْسُ

ومنها : ما يعتاضه من الارتياض بنوائب عصره ، ويستفيذه من الحنكة بلاواء
دهره ، فيصلب عودُه ، ويستقيم عمودُه (٥) ، ويكمل بأدبي شدته ورخائه ،
ويتعظ بحالتي عفوه وبلائه .

حُكي عن ثعلب قال : (دخلتُ على عبيد الله بن سليمان بن وهب وعليه خلعٌ

(١) أورد الأبيات في « يتيمة الدهر » (٣٤٦/٢) ، و« معجم الأدباء » (٣١٣/١) .

(٢) لا يسلم من جور معاديه في حال بره وإحسانه ، فكيف في حال عقوقه وعصيانه ؟

(٣) البيت في « ديوانه » (ص ٩٩) .

(٤) البيت لأبي الفتح البستي في « ديوانه » (ص ٤٣٦) ، لا غَرَوْ : لا عجب ، وأن يُمْنِي : أن يُبتلى به ،
والتنين : نجم على شكل الحية في الفلك .

(٥) المراد به : عقله ورأيه ، استعار العود والعمود لهما بملاحظة أن كلا منهما يعتمد عليه ، وفي المثل :

(زاحم بعود أو دع) أي : استعن على حركك بالمشايخ الكُمل الذين جرّبوا الأمور .

الرّضا بعد النّكبة ، فلمّا مثلتُ بين يديه . . قال لي : يا أبا العباس : [من مخلع البسيط]

نوائبُ الدّهْرِ أدبَنِي وإنّما يُوعَظُ الأديبُ
قد ذُقْتُ حُلُوءاً وَذُقْتُ مُرّاً كذاك عيشُ الفتى ضروبُ
لم يَمُضِ بؤسٌ ولا نعيمٌ إلا وَلِي فيهِمَا نصيبُ
كذاك مَنْ صاحَبَ اللَّيالي تعرّوه في مرّها الحُطوبُ
قلت : لَمَن هذه الأبيات ؟ قال : لي (١) .

ومنها : أن يخبرَ أمورَ زمانه ، ويتنبّه على صلاح شأنه ، فلا يغترَّ برخاء ، ولا يطمعَ في استواء ، ولا يأملَ أن تبقى الدنيا على حالة ، أو تخلو من تقلُّب واستحالة ؛ فإنَّ مَنْ عرف الدنيا ، وخبر أحوالها . . هان عليه بؤسها ونعيمها .

أنشد بعض الأدباء (٢) :

إنّي رأيتُ عواقبَ الدُّنيا فتركتُ ما أهوى لما أخشى
فكرتُ في الدُّنيا وعالمِها فإذا جميعُ أمورِها يفنى
وبلوتُ أكثرَ أهلِها فإذا كلُّ امرئٍ في شأنِهِ يسعى
أسنى منازلِها وأرفعُها في العزِّ أقربُها من المَهوى
تقفو مساوِئِها محاسِنُها لا شيءَ بينَ النّعي والبُشرى
ولقد مررتُ على القُبورِ فما ميّزتُ بينَ العبدِ والمَولى
أترأى تدري كم رأيتُ من الـ أحياءٍ ثم رأيتُهم مَوتى

فإذا ظفر المصابُ بأحد هذه الأسباب . . تخفّفت عنه أحزانه ، وتسهّلت عليه أشجانه ، فصار وشيك السّلوّة ، قليل الجَزَع ، حسن العزاء .

(١) روى الأبيات سوى الأخير في « الأغاني » (٢٧ / ٩٣٠٢) لسليمان بن وهب يذكر نكبته أيام الواثق .

(٢) الأبيات سوى الرابع لأبي العتاهية في « ديوانه » (ص ٩ - ١٠) ، فتركت ما أهوى : ما أحبه من متاعها ؛ لما أخشى من حسابها وعقابها ، ومن المهوى : أقربها من السقوط .

قال بعض الحكماء : (مَنْ حاذر . . لم يهلع ، وَمَنْ راقب . . لم يجزع ، وَمَنْ
كان متوقّعا . . لم يُلفَ متوجّعا)^(١) .

وقال بعض الشعراء^(٢) :

ما يكونُ الأمرُ سهلاً كُلُّهُ إِنَّمَا الدَّهْرُ سُهولٌ وَحُزُونٌ
هَوْنُ الأمرِ تَعِشْ فِي راحةٍ قَلَمَّا هَوْنَتْ إِلَّا سِيهُونٌ
تَطْلُبُ الرَّاحَةَ فِي دَارِ العِنا ضَلَّ مَنْ يَطْلُبُ شَيْئاً لَا يَكُونُ

وإن أغفل نفسه من دواعي السَّلوة ، ومنعها من أسباب الصبر . . تضاعف عليه
من شدة الأسى وهمّ الجزع ما لا يُطيق صبراً عليه ، ولا يجدُ سُلْواً عنه .

وقال ابن الرومي^(٣) :

إِنَّ البَلَاءَ يُطَاقُ غَيْرَ مُضَاعَفٍ فَإِذَا تَضَاعَفَ صَارَ غَيْرَ مُطَاقٍ

فإن ساعد جزعه بالأسباب الباعثة عليه ، وأيد هلعَه بالذرائع الداعية إليه . .
فقد سعى في حَتفه ، وأعان على تَلفه .

فمن أسباب ذلك : تذكُّرُ المُصاب ، حتّى لا يتناساه ، وتصوُّره ، حتّى
لا يعزُب عنه ، ولا يجدُ مع التَّدْكار سَلْوة ، ولا يخلط مع التصوُّر تعزية .

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (لَا تَسْتَغْزِرُوا الدِّمَوعَ بِالتَّذْكَرِ)^(٤) .

وقال الشاعر^(٥) :

..... لَا يَبْعَثُ الْأَحْزَانَ مِثْلُ التَّذْكَرِ

(١) أورده في « سراج الملوك » (٤١٠ / ١) ، وبعضه في « محاضرات الأدباء » (٣٢٩ / ٤) .

(٢) الأبيات لعمر بن حِلْزَةَ الشُّكْرِيِّ كما في « الحماسة البصرية » (١٦٨٤ / ٤) ، ووردت في « ديوان
سيدنا علي » رضي الله عنه (ص ٢٥٩) ، وفي (ب ، ج) : (دار الفنا) .

(٣) البيت في « ديوانه » (١٦٦٢ / ٤) .

(٤) كذا أورده في « سراج الملوك » (٤٠٩ / ١) ، ورواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٧٣٦ / م) ،
و« عيون الأخبار » (٢٩٨ / ٢) بلفظ : (استغزروا العيون بالتذكر) .

(٥) البيت لليلي الأخيلية في « ديوانها » (ص ٤٦) ؛ وصدره : (سَمْعَنَ بِهِجَا أَزْهَقْتَ فَذَكَرَنَهُ . . .) .

ومنها : الأسف وشدة الحسرة ، فلا يرى من مُصابه خَلْفاً ، ولا يجدُ لمفقوده بَدَلاً ، فيزداد بالأسف وَلَهْماً ، وبالحسرة هَلْعاً .

ولذلك قال الله تعالى : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ .

وقال بعض الشعراء^(١) :

إذا ابْتُلِيتَ فِيقَ بِاللّهِ وَارْضَ بِهِ إِنَّ الَّذِي يَكْشِفُ الْبَلْوَى هُوَ اللّهُ
إذا قَضَى اللّهُ فَاستَسْلِمَ لِقُدْرَتِهِ مَا لَامَرِيءٍ حِيلَةٌ فِيمَا قَضَى اللّهُ
اليأسُ يَقْطَعُ أحياناً بِصاحِبِهِ لَا تَيَأْسَنْ فَإِنَّ الصَّانِعَ اللّهُ

ومنها : كثرة الشكوى ، وبثُّ الجَزَعِ ؛ فقد قيل في قوله تعالى : ﴿ فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴾ : إِنَّهُ الصَّبْرُ الَّذِي لَا شَكْوَى فِيهِ ، وَلَا بَثٌّ^(٢) .

وروى أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَا صَبَرَ مَنْ بَثٌّ »^(٣) .

وحكى كعب الأحبار : أَنَّهُ مَكْتُوبٌ فِي التَّوْرَةِ : (مَنْ أَصَابَهُ مُصِيبَةٌ فَشَكَا إِلَى النَّاسِ .. فَإِنَّمَا يَشْكُورُ رَبَّهُ)^(٤) .

وحكى : أَنَّ أَعْرَابِيَّةً دَخَلَتْ مِنَ الْبَادِيَةِ ، فَسَمِعَتْ صَوَارِخَ فِي دَارٍ ، فَقَالَتْ : (مَا هَذَا ؟ فَقِيلَ لَهَا : مَاتَ لَهُمْ إِنْسَانٌ ، فَقَالَتْ : مَا أَرَاهُمْ إِلَّا مِنْ رَبِّهِمْ يَسْتَغِيثُونَ ، وَبِقَضَائِهِ يَتَبَرَّمُونَ ، وَعَنْ ثَوَابِهِ يَرْغَبُونَ)^(٥) .

وقيل في منشور الحكم : (مَنْ ضَاقَ قَلْبُهُ .. اتَّسَعَ لِسَانُهُ)^(٦) .

(١) روى البيهقي الأول والثالث ابن عساكر في « معجم الشيوخ » (٨٣٩) لصالح بن عبد القدوس ، والأوليين في « الفرج بعد الشدة » (٢٠ / ٥) فيما يروى لأبي العتاهية .

(٢) انظر « تفسير الطبري » (٨٨ / ٢٩ / ١٤) .

(٣) رواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٣ / ٢) ، وبث ؛ أي : نشر بلاءه .

(٤) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٩٠٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٥٧٣) من قول فرقد السبخي رحمه الله تعالى .

(٥) أورده في « محاضرات الأدباء » (٣٣٠ / ٤) ، ويتبرمون : يتضجعون .

(٦) أورده في « عيون الأخبار » (٤٠ / ١) ، و« الموشى » (ص ٤٦) من قول المهلب بن أبي صفرة .

وأنشدني بعض أهل العلم^(١) :

[من مشطور الرجز]

لا تُكثِرِ الشَّكْوَى إِلَى الصَّدِيقِ
وَارْجِعْ إِلَى الْخَالِقِ لَا الْمَخْلُوقِ
لَا يُخْرِجُ الْغَرِيقُ بِالْغَرِيقِ

وقال بعض الشعراء^(٢) :

[من الكامل]

لَا تَشْكُ دَهْرَكَ مَا صَحَّحَتْ بِهِ إِنَّ الْغِنَى هُوَ صِحَّةُ الْجِسْمِ
هَبَكَ الْخَلِيفَةُ كُنْتَ مُتْنَفِعًا بَغْضَارَةِ الدُّنْيَا مَعَ السُّقَمِ

ومنها : اليأس من جبر مُصابه ، ودرك طَلابه ؛ فيقترن بحزن الحادثة قنوطُ
الإيَّاس ، فلا يبقَى معهما صبرٌ ، ولا يتَّسع لهما صدرٌ ؛ ولذلك قيل : (المصيبةُ
بالصبر أعظمُ المصيبتين)^(٣) .

وقال ابن الرومي^(٤) :

[من مجزوء الرمل]

اصْبِرْ لِي أَتَيْتُهُمَا النَّفْ سُنْ فَإِنَّ الصَّبْرَ أَحْجَى
رَبِّمَا خَابَ رَجَاءٌ وَأَتَى مَا لَيْسَ يُرْجَى

وأنشدني بعض أهل الأدب^(٥) :

[من الطويل]

أَتَحْسَبُ أَنَّ الْبُؤْسَ لِلْحُرِّ دَائِمٌ وَلَوْ دَامَ شَيْءٌ عَدَّةُ النَّاسِ فِي الْعَجَبِ

(١) أورد الأبيات في « سراج الملوك » (٤٠٩ / ١) .

(٢) أورد البيتين في « التذكرة الحمدونية » (٣٣٧ / ٤) ، و « معجم الأدباء » (٥٠٠ / ٥) لعمارة بن حمزة الكاتب .

(٣) أوردته في « المحاسن والمساوىء » (ص ٣٩٦) ، و « سراج الملوك » (٤١٠ / ١) ، وهو أعظم المصيبتين ؛ لأن الصبر عوضٌ عن المفقود ، ولا عوض عن الصبر ؛ فلذا كان أعظم .

(٤) البيتان لأبي تمام في « ديوانه » (٥٠٤ / ٤) .

(٥) أورد الأبيات في « الفرج بعد الشدة » (٨١ / ٥) لسعد بن محمد الأزدي ، والبيتين الأخيرين في « معجم الأدباء » (٦٣ / ٤) للحسين بن عبد الرحيم ابن أبي الزلازل ، وصرف دهره : نوائبه ومصائبه ، وأعياءه : أعجزه .

لَقَدْ عَرَفْتَكَ الْحَادِثَاتُ نَفْسَهَا وَقَدْ أَدَّبَتْ إِنْ كَانَ يَنْفَعُكَ الْأَدَبُ
وَلَوْ طَلَبَ الْإِنْسَانُ مِنْ صَرْفِ دَهْرِهِ دَوَامَ الَّذِي يَخْشَى لِأَعْيَاهُ مَا طَلَبَ

ومنها : أَنْ يُعْرِى بِمِلَاحِظَةِ مَنْ حِيطَتْ سَلَامَتُهُ ، وَحُرِسَتْ نَعْمَتُهُ^(١) ؛ حَتَّى
التَّحْفَ بِالْأَمْنِ وَالِدَّعَةَ ، وَاسْتَمْتَعَ بِالثَّرْوَةِ وَالسَّعَةِ ، وَيَرَى أَنَّهُ قَدْ خُصَّ مِنْ بَيْنِهِمْ
بِالرِّزْيَةِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُسَاوِيًا ، وَأُفْرِدَ بِالْحَادِثَةِ بَعْدَ أَنْ كَانَ مُكَافِيًا ، فَلَا يَسْتَطِيعُ صَبْرًا
عَلَى بَلَوَى ، وَلَا يَلْتَزِمُ شُكْرًا عَلَى نِعْمَى ، وَلَوْ قَابِلَ بِهَذِهِ النِّظَرَةِ مِلَاحِظَةً مَنْ
شَارَكَهُ فِي الرِّزْيَةِ ، وَسَاوَاهُ فِي الْحَادِثَةِ . . لِتُكَافَأَ عِنْدَهُ الْأَمْرَانِ ، فَهَانَ عَلَيْهِ
الصَّبْرُ ، وَحَانَ مِنْهُ الْفَرْجُ .

أُنْشِدْتُ لَامْرَأَةٍ مِنَ الْعَرَبِ^(٢) :

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ صَبْرًا إِنْ بَعَدَ الْعُسْرُ يُسْرًا
كَمْ رَأَيْنَا الْيَوْمَ حُرًّا لَمْ يَكُنْ بِالْأَمْسِ حُرًّا
مَلِكُ الصَّبْرِ فَأُضْحَى مَالِكًا خَيْرًا وَشَرًّا
اشْرَبَ الصَّبْرَ وَإِنْ كَا نَ مَنْ الصَّبْرِ أَمَرًّا

وَأُنْشِدُ بَعْضُ أَهْلِ الْأَدَبِ^(٣) :

يُرَاعُ الْفَتَى لِلخَطْبِ تَبْدُو صُدُورُهُ فَيَأْسَى وَفِي عُقْبَاهُ يَأْتِي سُرُورُهُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّيْلَ لَمَّا تَرَكَامَتْ دُجَاهُ بَدَا وَجْهُ الصَّبَاحِ وَنُورُهُ
فَلَا تَصْحَبَنَّ الْيَأْسَ إِنْ كُنْتَ عَالِمًا لَبِيبًا فَإِنَّ الدَّهْرَ شَتَّى أُمُورُهُ

(١) أَنْ يُعْرِى : أَنْ يُولَعَ وَيَحْرُضَ ، وَحِيطَتْ سَلَامَتُهُ : صَبِنَتْ وَحُفِظَتْ .

(٢) الْأَبْيَاتُ لِلخَبْرَارِزِيِّ فِي « دِيوانه » (الْقِطْعَةُ رَقْم ٢٧٨) ، مِنْ الصَّبْرِ أَمْرًا : هُوَ بِكُسْرِ الْبَاءِ نَبَاتٌ شَدِيدُ
الْمَرَارَةِ ، وَسَكَنْتَ بَاوَهُ لِلضَّرُورَةِ .

(٣) أَوْرَدَ الْأَبْيَاتَ فِي « الْفَرْجِ بَعْدَ الشَّلَّةِ » (ص ٨٠ - ٨١) لِسَعْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَزْدِيِّ ، وَشَتَّى : فَعْلٌ مَاضٍ مِنْ
التَّشْتَيْتِ ؛ وَهُوَ التَّفَرُّقُ الْكَثِيرُ .

واعلم : أنه قلَّ مَنْ صبر على حادثةٍ وتماسك في نكبةٍ إلا كان انكشافها وشيكاً ، وكان الفرَجُ منها قريباً .

أخبرني بعض أهل الأدب : أن أبا أيوبَ الكاتبِ حُيس في السجن خمسَ عشرةَ سنةً ، حتَّى ضاقت حيلُهُ ، وقلَّ صبرُهُ ، فكتب إلى بعض إخوانه يشكو طولَ حبسه ، وقلةَ صبره ، فردَّ عليه جواب رقعته :

صبراً أبا أيوبَ صَبْرَ مُبْرَحٍ فإذا عجزتَ عن الخُطوبِ فمَنْ لَهَا
إنَّ الذي عقدَ الذي انعقدتَ له عَقْدُ المَكَارِهِ فيكَ يملكُ حلَّها
صبراً فإنَّ الصَّبْرَ يُعْقِبُ راحةً ولعلَّها أن تنجلي ولعلَّها
فأجابه أبو أيوبَ :

صَبْرَتَنِي ووعظتني وأنا لَهَا وستنجلي بل لا أقولُ لعلَّها
ويحلُّها مَنْ كان صاحبَ عَقْدِها كَرَمًا به إذ كان يملكُ حلَّها
قال : فلم يلبثَ بعد ذلك في السَّجنِ إلا أياماً يسيرةً ، ثم أطلق مُكرِّماً^(١) .

وأشدد ابن دريد عن أبي حاتم^(٢) :
إذا اشتملتَ على اليأسِ القُلُوبُ وضاقَ لما به الصَّدْرُ الرَّحِيبُ
وأوطنتِ المَكَارِهِ واطمأننتَ وأرستَ في أَمَاقِهَا الخُطُوبُ
ولم تَرَ لانكشافِ الضَّرِّ وَجْهًا ولا أغنى بحيلَتِهِ الأريبُ
أتاك على قُنُوطٍ منك غَوثٌ يَمُنُّ به اللَّطِيفُ المُسْتَجِيبُ
وكلُّ الحادثاتِ وإنْ تناهتْ فموصولٌ بها فَرَجٌ قَرِيبُ

(١) رواه في « الفرج بعد الشدة » (١٨٦/١ - ١٨٧) ، وابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١٨٣/١٩ - ١٨٤) ، والأخوان : أبو أيوب سليمان والحسن ابنا وهب ، وصبر مبرح : اسم مفعول من التبريح ؛ وهو شدة الأذى .

(٢) أورد الأبيات في « وفيات الأعيان » (٣٩٩/٦) لابن السكيت ، ورواها في « تاريخ دمشق » (٥٢٣/٤٢) لسيدنا علي رضي الله عنه ، وهي في « ديوانه » (ص ٤٥) ، وأوطنت : اتخذت المكاره والمصائب وطناً ، وأرست : ثبتت .

[من الكامل]

ولبعضهم في هذا المعنى :

وإذا الأمور تعدّرت ثمّ التوت هبط القضاء من السماء فحلّها
فاصبر لها ولعلّها أن تنجلي وعسى الذي عقد الأمور يحلّها

الفصل الثالث في المشورة

اعلم : أنَّ من الحزم لكل ذي لبٍّ ألاَّ يُبرمَ أمراً ، ولا يُمضيَ عزماً إلاَّ بمشورة ذي الرأي الناصح ، ومطالعة ذي العقل الراجح ؛ فإنَّ الله تعالى أمر بالمشورة نبيّه صلى الله عليه وسلم مع ما تكفَّل به من إرشاده ، ووعدّه من تأييده ، فقال تعالى : ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ ^(١) .

واختلف في معنى أمره بالمشاورة ؛ فقال قتادة : (أمره بمشاورتهم ؛ تألفاً لهم ، وتطبيعاً لأنفسهم) .

وقال الضحاك : (أمره بمشاورتهم ؛ لما علم فيها من الفضل) .

وقال الحسن البصريُّ : (أمره بمشاورتهم ؛ ليستنَّ به المسلمون ، ويتبعه فيها المؤمنون وإن كان عن مشاورتهم غنياً) ^(٢) .

رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « المشاورة : حصنٌ من الندامة ، وأمانٌ من الملامة » ^(٣) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (نعمَ المؤازرةُ المشاورةُ ، وبشَرِ الاستعدادُ الاستبدادُ) ^(٤) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (الرجالُ ثلاثةٌ : رجلٌ تردُّ عليه الأمورُ

(١) اختلف في اشتقاق المشورة ؛ ف قيل : من (شرت العسل) إذا جنيته ؛ فكان المستشير يجني الرأي من المشير ، وقيل : من (شرت الدابة) إذا أجريتها مقبلة ومدبرة لتختبرها ، والمكان الذي يعرض فيه الدواب يُسمى مشواراً كأنه بالعرض يُعلم خيره وشره ؛ فكذلك يُعلم بالمشاورة خير الأمور وشرها .
(٢) أورد الأقوال الطبري في « تفسيره » (١٩٣ - ١٩٢ / ٤ / ٣) وجعل الأخير قول سفيان بن عيينة رحمه الله تعالى .

(٣) أوردته في « محاضرات الأدباء » (٥٢ / ١) .

(٤) أوردته في « نهاية الأرب » (٦٩ / ٦) ؛ وفي هامش (أ) : (وقد ورد مسنداً أيضاً) ، وأوردته مرفوعاً في « محاضرات الأدباء » (٥٢ / ١) .

فَيُصَدِّرُهَا بِرَأْيِهِ ، وَرَجُلٌ يُشَاوِرُ فِيمَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ ، وَيَنْزِلُ حَيْثُ يَأْمُرُهُ أَهْلُ الرَّأْيِ ، وَرَجُلٌ حَائِزٌ بِائِثٌ ، لَا يَأْتِمُرُ رُشْدًا ، وَلَا يَطِيعُ مُرْشِدًا ^(١) .

وقال عمر بن عبد العزيز : (إن المشورة والمناظرة بابا رحمة ، ومفتاحا بركة ، لَا يَضِلُّ مَعَهُمَا رَأْيٌ ، وَلَا يُفْقَدُ مَعَهُمَا حَزْمٌ) ^(٢) .

وقال سيف بن ذي يزن : (مَنْ أُعْجِبَ بِرَأْيِهِ .. لَمْ يَشَاوِرْ ، وَمَنْ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ .. كَانَ مِنَ الصَّوَابِ بَعِيدًا) ^(٣) .

وقال عبد الحميد : (الْمُشَاوِرُ فِي رَأْيِهِ نَازِعٌ مِنْ وَرَائِهِ) .

وقيل في منشور الحكم : (المشورة راحةٌ لك ، وتعبٌ على غيرك) ^(٤) .

وقال بعض الحكماء : (الاستشارة عين الهداية ، وقد خاطر مَنْ استغنى برأيه) ^(٥) .

وقال بعض الأدباء : (ما خاب مَنْ استخار ، ولا ندم مَنْ استشار) ^(٦) .

وقال بعض البلغاء : (من حقَّ العاقل : أن يضيف إلى رأيه آراء العقلاء ، ويجمع إلى عقله عقول الحكماء ؛ فالرأي الفذُّ ربُّما زلٌّ ، والعقل الفردُّ ربُّما ضلٌّ) ^(٧) .

وقال بشار بن برد ^(٨) :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن
برأي نصيح أو مشورة حازم

(١) رواه ابن أبي شيبة في « المصنف » (١٧٤٣٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧١٣١) بنحوه ، وحائر بائر : فاسد رأيه ، وهالك لم يتجه برأيه إلى شيء .

(٢) أوردته في « العقد الفريد » (١٩٣/١) من قول المهدي .

(٣) أوردته في « جمهرة الأمثال » (١٣٥/١) ، و « بهجة المجالس » (٤٥٧/١) من قول قتيبة بن مسلم .

(٤) أوردته في « التذكرة الحمدونية » (٣٠٦/٣) ، و « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤١٨) من قول ابن المعتز .

(٥) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤١٧) ، و « المستطرف » (٩٤/١) .

(٦) رواه الشهاب في « مسنده » (٧٧٤) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٦٦٢٣) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه .

(٧) أوردته في « لباب الآداب » (ص ٦٠) ، و « الكشكول » (١٥٣/٢) .

(٨) البيتان في « ديوانه » (١٩٣/٤) ، وعليك غضاضة ؛ أي : ذلاً ومنقصة ، والخوافي : إما العيون الذين =

ولا تجعل الشورى عليك غصاصة فإن الخوافي قوة للقوادم

فإذا عزم على المشاورة . . ارتاد لها من أهلها من قد استكملت فيه خمس خصال :

إحدهن : عقلٌ كاملٌ مع تجربةٍ سالفة ؛ فإن بكثرة التجارب تصحُّ الروية .

وقد روى أبو الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « استرشدوا العاقل . . ترشدوا ، ولا تعصوه فتندموا »^(١) .

وقال عبد الله بن الحسن لابنه محمد : (احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً كما تحذر عداوة العاقل إذا كان عدواً ؛ فإنه يوشك أن يورطك بمشورته ، فيسبق إليك مكر العاقل ، وتوريط الجاهل)^(٢) .

وقيل لرجلٍ من عبس : (ما أكثر صوابكم !! قال : نحن ألف رجل ، وفينا حازمٌ ، ونحن نطيعه ، فكأننا ألف حازم)^(٣) .

وكان يقال : (إياك ومشاورة رجلين : شابٌ مُعجَبٌ بنفسه ، قليل التجارب في غيره ، أو كبيرٌ قد أخذ الدهر من عقله كما أخذ من جسمه)^(٤) .

وقيل في منشور الحكم : (كلُّ شيءٍ يحتاجُ إلى العقل ، والعقلُ يحتاجُ إلى التجارب)^(٥) .

= يتقدمون الجيش ؛ ليتجسسوا مكامن الأعداء ، وهم قوة للعسكر القوادم ، وإما الريش الصغير لجناح الطائر هو قوة لمقادمه ؛ فكذلك المشورة قوة للمستشير .

(١) رواه الخطيب البغدادي في « المتفق والمفترق » (٤٦٦/١) ، والشهاب في « مسنده » (٧٢٢) .

(٢) أورده في « البيان والتبيين » (٣٣٢/١) ، و « لباب الآداب » (ص ١٥) .

(٣) أورده في « عيون الأخبار » (٣٢/١) ، ورواه في « شعب الإيمان » (٨٠٣٩) .

(٤) أورده في « عيون الأخبار » (١٥/١) ، و « التذكرة الحمدونية » (٣٠٨/١) ممّا كتبه أبرويز إلى ابنه شبرويه .

(٥) أورده في « البصائر والذخائر » (٩٧/٤) ، و « المجالسة وجواهر العلم » (٢/٥٩٩) .

ولذلك قيل : (الأيَّامُ تهتِكُ لك عن الأستار الكامنة) .

وقال بعض الحكماء : (التجاربُ ليست لها غايةٌ ، والعاقلُ منها في زيادة)^(١) .

وقال بعض البلغاء : (مَنْ استعان بذوي العقول . . فاز بدَرَكَ المأمول)^(٢) .

وقال أبو الأسود الدؤلي^(٣) :

[من الطويل]

وما كُلُّ ذِي لُبٍّ بِمُؤْتِيكَ نُصْحَهُ ولا كُلُّ مُؤْتٍ نُصْحَهُ بَلِيبٍ
ولكنْ إذا ما استجمعا عندَ صاحبٍ فحقَّ له من طاعةٍ بنصيبٍ

والخصلة الثانية : أن يكون ذا دينٍ وتُقى ؛ فَإِنَّ ذلك عمادُ كُلِّ صلاح ، وبابُ كُلِّ نجاح ، وَمَنْ غلب عليه الدِّين . . فهو مأمونٌ السريرة ، موفقٌ العزيمة .

روى عكرمة ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَرَادَ أَمْرًا فَشَاوَرَ فِيهِ أَمْرًا مُسْلِمًا . . وَفَقَّهَ اللَّهُ لَأَرْشِدِ أُمُورِهِ »^(٤) .

والخصلة الثالثة : أن يكون ناصحاً ودوداً ؛ فَإِنَّ النصح والمودة يُصدِّقان الفكرة ، وَيُمخِّضان الرأي .

وقد قال بعض الحكماء : (لا تشاورْ إلا الحازمَ غيرَ الحَسود ، والليِّبَ غيرَ الحَقود ، وإياك ومشاورةَ النساء ؛ فَإِنَّ رأيهنَّ إلى الأَفْن ، وعزمهنَّ إلى الوَهْن)^(٥) .

(١) أورده في « العقد الفريد » (٢٤٦/٢) ، و « بهجة المجالس » (١٨٧/٢) .

(٢) أورده في « لباب الآداب » (ص ٦٩) .

(٣) البيهقي في « ديوانه » (ص ٤٥) .

(٤) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٣٢٩) .

(٥) أورده بعضه في « نثر الدرر » (٢١١/٤) ، و « المحاسن والمساوي » (ص ٣٧٠) ، والأفْن : ضعف الرأي ، والوهن : الضعف .

وقال بعض الأدباء : (مشاورَةُ المُشْفِقِ الحازم ظَفَرٌ ، ومشاورَةُ غيرِ الحازم خطرٌ)^(١) .

وقال بعض الشعراء^(٢) :

وَأَسْكُنْ إِلَى نَاصِحٍ تُشَاوِرُهُ وَارْضَ مِنَ الْمَرْءِ فِي مَوَدَّتِهِ
بِمَا يُؤَدِّي إِلَيْكَ ظَاهِرُهُ مَنْ يَكْشِفُ النَّاسَ لَا يَجِدُ أَحَدًا
تَصْحُ مِنْهُمْ لَهُ سَرَائِرُهُ أَوْشَكَ إِلَّا يَدُومَ وَضَلُ أَخٍ
فِي كُلِّ زَلَّاتِهِ تُنَافِرُهُ

والخصلة الرابعة : أن يكون سليمَ الفكر من همٍّ قاطع ، وغمٍّ شاغل ؛ فإنَّ مَنْ عارضت فكره شوائبُ الهموم . . لم يسلم له رأيٌ ، ولم يستقم له خاطرٌ .

وقد قيل في منشور الحكم : (بترداد الفكر ينجابُ لك العمى) .

وكان كسرى إذا دهمه أمرٌ . . بعث إلى مَرازيته فاستشارهم ، فإن قصَّروا في الرأي . . ضرب قَهَارِمَتَهُ ، وقال : (أَبْطَأْتُمْ بِأَرْزَاقِهِمْ ، فَأَخْطَؤُوا فِي آرَائِهِمْ)^(٣) .

وقال صالح بن عبد القدوس^(٤) :

وَلَا مُشِيرَ كَذِي نُصْحٍ وَمَقْدَرَةٍ فِي مُشْكِلِ الْأَمْرِ فَاخْتَرْ ذَاكَ مُنْتَصَحَا

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤١٨) ، و « التذكرة الحمدونية » (٣ / ٣٠٦) من قول ابن المعتز .

(٢) أورد الأبيات سوى الأولى في « العقد الفريد » (٢ / ٣١٢) لمحمد بن حازم الباهلي ، وهي في « ديوانه » (ص ٦٠ - البقاعي) .

(٣) أورده في « بهجة المجالس » (١ / ٣٣٨) ، و « عيون الأخبار » (١ / ٣٢) ، والمرازبة - جمع مَرَزَبَان - : وهو المقدم على القوم دون الملك ، والقهارمة - جمع قَهْرْمَان - : وهو الخازن والوكيل ، الحافظ لما تحت يده .

(٤) البيت في « ديوانه » (ص ١٣٨) .

والخصلة الخامسة : ألا يكون له في الأمر المستشار غرضٌ يتابعه ، ولا هوى يساعده ؛ فإنَّ الأغراض جاذبةٌ ، والهوى صاّدٌ ، والرأي إذا عارضه الهوى ، وجاذبته الأغراضُ . . فسد .

وقد قال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب :
[من الطويل]
وقد تُحَكِّمُ الأَيَّامُ مَنْ كَانَ جَاهِلًا وَيُرِدِّي الهَوَى ذَا الرَّأْيِ وَهُوَ لَيِّبٌ
وَيُحَمِّدُ فِي الأَمْرِ الفَتَى وَهُوَ مُخْطِئٌ وَيُعَدِّلُ فِي الإِحْسَانِ وَهُوَ مُصِيبٌ

فإذا استكملت هذه الخصال الخمس في رجل . . كان أهلاً للمشورة ، ومعدناً للرأي ، فلا تعذر عن استشارته ؛ اعتماداً على ما تنوّهه من فضل رأيك ، وثقة بما تستشعره من صحة رأيك ؛ فإنَّ رأي غير ذي الحاجة أسلمٌ ، وهو من الصواب أقرب ؛ لخُلوص الفكر ، وخلوِّ خاطر ، مع عدم الهوى ، وارتفاع الشهوة .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « رَأْسُ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى : التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ ، وَمَا اسْتَغْنَى مُسْتَبَدُّ بِرَأْيِهِ ، وَمَا هَلَكَ أَحَدٌ عَنْ مَشُورَةٍ ، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى بَعِيدَ هَلَكَةٍ . . كَانَ أَوَّلَ مَا يُهْلِكُهُ رَأْيُهُ » (١) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (الاستشارة عينُ الهداية ، وقد خاطَرَ مَنْ اسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ) (٢) .

وقال لقمان لابنه : (شَاوِرْ مَنْ جَرَّبَ الْأُمُورَ ؛ فَإِنَّهُ يُعْطِيكَ مِنْ رَأْيِهِ مَا قَامَ عَلَيْهِ بِالْغَلَاءِ ، وَأَنْتَ تَأْخُذُهُ بِالْمَجَانِ) (٣) .

وقال بعض الحكماء : (نَصَفْتُ رَأْيَكَ مَعَ أَخِيكَ ، فَشَاوِرْهُ ؛ لِيَكْمَلَ لَكَ الرَّأْيُ) (٤) .

(١) روى صدره البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٧٠٤) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠٠ / ٦١)

عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وأورده كاملاً القالي في « ذيل الأمالي » (٢١٢ / ٣) .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤١٧) ، و « المستطرف » (٩٤ / ١) .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٥) ، و « ربيع الأبرار » (٥٢ / ٤) .

(٤) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤١٨) ، و « محاضرات الأدباء » (٥٢ / ١) .

وقال بعض الأدباء : (مَنْ استغنى برأيه .. ضلَّ ، وَمَنْ اكتفى بعقله .. زلَّ)^(١) .

وقال بعض البلغاء : (لِلْخَطَأِ مع الاسترشاد أحمدٌ من الصواب مع الاستبداد)^(٢) .

وقال بعض الشعراء^(٣) :

[من الطويل]

خَلِيلِي لَيْسَ الرَّأْيُ فِي صَدْرِ وَاحِدٍ أَشِيرَا عَلَيَّ بِالَّذِي تَرَيَانِ

ولا ينبغي أن يصوّر في نفسه : أنه إن شاور في أمره .. ظهر للناس ضعف رأيه ، وفساد رويته ، حتّى افتقر إلى رأي غيره ؛ فَإِنَّ هَذِهِ معاذيرُ التَّوَكُّلِ ، وليس يُراد الرأْيُ للمباهاة به ، وإنَّمَا يُرادُ للانتفاع بنتائجه ، والتحرُّزُ من الخطأ عند زلّله ، وكيف يكون عاراً ما أدّى إلى الصواب ، وصدّ عن الخطأ ؟!

وقد روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَقَّحُوا عُقُولَكُمْ بِالْمُذَاكِرَةِ ، وَاسْتَعِينُوا عَلَى أُمُورِكُمْ بِالْمُشَاوَرَةِ »^(٤) .

وقال بعض الحكماء : (من كمال عقلك استظهارك على عقلك) .

وقال بعض البلغاء : (إذا أشكلت عليك الأمور ، وتغيّر لك الجمهور .. فارجع إلى رأي العقلاء ، وافزع إلى استشارة العلماء ، ولا تأنّف من الاسترشاد ، ولا تستنكف من الاستمداد ، فلأنّ تسأل وتسلم .. خيرٌ لك من أن تستبدّ وتندم)^(٥) .

وينبغي أن تكثّر من استشارة ذوي الألباب ، لا سيّما في الأمر الجليل ، فقلّما

(١) أوردته في « الإعجاز والإيجاز » (ص ٤١) ، و « التذكرة الحمدونية » (٢٩٩ / ٣) من قول سيدنا علي رضي الله عنه .

(٢) أوردته في « نهاية الأرب » (٦٩ / ٦) .

(٣) البيت لعطارد بن قُرّان في « ديوان اللصوص » (٢٢ / ٢) ، و « معجم الشعراء » (ص ٢٠١) .

(٤) أوردته في « محاضرات الأدباء » (١٥٠ / ١) .

(٥) أوردته في « لباب الآداب » (ص ٦٩) ، و « نهاية الأرب » (٧٠ / ٦) .

يضلُّ عن الجماعة رأيي ، أو يذهب عنهم صوابٌ ؛ لأنَّ إرسالَ الخواطر الثاقبة ، وإجالة الأفكار الصادقة . . لا يعزُب عنها ممكن ، ولا يخفى عليها جائز .

وقد قيل في منشور الحكم : (مَنْ أَكْثَرَ الْمَشُورَةَ . . لم يعدمْ عند الصواب مادحاً ، وعند الخطأ عاذراً ، وإن كان الخطأ من الجماعة بعيداً)^(١) .

فإذا استشار الجماعة . . فقد اختلف أهل الرأي في اجتماعهم عليه ، أو أفراد كلِّ واحدٍ منهم به :

فمذهبُ الفرس : أنَّ الأولى اجتماعُهم على الارتياء ، وإجالة الفكر^(٢) ؛ ليدكر كلُّ واحدٍ منهم ما قدحه خاطره ، ونتجَه فكرُه ، حتَّى إن كان فيه قدحٌ . . عُورِض ، أو توجَّه عليه ردٌّ . . نُوقِض ؛ كالجدل الذي تكون فيه المناظرة ، وتقع فيه المنازعة والمشاجرة ؛ فإنَّه لا يبقى فيه مع اجتماع القرائح عليه خللٌ إلا ظهر ، ولا زللٌ إلا بان .

وذهب غيرهم من أصناف الأمم إلى : أنَّ الأولى استسراؤ كلِّ واحدٍ بالمشورة ؛ ليُجِيلَ كلُّ واحدٍ منهم فكرَه في الرأي ؛ طمعاً في الحُظوة بالصواب ؛ فإنَّ القرائح إذا انفردت . . استكدَّها الفكرُ ، واستفرغها الاجتهادُ ، وإذا اجتمعت . . فوُضت ، فكان الأولُ من بدائِها متبوعاً .

ولكلِّ واحدٍ من المذهبين وجهٌ محتملٌ ، ووجهُ الثاني أظهرُ .

والذي أراه في الأولى : غيرُ هذين المذهبين على الإطلاق ؛ ولكن يُنظر في الشُّورى : فإن كانت في حال واحدة : هل هي صوابٌ أم خطأً ؟ . . كان اجتماعُهم عليها أولى ؛ لأنَّ ما تردَّد بين أمرين . . فالمرادُ منه : الاعتراضُ على

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤١٨) ، و « زهر الآداب » (٢ / ٨٢٤) من قول ابن المعتز .

(٢) الارتياء : هو النظر والبحث .

فساده ، أو ظهورُ الحجة في صلاحه ، وهذا مع الاجتماع أبلغ ، وعند المناظرة أوضح .

وإن كانت الشورى في خطبٍ قد استبهم صوابه ، واستعجم جوابه ، من أمور خافية ، وأحوالٍ غامضة ، لم يحضرها عدد ، ولم يجمعها تقسيم ، ولا عُرف لها جواب ، فيكشف عن خطئه وصوابه . فالأولى في مثله : انفراد كل واحد بفكره ، وخلوّه بخاطره ؛ ليجتهد في الجواب ، ثم يقع الكشف عنه : أخطأ هو أم صواب ؟ فيكون الاجتهاد في الجواب منفرداً ، والكشف عن الصواب مجتمعاً ؛ لأنَّ الانفراد في الاجتهاد أصح ، والاجتماع على المناظرة أبلغ ، فهكذا هذا .

وينبغي أن يسلم أهل الشورى من حسدٍ أو تنافسٍ يمنعهم من تسليم الصواب لصاحبه ، ثم يعرض المستشار ذلك على نفسه مع مشاركتهم في الارتياح والاجتهاد ، فإذا تصفح أقاويل جميعهم . كشف عن أصولها وأسبابها ، وبحث عن نتائجها وعواقبها ؛ حتى لا يكون في الأمر مقلداً ، ولا في الرأي مفوضاً ؛ فإنه يستفيد بذلك مع ارتياضه بالاجتهاد ثلاث خصال :

إحداهن : معرفة عقله ، وصحة رويته .

والثانية : معرفة عقل صاحبه ، وصواب رأيه .

والثالثة : وضوح ما استعجم من الرأي ، وانفتاح ما انغلق من الصواب^(١) .

فإذا تقرّر له الرأي . أمضاه ، ولم يأخذهم بعواقب الإكداء فيه ؛ فإنما على الناصح الاجتهاد ، وليس عليه ضمانُ النجح ، لا سيّما والمقادير غالبية .

ومتى عُرف منه تعقّب المشير . وكل إلى رأيه ، وأسلم إلى نفسه ، فصار فرداً لا يُعان برأي ، ولا يُمدّ بمشورة .

(١) فظهر أن العمل بالحق والصواب لا بكثرة الآراء ، والاستشارة لإظهار ذلك .

وقد قالت الفرس في حِكْمِها : (أضعفُ الحيلةُ خيرٌ من أقوى الشدة ، وأقلُّ التأنِّي خيرٌ من أكثر العَجَلَة ، والدولةُ رسولُ القضاء المُبرَم ، وإذا استبدَّ المَلِك برأيه . . عميت عليه المَراشِدُ)^(١) .

وإذا ظفر برأي من خامل لا يراه للرأي أهلاً ، ولا للمشورة مستوجِباً . . اغتنمه عفواً ؛ فإنَّ الرأيَ كالضالَّة تؤخذ أين وُجِدَت ، ولا يهون لمهانة صاحبه ، فيطرح ؛ فإنَّ الذرَّة لا يضعُّها مهانةُ غائصها ، والضالَّة لا تُترك لِذِلَّةِ واجدها ، وليس يُرادُ الرأيُ لمكان المُشير به ، فيُراعى قدره ، وإنما يُرادُ لانتفاع المستشير به .

وأنشد أبو العيناء عن الأصمعي^(٢) :

النُّصْحُ أرخصُ ما باعَ الرَّجَالُ فلا تَرَدُّدٌ على ناصِحٍ نَصْحاً ولا تَلَمُّ
إنَّ النَّصائِحَ لا تخفى مَنَاهِجُها على الرَّجَالِ ذوي الألباب والفَهَمِ
ثم لا وجهَ لِمَن تَقَرَّرَ له رأيٌ : أن يَنِيَّ في إمضاءه ؛ فإنَّ الزمانَ غادرٌ ، والفرصَ
منتَهزةٌ ، والثقةُ عَجَزٌ^(٣) .

قيل لملكٍ زال عنه ملكه : (ما الذي سلبك ملكك ؟ قال : تأخيرُ عملِ اليوم إلى غدٍ)^(٤) .

وقد قال الشاعر^(٥) :

إذا كنتَ ذا رأيٍ فكنْ ذا عزيمةٍ ولا تَكُ بالتَّردادِ للرأي مُفسِداً
فإنِّي رأيتُ الرِّيثَ في العزمِ هُجْنَةً وإنفاذَ ذي الرأي العزيمةَ أرشداً

(١) أورده في « سراج الملوك » (٢ / ٧٣٥) .

(٢) أورد البيتين في « البصائر والذخائر » (٤ / ٣٥) ، و « المستطرف » (١ / ٢٥٥) .

(٣) أن يني : أن يفتر ويضعف ، والفرص منتَهزة : مختلصة ومغتنة .

(٤) أورده في « محاضرات الأدباء » (١ / ٣٧٦) ، و « سراج الملوك » (١ / ٢٢٨) .

(٥) الريث : مصدر من (راث الرجل) إذا أبطأ ، والهجنة : العيب .

وينبغي لمن أنزل منزلة المستشار ، وأحلَّ محلَّ الناصح الوادِّ ، حتَّى صار مأمولَ النَّجَحِ ، مرجوَّ الصَّوابِ . . أن يؤدِّي حقَّ هذه النعمة بإخلاص السريرة ، ويكافئ على الاستسلام ببذل النَّصَحِ ؛ فقد رُوِيَ عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ إِذَا اسْتَنْصَحَهُ أَنْ يَنْصَحَهُ » (١) .

وربَّما أبطرته المشاورة ، فأعجب برأيه ، فاحذره في المشورة ؛ فليس للمُعْجَبِ رأيٌ صحيح ، ولا رَويَّةٌ سليمة .

وربَّما شخَّ بالرأي ؛ لعداوة أو حسد ، فورى أو مكر ، فاحذر العدو ، ولا تثق بحسود .

ولا عذرَ لمن استشاره عدو أو ضدُّ أن يكتُم رأياً وقد استُرشد ، ولا أن يخون وقد أوثمن .

روى محمد بن المنكدر ، عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : « الْمُسْتَشِيرُ مُعَانٌ ، وَالْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ » (٢) .

وقال سليمان بن يزيد :

وأجب أخاك إذا استشارك ناصحاً وعلى أخيك نصيحة لا ترد

ولا ينبغي أن يشيرَ قبل أن يُستشارَ إلا فيما مسَّ ، ولا أن يتبرَّعَ بالرأي إلا فيما لزم ؛ فإنَّه لا ينفكُّ من أن يكون رأيه متَّهماً أو مُطرحاً ، وفي أيِّ هذين وقع . . كان وصمةً ؛ فإنَّما يكون الرأي مقبولاً إذا كان عن رغبةٍ وطلب ، أو كان لباعثٍ وسبب .

روى أبو بلال العجلِّي ، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ، عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « قال لقمان لابنه : يا بني ؛ إذا استُشهِدتَ . .

(١) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٩٢٢) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٨٠ / ٤) عن سيدنا أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه .

(٢) رواه في « تاريخ دمشق » (٤١٠ / ٥٨) عن عبيد بن صخر بن لؤذان الأنصاري رحمه الله تعالى .

فأشهد ، وإذا استعنت . . فأعِن ، وإذا استُشِرْتَ . . فلا تعجلُ حتَّى تنظرَ » (١) .

[من الطويل]

وقال ابن بَيْهَسٍ الْكِلَابِيُّ (٢) :

مِنَ النَّاسِ مَنْ إِنْ يَسْتَشِيرَكَ فَتَجْتَهِدْ لَهُ الرَّأْيَ يَسْتَغْشِيكَ مَا لَمْ تُتَابِعْهُ
عَلَى رَأْيِهِ إِنْ كَانَ مَوْقِعُ رَأْيِهِ صَوَاباً إِذَا مَا الرَّأْيُ أَعَيْتَ مَوَاقِعُهُ
فَلا تَمْنَحَنَّ الرَّأْيَ مَنْ لَيْسَ أَهْلُهُ فَلَأَنْتَ مَحْمُودٌ وَلَا الرَّأْيُ نَافِعُهُ

(١) أورده في « التذكرة الحمدونية » (٣١٤ / ٣) .

(٢) أورد البيهسي الأول والثالث في « التذكرة الحمدونية » (٣١٧ / ٣) لبعض أعراب بني أسد ،
و « المستطرف » (٢٥٥ / ١) ، والبيت الأخير في « ديوان الشافعي » (ص ٩١) .

الفصل الرابع

في كتمان السر

واعلم : أن كتمان السر من أقوى أسباب النجاح ، وأدوم أحوال الصلاح .
وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « استعينوا على الحاجات بالكتمان ؛ فإن كل ذي نعمة محسود »^(١) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (سرُّك أسيرُك ؛ فإذا تكلمت به .. صرت أسيرَه)^(٢) .

وقال بعض الحكماء لابنه : (يا بني ؛ كن جواداً بالمال في موضع الحق ، ضئيلاً بالأسرار عن جميع الخلق ؛ فإنَّ أحمدَ جود المرء الإنفاقُ في وجه البرِّ ، والبخلُ بمكتوم السرِّ)^(٣) .

وقال بعض الأدباء : (مَنْ كتم سرَّه .. كان الخيارُ إليه ، وَمَنْ أفشاه .. كان الخيارُ عليه)^(٤) .

وقال بعض البلغاء : (ما أسرك ما كتمت سرُّك !!)^(٥) .

وقال بعض الفصحاء : (ما لم تُغيِّه الأضالعُ .. فهو منكشفٌ ضائعٌ)^(٦) .

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٦٢٢٨) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٩٤ / ٢٠) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه ، والمعنى : استعينوا على إنجاز حوائجكم بالكتمان ؛ اكتفاءً بإعانة الله ، فإن كل ذي نعمة محسود ، فاكنموا النعمة عن الحاسد إشفاقاً عليه وعليكم ، واستعينوا بالله على الظفر بها ، ولا منافاة مع الأمر بالتحدث بالنعمة ؛ لأنه فيما بعد الحصول ، ولا أثر للحسد حيثئذ .

(٢) أورده في « لباب الآداب » (ص ٢٣٩) ، و « المستطرف » (٢٧ / ٢) .

(٣) أورده في « التذكرة الحمدونية » (٣٣٤ / ٣) ، و « سراج الملوك » (٤٢١ / ٢) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٤٠٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠٦ / ٦٣) من قول عتبة بن أبي سفيان .

(٥) أورده في « لباب الآداب » (ص ٢٣٩) .

(٦) أورده في « لباب الآداب » (ص ٢٣٩) .

وقال بعض الشعراء وهو أنس بن أسيد^(١) :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ وُشَاةَ الرَّجَا لَ لَا يَدْعُونَ أَدِيمًا صَحِيحًا
فَلَا تُفْشِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحًا
وكم من إظهار سرٍّ أراق دم صاحبه ، ومنع من نيل مطالبه ، ولو كتمه .. كان
من سَطَواته آمنًا ، وفي عواقبه سالمًا ، ولنجاح حوائجه راجيًا .
وقال أنوشروان : (مَنْ حَصَّنَ سِرَّهُ .. فَلَهُ بِتَحْصِينِهِ خَصْلَتَانِ : الظَّفَرُ
بِحَاجَتِهِ ، وَالسَّلَامَةُ مِنَ السَّطَوَاتِ)^(٢) .

وإظهار الرجل سرٍّ غيره أقبح من إظهار سرٍّ نفسه ؛ لأنه ييؤء بإحدى
وصمتين : إمَّا الخيانة إن كان مؤتمنًا ، أو النِّممة إن كان مستودعًا ، فأما
الضرُّ .. فربما استويًا فيه ، أو تفاضلًا ، وكلاهما مدموم ، وهو فيهما مَلُومٌ .

وفي الاسترسال بإبداء السرِّ دلائل على ثلاثة أحوالٍ مدمومة :
أحدها : ضيق الصدر ، وقلة الصبر ، حتَّى لم يتَّسع لسرٍّ ، ولم يقدر على
صبر .

وقد قال الشاعر^(٣) :

إِذَا الْمَرْءُ أَفْشَى سِرَّهُ بِلِسَانِهِ وَلَامَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ فَهَوَ أَحْمَقُ
إِذَا ضَاقَ صَدْرُ الْمَرْءِ عَنْ سِرِّ نَفْسِهِ فَصَدْرُ الَّذِي يُسْتَوْدَعُ السِّرَّ أَضْيَقُ
والثاني : الغفلة عن تحرُّز العقلاء ، والسهو عن يقظة الأذكياء ؛ وقد قال
بعض الحكماء : (انْفِرْ بِسِرِّكَ ، وَلَا تُودِعْهُ حَازِمًا فِيزِلًا ، وَلَا جَاهِلًا فَيُخَوِّنُ)^(٤) .

(١) روى البيهقي ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٤٠٧) لسيدنا علي رضي الله عنه ، وهما في « ديوانه » (ص ٩٦) .

(٢) أوردته في « لباب الآداب » (ص ٢٣٩) ، و « المستطرف » (٢٨ / ٢) .

(٣) البيهقي للإمام الشافعي في « ديوانه » (ص ٩٨) ، ورواهما في « تاريخ دمشق » (١١٥ / ٦) لأبي جعفر أحمد بن يوسف الكاتب ، وأورد البيت الثاني في « المحاسن والمساوي » (ص ٣٧٨) للعتبي .

(٤) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٢٠) ، و « سراج الملوك » (٤١٩ / ٢) من قول ابن المعتز .

والثالث : ما ارتكبه من الغرر ، واستعمله من الخطر .

وقال بعض الحكماء : (سِرُّكَ مِنْ دِمِكَ ؛ فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ .. فَقَدْ أَرَقَّتْهُ)^(١) .

واعلم : أنَّ من الأسرار ما لا يُستغنى فيه عن مطالعة صديقٍ مساهم ، واستشارة ناصحٍ مسالم ، فليخترِ العاقلُ لسرَّهُ أميناً إن لم يجدْ إلى كتمه سبيلاً ، ولينحَرَّ في اختيار مَنْ يَأْتِمُنُهُ عَلَيْهِ ويستودعه إياه ؛ فليس كلُّ مَنْ كان على الأموال أميناً كان على الأسرار مأموناً ، والعفَّةُ عن الأموال أيسرُ من العفَّةِ عن إذاعة الأسرار ؛ لأنَّ الإنسان قد يُذيع سرَّ نفسه بمبادرة لسانه ، وسَقَطَ كلامه ، ويشحُّ على اليسير من ماله ؛ حفاظاً له ، وضناً به ، ولا يرى ما أذاع من سرِّه كبيراً في جنب ما حفظه من يسير ماله ، مع عِظَمِ الضَّررِ الداخل عليه .

فمن أجل ذلك : كان أمناءُ الأسرار أشدَّ تعذُّراً ، وأقلَّ وجوداً من أمناء الأموال ، وكان حفظُ الأموال أيسرَ من كتمِ الأسرار ؛ لأنَّ أحرارَ الأموال منيعَةٌ ، وأحرارَ الأسرار بارزَةٌ ، يذيعها لسانٌ ناطقٌ ، ويشيعها كلامٌ سابقٌ .

وقال عمر بن عبد العزيز : (القلوبُ أوعيةُ السرائر ، والشِّفاهُ أقبالُها ، والألسُنُ مفاتيحُها ، فليحفظْ كلُّ امرئٍ امرئاً مفتاحَ سرِّه)^(٢) .

ومن صفات أمين السرِّ : أن يكون ذا عقلٍ صاذاً ، ودينٍ حاجز ، ونُصحٍ مبدول ، ووُدٍّ موفور ، وكتوماً بالطبع ؛ فإنَّ هذه أمورٌ تمنع من الإذاعة ، وتوجب حفظَ الأمانة ، فمن كانت فيه .. فهو عنقاءٌ مُغرِبٌ^(٣) .

وقيل في منشور الحكم : (قلوبُ العقلاء حصونُ الأسرار)^(٤) .

(١) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٨٨٨) من قول أكثم بن صيفي ، و« عيون الأخبار » (٣٨ / ١) .

(٢) أورده في « لباب الآداب » (ص ٢٤٠) ، و« المستطرف » (٢٨ / ٢) .

(٣) في المثل : (أعزُّ من عنقاء مُغرِب) ، يضرب في الشيء يُسمع به ولا يُرى ، وأغربَ في الطيران : أبعد .

(٤) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٢٠) ، والعسكري في « الأوائل » (ص ٢٦٦) من قول ابن المعتز .

وليحذرْ صاحبُ السرِّ أن يودعَ سرَّه من يتطلَّعُ إليه ، ويؤثرُ الوقوفَ عليه ؛ فإنَّ طالبَ الودِعة خائنٌ .

وقد قيل في منشور الحكم : (لا تُنكِحْ خاطِبَ سرِّك)^(١) .

وقال صالح بن عبد القدوس^(٢) :

[من الرمل]

لا تُذعْ سرّاً إلى طالِبِه منك إنَّ الطالبَ السِّرِّ مُذِيعٌ

وليحذرْ كثرةَ المستودعين لسرِّه ؛ فإنَّ كثرتهم سببٌ للإذاعة ، وطريقٌ إلى الإشاعة ؛ لأمرين :

أحدهما : أنَّ اجتماعَ هذه الشروط في العدد الكثير مُعَوِّزٌ ، ولا بدَّ إذا كثروا من أن يكون فيهم من أخلَّ ببعضها .

والثاني : أنَّ كلَّ واحدٍ منهم يجدُ سبيلاً إلى نفي الإذاعة عن نفسه ، وإحالة ذلك على غيره ، فلا يضافُ إليه ذنبٌ ، ولا يتوجَّهُ إليه عَتَبٌ^(٣) .

وقد قال بعض الحكماء : (كلما كثر خزانُ الأسرار . . ازدادت ضياعاً)^(٤) .

وقال بعض الشعراء^(٥) :

[من المتقارب]

وسِرُّكَ ما كان عندَ امرِيءٍ وسِرُّ الثَّلاثَةِ غيرُ الخَفِيِّ

وقال آخر^(٦) :

[من الوافر]

فلا تنطقْ بِسِرِّكَ كلُّ سرٍّ إذا ما جاوزَ الاثنَينَ فاشِ

(١) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٢٠) ، و « زهر الآداب » (٧٧١ / ٢) من قول ابن المعتز .

(٢) البيت في « ديوانه » (ص ١١٩) .

(٣) عَتَبٌ ؛ أي : لومٌ وتوبيخ .

(٤) أوردته في « التذكرة الحمدونية » (١٥٠ / ٣) ، و « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٢٠) من قول ابن المعتز .

(٥) أورد البيت في « الشعر والشعراء » (٥٠٢ / ١) ، والمرزوقي في « شرح ديوان الحماسة » (١٢١١ / ٢) للصلَّتان العبدَيَّ ، وأوردته الجاحظ في « الحيوان » (٤٧٧ / ٣) للصلَّتان السعدَيَّ .

(٦) البيت في « ديوان قيس بن الخطيم » (ص ٢٣٥) ، ونسبه أبو عبيد في « غريب الحديث » (٢٦٥ / ٢) ، وابن عبد البر في « بهجة المجالس » (٤٦١ / ١) لسابق البربري .

ثم لو سلم من إذاعتهم . . لم يسلم من إدلالهم واستطالتهم ؛ فَإِنَّ لَمَنْ ظَفَرَ بِسِرٍّ
من فرط الإدلال ، وكثرة الاستطالة . . ما إن لم يحجره عنه عقل^(١) ، ولم يكفّه
عنه فضل . . كان أشدَّ من ذلِّ الرِّقِّ ، وخضوع التَّعَبُّدِ .

ولذلك قال بعض الحكماء : (مَنْ أَفْشَى سِرَّهُ . . كثر عليه المتأمِّرون)^(٢) .

فإذا اختار - وأرجو أن يُوفَّق للاختيار - واضطَّرَّ إلى استيداع سِرِّه ، وليته كُفِّي
الاضطرار . . وجب على المستودع له أداء الأمانة فيه بالتحفُّظ والتناسي^(٣) ، حتَّى
لا يخطرُ له ببال ، ولا يدورُ له في خلد ، ثم يرى ذلك حُرْمَةً يَرعاها ، ولا يُدِلُّ
إدلالَ اللُّثام .

حُكي : أَنَّ رجلاً أَسْرَّ إلى صديقٍ لَهُ حديثاً ، ثم قال له : (أَفْهِمْتَ ؟ قال : بل
جهَلْتُ ، قال : أَحْفِظْتَ ؟ قال : بل نَسِيتُ)^(٤) .

وقيل لرجلٍ : (كيف كتمانك للسِّرِّ ؟ قال : أَجحدُ المُخْبِرِ ، وأحلف
للمُسْتَخْبِرِ)^(٥) .

وقال بعض الشعراء^(٦) :

ولو قَدَرْتُ عَلَى نِسْيَانٍ مَا اشْتَمَلْتُ مِنِّْي الضُّلُوعُ عَلَى الْأَسْرَارِ وَالْخَبَرِ
لَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ يَنْسَى سِرَّائِرَهُ إِذْ كُنْتُ مِنْ نَشْرِهَا يَوْمًا عَلَى خَطَرِ

وحُكي : أَنَّ عبد الله بن طاهر تذاكر الناسُ في مجلسه حفظَ السِّرِّ ، فقال
عبد الله :

وَمُسْتَوْدَعِي سِرًّا تَضَمَّنْتُ سَتْرَهُ فَأَوْدَعْتُهُ مِنْ مُسْتَقَرِّ الْحَشَا قَبْرًا

(١) في (ب ، د) : (لم يحجره عنه عقل) .

(٢) أورده في « سراج الملوك » (٢ / ٤٢٠) ، و « محاضرات الأدباء » (١ / ٢٥٥) .

(٣) في (ج) : (فإذا استودع سِرَّهُ عند الذي اختاره واتمَّنه . . وجب . . .) .

(٤) أورده في « سراج الملوك » (٢ / ٤١٥) ، و « المستطرف » (٢ / ٢٩) .

(٥) رواه في « الموشى » (ص ٤٨) ، والقالي في « الأمالي » (٢ / ١٧٧) .

(٦) أورد البيهقي في « عيون الأخبار » (١ / ٣٩) ، و « لباب الآداب » (ص ٢٤١) .

فقال ابنه عبيد الله وهو صبيٌّ :

وما السرُّ في قلبي كئافٍ بحفرةٍ
ولكنني أخفيه حتى كأنني

[من الطويل]

لأنِّي أرى المدفونَ ينتظرُ النُّشْرَا
من الدَّهرِ يوماً ما أحطتُ بهِ خُبْرَا^(١)

(١) أورد الخبر في «صبح الأعشى» (١٠٧/١)، وتُسمى هذه مناظلة ومساجلة في اصطلاح الشعراء ؛ وهي أن يستقي ساقيان ، فيخرج كل واحدٍ منهما من الماء مثل ما يخرج الآخر ، فأيهما نكل . . فقد غلب ، ثم صارت المساجلة لقصد المفاخرة .

الفصل الخامس في المزاح والضحك

اعلم : أنَّ المَزَاحَ إزاحةٌ عن الحقوق ، ومَخْرَجٌ إلى القطيعة والعقوق ، يَصْمُ المازحَ ، ويؤذي المُمَازِحَ .

فوصمةُ المازح : أنَّه يُذهب عنه الهيبةُ والبهاءُ ، ويُجرىء عليه الغوغاءُ والسفهاءُ ، وأما أذية المُمَازِحِ . . فلأنَّه معقوقٌ بقولٍ كَرِهٍ ، وفعلٌ مُمِضٌ ؛ إن أمسك عنه . . أحزن قلبه ، وإن قابل عليه . . جانبَ أدبه ، فحقَّ على العاقل أن يتَّقِيه ، وينزِّه نفسه عن وصمة مساويه .

فقد رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه قال : « المَزَاحُ استدراجٌ من الشَّيْطَانِ ، واختداعٌ من الهوى »^(١) .

وقال عمر بن عبد العزيز : (انْقُؤُوا المَزَاحَ ؛ فَإِنَّه حَمَقَةٌ تُورِثُ ضَعِيفَةً)^(٢) .

وقال بعض الحكماء : (إِنَّمَا المَزَاحُ سَبَابٌ إِلَّا أَنْ صَاحِبَهُ يَضْحَكُ)^(٣) .

وقيل : (إِنَّمَا سُمِّيَ المَزَاحُ مُزَاحاً ؛ لِأَنَّهُ يُزِيحُ عَنِ الْحَقِّ)^(٤) .

وقال إبراهيم النَّخَعِيُّ : (المَزَاحُ مَنْ سَخَفٍ أَوْ بَطَرٍ)^(٥) .

وقيل في منشور الحكم : (المَزَاحُ يَأْكُلُ الهَيْبَةَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ)^(٦) .

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٤٠١) من قول الحسن بن حي .

(٢) أورده في « نهاية الأرب » (٨٨ / ٤) .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٤٩) .

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (٣٩٨) من قول سيدنا عمر رضي الله عنه ، وأورده العسكري في « جمهرة الأمثال » (١٩٠ / ٢) .

(٥) أورده في « بهجة المجالس » (٥٧٠ / ١) لإبراهيم ، وفي « محاضرات الأدباء » (٥٨٣ / ١) لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى ، ومن سخف : قلة عقل ، أو بطر : كبر يستهزئ بصاحبه .

(٦) رواه في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع » (٦٣٣ / ١) ، وأورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٤٩) من قول عبد الله بن المعتز .

وقال بعض الأدباء : (مَنْ كَثُرَ مُزَاحُهُ .. زَالَتْ هَيْبَتُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ خِلَافُهُ ..
طَابَتْ غَيْبَتُهُ)^(١) .

وقال بعض البلغاء : (مَنْ قَلَّ عَقْلُهُ .. كَثُرَ هَزْلُهُ) .

وذكر خالد بن صفوان المُزَاح ، فقال : (يَصُكُّ أَحَدُكُمْ صَاحِبَهُ بِأَشَدِّ مِنَ
الْبَجْدَلِ ، وَيُنَشِّقُهُ أَحَرَفَ مِنَ الْخَزْدَلِ ، وَيُفْرِغُ عَلَيْهِ أَحَرَ مِنَ الْمِرْجَلِ ، ثُمَّ يَقُولُ :
إِنَّمَا كُنْتُ أَمَازُحُكَ)^(٢) .

وقال بعض الحكماء : (خَيْرُ الْمُزَاحِ لَا يُنَالُ ، وَشَرُّهُ لَا يُقَالُ)^(٣) .

فنظمه السابوري في قصيدته الجامعة للأدب ، وزاد فقال : [من الرجز]

وخيَرُهُ يَا صَاحِ لَا يُنَالُ	شَرُّ مُزَاحِ الْمَرءِ لَا يُقَالُ
مَنْ الْفَتَى تَدْعُو إِلَى التَّلَاحِي	وَقَدْ يَقَالُ كَثْرَةُ الْمُزَاحِ
لَكِنَّمَا آخِرُهُ عَدَاوَةٌ	إِنَّ الْمُزَاحَ بِدَوِّهِ حَلَاوَةٌ
وَيَجْتَرِي بِسُخْفِهِ السَّخِيفُ	يَحِقُّدُ مِنْهُ الرَّجُلُ الشَّرِيفُ

وقال أبو نواس^(٤) :

[من مجزوء الرمل]

وَامْضِ عَنْهُ بِسَلَامٍ	خَلَّ جَنْبِيكَ لِرَامٍ
لَكَ مِنْ دَاءِ الْكَلَامِ	مُتَّ بَدَاءِ الصَّمْتِ خَيْرٌ
جَئِمَ فَاهُ بِلِجَامٍ	إِنَّمَا السَّالِمُ مَنْ أَلَّ
حِ مَغَالِيْقُ الْجِمَامِ	رَبِّمَّا اسْتَفْتَحَ بِالْمَزْ
شَارِبَاتُ لِلْأَنَامِ	وَالْمَنَايَا أَكَلَاتُ

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٤٦٤٠) ، والخطيب في « الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع »

(٦٣٢ / ١) من قول سيدنا عمر رضي الله عنه بنحوه .

(٢) أورده في « البصائر والذخائر » (٣١ / ٥) ، و « بهجة المجالس » (٥٧٠ / ١) .

(٣) أورده في « نهاية الأرب » (٨٨ / ٤) ، و « ربيع الأبرار » (١٦٩ / ٥) .

(٤) الأبيات في « ديوانه » (ص ٦٢٠) .

واعلم : أنه قلماً يعرئ من المزاح مَنْ كان سهلاً ؛ فالعاقل يتوخى بمزحه إحدى حالتين ، لا ثالثة لهما :

إحدهما : إيناسُ المصاحِبين ، والتودُّد إلى المخالِطين ، وهذا يكون بما أنس من جميل القول ، وبُسط من مستحسن الفعل ؛ كما قال سعيد بن العاص لابنه : (اقتصد في مزاحك ؛ فإن الإفراط فيه يذهب البهاء ، ويُجرىء عليك السفهاء ، وإن التقصير فيه يقصي عنك المؤانسين ، ويوحش منك المصاحِبين)^(١) .

والحالة الثانية : أن ينفي بالمزاح ما طرأ عليه من سأم ، أو حدث به من هم ؛ فقد قيل : (لا بدّ للمصدور أن ينفث)^(٢) .

وأنشدت لأبي الفتح البُستي^(٣) :

أفدْ طَبْعَكَ المَكْدُودَ بِالْجِدِّ رَاحَةً يَجِمُّ وَعَلَّلُهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَزْحِ
ولكنْ إذا أعطيتَهُ الْمَزْحَ فَلْيُكُنْ بمقدارِ ما تُعْطِي الطَّعَامَ مِنَ الْمِلْحِ

وقد كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يمزحُ على هذا الوجه .

وروي عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنِّي لَأَمْزَحُ ، وَلَا أَقُولُ إِلَّا حَقًّا »^(٤) .

فمن مُزاحه عليه السلام : ما رُوي أنَّ عجوزاً من الأنصار أتته ، فقالت : يا رسولَ الله ؛ ادعُ اللهَ لي بالمَغْفرة ، فقال لها : « أما علمتِ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا الْعُجْرُ ؟ » فصرخت ، فتبسَّم رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لها : « أَوْ

(١) أورده في « محاضرات الأدباء » (٥٨٤ / ١) ، و « نهاية الأرب » (٩٠ / ٤) .

(٢) رواه ابن سعد في « الطبقات الكبير » (٢٤٦ / ٧) ، وابن أبي شيبه في « المصنف » (٢٦٥٧٩) من قول عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود رضي الله عنهم ، والمصدور : مَنْ يشتكي صدره ، والنفث : هو النفخ ، والمصدور يخرج نفساً من فيه يستريح به ، وهذا مثلٌ يضرب ، والمراد به : أن المصاب يث الشكوى .

(٣) البيتان في « ديوانه » (ص ١٠٩) .

(٤) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٢٦٥) ، والترمذي (١٩٩٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

ما قرأت قولَ الله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنشَأْنَهُنَّ إِنثَاءً فَعَزَّزْنَهُنَّ ثَبَاتًا عَزِيزًا أَتَرَأَىٰ لِالْيَمِينِ ؟ ﴾ (١) .

وأنته أخرى في حاجة لزوجها ، فقال لها : « وَمَنْ زَوْجُكِ ؟ » فقالت :
فلانٌ ، فقال لها : « الذي في عينه بياضٌ ؟ » فقالت : لا ، قال : « بلى »
فانصرفت عَجَلَى إلى زوجها ، وجعلت تتأمل عينه ، فقال لها : ما شأنُكِ ؟
فقالت : أخبرني رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أنَّ في عينك بياضاً ، فقال لها :
أما ترينَ بياضَ عينيَّ أكثرَ من سوادهما ؟ (٢) .

وأتى رجلٌ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال : إنِّي احتَلَمْتُ على أُمِّي ،
فقال : (أقيموه في الشمس ، واضربوا ظله العَدَّ) (٣) .

وسُئِلَ الشَّعْبِيُّ عن أكل لحم الشيطان ، فقال : (نحن نرضى منه
بالكَفَّاف) (٤) .

وقيل له : (ما اسمُ امرأةِ إبليسَ ؟ فقال : ذاك نكاحُ ما شهَدناه) (٥) .

وقال رجلٌ لـغلام : (بكم تعملُ معي ؟ قال : بطعامي ، فقال له : أَحْسِنْ
قليلاً ، فقال : فأصوم الاثنين والخميس) (٦) .

وحُكي عن صالح بن حَسَّان - وكان محدثاً - : أنه قال يوماً لأصحابه مازحاً :
أفقه الناسِ وضاحُ اليمينِ في قوله :
[من الطويل]

إذا قلتُ هاتي نَوِّليني تبرَّمتُ وقالت مَعَاذَ اللَّهِ من فعلٍ ما حَرُمُ

(١) رواه الترمذي في « الشمائل المحمدية » (٢٣٠) عن الحسن مرسلاً ، والبيهقي في « البعث والنشور »
(٣٧٩) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٢) أورده الخُرَوشِيُّ في « شرف المصطفى » (١٢٨ / ٥) .

(٣) أورده في « محاضرات الأدباء » (٥٨٦ / ١) .

(٤) أورده في « عيون الأخبار » (٣١٦ / ١) ، و « التذكرة الحمدونية » (٣٧٦ / ٩) .

(٥) أورده في « عيون الأخبار » (٣١٦ / ١) ، و « العقد الفريد » (١٥٢ / ٦) .

(٦) أورده في « محاضرات الأدباء » (٢٠٧ / ٢) ، و « نثر الدرر » (٢٨٣ / ٣) .

فَمَا نَوَلْتُ حَتَّى تَضَرَّعْتُ عِنْدَهَا وَأُنْبَأْتُهَا مَا رَخَّصَ اللَّهُ فِي اللَّمَمِ^(١)

فَأَمَّا الْخُرُوجُ إِلَى حَدِّ الْخِلَاعَةِ . . فَهُجْنَةٌ وَمَذْمَةٌ ؛ كَالَّذِي حُكِيَ عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ الضَّرِيرِ - وَكَانَ مُحَدَّثًا - أَنَّهُ خَرَجَ يَوْمًا إِلَى أَصْحَابِهِ وَهُوَ يَقُولُ : [مَنْ مَجْزُوءُ الْوَافِرِ] فَإِذَا الْمَعْدَةُ جَاشَتْ فَارْمِهَا بِالْمَنْجَنِيْقِ بِثَلَاثٍ مِنْ نَبِيْذٍ لَيْسَ بِالْحُلُوِّ الرَّقِيقِ^(٢) أَمَا تَرَى كَيْفَ طَرَّقَ بِخِلَاعَتِهِ التُّهْمَةَ عَلَى نَفْسِهِ بِهَذَا الْمَزْحِ فِيمَا لَعَلَّهُ بَرِيءٌ مِنْهُ ، وَبَعِيدٌ عَنْهُ ؟!

وَقَدْ كَانَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُسْتَرْسِلًا فِي مُزَاحِهِ ، فَحَكَى ابْنُ قَتِيْبَةٍ فِي « الْمَعَارِفِ » : (أَنَّ مَرْوَانَ رُبَّمَا كَانَ يَسْتَخْلِفُهُ عَلَى الْمَدِينَةِ ، فَيَرْكَبُ حِمَارًا قَدْ شَدَّ عَلَيْهِ بَرْدَعَةً ، فَيَسِيرُ فَيَلْقَى الرَّجُلَ ، فَيَقُولُ : الطَّرِيقَ ، قَدْ جَاءَ الْأَمِيرُ . وَرُبَّمَا أَتَى الصَّبِيَّانَ وَهُمَا يَلْعَبُونَ لَعِبَةَ الْغَرَابِ ، فَلَا يَشْعُرُونَ حَتَّى يُلْقِيَ نَفْسَهُ بَيْنَهُمَا ، وَيَضْرِبُ بِرَجْلَيْهِ ، فَيَفْزَعُ الصَّبِيَّانَ وَيَفْرَوْنَ)^(٣) .

وَهَذَا خُرُوجٌ عَنِ الْقَدْرِ الْمُسْتَسْمَحِ بِهِ ، وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لِهَذَا الْفِعْلِ مِنْهُ تَأْوِيلٌ سَائِفٌ^(٤) .

وَقَدْ كَانَ صَهْبِيبُ بْنُ سَنَانٍ مَزَاحًا ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَتَأْكُلُ ثَمْرًا وَبِكَ رَمَدٌ ؟ » فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ أَنَا أَمْضَعُ عَلَى النَّاحِيَةِ الْأُخْرَى^(٥) .

وإنَّمَا اسْتَجَازَ صَهْبِيبٌ أَنْ يُعَرِّضَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْمَزْحِ

(١) أوردته في « المعارف » (ص ٤٨٦) ، و « ثمار القلوب » (٢٠٧ / ١) ، والبيتان في « ديوان وضاح اليمن » (ص ٨٧) .

(٢) أوردته في « المعارف » (ص ٥١٠) ، ورواه في « أخبار القضاة » (١٧٣ / ٣) .

(٣) المعارف (ص ٢٧٨) .

(٤) كدفع العجب وخطرات النفس ، ولتهذيب نفسه .

(٥) رواه الحاكم في « المستدرک » (٤١١ / ٤) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٣٥ / ٨) .

في جوابه ؛ لأنَّ استخباره صلى الله عليه وسلم قد كان يتضمَّن المَزْحَ ، فأجابه عن استخباره بما وافقه من المَزْح ؛ مساعدةً لغرضه ، وتقرباً من قلبه ، وإلا . . . فليس لأحد أن يجعل جوابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم مزحاً ؛ لأنَّ المَزْحَ هزلٌ ، ومَنْ جعل جوابَ رسول الله صلى الله عليه وسلم المبيِّن عن الله تعالى أحكامه ، والمؤدِّي إلى خلقه أو أمره هزلاً ومزحاً . . . فقد عصى الله ورسوله ، وصهيب كان أطوعَ لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم : « أنا سابقُ العربِ ، وصهيبُ سابقُ الرُّومِ ، وسلمانُ سابقُ فارسَ ، وبلالٌ سابقُ الحبشِ »^(١) .

ومن مستملح المَزْح ، ومُستسمح الدُّعابة : ما حكى الزبير بن بكار ، عن الكُثيْرِيّ : أنَّ القُشَيْرِيّ وقف عليه شيخٌ من الأعراب ، فقال : (يا أعرابيُّ ؛ ممَّن أنت ؟ قال : من بني عُقَيْل ، فقال : من أيِّ عُقَيْل ؟ قال : من بني خفاجة ، فقال القُشَيْرِيّ :

رَأَيْتُ شَيْخاً مِنْ بَنِي خَفَاجَةَ

فقال الأعرابيُّ : ما شأنه ؟ فقال :

لَهُ إِذَا جَنَّ الظُّلَامُ حَاجَةٌ

فقال الأعرابيُّ : ما هي ؟ قال :

كَحَاجَةِ الدِّيَكِ إِلَى الدَّجَاجَةِ

فاستعبر الأعرابيُّ ضاحكاً ، وقال : قَاتَلَكَ اللهُ ، ما أعرفَكَ بسرائر القوم !!) .

فانظر كيف بلغ هذا المَزْحُ غايته ، ولسانه نَزَّةً ، وعرضه مصونٌ ، وهذا غايةٌ

(١) رواه الحاكم في « المستدرک » (٢٨٥ / ٣) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٢٩ / ٨) ، ولم يكن سيدنا صهيب رومياً ، وإنما نُسب إليهم ؛ لأنهم سبوه وباعوه ، وقيل : لأنه كان أحمر اللون ، رضي الله عنه .

ما يتسامح به الفضلاء من الخلاعة وإن كان مستكره الفحوى ، والنزاهة عن مثله أولى .

وليحذر أن يسترسل في ممازحة عدو ؛ فيجعل له طريقاً إلى إعلان المساوى وهو مُجِدٌّ ، ويفسح له في التشفي مزحاً وهو مُحِقٌّ .

وقد قال بعض الحكماء : (إذا مازحت عدوك .. ظهرت عيوبك) .

وأما الضحك : فإن اعتياده شاغل عن النظر في الأمور المهمة ، مذهل عن الفكر في النوائب الملمة ، وليس لمن أكثر منه هبةً ووقاراً ، ولا لمن وسم به خطرٌ ومقدارٌ .

روى أبو إدريس الخولاني ، عن أبي ذر الغفاري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِيَّاكَ وكثرة الضحك ؛ فإنه يُمِيتُ القلبَ ، ويذهبُ بنور الوجه » (١) .

وقد حكي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى : ﴿ مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ : (أن الصغيرة الضحك) (٢) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (مَنْ كثر ضحكُه .. قلَّتْ هيئته) (٣) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (إذا ضحك العالم ضحكةً .. مَجَّ من العلم مَجَّةً) (٤) .

وقيل في منثور الحكم : (ضحك المؤمن غفلة من قلبه) (٥) .

(١) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٣٦١) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (١٥٧ / ٢) .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٣١٥ / ١٥ / ٩) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٠٢٤) .

(٣) رواه الشهاب في « مسنده » (٣٧٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٦٤٠) .

(٤) رواه الدارمي في « مسنده » (٦٠٢) بنحوه ، وابن عبد البر في « جامع بيان العلم وفضله » (٩٤٠) ، ومج من العلم : يقال : مج الشراب من فيه إذا رماه .

(٥) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٥٩٣) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٧٢٠٩) من قول الحسن البصري رحمه الله تعالى .

والقول في الضحك كالقول في المزاح ؛ إن تجافاه الإنسان . . نفر عنه ، وأوحش منه ، وإن ألفه . . كانت حاله ما وصفناه ، فليكن عند الإنسان بدل الضحك تبسماً وبشراً .

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (التَّبَسُّمُ دُعَابَةٌ) .

وهذا أبلغ في الإيناس من الضحك الذي قد يكون استهزاءً أو تعجباً ، وليس يُنكر منه المرأة النادرة لطارىء استغفل النفس عن دفعه ؛ هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أملك الخلق لنفسه قد تبسم حتى بدت نواجذه ، وإنما كان ذلك منه على الوجه الذي ذكرناه .

الفصل السادس

في الطيرة والفأل

اعلم : أنه ليس شيءٌ أضرَّ بالرأي ، ولا أفسدَ للتدبير من اعتقاد الطيرة ، ومن ظنَّ أنَّ خوارَ بقرةٍ أو نعيبَ غرابٍ يردُّ قضاءً ، أو يدفع مقدوراً . فقد جهل .
وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لا عدوى ، ولا هامة ، ولا طيرة ، ولا صفر »^(١) .

فالعدوى : ما يظنه الناس من تعدّي العلل والأمراض ، فأخبر أنه لا يُعدي ، فقيل : يا رسول الله ؛ إنّا نرى الثُّقبة من الجرب في مشفر البعير ، فيُعدي إلى جميعه ، فقال صلى الله عليه وسلم : « فما أعدى الأول ؟ »^(٢) .

وأما الهامة : فهو ما كانت العرب في الجاهلية تعتقده من أن القتل إذا طُلّ دمه ، فلم يُدرَك بثأره . . صاحت هامته في القبر : اسقوني .

قال الزُّبرقان بن بدر^(٣) :

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي أضربك حيث تقول الهامة اسقوني

وقال إبراهيم بن هرمة^(٤) :

وكيف وقد صاروا عظاماً وأقبراً يصيح صداها بالعشي وهامها

(١) رواه البخاري (٥٧٥٧) ، ومسلم (١٠٢/٢٢٢٠) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، والطيرة : هي التشاؤم بالشيء ، وهي من اعتقاد أهل الجاهلية ؛ كان إذا أراد الواحد منهم حاجة أو سفراً ، فإن رأى الطير طار يمينا . . تيمّن به ، وإن طار شمالاً . . تشاءم به ورجع ، فنهى الشرع عن ذلك .

(٢) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٦١١٩) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٩٤/٤٧) .

(٣) أورد البيت في « المفضليات » (ص ١٦٠) ، و « الحماسة البصرية » (٢١٨/١) لذي الإصبع العدواني .

(٤) أورد البيت الثاني في « الحماسة البصرية » (٧١٨/٢) لمرة بن مالك العُدري .

تفانوا ولم يبقوا وكلُّ قبيلةٍ سريعٌ إلىٰ ورْدِ الفناءِ كرامُها

وأما الصَّفَرُ : فهو كالحية تكون في الجوف ، تصيب الماشية والناس ، وهو أعدىٰ عندهم من الجَرَب ، وفيه يقول الشاعر^(١) :

[من البسيط]

لا يُمسِكُ الساقَ من أَيْنٍ ولا وَصَبٍ ولا يَعَضُّ علىٰ شُرُوفِهِ الصَّفَرُ

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا ظَنَنْتُمْ . . فلا تُحَقِّقُوا ، وإذا حَسَدْتُمْ . . فلا تَبْغُوا ، وإذا تَطَيَّرْتُمْ . . فامضُوا ، وعلى الله فتوكَّلُوا »^(٢) .

وقال الشاعر^(٣) :

[من الخفيف]

طِيرةُ الناسِ لا تُرَدُّ قَضَاءً فاعْذِرِ الدَّهْرَ لا تَشْبُهْ بَلْوَمِ
أَيُّ يَوْمٍ تَخْصُصُهُ بِسُعودٍ والمنايا ينزِلْنَ في كلِّ يَوْمٍ
ليس يَوْمٌ إلا وفيه سُعودٌ ونُحوسٌ تجري لقومٍ وقومٍ

وقد كانت الفرس أكثرَ الناس طِيرةً ، وكانت العرب إذا أرادت سفراً . . نفَّرت أوَّلَ طائرٍ تلقاه ؛ فإن طار يَمَنَةً . . سارت وتيمَّنت ، وإن طار شأمةً . . رجعت وتشاءمت ، فنهى النبيُّ صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وقال : « أَقْرِؤا الطَّيْرَ علىٰ وُكُنَاتِها »^(٤) .

وحكى عكرمة قال : كنَّا جلوساً عند ابن عباسٍ رضي الله عنهما ، فمرَّ طائرٌ

(١) البيت لأعشىٰ باهلة في « ديوانه » (ص ٢٦٨) ، وانظر « المكاثرة » (ص ١٥) . والأين : الإعياء ، والوصب : الوجع والمرض ، والشرسوف : طرف الضلع مما يلي البطن .

(٢) رواه الخطيب البغدادي في « المتفق والمفترق » (٨٩٨) ، وإذا تطيَّرتُمْ . . فامضوا ؛ أي : إذا خرجتم لنحو سفرٍ أو عزمتم علىٰ فعل شيء فتشاءمتم به لرؤية أو سماع ما فيه كراهة . . فلا ترجعوا .

(٣) أورد الأبيات في « تفسير القرطبي » (٢١٤ / ١٣) .

(٤) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٦١٢٦) ، وأبو داود (٢٨٣٥) عن أم كُرز رضي الله عنها ، ووكنات الطير : أعشاشها .

يُصْبِحُ ، فقال رجلٌ من القوم : خيرٌ ، فقال ابن عباس : (لا خيرٌ ، ولا شرٌّ)^(١) .
وقال لبيد^(٢) :

[من الطويل]

لَعَمْرُكَ ما تدري الضَّوَارِبُ بِالْحَصَى ولا زاجراتُ الطَّيْرِ ما اللهُ صانعُ

واعلم : أنَّه قلَّما يخلو من الطَّيِّرة أحد ، لا سيَّما مَنْ عارضته المقاديرُ في إرادته ، وصدَّه القضاءُ عن طَلْبته ، فهو يرجو واليأسُ عليه أغلبُ ، ويأملُ والخوفُ إليه أقربُ ، فإذا عاقه القضاء ، وخانه الرجاء .. جعل الطَّيِّرة عُذَرَ خبيته ، وغفل عن قضاء الله تعالى ومشيتته ؛ فهو إذا تطيَّرَ من بعدُ .. أحجمَ عن الإقدام ، ويثس من الظَّفَر ، وظنَّ أنَّ القياس فيه مُطَرَّدٌ ، وأنَّ العِبرة فيه مستمرة ، ثم يصير ذلك له عادةً ، فلا ينجح له سعيٌّ ، ولا يثمر له قصدٌ .

وأما مَنْ ساعدته المقادير ، ووافقه القضاء .. فهو قليلُ الطَّيِّرة ؛ لإقدامه ثقةً بإقباله ، وتعويلاً على سعادته ، فلا يصدُّه خوف ، ولا يكفُّه خور ، فلا يؤوبُ إلا ظافراً ، ولا يعودُ إلا مُنْجِحاً ؛ لأنَّ الغُنى بالإقدام ، والخيبة مع الإحجام ، فصارت الطَّيِّرة من سمات الإدبار ، واطَّارحها من أمارات الإقبال .

فينبغي لمنُني بها وبئلي : أن يصرفَ عن نفسه وساوسِ النَّوْكِي ، ودواعي الخيبة ، وذرائع الحرمان ، ولا يجعلَ للشيطان سلطاناً في نقض عزائمهِ ، ومعارضة خالقه ، ويعلمَ أنَّ قضاء الله تعالى غالبٌ ، وأنَّ رزقَ العبد له طالبٌ ، وأنَّ الحركة سببٌ ، فلا يثنيه عنها ما لا يضرُّ مخلوقاً ، ولا يدفع مقدوراً ، وليمضِ في عزائمهِ واثقاً بالله تعالى إن أُعطي ، وراضياً به إن مُنع .

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« في الإنسان ثلاثة : الطَّيِّرة ، والظنُّ ، والحسدُ ؛ فمخرجه من الطَّيِّرة : ألا

(١) أوردته في « عيون الأخبار » (١٤٦/١) ، و « المجالسة وجواهر العلم » (٩٣٧) .

(٢) البيت في « ديوانه » (ص ١٧٢) .

يرجع ، ومَخْرَجُهُ مِنَ الظَّنِّ : أَلَّا يَحَقَّقَ ، وَمَخْرَجُهُ مِنَ الْحَسَدِ : أَلَّا يَبْغِيَ ^(١) .
ورُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « كَفَّارَةُ الطَّيْرِ : التَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى » .

وقيل في منشور الحكم : (الْخَيْرَةُ فِي تَرْكِ الطَّيْرِ) ^(٢) .

وليقُلْ إن عارضه في الطَّيْرِ رَيْبٌ ، أو خامرهُ فيها وهَمٌّ : ما رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ تَطَيَّرَ . . فليَقُلْ : اللَّهُمَّ ؛ لَا يَأْتِي بِالْخَيْرَاتِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » ^(٣) .

وقد رُوي أَنَّ رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسولَ الله ؛ صلى الله عليك إِنَّا نزلنا داراً فكثرت فيها عدُّدُنَا ، وكثرت فيها أموالُنَا ، ثم تحوَّلْنَا عنها إلى أُخْرَى ، فَقَلَّتْ فيها أموالُنَا ، وَقَلَّ فيها عدُّدُنَا ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ذَرُوهَا ؛ فَهِيَ ذَمِيمَةٌ » ^(٤) .

وليس هذا القولُ منه صلى الله عليه وسلم على وجه الطَّيْرِ ؛ وَلَكِنْ عَلَى طَرِيقِ التَّبَرُّكِ بِمَا فَارَقَ ، وَتَرَكِ مَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ إِلَى مَا أُنْسَ بِهِ .

فَأَمَّا الْفَأَلُ : ففيه تقويةٌ للعزم ، وباعثٌ على الجِدِّ ، ومَعُونَةٌ عَلَى الظَّفَرِ ؛ فَقَدْ تَفَاعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَوَاتِهِ وَحُرُوبِهِ ، وَرَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَمِعَ كَلِمَةً فَأَعْجَبَتْهُ ، فَقَالَ : « أَخَذْنَا فَأَلَكَ مِنْ فَيْكِ » ^(٥) .

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (١١٣٠) .

(٢) أورده في « نثر الدرر » (٢٩٤ / ١) من قول سيدنا علي رضي الله عنه .

(٣) رواه أبو داود (٣٩١٩) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٦٩٢٠) عن سيدنا عروة بن عامر رضي الله عنه .

(٤) رواه أبو داود (٣٩٢٤) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، ولم يكن ذلك على وجه الطيرة ، وإنما كانوا في دارهم على استئصال واستيحاش ، فأمرهم بالانتقال عنها ؛ ليزول عنهم ما يجدون من الكراهة ، لأنه سبب في ذلك .

(٥) رواه أبو داود (٣٩١٧) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (١١٢٦) .

فينبغي لمن تفاعل : أن يتأول الفأل بأحسن تأويلاته ، ولا يجعل لسوء الظن سبيلاً على نفسه ؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ الْبَلَاءَ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ »^(١) .

حُكي : أن يوسف عليه السلام شكاً إلى الله تعالى طول الحبس ، فأوحى الله تعالى إليه : « يا يوسف ؛ أنت حبست نفسك حيث قلت : ﴿ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ ، ولو قلت : العافية أحبُّ إليَّ .. لعوفيت »^(٢) .

وحُكي : أن المؤمل بن أميل الشاعر لما قال :

شَفَّ الْمُؤْمَلُ يَوْمَ الْحِيرَةِ النَّظْرُ لَيْتَ الْمُؤْمَلُ لَمْ يُخْلَقْ لَهُ بَصَرُ
فعمي .. فأتاه آتٍ في منامه ، فقال : (هذا ما طلبت)^(٣) .

وحُكي : أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاعل يوماً في المصحف ، فخرج قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾ ، فمزق المصحف ، وأنشأ يقول :

أَتَوْعِدُ كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ فهُنَا ذَاكَ جَبَّارٌ عَنِيدُ
إِذَا مَا جِئْتَ رَبِّكَ يَوْمَ حَشْرِ فَقُلْ يَا رَبِّ مَزَّقَنِي الْوَلِيدُ
فَلَمْ يَلْبَثْ إِلَّا إِيَّامًا حَتَّى قُتِلَ شَرِّ قَتْلَةٍ ، وَصُلِبَ رَأْسُهُ عَلَى قَصْرِهِ ، ثُمَّ عَلَى سُورِ بَلَدِهِ^(٤) .

نعوذ بالله من البغي ومصارعه ، ومن الشيطان ومكائده ، وهو حسبنا ، وعليه توكلنا .

(١) رواه الشهاب في « مسنده » (٢٢٧ ، ٢٢٨) عن حذيفة وعلي رضي الله عنهما ، ومن غير أخاه بشيء .. وقع فيه ، قال الشاعر :

احفظ لسانك لا تقول فتبتلى إن البلاء موكلٌ بالمنطق

(٢) أورده في « عيون الأخبار » (٧٩ / ١) ، و « المحاسن والمساوىء » (ص ٣٩) .

(٣) أورده في « معجم الشعراء » (ص ٣٥٢) ، و « الأغاني » (٨٩٧٣ / ٢٦) .

(٤) أورده في « الأغاني » (٢٤٨٩ / ٧) ، والبيتان في « ديوانه » (ص ٣٥) .

الفصل السابع

في المروءة

اعلم : أنَّ من شواهد الفضل ودلائل الكرم المروءة التي هي حلية النفوس ، وزينة الهمم ، والمروءة هي مراعاة الأحوال أن تكون على أفضلها ؛ حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد ، ولا يتوجَّه إليها ذمٌّ باستحقاق .

رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمْهُمْ ، وَحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ ، وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفْهُمْ . . فهو مِمَّنْ كَمَلَتْ مَرْوَعُهُ ، وَظَهَرَتْ عَدَالَتُهُ ، وَوَجِبَتْ أَخُوَّتُهُ »^(١) .

وقال بعض البلغاء : (من شرائط المروءة : أن تتعفَّفَ عن الحرام ، وتتظَلَّفَ عن الآثام^(٢) ، وتُنَصِّفَ في الحكم ، وتكفَّ عن الظلم ، ولا تطمع فيما لا يُستحقُّ ، ولا تستطيلَ على مَنْ لا يُسترقُّ ، ولا تُعينَ قوياً على ضعيف ، ولا تؤثرَ دنيئاً على شريف ، ولا تُسرَّ ما يعقبُ الوزرَ والإثم ، ولا تفعلَ ما يُقْبَحُ الذكرَ والاسم) .

وسئل بعض الحكماء عن الفرق بين العقل والمروءة فقال : (العقلُ يأمرُك بالأُنفع ، والمروءةُ تأمرُك بالأَجْمَل)^(٣) .

ولن تجدَ الأخلاقَ على ما وصفنا من حدِّ المروءة منطبعةً ، ولا عن المُرَاعاةِ مستغنيةً ، وإنَّما المُرَاعاةُ هي المروءةُ ، لا ما انطبعت عليه النفسُ من فضائل الأخلاق ؛ لأنَّ غرورَ الهوى ونارَ الشهوةِ يصرفان النفسَ - إنْ تُرِكَتْ فوضى - عن الأفضل من خلائقها ، والأَجْمَل من طرائقها ، ولو سلمتَ منهما - وبعيداً أن

(١) رواه الشهاب في « مسنده » (٥٤٣) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٢٧١ / ٢) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٢) تنظَّلَفَ : تمتنع .

(٣) أورده في « نثر الدر » (٢٨٥ / ١) من كلام سيدنا علي رضي الله عنه .

تسلم... لما استكملت شرف الأخلاق طبعاً ، ولا استغنت عن تهذيبها تكلّفاً
وتصنعاً .

قال الشاعر^(١) :

مَنْ لَكَ بِالْمَخْضِ وَلَيْسَ مَخْضٌ يَخْبُثُ بَعْضٌ وَيَطِيبُ بَعْضٌ
ثم لو استكمل الفضل طبعاً - وفي المعوز أن يكون مُستكماً... لكان في
المُستحسن من عادات دهره ، والموضوع من اصطلاح عصره من حقوق المروءة
وشروطها... ما لا يُتوصّل إليه إلا بالمُعانة ، ولا يُوقَف عليه إلا بالتفقد
والمراعاة .

فثبت أن مراعاة النفس على أفضل أحوالها هي المروءة ، وإذا كانت كذلك...
فليس ينقاد لها مع ثقل كُلفها إلا مَنْ تسهّلت عليه المَساقُ ؛ رغبةً في الحمد ،
وهانت عليه المَلَادُ ؛ حذراً من الدَّمِّ ؛ ولذلك قيل : (سَيِّدُ الْقَوْمِ أَشْقَاهُمْ)^(٢) .

وقال أبو تمام الطائي^(٣) :

وَالْحَمْدُ شَهْدٌ لَا تَرَى مُشْتَارَهُ يَجْنِيهِ إِلَّا مِنْ نَقِيعِ الْخَنْظَلِ
غُلٌّ لِحَامِلِهِ وَيَحْسِبُهُ الَّذِي لَمْ يُوهِ عَاتِقَهُ خَفِيفَ الْمَحْمَلِ
وقد لاحظ المتنبّي ذلك في قوله^(٤) :

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلُّهُمْ الْجُودُ يُفْقِرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَالُ

وقوله^(٥) :

وَإِذَا كَانَتِ النَّفُوسُ كِبَاراً تَعَبَتْ فِي مُرَادِهَا الْأَجْسَامُ

(١) البيت لأبي العتاهية من أرجوزته ذات الأمثال في « ديوانه » (ص ٤٤٩) .

(٢) أورده في « المعمرّون والوصايا » (ص ١٣٠) لرياح بن ربيعة ، و « جمهرة الأمثال » (١ / ٤٢٥) ، ومعناه : أكثرهم تحملاً للمشقة ، وأكثرهم شدة ومحنة .

(٣) البيتان في « ديوانه » (٤٢ / ٣) ، والشَّهْدُ : العسل في شمعته ، واشتارهُ : اجتنأه من خلاياه ، والغُلُّ - بالضم - : الطوق الذي يُجعل في عنق المحبوس والمجنون ، ولم يُوهِ : لم يُضعفه ويُنحله .

(٤) البيت في « ديوانه » (٢٨٧ / ٣) .

(٥) البيت في « ديوانه » (٣٤٥ / ٣) .

والداعي إلى استسهال ذلك شيئان ؛ هما : علوُّ الهمة ، وشرفُ النفس .
أما علوُّ الهمة : فلأنَّه باعثٌ على التقدُّم ، وداعٌ إلى التخصُّص ؛ أنفَةً من
خمول الضَّعة ، واستكباراً لمهانة النقص ؛ ولذلك قال النبيُّ صلى الله عليه
وسلم : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَأَشْرَافَهَا ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا » (١) .
ورُوي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال : (لا تصغرُنَّ هممكم ؛
فإني لم أرَ أَعَدَّ عن المَكْرُمات من صِغَرِ الْهِمَمِ) (٢) .
وقال بعض الحكماء : (الهمةُ رائدُ الجَدِّ) .
وقال بعض البلغاء : (علوُّ الْهِمَمِ بَدْرُ النَّعَمِ) .
وقال بعض العلماء : (إذا طلب رجلانُ أمراً .. ظفر به أعظمُهما مروءةً) (٣) .
وقال بعض الأدباء : (مَنْ تَرَكَ التَّماسَّ الْمَعَالِي بِسُوءِ الرَّجَاءِ .. لَمْ يَنْلُ
جَسِيمَهَا) (٤) .

وأما شرف النفس : فإنَّ به يكون قَبُولُ التَّأْدِيبِ ، واستقرارُ التَّقْوِيمِ
والتَّهْذِيبِ ؛ لأنَّ النفسَ ربِّما جمحت عن الأفضل وهي به عارفةٌ ، ونفرت من
التَّأْدِيبِ وهي له مستحسنةٌ ؛ لأنَّها عليه غيرُ مطبوعة ، وله غيرُ ملائمة ، فتصير منه
أنْفَرٌ ، ولضدَّه الملائم أئْرٌ ؛ ولذلك قيل : (ما أَكْثَرَ مَنْ يَعْرِفُ الْحَقَّ
وَلَا يَطِيعُهُ !!) .

وإذا شُرُفت النفسُ .. كانت لِلْأَدَابِ طالبةً ، وفي الفضائل راعبةً ، فإذا
مازجها .. صادف طبعاً ملائماً ، فنما واستقرَّ .

-
- (١) رواه الشهاب في « مسنده » (١٠٧٦) عن سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما ، والبيهقي في « شعب
الإيمان » (٧٦٤٧) عن طلحة بن كريب الخزاعي رحمه الله تعالى ، وسفساف الأمور : رديتها وحقيقتها .
(٢) أورده في « التذكرة الحمدونية » (٢٨ / ٢) ، و « محاضرات الأدباء » (١٥٣ / ٢) .
(٣) رواه في « تاريخ دمشق » (٣٢٦ / ٢٣) من قول صالح بن جناح اللَّخْمِي .
(٤) أورده في « التذكرة الحمدونية » (٢٧٥ / ١) من قول موسى بن جعفر .

فَأَمَّا مَنْ مَنِي بَعْلَوِ الْهَمَّةِ ، وَشَلَبَ شَرَفَ الْنَفْسِ . . فَقَدْ صَارَ عُرْضَةً لِأَمْرِ أَعْوَزَتْهُ
آلَتُهُ^(١) ، وَأَفْسَدَتْهُ جِهَالَتُهُ ، فَصَارَ كَضَرِيرٍ يَرُومُ الْكِتْبَةَ ، وَأَخْرَسَ يَرِيدَ الْخُطْبَةَ ،
فَلَا يَزِيدُهُ الْاجْتِهَادُ إِلَّا عَجْزاً ، وَالطَّلِبُ إِلَّا عَوْزاً ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « مَا هَلَكَ امْرُؤٌ عَرَفَ قَدْرَهُ »^(٢) .

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ : مَنْ أَسْوَأُ النَّاسِ حَالاً ؟ قَالَ : (مَنْ بَعُدَتْ هَمَّتُهُ ،
وَأَتَسَّعَتْ أَمْنِيَّتُهُ ، وَقَصُرَتْ آلَتُهُ ، وَقَلَّتْ مَقْدِرَتُهُ)^(٣) .

وَقَالَ أَفُتُونُ التَّغْلِبِيُّ^(٤) :

وَلَا خَيْرَ فِيمَا يَكْذِبُ الْمَرْءُ نَفْسَهُ وَتَقْوَالِهِ لِلشَّيْءِ يَا لَيْتَ ذَا لِيَا
لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي امْرُؤٌ كَيْفَ يَتَّقِي إِذَا هُوَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ اللَّهَ وَاقِيَا
وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : (تَجَنَّبُوا الْمُنَى ؛ فَإِنَّهَا تُذْهِبُ بِهَجَةٍ مَا خُوِّلْتُمْ ،
وَتَسْتَصْغِرُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى عِنْدَكُمْ)^(٥) .

وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحَكَمِ : (الْمُنَى مِنْ بَضَائِعِ النَّوْكِ)^(٦) .

فَإِنْ صَادَفَ بِهِمَّتُهُ حَظًّا نَالَ بِهِ أَمَلًا . . كَانَ فِيمَا نَالَ كَالْمَغْتَصِبِ ، وَفِيمَا وَصَلَ
إِلَيْهِ كَالْمَتَغَلَّبِ ؛ إِذْ لَيْسَ فِي الْحِظْوِظِ تَقْدِيرٌ لِحَقٍّ ، وَلَا تَمَيِّزٌ لِمُسْتَحِقٍّ ، وَإِنَّمَا هِيَ
كَالسَّحَابِ الَّذِي يَمْسُكُ عَنْ مَنَابِتِ الْأَشْجَارِ إِلَى مَغَايِصِ الْبَحَارِ ، وَيَنْزِلُ حَيْثُ
صَادَفَ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيِّبٍ ؛ فَإِنْ صَادَفَ أَرْضاً طَيِّبَةً . . نَفَعَ ، وَإِنْ صَادَفَ أَرْضاً
خَبِيثَةً . . ضَرَّ ، كَذَلِكَ الْحَظُّ ؛ إِنْ صَادَفَ نَفْساً شَرِيفَةً . . نَفَعَ ، وَكَانَ نِعْمَةً عَامَّةً ،
وَإِنْ صَادَفَ نَفْساً دَنِيَّةً . . ضَرَّ ، وَكَانَ نِقْمَةً طَائِمَةً .

(١) مِنْ مَنِي : مِنْ ابْتَلَى ، وَأَعْوَزَتْهُ آلَتُهُ : صَعِبَتْ عَلَيْهِ وَأَشْكَلَتْ .

(٢) أَوْرَدَهُ فِي « الْأَوَائِلِ » (ص ٤٩) ، وَرَوَاهُ أَبُو نَعِيمٍ فِي « مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ » (٣٤٣ / ١) مِنْ قَوْلِ أَكْثَمِ بْنِ صَيْفِي .

(٣) أَوْرَدَهُ فِي « التَّذَكُّرَةِ الْحَمْدُونِيَّةِ » (٢٤٧ / ١) ، وَرَوَاهُ فِي « الْجَلِيسِ الصَّالِحِ » (٣٦٩ / ٢) .

(٤) أَوْرَدَ الْبَيْتَيْنِ فِي « لِبَابِ الْأَدَابِ » (ص ٣٦٠) ، وَ« الْعَقْدُ الْفَرِيدُ » (٢٤٧ / ٣) .

(٥) أَوْرَدَهُ فِي « التَّذَكُّرَةِ الْحَمْدُونِيَّةِ » (٣٨٥ / ١) .

(٦) أَوْرَدَهُ فِي « التَّذَكُّرَةِ الْحَمْدُونِيَّةِ » (٣٣٠ / ٣) ، وَ« الْإِعْجَازُ وَالْإِيْجَازُ » (ص ٣٧) مِنْ قَوْلِ سَيِّدِنَا عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

حُكي : أنَّ موسى بن عمران عليه السلام دعا على قومٍ بالعذاب ، فأوحى الله سبحانه وتعالى إليه : (قد ملَّكتُ سِفْلَتَهَا على عِلْيَتِهَا ، فقال : يا ربِّ ؛ كنتُ أحبُّ لهم عذاباً عاجلاً ، فأوحى الله تعالى إليه : أوليس هذا كلُّ العذاب العاجل الأليم ؟) .

فأما شرفُ النفس إذا تجرَّد من علوِّ الهمة . . فإنَّ الفضلَ به عاطلٌ ، والقدرَ به خاملٌ ، وهو كالقوَّة في الجلدِ الكسِل ، أو الجبانِ الفشِل ، يضعِف قوَّتَه بكسله ، وجَلَدَه بفشله .

وقد قيل في منشور الحكم : (من دام كسله . . خاب أملُه)^(١) .

وقال بعض الحكماء : (نكح العجزُ التواني ، فخرج بينهما الندامةُ ، ونكح الشؤمُ الكسلَ ، فخرج بينهما الحرمانُ)^(٢) .

وقال بعض الشعراء^(٣) :

[من الطويل]

إذا أنتَ لم تعرفِ لنفسِكَ حَقَّها هَوَاناً بها كانت على الناسِ أهَوَاناً
فنفْسُكَ أكرمُها وإنْ ضاقَ مَسْكَنُ عليك لها فاطْلُبْ لنفسِكَ مَسْكَناً
وإيَّاكَ والشُّكْنَى بدارٍ مَذَلَّةٍ يُعَدُّ مَسِيئاً فيه مَنْ كان مُحْسِناً

وشرفُ النفس مع صغرِ الهمةِ أولى من علوِّ الهمةِ مع دناءةِ النفس ؛ لأنَّ مَنْ علَتْ همَّتُه مع دناءةِ نفسه . . كان متعدِّياً إلى طلب ما لا يستحقُّه ، ومتخطِّياً إلى التماس ما لا يستوجبه .

وَمَنْ شَرَفَتْ نَفْسُهُ مع صغرِ همَّتِه . . فهو تاركٌ لما يستحقُّه ، ومقصرٌ عما يجبُ له ، وفضلُ ما بين الأمرين ظاهرٌ وإن كان لكلِّ واحدٍ منهما من الذمِّ نصيبٌ .

(١) أوردته في « باب الآداب » (ص ٦٨) ، و « المستطرف » (٩١ / ١) .

(٢) رواه في « روضة العقلاء » (٧٩٥ / ٢) من قول الشَّمرْدَل ، وأوردته في « نثر الدرِّ » (٨٧ / ٢) من قول سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه .

(٣) أورد البيهقي الأخيرين ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (٢٠٦ / ١٦) .

وقيل لحكيم : (ما أصعبُ شيءٍ على الإنسان ؟ قال : أن يعرفَ نفسه ، ويكتُم الأسرار) .

فإذا اجتمع الأمران ، واقترن بشرف النفس علوُ الهمة . . كان الفضلُ بهما ظاهراً ، والأدبُ بهما وافراً ، ومشاقُّ الحمد بينهما مستسهلةً ، وشروطُ المروءة منهما متهيئةً .

وقد قال الحُصَيْن بن المنذر الرَّقَاشِي^(١) :

إِنَّ المَرْوَةَ لَيْسَ يُدْرِكُهَا امْرُؤٌ وَرِثَ الْمَكَارِمَ عَنْ أَبٍ فَأُضَاعَهَا
أَمَرَتْهُ نَفْسٌ بِالذَّنَاءِ وَالْخَنَا وَنَهَتْهُ عَنْ سُبُلِ الْعُلَا فَأُطَاعَهَا
فَإِذَا أَصَابَ مِنَ الْمَكَارِمِ خَلَّةً بَيْنِي الْكَرِيمُ بِهَا الْمَكَارِمَ بَاعَهَا

واعلم : أنَّ حقوقَ المَرْوَةِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى ، وَأَخْفَى مِنْ أَنْ تُظْهَرَ^(٢) ؛ لِأَنَّ مِنْهَا مَا يَقْوَى فِي الْوَهْمِ حِسّاً ، وَمِنْهَا مَا يَقْتَضِيهِ شَاهِدُ الْحَالِ حَدْساً ، وَمِنْهَا مَا يَظْهَرُ بِالْفِعْلِ ، وَيَخْفَى بِالتَّغَافُلِ ؛ فَلِذَلِكَ أَعَوَزَ اسْتِيفَاءُ شُرُوطِهَا ، إِلَّا جُمْلَاً يَتَنَبَّهُ الْفَاضِلُ عَلَيْهَا بِفِطْنَتِهِ ، وَيَسْتَدِلُّ الْعَاقِلُ عَلَيْهَا بِفِطْرَتِهِ ، وَإِنْ كَانَ جَمِيعُ مَا تَضَمَّنَتْهُ كِتَابَنَا هَذَا هُوَ مِنْ حَقُوقِ الْمَرْوَةِ وَشُرُوطِهَا .

وإنَّمَا نَذَكِرُ فِي هَذَا الْفَصْلِ الْأَشْهَرَ مِنْ قَوَاعِدِهَا وَأَصُولِهَا ، وَالْأَظْهَرَ مِنْ شُرُوطِهَا وَحَقُوقِهَا مُحْصُوراً فِي تَقْسِيمٍ جَامِعٍ .

وهي تنقسم قسمين : أحدهما : شروطُ المَرْوَةِ فِي نَفْسِهِ ، وَالثَّانِي : شُرُوطِهَا فِي غَيْرِهِ .

فَأَمَّا شُرُوطُهَا فِي نَفْسِهِ بَعْدَ التَّزَامِ مَا أَوْجَبَهُ الشَّرْعُ مِنْ أَحْكَامِهِ . . فَتَكُونُ بِثَلَاثَةِ أُمُورٍ ؛ وَهِيَ : الْعِفَّةُ ، وَالتَّزَاهَةُ ، وَالصِّيَانَةُ .

(١) أورد الأبيات في « التذكرة الحمدونية » (٦٩ / ٢) ، و « روضة العقلاء » (٨٣١ / ٢) .

(٢) لا يتعلق بها الإحصاء لكثرتها ، ولا الإظهار لدقتها .

فَأَمَّا الْعِفَّةُ .. فنوعان : أحدهما : العِفَّةُ عن المحارم ، والثاني : العِفَّةُ عن المآثم .

فَأَمَّا الْعِفَّةُ عن المحارم .. فنوعان : أحدهما : ضبطُ الفرج عن الحرام ، والثاني : كَفُّ اللسان عن الأعراض .

فَأَمَّا ضبطُ الفرج عن الحرام : فلأنَّه مع وعيد الشرع وزاجر العقل مَعْرَةٌ فاضحة ، وهُتْكَةٌ داحضة^(١) .

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « مَنْ وُقِيَ شَرَّ ذَبْذِبِهِ وَلَقَلَقِهِ وَقَبْقَبِهِ .. فقد وُقِيَ » يريد به (ذبذبه) : الفَرْجَ ، وبـ (لقلقه) : اللسان ، وبـ (قبقبه) : البطن^(٢) .

وَرُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قال : « أَحَبُّ الْعَفَافِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى عَفَافُ الْفَرْجِ وَالْبَطْنِ » .

وَحُكِيَ : أَنَّ معاويةَ سألَ عَمراً عن المروءة ، فقال : (تقوى الله تعالى ، وصلة الرَّحِمِ) .

وسألَ المغيرةَ ، فقال : (هي العِفَّةُ عَمَّا حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالْحِرْفَةُ فيما أَحَلَّ اللَّهُ عز وجل) .

وسألَ يزيدَ ، فقال : (هي الصَّبْرُ على الْبُلُوْى ، والشُّكْرُ على النُّعْمَى ، والعَفْوُ عند القدرة) ، فقال معاويةُ : (أَنْتَ مَنِّي حَقًّا) .

وقال أنوشروان لابنه هرمز : (الكاملُ المروءة : مَنْ حَصَّنَ دِينَهُ ، وَوَصَلَ رَحِمَهُ ، وَأَكْرَمَ إِخْوَانَهُ)^(٣) .

(١) معرة فاضحة : إثم ظاهر وجناح مكشوف ، وهُتْكَةٌ داحضة : باطلة ، والهُتْكَةُ : خرقٌ في الستر ، وههنا كناية عن العضوين المخصوصين .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٥٠٢٦) عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه ، وفسر القبقب فيه بالفم .

(٣) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٠٦/٧) بنحوه من قول إبراهيم بن محمد الإمام .

وقال بعض الحكماء : (مَنْ أَحَبَّ الْمَكَارِمَ . . اجْتَنَبَ الْمَحَارِمَ)^(١) .

وقيل : (عَارُ الْفُضِيحَةِ يَكْدُرُ لَذَّتْهَا)^(٢) .

وأنشدني بعض أهل الأدب للحسين بن عليّ عليهما السلام^(٣) : [من مشطور الرجز]

الموتُ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْعَارِ
وَالْعَارُ خَيْرٌ مِنْ دُخُولِ النَّارِ
وَاللَّهُ مِنْ هَذَا وَهَذَا جَارِي

والداعي إلى ذلك شيئان^(٤) : أحدهما : إرسال الطُّرْف ، والثاني : اتِّبَاعُ الشهوة .

وقد رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال لعليّ بن أبي طالب عليه السلام : « يا عليّ ؛ لَا تُتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ ؛ فَإِنَّ الْأُولَى لَكَ ، وَالثَّانِيَةُ عَلَيْكَ »^(٥) .

وفي قوله صلى الله عليه وسلم : (لَا تُتَّبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ) تأويلان :

أحدهما : لَا تَتَّبِعْ نَظَرَ عَيْنِكَ نَظَرَ قَلْبِكَ .

والثاني : لَا تَتَّبِعِ النَّظْرَةَ الْأُولَى الَّتِي وَقَعْتَ سَهْوًا بِالنَّظْرَةِ الثَّانِيَةِ الَّتِي تُوقِعُهَا عَمْدًا .

وقال عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : (إِيَّاكُمْ وَالنَّظْرَةَ بَعْدَ النَّظْرَةِ ؛ فَإِنَّهَا تَزْرَعُ فِي الْقَلْبِ الشَّهْوَةَ ، وَكَفَى بِهَا لَصَاحِبِهَا فِتْنَةً)^(٦) .

(١) أوردته في « البيان والتبيين » (٧٥ / ٢) ، و « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٣١) .

(٢) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٥٥) .

(٣) أورد الأبيات في « البيان والتبيين » (٢٧٨ / ٣) ، و « نثر الدر » (٣٣٧ / ١) ، وجاري : مُجِيرِي .

(٤) الداعي إلى الوقوع في الحرام من جهة الفرج شيئان .

(٥) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٥٥٧٠) ، وأبو داود (٢١٤٩) ، والترمذي (٢٧٧٧) .

(٦) رواه عبد الرزاق في « مصنفه » (٧٤٥٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٢٩ / ٤٧) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (العيونُ مصائدُ الشيطان)^(١) .

وقال بعض الحكماء : (مَنْ أرسلَ طَرْفَهُ . . استدعى حَتْفَهُ)^(٢) .

وقال بعض الشعراء^(٣) :

وكنْتَ متى أرسلْتَ طَرْفَكَ رائداً لقلبِكَ يوماً أتعبْتَكَ المناظرُ
رأيتَ الذي لا كلُّهُ أنتَ قادرٌ عليه ولا عن بعضِهِ أنتَ صابرٌ

فأما الشهوةُ : فهي خادعةُ العقول ، وغارةُ الألباب ، ومحسنةُ القبائح ،
ومسولةُ الفضائح ، وليس عطبٌ إلا وهي له سببٌ ، وعليه ألبٌ ؛ ولذلك قال
النبي صلى الله عليه وسلم : « أربعٌ مَنْ كُنَّ فيه . . وجبت له الجنةُ ، وحُفِظَ مَنْ
الشَّياطينَ : مَنْ ملكَ نفسه حينَ يرغبُ ، وحينَ يرهَبُ ، وحينَ يشتهي ، وحينَ
يغضبُ »^(٤) .

وقهراً عن هذه الأحوال يكون بثلاثة أمور :

- أحدها : غرضُ الطَّرْفِ عن إثارتها ، وكفُّه عن مساعدتها ؛ فإنه الرائد
المحرِّك ، والقائد المهلك .

روى سعد بن سنان^(٥) ، عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه قال : « تقبَّلُوا لي بسِّئاً . . أتقبَّلَ لكم بالجنةِ » قالوا : وما هي
يا رسولَ الله ؟ قال : « إذا حدَّثَ أحدُكم . . فلا يكذبْ ، وإذا وعدَ . . فلا

(١) أورده في « نثر الدر » (٣١٧/١) بنحوه .

(٢) رواه في « الطيوريات » (١٠٧٨) من قول ذي النون ، وأورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣١٠) .

(٣) أورده في « عيون الأخبار » (٢٢/٤) ، ورواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٣٢٨٤) لامرأة اسمها
الصَّيقل كما في « الإنصاف في مسائل الخلاف » (ص ٦٤٥) .

(٤) أورده الحكيم الترمذي في « نواذر الأصول » (ص ٣٦٢) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، ورواه في
« حلية الأولياء » (١٤٤/٢) من قول الحسن البصري رحمه الله تعالى .

(٥) في النسخ كلها : (سعيد بن سنان) ، ولعل الصواب ما أثبت ، والله أعلم .

يُخْلِفُ ، وَإِذَا أُوْتِمِنَ . . فَلَا يَخُنْ ، غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ» (١) .

- والثاني : ترغيبها في الحلال عَوْضاً ، وإقناعها بالمباح بدلاً ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ما حَرَّمَ شيئاً إلا وأَغْنَى عنه بمباح من جنسه ؛ لما علمه من نوازع الشهوة ، وتركيب الفطرة ؛ ليكون ذلك عوناً على طاعته ، وحاجزاً عن مخالفته .

وقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (ما أمر الله تعالى بشيء إلا وأعان عليه ، ولا نهى عن شيء إلا وأغنى عنه) (٢) .

- والثالث : إشعار النفس بتقوى الله تعالى في أوامره ، واتقائه في زواجره ، وإلزامها ما ألزم من طاعته ، وتحذيرها ما حذر من معصيته ، وإعلامها : أَنَّهُ لا يخفى عليه ضميرٌ ، ولا يعزبُ عنه قِطْمِيرٌ ، وَأَنَّهُ يجازي المحسنَ ، ويكافئُ المسيءَ ، بذلك نزلت كتبه ، وبلغت رسله .

روى ابن مسعود رضي الله عنه : (أَنَّ آخَرَ ما نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾) (٣) .

وآخرُ ما نزل من التوراة : (إِذَا لَمْ تَسْتَحْيِ . . فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ) (٤) .

وآخرُ ما نزل من الإنجيل : (شَرُّ النَّاسِ مَنْ لَا يَبَالِي أَنْ يَرَاهُ النَّاسُ مُسِيئاً) (٥) .

وآخرُ ما نزل من الزَّبُور : (مَنْ يَزْرَعُ خَيْرًا . . يَحْصُدُ غَبْطَةً) (٦) .

(١) رواه الحاكم في « المستدرک » (٣٥٩/٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٤٠٤٦) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٦٧/٢٩) ، وتَقَبَّلُوا : تَكَفَّلُوا .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٨) دون نسبة .

(٣) رواه الطبري في « تفسيره » (١٤٨/٣/٣) ، والبخاري (٤٥٤٤) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٤) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٧٩٩) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٢٠/٥٣) عن سيدنا أبي مسعود البدر رضي الله عنه .

(٥) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (٢٧٥) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٦٦٠٢) من قول لقمان الحكيم .

(٦) رواه الأزرقي في « أخبار مكة » (٥٥/١) ، وابن هشام في « السيرة النبوية » (١٩٦/١) ، وغبطة : حال كونه مسرة ، وحسن حال .

فإذا أشعرها ما وصفت.. انقادت إلى الكفّ ، وأذعنت بالأتقاء ، فسلم دينه ، وظهرت مروءته ، فهذا شرط .

وأما كفّ اللسان عن الأعراض : فلأنه مَلَأَ السفهاء ، وانتقامُ الغوغاء ، وهو مستسهل الكُفّ ، إن لم يقهر نفسه عنه برادع كافٍ ، وزاجرٍ صاّدٍ.. تَلَبَّطَ بمَعَارِهِ ، وتخبَّطَ بمَضَارِهِ ، وظنَّ أَنَّهُ لتجافي الناس عنه حِمَى يُتَّقَى ، ورتبة تُرْتَقَى ، فهلك وأهلك ؛ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَلَا إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ »^(١) فجمع بين الدَّم والعِرْض ؛ لما فيه من إيغار الصدور ، وإبداء الشُّرور ، وإظهار البذاء ، واكتساب الأعداء ، ولا يبقى مع هذه الأمور وزنٌ لمرموق ، ولا مروءةٌ لملاحظ ، ثم هو بها موتورٌ وموزور ، ولأجلها مهجورٌ ومزجور .

وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قال : « شَرُّ النَّاسِ : مَنْ أَكْرَمَهُ النَّاسُ ؛ اتَّقَاءَ لِسَانِهِ »^(٢) .

وقال بعض الحكماء : (إِنَّمَا يَهْلِكُ النَّاسُ بِفُضُولِ الْكَلَامِ ، وَفُضُولِ الْمَالِ)^(٣) .

وما قدح في الأعراض من الكلام.. فنوعان :

أحدهما : ما قدح في عرض صاحبه ، ولم يتجاوزه إلى غيره ؛ وذلك شيثان : الكذب ، وفُحْشُ القول .

والثاني : ما تجاوزه إلى غيره ؛ وذلك أربعة أشياء : الغيبة ، والنميمة ، والسعاية ، والسبُّ بقذفٍ أو شتم .

(١) رواه البخاري (٦٧) ، ومسلم (١٦٧٩) عن سيدنا أبي بكره رضي الله عنه .

(٢) رواه البخاري (٦٠٣٢) ، ومسلم (٢٥٩١) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في « الصمت » (١٠٣) ، و« البيان والتبيين » (١٩٢/١) من قول إبراهيم النخعي رحمه الله تعالى .

وربما كان السبُّ أنكاها للقلوب ، وأبلغها أثراً في النفوس ؛ ولذلك زجر الله تعالى عنه بالحدِّ تغليظاً ، وبالتفسيق تشديداً وتصعيباً^(١) .

وقد يكون ذلك لأحد شيئين : إمّا انتقامٌ يصدر عن سفه ، أو بداءٌ يحدث عن لؤم .

وقد روى أبو سلمة ، عن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال : « المؤمنُ غرٌّ كريمٌ ، والفاجرُ حَبٌّ لثيمٌ »^(٢) .

وقال ابن المقفَّع : (الاستطالةُ لسانُ الجهالة)^(٣) .

وكفَّ النفس عن هذه الحال بما يصدُّها من الزواجر أسلم ، وهو بذوي المروءة أجمل ، فهذا شرط^(٤) .

وأما العفة عن المآثم . . فنوعان : أحدهما : الكفُّ عن المجاهرة بالظلم ، والثاني : زجرُ النفس عن الاستسرار بخيانة .

فأما المجاهرةُ بظلم : فعتوٌّ مهلكٌ ، وطُغيانٌ متلفٌ ، وهو يؤول إن استمرَّ إلى فتنةٍ أو جلاءٍ .

- أمّا الفتنةُ في الأغلب . . فتحيط بصاحبها ، وتنعكس على البادئ بها ، فلا تنكشف إلا وهو بها مصروعٌ ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾ .

(١) ولذلك شرع حد القذف وعقوبته .

(٢) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (٤١٨) ، وأبو داود (٤٧٩٠) ، والترمذي (١٩٦٤) ، غرٌّ : يغره كل أحد ، ولا يعرف الشر وليس بذئ مكر ؛ فهو ينخدع لسلامة صدره وحسن ظنه ، وخب - بفتح الخاء وقد تكسر - : هو الذي يسعى بين الناس بالفساد .

(٣) أورده في « الصناعتين » (ص ٢٧٨) ، و« البديع » (ص ١٥) دون نسبة ، والاستطالة : المغالبة في القول الفاحش .

(٤) فهذا الكف شرط من شروط المروءة في نفسه .

ورُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال : « الفِتْنَةُ نائمةٌ ؛ فَمَنْ أيقظَها . . صار طعاماً لها » (١) .

وقال جعفر بن محمد عليهما السلام : (الفِتْنَةُ حصادُ الظالمين) (٢) .

وقال بعض الحكماء : (صاحبُ الفِتْنَةِ أقربُ شيءٍ أجلاً ، وأسوأ شيءٍ عملاً) (٣) .

وقال بعض الشعراء (٤) :

وكنْتَ كعَنزِ السُّوءِ قامَتْ لَحَنفِها إلى مُذِيّةٍ تحتَ الثَّرَى تَسْتِثِيرُها

- وأما الجلاء : فقد يكون مع قوّة الظالم ، وتطاول مدّته ، فيصير ظلمه مع المَكِينَةِ جِلاءً وفَناءً ؛ كالنار إذا وقعت في يابس الشجر ، فلا تُبقي منه بتمكُّنها شيئاً ، حتّى إذا أُنْتِ ما وجدت . . خمدت ؛ كذلك حالُ الظالم : مُهلِكٌ ثم هالكٌ .

والباعثُ على ذلك شيئان : الجِراءُ ، والقِسوَةُ ؛ ولذلك قال النبيّ صلى الله عليه وسلم : « اطلُبُوا الفضلَ والمَعْرُوفَ عندَ الرُّحَماءِ مِن أُمّتي . . تَعِشُوا في أَكْثافِهِمْ » (٥) .

والصائدُ عن ذلك : أن يرى آثارَ الله تعالى في الظالمين ؛ فإنَّ له فيهم عِبراً ، ويتصوّرَ عواقبَ ظلمهم ؛ فإنَّ فيه مُزْدَجِراً .

وقد رُوي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنّه قال : « مَنْ أَصْبَحَ ولم يَتَوَظَّعْ ظُلْمَ أَحَدٍ . . غُفِرَ لَهُ ما اجْتَرَمَ » (٦) .

(١) أوردته في « محاضرات الأدباء » (٣ / ٣٤٣) .

(٢) أوردته في « البصائر والذخائر » (١ / ٢٣) .

(٣) رواه الطبري في « تاريخه » (٥ / ٥٧٨) من قول هانئ بن أبي حية الوادعي .

(٤) البيت للفرزدق في « ديوانه » (١ / ٢٢٠) .

(٥) رواه الخرائطي في « مكارم الأخلاق » (٥٦٨) ، والطبراني في « المعجم الأوسط » (٤٧١٤) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

(٦) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥٣ / ٢٧٣) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٤ / ٩٤) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

وروى جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عليّ ؛ اتقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ ؛ فَإِنَّمَا يَسْأَلُ اللهُ تَعَالَى حَقَّهُ ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَى لَا يَمْنَعُ ذَا حَقٍّ حَقَّهُ » (١) .

وقيل في منشور الحكم : (ويلٌ للظالم من يوم المَظالم) .

وقال بعض البلغاء : (مَنْ جَارَ حَكْمُهُ .. أَهْلَكَه ظِلْمُهُ) .

وقال بعض الشعراء (٢) :

[من الطويل]

وَمَا مِنْ يَدٍ إِلَّا يَدُ اللهِ فَوْقَهَا وَلَا ظَالِمٍ إِلَّا سَيْلَى بَظَالِمٍ

وأما الاستسراؤ بالخيانة .. فَنَطَفٌ وَضَعَةٌ (٣) ؛ لَأَنَّهُ بَذَلَ الْخِيَانَةَ مَهِينٌ ، وَلَقَلَّةُ الثِّقَةِ بِهِ مُسْتَكِينٌ .

وقد قيل في منشور الحكم : (مَنْ يَخُونُ .. يَهُنُ) (٤) .

وقال خالد الرُّبْعِيُّ : (قرأتُ في بعض الكتب السالفة : أَنَّ مِمَّا تُعَجِّلُ عِقَابُهُ وَلَا تُؤَخِّرُ : الْأَمَانَةُ تُخَانُ ، وَالْإِحْسَانُ يُكَفِّرُ ، وَالرَّحِمَ تُقَطِّعُ ، وَالْبَغْيَ عَلَى النَّاسِ) (٥) .

ولو لم يكن من ذمّ الخيانة إلا ما يجده الخائن في نفسه من المَذَلَّة .. لكفاه زاجراً ، ولو تصوّر عُقْبَى أمانته ، وَجَدَوى ثِقته .. لعلم أَنَّ ذلك من أربح بضائع جاهه ، وأقوى شفعاء تقدّمه ، مع ما يجده في نفسه من العزّ ، ويُقَابِلُ عليه من الإِعْظَام .

(١) رواه الخرائطي في « مساوى الأخلاق » (٦٣٤) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٧٠٦١) .

(٢) أورد البيت في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٥٣) ، و « بهجة المجالس » (٣٦٧ / ١) .

(٣) النَّطَفُ : التَّلَطُّعُ بِالْعَيْبِ ، وَالضَّعَةُ : الدَّعَاءُ .

(٤) أوردته في « نهاية الأرب » (١١٨ / ٦) .

(٥) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٢٠٢) في زيادات نعيم بن حماد ، والخرائطي في « مكارم الأخلاق »

(١٦٨) .

وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أَدْ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكَ ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ » (١) .

وروى سعيد بن جبیر قال : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ وَمَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بدينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمْنِ سَكِيلٌ ﴾ يعنون : أَنَّ أَمْوَالَ الْعَرَبِ حَلَالٌ لَهُمْ ؛ لِأَنَّهُمْ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ الْكِتَابِ . . قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « كَذَبَ أَعْدَاءُ اللَّهِ ، مَا مِنْ شَيْءٍ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا وَهُوَ تَحْتَ قَدَمِي ، إِلَّا الْأَمَانَةُ ؛ فَإِنَّهَا مُؤَدَّاةٌ إِلَى الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ » (٢) .

وَلَا يَجْعَلُ مَا يَتَظَاهَرُ بِهِ مِنَ الْأَمَانَةِ زُورًا ، وَلَا مَا يُبْدِيهِ مِنَ الْعَقَّةِ غُرُورًا ، فَيَنْهَتِكَ الزُّورُ ، وَيَنْكُشِفُ الْغُرُورُ ، فَيَكُونُ مَعَ هَتَكِهِ التَّدْلِيسُ أَقْبَحَ ، وَبِمَعْرِةِ الرِّيَاءِ أَفْضَحَ .

وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لَا تَزَالُ أُمْتِي بِخَيْرٍ مَا لَمْ تَرَ الْأَمَانَةَ مَغْنَمًا ، وَالصَّدَقَةَ مَغْرَمًا ، وَصَلَةَ الرَّحِمِ مَنًّا » (٣) .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : (مَنْ التَّمَسَّ أَرْبَعًا بِأَرْبَعٍ . . التَّمَسَّ مَا لَا يَكُونُ ؛ مَنْ التَّمَسَّ الْجَزَاءَ بِالرِّيَاءِ . . التَّمَسَّ مَا لَا يَكُونُ ، وَمَنْ التَّمَسَّ مَوَدَّةَ النَّاسِ بِالْغِلَظَةِ . . التَّمَسَّ مَا لَا يَكُونُ ، وَمَنْ التَّمَسَّ وِفَاءَ إِخْوَانِهِ بِغَيْرِ وِفَائِهِ . . التَّمَسَّ مَا لَا يَكُونُ ، وَمَنْ التَّمَسَّ الْعِلْمَ بِرَاحَةِ الْجَسَدِ . . التَّمَسَّ مَا لَا يَكُونُ) .

وَالدَّاعِي إِلَى الْخِيَانَةِ شَيْئَانِ : الْمَهَانَةُ ، وَقِلَّةُ الْأَمَانَةِ ، فَإِذَا حَسَمَهُمَا عَنْ نَفْسِهِ بِمَا وَصَفْتُ . . ظَهَرَتْ مَرْوَعَتُهُ ، فَهَذَا شَرْطٌ قَدْ اسْتَوْفِينَا فِيهِ أَقْسَامَ الْعَقَّةِ (٤) .

(١) رواه أبو داود (٣٥٣٥) ، والترمذي (١٢٦٤) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه ، وبَيَّنَّ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآيَاتِ شُرُوعَ خِيَانَتِهِمْ فِي الْمَالِ بَعْدَ بَيَانِ خِيَانَتِهِمْ فِي الدِّينِ .

(٢) رواه الطبري في « تفسيره » (٤٠٧/٣/٣) .

(٣) رواه الترمذي (٢٢١٠) عن سيدنا علي رضي الله عنه .

(٤) فَهَذَا الْحَسْمُ شَرْطٌ مِنْ شُرُوطِ الْمَرْوَعَةِ قَدْ اسْتَوْفِينَا فِيهِ أَقْسَامَ الْعَقَّةِ ، مِنْ ضَبْطِ الْفَرْجِ عَنِ الْحَرَامِ ، وَكُفِّ اللِّسَانِ عَنِ الْأَعْرَاضِ ، وَكَفِّ عَنِ الْمَجَاهِرَةِ بِالظُّلْمِ ، وَزَجْرِ النَّفْسِ عَنِ الْإِسْرَارِ بِخِيَانَةِ .

وأما النَّزَاهَةُ.. فنوعان : أحدهما : النَّزَاهَةُ عن المطامع الدُّنْيَا ، والثاني : النَّزَاهَةُ عن مواقف الرِّبَا .

فأما المطامع الدُّنْيَا : فلأنَّ الطمع ذلٌّ ، والدَّناءة لؤمٌ ، وهما أدفعُ شيءٍ للمروءة ، وقد كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : « اللَّهُمَّ ؛ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ طَمَعٍ يَهْدِي إِلَى طَبَعٍ » (١) .

وقال بعض الشعراء (٢) :

لا تضرَّعنَّ لمخلوقٍ على طَمَعٍ فإنَّ ذاكَ مُضِرٌّ منك بالدِّينِ
واسترزقِ اللهَ ممَّا في خزائنه فإنَّما هو بينَ الكافِ والنُّونِ
والباعثُ على ذلكَ شيطان : الشرُّ ، وقلةُ الأنفةِ ، فلا يمتنعُ بما أُوتي وإن كان كثيراً ؛ لأجلِ شرِّه ، ولا يستنكفُ ممَّا مُنع وإن كان حقيراً ؛ لقلةِ أنفته .
وهذه حالٌ مَنْ لا يرى لنفسه قدراً ، ويرى المالَ أعظمَ خطراً ، فيرى بذلَّ أهونِ الأمرين لأجلهما غُماً ، وليس فيمن كان المالُ عنده أجلاً ، ونفسه عليه أقلَّ إصغاءً لتأنيب ، ولا قبولاً لتأديب .

رُوي أنَّ رجلاً قال لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم : أوصني ، قال : « عليك باليأسِ ممَّا في أيدي النَّاسِ ، وإيَّاكَ والطَّمَعِ ؛ فإنه فقرٌ حاضرٌ ، وإذا صليت صلاةً . فصلِّ صلاةَ مُودِّعٍ ، وإيَّاكَ وما تعتذرُ منه » (٣) .

وقال بعض الحكماء : (عزُّ النَّزَاهَةِ أشرفُ من سرور الفائدة) (٤) .

(١) رواه الحاكم في « المستدرک » (٥٣٢/١) ، والطبراني في « المعجم الكبير » (٩٣/٢٠) عن سيدنا معاذ بن جبل رضي الله عنه ، ويهدي إلى طبع ؛ أي : يؤدي إلى شينٍ وعيب .

(٢) البيهقي مشسوباً لسيدنا علي في « ديوانه » (ص ٢٤٨) ، ولعبد الله بن المبارك في « ديوانه » (ص ٩١) ، ولمحمود الوراق في « ديوانه » (ص ٢٨١) ، وفي غير (أ) : (فإنَّ ذلكَ نقصٌ منك في الدين) .

(٣) رواه الحاكم في « المستدرک » (٣٢٦/٤) ، والبيهقي في « الزهد الكبير » (١٠١) عن سيدنا سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه .

(٤) رواه في « الجليس الصالح » (٢٠٥/١) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٢٣٧/١) من قول أبي حفص الكرماني رحمه الله تعالى .

وقال بعض الشعراء^(١) :

[من الطويل]

وَمَنْ كَانَتْ الدُّنْيَا مُنَاهُ وَهَمَّهُ سَبَبُهُ الْمُنَى وَاسْتَعْبَدَتْهُ الْمَطَامِعُ

وحسمُ هذه المطامع شيئان : اليأسُ ، والقناعةُ .

وقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رُوعِي : أَنْ نَفْسًا لَا تَمُوتُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ إِبْطَاءُ الرِّزْقِ عَلَى أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى ؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُدْرِكُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ »^(٢) ، فهذا شرط^(٣) .

وأما مواقف الرِّبِّية : فهي التردُّدُ بين منزلتي حمدٍ وذمٍّ ، والوقوفُ بين حالتي سلامةٍ وسُقمٍ ، فتتوجَّهُ إليه لائمةُ المتوهِّمين ، وتنالُه ذِلَّةُ المُريبين ، وكفى بصاحبها موقفاً ؛ إن صحَّ . . افتضح ، وإن لم يصحَّ . . أو هن .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « دَعْ مَا يَرِيكَ إِلَى مَا لَا يَرِيكَ »^(٤) .

وسئل محمد بن علي عليه السلام عن المروءة ، فقال : (أَلَّا تَعْمَلُ فِي السِّرِّ عَمَلًا تَسْتَحِي مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ)^(٥) .

(١) البيت لأبي العتاهية في « ديوانه » (ص ٢١٧) ، والمعنى : من كانت الدنيا والمال غاية ما يتمناه . . كان أسير أمانيه وعبد مطامعه .

(٢) رواه ابن أبي شيبه في « المصنف » (٣٥٤٧٣) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٩٨٩١) ، وروح القدس : هو سيدنا جبريل عليه السلام ؛ سمي بذلك لتقديسه وتطهيره ، وخص بذلك مع مشاركة الملائكة له ؛ لأنه رئيسهم ، ونفث في روعي : أوحى وألقى في خلدي وبالي .

(٣) فهذا الحسم بالتزاهة عن المطامع الدنية شرط أيضاً للمروءة .

(٤) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٧٢٢) ، والترمذي (٢٥١٨) عن سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما .

(٥) أورده في « التذكرة الحمدونية » (٢٣٢/٢) ، ورواه في « تاريخ دمشق » (٣٣٧/٢٤) من قول الأحنف بن قيس رحمه الله تعالى ، وأورده في « نثر الدرر » (١٧٦/٤) من قول محمد بن عمران التيمي رحمه الله تعالى .

وقال حسان بن أبي سنان : (ما وجدتُ شيئاً هو أهونُ من الورع) قيل له : وكيف ؟ قال : (إذا ارتبتُ بشيءٍ .. تركته)^(١) .

والداعي إلى هذه الحال شيان : الاسترسال ، وحسن الظن .

والمانع منها شيان : الحياء ، والحدْر .

وربّما انتفت الرّيبة بحسن الثقة ، وارتفعت التّهمة بطول الخبرة ؛ كالذي حكى عن عيسى ابن مريم عليه السلام : أنّه رآه بعضُ الحواريّين وقد خرج من منزل ذات فُجور ، فقال له : يا رُوحَ الله ؛ ما تصنعُ ههنا ؟ فقال : (الطّيبُ إنّما يُداوي المَرَضَى)^(٢) .

لكن لا ينبغي أن يجعل ذلك طريقاً إلى الاسترسال ، وليكن الحدْر عليه أغلب ، وإلى الخوف من تصديق التّهم أقرب ، فما كلُّ ريبةٍ ينفيها حسنُ الظن .

هذا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم - وهو أبعدُ خلق الله من الرّيب ، وأصونُهم من التّهم - وقف مع زوجته صفية ذات ليلةٍ على باب مسجده يحادثها وكان مُتَكِفّاً ، فمرّ به رجلان من الأنصار ، فلما رأياه .. أسرع ، فقال لهما : « على رِسْلِكُما ؛ إنّها صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ » فقالا : أويخالجنا فيكَ شكٌّ يا رسولَ الله ؟! فقال : « مَهْ ؛ إنّ الشّيطانَ يجري من أحدِكُم مَجْرَى لَحْمِهِ وَدَمِهِ ، فَخَشِيتُ أَنْ يَقْدِفَ فِي قُلُوبِكُما سُوءٌ »^(٣) .

فكيف بمن تخالجت فيه الشُّكوكُ ، وتقابلت فيه الظُّنونُ ، هل يعرَى في مواقف الرّيب من قادح محقّق ، ولائم مصدّق ؟ وقد روي عن النّبي صلى الله عليه

(١) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٣/٣) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢١٦/٥٣) .

(٢) أورده في « عيون الأخبار » (٣٧٠/٢) ، و « البيان والتبيين » (١٤٠/٣) .

(٣) رواه البخاري (٢٠٣٨) ، ومسلم (٢١٧٥) ، ولم يكن النّبي صلى الله عليه وسلم نسبهما أنهما يظنان به سوءاً ؛ لما تقرر عنده من صدق إيمانهما ، ولكن خشي عليهما من وسوسة الشّيطان ؛ لأنهما غير معصومين ، فبادر إلى إعلامهما حسماً للمادة وتعلّماً لمن بعده إذا وقع له مثل ذلك .

وسلم أنه قال : « إذا لم يُشَقَّ المرءُ إلَّا بما عَمِلَ . . فقد سَعِدَ » (١) .

وإذا استعمل الحزم ، وغلب الحذر ، وترك مواقف الرِّيب ، ومَظَانَّ التُّهم ، ولم يقف موقفَ اعتذارٍ ، ولا عذرَ لمختارٍ . . لم يختلج في نزاهته شكٌّ ، ولم يقدح في عرضه إفكٌ .

وقد قال الشاعر (٢) :

أُصُونُكَ أَنْ أَدُلَّ عَلَيْكَ ظَنًّا لِأَنَّ الظَّنَّ مِفْتَاحُ الْيَقِينِ

وقال سهل بن هارون : (مُؤَنَةُ التَّوَقُّفِ أَيْسَرُ مِنْ تَكَلُّفِ التَّعَسُّفِ) .

وقال بعض الحكماء : (مَنْ حَسَّنَ ظَنَّهُ بِمَنْ لَا يَخَافُ اللَّهَ تَعَالَى . . فَهُوَ مَخْدُوعٌ) (٣) .

وأنشد بعض أهل الأدب لأبي بكر الصُّولي (٤) :

[من مخلع البسيط]

أَحْسَنْتُ ظَنِّي بِأَهْلِ دَهْرِي فَحُسْنُ ظَنِّي بِهِمْ دَهَانِي
لَا آمَنُ النَّاسَ بَعْدَ هَذَا مَا الْخَوْفُ إِلَّا مِنَ الْأَمَانِ
فهذا شرطٌ قد استوفينا فيه نوعي النزاهة (٥) .

وأما الصِّيَانَةُ وهي الثالث من شروط المروءة . . فنوعان : أحدهما : صيانة النفس بالتماس كفايتها ، وتقدير مادتها .

والثاني : صيانتها عن تحمُّلِ المِنَنِ ، والاسترسال في الاستعانة .

فأما التماس الكفاية ، وتقدير المادة . . فلأن المحتاج إلى الناس كُلُّ مُهْتَزَمٍ ،

(١) إذا لم يُشَقَّ - بالبناء للمفعول - : إذا لم يوقع في المشقة إلا بعمله .

(٢) أورد البيت في « بهجة المجالس » (٤١٩/١) ، و« عيون الأخبار » (٣٥/١) لسعيد بن حميد الكاتب .

(٣) رواه أبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٧٢/٩) من قول أبي سليمان الداراني رحمه الله تعالى بنحوه .

(٤) أورد البيهقي ابن النجار في « ذيل تاريخ بغداد » (١١١/٢٠) ، ودهاني : أصابني بداهية عظيمة .

(٥) فهذا شرط من شروط المروءة في نفسه ، قد استوفينا فيه نوعي النزاهة عن المطامع الدنية ، والنزاهة عن مواقف الريبة .

وذليلٌ مُسْتَقْلٌ^(١) ، وهو لما فُطِرَ عليه محتاجٌ إلى ما يستمده ؛ ليقيم أودَ نفسه^(٢) ،
ويدفع ضرورةَ وقته ؛ ولذلك قالت العرب في أمثالها : (كلبٌ جوالٌ خيرٌ من أسدٍ
رابضٍ)^(٣) .

وما يستمده نوعان : لازم ، وندب .

فأما اللازمُ : فما قام بالكفاية ، وأفضى إلى سدِّ الخلة ، وعليه في طلبه ثلاثة
شروط^(٤) :

- أحدها : استطابته من الوجوه المباحة ، وتوقي الوجوه المحظورة ؛ فإنَّ
الموادَّ المحرَّمة مستخبئةٌ الأصول ، محقوقة الفروع ، إن صرفها في برٍّ . لم
يؤجر ، وإن صرفها في بدخٍ . لم يُشكر ، ثم هو لأوزارها محتقِبٌ ، وعليها
معاقِبٌ .

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا يُعْجِبُكَ رجلٌ اكتسَبَ مالاً من غيرِ
حِلِّهِ ؛ فإن أنفقَهُ . لم يُقْبَلْ منه ، وإن أمسكَهُ . فهو زاده إلى النار »^(٥) .

وقال بعض الحكماء : (شرُّ الأموالِ : ما لزمك إثمٌ مكسبه ، وحُرِّمتَ أجرُ
إنفاقه)^(٦) .

ونظر بعض الخوارج إلى رجلٍ من أصحاب السلطان يتصدَّق على مسكين ،
فقال : (انظرُ إليهم ، حسنائهم من سيئاتهم !!)^(٧) .

(١) كلٌّ : ثَقِيلٌ عاجزٌ لا خير منه ، مهتضمٌ : منكسر القلب من الحزن ، مُتَعَصِّبٌ حقه عند الناس .

(٢) الأود : الاغوجاج والميل إلى جانب ، والمحتاج مائل إلى ما يحتاجه .

(٣) أورده في « جمهرة الأمثال » (١٢٣/٢) ، و « المحاسن والأضداد » (ص ١٠٩) .

(٤) أي : وعلى المستمِد في طلب اللازم ثلاثة شروط .

(٥) رواه الحاكم في « المستدرک » (٥/٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٥١٣٨) عن سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٦) أورده في « البصائر والذخائر » (٢٤/٧) ، و « محاضرات الأدباء » (٣٢٤/٢) من قول جعفر بن يحيى .

(٧) أورده في « نثر الدرر » (٢٢٢/٥) .

وقال علي بن الجهم^(١) :

[من الخفيف]

سَرَّ مَنْ عَاشَ مَالُهُ فَإِذَا حَا سَبَّهَ اللَّهُ سَرَّهُ الْإِعْدَامُ

- والثاني : طلبه من أحسن جهاته التي لا يلحقه فيها غَضٌّ ، ولا يتدنَّس له بها عَرَضٌ ؛ فَإِنَّ الْمَالَ يُرَادُ لَصِيَانَةِ الْأَعْرَاضِ ، لَا لِابْتِدَالِهَا ، وَلَعَزَّ النُّفُوسُ ، لَا لِإِذْلَالِهَا .

فقد قال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : (يَا حَبَّذَا الْمَالُ ؛ أَصُونُ بِهِ عَرَضِي ، وَأَرْضِي بِهِ رَبِّي)^(٢) .

وقال أبو بشر الضرير^(٣) :

[من الطويل]

كَفَى حَزَنًا أَنِّي أَرْوَحُ وَأَغْتَدِي وَمَا لِي مِنْ مَالٍ أَصُونُ بِهِ عَرَضِي
وَأَكْثُرُ مَا أَلْقَى صَدِيقِي بِمَرْحَبَا وَذَلِكَ لَا يَكْفِي الصَّدِيقَ وَلَا يُرْضِي

وسئل ابن عائشة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم : « اَطْلُبُوا الْحَوَائِجَ مِنْ حَسَنِ الْوُجُوهِ » ، فقال : معناه : من أحسن الوجوه التي تحلُّ^(٤) .

- والثالث : أن يتأنَّى في تقدير مادته ، وتدبير كفايته بما لا يلحقه خللٌ ،

(١) أورد البيت في « البصائر والذخائر » (١٠٧/٩) ، و « التمثيل والمحاضرة » (ص ٩٢) لأحمد بن أبي فتن ، وورد في « ديوان علي بن الجهم » (ص ١٩٧) هكذا : (من المنسرح)

يُسَرُّ مَنْ عَاشَ مَالُهُ فَإِذَا حَاسَبَهُ اللَّهُ سَرَّهُ الْعَدَمُ
والإعدام : القلة والافتقار .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٩٧) ، وأورده في « التذكرة الحمدونية » (٩٨/٨) .

(٣) روى البيهقي ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (١٠٥) ، وأوردهما في « ديوان المعاني » (٢٤٧/٢) .

(٤) الحديث رواه الإمام أحمد في « فضائل الصحابة » (١٢٤٦) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٢٦٣) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

وفي هامش (د) : (الحديث الذي ذكره الشيخ في « الجامع الصغير » : « اطلبوا الخير عند حسن الوجوه » ، قال الشارح المناوي [في « التيسير » (١٦٣/١)] : « زاد في رواية : والمعروف » ، وقال الشارح بعد قوله : « حسن الوجوه » : « الطَّلَقَةُ المستبشرة وجوههم ؛ فإن الوجه الجميل مظنة الفعل الجميل ، وبين الخلق والخلق تناسب قريب » ، فهذا ينافي قول ابن عائشة هنا ، فليراجع ، وانظر « قضاء الحوائج » لابن أبي الدنيا (٥٦) .

ولا يناله زللٌ ؛ فإنَّ سِيرَ المال مع حسن التقدير ، وإصابة التدبير . . أجدي نفعاً ،
وأحسن موقعاً من كثيره مع سوء التدبير ، وفساد التقدير ؛ كالبذر في الأرض ؛ إذا
روعي سيره . . زكا ، وإن أهمل كثيره . . اضمحل .

وقد قال محمد بن علي عليه السلام : (الكمالُ في ثلاثة : العفة في الدين ،
والصبرُ على النوائب ، وحسنُ التقدير في المعيشة)^(١) .

وقيل لبعض الحكماء : (فلان غنيٌّ ، فقال : لا أعرفُ ذلك ما لم أعرفُ
تدبيره في ماله)^(٢) .

فإذا استكمل هذه الشروط فيما يستمدُّه من قدر كفايته . . فقد أدَّى حقَّ المروءة
في نفسه .

وسئل الأحنف بن قيس عن المروءة ، فقال : (العِفَّة والحِرْفَة)^(٣) .

وقال بعض الحكماء لابنه : (يا بني ؛ لا تكن على أحدٍ كلاً ؛ فإنَّك تزدادُ
بذلك ذُلًّا ، واضرب في الأرض عوداً وبدءاً ، ولا تأسفَنَّ لمالٍ كان فذهب ،
ولا تعجزَنَّ عن الطلب لوَصَب ولا نَصَب) ، فهذا حال اللازم .

وقد كان ذوو الهِمَم العليَّة ، والنفوسُ الأبيَّة يرون ما وصل إلى الإنسان كسباً
أفضل ممَّا وصل إليه إرثاً ؛ لأنَّه في الإرث في جدوى غيره ، وبالكسب مُجدٍ على
غيره ، وفرق ما بينهما في الفضل ظاهرٌ^(٤) .

وقال كشاجم^(٥) :

لا أَسْتَلِدُّ العَيْشَ لِمَ أَدَأْبَ لَهُ طَلَباً وَسَعِيّاً فِي الْهَوَاجِرِ وَالْغَلَسِ

(١) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٩٧٠ ، ٢/٣٠٧٩) ، و« تاريخ دمشق » (٥٤ / ٣٣٧) ،
ومحمد هو ابن الحنفية ، وفي هامش (أ) : (نسخة : الفقه في الدين) بدل (العفة في الدين) .

(٢) أورده في « نثر الدرر » (٥٤ / ٧) من قول ديوجانس .

(٣) رواه في « الطيوريات » (٨٠٣) ، و« المجالسة وجواهر العلم » (٨٢٤) .

(٤) لأن الظفر بعد الطلب أعز من المنساق بلا تعب .

(٥) الأبيات في « ديوانه » (ص ٢٢٧) ، ولم أدأب : لم أتعب ، والهواجر - جمع هاجرة - : وهو وقت
نصف النهار ، والغلس : ظلمة آخر الليل ، وتخصيص هذين الوقتين بالذكر لشدة التعب فيهما ؛ لكونهما
وقتي استراحة .

وَأَرَى حَرَاماً أَنْ يُوَاتِنِي الْغِنَى حَتَّى يُحَاوَلَ بِالْعَنَاءِ وَيُلْتَمَسَ
فَاصْرِفْ نَوَالَكَ عَنْ أَخِيكَ مُوَفَّراً فَالْلَيْثُ لَيْسَ يُسَيِّغُ إِلَّا مَا افْتَرَسَ

وَأَمَّا النَّدْبُ : فهو ما فضل عن الكفاية ، وزاد على قدر الحاجة ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ
فِيهِ مَعْتَبَرٌ بِحَالِ طَالِبِهِ :

فَإِنْ كَانَ مَمَّنْ تَقَاعَدَ عَنْ مَنَازِلِ الرُّؤُسَاءِ ، وَتَقَاصَرَ عَنْ مُطَاوَلَةِ النُّظَرَاءِ ،
وَانْقَبَضَ عَنْ مُنَافَسَةِ الْأَكْفَاءِ . . فَحَسْبُهُ مَا كَفَاهُ ، فَلَيْسَ فِي الزِّيَادَةِ إِلَّا شَرٌّ ،
وَلَا فِي الْفُضُولِ إِلَّا نَهَمٌ ، وَكِلَاهُمَا مَذْمُومٌ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ : « خَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي ، وَخَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ »^(١) .

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (الدُّنْيَا كُلُّهَا عَلَى الْعَاقِلِ) .

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ : (الْمُسْتَغْنَى بِالدُّنْيَا عَنِ الدُّنْيَا
كَالْمُطْفِئِ النَّارَ بِالتُّبْنِ)^(٢) .

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : (اسْتَرْ مَاءَ وَجْهِكَ بِالقِنَاعَةِ ، وَتَسَلَّ عَنِ الدُّنْيَا ؛
لِتَجَافِيَهَا عَنِ الْكِرَامِ) .

وَإِنْ كَانَ مَمَّنْ قَدْ مُنِيَ بَعْلَوَ الْهِمَمِ ، وَتَحَرَّكَتْ فِيهِ أَرْيَحِيَّةُ الْكَرَمِ^(٣) ، وَآثَرَ أَنْ
يَكُونَ مُرَّاساً وَمَقْدَمًا ، وَأَنْ يُرَى فِي النُّفُوسِ مُفَحِّمًا وَمُعْظَمًا . . فَالْكَفَايَةُ لَا تَقْلُهُ
حَتَّى يَكُونَ مَالُهُ فَاضِلًا^(٤) ، وَنَائِلُهُ فَائِضًا .

(١) رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي « صَحِيحِهِ » (٨٠٩) ، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ فِي « الْمَصْنَفِ » (٣٥٥١٨) عَنْ سَيِّدِنَا سَعْدِ بْنِ
أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) أَوْرَدَهُ فِي « عَيُونِ الْأَخْبَارِ » (٣٣٠ / ٢) ، وَرَوَاهُ فِي « الْمَجَالِسَةِ وَجَوَاهِرِ الْعِلْمِ » (٥٤٨) مِنْ قَوْلِ
بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزَنِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى .

(٣) أَرْيَحِيَّةُ الْكَرَمِ : عِبَارَةٌ عَنْ خِصْلَةِ السُّرُورِ وَالنَّشَاطِ عِنْدَ الْعَطِيَةِ وَالْإِحْسَانِ .

(٤) لَا تَقْلُهُ : لَا تَوْصِلُهُ إِلَى مَقَاصِدِهِ .

قيل لبعض العرب : (ما المروءة فيكم ؟ قال : طعامٌ مأكولٌ ، ونائلٌ مبدولٌ ، ويشراً مقبولٌ)^(١) .

قال الأحنف بن قيس^(٢) :

فلو مُدَّ سَرْوِي بِمَالٍ كَثِيرٍ لَجُدْتُ وَكُنْتُ لَهُ بِإِذِلَا
فَإِنَّ الْمَرْوَةَ لَا تُسْتَطَاعُ إِذَا لَمْ يَكُنْ مَالُهَا فَاضِلَا
وَقَالَ أَحْيَحَةُ بْنُ الْجُلَاحِ^(٣) :

رَزَقْتُ لَبًّا وَلَمْ أَرْزُقْ مَرْوَةً وَمَا الْمَرْوَةُ إِلَّا كَثْرَةُ الْمَالِ
إِذَا أَرَدْتُ مُسَامَاةَ تَقَاعَدَ بِي عَمَّا يُنَوِّهُ بِاسْمِي رِقَّةَ الْحَالِ

وَأَمَّا صَيَانَتُهَا عَنْ تَحْمُلِ الْمِنَنِ ، وَالِاسْتِرْسَالِ فِي الْاسْتِعَانَةِ . . فَلَأَنَّ الْمِنَّةَ اسْتَرْقَاقُ الْأَحْرَارِ^(٤) ، تُحْدِثُ ذِلَّةً فِي الْمَمْنُونِ عَلَيْهِ ، وَسَطْوَةً فِي الْمَانِّ بِهِ ، وَالِاسْتِرْسَالُ فِي الْاسْتِعَانَةِ ثَقِيلٌ ، وَمَنْ ثَقُلَ عَلَى النَّاسِ . . هَانَ ، وَلَا قَدْرَ عِنْدَهُمْ لِمُهَانَ .

قال رجلٌ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه : خَدَمَكَ بَنُوكَ !! قال :
(أَغْنَانِي اللَّهُ عَنْهُمْ)^(٥) .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام لابنه الحسن في وصيته له : (يَا بَنِي ؛
إِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَّا يَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى ذُو نِعْمَةٍ . . فَافْعَلْ ، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ

(١) أوردته في « الموشى » (ص ١٩٦) ، و« بهجة المجالس » (١/٦٤٨) من قول جعفر بن محمد رحمهما الله تعالى .

(٢) أورد البيهقي في « البيان والتبيين » (٢/٢٩٢) ، و« بهجة المجالس » (١/٦٤٧) .

(٣) البيهقي ليسا في « ديوانه » المطبوع ، وهما منسوبان للخليل في « ديوانه » (ص ١٨) .

(٤) وأما صيانتها ؛ أي : النفس عن تحمل المنن والاسترسال في الاستعانة من الناس ، وهذا هو النوع الثاني من الصيانة .

(٥) أوردته في « عيون الأخبار » (٣/٩٣) ، و« محاضرات الأدباء » (١/٦٦٩) .

وقد جعلك الله حُرّاً ؛ فَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى أَكْرَمُ وَأَعْظَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ غَيْرِهِ وَإِنْ كَانَ كُلُّ مَنْهُ (١) .

وقال زياد لبعض الدّهّاقين : (ما المروءةُ فيكم ؟ فقال : اجتنابُ الرِّيبِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْبُلُ مُرِيبٌ ، وَإِصْلَاحُ الرَّجُلِ مَالُهُ ؛ فَإِنَّهُ مِنْ مَرْوَةٍ ، وَقِيَامُهُ بِحَوَائِجِهِ وَحَوَائِجِ أَهْلِهِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْبُلُ مَنْ أَحْتَاجَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَلَا مَنْ أَحْتَاجَ أَهْلُهُ إِلَى غَيْرِهِ) (٢) .

وَأُنْشِدْ ثَعْلَبَ (٣) :

مَنْ عَفَّ خَفَّ عَلَى الصَّدِيقِ لِقَاؤُهُ وَأَخُو الْحَوَائِجِ وَجْهُهُ مَمْلُوءٌ
وَأَخُوكَ مَنْ وَفَّرَتْ مَا فِي كَيْسِهِ فَإِذَا عَبَثَتْ بِهِ فَأَنْتَ ثَقِيلٌ

وَلَكِنْ كَانَ النَّاسُ لُحْمَةً لَا يَسْتَغْنُونَ عَنِ التَّعَاوُنِ ، وَلَا يَسْتَقِلُّونَ عَنِ الْمُسَاعَدَةِ وَالتَّظَافِيرِ . . فَإِنَّمَا ذَلِكَ تَعَاوُنٌ ائْتِلَافٍ ، يَتَكَافَوْنَ فِيهِ وَلَا يَتَفَاضِلُونَ ، وَرَبَّمَا كَانَ الْمُسْتَعِينُ فِيهِ مَفْضُلاً (٤) ، وَالْمَعِينُ مُسْتَفْضِلاً ؛ كَاسْتَعَانَةَ السُّلْطَانِ بِجُنْدِهِ ، وَالْمُزَارِعَ بِأَكْرَتِهِ (٥) ، فَلَيْسَ مِنْ هَذَا بَدٌّ ، وَلَا بِأَحَدٍ عَنْهُ غِنَاءٌ ، وَإِنَّمَا الَّذِي يَتَصَوَّنُ عَنْهُ الْكِرَامُ تَعَاوُنُ التَّفَضُّلِ ، فَيَنْقَبِضُونَ عَنْ أَنْ يَسْتَعِينُوا ؛ لِثَلَا يَكُونَ عَلَيْهِمْ يَدٌ ، وَيَسَارِعُونَ إِلَى أَنْ يُعِينُوا ؛ لِأَنْ يَكُونَ لَهُمْ يَدٌ .

وَمَنْ أَقْدَمَ مِنْ غَيْرِ اضْطِرَارٍ عَلَى الْاِسْتَعَانَةِ بِجَاهٍ أَوْ بِمَالٍ . . فَقَدْ أَوْهَى مَرْوَتَهُ ، وَاسْتَبْدَلَ صَيَانَتَهُ .

وَمَنْ دَعَا الْاِضْطِرَارُ ؛ لِنَائِبِ أَلَمٍ ، أَوْ حَادِثٍ هَجَمَ إِلَى الْاِسْتَعَانَةِ بِمَنْ يَتَنَفَّسُ بِهِ مِنْ خِنَاقِ كَرْبِهِ ، وَيَتَخَلَّصُ بِهِ مِنْ وَثَاقِ نَوَائِبِهِ . . فَلَا لَوْمَ عَلَى مُضْطَرٍّ .

فَإِنْ أَغْنَاهُ الْاِسْتَعَانَةُ بِالْجَاهِ عَنِ الْاِسْتَعَانَةِ بِالْمَالِ . . فَلَا عَذْرَ لَهُ فِي التَّعَرُّضِ

(١) أوردته في « شرح نهج البلاغة » (٩٣ / ١٦) .

(٢) أوردته المبرّد في « الكامل » (١٠٣ / ١) ، و « التذكرة الحمدونية » (٢٣ / ٢) ، وفيه : (عمرو بن العاصي) بدل (زياد) ، والدّهقان : زعيم فلاحي العجم .

(٣) أورد البيت في « الصداقة والصديق » (ص ١٧٣) ، و « المستطرف » (٣٠٣ / ٢) ، والعفاف : الكف والتحرز عما لا يحل ولا يجمل ، والملال : السّامة .

(٤) وربما كان المستعين فيه ؛ أي : في تعاون الائتلاف ، مفضلاً : اسم فاعل من الإفضال .

(٥) والمزارع : صاحب المزرعة والأرض ، وبأكرته - جمع أكار - : وهم حراث الأرض .

للمال ، ويعدل إلى وُلاة الأمور ؛ فَإِنَّ الحَوَائِجَ عندهم أَنْجَحُ ، وهي عليهم أسهلُ ، وهم لذلك مندوبون ، فهم لا يجدون لها مَسّاً ، وليصبرُ على إبطائهم ؛ فَإِنَّ تراكُمُ الأمور عليهم يشغلُهم إلا عن المُلَحِّ الصُّبُور ؛ ولذلك قيل : (قَدَمَ لِحَاجَتِكَ بَعْضَ لِحَاجَتِكَ) .

وقد تقدّم من قول الحكماء : (رِيحُ السُّلْطَانِ على قوم نسيْمٌ ، وعلى قوم سَمُومٌ)^(١) .

وقال عبد الله بن المعتزّ : (مَنْ صَحِبَ السُّلْطَانَ . . فليصبرِ على قسوته ؛ كصبر الغواص على مُلوحة بحره)^(٢) .

وقال أبو سدرة سُحَيْم بن الأعرَف^(٣) :

[من الوافر]

نُعْذُ قَرَابَةً وَنُعْذُ صِهْرًا وَيَسْعَدُ بِالْقَرَابَةِ مَنْ رَعَاهَا
وَمَا زُرْنَاكَ مِنْ عَدَمٍ وَلَكِنْ يَهْشُ إِلَى الْإِمَارَةِ مَنْ رَجَاهَا
وَأَيًّا مَا فَعَلْتَ فَإِنَّ نَفْسِي تُعْذُ صِلَاحَ نَفْسِكَ مِنْ غِنَاهَا

فإن تعذّر عليه صلاحُ حاله إلا بمالٍ يستعين به على نوائبه . . كان له مع الضرورة فُسْحَةٌ فيه ، لكن إن وجده قَرْضاً مردوداً . . لم يأخذه صِلَةً وَجُوداً ؛ فَإِنَّ القَرْضَ مستسمَحٌ به في المروءات .

هَذَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مع ما أَعْلَى الله تعالى من قدره ، وفضله على خلقه . . قد اقترض ، ثم قضى فأحسن .

وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَعْيَاهُ رِزْقُ اللَّهِ تَعَالَى حَلَالًا . . فَلْيَسْتَدِنْ عَلَى اللَّهِ وَعَلَى رَسُولِهِ »^(٤) .

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٣٣) ، و« بهجة المجالس » (٣٥١/١) من قول ابن المعتزّ .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٣٢) ، و« زهر الآداب » (٦٧٤/٢) .

(٣) أورده الأبيات في « الشعر والشعراء » (٦٤٢/٢) ، و« خزانة الأدب » (١١٩/٢) ، وفي النسخ : (أبو سيارة) ، ويهش : يرتاح ويُسرّ .

(٤) أورده الديلمي في « الفردوس » (٤٢٥٤) عن عبد الله المزني رحمه الله تعالى ، وأعياه : أعجزه ولم يهتد لوجهه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « المُسْتَدِينُ تاجِرُ الله في أرْضِهِ »^(١) .

[من الكامل]

وقال البحترى^(٢) :

إِلَّا يَكُنْ كُنْزُ فَقُلْ عَطِيَّةٍ يَبْلُغُ بِهَا بَاغِي الرِّضَا بَعْضَ الرِّضَا
أَوْ لَا تَكُنْ هِبَةً فَقَرَضٌ يُسَّرَتْ أَسْبَابُهُ وَكَوَاهِبٌ مِّنْ أَقْرَضَا
وَلَكِنْ كَانَ الدِّينَ رِقًّا . . فَهُوَ أَسْهَلُ مِنْ رِقِّ الْإِفْضَالِ .

وقد رُوي عن علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال : (مَنْ أَرَادَ الْبَقَاءَ
وَلَا بَقَاءَ . . فَلْيَبَاكِِرِ الْغَدَاءَ ، وَلْيُخَفِّفِ الرِّدَاءَ ، قِيلَ : وَمَا خَفَةُ الرِّدَاءِ مِنَ الْبَقَاءِ ؟
قَالَ : قَلَّةُ الدِّينِ)^(٣) .

فَإِنْ أَعْوَزَهُ ذَلِكَ إِلَّا اسْتِسْمَاحًا . . فَهُوَ الرِّقُّ الْمُدِلُّ ؛ وَلِذَلِكَ قِيلَ : (لَا مَرْوَةَ
لِمُقِلٍّ) .

وقال بعض الحكماء : (مَنْ قَبِلَ صِلَتَكَ . . فَقَدْ بَاعَكَ مَرْوَةً ، وَأَذَلَّ لِقَدْرِكَ
عِزَّهُ وَجَلَالَتَهُ)^(٤) .

والذي يتماسك به الباقي من مروءة الراغبين ، واليسيرُ التافه من صيانة
السائلين - وإن لم يبقَ لذي رغبة مروءة ، ولا لسائل تصوُّنٌ - . . أربعة أمور ، هي
جهد المضطر :

أحدها : أَنْ يَتَجَافَى ضَرَعَ السَّائِلِينَ ، وَأُبْهَةَ الْمُسْتَقْلِينَ ، فَيَذَلَ بِالضَّرْعِ ،
وَيُحَرِّمَ بِالْأُبْهَةِ ، وَلِيَكُنْ مِنَ التَّجَمُّلِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ حَالُ مِثْلِهِ مِنْ ذَوِي
الْحَاجَاتِ .

(١) أورده في « البصائر والذخائر » (١٣٢ / ٧) ، و « بهجة المجالس » (٢١٥ / ١) من قول جعفر بن محمد
رحمهما الله تعالى .

(٢) البيتان في « ديوانه » (١٢٠٢ / ٢) .

(٣) أورده في « عيون الأخبار » (٢٧١ / ٣) ، و « شرح نهج البلاغة » (١٢٤ / ١٩) .

(٤) أورده في « المحاسن والأضداد » (ص ٤٣) ، و « المحاسن والمساوىء » (ص ١٨٣) .

وقد قيل لبعض الحكماء : (متى يفحش زوال النعم ؟ قال : إذا زال معها التَّجْمُلُ)^(١) .

وأنشد بعض أهل الأدب لعلّي بن الجهم^(٢) :

[من الطويل]

هي النفس ما حمَلَتْهَا تَحْمَلُ وللدَّهر أيامٌ تجُورُ وتَعْدِلُ
وعاقبة الصَّبرِ الجميلِ جميلةٌ وأحسنُ أخلاقِ الرِّجالِ التَّقْضُلُ
ولا عارَ إنْ زالتْ عنِ الحرِّ نعمةٌ ولكنَّ عاراً أنْ يزولَ التَّجْمُلُ

والثاني : أن يقتصر بالسؤال على ما دعته إليه الضرورة ، وقادته إليه الحاجة ، ولا يجعل ذلك ذريعةً إلى الاعتنام ، فيُحرَمَ باغتنامه ، ولا يُعَذَّرَ في ضرورته ، وقد قال بعض الحكماء : (مَنْ أَلْفَ المسألةَ .. أَلْفَ المنعِ)^(٣) .

والثالث : أن يعذّر في المنع ، ويشكّر على الإجابة ؛ فإنه إن مُنِعَ .. فعَمّا لا يملك ، وإن أُجِيبَ .. فإلى ما لا يستحقُّ .

وقد قال النمر بن تولب^(٤) :

[من الكامل]

لا تَغْضَبَنَّ على امرئٍ في مالِهِ وعلى كرائمِ صُلْبِ مالِكَ فاغْضَبِ

والرابع : أن يعتمد على سؤال مَنْ كان للمسألة أهلاً ، وكان النُجْحُ عنده مأمولاً ؛ فإنّ ذوي المَكْنَةِ كثيرٌ ، والمُعِينُ منهم قليلٌ^(٥) ؛ ولذلك قال النبيُّ

(١) أورده في « سراج الملوك » (٧٦٦ / ٢) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٧٢) ، وفي غير (أ) : (وأحسن حالات الرجال التفضل) .

(٣) أورده في « نثر الدر » (٢١٤ / ٤) .

(٤) البيت في « ديوانه » (ص ٤٨) .

(٥) ذوي المكنة : أرباب الغنى واليسار .

صلى الله عليه وسلم : « الخير كثير ، وقليل فاعله »^(١) .

والمرجو للإجابة من تكاملت فيه خصالها ؛ وهي ثلاث :

إحداهن : كرمُ الطبع ؛ فإنَّ الكريم مساعد ، واللئيم معاند ، وقد قيل :
(المخذولُ : من كانت له إلى اللئام حاجة)^(٢) .

والثانية : سلامة الصدر ؛ فإنَّ العدوَّ ألبُّ على نكبتك^(٣) ، وحربُ في
نائبتك ، وقد قيل : (من أوغرت صدره . . استدعت شره) .

فإن رَقَّ لك بكرم طبعه ، ورحمك بحسن ظفره . . فأعظم بها محنةً أن يصير
عدوك لك راحماً !!

وقد قال الشاعر^(٤) :

وَحَسْبُكَ مِنْ حَادِثٍ بَامِرِيٍّ تَرَى حَاسِدِيهِ لَهُ رَاحِمِينَ

والثالثة : ظهورُ المَكينة ؛ فإنَّ من سأل ما لا يمكن . . فقد أحال^(٥) ، وكان
كَمِستَنهَضِ المسجون ، ومستسَعِفِ المديون ، وكان بالرَّدِّ خَلِيقاً ، وبالحرمان
حَقِيقاً .

وقد قال علي بن أبي طالب عليه السلام : (من لا يعرف « لا » حتَّى يُقال له :
« لا » . . فهو أحمق) .

ووصى عبد الله بن الأَهمم ابنه فقال : (يا بني ؛ لا تطلبِ الحوائجَ إلى غير

(١) رواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٢٤٥ / ١) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (١٧٣ / ٨) عن سيدنا
عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٢) أورده في « لباب الآداب » (ص ٤٢٩) .

(٣) ألب على نكبتك : يُسرُّ لها ويتهالك على إيقاعها .

(٤) أورد البيت في « عيون الأخبار » (٩ / ٢) للعتبي .

(٥) فقد أحال : أتى بالمحال .

أهلها ، ولا تطلبها في غير حينها ، ولا تطلب ما لست له مستحقاً ؛ فإنك إن فعلت ذلك . . كنت حقيقاً بالحِرمان (١) .

وقال الشاعر (٢) :

ولا تسألنَّ امرأَ حاجةً يُحاولُ مِن ربِّها مثَلاً
فتركُ ما كنتَ حمَلتَهُ ويبدأ بحاجتِهِ قبلَها
وهذا ما يختص بشروط المروءة في نفسه .

فأما شروطُ المروءة في غيره . . فثلاثة : المؤازرة ، والمياسرة ، والإفضال .

فأما المؤازرة . . فنوعان : أحدهما : الإسعاد بالجاء ، والثاني : الإسعاف في النوائب .

فأما الإسعاد بالجاء : فقد يكون من الأعلى قدراً ، والأنفذ أمراً ، وهو أرخصُ المكارم ثمناً ، وألطفُ الصنائع موقِعاً ، وريماً كان أعظمَ من المال نفعاً ، وهو الظلُّ الذي يلجأ إليه المضطُّرون ، والحمى الذي يأوي إليه الخائفون ؛ فإن وطَّاه . . اتَّسع بكثرة الأنصار والشَّيع ، وإن قبضه . . انقطع بنفور الغاشية والتَّبَع ؛ فهو بالبذل ينمي ويزيد ، وبالكفِّ ينقص ويبيد .

فلا عذرَ لِمَن مُنحَ جاهاً أن ييخَلَ به ، فيكونَ أسوأَ حالاً من البخیل بماله الذي قد يُعِدُّه لنوائبه ، ويستبقيه للذَّته ، ويستكثره لذَّريته ، وبضدِّ ذلك مَن بخل

(١) رواه في «المجالسة وجواهر العلم» (١٠٦١) ، و«تاريخ دمشق» (١١٥/١٦) من قول خالد بن صفوان رحمه الله تعالى .

(٢) أورد البيهقي في «بهجة المجالس» (٣٢٣/١) ، وقال خالد بن صفوان رحمه الله تعالى : (لا تسأل الحوائج ثلاثة : لا تسأل كذباً ؛ فيقرب بعيداً ويبعد قريباً ، ولا أحقق ؛ فإنه يريد أن ينفلك فيضرك ، ولا رجلاً له إلى صاحبك حاجة ؛ فإنه يصير حاجتك بطانةً لحاجته) .

بجاهه ؛ لأنه قد أضاعه بالشح ، وبذّره بالبخل ، وحزم نفسه غنيمةً مكنته ^(١) ، وفرصةً قدرته ، فلم يُعقبه إلاّ ندماً على فائت ، وأسفاً على ضائع ، ومقتاً يستحكم في النفوس ، وذمّاً قد ينتشر في الناس .

وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « الخَلْقُ كُلُّهُمْ عِيَالُ اللَّهِ تعالى ، وأحبُّ خَلْقِ اللَّهِ تعالى إليه أحسنُّهم صنيعاً إلى عياله » ^(٢) .

وقال بعض الحكماء : (اصنع الخيرَ عند إمكانه .. يبقَ لك حمده عند زوال أيامه ، وأحسنِ والدَّولةَ لك .. يُحسنَ إليك والدَّولةُ عليك ، واجعلْ زمانَ رخائك عُدةً لزمانِ بلائك) ^(٣) .

وقال بعض البلغاء : (من علامة الإقبال اصطناعُ الرِّجالِ) ^(٤) .

وقال بعض الأدباء : (بذلُ الجاهِ أحدُ الجبائِينِ) ^(٥) .

وقال ابن الأعرابي : (العرب تقول : مَنْ أَمَلْ شيئاً .. هابه ، وَمَنْ جَهِل شيئاً .. عابه) ^(٦) .

وبذلُ الجاه قد يكون من كرم النفس ، وشكر النعمة ، وضدّه من ضدّه ، وليس بذلُ الجاه التماسَ الجزاء بذلاً مشكوراً ، وإنّما هو بائعُ جاهه ، ومعاوضٌ على نعم الله تعالى وآلائه ، فكان بالذمّ أحقّ .

وأنشد بعض الأدباء لعلي بن عباس الرومي ^(٧) :

لا ييذُلُ العُزْفَ حينَ ييذُلُهُ كمشري الحمْدِ أو كُمُتاضِه

[من المنسرح]

(١) وهي استرقاق الأحرار .

(٢) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٠٤٧) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٢٧٧ / ٣٣) .

(٣) أورد بعضه في « محاضرات الأدباء » (١ / ٣٦٣) .

(٤) أوردته في « لبّاب الآداب » (ص ٦٨) ، و « نهاية الأرب » (١٠٣ / ٦) .

(٥) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٢٤) ، و « زهر الآداب » (٩٨٤ / ٢) من قول أبي بكر

الخوارزمي ، والجبّاءان : مثنى العطية التي لا عوض لها ، ولا امتنان فيها .

(٦) أوردته في « البيان والتبيين » (٢٥٦ / ٣) ، ورواه القالي في « الأمالي » (٩٦ / ٢) عن الأصمعي

رحمه الله تعالى ؛ وفيه : (وَمَنْ قَصَّرَ عن شيء .. عابه) .

(٧) البيتان في « ديوانه » (١٣٧٤ / ٤) .

بَلْ يَفْعَلُ الْعُرْفَ حِينَ يَفْعُلُهُ لَجَوهِرِ الْعُرْفِ لَا لِأَعْرَاضِهِ

وعلى مَنْ أَسْعَدَ بجاهه ثلاثة حقوق ، يستكثر بها الشكر ، ويستمدُّ بها المزيد :
أحدها : أن يستسهل المعونة مسروراً بها ، ولا يستثقلها كارهاً لها ، فيكون
بِنِعَمِ اللَّهِ تعالى متبرِّماً ، وإحسانه متسخطاً .

وقد رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « مَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ تعالى عليه . . عَظُمَتْ مَوْنَةُ النَّاسِ عليه ، فَمَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ تِلْكَ الْمَوْنَةَ . . عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمَةَ لِلزَّوَالِ » (١) .

والثاني : مجانية الاستطالة ، وتركُ الامتنان ؛ فَإِنَّهُمَا مِنْ لَوْمِ الطَّبَعِ ، وضيق
الصدر ، وفيهما هدمُ الصَّنِيعِ ، وإحباطُ الشكر .

وقد قيل للحكيم اليوناني : (مَنْ أَضَيَّقُ النَّاسَ طَرِيقاً ، وَأَقْلَهُمْ صَدِيقاً ؟
قال : مَنْ عَاشَرَ النَّاسَ بَعْبُوسَ وَجْهه ، وَاسْتَطَالَ عَلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ) (٢) .

والثالث : ألا يقرنَ بمشكور سعيه تقريعاً بذنب ، ولا توبيخاً على هَفْوَةٍ ، فلا
يفي مضضُ التوبيخ بإدراك النُّجْحِ ، ويصيرُ الشُّكْرُ وَجْداً ، والحمدُ عَيْباً ؛ ولذلك
قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ » (٣) .

وقال النابغة الجعدي (٤) :

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الْمَلَامَةَ نَفْعُهَا قَلِيلٌ إِذَا مَا الشَّيْءُ وَلَّى فَأَدْبَرَا

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٢٥٨) ، والخطيب في « تاريخ بغداد » (٣٨٩/٥) عن سيدنا
معاذ بن جبل رضي الله عنه .

(٢) أورده في « نهاية الأرب » (١٣٥/٦) .

(٣) رواه ابن حبان في « صحيحه » (٩٤) ، وأبو داود (٤٣٧٥) عن السيدة عائشة رضي الله عنها .

(٤) البيت في « ديوانه » (ص ٥٥) .

وأما الإسعاف في النوائب : فإنَّ الأيامَ غادرةٌ ، والنوازلَ غائرةٌ ، والحوادثَ عارضةٌ ، والنوائبَ راکضةٌ ، فلا يعذرُه فيها إلَّا علیمٌ ، ولا يستنقذه منها إلَّا سلیمٌ .
وقال عدي بن زيد^(١) :

كفى زاجراً للمرء أیامَ دهرِه تروحُ له بالواعظاتِ وتغتدي
فإذا وجد الكريمُ مصاباً بحوادثِ دهره . . حثَّه الكرمُ وشكرُ النعمِ على
الإسعافِ فيها بما استطاع سبيلاً إليه ، ووجد قدرةً عليه .
رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خيرٌ من الخیرِ مُعْطِيهِ ، وشرُّ
من الشرِّ فاعِلُهُ »^(٢) .

وقيل لبعض الحكماء : (هل شيءٌ خيرٌ من الذهب والفضة ؟ قال :
مُعْطِيهِمَا)^(٣) .

والإسعاف في النوائب نوعان : واجب ، وتبرُّع .
فأما الواجب : فما اختصَّ بثلاثة أصناف ؛ وهم : الأهل ، والإخوان ،
والجيران .

- أما الأهل : فلمُما سة الرَّحِم ، وتعاطف النسب .

وقد قيل : (لم يسُدَّ من احتاج أهله إلى غيره)^(٤) .

وقال حسان بن ثابت رضي الله تعالى عنه^(٥) :

وإنَّ امرأً نالَ الغنى ثمَّ لم يُنلْ قريباً ولا ذا حاجةٍ لزَهِيدُ

(١) البيت في « ديوانه » (ص ١٠٤) .

(٢) أورده في « العقد الفريد » (٣٠٨/٣) ، و « نهاية الأرب » (١٦٥/٥) من قول أكنم بن صيفي رحمه الله تعالى .

(٣) أورده في « محاضرات الأدباء » (٥٧٩/٢) .

(٤) أورده المبرد في « الكامل » (١٠٣/١) ، و « التذكرة الحمدونية » (٢٣/٢) .

(٥) البيتان في « ديوانه » (٤١٤/١) ، وروى البيهقي في « شعب الإيمان » (٨١٢٧) البيتين ضمن قصة جاعلاً الأول لعبد الرحمن بن حسان ، والثاني لسعيد بن عبد الرحمن رحمهما الله تعالى .

وإنَّ امرأَ عادى الرِّجَالَ على الغِنَى ولم يسألِ اللهَ الغِنَى لَحْسُودُ

- وأما الإخوان : فلمُستَحِكِمُ الوُدِّ ، ومتأكَّدُ العهدِ .

سُئِلَ الأحنفُ بنُ قيسٍ عن المروءة ، فقال : (صدقُ اللسان ، ومواساةُ الإخوان ، وذكرُ الله تعالى في كلِّ مكان) .

وقال بعضُ حكماءِ الفرس : (صفةُ الصَّدِيقِ : أن يبدلَ لك مالَه عند الحاجة ، ونفسَه عند النكبة ، ويحفظك عند الغيبة) .

ورأى بعضُ الحكماءِ رجلين يصطحبان ولا يفترقان ، فسألَ عنهما ، فقيل : هما صديقان ، قال : فما بالُ أحدهما فقيرٌ ، والآخر غنيٌّ ؟^(١) .

وأما الجار : فلندنوُّ داره ، واتصال مَزاره .

وقد قال علي بن أبي طالب عليه السلام : (ليس حسنُ الجوار كفَّ الأذى ؛ ولكِنَّه الصبرُ على الأذى)^(٢) .

وقال بعضُ الحكماء : (مَنْ أجار جاره .. أعانه الله وأجاره) .

وقال بعضُ البلغاء : (مَنْ أحسنَ إلى جاره .. فقد دلَّ على حسنِ نجاره)^(٣) .

وقال بعضُ الشعراء :

وللجارِ حقٌّ فاحترس مِنْ أذائِهِ وما خيرُ جارٍ لا يزالُ مؤاذِيا
فيجب في حقوقِ المروءة وشروطِ الكرمِ في هؤلاءِ الثلاثةِ تحمُّلُ أثقالِهِمْ ،

(١) أورده في « محاضرات الأدباء » (٢٣/٣) ، و « نثر الدر » (٥٨/٧) من قول ديوجانس .

(٢) أورده في « شرح نهج البلاغة » (٢٩٥/٢٠) ، وفي « التذكرة الحمدونية » (١٥٧/٢) ، و « لباب الآداب » (ص ٢٦٢) من قول الحسن البصري رحمه الله تعالى .

(٣) أورده نحوه في « نهاية الأرب » (٣٦٤/٣) ؛ وفيه : (من تعذَّى على جاره .. دلَّ على لؤمِ نجاره) ، والنَّجار : الأصل والحسب .

وإسعافهم في نوائبهم ، ولا فُسحةٌ لذي مروءةٍ مع ظهور المَكْنَةِ أن يكلّمهم إلى غيره ، ويلجئهم إلى سواه ، وليكن سائلٌ كرم نفسه عنهم ؛ فإنّهم عيالٌ كرمه ، وأضيافٌ مروءته ، فكما أنه لا يحسنُ أن يلجىءَ عياله وأضيافه إلى الطلب والرغبة . . فهكذا من عاله كرمه ، وأضافته مروءته .

وقد قال بعض الشعراء^(١) :

حقٌّ على السيّد المَرْجُوُّ نائلُهُ والمستجار به في العُربِ والعَجَمِ
ألا يُنِيلَ الأَقاصي صَوْبَ راحتهِ حتّى يخصَّ به الأدنى من الخَدَمِ
إنّ الفُراتَ إذا جاشتْ غواربُهُ رَوَى السَّواحِلَ ثمَّ امتدَّ في الأَمَمِ

وأما التبرُّع : فَمَنْ عدا هؤلاءِ الثلاثةَ من البُعْداء الذين لا يُدلون بنسب ، ولا يتعلّقون بسبب .

فإن تبرّع بفضل الكرم ، وفائض المروءة ، فنهض في حوادثهم ، وتكفّل بنوائبهم . . فقد زاد على شروط المروءة ، وتجاوزها إلى شروط الرِّياسة .

قيل لبعض الحكماء : (أيُّ شيءٍ من أفعال الناس يشبه أفعالَ الإله ؟ قال : الإحسانُ إلى الناس)^(٢) .

وإن كَفَّ تشاغلاً بمنّ لزم . . فلا لومَ ، ما لم يلجأ إليه مضطّرٌّ ؛ لأن القيام بالكلِّ مُعوّزٌ ، والتكفّل بالجميع متعذّرٌ ، فهذا حكم المؤازرة .

وأما المياسرة . . فنوعان : أحدهما : العفو عن الهفوات ، والثاني : المسامحة في الحقوق .

(١) حقٌّ : خبر مقدم ، وألا ينيل : مبتدأ ، والاستجارة : طلب الأمان والحفظ والحماية ، وصوب راحته : كناية عن الجود والعطية .

(٢) أوردته في « محاضرات الأدباء » (٥٧٨ / ٢) ، و « نثر الدر » (١٦٠ / ٤) .

فأما العفو عن الهفوات : فلأنَّه لا مُبرأ من سهوٍ أو زَلَلٍ ، ولا سليمٍ من نقصٍ أو خللٍ ، ومن رام سليماً من هَفْوَةٍ ، والتمس بريئاً من نَبْوَءٍ .. فقد تعدَّى على الدهر بشَطَطه ، وخادع نفسه بغَلَطه ، وكان من وجود بُغيته بعيداً ، فصار باقتراحه فرداً وحيداً .

وقد قالت الحكماء : (لا صديقَ لِمَن أراد صديقاً لا عيبَ فيه)^(١) .

وقيل لأنوشروان : (هل مِن أحدٍ لا عيبَ فيه ؟ قال : مَن لا موتَ له)^(٢) .

وإذا كان الدهرُ لا يُوجدُه ما طلب ، ولا يُنيلُه ما أحبَّ ، وكان الوحيدُ في الناس مرفوضاً قصياً ، والمنقطعُ عنهم بهيماً وحشياً . لزمه مساعدةُ زمانه في القضاء ، ومياسرةُ إخوانه في الصَّفح والإغضاء .

رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَنِي بِمُدَارَةِ النَّاسِ ؛ كَمَا أَمَرَنِي بِإِقَامَةِ الْفَرَائِضِ »^(٣) .

وقال بعض الأدباء : (ثلاثُ خصالٍ لا تجتمع إلا في كريم : حسنُ المَحْضَر ، واحتمالُ الزَّلَّة ، وقلةُ المَلال)^(٤) .

وقال ابن الرومي^(٥) :

وودُّكَ مقبولٌ بأهلٍ ومَرَحِبٍ	فَعُدْرُكَ مَبْسُوطٌ لَذَنْبٍ مُقَدَّمٍ
لديَّ مُقَامَ الكاشِحِ المُتَكَدِّبِ	ولو بَلَّغْتَنِي عَنْكَ أَذْنِي أَقْمَتُهَا
خليلاً إذا ما القلبُ لم يتقلَّبِ	فَلَسْتُ بِتَقْلِيْبِ اللِّسَانِ مُصَارِماً

(١) رواه في « تاريخ دمشق » (١٠٥ / ١٨) من قول رجاء بن حيوة رحمه الله تعالى ، وأورده في « التذكرة الحمدونية » (٣٦٣ / ٤) من قول جعفر بن محمد رحمه الله تعالى .

(٢) أورده في « البصائر والذخائر » (١٧٠ / ٤) لبرزجمهر ، و « التذكرة الحمدونية » (٢٤٤ / ٢) لسقراط .

(٣) أورده الدليمي في « الفردوس » (٦٥٩) عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، وابن عساكر في « معجم الشيوخ » (١٦٤ / ١) عن سيدنا أنس رضي الله عنه .

(٤) رواه في « روضة العقلاء » (٥٦٢) من قول سيدنا زيد بن ثابت رضي الله عنه ، وأورده في « سراج الملوك » (٧٦٤ / ٢) .

(٥) الأبيات في « ديوانه » (٢١٢ / ١) ، فعُدْرُكَ مَبْسُوطٌ : مقبول ، من (بسط العذر) إذا قبله ، والكاشِح : الذي يضمّر العدواة ويكذب ويفتري ؛ والمعنى : أنهم أذني بالصمم ولا أتهمك بالشتم ، وهذا أبلغ ما قيل في الصفح والإغضاء .

وإذا كان الإغضاء حتماً ، والصَّفْحُ لازماً . . ترتَّبَ بحسبِ الهفوة ، وتنزَّلَ
بقدر الذنب .

والهفوات نوعان : صغائر ، وكبائر .

فالصغائر مغفورة ، والنفوس بها معذورة ؛ لأنَّ الناس مع أطوارهم
المختلفة ، وأخلاقهم المتفاضلة . . لا يَسْلَمُونَ منها ، فكان الوجدُ فيها مُطَرِّحاً ،
والعتبُ فيها مستقبَحاً .

وقد قال بعض العلماء : (مَنْ هجر أخاه من غير ذنب . . كان كَمَنْ زرع
زرعاً ، ثمَّ حصده قبل أوانه) .

وقال أبو العتاهية^(١) :

وشرُّ الأَخْلَاءِ مَنْ لَمْ يَزَلْ يُعَاتِبُ طَوَّراً وَطَوَّراً يَذُمُّ
يُرِيكَ النَّصِيحَةَ عِنْدَ اللَّقَاءِ وَيُرِيكَ فِي السَّرِّ بَرِيَّ الْقَلَمِ

وأما الكبائر . . فنوعان :

أحدهما : أن يهفوَ بها خاطئاً ، ويَزِلَّ بها ساهياً ، فالحَرْجُ فيها مرفوع ،
والعتبُ عنها موضوع ؛ لأنَّ هفوةَ الخاطيء هَذَرٌ ، ولومه هَذَرٌ .

وقال بعض الحكماء : (لا تقطع أذاك إلا بعد عجز الحيلة عن
استصلاحه)^(٢) .

وقال الأحنف بن قيس : (حقُّ الصديق أن تحتمل له ثلاثاً : ظلمَ الغضب ،
وظلمَ الدالة ، وظلمَ الهفوة)^(٣) .

(١) البيتان في « ديوانه » (ص ٢٣٧ - دار صادر) .

(٢) أورده في « الصداقة والصديق » (ص ١٨٣) ، و « التذكرة الحمدونية » (٤ / ٣٦٤) .

(٣) أورده في « الصداقة والصديق » (ص ٥٤) ، ورواه في « تاريخ دمشق » (٢٤ / ٣٤٢) ، وانظر « التذكرة
الحمدونية » (٤ / ٣٥٤) ، وظلم الدالة : ظلم الغنج والدلال .

وحكى ابن أبي عون : أنَّ غلاماً هاشمياً عَرَبَدَ على قوم ، فأراد عمُّه أن يسيءَ به ، فقال : (يا عمِّ ؛ إنِّي قد أسأتُ وليس معي عقلي ، فلا تُسيءْ بي ومعكَ عقلك) (١) .

وقال أبو فراس (٢) :

لَمْ أُوَاخِذْكَ إِذْ جَنَيْتَ لَأَنِّي واثقُ منك بالإخاءِ الصَّحيحِ
فجميلُ العدوِّ غيرُ جميلٍ وقبيحُ الصَّدِيقِ غيرُ قبيحِ
فإنَّ تشبَّهَ خطؤه بالعمد ، وسهوه بالقصد . . . تَبَيَّنَ ، ولم يَلْمُ بالتوهم فيكونَ
مَلُوماً ، ولا يذمُّ بالظنِّ فيصيرَ مذموماً ؛ ولذلك قيل : (التَّشَبُّهُ نَصْفُ
العفو) (٣) .

وقال بعض الحكماء : (لا يفسدكَ الظنُّ على صديقٍ أصلحك اليقينُ له) (٤) .

وقال بعض شعراء هذيل (٥) :

فبعضُ الأمرِ تصلُّحُه ببعضِ فإنَّ الغَثَّ يحمِلُه السَّمينُ
ولا تعجَلْ بظنِّكَ قبلَ خُبَرِ فعندَ الخُبَرِ تنقطعُ الظُّنونُ
تَرى بينَ الرِّجالِ العينُ فضلاً وفيما أضَمَرُوا الفضلُ المِئينُ
كلُّونِ الماءِ مُشْتَبِهاً وليست تُخَبِّرُ عن مذاقَتِهِ العُيونُ

والثاني : أن يعتمدَ ما اجترَمَ من كبائره ، ويقصدَ ما اجترحَ من سيئاته ، فلا يخلو حاله فيما أتاه من أحوال أربعة :

(١) أوردته في « الأجوبة المسكتة » (٥٦٨) ، وعريد : أظهر سوء الخلق ، ولم يتلطف بنديمه .

(٢) البيتان في « ديوانه » (ص ٦١) .

(٣) أوردته في « البيان والتبيين » (٤٣/٢) ، و « العقد الفريد » (١٥٦/٢) بين قتيبة بن مسلم وأبي مجلز لاحق بن حميد .

(٤) أوردته في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٤) ، و « زهر الآداب » (٨٣٣/٢) من قول ابن المعتز .

(٥) الأبيات لأبي العيال الهذلي في « شرح أشعار الهذليين » (٤٣٥/١) . والغث : المهزول وهو مقابل السمين ، والخبر : العلم بالكنه ، فلا تجعل لومك بظنك الباطل قبل اختباره ؛ لأن بالاختبار يحصل اليقين ، وتنقطع الظنون الفاسدة .

- فالحال الأولي : أن يكون موتوراً قد قابل على تِرتِه ، وكافاً على مَساءتِه ؛
فاللائمة على من وَتره عائدةٌ ، وإلى البادئ بها راجعةٌ ؛ لأن المكافئ أعدر وإن
كان الصَّفحُ أجمل .

ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « إِيَّاكُمْ والمُشَارَة ؛ فَإِنَّهَا تُمِيتُ
الْغُرَّةَ ، وَتُحْيِي الْغُرَّةَ »^(١) .

وقال بعض الحكماء : (مَنْ فَعَلَ مَا شَاءَ . . لَقِيَ مَا لَمْ يَشَأْ)^(٢) .

وقال بعض الأدباء : (مَنْ نَالَتْهُ إِسَاءَتُكَ . . هِمَّتُهُ مَسَاءَتُكَ)^(٣) .

وقال بعض البلغاء : (مَنْ أُولِعَ بِقُبْحِ الْمَعَامِلَةِ . . أُوجِعَ بِقُبْحِ الْمَقَابِلَةِ) .

وقال صالح بن عبد القدوس^(٤) :

إِذَا وَتَرْتَ امْرَأً فَاحْذَرِ عِدَاوَتَهُ مَنْ يَزِرْعِ الشُّوكَ لَا يَحْصُدُ بِهِ عِنَبًا
إِنَّ الْعَدُوَّ وَإِنْ أَبْدَى مُسَالِمَةً إِذَا رَأَى مِنْكَ يَوْمًا فُرْصَةً وَثَبَا
وَالْإِغْضَاءُ عَنْ هَذَا الذَّنْبِ أَوْجَبُ وَإِنْ لَمْ تَكُنِ الْمَكَافَأَةُ ذَنْبًا ؛ لِأَنَّهُ قَدْ رَأَى
عُقْبَى إِسَاءَتِهِ ، فَإِنْ وَاصَلَ الشَّرَّ . . وَاصَلَتْهُ الْمَكَافَأَةُ .

وقد قيل : (بِاعْتِرَالِكَ الشَّرِّ يَعْتَزُّ لَكَ ، وَبِحَسَنِ النَّصْفَةِ يَكْثُرُ الْوَاصِلُونَ) .

وقال بعض الحكماء : (مَنْ كُنْتَ سَبَبًا لِبَلَاءِهِ . . وَجِبَ عَلَيْكَ التَّلَطُّفُ لَهُ فِي
عِلَاجِهِ مِنْ دَائِهِ)^(٥) .

(١) رواه البيهقي في « شعب الإيمان » (٧٨٧٠) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤/٥٥) عن سيدنا
أبي هريرة رضي الله عنه ، والمُشَارَة : مفاعلة من الشر ؛ أي : لا تفعلوا بهم شرّاً يحوجهم إلى أن يفعلوا بكم
مثلَه ، والغُرَّة : الحسن والعمل الصالح ، والعَرَّة : المساوئ والمثالب .

(٢) أوردته في « الكشكول » (٢٦٢/١) ، و « لباب الآداب » (ص ٦٨) ، وفيه : (مَنْ فَعَلَ مَا شَاءَ . . لَقِيَ
مَا سَاءَ) .

(٣) أوردته في « محاضرات الأدباء » (٥٠٦/١) من قول سيدنا معاوية رضي الله عنه .

(٤) البيتان في « ديوانه » (ص ١٣٦) .

(٥) أوردته في « التذكرة الحمدونية » (١٨٣/٢) .

وقال أوس بن حجر^(١) :

[من الطويل]

إذا أنت لم تُعْرِضْ عن الجَهِلِ والخَنَا أَصَبْتَ حَلِيماً أو أَصَابَكَ جَاهِلٌ

- والحال الثانية : أن يكون عدوّاً قد استحكمت شحناؤه ، واستوعرت سرّاؤه ، واستخشنت ضرّاؤه ؛ فهو يتربّص بدوائر السوء انتهازاً فُرصه ، ويتجرّع بمهانة العجز مرارة غُصَصه ؛ فإذا ظفر بنائبة .. ساعدها ، وإن شاهد نعمة .. عاندها ؛ فالبعدُ منه حذراً أسلم ، والكفُّ عنه متاركةً أغنم ؛ فإنه لا يُسلم من عواقب شرّه ، ولا يُفلت من غوائل مكره .

وقد قالت الحكماء : (لا تُعْرِضَنَّ لعدوّك في دولته ؛ فإذا زالت .. كُفيت شرّه)^(٢) .

وقال لقمان لابنه : (يا بني ؛ كذب مَنْ قال : إن الشرَّ بالشرِّ يُطفأ ؛ فإن كان صادقاً .. فليوقد نارين ، ولينظر هل تُطفىءُ إحداهما الأخرى ؟ وإنما يُطفىءُ الخيرُ الشرَّ ؛ كما يُطفىءُ الماءُ النارَ)^(٣) .

وقال جعفر بن محمد عليه السلام : (كفّاك من الله تعالى نصراً أن ترى عدوّك يعصي الله تعالى فيك)^(٤) .

وقال بعض الحكماء : (بالسيرة العادلة يُقهرُ المُعادي)^(٥) .

(١) البيت في « ديوان أوس بن حجر » (ص ٩٩) ، وفي « ديوان زهير بن أبي سلمى » (ص ٢١٩) ، وفي « ديوان كعب بن زهير » (ص ١٨٤) ، وفي (ب ، ج) : (وقال زهير) .

(٢) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٤٦٦) .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٣٥) .

(٤) أورده في « الصداقة والصديق » (ص ٢٥٦) ، ورواه في « المجالسة وجواهر العلم » (١٤١٠) من قول محمد بن علي بن الحسين رحمهم الله تعالى ، ومعصية عدوك فيك بحسبك وتربص الدوائر عليك .

(٥) أورده في « ربيع الأبرار » (٥٩٧/٣) ، و« شرح نهج البلاغة » (٤٨/١٩) من قول سيدنا علي رضي الله عنه .

وقال البحرى^(١) :

[من الطويل]

وَأَقْسِمُ لَا أَجْزِيكَ بِالشَّرِّ مِثْلَهُ كَفَى بِالذِّى جَازِيَتْنِي لَكَ جَازِيَا

- والحال الثالثة : أن يكون لثيم الطبع ، خبيث الأصل ، قد أغراه لؤم الطبع على سوء الاعتقاد ، وبعثه خُبث الأصل على إتيان الفساد ؛ فهو لا يستقبح الشرَّ ، ولا يكفُّ عن المكروه ، فهذه الحال أطم^(٢) ؛ لأنَّ الإضرارَ بها أعمُّ ، ولا سلامة من مثله إلَّا بالبعد والانقباض ، ولا خلاصَ منه إلَّا بالصَّفْح والإعراض ؛ فإنَّه كالسَّبُع الضاري في سَوَارِحِ النَّعَم ، وكالنار المتأجَّجة في يابس الحطب ، لا يقربُها إلَّا تالَفٌ ، ولا يدنو منها إلَّا هالكٌ .

روى مكحول ، عن أبي أمامة رضي الله عنه ، عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « النَّاسُ كَشَجَرَةٍ ذَاتِ جَنْبٍ ، وَيُوشِكُ أَنْ يُعْوَدُوا كَشَجَرَةٍ ذَاتِ شَوْكٍ ؛ إِنْ نَاقَذْتَهُمْ .. نَاقَذُواكَ ، وَإِنْ هَرَبْتَ مِنْهُمْ .. طَلَبُوكَ ، وَإِنْ تَرَكْتَهُمْ .. لَمْ يَتْرُكُوكَ » قيل : يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ فَكَيْفَ الْمَخْرَجُ ؟ قال : « أَقْرِضْهُمْ مِنْ عِزِّكَ لِيَوْمِ فَاتِنِكَ »^(٣) .

وقال عبد الله بن العباس رضي الله عنهما : (العاقلُ الكريمُ صديقُ كلِّ أحدٍ إلا مَنْ ضرَّه ، والجاهلُ اللئيمُ عدوٌّ لكلِّ أحدٍ إلا مَنْ نفعه)^(٤) .

وقيل : (شرُّ ما في الكريم : أن يمتنعَ خيرَه ، وخيرُ ما في اللئيم : أن يكفَّ عنكَ شرَّه)^(٥) .

(١) لم نجده في « ديوانه » المطبوع ، وهو في « ديوان صريع الغواني » (ص ٢٨٤) ، والمعنى : أنا لا أفعل الشرَّ أصلاً ؛ لا مثل ما فعلت ، ولا أعظم منه ، ويكفيك أنك شرير حاذق بالشر .

(٢) أطم : أشد طامة وداهية ؛ من (طم) إذا كثر وعلا وغلب .

(٣) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (١٢٦ / ٨) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (١٧ / ٢٤) ، وناقذ بمعنى ، والمناقذة : التدقيق والاستقصاء في المحاسبة ، وأقرضهم من عرضك ؛ أي : إذا نال أحدٌ من عرضك .. فلا تُجَازِهْ ؛ ولكن اجعله قرضاً في ذمته تأخذه منه يوم القيامة .

(٤) أورده في « جمهرة الأمثال » (٣١٦ / ٢) ، و « الصداقة والصديق » (ص ٢٤٢) .

(٥) أورده في « التذكرة الحمدونية » (٢١٧ / ٢) ، و « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٧٤) .

وقال بعض البلغاء : (أعداؤك داؤك ، وفي البعد منهم شفاؤك) .

وقال بعض الأدباء : (شرفُ الكريم تغافلُه عن اللئيم) .

ووصى بعض الحكماء ابنه فقال : (يا بني ؛ إذا سلم الناسُ منك . . فلا عليك
ألا تسلمَ منهم ؛ فإنه قلما اجتمعت هاتان النعمتان) .

وقال عبد المسيح بن عمرو ابن بُقيلة^(١) :

[من البسيط]

الخيرُ والشرُّ مقرُونانِ في قرَنٍ فالخيرُ مُتَّبِعٌ والشرُّ محذُورٌ

- والحال الرابعة : أن يكون صديقاً قد استحدث نبوةً وتغيّراً ، وأخاً قد استجدَّ
جفوةً وتنكراً ، فأبدى صفحةً عُقُوقه ، واطَّرح لازمَ حُقوقه ، وعدل عن برِّ الإخاء
إلى جفوة الأعداء .

فهذا قد يعرض في المودات المستقيمة ؛ كما تعرض الأمراض في الأجسام
السليمة ؛ فإن عُولِجت . . أقلعت ، وإن أهملت . . أسقمت ثم أتلقت .

ولذلك قالت الحكماء : (داو المودة بكثرة التعاهد)^(٢) .

وقال كشاجم^(٣) :

[من الوافر]

أَقِلْ ذا الوُدِّ عَثْرَتَهُ وَقِفْهُ عَلَى سَنَنِ الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمَةِ
وَلَا تُسْرِعْ بِمَعْتَبَةٍ إِلَيْهِ فَقَدْ يَهْفُو وَنَيْتُهُ سَلِيمَةٌ

ومن الناس من يرى أنَّ متاركة الإخوان إذا تغيّروا أصلح ، واطَّراحهم إذا
فسدوا أولى ؛ كأعضاء الجسد إذا فسدت . . كان قطعها أسلم ، فإن شخَّ بها . .

(١) أورد البيت في « الحماسة البصرية » (٩٢٥ / ٢) ، و « تاريخ دمشق » (٣٦٣ / ٣٧) ، وفي (أ ، ج ، هـ) : (ابن نفيلة) .

(٢) أوردته في « التذكرة الحمدونية » (٣٥٩ / ٤) من قول جعفر بن محمد رحمهما الله تعالى .

(٣) البيتان في « ديوانه » (ص ٣٦٢) ، وفيه وفي (ب) : (ولا تسرع بمعتبة عليه) ، وأقل : أمر من الإقالة ؛ أي : اعف عنه وأقبل عذره ، وقفه : أمر من (وقف) أي : دله على الطريق السوية الصحيحة ، والمعتبة : العتاب واللوم .

سَرَتْ إِلَى نَفْسِهِ ، وَكَالْتُوبَ إِذَا أَخْلَقَ . . كَانَ أَطْرَاحُهُ بِالْجَدِيدِ أَجْمَلَ مِنْ لُبْسِهِ .

وقد قال بعض الحكماء : (رَغْبَتُكَ فَيَمَنَ يَزْهَدُ فَيْكَ ذَلِكَ نَفْسٌ ، وَزَهْدُكَ فَيَمَنَ يَرْغَبُ فَيْكَ صُغْرُ هَمَّةٍ)^(١) .

وقال بُزْرُجِمَهَرُ : (مَنْ تَغَيَّرَ عَلَيْكَ فِي مَوَدَّتِهِ . . فَدَعُهُ حَيْثُ كَانَ قَبْلَ مَعْرِفَتِهِ) .

وقال نصر بن أحمد الخُبَرَارِيُّ^(٢) :

[من الكامل]

صِلْ مَنْ دَنَا وَتَنَاسَ مَنْ بَعُدَا لَا تُكْرِهَنَّ عَلَى الْهَوَى أَحَدَا
قَدْ أَكْثَرَتْ حَوَاءَ إِذْ وَلَدَتْ فَإِذَا جَفَا وَلَدٌ فَخُذْ وَلَدَا

وهذا مذهب مَنْ قَلَّ وِفَاؤُهُ ، وَضَعْفُ إِخَاؤِهِ ، وَسَاءَتْ طَرَائِقُهُ ، وَضَاقَتْ خِلَاتِقُهُ ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِ فَضْلُ الْإِحْتِمَالِ ، وَلَا صَبْرٌ عَلَى الْإِدْلَالِ ، فَقَابِلَ عَلَى الْجَفْوَةِ ، وَعَاقِبَ عَلَى الْهَفْوَةِ ، وَاطَّرَحَ سَالِفَ الْحُقُوقِ ، وَقَابَلَ عَلَى الْعُقُوقِ بِالْعُقُوقِ ، فَلَا بِالْفَضْلِ أَخَذَ ، وَلَا إِلَى الْعَفْوِ أَخْلَدَ .

وقد علم أَنَّ نَفْسَهُ قَدْ تَطَعْنِي عَلَيْهِ فَتَرَدِيهِ ، وَأَنَّ جِسْمَهُ قَدْ يَسْقَمُ عَلَيْهِ فَيُؤْلِمُهُ وَيُؤْذِيهِ ، وَهُمَا أَخْصَصْتُ بِهِ وَأَحْنَيْ عَلَيْهِ مِنْ صَدِيقٍ قَدْ تَمَيَّزَ بِذَاتِهِ ، وَانْفَصَلَ بِأَدْوَاتِهِ ، أَفَيْرِيدُ مِنْ غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ مَا لَا يَجِدُهُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ ؟ هَذَا عَيْنُ الْمُحَالِ ، وَمَحْضُ الْجَهْلِ .

مع أَنَّ مَنْ لَمْ يَحْتَمَلِ . . بَقِيَ فَرْدًا ، وَانْقَلَبَ الصَّدِيقُ فِصَارَ عَدُوٍّ ، وَعَدَاوَةُ مَنْ كَانَ صَدِيقًا أَعْظَمُ مِنْ عَدَاوَةِ مَنْ لَمْ يَزَلْ عَدُوًّا .

ولذلك قال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَحَبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا »^(٣) .

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَوْصَانِي رَبِّي بِسَبْعٍ : الْإِخْلَاصِ فِي السِّرِّ

(١) أوردته في « التذكرة الحمدونية » (٣٧٩ / ١) ، و « شرح نهج البلاغة » (١٠١ / ٢٠) من قول سيدنا علي رضي الله عنه ، وفي « الصداقة والصديق » (ص ٢٠١) من قول الخليل رحمه الله تعالى .

(٢) البيتان ليسا في « ديوانه » .

(٣) رواه الترمذي (١٩٩٧) عن سيدنا أبي هريرة رضي الله عنه .

والعلانية ، وأن أعفو عمن ظلمني ، وأعطي من حرمني ، وأصل من قطعني ،
وأن يكون صمتي فكراً ، ونطقي ذكراً ، ونظري عبرة ^(١) .

وقال لقمان لابنه : (يا بني ؛ لا تترك صديقك الأول ، فلا يطمئن إليك
الثاني ، يا بني ؛ اتخذ ألف صديق ، والألف قليل ، ولا تتخذ عدواً واحداً ؛
فالواحد كثير) ^(٢) .

وقيل للمُهَلَّب بن أبي صُفْرة : (ما تقول في العفو والعقوبة ؟ قال : هما
بمنزلة الجود والبخل ، فتمسك بأيهما شئت) .

وأشْد ثعلب ^(٣) :

[من الطويل]

إذا أنت لم تستقبل الأمر لم تجد بكفيك في إدباره متعلقا
إذا أنت لم تترك أخاك وزلة إذا زلها أو شكمتما أن تفرقا

وإذا كان الأمر على ما وصفت . . فمن حقوق الصَّفْح : الكشف عن سبب
الهَفْوَة ؛ ليعرف الداء فيعالجه ، فإن لم يعرف الداء . . لم يقف على الدواء ،
وكان كما قال المتنبي ^(٤) :

[من الوافر]

فإن الجرح ينفر بعد حين إذا كان البناء على فساد
وإذا كان ذلك كذلك . . فلا يخلو حال ذلك السبب من أن يكون لمَلَل أو زَلَل :
فإن كان لمَلَل . . فمَوَدَّات المَلُول ظل الغمام ، وحلم النيام .

(١) رواه في « عيون الأخبار » (٣٦١ / ٢) مرفوعاً ، وابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٣٢٦) من قول
سيدنا داود عليه السلام .

(٢) رواه أبو حاتم الرازي في « الزهد » (٧٠) من قول لقمان عليه السلام ، وأورده في « عيون الأخبار »
(١ / ٣) من قول سيدنا سليمان عليه السلام .

(٣) أورد البيهقي في « الحماسة البصرية » (٨٦٠ / ٢) ، و « الزهرة » (١٩٥ / ١) ، والمعنى : إذا لم تتخذ
إخواناً قبل احتياجك إليهم . . لا تجدهم عند افتقارك إليهم ، وإذا لم تبق أخاك مع زلة زلها . . قربت أخوتكما
إلى التفرق والتباين .

(٤) البيت في « ديوانه » (٣٦٣ / ١) .

وقد قيل في مشور الحكم : (لا تأمنَنَّ مَلَوًّا وإن تحلَّى بالصِّلَة) .
وعلاجه : أن يُتركَ على مَلَله ، فسيمَلَّ الجفاء كما ملَّ الإخاء .

وإن كان لزلل . . لوحظت أسبابه :

فإن كان لها مدخلٌ في التأويل ، وشبهةٌ تؤول إلى الجميل . . حملَه على أجمل تأويله ، وصرَفَه إلى أحسن جهتيه ؛ كالذي حُكي عن خالد بن صفوان : أنه مرَّ به صديقان له ، فعَرَّجَ عليه أحدهما ، وطواه الآخر ، فقيل له في ذلك ، فقال : (نعم ؛ عَرَّجَ علينا هذا بفضلِه ، وطوانا ذاك بثقته)^(١) .

وأشَدُّ بعض أهل الأدب لمحمد بن داوود الأصفهاني^(٢) :

وتزعُمُ للواشينَ أنِّي فاسدٌ عليكَ وأني لستُ فيما عهدتني
وما فسدتُ لي يعلمُ اللهُ نيَّةُ عليكَ ولكنْ خُتنتي فاتهمتني
غدرتَ بعهدي عامداً وأخففتني فخففتَ ولو آمنتني لأمنتني

فإن لم يكن لزلله في التأويل مدخلٌ . . نظر حاله بعد زلله :

فإن ظهر ندْمُه ، وبان خجلُه . . فالندم توبة ، والخجل إنابة ، ولا ذنبٌ لتائب ، ولا لومٌ على مُتَّيب ، ولا يُكلَّفُ عُذراً عما سلف ، فيلجأ إلى ذلِّ التحريف ، أو خجل التعنيف .

ولذلك قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « إِيَّاكُمْ وَالْمَعَاذِرَ ؛ فَإِنْ أَكْثَرَهَا مَفَاجِرُ »^(٣) .

(١) أوردته في « الصداقة والصديق » (ص ٥٨) ، و « البصائر والذخائر » (١٥٨ / ٩) .

(٢) الأبيات في « ديوانه » (ص ٦٧) ؛ وفيه : (ولكنَّما استفسدتني فاتهمتني) ، وخنتني فاتهمتني : اتهمك لي من خيانتك ، لا من فساد نيتي والله شاهد على ذلك ، ولو آمنتني . . لوجدتني أميناً .

(٣) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٣٤٦) ، وابن أبي الدنيا في « الصمت » (٥٠٩) من قول مطرف بن عبد الله بن الشَّخِير رحمه الله تعالى .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (كفى بما يُعتذرُ منه تُهمّةٌ) .
وقال سلم بن قتيبة لرجلٍ اعتذر إليه : (لا يدعُونَكَ أمرٌ قد تخلّصتَ منه إلى
الدخول في أمرٍ لعلَّكَ لا تخلُصُ منه) (١) .

وقال بعض الحكماء : (شفيعُ المذنبِ إقرارُهُ ، وتوبتهُ اعتذارُهُ) (٢) .
وقال بعض البلغاء : (مَنْ لم يقبلِ التوبةَ . . عَظُمَتِ خطيئَتُهُ ، وَمَنْ لم يُحسِنِ
إلى التائبِ . . قَبَحَتِ إِسَاءَتُهُ) .
وقال بعض الحكماء : (الكريمُ أوسعُ ما يكون مغفرةً إذا ضاقت بالمذنبِ
المعذرةُ) (٣) .

وقال بعض الشعراء (٤) :

العُذرُ يلحقُهُ التحريفُ والكذبُ وليسَ في غيرِ ما يُرضيكَ لي أَرَبُ
وقد أسأتُ فبالنُعمى التي سَلَفَتْ إلّا مَنَنْتَ بعفوٍ مالَهُ سَبَبُ

وإن عَجَلَ العذرَ قبل توبته ، وقَدَّمَ التَنصُّلَ قبل إنابته . . فالعذرُ توبةٌ ، والتَنصُّلُ
إنابةٌ ، فلا يكشفُ عن باطنِ عذره ، ولا يعتفُ بظاهرِ غدره ، فيكونُ لثيمَ الظَّفَرِ ،
سَيِّئَ المكافأةِ .

وقد قيل : (مَنْ غلبته الحِدَّةُ . . فلا تغترَّ بمودَّته) .

وقال بعض الحكماء : (شافعُ المذنبِ خضوعُهُ إلى عذره) .

(١) أورده في « البيان والتبيين » (٩١/٢) ، و« عيون الأخبار » (١٠١/٣) ، وفي النسخ : (مسلم بن قتيبة) .

(٢) أورده في « نهاية الأرب » (٢٥٨/٣) ، و« التذكرة الحمدونية » (١٠٥/٤) من قول جعفر بن محمد رحمه الله تعالى .

(٣) أورده في « التذكرة الحمدونية » (١٠٥/٤) من قول سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنهما ، و« العقد الفريد » (٢٣١/٤) من قول إبراهيم بن العباس الصولي رحمه الله تعالى .

(٤) أورد البيهقي في « الزهرة » (٢١١/١) ، وفي « العمدة » (٨٧٧/٢) لمحمد بن علي الأصبهاني رحمه الله تعالى .

[من البسيط]

وقال بعض الشعراء^(١) :

اقْبَلْ معاذِيرَ مَنْ يَأْتِيكَ مُعْتَذِراً إِنَّ بَرَّ عِنْدَكَ فِيمَا قَالَ أَوْ فَجَراً
فَقَدْ أَطَاعَكَ مَنْ يُرْضِيكَ ظَاهِرُهُ وَقَدْ أَجَلَكَ مَنْ يَعْصِيكَ مُسْتَتِراً

وإن ترك نفسه في زَلَّه ، ولم يتداركه بعذره وتنصُّله ، ولا محاه بتوبته وإنابته . . راعيت حاله في المتاركة ، فستجده لا ينفك فيها من أمور ثلاثة :

- إما أن يكون قد كفَّ عن سيِّئ عمله ، وأقلع عن سالف زَلَّه ؛ فالكفُّ إحدى التوبتين ، والإقلاعُ أحدُ العذرين ، فكن أنتَ المَعْتَذِرُ عنه بصفحك ، والمتنصِّلُ له بفضلك ؛ فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (المحسنُ على المسيءِ أميرٌ)^(٢) .

- والثاني : أن يكون قد وقف على ما أسلف من زَلَّه غير تارك ولا متجاوز ، فوقوفُ المرضِ أحدُ البُرَّائِنِ ، وكفُّه عن الزيادة إحدى الحُسْنَيْنِ ، وقد استبقى بالوقوف عن التجاوز أحدَ شَطْرَيْهِ ، فعوَّلَ به على صلاح شطره الآخر ، وإيَّاكَ وإرجاءه ؛ فَإِنَّ الإرجاءَ يُفسِدُ شَطْرَ صلاحه ، والتلافيُّ يُصلِحُ شَطْرَ فساده ؛ فَإِنَّ مَنْ سَقَمَ من جسمه ما لم يُعالجه . . سرى السَّقَمُ إلى صحته ، وإن عالجه . . سَرَتِ الصِّحَّةُ إلى سَقَمِهِ .

- والثالث : أن يتجاوزَ مع الأوقات ، فيزيدَ فيه على مرور الأيام ، فهذا هو الدَّاءُ العُضالُ ؛ فَإِنْ أَمَكْنَ استدراكُه ، وتأتَّى استصلاحُه باستنزاله عنه إن علا ، وبإرغابه إن دنا ، وبعتابه إن ساوى ، وإلّا . . فَأَخْرُ الدَّاءَ العِيَاءَ الكَيَّ^(٣) ، وَمَنْ بلغت به الأعذارُ إلى غايتها . . فلا لائمةَ عليه ، والمقيمُ على شِقَاقِهِ باغٍ مصروعٌ .

(١) البيتان في « ديوان الشافعي » (ص ٦١) ، و« ديوان البحرني » (١١٠٥/٢) .

(٢) أوردته في « البصائر والذخائر » (١١٤/١) عنه مرفوعاً .

(٣) وإلا ؛ أي : وإن لم ينفع شيء منها ، وأعجز الراقي كما أعيأ الطبيب . . فَأَخْرُ الدَّاءَ العِيَاءَ ؛ وهو الداء الذي لا براء منه .

وقد قيل : (مَنْ سَلَ سَيْفَ الْبَغْيِ .. أَغْمَدَهُ فِي رَأْسِهِ)^(١) .
فهذا شرط^(٢) .

أما المسامحةُ في الحقوق : فلأنَّ الاستيفاءَ موحِشٌ ، والاستقصاءَ منفِرٌ ،
وَمَنْ أَرَادَ كُلَّ حَقِّهِ مِنَ النُّفُوسِ الْمُسْتَصْعَبَةِ بِشَحٍّ أَوْ طَمَعٍ .. لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ إِلَّا
بِالْمَنَافَةِ وَالْمَشَاقَّةِ ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ إِلَّا بِالْمَخَاشِنَةِ وَالْمَشَاحَّةِ ، وَقَدْ اسْتَقَرَّ فِي
الطَّبَاعِ مَقْتُ مَنْ شَاقَّهَا وَنَافَرَهَا ، وَبُغْضُ مَنْ شَاحَّهَا وَنَازَعَهَا ؛ كَمَا اسْتَقَرَّ فِيهَا حُبُّ
مَنْ سَامَحَهَا وَيَاسَرَهَا ، فَكَانَ أَلْيَقُ الْأُمُورِ بِالْمَرْوَةِ اسْتِلْطَافَ النُّفُوسِ بِالْمِيَاسِرَةِ
وَالْمَسَامِحَةِ ، وَتَأَلَّفَهَا بِالْمُقَارِبَةِ وَالْمَسَاهِلَةِ .

وقد قال بعض الحكماء : (مَنْ عَاشَرَ إِخْوَانَهُ بِالْمَسَامِحَةِ .. دَامَتْ لَهُ
مَوَدَّاتُهُمْ) .

وقال بعض الأدباء : (إِذَا أَخَذْتَ عَفْوَ الْقُلُوبِ .. زَكَ رَيْعُكَ ، وَإِنْ
اسْتَقْصَيْتَ .. أَكْدَيْتَ)^(٣) .

والمسامحة نوعان : في عقود ، وحقوق .

فأما العقود : فهو أن يكون فيها سهلَ المناجزة ، قليلَ المحاجزة ، مأمونَ
الغيبَةِ ، بعيداً من المكر والخديعة .

رُوي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ : « أَجْمِلُوا فِي طَلَبِ الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّ
كُلَّ مُيسِّرٍ لِمَا كُتِبَ لَهُ مِنْهَا »^(٤) .

(١) رواه في « حلية الأولياء » (١٩٥ / ٣) من قول جعفر الصادق رحمه الله تعالى ، وأورده في « التذكرة
الحمداوية » (٢٧٣ / ١) ، و « الإعجاز والإيجاز » (ص ٤١) من وصية سيدنا علي رضي الله عنه .

(٢) فهذا العفو عن الهفوات شرطٌ من شروط المروءة ؛ كما أن المذكور من نوعي المياسرة أصلٌ من أصولها .
(٣) أورده في « البصائر والذخائر » (٢٣٣ / ٦) ، و « نثر الدرر » (١٧٠ / ٤) من قول علي بن عبيدة رحمه الله
تعالى ، وزكا ريعك : نما زرعك وكثر ربحك .

(٤) رواه الحاكم في « المستدرک » (٣ / ٢) ، وابن ماجه (٢١٤٢) عن سيدنا أبي حميد الساعدي رضي الله
عنه .

وقال صلى الله عليه وسلم : « أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيْءٍ يُحِبُّهُ اللَّهُ تَعَالَى وَرَسُولُهُ ؟ »
قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « التَّغَابُنُ لِلضَّعِيفِ »^(١) .

وحكى ابن أبي عَون : أنَّ عمرو بن عُبيد اشترى للحسن البصريَّ إزاراً بستة دراهم ونصف ، فأعطى التاجرَ سبعةً ، فقال له : (ثمنه ستة دراهم ونصف ؟ فقال : إني اشتريته لرجلٍ لا يُقاسِمُ أخاه درهماً)^(٢) .

ومن الناس مَنْ يرى أنَّ المساهلة في العقود عجزٌ ، وأنَّ الاستقصاءَ فيها حزمٌ ، حتَّى إنَّه ليماكس في التافه الحقيق وإن جاد بالجزيل الكثير ؛ كالذي حُكي عن عبد الله بن جعفر وقد ماكس في درهم ، وهو يَجُود بما يَجُود به ، فقليل له في ذلك ، فقال : (ذاك مالي أجودُ به ، وهذا عقلي بخِلْتُ به)^(٣) .

وهذا إنَّما ينساغ من أهل المروءة في دفع ما يخادعهم به الأدياء ، ويغابنهم به الأشحاء ، وهلكذا كانت حالُ عبد الله بن جعفر ، فأما مماكسة الاستنزال والاستسماح .. فكلاً ؛ لأنَّه مُنافٍ للكرم ، ومُباينٌ للمروءة .

وأما الحقوق : فتتنوع المساومة فيها نوعين : أحدهما : في الأحوال ، والثاني : في الأموال .

- فأما المساومة في الأحوال : فهو أطراحُ المنازعة في الرُتب ، وتركُ المنافسة في التقدُّم ؛ فإنَّ مُشاحَّةَ النفوس فيها أعظمُ ، والعنادَ عليها أكثرُ .

فإن سامح فيها ولم ينافس .. كان مع أخذه بأفضل الأخلاق ، واستعماله لأحسن الآداب أوقع في النفوس من إفضاله برغائب الأموال ، ثم هو أزيدُ في رتبته ، وأبلغُ في تقدُّمه .

وإن شاحَّ فيها ونازع .. كان مع ارتكابه لأخشن الأخلاق ، واستعماله لأهجن

(١) أوردته في « بهجة المجالس » (٣٠٢/١) ، و « محاضرات الأدباء » (٤١٩/٢) .

(٢) الأجوبة المسكتة (٨٤٢) .

(٣) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٣/٢٤٣٥) ، و « تاريخ دمشق » (٢٩٤/٢٧) .

الآداب أنكى في النفوس من حدّ السيف ، وطعن السنّان ، ثم هو أخفض للرتبة ، وأمنع من التقدّم .

حُكي : أنّ فتى من بني هاشم تخطّى رقاب الناس عند ابن أبي دُواد^(١) ، فقال له : (يا بنيّ ؛ إنّ الأدبَ ميراثُ الأشراف ، ولستُ أرى عندك من سلفك إراثاً)^(٢) .

- وأما المسامحة في الأموال . . فتتنوّع ثلاثة أنواع : مسامحة إسقاطِ لُغْدم ، ومسامحة تخفيفٍ لعجز ، ومسامحة إنظارٍ لِعُسرة^(٣) .

وهي مع اختلاف أسبابها تفضّلُ مأثور ، وتألّفُ مشكور ، وإذا كان الكريمُ قد يوجد بما تحويه يده ، وينفذ فيه تصرّفه . . كان أولى أن يوجد بما خرج عن يده ، وطاب نفساً بفراقه .

وقد تصل المسامحة في الحقوق إلى مَنْ لا يقبل البرّ ، ويأبى الصلّة ، فيكون أحسنَ موقعاً ، وأزكى محلاً ، وربّما كانت المشاحة فيها آلم من ردّ السائل ، ومنع المجتدي ؛ لأنّ السائل كما اجترأ على سؤالك . . فسيجتريء إن رددته على سؤال غيرك ، وليس كلّ مَنْ صار أسير حقّك ، ورهين دينك يجدُ بداً من مسامحتك ومياسرتك ، ثم لك مع ذلك حسنُ الثناء ، وجزيلُ الأجر .

وقال محمود الوراق^(٤) :

المرءُ بعدَ الموتِ أخذوثةٌ يفنى وتبقى منه آثاره
فأحسنُ الحالاتِ حالُ امرئٍ تطيبُ بعدَ الموتِ أخباره
فهذه حالُ المياسرة .

(١) في (ج ، هـ) : (عند ابن أبي داوود) .

(٢) أورده في « البصائر والذخائر » (٧٦/٥) ، و « نثر الدر » (١٧٥/٥) .

(٣) لُغْدم : لفقر تبيّن عجزه عن الأداء كلّاً أو بعضاً ، ولعجز : لعجز المديون عن أداء جميع الدين ، ولعسرة : لعسرة معيشة المديون .

(٤) البيتان في « ديوانه » (ص ١٢٩) ، والأحدوثة : الخبر العجيب ، والكلام الغريب الذي يتحدث به الناس .

وأما الإفضال.. فنوعان : إفضالُ اصطناع ، وإفضالُ استكفاف ودفاع .

فأما إفضالُ الاصطناع.. فنوعان : أحدهما : ما أسداه جوداً في شُكُور ،
والثاني : ما تألّف به نبوة نفُور ، وكلاهما من شروط المروءة ؛ لما فيهما من
ظهور الاصطناع ، وتكاثر الأشياء والأتباع .

وَمَنْ قَلَّتْ صنائعه في الشاكرين ، وأعرض عن تألّف النافرين.. كان فرداً
مهجوراً ، وتابعاً محقوراً ، ولا مروءة لمتروك مُطَّرَح ، ولا قدرَ لمحقور
مُهْتَضَم .

وقال عمر بن عبد العزيز : (ما طاوَعني الناسُ على شيءٍ أردته من الحقِّ حتّى
بسَطْتُ لهم طرفاً من الدنيا)^(١) .

وقال بعض الحكماء : (أقلُّ ما يجب للمنعِم بحقِّ نعمته : ألاّ يُتوصَلَ بها إلى
معصيته)^(٢) .

وأنشدتُ لبعض الأعراب^(٣) :

[من مشطور الرجز]

مَنْ جَمَعَ المَالَ وَلَمْ يُجْذِبْهُ
وَتَرَكَ المَالَ لَعَامٍ جَذِبْهُ
هَانَ عَلَى النَّاسِ هَوَانُ كَلْبِهِ

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي^(٤) :

[من الكامل]

يَبْقَى الثَّنَاءُ وَتَذْهَبُ الأَمْوَالُ وَلِكُلِّ دَهْرٍ دَوْلَةٌ وَرِجَالُ
مَا نَالَ مَحَمَّدَةَ الرَّجَالِ وَشُكْرَهُمْ إِلَّا الْجَوَادُ بِمَالِهِ الْمِفْضَالُ
لَا تَرْضَ مِنْ رَجُلٍ حَلَاوَةَ قَوْلِهِ حَتَّى يَصَدَّقَ مَا يَقُولُ فِعْأَلُ

(١) أوردته في « البصائر والذخائر » (٢٩ / ١) ، و« نثر الدر » (١١٨ / ٢) .

(٢) أوردته في « الإعجاز والإيجاز » (ص ٨٢) من قول الخليفة المهديّ ، و« تاريخ دمشق » (١٩١ / ١٩)
من قول زياد بن عبيد .

(٣) أورد الأبيات الجاحظ في « الحيوان » (٢٥٤ / ١) لابن الذّئبة ، و« عيون الأخبار » (٢٤٣ / ١) .

(٤) الأبيات في « ديوانه » (ص ١٧٢) .

فإن ضاقت به الحال عن الاصطناع بماله . . فقد عَدِمَ من آلة المكارم عِمَادَهَا ،
وفقد من شروط المروءة سِنَادَهَا ، فليؤاسِ بنفسه مواساةَ المُسَاعِفِ ، وليُسَعِدْ بها
إِسْعَادَ المتألَّفِ ؛ كما قال المتنبي ^(١) :

[من البسيط]

..... فليُسَعِدِ النُّطْقُ إنْ لم تُسَعِدِ الحالُ

وإن كان لا يراها - وإن أجهدَهَا - إِلَّا تَبَعًا لِلْمُفْضِلِينَ ، قليلةً بين المُكْثِرِينَ ؛
فإنَّ الناسَ لا يساؤون بين المعطي والمانع ، ولا يقنعهم القولُ دون الفعل ، ولا
يغنيهم الكلامُ عن المال ، ويروونه كالصَّدي ؛ إن رَدَّ صوتاً . . لم يُجِدِ نفعاً ؛ كما
قال الشاعر :

يجودُ بِالْوَعْدِ وَلَكِنَّهُ يَدُهُنْ مِنْ قَارورةٍ فارغةٍ
فكلُّ ما خرج عندهم عن المال كان فارغاً ، وكلُّ ما عدا الإفضالَ به كان هيئاً ،
وقد قدَّمنا من القول في شروط الإفضال ما أقنع .

وأما إفضالُ الاستكفاف : فلأنَّ ذا الفضل لا يعدَم حاسدَ نعمة ، ومعاندَ
فضيلة ، يغريه الجهل بإظهار عناده ، ويبعثه اللؤم على البذاء بسفهه .
فإن غفل عن الاستكفاف للسفهاء ، وأعرض عن الاستدفاع لأهل البذاء . .
صار عِرْضُهُ هدفاً للمثالب ، وحالُهُ عُرْضةً للنوائب ، وإذا استكفَّ السفية ،
واستدفع البَذْيَ . . صان عِرْضَهُ ، وحمى نعمته .

وقد رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما وَقَى به المرءُ
عِرْضَهُ . . فهو صَدَقَةٌ » ^(٢) .

وقالت عائشة رضي الله عنها : (ذُبُّوا بِأَمْوَالِكُمْ عن أَحْسَابِكُمْ) ^(٣) .

(١) البيت في « ديوانه » (٢٧٦/٣) ؛ وصدره : (لا خيل عندك تهديها ولا مالٌ . . .) .

(٢) رواه الحاكم في « المستدرک » (٥٠/٢) ، والبيهقي في « شعب الإيمان » (٣٢٢٠) عن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٣) رواه أبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (١٨٣/٢) .

وامتدح رجلٌ الزُّهريَّ ، فأعطاه قميصَه ، فقال له رجل : (أنعطي على كلام الشيطان ؟! فقال : مَنْ ابتغى الخيرَ .. أتقى الشرَّ)^(١) .

ولذلك قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَرَادَ بِرَّ الْوَالِدَيْنِ .. فَلْيُعْطِ الشُّعْرَاءَ »^(٢) .

وهذا صحيح ؛ لأنَّ الشعرَ سائرٌ ، يسير به ما ضُمِّن من مدح أو هجاء ؛ ولأجل ذلك قيل : (لا تَوَاخَّ شاعراً ؛ فإنه يمدحُك بَثْمَن ، ويهجوُك مَجَاناً)^(٣) .

ولاستكفاف السفهاء بالإفضال شرطان :

أحدهما : أن يخفيه حتَّى لا تنتشرَ فيه مطامع السفهاء ، فيتوصَّلوا إلى اجتذابه بسبِّه ، وإلى ماله بثبِّه .

والثاني : أن يتطلَّبَ له في المجاملة وجهاً يجعلُه في الإفضال عليه سبباً^(٤) ؛ لئلاَّ يرى أنَّه على السَّفَه قد أُعْطِيَ ، ولأجل البذاء قد حُبِّي ، فيغريه ذلك بزيادة السَّفَه ، واستدامةِ البذاء .

واعلم : أنك ما حييتَ ملحوظُ المحاسن ، محفوظُ المساوي ، ثم من بعد ذلك حديثٌ منتشر ، لا يراقبك صديق ، ولا يحامي عنك شفيق ، فكن أحسنَ حديثٍ ينتشر . . يكن سعيُّك في الناس مشكوراً ، وأجرك عند الله مذكوراً .

فقد روى زياد بن الجراح ، عن عمرو بن ميمون الأوديَّيِّ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اغْتَنِمْ خَمْساً قَبْلَ خَمْسٍ : شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ، وَصِحَّتَكَ

(١) رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٣٨١ / ٥٥) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣ / ٣٧١) .

(٢) أورده الديلمي في « الفردوس » (٥٨٦١) عن سيدنا عوف بن مالك رضي الله عنه ، و« محاضرات الأدباء » (١ / ١٦٤) .

(٣) أورده في « بهجة المجالس » (٧٠٧ / ١) ، و« محاضرات الأدباء » (١ / ١٦٦) .

(٤) في المجاملة وجهاً : من قرابةٍ نسبٍ أو دارٍ أو رفاقةٍ سفرٍ أو مدافعةٍ عنه أو عن ذويه وخليله ونحو ذلك .

قَبْلَ سَقَمِكَ ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ
مَوْتِكَ «(١)» .

فهذا ما اقتضاه هذا الفصل من شروط المروءة وإن كان كلُّ كتابنا هذا من
شروطها ، وما اتصل بحقوقها .

(١) رواه ابن المبارك في « الزهد » (٢) ، والنسائي في « السنن الكبرى » (١١٨٣٢) .

الفصل الثامن

في آداب منثورة

اعلم : أنَّ الآداب مع اختلافها بتنقّل الأحوال ، وتغيّر العادات . . لا يمكن استيعابها ، ولا يُقدَّر على حصرها ، وإنّما يذكر كلُّ إنسانٍ ما بلغه الوُسْع من آداب زمانه ، واستحسن بالعرف من عادات دهره ، ولو أمكن ذلك . . لكان الأول قد أغنى الثاني عنها ، والمتقدّم قد كفى المتأخّر تكلفها .

وإنّما حظُّ الأخير : أن يُعاني حفظَ الشارد ، وجمعَ المتفرّق .

ثم يعرض ما تقدّم على حكم زمانه ، وعادات وقته ، فيثبت ما كان موافقاً ، وينفي ما كان مخالفاً .

ثم يستمدّ خاطره في استنباط زيادة ، أو استخراج فائدة ؛ فإن أُسِف بشيء . . فاز بدركه ، وحظي بفضيلته .

ثم يعبر عن ذلك كلّ بما كان مألوفاً من كلام الوقت ، وعُرف أهله ؛ فإنَّ لأهل كلّ وقتٍ في الكلام عادةٌ تؤلّف ، وعبرة تُعرف ؛ ليكون أوقع في النفوس ، وأسبق إلى الأفهام .

ثم يرتّب ذلك على أوائله ومقدّماته ، وبينه على أصوله وقواعده حسب ما يقتضيه الجنس ؛ فإنَّ لكل نوع من العلوم طريقةً ، هي أوضح مسلكاً ، وأسهل مأخذاً .

فهذه خمسة شروط ، هي حظُّ الأخير فيما يعانيه ، وكذلك القول في كلّ تصنيف مستحدث ، ولولا ذلك . . لكان تعاطي ما تقدّم به الأوّل عناءً ضائعاً ، وتكلفاً مستهجنًا .

وأرجو أن يُمدّنا الله بالتوفيق لتأدية هذه الشروط ، وتنهضنا المعونة بتوفية هذه الحقوق ؛ حتّى نسلم من ذمّ التكلف ، ونبرأ من عيب التقصير وإن كان اليسير مغفوراً ، والخطيء معذوراً ، فقد قيل : (من صنّف كتاباً . . فقد

استَهْدَفَ ، فَإِنْ أَحْسَنَ . . فقد استعطفَ ، وإن أساء . . فقد استقذَفَ (١) .

وقد مضت أبوابُ تَضَمَّنَتْ فصولاً ، رأيتُ إتباعها بما لم أحبَّ الإخلالَ به :

فَمِنْ ذَلِكَ حَالُ الْإِنْسَانِ فِي مَأْكَلِهِ وَمَشْرَبِهِ ؛ فَإِنَّ الدَّاعِيَ إِلَى ذَلِكَ شَيْئَانِ :
حَاجَةٌ مَاسَّةٌ ، وَشَهْوَةٌ بَاعِثَةٌ .

فَأَمَّا الْحَاجَةُ : فتدعو إلى ما سدَّ الْجَوْعَةَ ، وَسَكَّنَ الظَّمَأَ ، وهذا مندوبٌ إليه عقلاً وشرعاً ؛ لما فيه من حفظ النفس ، وحراسة الحواسِّ ؛ ولذلك ورد الشرعُ بالنهي عن الوصال بين صوم اليومين ؛ لَأَنَّهُ يُضْعِفُ الْجَسَدَ ، وَيُمِيتُ النَّفْسَ ، وَيُعْجِزُ عَنِ الْعِبَادَةِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ يَمْنَعُ مِنَ الشَّرْعِ ، ويدفع عنه العقلُ .

وليس لِمَنْ منع نفسه قَدْرَ الْحَاجَةِ حِظٌّ مِنْ بَرٍّ ، وَلَا نَصِيبٌ مِنْ زُهْدٍ ؛ لِأَنَّ مَا حَرَمَهَا مِنْ فِعْلِ الطَّاعَاتِ بِالْعُجْزِ وَالضَّعْفِ أَكْثَرُ ثَوَاباً ، وَأَعْظَمُ أَجْراً ؛ إِذْ لَيْسَ فِي تَرْكِ الْمُبَاحِ ثَوَابٌ يُقَابِلُ فِعْلَ الطَّاعَاتِ ، وَإِتْيَانَ الْقُرْبِ ، وَمَنْ أَخْسَرَ نَفْسَهُ رِبْحاً مَوْفُوراً ، أَوْ حَرَمَهَا أَجْراً مَذْخُوراً . . كَانَ زَهْدُهُ فِي الْخَيْرِ أَقْوَى مِنْ رَغْبَتِهِ ، وَلَمْ يَبْقَ عَلَيْهِ مِنْ هَذَا التَّكَلُّفِ إِلَّا الشُّهْرَةُ بِرِيَائِهِ وَسَمْعَتِهِ .

وَأَمَّا الشَّهْوَةُ : فتتنوع نوعين : أحدهما : شهوة في الإكثار والزيادة ، والثاني : شهوة في تناول الألوان المُلَذَّةِ .

- فَأَمَّا النَّوعُ الْأَوَّلُ : وهو شهوة الزيادة على قدر الحاجة ، والإكثار على مقدار الكفاية . . فهو ممنوعٌ منه في العقل والشرع ؛ كما كان قَدْرُ الْكُفَايَةِ مندوباً إليه بالعقل والشرع ؛ لِأَنَّ تَنَاوُلَ مَا زَادَ عَلَى الْكُفَايَةِ نَهَمٌ مُعَرٌّ ، وَشَرٌّ مُضِرٌّ .

وقد رُوي عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِيَّاكُمْ وَالْبِطْنَةَ ؛ فَإِنَّهَا مَفْسَدَةٌ لِلدِّينِ ، مُورِثَةٌ لِلسَّقَمِ ، مَكْسَلَةٌ عَنِ الْعِبَادَةِ » (٢) .

(١) رواه في « الطيوريات » (٥٠١) من قول العتّابي ، وأورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ١٦٠) من قول الجاحظ ، وقد استهدف : اتخذ نفسه هدفاً يرميه الخاطئ والمصيب .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في « إصلاح المال » (٣٥٠) من قول سيدنا عمر رضي الله عنه .

وقال علي بن أبي طالب عليه السلام : (إِذَا كُنْتَ بَطْنًا . . فَعُدَّكَ زِمْنًا)^(١) .
 وقال بعض العلماء : (أَقْلِلْ طَعَامَكَ . . تَجِدِ الصِّحَّةَ) .
 وقال بعض البلغاء : (أَقْلِلْ طَعَامًا . . تَحْمَدْ مَنَامًا)^(٢) .
 وقال بعض البلغاء : (لَا يَسْكُنُ الْعِلْمُ مَعِدَةَ مُلِئَتْ طَعَامًا)^(٣) .
 وقال بعض الأدباء : (الرُّغْبُ شَوْمٌ ، والنَّهْمُ لَوْمٌ)^(٤) .
 وقال بعض الحكماء : (أَكْبَرُ الدَّوَاءِ تَقْدِيرُ الْغِذَاءِ) .
 وقال بعض الشعراء^(٥) :

[من الوافر]

فَكَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَخَاهَا بَلَدٌ سَاعَةً أَكَلَتْ دَهْرَ
 وَكَمْ مِنْ طَالِبٍ يَسْعَى لِأَمْرٍ وَفِيهِ هَلَاكُهُ لَوْ كَانَ يَدْرِي
 وقال آخر^(٦) :

[من المنسرح]

كَمْ دَخَلَتْ أَكْلَةً حَشَا شَرِّهِ فَأَخْرَجَتْ رَوْحَهُ مِنَ الْجَسَدِ
 لَا بَارِكَ اللَّهُ فِي الطَّعَامِ إِذَا كَانَ هَلَاكُ النَّفْسِ فِي الْمِعْدِ
 وَرُبَّ أَكْلَةٍ هَاضَتْ الْآكِلَ ، وَحَرَمَتْهُ مَا كُلُّ !!^(٧) .

روى أبو يزيد المدني ، عن عبد الرحمن بن المرقع قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ وِعَاءً مُلِيءَ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ؛ فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ

(١) أوردته في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٤٢٦) ، و « ربيع الأبرار » (٤٠٣/٥) دون نسبة ، والبطنة : امتلاء البطن من الطعام والمبالغة في الأكل .

(٢) أوردته في « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٤٨٨) ، و « البصائر والذخائر » (٢١٤/١) ، و « عيون الأخبار » (٢١٩/٣) .

(٣) رواه الدارقطني في « المؤلف والمختلف » (١٠٠٠/٢) ، وابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٤٣١/١٧) من قول ذي النون المصري رحمه الله تعالى .

(٤) رواه الطبراني في « الدعاء » (١٣٩٦) عن سيدنا أبي سعيد الخدري رضي الله عنه بنحوه ، فمن أكثر أكله . . كثر شربه ، وثقل نومه ، ومن ثقل نومه . . مُحِيت بركة عمره .

(٥) البيتان لإبراهيم بن هزّمة في « ديوانه » (ص ١٢٨) ؛ وفيه : (وَرُبَّتْ أَكْلَةٌ مَنَعَتْ أَخَاهَا) .

(٦) أورد البيهقي في « ربيع الأبرار » (٤٢٩/٥) ، و « نهاية الأرب » (٢٩٥/٩) عن أبي بكر العلاف .

(٧) هذا مثل ، وهو شبهة للمثل القائل : (رَبِّ أَكْلَةٍ تَمْنَعُ أَكَلَاتِ) . انظر « كتاب الأمثال » لابن سلام (ص ٢٢٨) ، و « مجمع الأمثال » (٥٤/٢) .

فاعلاً.. فاجعلوا ثلثاً للطَّعامِ ، وثلثاً للشَّرابِ ، وثلثاً للرَّيحِ»^(١) .

- وأمّا النوع الثاني : وهو شهوةُ الأشياءِ المُلذَّةِ ، ومنازعةُ النفسِ إلى طلبِ الأنواعِ الشهيةِ .. فمذاهبُ الناسِ في تمكينِ النفسِ فيها مختلفةٌ :

فمنهم : مَنْ يرى أنَّ صرفَ النفسِ عنها أولى ، وقهرَها عن اتِّباعِ شهواتِها أخرى ؛ ليدلَّ له قيادُها ، ويهونَ عليه عِنادُها ؛ لأنَّ تمكينَها وما تهوى بَطَرٌ يُطغى ، وأَشَرٌ يُردى ؛ لأنَّ شهواتِها غيرُ متناهية .

فإذا أعطاهَا المرادُ من شهواتِ وقتِها .. تعدَّتها إلى شهواتٍ قد استحدثتها ، فيصيرُ الإنسانُ أسيرَ شهواتٍ لا تنقضي ، وعبدَ هوى لا ينتهي ، ومَنْ كان بهذه الحال .. لم يُرجَ له صلاحٌ ، ولم يُوجدَ فيه فضلٌ .

وأنشدتُ لأبي الفتح البُستي^(٢) :

يا خادِمَ الجِسمِ كَمْ تَشقى بِخِدمَتِهِ لِتَطْلُبَ الرِّيحَ مِمَّا فِيهِ خُسْرانُ
أَقْبِلْ عَلَى النِّفسِ واستَكْمِلْ فضائلُها فأنْتَ بالنِّفسِ لا بالجِسمِ إنسانُ
وللحذر من هذه الحال ما حُكي : أنَّ أبا حازم كان يمرُّ على الفاكهة ، فيشتهيها ، فيقول : (موعِدُكَ الجَنَّةُ)^(٣) .

وقال آخرون : تمكينُ النفسِ من لذاتها أولى ، وإعطاؤها ما اشتَهَتْ من المباحاتِ أخرى ؛ لما فيه من ارتياحِ النفسِ بنيلِ شهواتِها ، ونشاطِها بإدراكِ لذاتها ، فتتحسّرُ عنها ذِلَّةُ المقهور ، وبِلادةُ المَجبور ، فلا تقصُرُ عن دَرَكَ ، ولا تقصُرُ في نهضة ، ولا تَكِلُ عن استعانة .

وقال آخرون : بل توسَّطُ الأمرينِ أولى ؛ لأنَّ في إعطائها كلَّ شهواتِها سَلَاطةً ، والنفسُ السَّليطةُ معاندةٌ ، وفي منعها من جميعِ شهواتِها بِلادةٌ ، والنفسُ البليدةُ عاجزةٌ ، وفي منعها عن البعضِ كَفٌّ لها عن السَّلاطة ، وفي تمكينها من البعضِ حَسْمٌ لها عن

(١) رواه ابن أبي الدنيا في « الجوع » (٢) ، وأبو نعيم في « معرفة الصحابة » (١٨٤٨ / ٤) .

(٢) البيهقي في « ديوانه » (ص ٣٥٤) .

(٣) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٩٦٥) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٢٤٦ / ٣) .

البلادة ، وهذا لعمري أشبه المذاهب بالسداد ؛ لأنّ التوسط في الأمور أحمد .

وإذ قد مضى الكلام في المأكل والمشروب . . فينبغي أن يتبع بذكر الملبوس .

اعلم : أنّ الحاجة وإن كانت إلى المأكل والمشروب أدعى . . فهي إلى الملبوس ماسة ، وبها إليه فاقة ؛ لما في اللباس من حفظ الجسد ، ودفع الأذى ، وستر العورة ، وحصول الزينة .

قال الله تعالى : ﴿ يَبْنِيْءَ آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُورِي سَوْءَ تَكْمٍ وَرِيْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ .

فمعنى قوله : ﴿ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا ﴾ أي : خلقنا لكم ما تلبسون من الثياب ﴿ يُورِي سَوْءَ تَكْمٍ ﴾ أي : يستر عوراتكم ، وسميت العورة سوءة ؛ لأنه يسوء صاحبها انكشافها من جسده .

- وقوله : ﴿ وَرِيْشًا ﴾ فيه أربعة تأويلات :

أحدها : أنه المال ، وهو قول مجاهد .

والثاني : أنه اللباس والعيش والتعيم ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما .

والثالث : أنه المعاش ، وهو قول معبد الجهنّي .

والرابع : أنه الجمال ، وهو قول عبد الرحمن بن زيد .

- وقوله : ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ﴾ فيه ستة تأويلات :

أحدها : أن لباس التقوى هو الإيمان ، وهو قول قتادة والسدي .

والثاني : أنه العمل الصالح ، وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما .

والثالث : أنه السمّة الحسن ، وهو قول عثمان بن عفان رضي الله عنه .

والرابع : هو خشية الله تعالى ، وهو قول عروة بن الزبير .

والخامس : هو الحياء ، وهذا قول مَعْبَد الجُهَنِيِّ .

والسادس : هو ستر العورة ، وهذا قول عبد الرحمن بن زيد .

- وقوله تعالى : ﴿ ذَلِكْ خَيْرٌ ﴾ فيه تأويلان :

أحدهما : أن ﴿ ذَلِكْ ﴾ راجعٌ إلى جميع ما تقدّم من قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَرْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَرِّى سَوَاءَ تَكُمُ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ﴾^(١) ، ثم قال : ﴿ ذَلِكْ خَيْرٌ ﴾ أي : ذلك الذي ذكرته خيرٌ كله .

والثاني : أن ﴿ ذَلِكْ ﴾ راجعٌ إلى ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ﴾ ، ومعنى الكلام : أن لباس التقوى خيرٌ من الرياش واللباس ، وهذا قول قتادة والسدي^(٢) .
فلما وصف الله تعالى حال اللباس ، وأخرجه مُخْرَجَ الامتنان .. عَلِمَ أنه معونة منه ؛ لشدة الحاجة إليه .

وإذا كان كذلك .. ففي اللباس ثلاثة أشياء : أحدها : دفع الأذى ، والثاني : ستر العورة ، والثالث : الجمال والزينة .

فأما دفعُ الأذى به : فواجبٌ بالعقل ؛ لأن العقل يوجب دفعَ المضارِّ ، واجتلابَ المنافع .

وقد قال الله تعالى : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظُلُمًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكَنَّا وَجَعَلَ لَكُم سَرِيْلَ تَقِيْكُمُ الْحَرَّ وَسَرِيْلَ تَقِيْكُمُ بَأْسَكُمْ ﴾ فأخبر بحالها ، ولم يأمر بها ؛ اكتفاءً بما يقتضيه العقل ، واستغناءً بما يبعث عليه الطبع .

(١) وهذا على قراءة ﴿ وَلِبَاسُ التَّقْوَى ﴾ بالنصب ، وهي قراءة الإمام نافع والكسائي وابن عامر رحمهم الله تعالى .

(٢) انظر تفسير الآية ، وتفصيل الأقوال فيها في « تفسير الطبري » (١٨٦ / ٨ / ٥) وما بعدها .

ويعني بـ (الظلال) : الشجر ، وبـ (الأكنان) : جمع كِنّ ؛ وهو الموضع الذي يُستَكَنُّ فيه .

ويعني بقوله : ﴿سَرَّيْلَ تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ : ثياب القطن والكتان والصوف ، وبقوله : ﴿وَسَرَّيْلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾ الدروع التي تقي البأس ؛ وهو الحرب .

فإن قيل : فكيف قال : ﴿تَقِيكُمْ الْحَرَّ﴾ ولم يذكر البرد ، وقال : ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا﴾ ولم يذكر السهل ؟
فعن ذلك جوابان :

أحدهما : أن القوم كانوا أصحابَ جبال وخيام ، فذكر لهم الجبال ، وكانوا أصحابَ حرٍّ دون برد ، فذكر لهم نعمته عليهم فيما هو مختصٌّ بهم ، وهذا قول عطاء .

والجواب الثاني : أنه اكتفاءً بذكر أحدهما عن ذكر الآخر ؛ إذ كان معلوماً أنَّ السَّراييل التي تقي الحرَّ تقي أيضاً البردَ ، وَمَنْ اتخذ من الجبال أكناناً . اتخذ من السهل ، وهذا قول الجمهور^(١) .

وأما سترُ العورة : فقد اختلف الناس فيه : هل وجب بالعقل أو بالشرع ؟

فقال طائفة : وجب سترها بالعقل ؛ لما في ظهورها من القبح ، وما كان قبيحاً . فالعقلُ مانعٌ منه ، ألا ترى أن آدمَ وحواءَ عليهما السلام لما أكلا من الشجرة التي نُهيَا عنها . . بدت لهما سوءاتُهما ، وطَفِقَا يخصفان عليهما من ورق الجنة ؛ تنبهاً بعقولهما في ستر ما رآياه مستقبَحاً من سوءاتهما ؛ لأنَّهما لم يكونا

(١) انظر تفسير الآية ، وتفصيل الأقوال فيها في « تفسير الطبري » (١٨٩ / ١٤ / ٨) وما بعدها ، وقال الفخر الرازي رحمه الله تعالى في « تفسيره » (٩٤ / ٢٠) : (ثبت في العلوم العقلية : أن العلم بأحد الضدين يستلزم العلم بالضد الآخر ؛ فإن الإنسان متى خطر بباله الحر . . خطر بباله البرد أيضاً ، وكذا القول في النور والظلمة ، والسواد والبياض ، فلما كان الشعور بأحدهما مستتبعا للشعور بالآخر . . كان ذكر أحدهما مغنياً عن ذكر الآخر) .

قد كُلفا سترَ ما لم يبدُ لهما ، ولا كُلفاه بعد أن بدت لهما وقبل سترهما^(١) .

وقالت طائفة أخرى : بل سترُ العورة واجبٌ بالشرع ؛ لأنه بعضُ الجسد الذي لا يوجب العقلُ سترَ باقيه ، وإنما اختصَّت العورة بحكمٍ شرعي ، فوجب أن يكون ما يلزم من سترها حكماً شرعياً .

وقد كانت قريش وأكثُر العرب مع ما كانوا عليه من وفور العقل ، وصحة الألباب . . يطوفون بالبيتِ عُرَاءً ، ويحرِّمون على أنفسهم اللحمَ والودك ، ويرَوْن ذلك أبلغَ في القُرْبَةِ ، وإنما القُرْبُ : ما استُحسنت في العقل ، حتى أنزل الله تعالى : ﴿ يَنْبِئُ آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾ .

يعني بقوله : ﴿ خُذُوا زِينَتَكُمْ ﴾ : الثياب التي تستر عوراتكم ، ﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾ : ما حرَّمتموه على أنفسكم من اللحم والودك .

وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَا تُسْرِفُوا ﴾ تأويلان :

أحدهما : لا تسرفوا في التحريم ، وهذا قول السدي .

والثاني : لا تأكلوا حراماً ؛ فإنه إسرافٌ ، وهذا قول ابن زيد^(٢) .

فأوجب بهذه الآية سترَ العورة بعد أن لم يكن العقلُ موجباً له ، فدلَّ ذلك على أنَّ سترَها وجب بالشرع دون العقل .

وأما الجمال به والزينة : فهو مستحسنٌ بالعُرف والعادة من غير أن يوجبه عقلٌ أو شرعٌ ، وفي هذا النوع قد يقع التجاوز والتقصير .

(١) لأنهما لم يكلفا ما دام في الجنة ، ومن هنا نعلم : أن المراد بالمعصية هو المعنى اللغوي لا المعنى الشرعي فتنبه .

(٢) انظر تفسير الآية ، وتفصيل الأقوال فيها في « تفسير الطبري » (٢٠٣ / ٨ / ٥) وما بعدها .

والتوسط المطلوب فيه معتبرٌ من وجهين : أحدهما : في صفة الملبوس
وكيفيته ، والثاني : في جنسه وقيمه .

فأما صفته : فمعتبرةٌ بالعُرف من وجهين :

أحدهما : عُرف البلاد ؛ فإنَّ لأهل المشرق زِيّاً مألوفاً ، ولأهل المغرب زِيّاً
مألوفاً ، وكذلك لما بينهما من البلاد المختلفة عاداتٌ في اللباس مختلفة .

والثاني : عُرف الأجناس ؛ فإنَّ للأجناد زِيّاً مألوفاً ، وللتجار زِيّاً مألوفاً ،
وكذلك لَمَن سواهما من الأجناس المختلفة عاداتٌ في اللباس مختلفة .

وإنما اختلفت عادات الناس في اللباس من هذين الوجهين ؛ ليكون اختلافهم
فيها سِمَةً يَتَمَيَّزُونَ بها ، وعلامةٌ لا يَخْفَوْنَ معها ، فإن عدل أحدٌ في لباسه عن
عُرف بلده وجنسه . . كان ذلك منه خُرْقاً وَحُمَقاً ؛ ولذلك قيل : (العُرْيُ القادحُ
خيرٌ من الزِّيِّ الفاضح)^(١) .

وأما جنسُ الملبوس وقيمه . . فمعتبرٌ من وجهين :

أحدهما : بالمَكِنَّة من اليسار والإعسار ؛ فإنَّ للموسر في الزِّيِّ قدراً ،
وللمعسر دونه .

والثاني : بالمنزلة والحال ؛ فإنَّ لذي المنزلة الرفيعة في الزِّيِّ قدراً ،
وللمنخفض عنه دونه ؛ ليتفاضلوا فيه على حسب تفاضل أحوالهم ، فيصيروا به
متميّزين .

فإن عدل الموسرُ إلى زِيِّ المعسر . . كان شَحّاً وبخلاً ، وإن عدل الرفيعُ إلى
زِيِّ الدني . . كان مَهَانَةً وَذُلّاً ، وإن عدل المعسرُ إلى زِيِّ الموسر . . كان تَبْذِيراً
وسرفاً ، وإن عدل الدنيُّ إلى زِيِّ الرفيع . . كان جهلاً وتخلُّفاً .

(١) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٢٨٢) ، و « الإمتاع والمؤانسة » (ص ٣٦٣) .

ولزومُ العُرفِ المعهود ، واعتبارُ الحدِّ المقصود.. أدلُّ على العقل ، وأمنعُ من الذمِّ ؛ ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : (إِيَّاكُمْ وَلِبَسَتَيْنِ : لِبَسَةٌ مشهورةٌ ، وَلِبَسَةٌ محقورةٌ)^(١) .

وقال بعض الحكماء : (البَسُّ من الثياب ما لا يزدريك فيه العظماء ، ولا يعيبه عليك العلماء)^(٢) .

وقال بعض الشعراء^(٣) :

[من الكامل]

إِنَّ الْعُيُونَ رَمَتْكَ إِذْ فَاجَأَتْهَا وَعَلَيْكَ مِنْ شَهْرِ الثِّيَابِ لِبَاسُ
أَمَّا الطَّعَامُ فَكُلْ لِنَفْسِكَ مَا تَشَاءُ واجْعَلْ لِبَاسَكَ مَا اشْتَهَاهُ النَّاسُ

واعلم : أنَّ من المروءة أن يكونَ الإنسانُ معتدلاً الحال في مراعاة لباسه ، من غير إكثار ولا اطراح ؛ فَإِنَّ اطْرَاحَ مراعاتها ، وتركُ تفقُّدها.. مَهَانَةٌ وَذُلٌّ ، وكثرةُ مراعاتها ، وصرفُ الهَمَّةِ إلى العناية بها.. دَنَاءَةٌ ونَقْصٌ .

وربَّما توهَّم بعضُ مَنْ خلا من فضلٍ ، وعَرِيَ عن تمييزٍ.. أنَّ ذلك هو المروءة الكاملة ، والسيرةُ الفاضلة ؛ لما يرى من تمييزه بذلك عن الأكثرين ، وخروجه عن جملة العوامِّ المسترذلين ، وخفي عنه أنه إذا عدا طوره ، وتجاوز قدره.. كان أَقْبَحَ لذكره ، وأبعثَ على ذمِّه ، وكان كما قال المتنبي^(٤) :

[من البسيط]

لَا يُعْجِبَنَّ مَضِيماً حُسْنَ بَزْتِهِ وهل يَروُوقُ دَفِيناً جَوْدَةُ الكَفَنِ

وحكى المبرِّدُ : أنَّ رجلاً من قريش كان إذا اتَّسع.. لبس أرتَّ ثيابه ، وإذا

(١) أوردته في « محاضرات الأدباء » (٧/٤) ، و« نثر الدر » (٥٩/٢) .

(٢) رواه الطبراني في « المعجم الكبير » (٢٦٢/١٢) ، وأبو نعيم في « حلية الأولياء » (٣٠٢/١) من قول سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٣) أورد البيتين في « بهجة المجالس » (٥٨/٢) ، و« ربيع الأبرار » (٢١/٥) ؛ وفيه : (أما الطعام.. فكل لنفسك ما اشتئت) .

(٤) البيت في « ديوانه » (٢١٣/٤) ، وقد شبه المظلوم الذي لا يدفع الظلم عن نفسه بالميت ، وجعل ثوبه كالكفن .

أضاق.. لبس أحسنها ، فقليل له في ذلك ، فقال : (إذا اتسعت.. تزينت بالجود ، وإذا أضقت.. فبالهيئة)^(١) .

وقد أتى ابن الرومي بأبلغ من هذا المعنى في شعره ، فقال^(٢) : [من الطويل]
وما الحلّي إلا زينة لنقيصة يُتمُّ من حُسْنِ إذا الحُسْنُ قَصْرًا
فأما إذا كان الجمال موفراً كحُسْنِكِ لم يحتج إلى أن يُزوّرا
ولذلك قالت الحكماء : (ليست العِزّة في حُسْنِ البرّة)^(٣) .

وقال بعض الشعراء^(٤) : [من الكامل]
وترى سفيه القوم يدنس عرضه سفهاً ويمسح نعله وشراكها
وإذا اشتدّ كلفه بمراعاة لباسه .. قطعه ذلك عن مراعاة نفسه ، وصار الملبوس
عنده أنفس ، وهو على مراعاته أحرص .

وقد قيل في منثور الحكم : (البس من الثياب ما يخدمك ولا يستخدمك)^(٥) .
وقال خالد بن صفوان لإياس بن معاوية : (أراك لا تُبالي ما لبست ؟ قال :
البسُ ثوباً أقي به نفسي .. أحبُّ إليّ من لبس ثوبٍ أقيه بنفسي)^(٦) .
وكما أنه لا يكون شديد الكلف بها .. فذلك لا يكون شديد الأطراح لها ؛
فقد حكى ابن عائشة : أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فنظر إليه
رَتَّ الهيئة ، فقال : « ما مالك ؟ » قال : من كلِّ المالِ قد آتاني اللهُ ، قال :
« فإنَّ اللهَ تعالى يحبُّ إذا أنعمَ على امرئٍ نعمةً .. أن ينظرَ إلى أثرها عليه »^(٧) .

(١) أورده في « محاضرات الأدباء » (٧ / ٤) ؛ وفيه : (إذا اتسعت .. تزينت بالهيئة) .

(٢) البيتان في « ديوانه » (١٠٠٧ / ٣) .

(٣) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٢٨٤) .

(٤) البيت لأبي الأسود الدؤلي في « ديوانه » (ص ١٧٣) .

(٥) أورده في « التمثيل والمحاضرة » (ص ٢٨٢) ، و « محاضرات الأدباء » (٩ / ٤) .

(٦) رواه الحافظ المزي في « تهذيب الكمال » (٤٣٤ / ٣) .

(٧) رواه الترمذي (٢٠٠٦) ، والنسائي (١٨١ / ٨) عن سيدنا عوف بن مالك بن نضلة الجُشمي رضي الله عنه .

وقد قيل : (المروءةُ الظاهرةُ في الثياب الطاهرة)^(١) .

وهكذا القولُ في غِلْمَانِهِ وَحَشَمِهِ ؛ إن اشتدَّ كَلْفُهُ بِهِمْ . . صار عليهم قِيَمًا ،
ولهم خادماً ، وإن اطَّرَحَهُمْ . . قلَّ رشادُهم ، وظهر فسادُهم ، وصاروا سبباً
لمَقْتِهِ ، وطريقاً إلى ذَمِّهِ^(٢) ، وَلَكِنْ يَكْفُهُمْ عَنْ سَيِّئِ الْأَخْلَاقِ ، وَيَأْخُذُهُمْ
بِأَحْسَنِ الْأَدَابِ ؛ كما قال فيهم الشاعر^(٣) :

سَهْلُ الْفِنَاءِ إِذَا مَرَرْتَ بِبَابِهِ طَلَّقَ الْيَدَيْنِ مُؤَدِّبُ الْخُدَامِ
وَلَيْكِنْ فِي تَفَقُّدِ أحوَالِهِمْ عَلَى مَا يَحْفَظُ تَجَمُّلَهُ ، وَيَصُونُ تَبَدُّلَهُ .

وقد رُوِيَ عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « اذْهَبُوا . . يَذْهَبُ الْبُؤْسُ
عَنْكُمْ ، وَالْبَسُوا . . تَظْهَرُ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحْسِنُوا إِلَى مَمَالِكِكُمْ ؛ فَإِنَّهُ أَكْبَتْ
لِعَدُوِّكُمْ »^(٤) .

وليتوسَّطَ فيهم ما بين حالتي اللَّيْنِ وَالْخُشُونَةِ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ لَانَ . . هَانَ عَلَيْهِمْ ،
وَإِنْ خَشُنَ . . مَقْتُوهُ ، وَكَانَ عَلَى خَطَرٍ مِنْهُمْ .

حُكِيَ : أَنَّ الْمُؤَيَّدَ سَمِعَ ضَحِكَ الْخَدَمِ فِي مَجْلَسِ أَنْوَشِرَوَانَ ، فَقَالَ لَهُ : (أَمَا
تَمْنَعُ هَؤُلَاءِ الْغُلَمَانَ ؟ ! فَقَالَ أَنْوَشِرَوَانَ : إِنَّمَا يَهَابُنَا أَعْدَاؤُنَا)^(٥) .

(١) رواه ابن شبة في « تاريخ المدينة » (٧٧٢ / ٢) من قول سيدنا عمر رضي الله عنه ، وأورده في « البيان
والتبیین » (١٧٦ / ٢) من قول سيدنا طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه .

(٢) لأن العبد إذا شبع . . فسق ، وإذا جاع . . سرق .

(٣) أورد البيت في « معجم الشعراء » (ص ٤٠٣) ، والتبريزي في « شرح ديوان الحماسة » (٣٠٢ / ٢)
لمحمد بن بشير الخارجي ، وانظر « الحماسة البصرية » (٧١٤ / ٢) .

(٤) رواه الطبراني في « المعجم الأوسط » (٨٢٦٣) عن السيدة عائشة رضي الله عنها ، وأكبت
لعدوكم : أشد قهراً وأكثر إذلالاً ؛ لأن في الرِّقَّةِ أثر الكفر ، فلهم ميل طبعي إلى الأعداء ، والإحسان
يَحْصِمُهُ .

(٥) أورده في « لباب الآداب » (ص ٣٨) ، و « محاضرات الأدباء » (٤٣٣ / ١) ، والمؤيد : فقيه الفرس
وحاكم المجوس .

[من الكامل]

وقال أبو تمام الطائي^(١) :

حَسَمُ الصَّدِيقِ عُيُونُهُمْ بَحَاثَةً لَصَدِيقِهِ عَنِ صِدْقِهِ وَنِفَاقِهِ
فَلْيَنْظُرَنَّ الْمَرْءُ مِنْ غِلْمَانِهِ فَهُمْ خَلَاتُفُهُ عَلَى أَخْلَاقِهِ

واعلم : أنَّ للنفس حالتين : حالة استراحة ، إن حرمتها إياه .. كَلَّتْ ، وحالة
تَصَرُّفٍ ، إن أرحتها فيه .. اِخْتَلَّتْ ، فالأولى بالإنسان تقديرُ حالتيه : حالة نوم
ودَعَتِهِ ، وحالة تَصَرُّفِهِ ويقظته ؛ فَإِنَّ لهما قدراً محدوداً ، وزماناً مخصوصاً ، يضرُّ
بالنفس مجاوزةُ حدِّهما ، وتغيُّرُ زمانهما .

وقد رُوِيَ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « نَوْمَةُ الصُّبْحَةِ : مَعْجَزَةٌ
مَنْفَعَةٌ ، مَكْسَلَةٌ مَوْرَمَةٌ ، مَفْشَلَةٌ مَنَسَاءٌ لِلْحَاجَةِ »^(٢) .

وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما : (النوم ثلاثة : نومةُ خُرْقٍ وهي
الصُّبْحَةُ ، ونومةُ خُلُقٍ وهي القائلةُ ، ونومةُ حُمُقٍ وهي العَشِيُّ)^(٣) .

بل قد روى محمد بن يزداد ، عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس رضي الله
عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نَوْمُ الصُّحَى خُرْقٌ ،
وَالْقِيلُولَةُ خُلُقٌ ، وَنَوْمُ الْعَشِيِّ حُمُقٌ » .

وقيل في منشور الحكم : (مَنْ لَزِمَ الرُّقَادَ .. عِدَمَ الْمُرَادِ)^(٤) .

فإذا أعطى النفس حَقَّها من النوم والدَّعَا ، واستوفى حَقَّه منها بالتصرُّف

(١) البيتان في « ديوانه » (٤٧٩/٤) .

(٢) رواه في « المجالسة وجواهر العلم » (٢٠٤٧) من قول عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وأورده في
« التذكرة الحمدونية » (٢٤٥/٢) بنحوه ، والصيحة : من طلوع الفجر إلى الزوال ، ومعجزة : سبب عجز
عن القيام بمصالحه ، ومنفعة : سبب انتفاخ من الريح ، ومورمة : سبب لورم الجلد وذهاب بهاء الوجه ،
ومفشلة : سبب كسل وضعف ، ومنساة للحاجة : سبب لنسيانها أو تأخرها .

(٣) رواه البخاري في « الأدب المفرد » (١٢٤٢) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (٢٧٢١٢) من قول
سيدنا خَوَات بن جُبَيْر رضي الله عنه .

(٤) أورده في « المستطرف » (٩١/١) .

واليقظة . . . خلص بالاستراحة من عجزها وكلالها ، وسلم بالرياضة من بلادتها وفسادها .

حُكي : أنَّ عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز دخل على أبيه ، فوجده نائماً ، فقال له : (يا أبتِ ؛ أتنامُ والناسُ بالباب ؟ ! فقال : يا بني ؛ نفسي مطيَّتي ، وأكرهُ أن أتعبها ، فتقومَ بي)^(١) .

وينبغي أن يقسمَ حالَ تصرُّفه ويقتضه على المهمِّ من حاجاته ؛ فإنَّ حاجة الإنسان لازمةً ، والزمانُ يقصُرُ عن استيعاب المهمِّ ، فكيف به إن تجاوز إلى ما ليس بمهمٍّ ؟ ! هل يكون إلاّ : [من المتقارب]

كَتَارِكَةٍ يَبْضُهَا بِالْعَرَاءِ وَمُلْبِسَةٍ يَبْضُ أُخْرَى جَنَاحاً^(٢)

ثم عليه أن يتصفَّحَ في ليله ما صدر من أفعال نهاره ؛ فإنَّ الليلَ أحضرُّ للخطر ، وأجمعُ للفكر ؛ فإن كان محموداً . . أمضاه ، وأتبعه بما شاكله وضاهاه ، وإن كان مذموماً . . استدركه إن أمكن ، وانتهى عن مثله في المستقبل ، فإنَّه إذا فعل ذلك . . وجد أفعاله لا تنفك من أربعة أحوال :

إمّا أن يكون قد أصاب فيها الغرضَ المقصود بها ، أو يكون قد أخطأ فيها فوضعها في غير مواضعها ، أو يكون قد قصر فيها فنقصت عن حدودها ، أو يكون قد زاد فيها حتَّى تجاوزت محدودها^(٣) .

وهذا التصفُّح إنما هو استظهارٌ بعد تقديم الفكر قبل الفعل ؛ ليعلمَ به^(٤) مواقع الإصابة ، وينتَهز به استدراكُ الخطأ^(٥) .

(١) رواه الإمام أحمد في « الزهد » (١٧٠٠) ، وأورده في « بهجة المجالس » (١١٦/١) .

(٢) البيت لإبراهيم بن هرمة في « ديوانه » (ص ٨٧) .

(٣) فإن أمكن الاستئناف في هذه الصور الثلاثة . . استدرك فيها ؛ وإلا . . فينتهي عن مثلها في المستقبل .

(٤) هنا تنتهي النسخة (ب) .

(٥) يعلم به مواقع الإصابة من الفكر المتقدم ، وينتَهز به استدراك الخطأ ، فيرجع عن قريب ؛ وذلك لأن الأفعال : إما أن تقع على وفق التصور بلا زيادة ولا نقصان ؛ وذلك الحذق التام والتجربة الكاملة ، أو يصيب في بعضٍ ويخطئ في بعض ، فثمرة الاستظهار تعديل ذلك والتمهر في الفكر المتقدم .

وقد قيل : (مَن كَثُرَ اعتبَارُهُ .. قَلَّ عِثَارُهُ)^(١) .

وكما يتصفَّح أفعال نفسه .. فكذا يجب أن يتصفَّح أفعال غيره ، فربَّما كان استدراكُ الصوابِ معها أسهل ؛ لسلامة النفس من شُبّه الهوى ، وخلوِّ الخاطر من حسن الظن ، فإن ظفر بصواب وجده من غيره ، أو أعجبه جميلٌ من فعله .. زَيْنَ نفسه بالعمل به ؛ فإنَّ السعيدَ مَنْ تصفَّح أفعالَ غيره فاقتدى بأحسنها ، وانتهى عن سيئها .

وقد روى زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بغيرِهِ »^(٢) .

وقال الشاعر^(٣) :

إِنَّ السَّعِيدَ لَهُ مِنْ غَيْرِهِ عِظَةٌ وفي التَّجَارِبِ تحْكِيمٌ ومُعْتَبَرٌ

وأنشدني بعض أهل العلم لطاهر بن الحسين^(٤) :

إِذَا أَعَجَبْتُكَ خِصَالُ امْرِئٍ فَكُنْهُ يَكُنْ مِنْكَ مَا يُعْجِبُكَ
فليسَ على المَجْدِ والمَكْرُمَاتِ إِذَا جِئْتَهَا حَاجِبٌ يَحْجُبُكَ

فأما ما يرومه من أعماله ، ويؤثر الإقدام عليه من مطالبه .. فيجب أن يقدم الفكرَ فيه قبل دخوله ؛ فإن كان الرجاءُ فيه أغلبَ من الإياس منه ، وحُمِدَتِ العاقبةُ فيه .. سلَّكه من أسهل مطالبه ، وألطف جهاته ، وبقدر شرفه يكون الإقدام^(٥) .

وإن كان الإياسُ أغلبَ عليه من الرجاء مع شدة التغير^(٦) ، ودناءة الأمر

(١) أوردته في « لباب الآداب » (ص ٦٨) ، و « المستطرف » (٩١ / ١) .

(٢) رواه الشهاب في « مسنده » (٧٦) ، وعبد الرزاق في « مصنفه » (٢٠٠٧٦) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ؛ وتمامه : « والشقي مَنْ وُعِظَ به غيره » وهذا مما لم يسبق إليه صلى الله عليه وسلم .

(٣) البيت للحارث بن حِزْرة في « ديوانه » (ص ٦٧) .

(٤) أورد البيهقي في « ديوان المعاني » (١٠٧ / ١) ، و « المتحل » (ص ١٠٥) دون نسبة ، وفي « بهجة المجالس » (٧٩٦ / ١) لداود بن جهور .

(٥) فالأمر العظام تستلزم إقداماً بليغاً ، والملا ل بعد الشروع عجزٌ وجهالة ، ومن قرع باباً .. ولج ، والجد يفتح كل باب مغلق .

(٦) التغير : تعريض النفس للهلكة .

المطلوب.. فليحذر أن يكون له متعرّضاً ؛ فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إذا هممت بأمرٍ .. ففكر في عاقبته ؛ فإن كان رُشداً .. فأَمْضِهِ ، وإن كان غيّاً .. فانتَه عنه »^(١) .

وقالت الحكماء : (طلب ما لا يُدرَك عجزٌ) .

وقال بعض الشعراء^(٢) :

فإيّاكَ والأمرَ الذي إن توسَّعت مَوارِدُهُ ضاقتَ عليك المَصادِرُ
فما حَسَنُ أن يعذرَ المرءُ نفسَهُ وليس له مِن سائرِ الناسِ عاذِرُ
وليعلمَ أنَّ لكلِّ حينٍ من أيامِ عمره خُلُقاً ، وفي كلِّ وقتٍ من أوقاتِ دهره
عملاً ؛ فإن تَخَلَّقَ في كِبَرِهِ بأخلاقِ الصَّغَرِ ، وتعاطى أفعالَ الفِكاكَةِ والبَطَرِ ..
استصغره مَنْ هو أصغرُ ، وحقره مَنْ هو أَقلُّ وأحقَرُ ، وكان كالمثلِ المضروبِ
بقول الشاعر^(٣) :

وكلُّ بازٍ يَمْشُهُ هَرَمٌ تخرا على رأسِهِ العَصَافِيرُ

(١) رواه هناد في « الزهد » (٥٣١) ، وأبو نعيم في « تاريخ أصبهان » (٣٥٩/١) عن سيدنا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

(٢) البيتان لمضرّس بن ربيعة الأسدي في « ديوان بني أسد » (٢٦٨/٢) .

(٣) أورده في « يتيمة الدهر » (١٧/٣) لابن سكرة الهاشمي .

[في نصائح جليلة ذوات منافع جزئية]

فكن أيُّها العاقلُ مقبلاً على شأنك ، راضياً عن زمانك ، سَلماً لأهل دهرك ،
جارياً على عادة عصرك ، منقاداً لمن قدَّمه الناس عليك ، متحنناً على من قدَّمك
الناس عليه ، ولا تُباينهم بالعزلة عنهم فيمقتوك ، ولا تُجاهِزهم بالمخالفة لهم
فيعادوك ، فلا عيشَ لممقوت ، ولا راحةَ لمُعادي .

وأنشد بعض أهل الأدب :

[من المتقارب]

إذا أجمعَ الناسُ في واحدٍ وخالفهم في الرضا واحدُ
فقد دَلَّ إجماعهم دونهُ على عَقْلِهِ أَنَّهُ فاسِدُ

واجعل نصحَ نفسك غنيمَةً عقلك ، ولا تُدَاهِنها بإخفاء عيبك ، وإظهار
عُذْرِكَ ، فيصيرَ عدوكَ أحظى بك في زجر نفسه بإنكارك ومجاهرتك من نفسك
التي هي أخصُّ بك ؛ لإغرائك لها بأعذارك ومساوترتك ، فحسبك سوءاً برجل ينفع
عدوه ، ويضرُّ نفسه .

وقد قال بعض الحكماء : (أصلح نفسك لنفسك .. يَكُنِ الناسُ تبعاً
لك) (١) .

وقال بعض البلغاء : (مَنْ أصلح نفسه .. أرغم أنفَ أعاديهِ ، ومنَ أعملَ
جِدَّهُ .. بلغ كُنْهُ أمانِيهِ) (٢) .

وقال بعض الأدباء : (مَنْ عرف مَعَابِيهِ .. فلا يَلُمُ مَنْ عَابَهُ) .

(١) أورده في « سراج الملوك » (٤٧٢ / ٢) من قول الخليل بن أحمد رحمه الله تعالى .

(٢) أورده في « سراج الملوك » (٤٧٢ / ٢) ، وأرغم أنفَ أعاديهِ : أذلَّهم بتقدمه وسده باب ذكر مساويه ،
وكنه أمانِيهِ : غاية ما يتمناه .

[من الطويل]

وأنشدني أبو ثابت النحوي لبعض الشعراء^(١) :

ومصروفة عيناه عن عيب نفسه ولو بان عيب من أخيه لأبصرا
ولو كان ذا الإنسان يُنصف نفسه لأمسك عن عيب الصديق وقصرا

فهذب أيها الإنسان نفسك بإنكار عيوبك ، وانفعها كنفعك لعدوك ؛ فإن من
لم يكن له من نفسه واعظ . . لم تنفعه المواعظ^(٢) .
أعانتنا الله وإياك على القول بالعمل ، وعلى النصح بالقبول ، وهو حسبنا ونعم
الوكيل ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

تم الكتاب بحمد الله ومنه
وصلّى الله على سيّدنا محمد وآله وسلّم
فرغ منه مقابله في سنة ثلاث وخمس مئة
فرحم الله امرأً نظّره فترحم على من صحّحه
والسلام

(١) ومصروفة : الواو واو (رُبَّ) ومصروفة : بالجر لفظاً وهي مبتدأ ، والخبر محذوف تقديره : (لقيته)
وتنكير (عيب) للتحقير ؛ كما أن تعريف الأول بالإضافة للتعظيم .

(٢) وقالوا : (إن أبواب الحصون لا تفتح إلا من بطونها) ، وقال أبو نواس :
(من السريع) لا ترجع الأنفس عن غيرها ما لم يكن منها لها زاجر

خاتمة النسخة (ج)

فرغ من هذا الكتاب المسمى « أدب الدين والدنيا » في يوم السبت المبارك ،
عاشر شهر رمضان المعظم قدره ، الذي من شهور عام أحد وثمان مئة ، أحسن الله
عاقبتها بخير ، آمين !!

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، وسلام على
المرسلين ، والحمد لله رب العالمين .

خاتمة النسخة (د)

تم الكتاب بعون الملك الكريم الوهاب ، بعد عصر يوم الخميس ، منتصف
شهر الله الحرام رجب ، إحدى شهور سنة مئة وألف من بعد الهجرة النبوية ، على
مهاجرها أفضل الصلاة وأزكى السلام ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

خاتمة النسخة (هـ)

وهذا آخر ما تيسر إيراده في هذا التأليف ، والحمد لله على الكمال والتمام ،
والصلاة والسلام على أفضل الرسل الكرام ، محمد سيد الأنام ، وعلى آله
وأصحابه الذين شيدوا لنا أركان الدين وقواعد الإسلام .

وقد تم بفضلته تعالى نقل هذا الشرح من السواد إلى البياض في دار الخلافة
العلية ، صانها الله تعالى عن الآفات والبلية ، على يد مؤلفه : أويس وفا بن
محمد الأرزنجانى الحنفى ، يوم الأحد : الحادى والعشرين من رجب ، لسنة
سبع وعشرين وثلاث مئة وألف ، من هجرة من له العزة والشرف .

اللهم ؛ اجعله لنا ذخراً نافعاً ، وخيراً باقياً ، بحرمة الأنبياء والمرسلين ،
صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، آمين .

يقول مؤلفه : قد طُبِعَ هذا الكتاب في المرة الأولى في زمن السلطان
الأعظم : محمد رشاد خان المعظم ، لا زالت لواؤه منشورة ، وبلاده معمورة ،
وعساكره منصوره ، وأعداؤه مقهورة ؛ ما سجد ساجد ، ووفد وافد .

وقد قابلت المتن بنسخ خمس من مطبوع وغير مطبوع سوى ما صححت من
الأصول والمآخذ من كتب التفسير والأحاديث والأخلاق والدواوين .

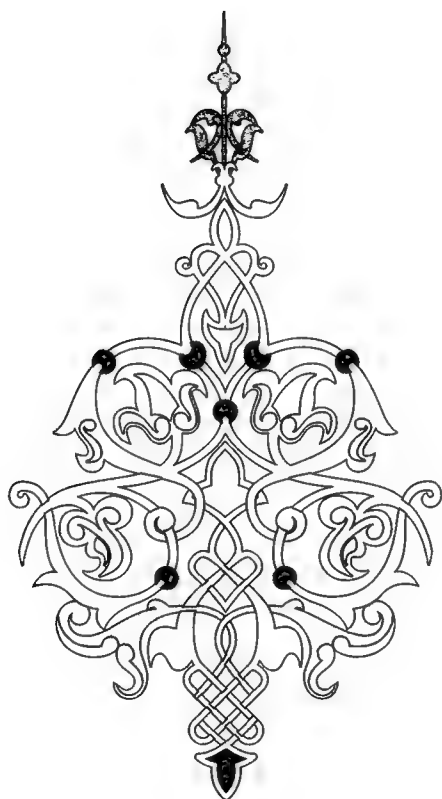
وقد تم طبعه يوم الأحد ، التاسع من ذي الحجة ، لسنة ثمان وعشرين وثلاث
مئة وألف .

خاتمة العناية بهذا الكتاب

تم بفضل الله تعالى وعونه وتوفيقه الفراغ من خدمة هذا الكتاب الفريد ،
وتصحيحه ومراجعته بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي يوم
الأربعاء ، العشرين من شهر شوال ، سنة ثلاث وثلاثين وأربع مئة وألف من هجرة
سيد المرسلين ، وحبيب رب العالمين ، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

الموافق للخامس من شهر سبتمبر (أيلول) ، سنة اثنتي عشرة وألفين للميلاد
بدمشق الشام ، صانها الله وحماها من غدر الغادرين على مرّ الأيام ، وكذا سائر
بلاد الإسلام ، بحق ذي الجلال والإكرام .

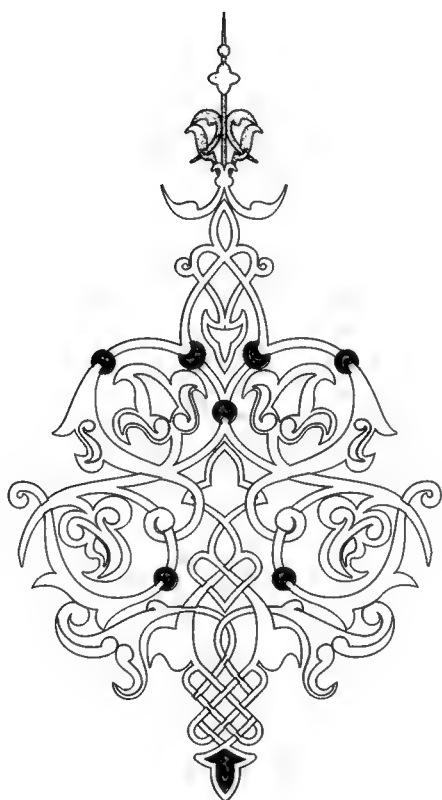
والحمد لله رب العالمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم



نفايس مستنجات

مما ألحق وكُتب في المخطوطات (*)

(*) ارتأى القائمون على المركز العلمي لدار المنهاج : أن يزداد هذا الفصل الجديد لكون بعض المخطوطات تحتوي على فوائد ونفائس وضئان مكتوبة في طرة المخطوطة وخاتمتها ، وهي من الأهمية بمكان .
ولذا فقد اعتمدنا : أن يكتب ما وجد من ذلك في هذا الموضع ، لعموم النفع والانتفاع بذلك ، والله الموفق .



[زهد قومه به]

مَنْ عَاشَ فِي قَوْمِهِ أَبَدُوا سَامَتَهُ وَعَافَهُ مِنْهُمْ أَهْلٌ وَجِيرَانُ
يَحْنُو وَدَاداً وَتَبَدُّو مِنْهُمْ إِحْسَنُ وَلَيْسَ يَأْلُوهُمْ نَصْحاً وَإِنْ خَانُوا
يَهْوَى لِإِيْثَارِهِمْ مَوْتاً يَاجِلُهُ وَالْمُرْتَجَى بَعْدَهُ عَفْوٌ وَغُفْرَانُ
إِنْ بَانَ مِنْ بَيْنِهِمْ سُرُّوا بِغِيْبَتِهِ وَلَيْسَ يَهْنَأُ عَيْشٌ إِذَا بَانُوا

دَعَهَا سَمَاوِيَّةً تَمْشِي عَلَى قَدَرٍ لَا تَفْسِدْنَهَا بِرَأْيِ مَنْكَ مُنْتَقِدٍ

لَا تَغْتَرِرْ بِالْحَفِظِ وَالسَّلَامَةِ فَإِنَّمَا الْحَيَاءُ كَالْمُدَامَةِ
فِي دَنَاهَا فِيهَا صَفَاءٌ وَقَذَى وَهَكَذَا فِي الدَّهْرِ نَفْعٌ وَأَذَى

[أبكي على المتزوج]

تَزَوَّجْتُ لَمْ أَعْلَمْ وَأَخْطَأْتُ لَمْ أَصِبْ فَيَا لَيْتَنِي قَدِمْتُ قَبْلَ التَّزَوُّجِ
فَوَاللَّهِ مَا أَبْكِي عَلَى سَاكِنِ الثَّرَى وَلَكِنِّي أَبْكِي عَلَى الْمُتَزَوِّجِ

[التواضع]

تَوَاضَعُ تَكُنْ كَالنَّجْمِ يَبْدُو لِنَاضِرٍ عَلَى صَفَحَاتِ الْمَاءِ وَهُوَ رَفِيعُ
وَلَا تَكُ كَالدِّخَانِ يَعْلُو بِنَفْسِهِ إِلَى طَبَقَاتِ الْجَوْ وَهُوَ وَضِيعُ

[وصف المحبوب]

سَلُّوا فَاتَرَ الْأَجْفَانِ عَنْ كَبْدِي الْحَرَى وَعَنْ دَرِّ أَجْفَانِي سَلُّوا الْعِقْدَ وَالنَّخْرَا

حبيبٌ إذا ما رُمْتُ عنه تصبُّراً يقولُ الهوى لن تستطيعَ معي صَبْراً
 مِنَ السُّمْرِ بِالْأَلْحَاطِ إِنْ صَالَ وَانْتَنَى فلا تذكُّروا من بعده البَيْضَ والسُّمرا
 بخيلٌ غدا بالوَصْلِ ما جاءَ سائلٌ له الدمعُ إلا ردَّ سائله نَهْراً
 يُذكِّرُنِي عهدَ النَّجَاشِيِّ خالُه وأجفانهُ الوَسْنَى تُذكِّرُنِي كِسْرى

[وضع الأمور في نصابها]

العُمْرُ ما حَصَلَتْ فيه فَضِيلَةٌ أو لا فَعِشْكَ في الحِياةِ فَناءُ
 والعِلْمُ ما تَعْمَلُ بِهِ وتَقُلُ بِهِ أو لا فَدَرْسُكَ للعلومِ عَناءُ
 والمالُ ما أَنْفَقْتَهُ وبَذَلْتَهُ أو لا فَفَقْرُكَ والغِناءُ سَواءُ
 والزهدُ تَرَكُّكَ لِلدُّنْيَى عن قَدْرَةٍ أو لا فَإِنَّ الزهدَ مِنْكَ عَياءُ

[مناجاة]

يا مَنْ إِلَيْهِ يَدُ الْأَمالِ باسِطَةٌ وَمَنْ لَدَيْهِ عَمِيمُ الْجُودِ مَبْذُولُ
 يا واحِداً تاهَتْ الْأَبابُ وانْحَسَرَتْ عن وَصْفِهِ فجِوَادُ الْعَقْلِ مَعْقُولُ
 يا رَبِّ عَفْوَكَ قَدْ حَطَّتْ رِكاثُنا والعَفْوَ عِنْدَكَ مَرَجُؤٌ ومَأْمُولُ
 وَكُلُّ ضَيْفٍ لَه حَقٌّ وَجائِزَةٌ فَكَيْفَ ضَيْفُ كَرِيمٍ وَهُوَ مَسْئُولُ

[يا نفس البدار البدار]

ويَحِكُ يا نَفْسُ الْبِدَارِ الْبِدَارُ ما هَذهِ الدُّنيا لِحْيٍ بَدَارُ
 كم كَدَّرْتَ صَفْوَاً وَكم أَلْبَسْتَ مَنْ كانَ فِيها ثوبَ ذُلٍّ وَعَارُ
 أَيْطَمُنُّ الْمَرْءُ في مَنْزِلٍ يَرى كُؤُوسَ المَوْتِ فِيهِ تُدَارُ
 قَدْ بَعُدَ الرَّبْعُ وَقَلَّ الْبِناءُ إِلَيَّ مَتى يا نَفْسُ ذا الْاعتِذارِ
 ما بَعْدَ مَوْتِ الْمُصْطَفَى خالِدٌ وَليسَ في الدُّنيا لِحْيٍ قَرارُ

[تمني لمّ الشمل]

عسى الله يُدني نازح الدار بيننا فنمسي وقد قرّت بذاك عُيونُ
وليس عزيزٌ ما طلبتُ على الذي مقالتهُ للشيءِ كُنْ فيكونُ

[الوصل عذب والهجر صعب]

علّموني الوصالَ والوصلُ عذبٌ ورّموني بالهجر والهجر صعبٌ
زعموا حينَ عُوتبوا أنّ ذنبي فرطُ حُبِّي لهم وما ذاكُ ذنبُ
فوحقُّ الخُضوعِ عندَ التداني ما جزا من يحبُّ إلاّ يحبُّ

[وعود من لا يفي]

دَعْ ذِكْرَهْنَ فما لهنَّ وفاءٌ ريحُ الصّبا وعُهودُهِنَّ سواءُ
يكسرنَ قلبكُ ثمَّ لا يجُبرنَه وقلوبُهِنَّ عن الدّواءِ خلاءُ

[الدهر غيبة وحضور]

حَضَرْنَا ثمَّ غَبْنَا ثمَّ يحضِرُ بعدَنَا أناسٌ كذا الدهرُ غيبةً وحضورُ
فاذكُرُونَا يا حاضرينَ بخيرٍ واعلموا بأنَّ النّائبَاتِ تدورُ^(١)

[من آداب المجالس]

إذا غابَ الفتى من عند قومٍ وغابَ وعادَ في ذاكَ المَقامِ
فليس له عليهم من قيامٍ وليس لهم عليه من سلامٍ

(١) كذا في المخطوط ، ولاحظ أن في البيتين خلافاً عروضياً ، وفي «متخب من معجم شيوخ ابن السمعاني» (٨٦٣/٢) : أنشد عن أبي محمد التكريتي قوله :

قد حضرنا هذا المكان وغبنا وكذا الدهر غيبة وحضور
فاذكرونا يا حاضرين بخير واعلموا أن الليالي تدور

[زيارة طيف الخيال]

قالت لطيفِ خيالٍ زارها ومضى باللهِ صِفهُ ولا تنقُصْ ولا تزدِ
فقال خلَّفْتُهُ لو مات مِن ظمأٍ وتمنَّعِيهِ زُلالَ الماءِ لم يردِ
قالت صدقتَ وفاءَ العهدِ شيمتُهُ يا بَرْدَ ذاكِ الذي قالتِ على كَبدي

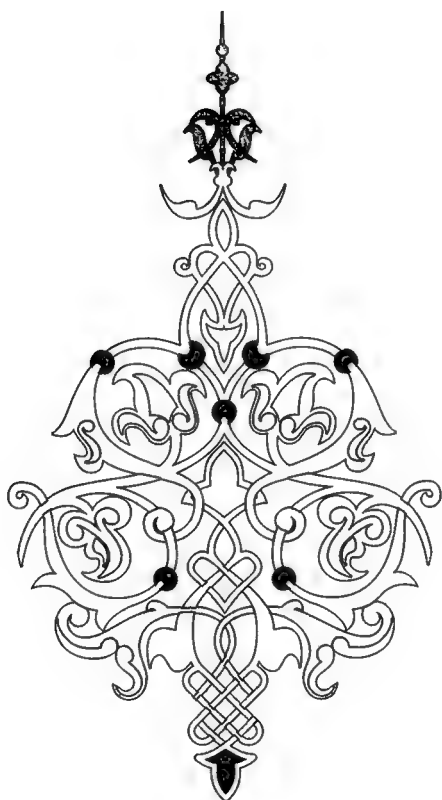
[جنابكم حرم]

جاءت سليمانَ الزمانِ حَمامةٌ والموتُ يخفِقُ في جناحي طائرِ
مَن عرَّفَ الورقاءَ أَنَّ جنابكُم حَرَمٌ وأَنَّكَ مَلجأٌ للحائرِ

[صفقة تبث يدا شاريها]

الذَّهْرُ ساوَمَني عُمري فقلتُ له لا بعثْ عمريَ بالدنيا وما فيها
ثمَّ اشتراه تفاريقاً بلا ثَمَنِ تَبَّتْ يدا صفقةٍ قد خاب شاريها

الفقه بأئمة الهدى



فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية الصفحة

اسم السورة والآية

سورة البقرة

١٤٣	٤١	﴿ وَلَا تَشْتَرُوا بِإِيمَانِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾
٤١٨	٤٢	﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ ﴾
١٤٧	١٥١	﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ ... ﴾
١٣٦	١٥٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أُنزِلَ فِي الْكِتَابِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ ... ﴾
٣٥٠	٢٠١	﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً ... ﴾
٣٣٧	٢٦١	﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَتَتْ مِنْ سَعْيِ سَابِلٍ ... ﴾
٣٢٧	٢٦٤	﴿ لَا يُبْطِلُوا صِدْقَكَ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾
١٠٦	٢٦٩	﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾
٥٢٣	٢٨١	﴿ وَأَنْقُضُوا يَوْمَ تَرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾
١٤٨	٢٨٦	﴿ لَا يَكْفُلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

سورة آل عمران

١٤٨	٧	﴿ وَمَا يَسْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾
٤١٧	٦١	﴿ ثُمَّ نَبَّاهُ فَجَعَلَ لَفَتَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾
٥٢٨	٧٥	﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدُّهُ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدُّهُ ... ﴾
٢٤٠	١٠٣	﴿ وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءَ فَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾
٤٨٣	١٥٩	﴿ وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾
٢٩٧	١٨٠	﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْتَاعُونَ زِينَةً دُنْيَا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِمَا هُمْ شُرَكَاءُ ... ﴾
١٣٦	١٨٧	﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾

اسم السورة والآية رقم الآية الصفحة

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَاصْبِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ ٢٠٠ ٤٦١

سورة النساء

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ ١ ٢٥٣

﴿وَرَبُّهُمُ الَّذِي يَجْعَلُ الشَّهَوَاتِ أَنْ يَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ ٢٧ ٢٣٨

﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ ٢٨ ٢١١

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيَّتِكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾ ١٢٣ ١٥٥

سورة المائدة

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ ٢ ٢٩٤

﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ ٢٠ ٣٤٣

﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمَّهُ صِدْقَةٌ ...﴾ ٧٥ ١٥٢

سورة الأنعام

﴿فَلَمَّا شَاؤُوا مَادُّوكُمْ بِهٖ فَفَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا ...﴾ ٤٤ ١٥٦

﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَمِيتَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا بَيْنَ فَوْقَكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيْعًا﴾ ٦٥ ٢٢٣

﴿وَلَا تَشْرَبُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ١٤١ ٣٠٠

سورة المعارج

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَدِيدًا﴾ ٥ ٤٧٨

سورة الأعراف

﴿يَبْقَى ءَادَمُ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ لِبَاسًا يُوْرِي سَوْءَ بَدَنِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ ٢٦ ٥٧٣-٥٧٢

﴿يَبْقَى ءَادَمُ عُدُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ ٣١ ٥٧٥

﴿خُذِ الْعَقْرَ وَأْمُرِ بِالْعَرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ ١٩٩ ٤٠١

﴿وَأَمَّا يَزْعَمَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ٢٠٠ ٤١٢

سورة التوبة

﴿وَالَّذِينَ يَكْذِبُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾ ٣٤ ٣٥٦

اسم السورة والآية
﴿ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ﴾
رقم الآية ١٠١ الصفحة ١٥٥

﴿ فَلَوْلَا نَصْرُ مَنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لَّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ ... ﴾
١٢٢ ٧٥

سورة هود

﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ تَخْلَفِيتِ ﴾
١١٨ ٢١٥

﴿ إِلَّا مَن رَّجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾
١١٩ ٢١٥

﴿ لَوْ أَنِّي يَبْكُ فَوْءٌ أَوْ أَوْيْتُ إِلَىٰ رَبِّي سَدِيدٌ ﴾
٨٠ ٢٤١

﴿ إِنِّي أُرْسِلُكُمْ بِخَيْرٍ ﴾
٨٤ ٣٥٠

سورة يوسف

﴿ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ ﴾
٣٣ ٥١٣

﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾
٥٣ ٣٧٢

﴿ وَإِنَّهُ لَدُوٌّ عَلَيْهِ لَمَّا عَلِمْنَاهُ ﴾
٦٨ ١٣٢

﴿ نَرَفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾
٧٦ ١٢٦

سورة الرعد

﴿ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴾
٢١ ٢٤٧

سورة إبراهيم

﴿ وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾
١٥ ٥١٣

سورة الحجر

﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾
٨٥ ٢٨١

سورة النحل

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾
٤٤ ١٤٨

﴿ وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ ﴾
٧١ ٢١٦

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْوَابِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾
٧٢ ٢٤٩

﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا ... ﴾
٨١ ٥٧٣-٥٧٤

اسم السورة والآية رقم الآية الصفحة

﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا ﴾	٨٣	١٥٤
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ ... ﴾	٩٠	١٧١
﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً ﴾	٩٧	٣٥٩
﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَٰذِبُونَ ﴾	١٠٥	٤١٧

سورة الإسراء

﴿ أَمْرًا مُّزَفًّى بِهَا فَسَقُوا فِيهَا ﴾	١٦	٣٣٩
﴿ وَلَا تَجْعَلْ لِّدِكْ مَقُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾	٢٩	٣٠٨
﴿ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلِهِ ﴾	٨٤	٥٣
﴿ وَمَا أَوْثَقْتُمِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾	٨٥	٧٤
﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾	١١٠	١٧١

سورة الكهف

﴿ وَأَذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا أَنْسَيْتَ ﴾	٢٤	٤١٢
﴿ وَالْبَقِيَّةُ الصَّلٰوةُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾	٤٦	٣٢٢
﴿ مَا لِ هَذَا أَلْكَتَبَ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصٰهَا ﴾	٤٩	٥٠٧
﴿ هَلْ أَتٰعٰكَ عَلٰى أَنْ تُعَلِّمَنَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴾	٦٦	١٣٠
﴿ لَا تَوَاضِعْ فِي مِمَّا نَسِيتَ ﴾	٧٣	٤٢٥
﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾	١١٠	١٧١

سورة مريم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا ﴾	٩٦	٢٤٠
---	----	-----

سورة طه

﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾	٥٠	٣٣٥
﴿ فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا ﴾	١٢٤	٣٤٤
﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الدُّنْيَا لِنَلْفِتَنَّهُمْ فِيهِ ... ﴾	١٣١	٣٥٩

اسم السورة والآية رقم الآية الصفحة

سورة الأنبياء

﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾ ٨ ٣٣٥

سورة الحج

﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ ٤٦ ٤٤

﴿ يَعْقِلُونَ بِهَا ﴾ ٤٦ ٤٥

﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكَ فِي الَّذِينَ مِنْ حَرَجٍ ﴾ ٧٨ ١٤٨

سورة المؤمنون

﴿ رَبِّنا أَرْجِعُونِ ﴾ ٩٩ ٢٠٤

﴿ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ ﴾ ١٠٠ ٢٠٤

﴿ وَلَوْ أَتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ ٧١ ٣٣٦

سورة النور

﴿ فَكَايَبُهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ﴾ ٣٣ ٣٥٠

سورة الفرقان

﴿ وَإِذَا شِئُوا بِاللَّغْوِ شِئُوا كِرَامًا ﴾ ٧٢ ٤٥٧

سورة العنكبوت

﴿ وَوَضِعْنَا الْإِنْسَانَ بِلَدَيْنِهِ حُسْنًا ﴾ ٨ ٢٤٤

﴿ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ ٤٣ ٧١

سورة الروم

﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَفِلُونَ ﴾ ٧ ٣٣٦

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ... ﴾ ٢١ ٢٤٩

سورة لقمان

﴿ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ ١٧ ٤٦٧

اسم السورة والآية رقم الآية الصفحة

سورة فاطر

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْمُلْتَمُونَ ﴾	٢٨	١٣٠
﴿ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ ﴾	٤٣	٥٢٥

سورة يس

﴿ يُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾	٧٠	٤٢
-------------------------------	----	----

سورة ص

﴿ أَحَبِّتْ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾	٣٢	٣٤٩
﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	٣٩	١٨٩

سورة الزمر

﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾	٩	٧١
﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾	١٠	٤٦٣

سورة فصلت

﴿ وَقَدَرْنَا فِي أَوْثَانِهَا فِي أَرْبَعَةِ آيَاتٍ سَوَاءٌ لِلنَّاسِ بَلَدٌ ﴾	١٠	٣٣٦
﴿ أَدْفَعْ يَأْتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُمُ يَوْمَ حِمَيمٍ ﴾	٣٤	٤٣١

سورة الشورى

﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾	٤٠	٤١٥
--	----	-----

سورة الجاثية

﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهُهُ هَوًى ﴾	٢٣	٥٩
---	----	----

سورة الأحقاف

﴿ أَوْ أَنتَبَرْتُمْ عَلَيْهِ ﴾	٤	١٠٦
---------------------------------	---	-----

سورة الحجرات

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾	٤	٢٧٦
﴿ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا لَا يُسَخَّرُونَ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ ... ﴾	١١	٤٢٧

اسم السورة والآية
﴿ وَلَا يَتَّبِعْ بِمَعْشُكُم بَعْضًا يَتَّبِعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾
رقم الآية ١٢ الصفحة ٤٢٦

سورة النجم

﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾
رقم الآية ٤٨ الصفحة ٣٣٧

سورة الواقعة

﴿ إِنَّا أَنشَأْنَهُمْ إِنْسَانًا ﴾
رقم الآية ٣٥ الصفحة ٥٠٤

﴿ جَعَلْنَاهُمْ أَتَكَارًا ﴾
رقم الآية ٣٦ الصفحة ٥٠٤

﴿ عُرْنَا أَنبَارًا ﴾
رقم الآية ٣٧ الصفحة ٥٠٤

﴿ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴾
رقم الآية ٣٨ الصفحة ٥٠٤

سورة الحديد

﴿ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمُ أَنْفُسَكُمْ وَتَرْتَبَّشُمْ وَعَرَّتْكُمْ الْأَمَانُ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ... ﴾
رقم الآية ١٤ الصفحة ٥٩

﴿ لِكَيْ لَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾
رقم الآية ٢٣ الصفحة ٤٧٨

سورة المجادلة

﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾
رقم الآية ١١ الصفحة ١٤٨

﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴾
رقم الآية ٢٢ الصفحة ٢٤٠

سورة الحشر

﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾
رقم الآية ٩ الصفحة ٢٩٥

سورة الجمعة

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ خُمِلُوا النَّارُ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَارًا ﴾
رقم الآية ٥ الصفحة ١٣٢

سورة الملك

﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾
رقم الآية ١٠ الصفحة ٤١

سورة القلم

﴿ تَ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾
رقم الآية ١ الصفحة ١٠٨

اسم السورة والآية رقم الآية الصفحة

سورة المدثر

﴿وَلَا تَنْتُنْ تَنْتَكِرُ﴾ ٦ ٣٢١

سورة القيامة

﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ ٣٦ ٢١٧

سورة النازعات

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ ٤٠ ٦٢

﴿فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾ ٤١ ٦٢

سورة الأعلى

﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ ٣ ٢١٢

سورة البلد

﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ ١٠ ٢١٢

سورة الشمس

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ ٨ ٣٧١

سورة الليل

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ ٥ ٢٩٥

﴿وَصَدَقَ الْخُسُوفُ﴾ ٦ ٢٩٥

﴿فَسَيَّرَهُ لِلْفُجْورِ﴾ ٧ ٢٩٥

﴿وَأَمَّا مَنْ يَكْفُرْ وَاسْتَفْتَىٰ﴾ ٨ ٢٩٥

﴿وَكَذَّبَ الْخُسُوفُ﴾ ٩ ٢٩٥

﴿فَسَيَّرَهُ لِلْفُجْورِ﴾ ١٠ ٢٩٥

سورة الشرح

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ﴾ ٧ ٢١٣

﴿وَالْإِلَهِكَ فَارْعَبْ﴾ ٨ ٢١٣

اسم السورة والآية رقم الآية الصفحة

سورة العلق

﴿ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾	٣	١٠٨
﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾	٤	١٠٨
﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَاطِفٍ ﴾	٦	١٣٠-٢١١
﴿ أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى ﴾	٧	١٠٨

سورة العاديات

﴿ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴾	٨	٣٤٩
---	---	-----

سورة الفلق

﴿ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾	٥	٤٣١
---------------------------------------	---	-----

فهرس الأحاديث النبوية

الصفحة	اسم الراوي	طرف الحديث
		حرف الهمزة
٤٤٩	-	أبغضكم إلى المتفهيق المكثار والملح المهذار
٥٠٥	-	أأكل تمرأ وبك رمد؟ فقال : يا رسول الله ، أنا أمضغ
٢٥٦	-	أتزوجت يا زيد ؟ قال : لا ، قال : تزوج تستعفف
١٦٢	-	اجتهدوا في العمل ؛ فإن قصر بكم ضعف
١٤٣	-	أجر المعلم كأجر الصائم القائم
٥٦١	أبو حيد الساعدي	أجلوا في طلب الدنيا ، فإن كلاً ميسر لما كتب له منها
٥٢٠	-	أحب العفاف إلى الله تعالى عفاف الفرج والبطن
٥٥٦	أبو هريرة	أحب حبيبك هوناً ما
٢٨٥	أبو هريرة	أحب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما
٣٨٧	أبو هريرة	أحبكم إلي أحسنكم أخلاقاً
٥٥	-	الأحق أبغض خلق الله إليه إذ حرمه أعز الأشياء عليه
٥٥	-	الأحق كالرفار لا يرقع ولا يشعب
٥١٢	أبو هريرة	أخذنا فالك من فيك
١٧٢	-	أخوف ما أخاف على أمتي : الرياء الظاهر والشهوة الخفية
٥٢٨	أبو هريرة	أذا الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك
٥٧٩	عائشة	ادهنوا يذهب البؤس عنكم ، والبسوا تظهر نعمة الله عليكم
٣٣٠	أم سلمة	إذا أراد الله بعبد خيراً .. جعل صنائعه في أهل الحفاظ
٨٧	أبو هريرة	إذا استرذل الله عبداً .. حظّر عليه العلم

طرف الحديث	اسم الراوي	الصفحة
إذا أفضيتم إلى نسائكم .. فالكيس الكيس	جابر بن عبد الله	٢٥٤
إذا بويع لأمرين .. فاقتلوا آخرهما	أبو سعيد الخدري	٢٢١
إذا رأيت الله تعالى يعطي العباد ما يشاؤون على معاصيهم	عقبة بن عامر	١٥٦
إذا ظننتم فلا تحققوا ، وإذا حسدتم فلا تبغوا ، وإذا تطيرتم	أبو هريرة	٥١٠
إذا عرف نفسه	عائشة	٣٧٤
إذا قام أحدكم إلى صلاته .. فإنما يناجي ربه	عبد الله بن عمر	١٥٠
إذا قدرت على عدوك .. فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه	-	٤٠٣
إذا لم يُشَقَّ المرء إلا بما عمل .. فقد سعد	-	٥٣٢
إذا هممت بأمر .. ففكر في عاقبته	عبد الله بن مسعود	٥٨٣
أربع من كن فيه وجبت له الجنة ، وحفظ من الشياطين	أبو هريرة	٥٢٢
الأرواح جنود مجنونة ، فما تعارف منها .. اتتلف	عائشة	٢٦٣
ازهد في الدنيا يحبك الله ، وازهد فيما في أيدي الناس يحبك	سهل الساعدي	٣٠٢
استحيوا من الله حق الحياء	عبد الله بن مسعود	٣٩٧
استحيي من الله تعالى استحياءك من ذي الهيبة من قومك	علقمة بن علاثة	٣٩٧
استرشدوا العاقل ترشدوا ، ولا تعصوه فتندموا	أبو هريرة	٤٨٥
استعمل يدك	أبو هريرة	١٠٥
استعينوا بقضاء حوائجكم بسترها	معاذ بن جبل	٤٣٥
استعينوا على الحاجات بالكتان ، فإن كل ذي نعمة محسود	معاذ بن جبل	٤٩٥
أشد الناس عذاباً يوم القيامة : من أشركه الله تعالى في سلطانه	-	٢٢٧
أشد الناس عذاباً يوم القيامة : من يرى أن فيه خيراً	عبد الله بن عمر	١٧٢
اطلبوا الخوائج من حسان الوجوه	عائشة	٥٣٤
اطلبوا الفضل والمعروف عند الرحاء من أمتي ، تعيشوا	أبو سعيد الخدري	٥٢٦
اطَّلَع في القبور ، واعتبر بالنشور	أنس بن مالك	٤١٣

طرف الحديث	اسم الراوي	الصفحة
أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك	عبد الله بن عباس	٣٧٢
أعظم النساء بركة أحسنهن وجهاً وأقلهن مهراً	عائشة	٢٥١
اغتربوا لا تضوا	-	٣٤٠، ٢٥٨
اغتنم خمساً قبل خمس : شبابك قبل هرمك	عمرو الأودي	٥٦٦
أفضل الناس أعقل الناس	عبد الله بن عباس	٥٣
اقتصدوا في الطلب ، فإن ما رزقتموه أشد طلباً	-	٣٥٩
أقروا الطير على وُكُناتها	أم كُرُز	٥١٠
أقسم الله تعالى بعزته لا يجاوره بخيل	عبد الله بن عباس	٢٩٧
أقلعوا عن المعاصي قبل أن يأخذكم الله تعالى فيدعكم هتاً بتاً	-	١٦١
أقلل من الدنيا تعيش حراً ، وأقلل من الذنب	عبد الله بن عمر	١٩٤
أقبلوا ذوي الهيئات عثراتهم	عائشة	٥٤٥
ألا أخبركم بشراركم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله	أسماء بنت يزيد	٤٢٨
ألا أدلكم على شيء يحبه الله تعالى ورسوله ؟ قالوا : بلى	-	٥٦٢
ألا أدلكم على ما يحبط الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟	أبو هريرة	٤٦١
ألا إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم حرام عليكم	أبو بكر	٥٢٤
ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه ؟ قالوا : بلى يا رسول الله	علي بن أبي طالب	١٤٤
ألا أنبئكم بشرار الناس ؟ قالوا : بلى يا رسول الله	عبد الله بن عباس	٢٢٩
أما إنه ليس بإضاعة المال ولا تحريم الحلال	أبو ذر الغفاري	٣٤٤
أما علمت أن الجنة لا يدخلها العُجُز !! فصرخت ، فتبسم	عائشة	٥٠٣
الإمام الجائر خير من الفتنة وكل لا خير فيه	-	٢١٩
الأمل رحمة من الله لأمتي ، ولولاه ما غرس غارس شجراً	أنس بن مالك	٢٣٥
إن أبغضكم إلي الثرثارون المتفيهقون المتشدقون	-	٣٩٤
إن أحساب أهل الدنيا هذا المال	بُرَيْدة	٣٤٩

طرف الحديث	اسم الراوي	الصفحة
إن استطعت أن تعامل الله بالرضا واليقين فافعل	عبد الله بن عباس	٤٦٧
إن أفضل الأعمال كلمة حق عند سلطان جائر	-	١٥٨
إن الأحمق العابد يصيب بجهله أعظم من فجور الفاجر	أنس بن مالك	٥١
إن البلاء موكل بالمنطق	حذيفة بن اليمان	٥١٣
إن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب	أبو هريرة	٤٣٩
إن الحكمة تزيد الشريف شرفاً ، وترفع العبد المملوك حتى	أنس بن مالك	٧٩
إن الرحم إذا تماسست تعاطفت ، وإذا تقاست تقاطعت	-	٢٤١
إن السلطان ظل الله في الأرض يأوي إليه كل مظلوم	عبد الله بن عمر	٢١٩
إن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب	-	١٢٥ - ٣٧٧
إن القلب يموت ويحيى ولو بعد حين	-	١١٦
إن الله تبارك وتعالى يوصيكم بأمهاتكم ، ثم يوصيكم	المقدام	٢٤٤
إن الله تعالى اختار لكم الإسلام ديناً ، فأكرموه بحسن الخلق	-	٣٨٦
إن الله تعالى أمرني بمداواة الناس ، كما أمرني بإقامة الفرائض	عائشة	٥٤٩
أن الله تعالى أوحى إلى إبراهيم : أتدري لم اتخذتك خليلاً ؟	أبو هريرة	٣٠١
أن الله تعالى أوحى إلى داود : ذكر عبادي إحساني	-	٢٩٤
إن الله تعالى يحب الحليم الخبي ، ويبغض الفاحش البذيء	عبد الله بن مسعود	٤٠١
إن الله تعالى يحب معالي الأمور وأشرفها ، ويكره سفاسفها	الحسين بن علي	٥١٦
إن الله تعالى يرضى لكم ثلاثاً ، ويكره لكم ثلاثاً	أبو هريرة	٢٣٩
إن الله لم يخلق وعاءً مليء شراً من بطن ، فإن كان لا بد فاعلاً	ابن المرقع	٥٧٠
إن الله لينزع بالسلطان أكثر ما ينزع بالقرآن	-	٢١٩
إن المسافر وماله لعلى قلبي ، إلا ما وقى الله تعالى	-	٣٤٠
إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع	صفوان بن عسال	٨٣
إن حق الوالد على الولد أن يخشع له عند الغضب	عامر بن شراحيل	٢٤٥

طرف الحديث	اسم الراوي	الصفحة
أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فنظر إليه رث	عوف بن مالك	٥٧٨
أن رسول الله دخل المسجد فإذا هو بمجلسين ، أحدهما	عبد الله بن عمرو	٧٥
إن روح القدس نفث في روعي أن نفساً لا تموت حتى	عبد الله بن مسعود	٥٣٠
إن في المعارض لمندوحة عن الكذب	عمران بن حصين	٤٢٥
إن قوماً ركبوا سفينة في البحر فاقتسموا	النعمان بن بشير	١٥٧
إن كان أحدكم مادحاً أخاه لا محالة .. فليقل : أحسب	أبو بكره	٣٨٢
إن لكل شيء دعامة ، ودعامة عمل المرء عقله	أبو سعيد الخدري	٤١
إن للإسلام شرة ، وللشره فترة ، فمن سدد وقارب فارجوه	أبو هريرة	١٧٧
إن لله تعالى في أثناء كل محنة منحة	-	٤٧٢
إن لله حراساً في السماء وحراساً في الأرض	خالد بن معدان	٢١٩
إن لله عبادة يعرفون الناس بالتوسم	أنس بن مالك	١٣٩
إن لي أمأ أنا مطيتها أقعدها على ظهري ولا أقصر عنها	-	٢٤٤
إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى	أبو مسعود البديري	٣٩٥
إن من الشعر لحكماً ، وإن من البيان لسحراً	-	٣٢٣
إن من حق المسلم على المسلم إذا استنصحه أن ينصحه	أبو أيوب	٤٩٣
إن من مروءة الرجل ممشاه ومدخله	أبو هريرة	٣٩٩
إن وليتم أبا بكر تجدوه قوياً في دين الله ضعيفاً في بدنه	علي بن أبي طالب	٢٢٢
أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وسلمان سابق	-	٥٠٦
انتظار الفرج من الله تعالى عبادة	الحسين بن علي	٣٤٧
أنشد النابغة الجعدي بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم	-	٤٠٩
أنكر المنكر بيدك ، فإن لم تستطع فبلسانك	أبو سعيد الخدري	١٥٨
إنكم لا تنالون ما تحبون إلا بالصبر على ما تكرهون	-	١٠٢
إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم	أبو هريرة	٣٢٢

طرف الحديث	اسم الراوي	الصفحة
إنما مثلي ومثل الدنيا كمثل راكب مال إلى ظل شجرة في يوم	عبد الله بن مسعود	٤٦٩
أنهاك عن الشرك بالله والكبر	-	٣٧٦
أنهاكم عن عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات	المغيرة بن شعبة	٢٤٤
أنهاكم عن قيل وقيل ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال	المغيرة بن شعبة	١٢٢
إني لأمزح ولا أقول إلا حقاً	أبو هريرة	٥٠٣
أهل الجنة كل هيِّنٍ لَيِّنٍ سهل طلق	أبو هريرة	٣٨٧
أهلك أمتي رجلاًن : عالم فاجر ، وجاهل متعبد	-	١٣٩
أوحى الله تعالى إلى إبراهيم عليه السلام : إني عليم أحبُّ	-	٧١
أوحى الله تعالى إلي كلمات ، فدخلن في أذني ، ووقرن في قلبي	أبو أمامة	٣٤٣
أوصاني ربي بسبع : الإخلاص في السر والعلانية ، وأن	-	٥٥٦
أول صلاح هذه الأمة باليقين والزهد	عبد الله بن عمرو	١٦٨
إياك وكثرة الضحك ؛ فإنه يميئ القلب ، ويذهب بنور	أبو ذر الغفاري	٥٠٧
إياكم والامتنان بالمعروف ؛ فإنه يبطل الشكر ويمحق الأجر	-	٣٢٧
إياكم والبطنة ؛ فإنها مفسدة للدين ، مورثة للسقم ، مكسلة	-	٥٦٩
إياكم والتهاذح ؛ فإنه ذبح	معاوية	٣٨٢
إياكم والمشاورة ؛ فإنها تميئ الغرة ، وتحبي العرة	أبو هريرة	٥٥٢
إياكم والمعاذر ؛ فإن أكثرها مفاجر	-	٥٥٨
إياكم وكثرة السؤال ؛ فإنها هلك من قبلكم بكثرة السؤال	أبو هريرة	١٢٢
أيعجز أحدكم أن يكون كأبي ضمضم كان إذا خرج	الحسن بن علي	٤٠١
أ يكون المؤمن جبناً ؟ قال : نعم ، قيل : أفيكون بخيلاً ؟	صفوان بن سليم	٤١٧
أيها الناس ؛ اكلفوا من الأعمال ما تطيقون ، فإن الله	عائشة	١٧٦
أيها الناس ؛ إن الأيام تطوى ، والأعمار تفتنى ، والأبدان في	-	١٩٢
أيها الناس ؛ إن لكم نهاية ، فانتهوا إلى نهايتكم	جابر بن عبد الله	١٩٨

طرف الحديث اسم الراوي الصفحة

أياها الناس ؛ كأن الموت فيها على غيرنا كُتب ، وكأن الحق فيها
حرف الباء

بالصبر يتوقع الفرج ، ومن يذمن قرع الأبواب يلج

البذاء لزوم ، وصحبة الأحق شؤم

بعثت لأتمم مكارم الأخلاق

بش الزاد إلى المعاد العدوان على العباد

حرف التاء

تباً للذهب تباً للفضة

تحروا الصدق ، وإن رأيتم أن فيه الهلكة .. فإن فيه النجاة

تخيروا لنطفكم ولا تضعوها إلا في الأكفاء

تسعة أعشار الرزق في التجارة ، والجزء الباقي في السابياء

تصدقوا على أخيكم بعلم يرشده ورأي يسده

تعلموا العلم قبل أن يرفع ، ورفع ذهاب أهله ، فإن أحدكم

تعلموا وعلموا ، فإن أجر العالم والمتعلم سواء

تقبلوا لي بستٌ أتقبل لكم بالجنة

تنكح المرأة لأربع : لماها ولجهاها

حرف الثاء

ثلاث لا يسلم أحدٌ منهن : الطيرة ، وسوء الظن ، والحسد

ثلاث منجيات ، وثلاث مهلكات ، فأما المنجيات : فالعدل

ثلاثة ليست غيبتهم بغيبة : الإمام الجائر ، وشارب الخمر

حرف الجيم

جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ، وبغض من أساء

الجنة لا يدخلها ديبوب ولا قلاع

طرف الحديث	اسم الراوي	الصفحة
حرف الحاء		
حبك الشيء يعمي ويصم	أبو الدرداء	٦٣
الحريص الجاهد والقنع الزاهد يستوفيان	-	٣٥٨
حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار	عائشة	٣٨٧
حسن السؤال نصف العلم	عبد الله بن عمر	١٢٣
حسن الظن بالله من عبادة الله	أبو هريرة	٢١٣
حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات	أنس بن مالك	٦١
الحلال بين والحرام بين	عبد الله بن عمر	٣٤٤
الحياء من الإيمان ، والإيمان في الجنة	أبو هريرة	٣٩٤
الحياء والعِي شعثان من الإيمان	أبو أمامة	٣٩٤

حرف الخاء

خالقوا الناس بأخلاقهم ، وخالفوهم في أعمالهم	أبو ذر الغفاري	٨٣
خلق الرجل من التراب ، فهمه في التراب ، وخلقت المرأة	عبد الله بن عباس	٢٥٣
الخلق كلهم عيال الله تعالى ، وأحب خلق الله تعالى إليه	-	٥٤٤
خير أمتي علمائها ، وخيار علمائها فقهاؤها	عبد الله بن عمر	٧٦
خير شبابكم المتشبهون بشيوخكم ، وشر شيوخكم	أنس بن مالك	١١٩
خير أصحابك المعين لك على دهرك ، وشرهم من سعى لك	-	٢٨٤
خير الأمور أوساطها	مطرف	٥١
خير الرزق ما يكفي ، وخير الذكر الخفي	سعد بن أبي وقاص	٥٣٦
خير المال عين ساهرة لعين نائمة	-	٣٣٧
خير المال مهرة مأمورة أو سكة مأبورة	سويد بن هبيرة	٣٣٩
خير أمتي الذين لم يعطوا حتى يبطروا	-	٣٦٤
خير أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم ، وشر أئمتكم	-	٢٢٤

طرف الحديث	اسم الراوي	الصفحة
الخير ثلاث خصال من كن فيه استكمل الإيمان	أنس بن مالك	٤١٥
الخير عادة ، والشر لحاجة ، ومن يرد الله به خيراً .. يفقهه	معاوية	٧٥
الخير كثير وقليل فاعله	عبد الله بن عمرو	٥٤٢
خير من الخير معطيه ، وشر من الشر فاعله	-	٥٤٦

حرف الدال

دب إليكم داء الأمم قبلكم البغضاء والحسد	الزبير بن العوام	٤٣١
دخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم تستفتيه	-	٤٢٧
دع ما يريك إلى ما لا يريك	الحسن بن علي	٥٣٠ ، ٤١٧
الدنيا دول ، فما كان منها لك أنك على	علي بن أبي طالب	٣٦٢
الدنيا يومان : يوم فرح ويوم هم ، وكلاهما زائل عنك	-	١٨٠

حرف الذال

ذروها فهي ذميمة	أنس بن مالك	٥١٢
الذنب لا يُنسى ، والبر لا يبلى ، والديان لا يموت	عبد الله بن عمر	١٥٩
حرف الراء		
رأس العقل بعد الإيمان بالله تعالى التودد إلى الناس	أبو هريرة	٢٩١
رأس العقل بعد الإيمان بالله تعالى التودد إلى الناس	أنس بن مالك	٤٨٨
رحم الله امرأ أصلح من لسانه وقصر من عنانه	عمر بن الخطاب	٤١٧
رحم الله امرأ أعان ولده على برّه	علي بن أبي طالب	٢٤٦
رحم الله لوطاً لقد كان يأوي إلى ركن شديد	أبو هريرة	٢٤١
رحم الله من قال خيراً فغنم ، أو سكت فسلم	أنس بن مالك	٤٤٢
ردى علي قول اليهودي قاتله الله لقد أتاني جبريل برسالة من	-	٣٣١
رفع الله تعالى عن أبيك العذاب لشديد سخائه	-	٢٩٥

طرف الحديث اسم الراوي الصفحة

حرف الزاي

٢٠٤	أبو ذر الغفاري	زوروا القبور تذكروا بها الآخرة ، وغسلوا الموتى
		حرف السين
٤٥٤	-	سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن الأهمم عن قيس
٢٩٥	عروة بن الزبير	السخي قريب من الله ، قريب من الجنة ، قريب من الناس
١٦٦	أبو هريرة	سدّدوا وقاربوا ، ويسروا ، واستعينوا بالغدوة
٥٨٢	عبد الله بن مسعود	السعيد من وعظ بغيره
٣٣٩	-	سمنها معاش ، وصوفها رياش
٢٥٨	معاوية بن حيدة	سوداء ولود خير من حسناء عاقر
٤٢٧	أبو هريرة	سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة
٤٢٤	-	سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد تطرف بدرأ

حرف الشين

٣٧٤	أبو هريرة	الشديد من غلب نفسه
٣٨٨	جابر بن عبد الله	شر الناس ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه
٥٢٤	عائشة	شر الناس من أكرمه الناس اتقاء لسانه
٤٣٩	عبد الله بن عباس	شر الناس من يبغض الناس ويبغضونه
٣٥٧، ١٥٣	أبو هريرة	شر ما أعطي العبد شح هالع وجبن خالع

حرف الصاد

٤٢٦	عبيد	صامتا عما أحل لها ، وأفطرتا على ما حرم عليهما
٤٦١	-	الصبر ستر من الكروب ، وعون على الخطوب
٤٦٦	أبو مالك الأشعري	الصبر ضياء
٤٦٣	علي بن أبي طالب	الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد
١٥١	سليمان الفارسي	الصلاة مكيال ، فمن وقى وقى له ومن طفق

الصفحة	اسم الراوي	طرف الحديث
٢٤٨	أبو هريرة	صلة الرحم مناة للعدد ، مشرة للمال محبة
٣٢٤	معاوية بن حيدة	صنائع المعروف تقي مصارع السوء

حرف الطاء

٥٩	-	طاعة الشهوة داء ، وعصيانها دواء
٢٩٧	عبد الله بن عمر	طعام الجواد دواء ، وطعام البخيل داء
٧٥	أنس بن مالك	طلب العلم فريضة على كل مسلم

حرف العين

٣١٥	عبد الله بن مسعود	العدة عطية
٢٥٥ ، ٥٣	جابر بن عبد الله	العقل حيث كان إلف مألوف
٤٤	-	العقل نور في القلب يفرق به بين الحق والباطل
١٢٢	علي بن أبي طالب	العلم خزان ، ومفاتيحه المسألة ، فاسألوا رحمكم الله
٧٨	أبو الدرداء	العلماء ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً
١٤٤	أبو هريرة	علموا ولا تعنفوا ، فإن المعلم خير من المعنف
٥٣١	-	على رسلكم إنها صفة بنت حيي فقالوا : أويخالجننا فيك شك
٥٢٩	سعد بن أبي وقاص	عليك باليأس مما في أيدي الناس ، وإياك والطمع ، فإنه
٢٦١	عمر بن الخطاب	عليكم بإخوان الصدق ، فإنهم زينة في الرخاء
٢٥٧	عويم بن ساعدة	عليكم بالأبكار ، فإنهم أعذب أفواها ، وأنتق أرحاماً
٢٥٥	معقل بن يسار	عليكم بالودود الولود ، ولا تنكحوا الحمقاء ، فإن صحبتها
٧٦	-	عليكم بخلفائي ، قالوا : ومن خلفاؤك ؟ قال : الذين يحبون

حرف الفاء

٢٥٢	أبو هريرة	فاظفر بذات الدين تربت يداك
٥٢٦	-	الفتنة نائمة ، فمن أيقظها صار طعاماً لها
٧١	أبو أمامة	فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم

الصفحة	اسم الراوي	طرف الحديث
٧٤	حذيفة بن اليمان	فضل العلم خير من فضل العبادة
٧٦	أنس بن مالك	الفقه في الدين حق على كل مسلم ، ألا فتعلموا
٥٠٩	-	فما أعدى الأول
٣٤٦	أبو قلابة	فمن كان يكفيه علف ناقته وصنع طعامه
٥١١	أبو هريرة	في الإنسان ثلاثة : الطيرة والظن والحسد ، فمخرجه

حرف القاف

١٤٠	سفيان الثوري	قال الخضر لموسى عليهما السلام : يا طالب العلم إن القاتل
٤٩٣	حذيفة بن اليمان	قال لقمان لابنه : يا بني إذا استشهدت فاشهد ، وإذا استعنت
١٤٨	أبو عبد الله الطبري	القرآن أصل علم الشريعة نصّه ودليله
٣٨١	أبو بكره	قطعت مطاه لو سمعها ما أفلح بعدها
٣٩٨	أبو هريرة	قلة الحياء كفر
١٢٥	عبد الله بن عمرو	قليل الفقه خير من كثير العبادة ، وكفى بالمرء علماً إذا
١٠٤	أنس بن مالك	قيدوا العلم بالكتاب

حرف الكاف

٣٤٥	أنس بن مالك	كاد الحسد أن يغلب القدر ، وكاد الفقر أن يكون كفراً
٣٩٠	-	كاد الفقر أن يكون كفراً ، وكاد الحسد أن يغلب القدر
٢٤٢	عمرو بن عوف	كان لا يترك المرء مفرجاً حتى يضمه
١٦٢	أبو ذر الغفاري	كانت صحف موسى عليه السلام كلها عبراً
٥٢٨	-	كذب أعداء الله ، ما من شيء كان في الجاهلية إلا وهو تحت
٥١٢	-	كفارة الطيرة التوكل على الله تعالى
٣٢٤	جابر بن عبد الله	كل معروف صدقة
٤٤٦	-	كم دون لسانك من حجاب فقال : شفتاي وأسناني
٨٢	-	كونوا علماء صالحين ، فإن لم تكونوا علماء فجالسوا العلماء

الصفحة	اسم الراوي	طرف الحديث
٣٥٦	أبو أمامة	كَيْة ثم مات الآخر

حرف اللام

٥٢٨	علي بن أبي طالب	لا تزال أمتي بخير ما لم تر الأمانة مغنماً والصدقة مغرمًا
١٤٢	الحسن البصري	لا تزال هذه الأمة تحت يد الله تعالى وفي كنفه ما لم يبال قراؤها
١٨٥	-	لا تزول قدما ابن آدم من بين يدي الله تعالى حتى يسأل
٢١٩	أبو هريرة	لا تسبوها فإنها عمرت بلاد الله تعالى
٤٥٨	-	لا تصلوا على النبي
٨٨	جابر بن عبد الله	لا تعلموا العلم لتهاروا به السفهاء ، ولا تعلموا العلم
٢٣٩	أنس بن مالك	لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله إخوانًا
٣٨٣	مكحول	لا تكونوا عيابين ، ولا تكونوا لعانين
١٣٦	-	لا تمنعوا العلم أهله ، فإن في ذلك فساد دينكم والتباس
١٣٨	-	لا تمنعوا العلم أهله فتظلموا ، ولا تضعوه في غير أهله فتأثموا
٣٢٩	عائشة	لا تنفع الصنيعة إلا عند ذي حسب ودين
٥٠٩	أبو هريرة	لا عدوى ولا هامة ولا طيرة ولا صفر
٨٨	-	لا يجادل إلا منافق أو مرتاب
٣٣٤	أبو هريرة	لا يشكر الله من لا يشكر الناس
٥٣٣	عبد الله بن عباس	لا يعجبك رجل اكتسب مالاً من غير حله ، فإن أنفقه لم يقبل
٢٥٤	أبو هريرة	لا يفرك مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي خلقاً
٣٢٩	-	لا يمتنعكم من معروف صغيره
٣٨٨	أبو هريرة	لا ينبغي لذي الوجهين أن يكون وجهاً عند الله
٤٤٥	الحسن البصري	لسان العاقل من وراء قلبه ، فإذا أراد الكلام رجع إلى قلبه
٢٩٧	أبو الدرداء	لعن الله الشحيح ولعن الظالم
٤٨٩	-	لقحوا عقولكم بالمذاكرة ، واستعينوا على أموركم بالمشاورة

الصفحة	اسم الراوي	طرف الحديث
٢٤٣	عبد الله بن عمر	لكل شيء ثمرة ، وثمره القلب الولد
٣٢٥	-	لكل شيء ثمرة ، وثمره المعروف تعجيل السراح
٨٢	عبد الله بن عمرو	لكل شيء فترة ، فمن كانت فترته إلى العلم فقد نجا
٨٧	أبو هريرة	للأنبياء على العلماء فضل درجتين ، وللعلماء على الشهداء
٥٢٩	معاذ بن جبل	اللهم ؛ إني أعوذ بك من طمع يهدي إلى طمع
١٨٣	أبو هريرة	اللهم ؛ إني أعوذ بك من علم لا ينفع ، ونفس لا تشبع وقلب
٢٠٦	-	لو تكاشفتهم ما تدافتم
٣٩٠	-	لولا أن الله تعالى أذل ابن آدم بثلاث ما طأطأ رأسه لشيء
٢١٤	أنس بن مالك	ليس خيركم من ترك الدنيا للأخرة ولا الآخرة للدنيا
١١٨	معاذ بن جبل	ليس من أخلاق المؤمن الملق إلا في طلب العلم

حرف الميم

٣٩٦	حرملة بن عبد الله	ما أحببت أن تسمعه أذنك فاته
٤١٥	أبو هريرة	ما ازداد أحد بعفو إلا عزاً ، فاعفوا يعزكم الله
١٥٧	-	ما أقر قوم المنكرين أظهرهم إلا عمهم الله تعالى
٤١	عمر بن الخطاب	ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه إلى هدى ، أو يرده
٣٤٠	-	ما ألوانها؟ قالت : سود ، فقال لها : عفري
٤٧٤	-	ما انتقصت جارحة من إنسان إلا كانت ذكاء في عقله
٢٠١	أبو هريرة	ما رأيت مثل الجنة نام طالبها ، وما رأيت مثل النار نام هاربها
٣٤٣	معاوية بن حيدة	ما سد جوعتك وستر عورتك
٤٧٨	أنس بن مالك	ما صبر من بث
٣٠٠	عبد الله بن مسعود	ما عال من اقتصد
٧٦	أبو هريرة	ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في الدين ، ولفقيه واحد أشد
٤٧٣	-	ما قرعت عصا على عصا إلا فرح لها قوم وحزن لها آخرون

طرف الحديث	اسم الراوي	الصفحة
ما من أمير على عشرة إلا وهو يحيي يوم القيامة مغلوله	-	٢٢٣
ما من عامل كان يعمل عملاً فيقطعه عن ذلك العمل مرض	أبو موسى	١٦٦
ما من عبد إلا بينه وبين رزقه حجاب	-	٣٦١
ما من يوم طلعت فيه شمس إلا ويجنبتيها ملكان يناديان	أبو الدرداء	٣٤٧
ما من يوم غربت فيه شمسها إلا وملكان يناديان : اللهم أعط	أبو الدرداء	٢٩٥
ما نحل والد نحلة أفضل من أدب حسن	سعيد بن العاص	٣٧٠
ما هلك امرؤ عرف قدره	-	٥١٧
ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة	جابر بن عبد الله	٥٦٥، ٣١٨
المتشيع بما لا يملك كلابس ثوبي زور	أساء بنت أبي بكر	١٧١
مثل الذي يتعلم في صغره كالنقش على الحجر	أبو الدرداء	٩٢
المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخال	أبو هريرة	١٧٤
المرء كثير بأخيه ، ولا خير في صحبة من لا يرى	سهل الساعدي	٢٦١
المرء مع من أحب	عبد الله بن مسعود	٢٦٨
المزاح استدراج من الشيطان ، واختداع من الهوى	-	٥٠١
المستدين تاجر الله في أرضه	-	٥٤٠
المستشير معان والمستشار مؤتمن	عائشة	٤٩٣
المشاورة حصن من الندامة ، وأمان من الملامة	-	٤٨٣
المعروف كاسمه ، وأول من يدخل الجنة يوم القيامة المعروف	-	٣٢٤
المكر والخديعة وصاحباهما في النار	أنس بن مالك	١٣٤
ملعون ذو الوجهين ، ملعون ذو اللسانين	أبو هريرة	٤٢٨
من أراد الله به خيراً .. حال بينه وبين شهوته	علي بن أبي طالب	٣٤٩
من أراد أمراً ، فشاور فيه امرأ مسلماً .. وفقه الله لأرشد أموره	عبد الله بن عباس	٤٨٦
من أراد بر الوالدين .. فليعط الشعراء	عوف بن مالك	٥٦٦

طرف الحديث	اسم الراوي	الصفحة
من ازداد في العلم رشدًا، ولم يزد في الدنيا زهدًا .. لم يزد	-	٨٩
من أشرب قلبه حب الدنيا، وركن إليها .. التاط منها بشغل	عبد الله بن مسعود	١٧٨
من أصبح ولم ينو ظلم أحد .. غفر له ما اجترم	أنس بن مالك	٥٢٦
من أعطي فشكر، ومنع فصبر، وظلم فغفر، وظلم فاستغفر	سخرية	٤٦٥
من أعياه رزق الله تعالى حلالاً .. فليستدن على الله	عبد الله المزني	٥٣٩
من أكيس الناس؟ قال: أكثرهم ذكراً للموت وأشدّهم	عبد الله بن عمر	١٩٢
من ألقى جلباب الحياء .. فلا غيبة له	أنس بن مالك	٣٩٨
من أنت؟ فقالت: بنت الرجل الجواد حاتم	-	١٢٠
من أودع معروفًا .. فليشره، فإن نشره فقد شكره	جابر بن عبد الله	٣٣١
من تشبه بقوم .. فهو منهم	عبد الله بن عمر	١٢٠
من تطير .. فليقل: اللهم لا يأتي بالخيرات إلا أنت	عروة بن عامر	٥١٢
من تعلم علماً لغير الله، أو أراد به غير الله .. فليتبوأ مقعده	عبد الله بن عمر	٨٧
من تقوى الله اتقاء الناس	-	٣٩٨
من حسن إسلام المرء .. تركه ما لا يعنيه	أبو هريرة	١٠٠
من ذب عن لحم أخيه بظهر الغيب	أساء بنت يزيد	٤٢٦
من سيدكم؟ قالوا: الجذ بن قيس على بخل فيه	جابر بن عبد الله	٣٠٠
من سئل فأفتى بغير علم .. فقد ضل وأضل	عبد الله بن عمرو	١٢٨
من ظن أن للعلم غاية .. فقد بخسه حقه، ووضع في غير	-	٧٣
من عامل الناس فلم يظلمهم، وحدثهم فلم يكذبهم	علي بن أبي طالب	٥١٤
من عظمت نعمة الله تعالى عليه .. عظمت مؤونة الناس عليه	معاذ بن جبل	٥٤٥
من علامة الحجة المبرورة أن يكون صاحبها بعدها	-	١٥٣
من فتح عليه باب من الخير .. فليتهزه، فإنه لا يدري متى	حكيم بن عمير	٣٢٥
من كان له بيت وخادم .. فهو ملك	زيد بن أسلم	٣٤٣

الصفحة	اسم الراوي	طرف الحديث
١٦٨	عبد الله بن مسعود	من كان يأمل أن يعيش غداً.. فإنه يأمل
١٣٦	أبو هريرة	من كنتم علماً يحسنه .. أجمعه الله يوم القيامة بلجام من نار
٢٤٢	عبد الله بن مسعود	من كثر سواد قوم .. فهو منهم
٢٩٩	سالم بن مسرور	من لا يجزيه من العيش ما يكفيه .. لم يجد ما عاش ما يغنيه
٣٥٩	-	من لم يتأدب بأدب الله تعالى .. تقطعت نفسه على الدنيا
١٥١	الحسن البصري	من هانت عليه صلاته .. كانت على الله أهون
١٧٩	-	من هوان الدنيا على الله تعالى .. ألا يعصى إلا فيها
١١٨	عائشة	من قرع عالماً .. فقد قرع ربه عز وجل
٥٢٠	أنس بن مالك	من وقى شر ذنبه ولقلقه وقببه .. فقد وقى
٢٣٨	جابر بن عبد الله	المؤمن ألف مألوف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف
٥٢٥	أبو هريرة	المؤمن غر كريم ، والفاجر خب لثيم
٣٨٤	أنس بن مالك	المؤمن مرآة المؤمن
٤٣٣	-	المؤمن يغبط ، والمنافق يحسد

حرف النون

٥٥٤	أبو أمامة	الناس كشجرة ذات جنى ، ويوشك أن يعودوا كشجرة ذات
١٩٦	-	نبه بالتفكر قلبك ، وجاف عن النوم جنبك
٢١٤	-	نعم المطية الدنيا ، فارتحلوها تبلغكم الآخرة
٣٣٨	-	نعمت العمة لكم النخلة
١٠٠	عبد الله بن عباس	نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة ، والفراغ
٥٨٠	عبد الله بن عباس	نوم الضحى خرق ، والقيلوله خلق ، ونوم العشي حق
٥٨٠	عبد الله بن عباس	نومة الصبحة معجزة ، منفخة ، مكسلة ، مورمة ، مفشلة

حرف الهاء

١٢٢	عبد الله بن عباس	هلا سألوا إذ لم يعلموا ، فإننا شفاء العي السؤال
-----	------------------	---

طرف الحديث	اسم الراوي	الصفحة
همة السفهاء الرواية ، وهمة العلماء الرعاية	-	١٠٤
هن الراسخات في الوحل ، المطعمات في المحل	أبو هريرة	٣٣٨
هون عليك ، فإنها أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد	قيس بن أبي حازم	٣٨٠

حرف الواو

واضع العلم في غير أهله .. كمقلد الخنازير اللؤلؤ والجواهر	أنس بن مالك	١٣٩
وَقَرُوا مِنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ ، وَوَقَرُوا مِنْ تَعَلَّمُونَهُ	عبد الله بن عمر	١٤٤
الولد الوط	-	٢٤٣
الولد مبخله مجهلة ، مجبنة مخزنة	الأسود بن خلف	٢٤٣
ومن زوجك ؟ فقالت : فلان ، فقال لها ، الذي في عينه بياض	-	٥٠٤
وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم إلا حصائد	معاذ بن جبل	٤٤٧
ويل لأفئاع القول ، ويل للمصريين	عبد الله بن عمرو	١٣٢

حرف الياء

يا أبا بكر ؛ إن المصيبة في الدنيا جزاء	مسلم بن الحجاج	١٥٥
يا أبا هريرة ؛ زر غباً تزدد حباً	-	٢٨٦
يا رسول الله ؛ إني أكره الموت ، قال : ألك مال ؟	-	١٨٨
يا رسول الله ؛ أوصني ، فقال النبي ﷺ : اكسب طيباً	سعيد بن مسعود	١٩٧
يا رسول الله ؛ أي الأصحاب خير ؟ قال : الذي إذا ذكرت	الحسن بن علي	٢٨٤
يا رسول الله ؛ أي البقاع خير ، وأي البقاع شر ؟	عبد الله بن عمر	١٢٨
يا رسول الله ؛ أي الناس شر ؟ فقال : العلماء إذا فسدوا	-	١٣٩
يا رسول الله ؛ ما بالنار نرق على أولادنا	عمر بن الخطاب	٢٤٥
يا رسول الله ؛ ما بقي إلا كنفها ، فقال : كلها بقي إلا كنفها	عائشة	١٨٨
يا رسول الله ؛ متى يعرف الإنسان ربه ؟ فقال : إذا عرف نفسه	عائشة	١٣١
يا زبير ؛ أنا رسول الله إليك وإلى غيرك	-	٢٩٥

الصفحة	اسم الراوي	طرف الحديث
٣٥٥	-	يا عباس يا عم النبي ؛ قليل يكفيك .. خير من كثير يردك
٢٥٤	عكاف بن وداعة	يا عكاف ؛ ألك زوجة ؟ قال : لا
٥٢٧	الحسين بن علي	يا علي ؛ اتق دعوة المظلوم ، فإنها يسأل الله تعالى حقه ، وإن الله
٥٢١	-	يا علي ؛ لا تتبع النظرة النظرة ، فإن الأولى لك والثانية عليك
١٤٣	-	يا علي ؛ لأن يهدي الله بك رجلاً .. خير لك مما طلعت عليه
٥٤	-	يا عويمر ؛ ازدد عقلاً .. تزدد من ربك قريباً
١٨٢	-	يا كعب ؛ الناس غاديان ، فقاد نفسه فمعتقها
٤٤٢	معاذ بن جبل	يا معاذ ؛ أنت سالم ما سكت ، فإذا تكلمت فعليك أو لك
١٣٥	جابر بن عبد الله	يبعث العالم والعايد ، فيقال للعايد : ادخل الجنة
٧٦	إبراهيم العذري	يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف
٣١٩	عبد الله بن عمر	اليد العليا خير من اليد السفلى
٣٥٩	أنس بن مالك	يشيب ابن آدم وتشب منه خصلتان : الحرص ، والأمل
٤٥٠	-	يعجبني جمالك ، قال : وما جمال الرجل يا رسول الله ؟
١٩٠	عبد الله بن الشخير	يقول ابن آدم : مالي مالي ، ما لك من مالك إلا ما أكلت
٤٦٤	-	يقول الله تعالى : من لم يرض بقضائي ولم يصبر على بلائي
١٥٤	-	يقول الله تعالى : يا بن آدم ما أنصفتني
٢٤٨	ابن عوف	يقول الله عز وجل : أنا الرحمن وهي الرحم
٤١٥	أنس بن مالك	ينادي منادي يوم القيامة : من له أجر على الله فليقم

فهرس الآثار والأقوال والأخبار

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
٢٤٧	الكندي	الأب رب والولد كمد والأخ فغ والعم غم والخال وبال والأقارب عقارب
٤٨٧	كسرى	أبطأتم بأرزاقيهم ؛ فأخطوا في آرائهم
٢٤٦	-	ابنك : ويحانك سبعا وخادمك سبعا ووزيرك سبعا ثم هو صديق أو عدو
٣٨٤	-	أتحب أن تهدى إليك عيوبك ؟ قال : نعم من ناصح
٤٣٠	الإسكندر	أتحب أن نقبل منك ما تقول فيه على أن نقبل منه ما يقول فيك ؟
٣٧٧	نافع بن جبير	أندرون لم جلست إليكم ؟ قالوا : جلست لتسمع
١٠٢		أنعب قدمك فكم تعب قدمك
٥٠١	عمر بن عبد العزيز	اتقوا المزاح فإنه حمقة تورث ضغينة
١٣٧	الخليل بن أحمد	اجعل تعليمك دراسة لعلمك واجعل مناظرة المتعلم تنبيها على ما ليس عندك
٤٦٥	أبو سليمان الداراني	اجعل ما طلبته من الدنيا فلم تنله مثل ما لم يخطر ببالك ولم تنله
١٠٥	الخليل بن أحمد	اجعل ما في الكتب رأس المال وما في القلب النفقة
٣٠٣	-	أجل النوال ما وصل قبل السؤال
٤٤٥	-	احبس لسانك قبل أن يطيل حبسك أو يتلف نفسك
٤٠٥	-	احتمال السفه أيسر من التحلي بصورته
١٥٥		أحد العذابين الفضيحة في الدنيا والثاني عذاب القبر
١٥٦	عبد الرحمن بن زيد	أحد العذابين مصائبهم في الدنيا في أموالهم وأولادهم
٤٨٥	عبد الله بن الحسن	احذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحا كما تحذر عداوة العاقل إذا كان عدوا
٣٠٥	-	الإحسان رقى والمكافأة عتق
٤٥٦	-	أحسن الكلام ما لا يحتاج فيه إلى الكلام

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
٤٠٣	-	أحسن المكارم عفو المقتدر وجود المقتدر
٩٨	فيثاغورس	احفظ ميزانك من الندى وأوزانك من الصدا
٥٩	علي بن أبي طالب	أخاف عليكم اثنتين : اتباع الهوى وطول الأمل فإن اتباع
٨٤	-	أخبت الناس المساوي بين المحاسن والمساوي
٥٢٣	عبد الله ابن مسعود	آخر ما نزل من القرآن : ﴿وَأَتَقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ...﴾
٢٧٢	عبد الله بن المعتز	إخوان السوء كشجر النار يحرق بعضه بعضاً
٢٧٤	-	الإخوان ثلاث طبقات : طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء
١٣٢	أبو الدرداء	أخوف ما أخاف إذا وقفت بين يدي الله تعالى أن يقول : قد علمت
٣٦٨	-	الأدب أحد المنصبين
٢١٨	-	الأدب أدبان : أدب شريعة وأدب سياسة
٣٦٨	-	الأدب صورة العقل فصور عقلك كيف شئت
٣٦٩	-	الأدب وسيلة إلى كل فضيلة وذريعة إلى كل شريعة
٣٦٩	-	الأدب يستر قبح النسب
٣١٥	-	إذا أحسنت القول .. فأحسن الفعل
٥٦١	علي بن عبيدة	إذا أخذت عفو القلوب .. زكاريك وإن استقصيت .. أكديت
٨٨	الأوزاعي	إذا أراد الله بقوم شراً .. أعطاهم الجدل ومنعهم العمل
٧٩	-	إذا أراد الله تعالى بالناس خيراً .. جعل العلم في ملوكهم
٦٥	العباس بن عبد المطلب	إذا اشتبه عليك أمران .. فدع أحبهما إليك وخذ أثقلهما عليك
١٠٢	-	إذا اشتد الكلف .. هانت الكلف
٤٨٩	-	إذا أشكلت عليك الأمور وتغير لك الجمهور .. فارجع إلى رأي العقلاء
٣٢٦	-	إذا اصطنعت المعروف .. فاستره وإذا اصطنع إليك .. فانشره
١٤٠	عمر بن الخطاب	إذا أنا لم أعلم ما لم أر .. فلا علمت ما رأيت
١٢٩	عبد الله بن عباس	إذا ترك العالم قول لا أدري .. أصيب مقتله

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
إذا تم العقل .. نقص الكلام	ابن المعتز	٤٤٩
إذا رغب الملك عن العدل .. رغب الرعية عن الطاعة	أردشير بن بابك	٢٢٨
إذا سكت عن الجاهل .. فقد أوسعته جواباً وأوجعته عقاباً	-	٤٠٨
إذا ضحك العالم ضحكة .. مج من العلم حجة	علي بن أبي طالب	٥٠٧
إذا طلب رجلان أمراً .. ظفر به أعظمهما مروءة	صالح اللخمي	٥١٦
إذا طلبت العز .. فاطلبه بالطاعة وإذا طلبت الغنى .. فاطلبه بالقناعة	-	٣٦٠
إذا عصتك نفسك فيها كرهت .. فلا تطعمها فيها أحبت	عون بن عبد الله	٣٧٤
إذا عقلك عقلك عما لا ينبغي .. فأنت عاقل	عامر بن عبد قيس	٤٤
إذا علمت .. فلا تفكر في كثرة من دونك من الجهال	-	١٢٦
إذا غضب القائم .. فليجلس وإذا غضب الجالس .. فليقم	-	٤١٤
إذا فرغت من أمر دينك .. فانصب في عبادة ربك	مجاهد	٢١٣
إذا فقد العالم الذهن .. قل على الأضداد احتجاجة وكثر إلى الكتب احتياجه	-	١٠٢
إذا قعدت وأنت صغير حيث تحب .. قعدت وأنت كبير حيث لا تحب	-	١١٨
إذا كان الإيجاز كافياً .. كان الإكثار عيلاً وإذا كان الإكثار واجباً .. كان التقصير عجزاً	جعفر بن يحيى	٤٤٩
إذا كان الحلم مفسدة .. كان العفو معجزة	المنصور	٤٠٩
إذا كان من قواعد الحكمة بذل ما ينقصه البذل ..	-	١٣٦
إذا كنت بطلاً .. فعدك زمناً	علي بن أبي طالب	٥٧٠
إذا لم أعط إلا مستحقاً .. فكأنني أعطيت غريباً	الحسن بن سهل	٣٠٨
إذا لم تجد اللفظة واقعة موقعها ولا صائرة إلى مستقرها	بشر بن المعتمر	٤٥٣
إذا لم يساعدنا القضاء .. ساعدناه	أردشير بن بابك	٤٣٧
إذا لم يكن جد .. فقيم الكد ؟ وإذا لم يكن للأمر دوام .. فقيم السرور ؟	بزرجمهر	٤٧٠
إذا مازحت عدوك .. ظهرت عيوبك	-	٥٠٧
أذل من اللئيم وأقل من البخيل نائله	-	٣١٢

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
٥٧٨	إياس بن معاوية	أراك لا تبالي ما لبست ؟ قال : ألبس ثوباً أقي به نفسي أحب إلي
١٣٩	-	ارث لروضة توسطها خنزير وإبك لعلم حواه شرير
٣٨٠	ابن مسعود	ارجعوا فإنها ذلة للتابع وفتنة للمتبوع
٤١٥	عمر بن عبد العزيز	أردت أن يستفزني الشيطان بعز السلطان فأنال منك اليوم ما تناله مني غداً
١٩٦	أبو ذر الغفاري	ارض بالقوت وخف القوت واجعل صومك الدنيا
٢٩٠	ابن أبي شبيب	الأريب العاقل هو الفطن المتغافل
٨٢	-	أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال : كفى بترك العلم إضاعة
٣٦١	مالك بن دينار	أزهذ الناس في الدنيا من لم تتجاوز رغبته من الدنيا بلغته
٢٦٧	-	اسبر تحبر
٥٣٦	-	استر ماء وجهك بالقناعة وتسلم عن الدنيا لتجافها عن الكرام
٤٨٤ - ٤٨٨	علي بن أبي طالب	الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه
٥٢٥	ابن المقفع	الاستطالة لسان الجهالة
٢١١	-	استغناؤك عن الشيء خير من استغناءك به
١٩٤	-	استغنم تنفس الأجل وإمكان العمل واقطع ذكر المعاذير والعلل
٤٣٩	عبد الحميد	أسد تقاربه خير من حسود تراقبه
٣٢٨	ابن سيرين	اسكت فلا خير في المعروف إذا أحصي
٢٢٦	الإسكندر	لم صارت سنن بلادكم قليلة ؟ قالوا : لإعطائنا الحق من أنفسنا
٣٨٠	-	اسمان متضادان بمعنى واحد التواضع والشرف
٤٠٥	-	أسمع رجل ابن هيرة فأعرض عنه فقال له الرجل : إياك أعني فقال : وعنك أعرض
٣٢٠	ابن سيرين	اشتدت علي مؤنته فبعته
١٩٨	-	أصاب الدنيا من حذرها وأصاب الدنيا من أمنها
١٦٠	علي بن أبي طالب	اصبروا عباد الله على عمل لا غناء بكم عن ثوابه
٢٢٥	عبد الرحمن بن محمد	أصدق طلحة بن عبيد الله أم كلثوم بنت أبي بكر مئة ألف درهم

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
اصطف من الإخوان ذا الدين والحسب والرأي والأدب ؛ فإنهم ردة لك	-	٢٧١
أصل الرجل عقله وحسبه دينه ومروءته خلقه	عمر بن الخطاب	٤١
أصل العلم الرغبة وثمرته السعادة وأصل الزهد الرهبة	-	٨٩
أصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعاً لك	الخليل بن أحمد	٥٨٤
اصنع الخير عند إمكانه يبق لك حمده عند زوال أيامه وأحسن والدولة لك	-	٥٤٤
الأضداد لا تتفق والأشكال لا تفرق	-	٢٦٣
أضعف الحيلة خير من أقوى الشدة وأقل التآني خير من أكثر العجلة	-	٤٩٢
اطرح كواذب آمالك وكن وارث مالك	عبد الحميد	٣٥٤
أطع من فوقك يطعك من دونك	-	٢٢٨
الإعجاب ضد الصواب وآفة الألباب	علي بن أبي طالب	٣٧٨
إعجام الخط يمنع من استعجابه وشكله يؤمن من إشكاله	-	١١٣
أعجز الناس من قصر في طلب الإخوان وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم	خالد بن صفوان	٢٦١
أعداؤك داؤك وفي البعد منهم شفاؤك	-	٥٥٥
أعدك اليوم وأحبوك غداً بالإنجاز لتذوق حلاوة الأمل وأتزين بثوب الوفاء	الفضل بن سهل	٣١٥
اعرف أخاك بأخيه قبلك	-	٢٦٨
اعرف الرجل من فعله لا من كلامه واعرف محبته من عينه لا من لسانه	-	٢٦٧
أعز العز الامتناع عن ملك الهوى	-	٦٢
اعقل لسانك إلا عن حق توضحه أو باطل تدحضه أو حكمة تنشرها	-	٤٤٣
اعلم أنك أول خليفة يموت	ابن السهاك	١٩٤
اعمل عمل المرتحل ؛ فإن حادي الموت يحذوك ليوم ليس يعدوك	-	١٩٥
اعملوا لاخرتكم من هذه الأيام التي تسير كأنها تطير	-	٢٠٠
اغد عالماً أو متعلماً أو مستمعاً أو محباً ولا تكن الخامسة فتهلك	علي بن أبي طالب	٨٤
إفراط العقل مضر بالجد	-	٥٢

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
أفضل الجهاد جهاد الهوى	الحسن البصري	٦٢
أفضل الذخائر أخ وفي	-	٢٦١
أفضل الزهد إخفاء الزهد	عبد الله بن المبارك	١٧٣
أفضل العدة الصبر على الشدة	عبد الله بن عباس	٤٦٢
أفضل الناس من عصى هواه وأفضل منه من رفض دنياه	-	٦٠
أفضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه ولم تزل الشبهة يقينه	-	١٦١
أقبل نصيح الشيب وإن عجل	ابن المعتز	٢٠١
اقتصد في مزاحك فإن الإفراط فيه يذهب البهاء ويجري عليك السفهاء	سعيد بن العاص	٥٠٣
اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها فإنها طلاعة تنزع إلى شر غاية	عمر بن الخطاب	٥٩
أقرب الأشياء صرعة الظلوم وأنفذ السهام دعوة المظلوم	-	٢٢٧
أقرب ما يكون العبد من غضب الله تعالى إذا غضب	أبو الدرداء	٤١١
أقل ما يجب للمنعّم بحق نعمته ألا يتوصل بها إلى معصيته	المهدي	٥٦٤
أقلل طعامك تجد الصحة	-	٥٧٠
أقلل طعامك تحمد مناماً	-	٥٧٠
أقيموه في الشمس واضربوا ظله الحد	علي بن أبي طالب	٥٠٤
أكبر الدواء تقدير الغذاء	-	٥٧٠
أكرم الشيم أرعاها للذمم	-	٤٠٧
أكرموا سفهاءكم فإنهم يكفونكم العار والشنار	عمرو بن العاص	٤١٠
أكمل الراحة ما كانت عن كد التعب وأعز العلم ما كان عن ذل الطلب	-	١٠٣
ألا أخبركم بأدواء الداء ؟ قالوا : بلى قال : الخلق الدني واللسان البذي	الأحنف بن قيس	٣٨٦
ألا تتزوج ؟ فقال : إنما نحب التكثر في دار البقاء	عيسى ابن مريم	١٨٦
ألا توصي ؟ قال : بماذا أوصي ؟ والله ما لنا شيء وما لنا عند أحد شيء	-	١٨٦
أما البيت فحسن وأما الساكن فرديء	-	٢٦٩

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
أما أنا فلم أر أقواماً أمثل طريقة في البلاغة من الكتاب	الجاحظ	٤٥٣
أما تشيع من هذه العلوم ؟ فقال : استفرغنا فيها المجهود	-	٧٤
أما تمنع هؤلاء الغلمان ؟ فقال أنوشروان : إنما يهابنا أعداؤنا	أنوشروان	٥٧٩
أمره بمشاورتهم تألفاً لهم وتطبيعاً لأنفسهم ، في قوله تعالى : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾	قتادة	٤٨٣
أمره بمشاورتهم لما علم فيها من الفضل ، في قوله تعالى : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾	الضحاك	٤٨٣
أمرهم بمشاورتهم ليستن به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون	الحسن البصري	٤٨٣
أمس أجل واليوم عمل وغداً أمل	الحسن البصري	١٩٩
امش وراء الأسد ولا تمش وراء المرأة	-	٢٥٢
الأمل حجاب الأجل	-	١٩٧
الأمل كالسراب غر من رآه وخاب من رجاه	-	١٦٩
الأمن أهنأ عيش والعدل أقوى جيش	-	٢٣١
الإمهال رائد الإهمال	-	١٦٩
أن أبا أيوب الكاتب حبس في السجن خمس عشرة سنة حتى ضاقت حيلته	-	٤٨١
أن أبا حازم الأعرج أخبر سليمان بن عبد الملك	-	١٦٧
أن إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام قال : يا رب حتى متى أتردد في طلب الدنيا	مقاتل	٢١٤
إن أحبيت ألا تغتم فلا تقتن شيئاً	أنوشروان	٤٦٩
إن استطعت أن تدع مما أحل الله لك ما يكون حاجزاً بينك وبين الحرام .. فافعل	عمر بن عبد العزيز	٣٤٤
أن أعرابياً أتى ابن أبي ذئب فسأله عن مسألة طلاق فأفتاه	-	١٣٤
أن أعرابية دخلت من البادية فسمعت صوارخ في الدار فقالت : ما هذا ؟	-	٤٧٨
إن أقرب الدعوات من الإجابة دعوة السلطان العادل الصالح	-	٢٢٠
أن الإسكندر لما أراد الخروج إلى أقاصي الأرض قال لأرسطاطاليس : اخرج معي	الإسكندر	٣٤١
إن الحاجة إذا لم يتقدمها وعد ينتظر صاحبها نجحها	يحيى بن خالد	٣١٥
أن الحاجاج أتى يقوم من الخوارج	-	٣٣٢

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
٤٥٧	ابن القرية	إن الحجاج قال لأعرابي أخطيب أنا ؟ قال : نعم لولا أنك تكثر الرد
١٧٩	الخضر	أن الخضر قال لموسى عليهما السلام : يا موسى ؛ اعزف عن الدنيا وانبذها وراءك
١١٢	-	إن الخط الحسن ليزيد الحق وضوحاً
٥٧	-	إن الدنيا ربما أقبلت على الجاهل بالاتفاق وأدبرت
٢٠٢	أبو حازم	إن الدنيا غرت أقواماً فعملوا فيها بغير الحق ففاجأهم الموت
١٧٨	-	إن الدنيا لا تصفو لشارب ولا تفي لصاحب
٢٥٩	-	إن الرجل إذا أكره المرأة وهي مذعورة ثم أذكرت أنجبت
٤٥٥	عبد الله بن مسعود	إن الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج وما معه دينه
٤٧١	-	أن الرشيد حبس رجلاً ثم سأل عنه بعد زمان فقال للموكل به : قل له كل يوم
٤٦٠	الأصمعي	أن الرشيد سأل عن أنساب بعض العرب فقال على الخير سقطت يا أمير المؤمنين
٥٣	-	إن العاقل من عقله في إرشاد ومن رأيه في إمداد فقوله شديد
٢٢٦	-	إن العدل ميزان الله تعالى الذي وضعه للمخلق ونصبه للحق فلا تخالفه في ميزانه
٥٠٦	الزبير بن بكار	أن القشيري وقف عليه شيخ من الأعراب فقال يا أعرابي ممن أنت ؟
٢٢٤	عمر بن الخطاب	إن الله تعالى إذا أحب عبداً حبه إلى خلقه فاعرف منزلتك من الله
٦٦	مالك بن دينار	أن الله تعالى أوحى إلى عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام : عظ نفسك
٤٣٠	-	أن الله تعالى أوحى إلى موسى عليه الصلاة والسلام إن في بلدك ساعياً
٢٤٣	محمد بن علي	إن الله تعالى رضي الآباء للأبناء فحذرهم ففتنتهم ولم يوصهم بهم
٤٠٤	قنادة وسعيد بن جبير	إن الله تعالى سمى عيسى عليه السلام سيداً لحلمه
٢٢٨	-	إن الله تعالى لا يرضى عن خلقه إلا بتأدية حقه وحقه شكر النعمة ونصح الأمة
٣٦٧	علي بن أبي طالب	إن الله جعل مكارم الأخلاق ومحاسنها وصلأ بينه وبينكم
٤١٥	رجاء بن حيوة	إن الله عز وجل قد أعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو
١٧١	سفيان بن عيينة	﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ أن العدل استواء السريرة والعلانية في العمل لله تعالى
٢٠٠	عمر بن عبد العزيز	إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيها

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
إن المشاورة والمناظرة بابا رحمة ومفتاحا بركة لا يضل معها رأي	عمر بن عبد العزيز	٤٨٤
إن أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين نظروا إلى باطن الدنيا	عيسى ابن مريم	٢٠١
أن بعض العلماء رأى رجلاً يكثر الكلام ويقل السكوت	-	٤٤٦
أن بعض كتاب الدواوين حاسب عاملاً فشكا العامل منه إلى عبيد الله بن سليمان	قدامة بن جعفر	١١٢
أن بعض ملوك الفرس كتب كتاباً ودفعه إلى وزيره وقال له : إذا غضبت فتناولنيه	-	٤١٣
إن بقاءك إلى فناء وفناءك إلى بقاء فخذ من فناءك الذي لا يبقى	الحسن	١٩٣
أن تلميذاً سأل عالماً عن بعض العلوم فلم يفده فقليل له : لم منعه ؟	-	١٣٩
أن جبريل عليه السلام نزل على النبي ﷺ فقال : يا محمد إني أتيتك بمكارم الأخلاق	عمود الهلالي	٤٠١
أن رجلاً أسر إلى صديق حديثاً ثم قال له أفهمت ؟ قال : بل جهلت	-	٤٩٩
أن رجلاً سائر بعض الولاة فقال : ما أهزل برذونك !! فقال : يده مع أيدينا	-	٣٠٤
أن رجلاً شاور حكيماً في التزويج فقال : افعل وإياك والجمال البارع	-	٢٥١
أن رجلاً قال لضرار بن القعقاع : والله لو قلت واحدة لسمعت عشرأ	-	٤٠٦
أن رجلاً قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام : إني أحبك وأحب معاوية	علي بن أبي طالب	٢٥٧
أن رجلاً قال وأعرابي حاضر : ما أشد وجع الضرس !!	-	٢٣٢
أن رجلاً من قريش كان إذا اتسع لبس أرث ثيابه وإذا أضاق لبس أحسنها	-	٥٧٧
أن زاهداً نظر إلى رجل في وجهه سجادة كبيرة	-	١٧٣
أن سلمان قال لعلي بن أبي طالب : ما الذي يباعدني من غضب الله ؟	-	٤١١
أن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام مر بعصفور يدور حول عصفورة	سليمان بن داود	٤٥٦
أن طارقاً صاحب شرطة خالد بن عبد الله القسري مر بابن شبرمة	أبو فروة	٦٦
أن طاهر بن الحسين قال لأبي عبد الله المروزي : منذ كم صرت إلى العراق	-	١٧٢
أن عبد الملك بن مروان قال للشعبي كم عطاءك ؟ قال : ألفين قال : لحن	عبد الملك بن مروان	١٤١
أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود باع داراً بشمانين ألف درهم	-	١٨٨
أن علي بن أبي طالب قال لعامر بن مرة الزهري : من أحق الناس ؟	-	٤٠٦

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
٤٧	عمر بن الخطاب	أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير
٥٦٢	ابن أبي عون	أن عمرو بن عبيد اشترى للحسن البصري إزاراً بستة دراهم ونصف
١٨٩	أبو حازم	إن عوفينا من شر ما أعطينا لم يضرنا فقد ما زوي عنا
٥٥١	ابن أبي عون	أن غلاماً هاشمياً عربيد على قوم فأراد عمه أن يسيء به
٤٢٥	عمر بن الخطاب	إن في المعاريض ما يكفي أن يعف الرجل عن الكذب
١٧٤	-	أن قوماً أرادوا سفراً فحادوا عن الطريق
٣٤٥	بزرجمهر	إن كان شيء فوق الحياة فالصحة
٤١٤	أبرويز	إن كلمة منك تسفك دماً وإن أخرى منك تحقن دماً
٤٦٥	علي بن أبي طالب	إن كنت تجزع على ما فات من يدك ؛ فاجزع على ما لم يصل إليك
٤٠٣	الشعبي	إن كنت كما قلت ، فغفر الله لي وإن لم أكن كما قلت ؛ فغفر الله لك
١٩٣	-	إن للباقي بالماضي معتبراً وللآخر بالأول مزدجراً والسعيد لا يركن إلى الخدع
١٦٤	ابن السماك	إن الله فيما مضى ما أعظم فيه الخطر !! وإن الله فيما بقي ما أقل منه الحذر !!
١٠٦	-	إن لهذه القلوب تنافراً كتنافر الوحش فتألفوها بالاقتصاد في التعليم
٣٧٦	-	أن مطرف بن عبد الله بن الشخير نظر إلى المهلب بن أبي صفرة وعليه حلة يسحبها
٥٢٠	عمر بن الخطاب	أن معاوية سأل عمر عن المروءة فقال : تقوى الله وصلة الرحم
٧٨	-	إن من الشريعة أن تجل أهل الشريعة
٤٤٨	سليمان بن عبد الملك	إن من تكلم فأحسن قدر أن يسكت فيحسن
٢٧٢	-	إن من خير الاختيار صحبة الأخيار ومن شر الاختيار صحبة الأشرار
١٧٤	-	إن من خير الاختيار صحبة الأخيار ومن شر الاختيار مودة الأشرار
٣٦٠	-	إن من قنع كان غنياً وإن كان مقترراً
٥١٨	-	أن موسى بن عمران عليه السلام دعا على قوم بالعذاب
١٠٥	-	إن هذه الآداب نوافر تند عن عقل الأذهان فاجعلوا الكتب عليها حمأة
٣٥٤	-	أن هشام بن عبد الملك لما ثقل بكى عليه ولده فقال لهم جاد لكم هشام

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
٢٥٩	-	إن ولد الغيرى لا ينجب وإن أنجب النساء الفروك
٢٣٢	-	أن يعقوب قال ليوסף عليه الصلاة والسلام حين لقيه أي شيء كان خبرك بعدي
١٦٥	بزرجمهر	إن يكن الشغل مجهداً فإن الفراغ مفسدة
٥١٣	-	أن يوسف عليه السلام شكاً إلى الله تعالى طول الحبس
١٦٠	ابن ضبارة	إننا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة الله أهون من الصبر على عذاب الله تعالى
٤٤٧	عبد الله بن مسعود	أنذركم فضول المنطق
١٧٩	الحسن البصري	انظر إلى الدنيا نظر الزاهد المفارق ولا تتأملها تأمل العاشق الوامق
٥٣٣	-	انظر إليهم حسناتهم من سيئاتهم
٣١٩	-	انظر من كان منهم ليس رزقه على الله تعالى
٤٩٦	ابن المعتز	انفرد بسرك ولا تودعه حازماً فيزل ولا جاهلاً فيخون
٤٦٤	علي بن أبي طالب	إنك إن صبرت جرى عليك القلم وأنت مأجور
١٨٧	أبو حازم	إنك مسكين فقال : كيف أكون مسكيناً ومولاي له ما في السماوات وما في الأرض
٥٠١	-	إنما المزاح سباب إلا أن صاحبه يضحك
١٩٠	أبو حازم	إنما بيني وبين الملوك يوم واحد أما أمس فلا يجدون لذته وأنا وهم من غد على وجل
١٣٢	علي بن أبي طالب	إنما زهد الناس في طلب العلم لما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم
٢٦٢	ثعلب	إنما سمي الخليل خليلاً لأن محبته تتخلل القلب فلا تدع فيه خللاً إلا ملأته
٢٦٢	ابن المعتز	إنما سمي الصديق صديقاً لصدقه والعدو عدواً لعدوه عليك
٥٠١	عمر بن الخطاب	إنما سمي المزاح مزاحاً لأنه يزيع عن الحق
٦٠	الشعبي	إنما سمي الهوى هوىً لأنه يهوى بصاحبه
٣٥٤	أبو ذر الغفاري	إنما مالك لك أو للوراث أو للجائحة فلا تكن أشقى الثلاثة
٢٦٧	-	إنما نفقت عند إخواني لأنني لم أستعمل معهم النفاق ولا قصرت بهم عن الاستحقاق
٢٣٢	-	إنما يعرف قدر النعمة بمقاساة ضدها
٥٢٤	إبراهيم النخعي	إنما يهلك الناس بفضول الكلام وفضول المال

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
إنه لم يخالطها رياء	الأحف بن قيس	١٧٣
إنه يكون مصروفاً إلى الزهاد	-	٥٤
أنى لك هذا العلم ؟ قال : لم أرغب عن قليل أستفيده	شريك	١٣٠
إني أخاف الله فيما تقلدت فقال : لست أخاف عليك أن تخاف	عمر بن عبد العزيز	٢٢٤
إني أخاف الموت وأكرهه فقال : إنك خلفت مالك ولو قدمته لسرك اللحاق به	الحسن البصري	٣٥٥
إني دخلت البارحة في الأربعين وأنا أستحي من سني	-	٣٩٩
إني لأحسدك على ما أرى من صبرك على الخصوم	-	٤٣٣
إني لأفرح بإفادتي المتعلم أكثر من فرحي باستفادتي من المعلم	خالد بن صفوان	١٣٦
إني وجدت خير الدنيا والآخرة في خصلتين وشر الدنيا والآخرة في خصلتين	أبو صالح الأسدي	٢٣٣
إني وجدت حلوة الرضاع مرة الفطام	عمار بن ياسر	٣٨٩
أهل الذنوب مرضى القلوب	-	١٦١
أوحى الله تعالى إلى الدنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه	عيسى ابن مريم	١٨٤
أوحى الله تعالى إلى نبي من أنبيائه : أما زهدك في الدنيا فقد استعجلت به الراحة	ابن عباس	١٦٣
أوصيك أن تخشى الله في الناس ولا تخشى الناس في الله	عمر بن الخطاب	٢٢٤
أول عوض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره	علي بن أبي طالب	٤٠٢
أول من كتب لإدريس عليه السلام	ابن قتيبة	١٠٧
أول من كتب آدم عليه السلام كتب سائر الكتب قبل موته بثلاث	كعب الأحبار	١٠٧
أول من كتب بالعربية مرامر بن مروة من أهل الأنبار	ابن قتيبة	١٠٨
أول من كتب بها آدم عليه السلام ثم وجدها بعد الطوفان إسما عيل	كعب الأحبار	١٠٨
أول من كتب بها قوم من الأزدي الأوائل أسماؤهم أبجد	عروة بن الزبير	١٠٨
أول من كتب بها مرامر بن مروة وأسلم بن سدره وعامر بن جذرة	المدايني	١٠٨
أول من كتب بها ووضعها إسما عيل عليه السلام على لفظه ومنطقه	عبد الله بن عباس	١٠٨
أولها عناء وآخرها فناء حلالها حساب وحرامها عقاب	علي بن أبي طالب	١٧٩

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
أي إخوانك أحب إليك ؟ قال : من غفر زلي وقطع علي وبلغني أمني	خالد بن صفوان	٢٨٨
أي الأشياء خير للمرء ؟ قال : عقل يعيش به قال : فإن لم يكن ؟	أنوشروان	٥٦
أي الناس أحب إليك ؟ قال : صديق يحبني إلى الناس	معاوية بن أبي سفيان	٢٦٦
أي شيء من أفعال الناس يشبه أفعال الإله ؟ قال : الإحسان إلى الناس	-	٥٤٨
أي عالم لا يهفو وصارم لا يشبو وجواد لا يكبو	-	٢٨٧
أي عيش يطيب وليس للموت طيب	-	١٩٣
إياك والحنانة والمناة والأناة فالحنانة التي تمن إلى زوج كان لها	-	٢٥٦
إياك والمنى فإنها من بضائع النوكى وتثبط عن الآخرة والأولى	علي بن أبي طالب	٢٠٢
إياك وعزة الطلب فإنها تفضي بك إلى ذل العذر	عمرو بن العاص	٤١٤
إياك ومخالطة النساء فإن لحظ المرأة سهم ولفظها سم	-	٢٥٢
إياك ومشاورة رجلين : شاب معجب بنفسه قليل التجارب في غيره	أبرويز	٤٨٥
إياك ومفارقة الاعتدال ؛ فإن المسرف مثل المقصر في الخروج عن الحد	-	١١٤
إياكم والخلوات ؛ فإنها تفسد العقول وتعقد المحلول	-	١٦٥
إياكم والنظرة بعد النظرة ؛ فإنها تزرع في القلب شهوة وكفى بها لصاحبها فتنة	عيسى عليه السلام	٥٢١
إياكم وتحكيم الشهوات على أنفسكم ؛ فإن عاجلها ذميم وآجلها وخيم	علي بن أبي طالب	٦٢
إياكم ولبستين ؛ لبسة مشهورة ولبسة محقورة	عمر بن الخطاب	٥٧٧
الأيام تهتك لك عن الأستار الكامنة	-	٤٨٦
الأيام صحائف أعمالكم فخلدوها أجل أفعالكم	أفريدون	٢٠١
آية العقل سرعة الفهم وغايته إصابة الوهم	-	٤٩
الإيجاز أن تقول فلا تبطئ وأن تصيب فلا تحطئ	القبصري	٤٥٢
أيما أفضل المال أم العلم ؟ فقال : الجواب عن هذا أيما أفضل المال أم العقل ؟	-	٨٠
أيمن تذهب الأرواح إذا فارقت الأجساد ؟ فقال : أين تذهب نار المصابيح	عبد الله بن عباس	٥٠
أيما الملك ؛ عليك بالاعتدال في كل الأمور فإن الزيادة عيب والنقصان عجز	-	٥١

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
١٩٣	علي بن أبي طالب	أيها الناس ؛ اتقوا الله الذي إن قلتم سمع وإن ضربتم علم
١٧٣	عمر بن الخطاب	أيها الناس إني قد मिलت بين أن أخافكم في الله تعالى وبين أن أخاف الله فيكم
٣٧٠	-	بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال وتفرق البال
٥٥٢	-	باعترالك الشر يعتزلك وبحسن النصفة يكثر الواصلون
٣٠٥	-	بالإحسان يرتبط الإنسان
٥٥٣	علي بن أبي طالب	بالسيرة العادلة يقهر المعادي
٤٦٢	-	بالصبر على مواقع الكره تدرك الحظوظ
٢٢٦	-	بالعدل والإنصاف تكون مدة الائتلاف
١٦٠	المسيح عليه السلام	بالمكيال الذي تكيلون يكال لكم
١٩٠	خالد بن صفوان	بت ليلة أتمنى فكبست البحر الأخضر بالذهب الأحمر
٤٨٧	-	بترداد الفكر ينجاب لك العمى
٩٤	-	بترك ما لا يعينك يتم لك ما يعينك
٤٦٧	عيسى بن مسكين	بحسن التأي تسهل المطالب
٢٦٣	-	بحسن تشاكل الإخوان يثبت التواصل
٢٩٧	علي بن أبي طالب	البخل جلباب المسكنة
٢٩٨	-	البخيل حارس نعمته وخازن ورثته
٢٩٨	-	البخيل ليس له خليل
٥٤٤	أبو بكر الخوارزمي	بذل الجاه أحد الجبائين
١٦٥	عيسى ابن مريم	البر ثلاثة : المنطق والنظر والصمت
٥٧٧	عبد الله بن عمر	البس من الثياب ما لا يزدريك فيه العظماء ولا يعيبه عليك العلماء
٥٧٨	-	البس من الثياب ما يخدمك ولا يستخدمك
٢٤٦	عمر بن الخطاب	بشر عمر بن الخطاب رضي الله عنه بمولود فقال : ريحانة أشمها
٢٠٢	-	بطول الأمل تقسو القلوب وبإخلاص النية تقل الذنوب

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
البعيد قريب بمودته والقريب بعيد بعداوته	-	٢٤٧
بكم تعمل معي ؟ قال : بطعامي فقال له : أحسن قليلاً	-	٥٠٤
البلاغة قلة الحصر والجراءة على البشر	ابن المقفع	٤٥٢
بلغ فداء أهل بدر أربعة آلاف درهم حتى إن الرجل ليفادى به على أن يعلم الخط	عكرمة	١٠٧
بلوا أرحامكم بالحقوق ولا تحفوها بالعقوق	-	٢٤٨
بم أدركت هذا العلم ؟ قال : كنت إذا لقيت عالماً أخذت منه وأعطيته	الخليل بن أحمد	١٣٠
بم نلت هذا العلم ؟ بلسان سؤال وقلب عقول	عبد الله بن عباس	١٢٣
بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليت الأمور	-	٤٦٨
البيان في اللسان والبنان	عبد الحميد	١٠٩
التارك للإخوان متروك	-	٢٧٧
التبسم دعابة	عمر بن الخطاب	٥٠٨
التثبت نصف العفو	-	٥٥١
التجارب ليست لها غاية والعاقول منها في زيادة	-	٤٨٦
التجربة مرآة العقل والغرة ثمرة الجهل	-	٤٥
تجنبوا المنى فإنها تذهب بهجة ما خولتم وتستصغرون نعمة الله تعالى عندكم	-	٥١٧
ترك التلبس بالدنيا قبل التثبت بها أهون من رفضها بعد ملابتها	-	١٩١
ترك زيد بن حارثة مئة ألف درهم قال : لكنها لا تتركه	عبد الله بن عمر	١٨٩
تصدقوا علينا بما لا يتعب ضرراً ولا يسقم نفساً	-	٧٣
تعز عن الشيء إذا منعته لقلة ما يصحبك إذا أعطيته	-	١٩٠
تعلم العلم فإن يكن لك مال ؛ كان لك جالاً	مصعب بن الزبير	٧١
تعلم العلم ؛ فإنه يقومك ويسدك صغيراً ويقدمك	-	٧٢
التعلم في الصغر كالنقش في الحجر فقال الأحنف الكبير أكثر عقلاً	-	٩٣
تعلمنا العلم لغير الله فأبى أن يكون إلا الله	سفيان الثوري	١٣٨

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
١٢٥	عمر بن الخطاب	تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون
١٨٢	عيسى ابن مريم	تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل
٩٤	-	تفقهوا قبل أن تسودوا
٢٨٨	-	تناس مساوئ الإخوان يدم لك ودهم
٣٨٥	مصعب بن الزبير	التواضع أحد مصائد الشرف
٣٨٠	ابن السكك	تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك
٥٤٩	زيد بن ثابت	ثلاث خصال لا تجتمع إلا في كريم : حسن المحضر واحتمال الزلة وقلة الملل
٤٠٩	لقمان الحكيم	ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن ؛ لا يعرف الجواد إلا في العسرة
١٣٣	-	ثمرة العلم العمل به وثمرة العمل به أن يؤجر عليه
١٣٣	-	ثمرة العلوم العمل بالمعلوم
١٦٨	-	الجاهل يعتمد على أمله والعامل يعتمد على عمله
٨١	-	جهل الشباب معذور وعلمه محذور
٨٣	بزرجمهر	الجهل في القلب كالنز في الأرض يفسد ما حوله
٢٩٦	-	جود الرجل يحببه إلى أصداده وبخله يبغضه إلى أولاده
٢٩٦	علي بن أبي طالب	الجود حارس الأعراض
٣٠٢	-	الجود غاية الزهد والزهد غاية الجود
٥٥	-	الحاجة إلى العقل أقبح من الحاجة إلى المال
٤٣٩	معاوية بن أبي سفيان	حاسد النعمة لا يرضيه إلا زواها
٤٣٩	عبد الله بن المعتز	الحاسد مغتاز على من لا ذنب له بخيل بما لا يملكه طالب لما لا يجده
٣٥٨	المأمون	الحرص مفسدة للدين والمروءة
١٠٣	-	حرف في قلبك خير من ألف في كتبك
٣٥٨	-	الحريص أسير مهانة لا يفك أسرته
٣٩١	-	الحزن كالداء المخزون في فؤاد المحزون

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
الحسد أول ذنب عصي الله تعالى به في السماء	ابن عيينة	٤٣١
الحسد داء الجسد	ابن المعتز	٤٣٨
حسن الخط إحدى الفصاحتين	-	١٠٩
حسن الخط لسان اليد وبهجة الضمير	علي بن عبيدة	١٠٩
الحسن الخلق من نفسه في راحة والناس منه في سلامة	عبيد الله بن أبي جعفر	٣٨٦
حسن الصورة أول السعادة	عائشة	٢٥١
الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة	الحسن البصري	٣٥٠
الحسنة في الدنيا المال وفي الآخرة الجنة	السدي	٣٥٠
الحسود لا يسود	-	٤٣٨
الحسود من الهم كساقى السم فإذا سرى سمه سري عنه همه	عبد الحميد	٤٣٤
الحصر خير من الهذر لأن الحصر يضعف الحجة والهذر يتلف المهجة	-	٤٤٧
الحفدة إنهم بنوا امرأة الرجل من غيره	عبد الله بن عباس	٢٤٩
الحفدة هم أصحاب الرجل على بناته	عبد الله بن مسعود	٢٤٩
الحفدة هم ولد الرجل وولد ولده	عبد الله بن عباس	٢٤٩
حفر الربيع بن خثيم في داره قبراً فكان إذا وجد من قلبه قسوة جاء فاضطجع	الربيع بن خثيم	٢٠٤
حق الصديق أن تحتمل له ثلاثاً ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة	-	٥٥٠
حق الوالد أعظم وبر الوالدة ألزم	الحسن البصري	٢٤٤
حكى الأصمعي: أن أعرابياً قال لابنه: يا بني؛ الأدب دعامة أيد الله بها الأبواب	الأصمعي	٣٦٨
الطبيب إنما يداوي المرضى	عيسى ابن مريم	٥٣١
الحلال لا يحتمل السرف	بشر بن الحارث	٣٠١
الحلم حجاب الآفات	-	٤٠٧
حلية المرء كثرة إخوانه	-	٢٧٥
حياة الوجه بحيائه كما أن حياة الغرس بئائه	-	٣٩٥

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
خدمك بنوك ؟ قال : أغناي الله عنهم	عمر بن الخطاب	٥٣٧
الخرس خير من الكذب وصدق اللسان أول السعادة	-	٤١٨
الخط أحد اللسانين وحسنه إحدى الفصاحتين	-	١٠٧
الخط أصيل في الروح وإن ظهر بحواس الجسد	-	١٠٧
الخط سمط الحكمة به تفصل شذورها وينظم منشورها	جعفر بن يحيى	١٠٧
الخط هندسة روحانية وإن ظهر بألة جسدانية	-	١٠٧
الخطأ في إعطاء ما لا ينبغي ومنع ما ينبغي واحد	سقراط	٣٠١
خطب رجل من عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يتيمة كانت عنده	-	٢٥٤
الخطوط المعجمة كالبرود المعلمة	الثوري	١١٣
خمس خذوهن عني فلو ركبتن فيهن الفلك ما وجدتموهن	علي بن أبي طالب	١٢٩
خياركم كل مفتن تواب	علي بن أبي طالب	٤٣٨
خير إخوانك من واساك وخير منه من كفاك	علي بن أبي طالب	٢٨٤
خير الأموال ما أخذته من الحلال	-	٣٤٤
خير الأموال ما استرق حراً وخير الأعمال ما استحق شكراً	-	٢٩٦
خير الأمور النمط الأوسط إليه يرجع العالي وبه يلحق التالي	علي بن أبي طالب	٥١
خير البر ما وافق وقت الحاجة	-	٣٢٥
خير العلم ما نفع وخير القول ما ردع	-	١٣٣
خير العلماء من لا يقل ولا يمل	-	١٤٠
خير المال عين خراقة في أرض خوارة	-	٣٣٨
خير المزاح لا ينال وشره لا يقال	-	٥٠٢
خير المواهب العقل وشر المصائب الجهل	-	٤٢
خير الناس من أخرج الشهوة من قلبه وعصى هواه في طاعة ربه	-	٦٢
الخير في القرآن كله هو المال	مجاهد	٣٤٩

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
خير من العجب بالطاعة ألا تأتي بالطاعة	مورق العجلي	١٦٣
خير من القول فاعله وخير من الصواب قائله وخير من العلم حامله	-	١٣٣
الخيرة في ترك الطيرة	علي بن أبي طالب	٥١٢
داو المودة بكثرة التعااهد	جعفر بن محمد	٥٥٥
دخلت على الرشيد يوماً وهو ينظر في كتاب ودموعه تسيل على خده فلما بصر بي	الأصمعي	١٩١
دخلت على عبيد الله بن سليمان بن وهب وعليه خلع الرضا بعد النكبة	ثعلب	٤٧٥
الدراهم مراهم لأنها تداوي كل جرح ويطيب بها كل صلح	-	٣٥١
الدراهم والدنانير خواتيم الله في الأرض	عبد الله بن عباس	٣٥٠
الدرهم عقرب فإن أحسنت رقيتها	يحيى بن معاذ	٣٤٤
دفع ضغينة بأيسر مؤونة واكتساب إخوان بأهون مبدول	العتابي	٣٢٣
دلني على مال أعالجه	عبد الله بن عبد الملك	٣٣٨
الدنيا إما مصيبة موجعة وإما منية مفاجئة	-	١٨١
الدنيا إما نقمة نازلة وإما نعمة زائلة	-	١٨٠
الدنيا أمد والآخرة أبد	عمرو بن عبيد	٤٦٩
الدنيا إن بقيت لك لم تبق لها	-	٣٥٤
الدنيا تقبل إقبال الطالب وتدبر إدبار الهارب	-	١٨٠
الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن تجاوز عنها ودار غنى لمن تزود منها	علي بن أبي طالب	٢١٤
الدنيا ساعة فاجعلها طاعة	-	١٩٩
الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها	عيسى ابن مريم	١٧٩
الدنيا كثيرة التغير سريعة التنكير شديدة المكر دائمة الغدر	-	١٨١
الدنيا كل على العاقل	علي بن أبي طالب	٥٣٦
الدنيا كلها غم فما كان منها من سرور فهو ربح	الحسن البصري	١٨١
الدنيا لإبليس مزرعة وأهلها له حراث	عيسى ابن مريم	١٧٨

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
الدنيا مرتجعة الهبة والذهب حسود لا يأتي على شيء إلا غيره	عامر بن عبد القيس	١٨٢
الدنيا منازل فراحل ونازل	عبد الحميد	١٨٠
دولة الجاهل عبرة العاقل	-	٥٥
ذاك مالي أجود به وهذا عقلي بخلت به	عبد الله بن جعفر	٥٦٢
ذبوا بأموالكم عن أحسابكم	عائشة	٥٦٥
ذك قلبك بالأدب كما تذكى النار بالخطب	علي بن أبي طالب	٣٦٩
ذكر أن في التوراة مكتوباً يا بن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب	-	٤١٣
ذل العزل يضحك من تيه الولاية	ابن المعتز	٣٨٩
ذللت طالباً فعززت مطلوباً	عبد الله بن عباس	١١٨
الراحة للرجال غفلة وللنساء غلمة	عمر بن الخطاب	١٦٥
رأى بعض الحكماء رجلين يصطحبان ولا يفترقان فسأل عنهما فقليل: هما صديقان	ديوجانس	٥٤٧
رأيت علي بن أبي طالب عليه السلام في المنام فناولني مسحة	المعتضد	٣٣٨
رب جهل وقيت به علماً وسفه حميت به حليماً	-	٨٣
رب حظ أدركه غير طالبه	-	٣٥٨
رب صديق أود من شقيق	-	٢٦٦
رب ضيق أفضل من سعة وعناء خير من دعة	-	٣٦١
رب علم لم تعجم فصوله فاستعجم محصوله	-	١١٣
رب مغبوط بمسرة هي داؤه ومرحوم من سقم هو شفاؤه	-	١٨٧
رب مغبوط بمسرة هي داؤه ومرحوم من سقم هو شفاؤه	-	٣٥٤
رتعنا في الدنيا جاهلين وعشنا فيها غافلين وأخرجنا منها كارهين	ذو القرنين	٢٠٠
الرجال أربعة : رجل يدري ويدري أنه يدري فذاك عالم	الخليل بن أحمد	١٣١
الرجال ثلاثة : رجل ترد عليه الأمور فيصدرها برأيه ورجل يشاور فيها أشكل عليه	عمر بن الخطاب	٤٨٣
الرجال كالشجر شرا به واحد وثمره مختلف	-	٢٧٣

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
رحم الله امرأ أهدى إلينا مساوينا	عمر بن الخطاب	٣٨٤
رحم الله امرأ كان قوياً فأعمل قوته في طاعة الله تعالى	بكر بن عبد الله	١٦٣
رداء الخط زمانة الأدب	أبو العباس المبرد	١٠٩
الرضا بالكفاف يؤدي إلى العفاف	أبو الفتح البستي	٣٦١
الرضا بغير عتاب ، في قوله تعالى : ﴿الصَّغْفَرُ الْجَمِيلُ﴾	علي بن أبي طالب	٢٨١
الرجب شؤم والنهم لؤم	أبو سعيد الخدري	٥٧٠
رغبتك فيمن يزهد فيك ذل نفس وزهدك فيمن يغرب فيك صغر همة	علي بن أبي طالب	٥٥٦
ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة وركب البهائم من شهوة بلا عقل	-	٦٢
رهبه المرء من الله تعالى على قدر علمه بالله تعالى	الفضيل بن عياض	١٦٤
ريح السلطان على قوم نسيم وعلى قوم سموم	ابن المعتز	٥٣٩
الزاهد من لا يطلب المفقود حتى يفقد الموجود	ذو النون	١٩١
زد من طول أملك في قصور عملك فإن الدنيا ظل الغمام وحلم النيام	-	١٨٤
زرع يومك حصاد غدك	-	١٦٠
زلة العالم كالسفينه تغرق ويغرق معها خلق كثير	-	٧٧
الزم الصمت ؛ تعد حكياً جاهلاً كنت أو علياً	-	٤٤٢
الزم الصمت ؛ فإنه يكسبك صفو المحبة ويؤمنك سوء المغبة	-	٤٤٢
الزهد بصحة اليقين وصحة اليقين بنور الدين فمن صح يقينه زهد في الثراء	-	١٨٧
زيادة العقل فضيلة	-	٥٢
سادة الناس في الدنيا الأسخياء وفي الآخرة الأتقياء	عبد الله بن عباس	٢٩٦
الساعي بين منزلتين قبيحتين إما أن يكون صدق فقد خان الأمانة	-	٤٢٩
سأل رجل حكياً فقال : متى أتكلم ؟ قال : إذا اشتهيت الصمت	-	٤٤٩
سأل رجل محمد بن عمير بن عطارد وعتاب بن ورقاء في عشر ديات	-	٣٥١
السخاء أن تكون بمالك متبرعاً وعن مال غيرك متورعاً	عمرو بن عبيد	٣٠٢

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
٣٠٤	أكثم بن صيفي	السخاء حسن الفطنة واللؤم سوء التغافل
٣٠٢	ابن المقفع	السخاء سخاءان وأشر فهما سخاؤك عما بيد غيرك
٤٩٥	علي بن أبي طالب	سرك أسيرك فإذا تكلمت به صرت أسيره
٤٩٧	أكثم بن صيفي	سرك من دمك فإذا تكلمت به فقد أرقته
١٩٨	-	السعيد من اعتبر بأمره واستظهر لنفسه والشقي من جمع لغيره
٢٣٠	-	السلطان السوء يخيف البريء ويصطنع الدينء والبلد السوء يجمع السفل
٢١٩	-	السلطان في نفسه إمام متبوع وفي سيرته دين مشروع
٢١٩	عبد الله بن مسعود	السلطان يفسد وما يصلح الله تعالى به أكثر فإن عدل فله الأجر
٢٣٥	المأمون	سمع بعض الحكماء رجلاً يقول قلب الله الدنيا !! قال : إذا تستوي لأنها مقلوبة
٤٥٥	الأحنف بن قيس	سهرت ليلة أفكر في كلمة أرضي بها سلطاني ولا أسخط بها ربي فما وجدتها
٥٠٤	الشعبي	سئل عن أكل لحم الشيطان فقال : نحن نرضى منه بالكفاف
٤٦٩	-	سئل عن الدنيا فقال : إذا أقبلت أدبرت
٤٦٩	ابن عباس	سئل عن الدنيا فقال : تغر وتضر وتمر
٥٣٥	الأحنف بن قيس	سئل عن المروءة فقال : العفة والحرفة
٥٤٧	الأحنف بن قيس	سئل عن المروءة فقال : صدق اللسان ومواساة الإخوان وذكر الله تعالى
٥٠٤	الشعبي	سئل : ما اسم امرأة إبليس ؟ فقال : ذاك نكاح ما شهدناه
٥٥٩	-	شافع المذنب خضوعه إلى عذره
٤٨٨	لقمان	شاور من جرب الأمور ؛ فإنه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء
٣٦٨	مهوّد	شبه العالم الشريف العديم الأدب بالبنيان الخراب
٥٣٣	عبد الله بن عباس	شر الأموال ما لزمك إثم مكسبه وحرمت أجر إنفاقه
١١١	عمر بن الخطاب	شر الكتابة المشق كما شر القراءة الهذمة
٢٥٩	الحارث الأزدي	شر النكاح نكاح الغلطة
- ٢٧٨ ٥٥٤	-	شر ما في الكريم أن يمنعك خيره وخير ما في اللئيم أن يكف عنك شره

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
٥٥٥	-	شرف الكريم تغافله عن اللثيم
٤٠٣	-	شرف النفس أن تحمل المكاره كما تحمل المكارم
٣٠٨	الحسن بن سهل	الشرف في السرف فليل له : لا خير في السرف فقال : لا سرف في الخير
٢٩٩	-	الشرة من غرائز اللؤم
٩٤	بزرجمهر	الشغل مجهدة والفراغ مفسدة
٥٥٩	جعفر بن محمد	شفيع المذنب إقراره وتوبته اعتذاره
٣٣٢	-	شكر الإله بطول الشناء
٣٣١	-	الشكر قيد النعم
٥٢٦	هاني الوداعي	صاحب الفتنة أقرب شيء أجلاً وأسوأ شيء عملاً
٢٦٨	علي بن أبي طالب	الصاحب مناسب
٤١٨	-	الصادق مصان جليل والكاذب مهان ذليل
٤٦٢	ابن المقفع	الصبر صبران فاللثام أصبر أجساماً والكرام أصبر نفوساً
٤٦١	علي بن أبي طالب	الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا ينبو
٤٦٨	علي بن أبي طالب	الصبر مناضل الحدثان والجزع من أعوان الزمان
٢٧٢	-	صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار
٤٢٢	-	الصدق منجيك وإن خفته والكذب مرديك وإن أمتته
٤٢٢	الجاحظ	الصدق والوفاء توءمان والصبر والحلم توءمان
٤٣٠	-	الصدق يزين كل أحد إلا السعاة ؛ فإن الساعي أذم وأثم ما يكون إذا صدق
٣٠٠	-	صديق الرجل قصده وسرفه عدوه
٢٦٥	الكندي	الصديق إنسان هو أنت إلا أنه غيرك
٤٢	-	صديق كل امرئ عقله وعدوه جهله
٢٦٢	-	صديق مساعد عضد وساعد
٥٠٧	ابن عباس	الصغيرة الضحك ، في قوله تعالى : ﴿مَالِ هَذَا الصَّكْتِ لَا يَقَادِرُ صَغِيرَةً...﴾

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
صفة الصديق أن يبذل لك ماله عند الحاجة ونفسه عند النكبة ويحفظك عند الغيبة	-	٥٤٧
الصقوا بذوي الغير .. تتسع قلوبكم	عمر بن الخطاب	٤٧٢
صلوا أرحامكم ؛ فإنه لا تبلى عليها أصولكم ولا تهتضم عليها فروعكم	-	٢٤٨
ضاحك معترف بذنبه خير من باك مدلل على ربه	مورق العجلي	١٦٤
ضحك المؤمن غفلة من قلبه	الحسن البصري	٥٠٧
الضرورة توقع الصورة	-	٣٠٩
طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً	ابن المقفع	١٨٤
طالب العلم وعامل البر كآكل الطعام إن أخذ منه قوتاً عصمه وإن أسرف فيه بشمه	-	١١٤
الطبيب معذور إذا لم يدفع المحذور	-	١٩٥
الطريقين : طريق الخير وطريق الشر ، في قوله تعالى : ﴿ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴾	عبد الله بن مسعود	٢١٢
طلب الأنصاف من قلة الإنصاف	-	٢٨٠
طلب ما فوق الكفاف إسراف	-	٣٦٢
طلب ما لا يدرك عجز	-	٥٨٣
طلبنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا	عبد الله بن المبارك	١٣٨
الظلم مسلبة النعم والبغي مجلبة النقم	-	٢٢٨
العاجز من عجز عن سياسة نفسه	عمر بن الخطاب	٣٧٢
عار الفضيحة يكدر لذتها	-	٥٢١
عاشر أهلك بأحسن أخلاقك ؛ فإن الثواء فيهم قليل	الحسن البصري	٣٨٦
العاقل إذا والى .. يذل في المودة نصره وإذا عادى .. رفع عن الظلم	-	٥٦
العاقل الكريم صديق كل أحد إلا من ضره والجاهل اللئيم عدو لكل أحد	عبد الله بن العباس	٥٥٤
العاقل من عقل عن الله عز وجل أمره ونهيه	-	٥٤
العالم يعرف الجاهل لأنه كان جاهلاً والجاهل لا يعرف العالم	ابن المعتز	٧٢
عباد الله ؛ الحذر الحذر فوالله لقد ستر حتى كأنه قد غفر	ابن السكك	٢٠٠

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
٢٨٣	عمرو بن مسعدة	العبودية عبودية الإخاء لا عبودية الرق
٣٧٨	علي بن أبي طالب	عجب المرء بنفسه أحد حساد عقله
٤٣٦	علي بن أبي طالب	العجب لغفلة الحساد عن سلامة الأجساد
٢٠٠	علي بن أبي طالب	عجب لمن خاف العقاب كيف لا يكف وعجب لمن يرجو الثواب كيف لا يعمل
٣٠٨	الفضل بن سهل	العجب لمن يرجو من فوقه كيف يحرم من دونه
٢٩٢	-	العجب من يطرح عقلاً كافياً لما يضمه من عداوته ويصطنع عاجزاً جاهلاً
٢٢٨	-	العجب من ملك استفسد رعيته وهو يعلم أن عزه بطاعتهم !!
٣٨٢	-	عجباً لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح !؟
٣٧٩	الأحف بن قيس	عجبت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر !؟
١٦١	علي بن الحسين	عجبت لمن يحتمي الأطعمة لمضرتها كيف لا يحتجب الذنوب لمعرتها
١٦٠	ابن شبرمة	عجبت لمن يحتمي من الطيبات مخافة الداء كيف لا يحتمي من المعاصي مخافة النار
١١٥	-	العجز مع الوائي والقوت مع التواني
٢٧٠	سهل بن هارون	عداوة العاقل أقل ضرراً من مودة الأحمق
٢٢٥	الهرمزان	عدلت فأمنت فمنت
٥٤٤	ابن الأعرابي	العرب تقول من أمل شيئاً .. هابه ومن جهل شيئاً .. عابه
٥٧٦	-	العري القادح خير من الزي الفاضح
٥٢٩	أبو حفص الكرماني	عز النزاهة أشرف من سرور الفائدة
١٩٤	-	عزى أعرابي رجلاً في ابن له صغير فقال له : الحمد لله الذي نجاه مما ههنا من الكدر
٤١٢	-	عظني فقال : لا تغضب
٤٠٩	-	العفو يفسد من اللئيم بقدر إصلاحه من الكريم
١٢٤	علي بن أبي طالب	عقبي الأخرق مضرة والمتعسف لا تدوم له مسرة
٤٢	-	العقل أفضل مرجو والجهل أنكى عدو
٤٤٥	-	عقل المرء مخبوء تحت لسانه

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
العقل بلا أدب كالشجر العاقر ومع الأدب كالشجرة المثمرة	-	٣٦٨
العقل صديق مقطوع والهوى عدو متبوع	لقمان الحكيم	٦٠
العقل نوعان : أحدهما مطبوع والآخر مسموع ولا يصلح واحد منهما إلا بصاحبه	سابور بن أردشير	٥٦
العقل هو المدرك للأشياء على ما هي عليه من حقائق المعنى	-	٤٣
العقل هو جملة العلوم الضرورية	-	٤٣
العقل هو جوهر لطيف يفصل به بين حقائق المعلومات	-	٤٣
العقل وزير ناصح والهوى وكيل فاضح	-	٦٤
العقل يأمرك بالأنفع والمروءة تأمرك بالأجل	علي بن أبي طالب	٥١٤
عقوبة الخاسد من نفسه	-	٤٣٢
عقود الغادر محلولة وعهوده مدخولة	-	٢٨٤
العقوب نكل من لم يشكل	أوس بن حارثة	٢٤٦
علة الراحة قلة الاستراحة	-	١٠٣
علة المعادة قلة المبالاة	-	٢٨٧
العلم أفضل أم المال ؟ فقال : بل العلم قيل : فما بالناتري	-	٧٣
العلم أفضل خلف والعمل به أكمل شرف	-	٧٢
العلم أفضل من العمل به لمن جهل والعمل أفضل من العلم لمن علم	الزهري	١٣٥
العلم أكثر من أن يحصى فخذوا من كل شيء أحسنه	عبد الله بن عباس	٩٤
العلم ثلاثة أشبار فمن نال منه شبراً شمع بأنفه	الشعبي	١٢٦
العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال	علي بن أبي طالب	٨٠
العلم شرف لا قديم له والأدب مال لا خوف عليه	-	٧٢
العلم عصمة الملوك لأنه يمنعهم من الظلم ويردهم	-	٧٩
علم علمك وتعلم علم غيرك فإذا أنت قد علمت ما جهلت وحفظت ما علمت	-	١٣٧
العلم يهتف بالعمل ؛ فإن أجابه وإلا ارتحل	-	١٣٣

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
٨٤	-	العلماء غرباء لكثرة الجهال
٥١٦	-	علو الهمة بذر النعم
٩٥	-	العلوم مطالعها من ثلاثة أوجه : قلب مفكر ولسان معبر وبيان مصور
٣٣٠	-	على قدر المغارس يكون اجتناء الغارس
١٣٠	-	عليك بالعلم والإكثار منه فإن قليله أشبه شيء بقليل الخير
٧٨	يحيى بن خالد	عليك بكل نوع من العلم فخذ منه فإن المرء عدو ما جهل
٤٥	-	عليكم بآراء الشيوخ فإنهم إن فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت
٢٥٨	معاذ بن جبل	عليكم بالأبكار ؛ فإنهن أكثر حياءً وأقل خباً
٤٦	هرم بن قطبة	عليكم بالحديث السن الحديد الذهن
٤٧	-	عليكم بمشاورة الأحداث فإنهم يتتجون رأياً لم يفله طول القدم
١٩٧	-	عن الموت تسل فهو كريشة تسل
٤٦٨	-	عند انسداد الفرج تبدو مطالع الفرج
٢٢٨	أنوشروان	عوتب على ترك عقاب المذنبين فقال : هم المرضى ونحن الأطباء
٤٥٠	-	عي تسلم به خير من نطق تندم عليه
٢٤٧	مسلمة بن عبد الملك	العيش في ثلاث : سعة المنزل وكثرة الخدم وموافقة الأهل
٤٢٣	خالد بن صفوان	العينان أنم من اللسان
٥٢٢	علي بن أبي طالب	العيون مصائد الشيطان
٤٠٨	ابن المعتز	غضب الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله
٤١٤	-	الغضب على من لا تملك عجز وعلى من تملك لؤم
٣٥٧	-	الغني البخيل كالقوي الجبان
٤٢٦	الحسن البصري	الغيبة فاكهة النساء
٤٢٦	عدي بن حاتم	الغيبة وعي اللثام
٥٢٦	جعفر بن محمد	الفتنة حصاد الظالمين

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
الفضائل هيئات متوسطة بين خلتين ناقصتين وأفعال الخير توسط بين رذيلتين	-	٢٣٠
الفضل بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب	-	٣٦٩
الفقر مخذلة والغنى مجذلة والبؤس مردلة والسؤال مبذلة	-	٣٥١
الفقر ملك ليس فيه محاسبة	-	١٨٦
الفقيه بغير ورع كالسراج يضيء البيت ويمحرق نفسه	-	٨٩
فلان غني فقال : لا أعرف ذلك ما لم أعرف في نفسه	ديوجانس	٥٣٥
فم العاقل ملجم إذا هم بالكلام أحجم وفم الجاهل مطلق كلما شاء أطلق	-	٤٥٠
في إعراضك صون أعراضك	-	٤٠٧
في إغضاءك راحة أعضائك	-	٤١٢
في المال ثلاث خصال قالوا : وما هن يا روح الله ؟ قال : يكسبه من غير حله	عيسى ابن مريم	١٨٥
في تقلب الأحوال تعرف جواهر الرجال	-	٣٨٥
في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق	-	٣٨٧
لق صاحب الحاجة بالبشر ؛ فإن عدمت شكره لم تعدم عذره	-	٣١٣
قابل المدح كمداح نفسه	ابن المقفع	٣٨٢
قال لي الرشيد يا عبد الملك أنت أعلم منا ونحن أعقل منك لا تعلمنا في مالا	الأصمعي	١٤١
القبر خير من الفقر	الأوس بن حارثة	٣٤٦
قتل القنوط صاحبه	-	٣٥٣
قد أحسنت إليكم صغارا وكبارا وقبل أن تولدوا قالوا : وكيف أحسنت إلينا	أبو الأسود الدؤلي	٢٥٥
قد أصبح بنا من نعم الله تعالى ما لا نحصيه مع كثرة ما نعصيه !!	-	١٥٥
قد خلعت الدنيا فكيف سخت نفسك عنها ؟ فقال : أيقنت أني أخرج منها	-	١٨٤
قد ملك الدنيا غير واحد من راغب وزاهد فلا الراغب فيها استبقت ولا الزاهد	-	١٨٣
قد يخيب الجاهد الساعي ويظفر الوادع الهادي	-	٣٦٠
قدر أحوال خلقه فهدي إلى سبيل الخير والشر ، في قوله تعالى : ﴿وَاللّٰهُ قَدَرٌ فَهْدًى﴾	مجاهد	٢١٢

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
قدم جهازك وافرح من زادك وكن وصي نفسك والسلام	الربيع بن خثيم	١٩٨
قدم لحاجتك بعض لجأجتك	-	١٠٢ -
قدموا بعضاً ؛ ليكون لكم قرضاً ولا تخلفوا كلاً ؛ فيكون عليكم كلاً	-	١٨٩
قرأت في بعض الكتب السالفة : أن مما تعجل عقوبته ولا تؤخر	خالد الربيعي	٥٢٧
القريب بعداوته بعيد والبعيد بمودته قريب	ابن المعتز	٢٦٧
قسم معاوية رضي الله عنه قطفاً فأعطى شيخاً من أهل دمشق قطيفة	-	٤٠٣
القصد أسهل من التعسف والكف أودع من التكلف	-	١٢٤
قصر أملك فالعمر قصير وأحسن سيرتك فالبر يسير	-	٢٠٣
القلب إذا أكره عمي	-	١٠٦
القلب إذا علق كالرهن إذا غلق	-	٩٣
قلب الحدث كالأراضي الخالية ما ألقي فيها من شيء قبلته	علي بن أبي طالب	٩٢
قلت لراهب : متى عيدكم ؟ قال : كل يوم لا أعصي الله تعالى فيه فهو يوم عيد	عبد الله بن المبارك	١٧٦
قلت لغلام حدث من أولاد العرب كان يحادثني فأمتعني	الأصمعي	٤٧
قلما تصدق الأمانة	-	٣٩١
قلوب العقلاء حصون الأسرار	ابن المعتز	٤٩٧
القلوب أوعية السرائر والشفاه أبقاها والألسن مفاتيحها	-	٤٩٧
قليل يكفي خير من كثير يطغي	-	٥٢
القناعة عز المعسر والصدقة حرز الموسر	-	٣٦٠
قوة المتن من ضعف المتن	-	٣٢٨
قيل لأبي بكر الصديق في مرضه الذي مات فيه : لو أرسلت إلى الطبيب	أبو بكر الصديق	١٩٦
قيل لبخيل : لم حبست مالك ؟ قال : للنوائب قيل : قد نزل بك	-	٣١٤
قيل لبعض الزهاد : لو سألت جارك لأعطاك ؟	سالم بن عبد الله	٣١٠
قيل لبعض الزهاد : ما أبلغ العظاات ؟ فقال : النظر إلى محلة الأموات	قس الإيادي	٢٠٤

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
قيل لبعض الزهاد : ما تقول في صلاة الليل ؟ فقال : خف الله تعالى بالنهار ونم بالليل	-	١٦١
قيل لبعض قریش : أيأ أحب إليك أخوك أو صديقك ؟	خالد بن صفوان	٢٤٧
قيل لرابعة العدوية : هل عملت عملاً قط ترين أن يقبل منك ؟	-	١٦٤
قيل لرجل : كيف كتبائك للسرا ؟ قال : أجدد المخبر وأحلف للمستخبر	-	٤٩٩
قيل لرجل من عبس : ما أكثر صوابكم ! قال : نحن ألف رجل وفينا حازم	-	٤٨٥
قيل لزهاد : ما بالك تمشي على عصا ولست بكبير ولا مريض ؟	-	١٩٩
قيل لعيسى عليه السلام : ألا تتزوج ؟ فقال : إنما يحب التكثر في دار البقاء	عيسى ابن مريم	٢٤٣
قيل للإسكندر : إن فلاناً وفلاناً يتنقصانك ويثلبانك فلو عاقبتها !!	-	٤٠٦
قيل للحجاج : كيف وجدت منزلك بالعراق ؟	-	٣٧٨
قيل للحكيم اليوناني : من أضيق الناس طريقاً ؟ وأقلهم صديقاً ؟	-	٥٤٥
قيل للربيع بن خثيم وقد اعتل : ندعو لك الطبيب ؟	الربيع بن خثيم	١٩٧
قيل للفضيل بن عياض : ما أعجب الأشياء ؟ فقال : قلب عرف الله تعالى ثم عصاه	-	١٦١
قيل لمحمد بن واسع : ألا تنكئ ؟ فقال : تلك جلسة الآمنين	-	١٦٧
قيل ليحيى بن زكريا عليه السلام : ما بالك تكره الولد ؟ فقال : ما لي وللولد ؟	يحيى عليه السلام	٢٤٣
قيمة كل امرئ ما يحسن	علي بن أبي طالب	٧٢
قيمة كل نعمة شكرها	-	٣٣١
الكاتب من إذا أخذ شبراً .. كفاه وإن وجد طوماراً .. ملأه	-	٤٤٨
الكامل المروءة من حصن دينه ووصل رحمه وأكرم إخوانه	أنوشروان	٥٢٠
كان أبغض خلق الله إلي آل الزبير حتى تزوجت فيهم رملة	خالد بن يزيد	٢٤٩
كان أبو هريرة رضي الله عنه مسترسلاً في مزاحه	ابن قتيبة	٥٠٥
كان الملك أمس أنطق منه اليوم وهو اليوم أوعظ منه أمس	-	٢٠٥
كان في بني إسرائيل رجل له حمار فقال : يا رب لو كان لك حمار	جابر بن عبد الله	٥٧
كان في قصر أردشير مكتوب الصبر مفتاح الدرك	ابن المقفع	٤٦٧

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
كان كلما دخل عليه وقت الصلاة اصفر مرة واحمر أخرى	علي بن أبي طالب	١٥٠
كان والله أفضل من أن يخدع وأعقل من أن يخدع	المغيرة بن شعبة	٥٤
كان يمر على الفاكهة فيشتهيها فيقول : موعذك الجنة	أبو حازم	٥٧١
كانت العرب تقول : من لم يكن عقله أغلب خصال الخير عليه كان حتفه	القاسم بن محمد	٥٣
كانوا إذا ذكروا الفروج كنوا عنها في تأويل قوله تعالى : ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغَوِمْ وَكِرَامًا﴾	محمد بن علي	٤٥٧
كبت الله كل عدو لك إلا نفسك	-	٣٧٢
كثرة مال الميت تعزي ورثته عنه	عبد الله بن المعتز	٣٥٥
الكذاب كالسراب	علي بن أبي طالب	٤٢٣
الكذاب لص ؛ لأن اللص يسرق مالك والكذاب يسرق عقلك	الحسن بن سهل	٤١٨
الكريم أوسع ما يكون مغفرة إذا ضاقت بالمذنب المعذرة	الحسن بن علي	٥٥٩
الكريم شكور أو مشكور	-	٣٣١
كفاك من الله تعالى نصراً أن ترى عدوك يعصي الله تعالى فيك	جعفر بن محمد	٥٥٣
كفاك من عقلك ما ذلك على سبيل رشذك	-	٥٢
كفتك القبور مواعظ الأمم السالفة	أبو محرز الطفاوي	٢٠٤
كفر النعم من أمارات البطر	-	٣٣١
كفى بالتجارب تأدباً وبقلب الأيام عظة	-	٤٥
كفى بها يعتذر منه تهمة	علي بن أبي طالب	٥٥٩
كفى خبراً عما بقي ما مضى وكفى عبراً لأولي الألباب ما جربوا	-	٤٦
كل امرئ يجري من عمره إلى غاية تنتهي إليها مدة أجله	-	١٩٣
كل حسنة لم يرد بها وجه الله تعالى فعلتها قبح الرياء وثمرتها سوء الجزاء	-	١٧٢
كل سرف فيبازائه حق مضيع	معاوية بن أبي سفيان	٣٠١
كل شيء إذا كثر رخص إلا العقل ؛ فإنه إذا كثر .. غلا	-	٥٣
كل شيء يحتاج إلى العقل والعقل يحتاج إلى التجارب	-	٤٨٥

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
٧٩	-	كل عز لا يوطده علم فهو مذلة وكل علم لا يؤيده عقل
٢٢٩	-	كل عقل لا يدارى به الكل فليس بعقل تام
١٤٠	-	كل علم كثر على السمع ولم يطاوعه الفهم ازداد به القلب عمى
١٦٠	-	كل يحصد ما زرع ويجزى بما يصنع
٤٤٧	-	كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل واقتصر منه على القليل
٤٥١	-	كلام المرء وافد أدبه
٤٢٥	ابن سيرين	الكلام أوسع من أن يصرح فيه بالكذب
٨٦	-	كلما حسنت نعمة الجاهل .. ازداد فيها قبحاً
٤٩٨	ابن المعتز	كلما كثر خزان الأسرار .. ازدادت ضياعاً
٥٠	علي بن أبي طالب	كم بين الساء والأرض ؟ فقال : دعوة مستجابة
٨٦	-	كم من ذليل أعزه علمه وكم من عزيز أذله جهله !!
١٩٢	مسعر	كم من مستقبل يوماً وليس بمستكمله ومنتظر غداً وليس من أجله
١٣٦	-	كما أن الاستفادة نافلة للمتعلم كذلك الإفادة فريضة على المعلم
١٩٣	عيسى ابن مريم	كما تنامون كذلك تموتون وكما تستيقظون كذلك تبعثون
٥٣٥	ابن الحنفية	الكمال في ثلاثة العفة في الدين والصبر على النوائب وحسن التقدير في المعيشة
٢٨٨	-	كن للود حافظاً وإن لم تجد محافظاً وللخل واصلاً وإن لم تجد مواصلاً
٦٢	ابن السماك	كن لهواً مسرفاً ولعقلك مسعفاً وانظر ما تسوء عاقبته
٥١٠	عكرمة	كنا جلوساً عند ابن عباس فمر طائر يصيح فقال رجل من القوم : خير
١٠٤	عبد الله بن مسعود	كونوا للعلم رعاة ولا تكونوا له رواة فقد يرعوي من لا يروي
٤٧٢	الشعبي	كيف أصبحت ؟ قال : بين نعمتين خير منشور وشر مستور
٣٥٣	-	كيف تبقى على حالتك والذهب في إحالتك ؟!
٤٧٣	الحسن البصري	كيف ترى الدنيا ؟ فقال : شغلني توقع بلائها عن الفرح برخائها
٢٧٩	الكندي	كيف تريد من صديقك خلقاً واحداً وهو ذو طبائع أربع

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
كيف يحاسب الله العباد على كثرة عددهم ؟ فقال : كما يرزقهم	علي بن أبي طالب	٤٩
لا أراك الله مكروهاً فقال : كأنك دعوت على صاحبك بالموت	-	١٨٥
لا أَرْضَى نفسي لك ؛ لأنني أجلس بين الفقير والغني فأميل على الفقير	محمد القرظي	١٧٤
لا أعدل بالسلامة شيئاً	ابن عباس	١٦١
لا بد للمصدور أن ينفث	عبيد الله ابن عتبة	٥٠٣
لا تأخذوا عليه أجراً وهو مكتوب ، في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَسْتَوُوا بِآثَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾	أبو العالية	١٤٣
لا تأمنن ملولاً وإن تحلى بالصلة	-	٥٥٨
لا تبث عن غير وصية وإن كنت من جسمك في صحة	-	١٩٨
لا تبد من العيوب ما ستره علام الغيوب	-	٤٢٧
لا تثق بالصدیق قبل الخبرة ولا توقع بالعدو قبل القدرة	-	٢٦٩
لا تجهر بها رياءً ولا تخافت بها حياة ، في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ...﴾	الحسن البصري	١٧١
لا تحملن على يومك هم غدك فحسب كل يوم هم	الحسن البصري	٤٦٦
لا تحل قلبك من المذاكرة فيعود عقياً ولا تعف طبعك عن المناظرة فيصير سقيماً	-	١٠٥
لا تدع الأيام جاهلاً إلا أدبته	-	٤٥
لا تستحي من القليل : فإن المنع أقل منه	عبد الله بن جعفر	٣٢٩
لا تستغزروا الدموع بالتذكر	عمر بن الخطاب	٤٧٧
لا تستقضين إلا ذا حسب أو مال فإن ذا الحسب يخاف العواقب	عمر بن الخطاب	٢٣٣
لا تستكثر أن يكون لك ألف صديق فالألف قليل	سليمان بن داود	٢٩١
لا تشاور إلا الحازم غير الحسود واللييب غير الحقود وإياك ومشاورة النساء	-	٤٨٦
لا تصغرن هممكم فإني لم أر أقعد عن المكرمات من صغر الهمم	عمر بن الخطاب	٥١٦
لا تعرضن لعدوك في دولته فإذا زالت كفت شره	-	٥٥٣
لا تعمل شيئاً من الخير رياءً ولا تتركه حياة	علي بن أبي طالب	١٧٢
لا تعن الناس على عيبك بسوء غيبك	ابن السكاك	٤٢٦

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
٢٧٤	-	لا تغترن بمقاربة العدو ؛ فإنها كالماء إن أطيل إسخانه بالنار لم يمنع من إطفائها
٥٥٠	-	لا تقطع أحاك إلا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه
١٣٩	عيسى ابن مريم	لا تقلدوا اللؤلؤ للخنزير ؛ فالعلم أفضل من اللؤلؤ
٢٨٧	-	لا تكثرن معاتبة إخوانك فيهن عليهم سخطك
١٨١	علي بن أبي طالب	لا تكن ممن يقول في الدنيا يقول الزاهدين ويعمل فيها عمل الراغبين
١٣٨	-	لا تمنعوا العلم أحداً ؛ فإن العلم أمنع لجانبه
١٨١	عيسى ابن مريم	لا تنازعوا أهل الدنيا في دنياهم فينازعوكم في دينكم
٤٩٨	ابن المعتز	لا تنكح خاطب سرك
٤٢٢	ابن المقفع	لا تهاونن بإرسال الكذبة من الهزل فإنها تسرع إلى إبطال الحق
٥٦٦	عوف بن مالك	لا تؤاخ شاعراً ؛ فإنه يمدحك بثمان ويهجوكم مجاناً
٣٠٠	المأمون	لا خير في السرف ولا سرف في الخير
١٠٣	-	لا خير في علم لا يعبر معك الوادي ولا يعمر بك النادي
٣٣٠	-	لا خير في معروف إلى غير عروف
٣٩٨	حذيفة بن اليمان	لا خير فيمن لا يستحي من الناس
٣٣١	-	لا زوال للنعمة مع الشكر
١٤٣	-	لا سمير كالعلم ولا ظهير كالعلم
٥٤٩	رجاء بن حيوة	لا صديق لمن أراد صديقاً لا عيب فيه
١٤٠	عبد الله بن الزبير	لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه
٣٠١	-	لا كثير مع إسراف ولا قليل مع احتراف
٥٤٠	-	لا مروءة لقل
٣٢٧	العباس	لا يتم المعروف إلا بثلاث خصال تعجيله
١٥٩	-	لا يجب إنكاره والأولى بالإنسان أن يكون كافاً ممسكاً ولازماً لبيته
١٥٩	-	لا يجب إنكاره ولا التعرض لإزالته إلا أن يظهر المنتظر فيتولى

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
١٥٩	-	لا يجوز للناس إنكاره إلا أن يجتمعوا على إمام عدل فيجب
٥٥٩	سلم بن قتيبة	لا يدعونك أمر قد تخلصت منه إلى الدخول في أمر لعلك لا تخلص منه
٣٢٤	علي بن أبي طالب	لا يزهذك في المعروف كفر من كفره
٢٨٠	-	لا يزهذك في رجل حمدت سيرته وارتضيت وتيرته وعرفت فضله وبطنت عقله
٥٧٠	ذو النون المصري	لا يسكن العلم معدة ملئت طعاماً
١١٩	علي بن أبي طالب	لا يعرف فضل أهل الفضل إلا أهل الفضل
٥٥١	ابن المعتز	لا يفسدك الظن على صديق أصلحك اليقين له
٢٨١	ابن المعتز	لا يفسدك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له
٢٨٥	عمر بن الخطاب	لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً
٤٥٤	-	لا يكون البليغ بليغاً حتى يكون معنى كلامه أسبق إلى فهمك من لفظه إلى سمعك
٤٢٣	أكثم بن صيفي	لا يلزم الكذب شيئاً إلا غلب عليه
١٦٥	-	لا يمضي يومك في غير منفعة ولا يضيع مالك في غير صنعة
٨٨	-	لا يمتنعك حذر المراء من حسن المناظرة
٣٨٠	عبد بن علي الباقر	لا ينبغي للشریف أن يرى شيئاً من الدنيا لنفسه خطراً فيكون بها تائهاً
٢٣٧	-	لا ينبغي للعاقل أن يطلب طاعة غيره وطاعة نفسه ممتنعة عليه
٣٠٢	أيوب السختياني	لا ينبل الرجل حتى يكون فيه خصلتان العفة عن أموال الناس
١٨٤	-	لا يؤمنك إقبال الدنيا عليك من إدبارها عنك ولا دولة لك من إدالتها منك
١٦٤	مورق العجلي	لأن أبيت نائماً وأصبح نادماً أحب إلي من أن أبيت قائماً وأصبح ناعماً
٤٢١	عمر بن الخطاب	لأن يضعني الصدق وقلما يفعل أحب إلي من أن يرفعني الكذب وقلما يفعل
٣٨٨	سعيد بن أبي عروبة	لأن يكون لي نصف وجه ونصف لسان على ما فيها من قبح المنظر وعجز المخبر
٤٤٢	علي بن أبي طالب	اللسان معيار أطاشه الجهل وأرجحه العقل
١٠٧	ابن المقفع	اللسان مقصور على القريب الحاضر والعلم بالخط على الشاهد والغائب
٤٥١	-	اللسان وزير الإنسان

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
لست بالخب ولا يخذعني الخب	عمر بن الخطاب	٥٤
لعن الله المجوس ينكحون أمهاتهم والله	-	٥٧
لقاء الإخوان جلاء الأحزان	عمر بن الخطاب	٢٦١
لقد ردت الرسل على لوط وقالوا : إن ركنك لشديد	وهب	٢٤٢
لكل ثوب لا بس ولكل علم قابس	-	١٣٩
لكل ساقطة لا قطة	أكثم بن صيفي	٣٤٢
للخطأ مع الاسترشاد أحد من الصواب مع الاستبداد	-	٤٨٩
للقلوب شهوة وإقبال وفترة وإدبار فأتوها من قبل شهوتها	ابن مسعود	١١٦
لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء	عائشة	٤٠٣
لم تجوع وأنت على خزائن الأرض ؟ فقال : أخاف أن أشبع فأنسى الجائع	يوسف عليه السلام	١٥١
لم تحب الدراهم وهي تدنيك من الدنيا ؟ فقال : هي وإن أدنتني منها	أبو الزناد	٣٥٠
لم لا يجتمع العلم والمال ؟ فقال : لعز الكمال	-	٧٣
لم يسد من احتاج أهله إلى غيره	-	٥٤٦
لم يقل هشام بن عبد الملك غير هذا البيت	ابن المعتز	٦٠
لم يمش ماش شر من واش	-	٤٢٩
لم ينتفع بعلمه من ترك العمل به	-	١٣٣
لما حضر بشر بن منصور الموت فرح فقيل له : أتفرح بالموت ؟!	بشر بن منصور	١٩٦
لما عرف أهل النقص حالهم عند ذوي الكمال استعانوا بالكبر ليعظم صغيراً	ابن المعتز	٣٧٧
لما مات الإسكندر قال أرسطاطاليس : لقد حركتنا بسكونك	أرسطاطاليس	٢٠٥
لن يدرك العلم من لا يطيل درسه ويكد نفسه	-	١٠٣
لنا من كل ميت عظة بحاله وعبرة بهاله	-	٢٠٥
الله المستعان على ألسنة تصف وقلوب تعرف وأعمال تخالف	ابن السكك	٢٠٠
اللهم ؛ ارزقني حمداً ومجداً فإنه لا حمد إلا بفعال ولا مجد إلا بهال	قيس بن سعد	٣٥٠

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
اللهم ؛ إنا نعوذ بك من فتنة القول كما نعوذ بك من فتنة العمل	الجاحظ	١٢٧
اللهم ؛ أنت أعلم بي من نفسي وأنا أعلم بنفسي منهم اللهم ؛ اجعلني خيراً	أبو بكر الصديق	٣٨٣
اللهم ؛ إني أعوذ بك ممن لا يلتمس خالص مودتي إلا بموافقة شهوتي	أبو هريرة	٢٨٤
لو أن الصبر والشكر بعيران ما باليت أيهما ركبت	عمر بن الخطاب	٤٦٢
لو أن رجلاً أراد أن ينتقل من دار إلى دار .. هل كان يبقى في الأولى شيئاً ؟	سهل المروزي	١٨٨
لو جرت الأقسام على قدر العقول .. لم تعش البهائم	-	٨٥
لو دعوت الله تعالى .. أن يرزقك حماراً ؟ فقال : أنا أكرم على الله تعالى	عيسى ابن مريم	١٨٧
لو كان أحد مكتفياً من العلم .. لاكتفى منه موسى عليه السلام	عبد الله بن عباس	١٢٩
لو كان للخطايا ريح .. لا فتضح الناس من كل عمل قبيح	-	٢٠٦
لو كانت الدنيا دار مقام .. لا اتخذنا لها أثاناً	-	١٨٦
لو كنا نطلب العلم لنبلغ غايته .. كنا قد بدأنا العلم	-	٧٤
لولا أن في قولي لا أعلم شيئاً لأن أعلم .. لقلت لا أعلم	-	١٢٩
لولا ما عقدته الكتب من تجارب الأولين .. لانحل مع النسيان عقود الآخرين	مهبوذ	١٠٥
ليس بلبيب من لم يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بدأ	محمد ابن الحنفية	٢٧٤
ليس حسن الجوار كف الأذى ولكنه الصبر على الأذى	علي بن أبي طالب	٥٤٧
ليس في الطمع أن يكون ما ليس في الطمع	-	٢٦٥
ليس في خصال الشر أعدل من الحسد	معاوية بن أبي سفيان	٤٣٢
ليس قبل الموت شيء إلا والموت أشد منه وليس بعد الموت شيء إلا والموت أيسر	العلاء بن المسيب	١٩٣
ليس للجائر جار ولا تعمر له دار	-	٢٢٧
ليس لي من فضيلة العلم إلا علمي بأن لست أعلم	-	١٢٩
ليس من الحرص اجتلاب ما يقوت البدن	-	٢١٤
ليس من الرغبة في الدنيا اكتساب ما يصون العرض فيها	-	٢١٤
ليس من الكرم عقوبة من لا يجد امتناعاً من السطوة	-	٤٠٣

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
٣٤٦	المأمون	ليس من توكل المرء إضاعته للحمزم
٥٧٨	-	ليست العزة في حسن البزة
٣٩٩	-	ليكن استحيائك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك
١٩١	-	ليكن طلبك للدنيا اضطراباً وفكرتك في الأمور اعتباراً وسعيك لمعادك ابتداءً
٢٧٦	-	ليكن غرضك في اتخاذ الإخوان الأخلاء واصطناع النصاح تكثر العدة
٤٢١	-	ليكن مرجعك إلى الحق ومنتزعتك إلى الصدق فالحق أقوى معين
٤٢٨	-	اللثيم إذا غاب غاب وإذا حضر اغتاب
١٦٨	-	ما أحب أن أبسط أمني بمن يذهب إلى بغداد ويحيى
٤٢٦	ابن سيرين	ما أحب أن أحل لك ما حرم الله عليك
١٣٦	علي بن أبي طالب	ما أخذ الله تعالى العهد على أهل الجهل أن يتعلموا حتى أخذ العهد
٣٦٧	عيسى ابن مريم	ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل فاجتنبته
٤٠٧	الشعبي	ما أدركت أمني فأبرها ولكن لا أسب أحداً فيسبها
٤١	الحسن البصري	ما استودع الله أحداً عقلاً إلا استغفقه به يوماً ما
٤٩٥	-	ما أسرك ما كتمت سرّك
٥١٩	-	ما أصعب شيء على الإنسان ؟ قال : أن يعرف نفسه ويحكم الأسرار
١٦٨	الحسن البصري	ما أطال عبد الأمل إلا أساء العمل
٤٣٣	الأصمعي	ما أطول عمرك !! فقال : تركت الحسد فبقيت
٨٥	-	ما أعجب الأشياء ؟ قال : نجح الجاهل وإكداء العاقل
٣٢٥	أنوشروان	ما أعظم المصائب عندكم ؟ فقال : أن تقدر على المعروف
٤٠٥	-	ما أفحش حليم ولا أوحش كريم
- ٢٠٥	-	ما أكثر من يعرف الحق ولا يطيعه !
٥١٦	-	
٤٥١	خالد بن صفوان	ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمة مهملة أو صورة ممثلة
٤٥١	يونساني	ما البلاغة ؟ فقال : اختيار الكلام وتصحيح الأقسام

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
ما البلاغة ؟ فقال : ما حسن إيجازه وقل مجازه	العربي	٤٥١
ما البلاغة ؟ فقال : حسن الاختصار عند البديهة والغزارة يوم الإطالة	الرومي	٤٥١
ما البلاغة ؟ فقال : معرفة الفصل من الوصل	الهندي	٤٥١
ما التقوى ؟ فقال : أجتزت في أرض فيها شوك ؟ فقال : نعم	أبو هريرة	١٦٢
ما الذي أفدت في ملكك هذا ؟ قال : مودات الرجال	عبد الملك بن مروان	٢٩٢
ما الذي سلبك ملكك ؟ قال : تأخير عمل اليوم إلى الغد	-	٤٩٢
ما الزهد في الدنيا ؟ قال : الزهد في الناس	سفيان	٣٠٢
ما العيش ؟ فقال : إقبال الزمان وعز السلطان وكثرة الإخوان	عبد الملك بن صالح	٢٧٥
ما الكبر إلا فضل حق لم يدر صاحبه أين يذهب به فصرفه إلى الكبر	أردشير بن بابك	٣٧٦
ما المروءة فيكم ؟ فقال : اجتناب الريب فإنه لا ينبل مريب	زياد	٥٣٨
ما المروءة فيكم ؟ قال : طعام مأكول ونائل مبذول وبشر مقبول	جعفر بن محمد	٥٣٧
ما أمر الله تعالى بشيء إلا وأعان عليه ولا نهى عن شيء إلا وأغنى عنه	عمر بن الخطاب	٥٢٣
ما انتفعت ولا اتعظت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل كتاب	ابن عباس	١٦٧
ما أنصف من نفسه من أيقن بالخشى والحساب وزهد في الأجر والثواب	-	٢٠٢
ما أنصفك من كلفك إجلاله ومنعك ماله	الحسن البصري	٣٠٤
ما أنعم الله تعالى على عبد نعمة إلا وعليها فيها تبعة إلا سلبان عليه السلام	الحسن البصري	١٨٩
ما أنقصت ساعة من أمسك إلا ببضعة من نفسك	-	٢٠٥
ما بال المشايخ أحرص على الدنيا من الشباب ؟ قال : لأنهم ذاقوا من طعم الدنيا	المسيح عليه السلام	٣٥٩
ما بينك وبين ألا يكون فيك خير إلا أن ترى أن فيك خيراً	-	١٦٤
ما تقول في العفو والعقوبة ؟ قال : هما بمنزلة الجود والبخل فتمسك بأيهما شئت	المهلب بن أبي صفرة	٥٥٧
ما خاب من استخار ولا ندم من استشار	أنس بن مالك	٤٨٤
ما دون السحر وفوق الشعر يثقب الخردل ويحط الجنادل	-	٤٥٢
ما ذب عن الأعراض كالصفح والإعراض	-	٤٠٢

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
٢٨٩	طلحة الزهري	ما رأيت ألام من إخوانك قال لها : مه ولم قلت ذلك ؟
٤٣٢	الخليل بن أحمد	ما رأيت ظالماً أشبه بمظلوم من الحسود ؛ نفس دائم وهم لازم وقلب هائم
١٢٦	الشعبي	ما رأيت مثلي وما أشاء أن ألقى رجلاً أعلم مني إلا لقيته
١٩٦	عمر بن عبد العزيز	ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من يقين نحن فيه
٢٦٨	عبد الله بن مسعود	ما شيء أدل على شيء ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب
٥٦٤	عمر بن عبد العزيز	ما طاو عني الناس على شيء أردته من الحق حتى بسطت لهم طرفاً من الدنيا
٢٠١	-	ما طلعت شمس إلا وعظت بأمس
٤٠٦	الأحنف بن قيس	ما عاداني أحد قط إلا أخذت في أمره بإحدى ثلاث خصال
٤٤٩	إياس بن معاوية	ما فيك عيب إلا كثرة الكلام قال : أفتسمعون صواباً أم خطأ ؟
٤١٠	مصعب بن الزبير	ما قل سفهاء قوم إلا ذلوا
٣٣٨	كسرى	ما قيمة تاجي هذا ؟ فأطرق ساعة
٦٥	-	ما كان عنك معرضاً فلا تكن به متعرضاً
٣٠٣	علي بن أبي طالب	ما كان منه ابتداء فأما ما كان عن مسألة فحياء وتكرم
٤٣٥	عمر بن الخطاب	ما كانت لله على أحد نعمة إلا وجد لها حاسداً
٤٥٢	-	ما كثر إعجازه وتناسبت صدوره وأعجازه
١٨٤	حرقة بنت النعمان	ما لك تبكين ؟ فقالت : لأهلي غضارة ولن تمتلئ دار فرحاً إلا امتلأت ترحاً
٨٤	-	ما لكم لا تعاتبون الجهال ؟ فقال : إنا لا نكلف العمي أن يبصروا
٤٩٥	-	ما لم تغيبه الأضالع فهو منكشف ضائع
٩٤	المأمون بن الرشيد	ما لم يكن من العلم بارعاً فبطون الصحف أولى به من قلوب الرجال
١٨٨	أبو حازم	ما لنا نكره الموت ؟ قال : لأنكم أخرتكم وآخرتم دنياكم
٢٧٠	المسيب بن زهير	ما مادة العقل ؟ فقال : مجالسة العقلاء
٣٤٠	عمر بن الخطاب	ما مالك يا أبا ظبيان ؟
١٨٧	أبو حازم	ما مالك ؟ فقال : شيطان الرضا عن الله تعالى والغنى عن الناس

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
ما مضى من الدنيا كما لم يكن وما بقي منها كما قد مضى	-	١٨٤
ما نحن على ما نتقوى به على حواسنا من المطعم والمشرب بأحوج منا إلى الأدب	ابن المقفع	٣٦٨
ما هيح جاشك كخيظ أجاشك	-	٤١٢
ما وجدت شيئاً هو أهون من الورع قيل له وكيف ؟ قال : إذا أرتبت بشيء تركته	حسان بن أبي سنان	٥٣١
ما ودك من أهمل ودك ولا أحبك من أبغض حبك	-	٢٨٤
ما يتزين لله تعالى بمثل طاعته	-	١٧٦
المال ملول	-	٣٥٣
المتعمق في العلم كالسباح في البحر ليس يرى أرضاً	-	٧٤
التواضع من طلاب العلم أكثرهم علماً كما أن المكان المنخفض أكثر البقاع ماء	-	٩٣
متى يفحش زوال النعم ؟ قال : إذا زال معها التجميل	-	٥٤١
متى يكون عيش الدنيا ألد ؟ فقال : إذا كان الذي ينبغي أن يعمل في حياته معمولاً	أنوشروان	١٩٧
مثل الإخوان كالنار ؛ قليلها متاع وكثيرها بوار	-	٢٧٦
مثل الدنيا مثل الحية ؛ لين مسها قاتل سمها	علي بن أبي طالب	١٧٨
مثل الدنيا والآخرة مثل ضربتين ؛ إن أرضيت إحداها أسخطت الأخرى	وهب بن منبه	١٨٠
مثل العدو الضاحك إليك كالخنظلة الخضرة أوراقها القاتل مذاقها	-	٢٧٤
المحسن على المسيء أمير	عمر بن الخطاب	٥٦٠
مخالطة الأشرار خطر والصبر على صحبتهم كركوب البحر	-	٢٧٢
المخدول من كانت له إلى اللثام حاجة	-	٣١٢-٥٤١
﴿مُخْلِفِينَ﴾ في الرزق فهذا غني وهذا فقير	الحسن	٢١٥
المداد بنا أحسن من الزعفران	عبيد الله بن سليمان	١١٣
المدح ذبح	عمر بن الخطاب	٣٨١
مر أبو أمانة ببعض المساجد ، فإذا رجل يصلي وهو يبكي	-	١٧٣
مر بعض الزهاد بباب ملك فقال : باب جديد وموت عتيد ونزع شديد	-	٢٠٢

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
مر بعض الزهاد برجل قد اجتمع عليه الناس فقالوا : هذا مسكين	-	٢٠٢
مر به صديقان له فعرج عليه أحدهما وطواه الآخر فقيل له في ذلك فقال : نعم	خالد بن صفوان	٥٥٨
مر بي صلة بن أشيم فما تمالكت أن نهضت إليه فقلت يا أبا الصهباء ادع لي	سعيد بن المسيب	١٨٩
مر رجل من أرباب الأموال ببعض العلماء فتحرك له وأكرمه	-	٣٥١
مر محمد بن واسع بقوم فقيل له هؤلاء زهاد فقال : وما قدر الدنيا	محمد بن واسع	١٩٨
المرء أسير عمر يسير	عبد الحميد	٢٠٠
المرء حيث يجعل نفسه إن صانها .. ارتفعت وإن قصر بها .. اتضعت	عمرو بن العاص	٢٧٧
المرء على دين زوجته	-	٢٥٠
المرء مقترض من عمره المقترض	-	١٧٧
المرأة رجانة وليست بقهرمانة	الحجاج	٢٥٩
المروءة ألا تعمل في السر عملاً تستحي منه في العلانية	محمد بن علي	٥٣٠
المروءة الظاهرة في الثياب الطاهرة	عمر بن الخطاب	٥٧٩
المزاح من سخف أو بطر	إبراهيم النخعي	٥٠١
المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب	عبد الله بن المعتز	٥٠١
المستغني بالدنيا عن الدنيا كالمطعم النار بالتبن	عبد الله بن مسعود	٥٣٦
المستكثر من الإخوان من غير اختبار كالمستوقر من الحجارة والمقل من الإخوان	الإسكندر	٢٧٥
مسكين ابن آدم مكتوم الأمل محتوم الأجل مكنون العلل محفوظ	الحسن البصري	١٥٢
المسيء ميت وإن كان في دار الحياة والمحسن حي وإن كان في دار الأموات	-	٢٠٠
المشاوري في رأيه ناظر من ورائه	عبد الحميد	٤٨٤
مشاورة المشفق الحازم ظفر ومشاورة غير الحازم خطر	ابن المعتز	٤٨٧
المشايخ أشجار الوقار ومنابع الأخيار لا يطيش لهم سهم	-	٤٥
المشورة راحة لك وتعب على غيرك	ابن المعتز	٤٨٤
مصارمة قبل اختيار أفضل من مؤاخاة على اغترار	-	٢٦٩

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
المصيبة بالصبر أعظم المصيبتين	-	٤٧٩
معاتبة الأخ خير من فقدته ومن لك بأخيك كله	أبو الدرداء	٢٧٩
معاش الناس على أربعة أقسام	المأمون	٣٣٧
المعروف رق والمكافأة عتق	-	٣٣٢
المفرج الذي لا ينتمي إلى قبيلة يكون منها	الرياشي	٢٤٢
المفروح به هو المحزون عليه	-	٤٧٣
المقادير الغالبة لا تنال بالمغالبة	-	٣٥٨
مقتل الرجل بين فكيه	أكثم بن صيفي	٤٤٧
مكتوب في التوراة : إذا كان في البيت بر فتعبد وإذا لم يكن .. فاطلب	سفيان الثوري	٢١٤
مكتوب في التوراة : من أصابه مصيبة فشكا إلى الناس فإنها يشكوره	كعب الأحبار	٤٧٨
مكتوب في بعض الكتب : ردوا أبصاركم عليكم ، فإن لكم فيها شغلاً	مالك بن دينار	٣٥٩
الملك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم	-	٢٢٧
من ابتغى الخير اتقى الشر	الزهري	٥٦٦
من اتخذ إخواناً كانوا له أعواناً	-	٢٦١
من أجار جاره أعانه الله وأجاره	-	٥٤٧
من أحب البقاء فليعد للمصائب قلباً صبوراً	ابن أبي بكرة	٤٦٢
من أحب العلم أحاطت به فضائله	-	٨٢
من أحب المكارم اجتنب المحارم	-	٥٢١
من أحسن إلى جاره فقد دل على حسن نجاره	-	٥٤٧
من أخر الفرصة عن وقتها فليكن على يقين من فوتها	عبد الحميد	٣٢٥
من أذل الناس ؟ فقال : عالم يجري عليه حكم جاهل	-	١٢٠
من أراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليخفف الرداء	علي بن أبي طالب	٥٤٠
من أرسل طرفه استدعى حتفه	-	٥٢٢

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
٤٢٣	-	من استحل رضاع الكذب عسر فظامه
٢٩٢	-	من استصلح عدوه .. زاد في عدده ومن استفسد صديقه .. نقص من عدده
٤٨٦	-	من استعان بذوي العقول .. فاز بدرك المأمول
٤٨٩	علي بن أبي طالب	من استغنى برأيه .. ضل ومن اكتفى بعقله .. زل
٣٥١	حصن بن حذيفة	من استغنى .. كرم على أهله
٥١٧	-	من أسوأ الناس حالاً ؟ قال : من بعدت همته واتسعت أمنيته وقصرت آله
٢٧٠	-	من أشار عليك باصطناع جاهل أو عاجز .. لم يخل إما أن يكون صديقاً جاهلاً
٦٣	-	من أشجع الناس وأحراهم بالظفر في مجاهدته ؟ قال : من جاهد الهوى
٧٧	-	من أشد الناس فتنة ؟ قال : زلة العالم إذا زل
٣٥٠	-	من أصلح ماله .. فقد صان الأكرمين الدين والعرض
٥٨٤	-	من أصلح نفسه .. أرغم أنف أعاديه ومن أعمل جده بلغ كنه أمانيه
٦٠	-	من أطاع هواه .. أعطى عدوه ماته
٣٨٥	-	من أظهر عيب نفسه .. فقد زكاها
٤٨٤	سيف بن ذي يزن	من أعجب برأيه .. لم يشاور ومن استبد برأيه .. كان من الصواب بعيداً
٤٤٩	-	من أعجب بقوله .. أصيب بعقله
٢٩٥	عبد الله بن عباس	من أعطى فيما أمر واتقى فيما حظر وصدق بالحسنى يعني بالخلف من عطائه
٣٠٤	هند بنت الحس	من أعظم الناس في عينك ؟ قالت من كان لي إليه حاجة
٢٥١	عبد الحميد	من أعظمك لاستقلالك .. استقلك عند إقلالك
٤٤٢	-	من أعود ما يتكلم به العاقل ألا يتكلم إلا بحاجته أو حجته
٤٩٩	-	من أفشى سره .. كثر عليه المتأمرون
٩٥	-	من أكثر المذاكرة بالعلم .. لم ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم
٤٩٠	ابن المعتز	من أكثر المشورة .. لم يعدم عند الصواب مادحاً وعند الخطأ عاذراً
٤١٣	عمر بن الخطاب	من أكثر ذكر الموت .. رضي من الدنيا باليسير

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
٥٢٨	-	من التمس أربعاً بأربع .. التمس ما لا يكون : من التمس الجزاء بالرياء
٢٧٠	-	من الجهل صحة ذوي الجهل ومن المحال مجادلة ذوي المحال
١٨٠	-	من الدنيا على الدنيا دليل
١٢٨	-	من العلم ألا تتكلم فيما لا تعلم بكلام من يعلم فحسبك خجلاً من عقلك
١٣٠	بزرجمهر	من العلم ألا تحقر شيئاً من العلم ومن العلم تفضيل جميع العلم
١٨٦	عيسى ابن مريم	من الغنى دهيم
٥٤١	-	من ألف المسألة ألفه المنع
١٠٠	-	من الفراغ تكون الصبوة
٦٢	-	من أمات شهوته .. أحيا مروءته
١٠٠	-	من أمضى يومه في غير حق قضاه أو فرض أداه أو مجد أثله
٢٠٥	-	من أمل البقاء وقد رأى مصارعنا .. فهو مغرور
١٩١	-	من آمن بالآخرة .. لم يحرص على الدنيا ومن أيقن بالمجازاة .. لم يؤثر على الحسنى
٣٣٤	-	من أنكر حسن الصنعة .. استوجب قبح القطيعة
٥٤١	-	من أوغرت صدره .. استدعت شره
٤٠٢	-	من أوكد أسباب الحلم رحمة الجهال
٥٥٢	-	من أولع بقبح المعاملة .. أوجع بقبح المقابلة
٣٦٠	أكثم بن صيفي	من باع الحرص بالقناعة .. ظفر بالغنى والثروة
٣٠٥	-	من بذل ماله .. أدرك آماله
٣٨٥	-	من برئ من ثلاث .. نال ثلاثاً : من برئ من الشره نال العز
٢٥١	-	من بسطه الإدلال .. قبضه الإدلال
٩٤	-	من بلغ أشده .. لاقى من العيش أشده
٤٧٣	-	من بلغ غاية ما يجب .. فليتوقع غاية ما يكره
٣٨٩	-	من تاه في ولايته .. ذل في عزله

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
من ترك التماس المعالي بسوء الرجاء .. لم ينل جسيمها	موسى بن جعفر	٥١٦
من ترك نصيبه من الدنيا .. استوفى حظه من الآخرة	-	١٩١
من تشدد .. نفرو من تراخى .. تألف	أكرم بن صيفي	٢٩٠
من تعلم القرآن .. عظمت قيمته ومن تعلم الفقه .. نبل مقداره	الشافعي	٧٧
من تغير عليك في مودته .. فدعه حيث كان قبل معرفته	بزرجمهر	٥٥٦
من تفرد بالعلم .. لم توحشه خلوة ومن تسلى بالكتب .. لم تفته سلوة	-	١٤٣
من تفكر .. أبصر	علي بن أبي طالب	٢٣٨، ٦٥
من تكبر بعلمه وترفع .. وضعه الله به ومن تواضع بعلمه	-	١٢٥
من تمام العلم استعماله ومن تمام العمل استقلاله ؛ فمن استعمل علمه	-	١٣٣
من تهاون بالدين .. هان ومن غالب الحق .. لان	-	١٧٠
من توانى في نفسه .. ضاع	عبد الملك بن صالح	٢٢٧
من جاد .. ساد ومن أضعف .. ازداد	الحسين بن علي	٢٩٦
من جاد لك بمودته .. فقد جعلك عديل نفسه	-	٢٨٤
من جار حكمه .. أهلكه ظلمه	-	٥٢٧
من جرعت الدنيا حلاوتها بميله إليها .. جرعت الآخرة مرارتها لتجافيه عنها	ابن السباك	١٨٤
من حاذر .. لم يلع ومن راقب .. لم يجزع ومن كان متوقفاً .. لم يلف متوجعاً	-	٤٧٧
من حاسب نفسه .. ربح ومن غفل عنها .. خسر	الحسن	١٩١
من حاول صديقاً يأمن زلته ويدوم اغتباطه به .. كان كضال الطريق	-	٢٨٧
من حسن ظنه بمن لا يخاف الله تعالى .. فهو مخدوع	أبو سليمان الداراني	٥٣٢
من حصن سره .. فله بتحصيله خصلتان : الظفر بحاجته والسلامة من السطوات	أنوشروان	٤٩٦
من حق العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العقلاء ويجمع إلى عقوله عقول الحكماء	-	٤٨٤
من حقوق المودة أخذ عفو الإخوان والإغضاء عن تقصير إن كان	الحسن بن وهب	٢٨١
من حلم .. ساد ومن تفهم .. ازداد	علي بن أبي طالب	٤٠١

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
من خير خلالك الصبر على اختلالك	-	٤٦٢
من دام تواضعه .. كثر صديقه	-	٣٨٥
من دام كسله .. خاب أمله	-	٥١٨
من ذكر المنية .. نسي الأمانة	-	١٩٧
من ربه خلقه كيف يخلي خلقه ١٩	-	٤٣٦
من رد غضبه .. هد من أغضبه	-	٤١١
من رضي أن يمدح فيما ليس فيه .. فقد أمكن الساخر منه	-	٣٨٢
من رضي بالمقدور .. قنع بالميسور	-	٣٦٢
من رضي بصحبة من لا خير فيه .. لم يرض بصحبته من فيه خير	-	٢٥٥
من رضي بقضاء الله تعالى .. رضي الله عنه ولم يسخطه أحد	-	٤٣٢
من رضي عن نفسه .. أسخط عليه الناس	-	٣٧٣
من رق وجهه .. رق علمه	-	٩٣
من زيد في عقله .. نقص من رزقه	سفيان بن عيينة	٤٧٤
من ساء خلقه .. ضاق رزقه	-	٣٨٦
من ساس نفسه .. ساد ناسه	-	٣٧٢
من سره بنوه .. ساءته نفسه	ضرار بن عمرو الضبي	٢٠٦
من سعادة المرء أن يكون رديء الخط	الفضل بن سهل	١١٠
من سل سيف البغي .. أغمده في رأسه	جعفر الصادق	٥٦١
من شروط المروءة أن تتعفف عن الحرام وتتظلف عن الآثام وتنصف في الحكم	-	٥١٤
من شكرك على معروف .. لم تسده إليه	-	٣٣٣
من صاحب العلماء .. وقر ومن جالس السفهاء .. حقر	-	٨٢
من صبر .. ظفر	أكثم بن صيفي	٤٦٦
من صبر .. نال المنى ومن شكر .. حصن النعمى	-	٤٦٧

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
٥٣٩	ابن المعتز	من صحب السلطان فليصبر على قسوته كصبر الغواص على ملوحة بحره
٥٦٨	الجاحظ	من صنف كتاباً .. فقد استهدف ؛ فإن أحسن فقد استعطف وإن أساء فقد استقذف
٤٧٨	المهلب بن أبي صفرة	من ضاق قلبه .. اتسع لسانه
٤٣٩	-	من ضر بطبعه .. فلا تأنس بقربه ؛ فإن قلب الأعيان صعب المرام
٤٥٠	-	من طال صمته .. اجتلب من الهيبة ما ينفعه ومن الوحشة ما لا يضره
٤٥	-	من طال عمره .. نقصت قوة بدنه
٣٧٣	الأحنف بن قيس	من ظلم نفسه .. كان لغيره أظلم ومن هدم دينه .. كان لمجده أهدم
٤٠٨	-	من ظهر غضبه .. قل كيده
٥٦١	-	من عاشر إخوانه بالمساحة .. دامت له موداتهم
٥٨٤	-	من عرف معابه .. فلا يلم من عابه
٣٠٦	-	من عظمت مرافقه .. أعظمه مرافقه
٥٤٤٠٢٩٢	-	من علامة الإقبال اصطناع الرجال
٤٧٣	-	من علم أن كل ثابت إلى انقضاء .. حسن عزائه عند نزول البلاء
٣٩٩	ذو النون المصري	من عمل في السر عملاً يستحي منه في العلانية .. فليس لنفسه عنده قدر
١٩٤	-	من عمل للآخرة .. أحرزها والدينا ومن آثر الدنيا .. حرمها والآخرة
٤٠٢	-	من غرس شجرة الحلم .. اجتنى ثمرة السلم
٥٥٩	-	من غلبته الحدة .. فلا تغتر بمودته
١٣١	-	من فضل علمك استقلالك لعلمك ومن كمال عقلك استظهارك على عقلك
٣٦٨	أردشير بن بابك	من فضيلة الأدب أنه ممدوح بكل لسان
٥٥٢	-	من فعل ما شاء .. لقي ما لم يشأ
١٢٩	-	من قال لا أدري .. علم قدرى ومن انتحل ما لا يدري .. أهمل فهوى
٥٤٠	-	من قبل صلتك .. فقد باعك مروءته وأذل لقدرك عزه وجلالته
٣٤٤	-	من قل توقيه .. كثرت مساويه

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
٣٢٣	-	من قل حياؤه .. قل أحباؤه
٢٣٩	أوس بن حارثة	من قل .. ذل
٤١٨	-	من قل صدقه .. قل صديقه
٥٠٢	-	من قل عقله .. كثر هزله
٣٧٤	-	من قوي على نفسه .. تنهى في القوة
٣٦٢	ذو النون	من كانت قناعته سمينة .. طابت له كل مرقة
٣٨٥	الفضل بن سهل	من كانت ولايته فوق قدره .. تكبر لها ومن كانت ولايته دون قدره .. تواضع لها
٤٩٥	عتبة بن أبي سفيان	من كتم سره .. كان الخيار إليه ومن أفشاه .. كان الخيار عليه
١٣٦	-	من كتم علماً .. فكأنه جاهل به
٢٧٦	عمرو بن العاص	من كثر إخوانه .. كثر غرماؤه
٥٨٢	-	من كثر اعتباره .. قل عثاره
٤١٠	-	من كثر شططه .. كثر غلطه
٥٠٧	عمر بن الخطاب	من كثر ضحكته .. قلت هيئته
٤٤٧	شفي الأصبحي	من كثر كلامه .. كثرت آثامه
٥٠٢	عمر بن الخطاب	من كثر مزاحه .. زالت هيئته ومن كثر خلافه .. طابت غيبته
٣٩٥	يحيى بن معاذ	من كساه الحياء ثوبه .. لم ير الناس عيبه
٣٣٤	-	من كفر نعمة المقيد .. استوجب حرمان المزيد
٥٧	الأحنف بن قيس	من كل شيء يحفظ الأحمق إلا من نفسه
٤٨٩	-	من كمال عقلك استظهارك على عقلك
٥٥٢	-	من كنت سبباً لبلائه .. وجب عليك التلطف له في علاجه من دائه
٥٤١	علي بن أبي طالب	من لا يعرف (لا) حتى يقال له (لا) .. فهو أحمق
٥٨٠	-	من لزم الرقاد .. عدم المراد
١٩٣	ابن المعتز	من لم يتعرض للنواب .. تعرضت له

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
من لم يتعظ بموت ولد .. لم يتعظ بقول أحد	-	٢٠٥
من لم يحتمل ذل التعلم ساعة .. بقي في ذل الجهل أبداً	-	١١٨
من لم يرغب في ثلاث .. يلي يست : من لم يرغب في الإخوان يلي بالعداوة والخذلان	-	٢٦٦
من لم يشكر الإنعام .. فاعدده من الأنعام	عبد الحميد	٣٣١
من لم يشكر لمنعمه .. استحق قطع نعمه	-	٣٣٤
من لم يصلح لأهله .. لم يصلح لك ومن لم يذب عنهم .. لم يذب عنك	-	٢٤٨
من لم يعد كلامه من عمله ؛ كثرت خطايا	عمر بن عبد العزيز	٤٤٥
من لم يفد بالعلم مالاً ؛ كسب به جمالاً	-	٨٦
من لم يقبل التوبة ؛ عظمت خطيئته ومن لم يحسن إلى التائب ؛ قبحت إساءته	-	٥٥٩
من لم يقدم الامتحان قبل الثقة والثقة قبل الأنس ؛ أثمرت مودته ندماً	جعفر بن محمد	٢٦٩
من لم يلد ؛ فلا ولد	-	٢٥٨
من لم يمت ؛ لم يفت	أكثم بن صيفي	٢٠٥
من لم يؤت من العلم ما يقمعه ؛ فما أوتي من العلم لا ينفعه	مالك بن دينار	٨٩
من مروءة المطلوب إليه ألا يلجئ إلى الإلحاح عليه	-	٣١٥
المن مفسدة الصنيعة	-	٣٢٨
من من بمعروفه ؛ سقط شكره	-	٣٢٨
من نال ؛ استطال	-	٣٨٩
من نالته إساءتك ؛ همته مساءتك	معاوية	٥٥٢
من نبيل الفقر أنك لا تجد أحداً يعصي الله ليفتقر	عمر بن الخطاب	٣٤٧
من نكد الدنيا ألا تبقى على حالة ولا تخلو من استحالة	-	١٨٢
من هجر أخاه من غير ذنب ؛ كان كمن زرع زرعاً ثم حصده قبل أوانه	-	٥٥٠
من ودك لأمر ؛ ولى مع انقضائه	الحسن الجواد	٢٥٠
من وصل رحمه ؛ وصله الله تعالى ورحمه ومن أجار جاره أعانه الله وأجاره	-	٢٤٨

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
من يخن ؛ يهن	-	٥٢٧
من يعرف كل العلم ؟ فقال : كل الناس	-	١٢٦ - ٧٣
منع الجميع أَرْضَى للجميع	محمد بن الجهم	٣٠٩
منهومان لا يشبعان : طالب علم وطالب دنيا ؛ أما طالب العلم	عبد الله بن مسعود	١٣٠
المنى من بضائع النوى	علي بن أبي طالب	٥١٧
الموت قصارك ؛ فخذ من دنياك لأخراك	-	٢٠٠
المودة النكاح والرحمة الولد	الحسن البصري	٢٤٩
مؤنة التوقف أيسر من تكلف التعسف	سهل بن هارون	٥٣٢
النار لا ينقصها ما أخذ منها ولكن يخمدها ألا تجد خطباً كذلك العلم	ابن المعتز	١٣٧
الناس أبناء ما يحسنون	علي بن أبي طالب	٧١
الناس أشتات ولكل جمع شتات	-	١٨٧
الناس ثلاثة أصناف : أغنياء وفقراء وأوساط	ابن المعتز السلمي	٣٤٥
الناس حاسد ومحسود ولكل نعمة حسود	-	٤٣٢
الناس طالبان يطلبان : فطالب يطلب الدنيا فارفضوها في نحره	عمر بن الخطاب	٢٠١
الناس في الخير أربعة : منهم من يفعله ابتداءً ومنهم من يفعله اقتداءً	-	١٧٥
الناس في الولاية رجلان : رجل يجل عن العمل بفضله	-	٣٨٥
نحن لا نريد أن نموت حتى نتوب ونحن لا نتوب حتى نموت	أبو حازم الأعرج	١٦٩
النساء أربع : فمنهم معمم لها شيئها أجمع ومنهن تبع ترى ولا تنفع	-	٢٥٦
نصف رأيك مع أخيك فشاورة ليكمل لك الرأي	-	٤٨٨
نظر الجاهل بعينه وناظره ونظر العاقل بقلبه وخاطره	-	٦٤
نعم القوم السؤال ؛ يدقون أبوابكم يقولون : توجهون إلى الآخرة شيئاً	إبراهيم	١٨٩
نعم الله أكثر من أن تشكر إلا ما أعان عليه وذنوب ابن آدم أكثر	الحسن بن علي	١٥٤
نعم المؤازرة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد	علي بن أبي طالب	٤٨٣

الصفحة	صاحبه أو راويه	طرف الأثر أو القول أو الخبر
٣٧٨	بزرجمهر	النعمة التي لا يحسد صاحبها عليها التواضع
٨٦	عبد الله بن المعتز	نعمة الجاهل كروضة على مزبلة
٥١٨	عمرو بن العاص	نكح العجز التواني فخرج بينهما الندامة ونكح الشؤم الكسل فخرج بينهما الحرمان
٤٣٠	-	النميمة دناءة والسعاية رداءة وهما رأس الغدر وأساس الشر
٤٢٩	-	النميمة سيف قاتل
١٩٦	الحسن البصري	نهارك ضيفك فأحسن إليه ؛ فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك
٥٨٠	عبد الله بن عباس	النوم ثلاثة : نومة خرف وهي الصبحة ونومة خلق وهي القائلة
١٨٣	-	هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع ومن عينك الدموع
١٨٣	مزدك	هذا سرور لولا أنه غرور ونعيم لولا أنه عذيم
٥٤٦	-	هل شيء خير من الذهب والفضة ؟ قال : معطيها
٥٤٩	أنوشروان	هل من أحد لا عيب فيه ؟ قال : من لا موت له
١٢٩	-	هلك من لا أدري ترك
٩٣	-	الهم قيد الخواص
٣٩١	-	الهم كالسم
٦٥	-	هما ضرطان فذر أيتها شئت وخذ الأخرى
٥١٦	-	الهمة رائد الجلد
٦٤	سليمان بن وهب	الهوى أمتع والرأي أنفع
٦١	-	الهوى عسوف والعدل مألوف
٦٣	علي بن أبي طالب	الهوى عمي
٦٥	-	الهوى مطية الفتنة والدنيا دار المحنة فانزل عن الهوى تسلم
٦١	-	الهوى ملك غشوم ومتسلط ظلوم
٦٠	-	الهوى هوان ولكن غلط باسمه
٦٤	عامر بن الظرب	الهوى يقظان والعقل راقد فمن ثم غلب

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
هيهات منك الغنى إن لم يقتنعك ما حوت	-	٣٤٨
وا بردها على القلب !! إذا سئل أحدكم عما لا يعلم أن يقول الله أعلم	علي بن أبي طالب	١٢٨
والله ؛ إني لا أحبك حتى تحب الأرض الدم	عمر بن الخطاب	٢٢٤
والله ؛ ما أدري أأنت الخليفة أم عمر ؟! فقال : بل عمر لكنه أنا	أبو بكر الصديق	٢٦٥
والله ؛ ما منعه من جوابي إلا هواني عليه	الأحنف بن قيس	٤٠٤
واليك نسعى ونحفد	عمر بن الخطاب	٢٤٩
وجد مكتوباً على قبر : قهرنا من قهرنا فصرنا للناظرين عبرة	-	٢٠٥
وجد مكتوباً في حجر : يا بن آدم إنك لو رأيت يسير ما بقي من أجلك لزهدت	الجاحظ	١٩٦
وجدت أكثر أمور الدنيا لا تجوز إلا بالتغافل	-	٢٩٠
وجدت الدنيا شيتين شيئاً هو لي لن أعجله	أبو حازم الأعرج	٣٦٣
الوجه مرايا تريك أسرار البرايا	-	٤٢٣
وددت أني كنت غسلاً لا أعيش إلا بها أكسبه يوماً فيوماً	عبد الملك بن مروان	١٩٠
وسأل المغيرة عن المروءة فقال : هي العفة عما حرم الله تعالى والحرفة فيما أحل	المغيرة	٥٢٠
وسأل يزيد عن المروءة فقال : هي الصبر على البلوى والشكر على النعمى	يزيد	٥٢٠
ولأن في الرجوع عنه من الانكسار وفي توقع الوعد من مراة الانتظار	-	٣١٦
أن الوليد بن يزيد بن عبد الملك تفاعل يوماً في المصحف	-	٥١٣
وليس كما قال : لأن للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية	أبو عثمان الجاحظ	٤٤٩
ويل للظالم من يوم المظالم	-	٥٢٧
يا أبا حازم ؛ ما المخرج مما نحن فيه ؟ قال : تنظر ما عندك فلا تضعه إلا في حقه	أبو حازم	١٨٦
يا أبا سعيد ؛ عمن ؟ فقال : ما تصنع بـ عمن ؟ أما أنت فقد نالتك عظته	الحسن البصري	١٠٤
يا أبت ؛ أتنام والناس بالباب ؟ فقال : يا بني مطيتي وأكره أن أبعثها فتقوم لي	عمر بن عبد العزيز	٥٨١
يا أخي ؛ من استغنى بالله تعالى اكتفى	الحسن البصري	٣٤٨
يا أمير المؤمنين ؛ أسألك بالذي أنت بين يديه أذل مني بين يديك	ابن محارب	٤١٣

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
يا أمير المؤمنين ؛ أعن موجدة أم خيانة ؟! فقال : لا عن واحدة منهما	أبو موسى الأشعري	٥٢
يا أهل الشام ؛ اسمعوا قول أخ ناصح فاجتمعوا عليه فقال : مالي أراكم تبنون	أبو الدرداء	٢٠٢
يا بن آدم ؛ أحدث سفيراً أحدث لك رزقاً	-	٣٤١
يا بن آدم ؛ في كل يوم توتى رزقك وأنت تحزن وينقص عمرك وأنت لا تحزن	مورق العجلي	١٩٠
يا بن عمران ؛ تعلم العلم لتعمل به ولا تتعلمه لتحدث به	الخضر	١٣٢
يا بني ؛ إذا قللت من الكلام .. أكثرت من الصواب	الهيثم بن صالح	٤٤٨
يا بني ؛ إذا سلم الناس منك .. فلا عليك ألا تسلم منهم فإنه قلما اجتمعت هاتان	-	٥٥٥
يا بني ؛ إذا كنت في قوم فلا تتكلم بكلام من هو فوقك فيمقتوك	أبو الأسود الدؤلي	٤٥٧
يا بني ؛ استقلل الكثير مما تعطي واستكثر القليل مما تأخذ فإن قرة عيون	كسرى	٣٠٢
يا بني السائب ؛ قد أضويتم فانكحوا في الغرائب	عمر بن الخطاب	٢٥٨
يا بني ؛ الغريب من ليس له حبيب	علي بن أبي طالب	٢٦١
يا بني ؛ إن استطعت ألا يكون بينك وبين الله ذو نعمة .. فافعل	علي بن أبي طالب	٥٣٧
يا بني ؛ إن الأدب ميراث الأشراف ولست أرى عندك من سلفك إراثاً	ابن أبي دواد	٥٦٣
يا بني ؛ إياك والرقوب الغضوب القطوب	-	٢٥٦
يا بني ؛ تعلموا العلم فإن كنتم سادة فقتم	عبد الملك بن مروان	٧١
يا بني ؛ تعلموا العلم وإن لم تنالوا به من الدنيا حظاً فلأن يذم الزمان	-	٨٦
يا بني ؛ كذب من قال : إن الشر بالشر يطفأ فإن كان صادقاً فليوقد نارين ولينظر	لقمان الحكيم	٥٥٣
يا بني ؛ كن جواداً بالمال في موضع الحق ضئيلاً بالأسرار عن جميع الخلق	-	٤٩٥
يا بني ؛ لا تترك صديقك الأول فلا يطمنن إليك الثاني يا بني اتخذ ألف صديق	لقمان الحكيم	٥٥٧
يا بني ؛ لا تطلب الحوائج إلى غير أهلها ولا تطلبها في غير حينها	عبد الله بن الأهم	٥٤١
يا بني ؛ لا تكن على أحد كلاً فإنك تزداد بذلك ذلاً واضرب في الأرض عوداً وبدءاً	-	٥٣٥
يا بني ؛ لا يحملنكم جمال النساء عن صراحة النسب فإن المناكح اللثيمة	أكثم بن صيفي	٢٥٥

طرف الأثر أو القول أو الخبر	صاحبه أو راويه	الصفحة
يا بني ؛ من غضب من إخوانك ثلاث مرات فلم يقل فيك سوءاً	جعفر بن محمد	٢٨١
يا حبذا المال أصون به عرضي وأرضي به ربي	-	٥٣٤
يا صاحب العلم ؛ تعلم من العلم ما جهلت وعلم الجهال ما علمت	عيسى ابن مريم	١٢٩
يا صياد ؛ احذر أن تصاد	لقمان الحكيم	٢٥٢
يا عجباً !! كيف لا تستحي من كثرة ما لا تستحي وتتقي من طول ما لا تتقي ؟	-	٣٩٥
يا عم ؛ ما عندك فيما يقول هؤلاء ؟ فقال : يا أمير المؤمنين	إبراهيم بن المهدي	٨١
يا غلام ؛ أعطه قميصي هذا لذلك اليوم لا لشعره	عمر بن الخطاب	٣٢٠
يا من يطلب من الدنيا ما لا يلحقه ؛ أترجو أن تلحق من الآخرة ما لا تطلبه	الحسن البصري	٤٦٣
يا هذا ؛ أتستحي أن تكون في آخر عمرك أفصل مما كنت في أوله	-	٨١
يا هذا ؛ لا تغرقن في سبنا ودع للصالح موضعاً	أبو الدرداء	٤٠٢
يجب أن يكون في التهمة لنفسه معتدلاً وفي حسن الظن بها مقتصداً	الجاحظ	٣٧٣
يحتاج طالب العلم إلى أربع : مدة وجدة وقرينة وشهوة	الإسكندر	١١٧
يرتفع الجهل بين الحياء والكبر في العلم	الخليل بن أحمد	٩٣
يستدل على عقل الرجل بقوله وعلى أصله بفعله	-	٤٥١
يصبك أحدكم صاحبه بأشد من الجنادل وينشقه أخرق من الخردل	خالد بن صفوان	٥٠٢
يظن بالمرء ما يظن بقرينه	-	٢٦٨
يعرفون ما عدد الله عليهم ، في قوله تعالى : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ تَتْرُكُنَّكَ رُتْبًا ﴾	مجاهد	١٥٤
يكفيك من الحسود أن يغتم وقت سرورك	عثمان بن عفان	٤٣٢

فهرس الأمثال والحكم

- بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق الأمور ٤٦٨
 تجبر عن مجهوله مرآته ٣٩٤
 رب حظ أدركه غير طالبه ، ودر أحرزه غير حالبه ٣٥٨
 العادة طبع ثان ٢٦٦
 العقوق ثكل من لم يشكل ٢٤٦
 عند الامتحان يكرم المرء أو يهان ٩١
 كلب جوال خير من أسد رابض ٥٣٣
 لكل ساقطة لاقطة ٣٤٢
 لولا الوثام هلك الأنام ١٧٤
- من استغنى كرم على أهله ٣٥١
 من أعجب برأيه لم يشاور ، ومن استبد برأيه كان من
 الصواب بعيداً ٤٨٤
 من رق وجهه رق علمه ٩٣
 من سره بنوه ساءتة نفسه ٢٠٦
 من قل ذل ٢٣٩
 من لم يمت لم يفت ٢٠٥
 منع الجميع أرضي للجميع ٣٠٩
 ورب أكلة هاضت الأكل ، وحرمتة مآكل ٥٧٠

فهرس الكتب

- البيان ١٢٧، ١٩٦، ٣٧٣، ٤٥٣
 كلية ودمنة ١٨٤
 المعارف ١٠٨، ٥٥٥

فهرس الأبيات الشعرية

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
الهمزة المضمومة					الهمزة المفتوحة				
على أن	براء	الطويل	-	٣٥٦	أن لله	مساء	الخفيف	ابن الرومي	٣٢٠
إذا تم	ثناؤه	الطويل	ابن عبد القدوس	٤٢	أن لله	الآباء	الخفيف	ابن الرومي	٣٢٠
حياءك	حياؤه	الطويل	ابن عبد القدوس	٣٩٥	الهمزة المكسورة				
ويظهر	سخاؤه	الطويل	ابن عبد القدوس	٢٩٦	قل ما	صباه	البسيط	بشار بن برد	٤٠٧
إذا كنت	سواء	الطويل	-	٣٥٦	إذا ما كنت	إخاء	الوافر	السندي	٢٧١
ومن كلفته	عناؤه	الطويل	أبو العتاهية	٣٥٤	فإن خيرت	الحياء	الوافر	السندي	٢٧١
تفط	غطاؤه	الطويل	ابن عبد القدوس	٢٩٦	فما لك	القضاء	الوافر	سيدنا علي	٤٦٥
إذا قل	ماؤه	الطويل	ابن عبد القدوس	٣٩٥	إذا ملك	القضاء	الوافر	سيدنا علي	٤٦٥
إذا لم	تشاء	الوافر	أبو تمام	٣٩٥	فإن العقل	كفاء	الوافر	السندي	٢٧١
فلا والله	الحياء	الوافر	أبو تمام	٣٩٥	داوى	الخلفاء	الكمال	ابن العميد	٤٣٧
ورب قبيحة	الحياء	الوافر	علي بن الجهم	٣٩٩	يرمون	الرقباء	الكمال	الإيادي	٤٤٨
يعيش	اللحاء	الوافر	أبو تمام	٣٩٥	ليس	العطاء	الخفيف	بشار بن برد	٣٠٧
إذا رزق	يشاء	الوافر	علي بن الجهم	٣٩٩	الباء المضمومة				
يكرن	خلاء	الكمال	-	٥٩٣	فقلت	أقارب	الطويل	أبو تمام	٢٦٣
دع ذكرهن	سواء	الكمال	-	٥٩٣	لحومهم	أقاربه	الطويل	عبد الله بن المعتز	٢٤٧
والمال	سواء	الكمال	-	٥٩٢	يعيش	تجاربه	الطويل	إبراهيم بن حسان	٤٢
والعلم	عناء	الكمال	-	٥٩٢	إذا كنت	تعاتبه	الطويل	بشار بن برد	٢٨٧
والزهد	عياء	الكمال	-	٥٩٢	يخونك	تناسبه	الطويل	بشار بن برد	٢٦٧
العمر	فناء	الكمال	-	٥٩٢	ألا إنها الدنيا	جانب	الطويل	ابن عبد ربه	٤٧٤

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
ومن عادة	جانب	الطويل	سميد بن حميد	٢٣٦	وربما	سبب	البسيط	البحري	٣١٠
فلا تفرحن	ذاهب	الطويل	ابن عبد ربه	٤٧٤	لوفكر	شيب	البسيط	-	٣٧٩
فلا تكتحل	ذاهب	الطويل	ابن عبد ربه	٤٧٤	يا بن التراب	مشروب	البسيط	-	٣٧٩
إذا لم يكن	ركوبها	الطويل	الكميت	٣٠٩	هل في	مضروب	البسيط	-	٣٧٩
وما أعرف	طالب	الطويل	سميد بن حميد	٢٣٦	أنف يسيل	ملعوب	البسيط	-	٣٧٩
وقد تحكم	ليب	الطويل	الفضل	٤٨٨	يمضي	يكتسب	البسيط	الفرزدق	٢٧٩
إذا أكمل	مآربه	الطويل	إبراهيم بن حسان	٤٢	نوائب	الأديب	خ البسيط	عبيد الله	٤٧٦
فعش	مجانبه	الطويل	بشار بن برد	٢٨٧	كذاك	الخطوب	خ البسيط	عبيد الله	٤٧٦
وإن أنت	مشاربه	الطويل	بشار بن برد	٢٨٧	قد ذقت	ضروب	خ البسيط	عبيد الله	٤٧٦
وما هذه الأيام	مصائب	الطويل	ابن عبد ربه	٤٧٤	لم يمض	نصيب	خ البسيط	عبيد الله	٤٧٦
ويحمد	مصيب	الطويل	الفضل	٤٨٨	ولم تر	الأريب	الوافر	أبو حاتم	٤٨١
ومن ذا	معايه	الطويل	علي بن الجهم	٢٨٠	إذا انقلب	انقلاب	الوافر	ابن الرومي	٢٧٦
يزين	مكاسبه	الطويل	إبراهيم بن حسان	٤٢	كثاقبة	الثقوب	الوافر	إبراهيم بن هرمة	٢٨٣
نسيبي	المناسب	الطويل	أبو تمام	٢٦٤	وأوطنت	الخطوب	الوافر	أبو حاتم	٤٨١
يشين	مناسبه	الطويل	إبراهيم بن حسان	٤٢	وكل الحادثات	قريب	الوافر	أبو حاتم	٤٨١
ولست	المهذب	الطويل	الناطقة الذبياني	٢٨٠	إذا اشتملت	القلوب	الوافر	أبو حاتم	٤٨١
وما سمي	يتقلب	الطويل	-	١١٦	وليس	كلاب	الوافر	ابن الحجاج	٣١٠
وأفضل	يقاربه	الطويل	إبراهيم بن حسان	٤٢	أناك	المستجيب	الوافر	أبو حاتم	٤٨١
ما هوى	ينشعب	المديد	أبونواس	٢٦٣	فأدت	ندوب	الوافر	إبراهيم بن هرمة	٢٨٣
قد ينشع	الأدب	البسيط	ابن عبد القدوس	٣٧٠	فإنك	نكوب	الوافر	إبراهيم بن هرمة	٢٨٣
العذر	أرب	البسيط	محمد الأصهباني	٥٥٩	ولو أنني	آدابها	الكامل	كشاجم	٣٧٣
يا مظهر	تثريب	البسيط	-	٣٧٩	لم أرض	إغضابها	الكامل	كشاجم	٣٧٣
فحمدك	تكذيب	البسيط	أبو الأسود الدؤلي	٢٦٩	من كان	بواب	الكامل	أبو تمام	٣١٣
إن الغصون	الخشب	البسيط	ابن عبد القدوس	٣٧٠	وتبينت	عتابها	الكامل	كشاجم	٣٧٤

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
كم من	نطيب	ج الكامل	أبو العتاهية	١٩٤	وأصفح	السبابة	الوافر	الحسن بن رجاء	٤٠٢
غادرته	الحبيب	ج الكامل	أبو العتاهية	١٩٤	ومن هاب	يهابا	الوافر	الحسن بن رجاء	٤٠٢
فيهن ولدان	شيب	ج الكامل	أبو العتاهية	١٩٤	امتن	رطباً	ج الكامل	-	٣١٦
وسلوت	قريب	ج الكامل	أبو العتاهية	١٩٤	واعلم	صعباً	ج الكامل	-	٣١٦
خفر	الكتيب	ج الكامل	أبو العتاهية	١٩٤	يا أيها	غرباً	ج الكامل	-	٣١٦
ما للمقابر	الكتيب	ج الكامل	أبو العتاهية	١٩٤	ما إن يعاب	صبا	ش الرجز	الفردق	٤٨
واعلم	الثالب	السريع	ابن الرومي	٢٦٦	ولا يعاب	كباً	ش الرجز	الفردق	٤٨
لولا علاج	اللازب	السريع	ابن الرومي	٢٦٦	إنك	ممعجبا	ش الرجز	ليبد	٤٦
رب	خراب	الخفيف	جحظة	٢٦٩	يا هرم	منصباً	ش الرجز	ليبد	٤٦
زعموا	ذنب	الخفيف	-	٥٩٣	ولا يعاب	نباً	ش الرجز	الفردق	٤٨
علموني	صعب	الخفيف	-	٥٩٣	الباء المكسورة				
لا تكونن	الهيوب	الخفيف	-	٨٢	ألم تر	التجارب	الطويل	المتنصر الأنصاري	٤٦
فوحق	يحب	الخفيف	-	٥٩٣	وما كل	ليب	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	٤٨٦
الباء المفتوحة					ولو بلغفتي	المتكذب	الطويل	ابن الرومي	٥٤٩
عليك	صعباً	الطويل	-	١٦٦	فعدرك	مرحب	الطويل	ابن الرومي	٥٤٩
فإن تسلمي	صلباً	الطويل	خالد بن يزيد	٢٥٠	ولكن إذا	نصيب	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	٤٨٦
تجول	قلبا	الطويل	خالد بن يزيد	٢٤٩	فلست	يتقلب	الطويل	ابن الرومي	٥٤٩
أحب	كلباً	الطويل	خالد بن يزيد	٢٥٠	إن يكن	الأدب	البيسط	الأصمعي	٣٦٩
هم الناس	مشرباً	الطويل	ابن الرومي	٢٨١	لا تحمذن	تجرب	البيسط	أبو الأسود الدؤلي	٢٦٩
ومن قلة	المهذباً	الطويل	ابن الرومي	٢٨١	من غير	سبب	البيسط	أبو تمام	٣٠٧
شر	رغباً	البيسط	ابن عبد القدوس	٢٨٥	إني رأيتها	المشب	البيسط	الأصمعي	٣٦٩
إذا وترت	عنيا	البيسط	ابن عبد القدوس	٢٨٥ ٥٥٢	من يدعي	الغضب	البيسط	-	٤٠٩
إن العدو	وثياً	البيسط	ابن عبد القدوس	٢٨٥ ٥٥٢	وكل من	النسب	البيسط	الأصمعي	٣٦٩
أحب مكارم	أعاباً	الوافر	الحسن بن رجاء	٤٠٢	فإن الداء	الشراب	الوافر	ابن الرومي	٢٧٦

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
عدوك	الصحاب	الوافر	ابن الرومي	٢٧٦	ولو طلب	طلب	الطويل	ابن أبي الزلازل	٤٨٠
إذا ما كنت	الطبيب	الوافر	الصنوبري	٤٥٩	أتحسب	العجب	الطويل	سعد الأزدي	٤٧٩
فما للجحج	المذاب	الوافر	ابن الرومي	٢٧٦	ليست	الغضب	الرمل	مسكين الدارمي	٤٠٩
وللسقاط	المريب	الوافر	الصنوبري	٤٥٩	فما خلق	الأدب	المقارب	-	٣٦٩
فدع	مستطاب	الوافر	ابن الرومي	٢٧٦	وفي العلم	الغضب	المقارب	-	٣٦٩
ما من روى	أديب	الكامل	محمد بن كناسة	٦٦	وما كرم	النسب	المقارب	-	٣٦٩
ما أنت	الأسباب	الكامل	علي الباخرزي	٢٧٥	الناء المضمومة				
فاليوم	الأوصاب	الكامل	علي الباخرزي	٢٧٥	إذا نطق	السكوت	الوافر	عمر بن علي	٤٠٥
أقلل	عتاب	الكامل	منصور النمري	٢٨٧	سكت	عييت	الوافر	عمر بن علي	٤٠٥
ليس	المتغابي	الكامل	أبو تمام	٢٩٠	إني إذا	غدراته	الكامل	-	٣٣٢
ولقلها	مصيب	الكامل	محمد بن كناسة	٦٦	ماذا أقول	فعلاته	الكامل	-	٣٣٢
حتى يكون	معيب	الكامل	محمد بن كناسة	٦٦	أأقاتل	مولاته	الكامل	-	٣٣٢
ودع	حسيه	ج الكامل	الرضا	٢٨٩	وتحدث	نخلاته	الكامل	-	٣٣٢
واصبر	خطوبه	ج الكامل	الرضا	٢٨٩	أأقول	ولاته	الكامل	-	٣٣٢
واعلم	ركوبه	ج الكامل	الرضا	٢٨٩	الناء المفتوحة				
اعذر	عيوبه	ج الكامل	الرضا	٢٨٩	فجادوا	جمعا	المقارب	عمود الوراق	٣٥٤
وترك	جذبه	ش الرجز	ابن الذئبة	٥٦٤	فأرهمتهم	كسبا	المقارب	عمود الوراق	٣٥٤
هان	كلبه	ش الرجز	ابن الذئبة	٥٦٤	تمتع	متا	المقارب	عمود الوراق	٣٥٤
من جمع	يجد به	ش الرجز	ابن الذئبة	٥٦٤	شقيت	مقتا	المقارب	عمود الوراق	٣٥٤
لا يروي	تقليب	الخفيف	ابن الرومي	١٤٠	الناء المكسورة				
لوذعي	ضريب	الخفيف	ابن الرومي	١٤٠	صبرت	استمرت	الطويل	ابن معدي كرب	٦٢
ألمي	المنعب	الخفيف	ابن الرومي	١٤٠	فكم من	اضمحلت	الطويل	عشيان بن عفان	٤٦٩
الباء الساكنة									
لقد عرفتك	الأدب	الطويل	ابن أبي الزلازل	٤٨٠	وكم غمرة	تجلت	الطويل	عشيان بن عفان	٤٦٩
					وما النفس	تسلت	الطويل	ابن معدي كرب	٦٢

الصدر	القافية	البحر	القاتل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القاتل	الصفحة
تصفحت	ثغاتي	الطويل	الشافعي	٢٨٨	وعظتك	خفت	ج الكامل	أبوالعنايه	٢٠٤
خليلي	جلت	الطويل	عشان بن عفان	٤٦٨	وتكلمت	سبت	ج الكامل	أبوالعنايه	٢٠٤
فمن لي	الحسنات	الطويل	الشافعي	٢٨٨	ولربيا	الشمث	ج الكامل	أبوالعنايه	٢٠٥
وكانت	ذلت	الطويل	عشان بن عفان	٤٦٩	الناء المضمومة				
فإن نزلت	زلت	الطويل	عشان بن عفان	٤٦٩	ناقس على	أحاديث	السرير	-	٤٣٤
أحب	عثراتي	الطويل	الشافعي	٢٨٨	كل امرئ	موروث	السرير	-	٤٣٤
يوافقني	وفاتي	الطويل	الشافعي	٢٨٨	الجيم المضمومة				
فقلت لها	ولت	الطويل	الشافعي	٢٨٨	ألا ربيا	خرج	الطويل	محمد الحميري	٣١٢
الناس	الأخوات	البيسط	الشافعي	٢٩٣	أبي	مفرج	الطويل	محمد الحميري	٣١٢
اللق	البشاشات	البيسط	القاضي التنوخي	٢٩٢	فكل شيء	أسمجه	البيسط	-	١٩٨
إني أحسي	التحيات	البيسط	الشافعي	٢٩٣	ترى الذي	تزوجه	البيسط	-	١٩٨
فخالق	تقيات	البيسط	الشافعي	٢٩٣	وأنه بين	ستنضجه	البيسط	-	١٩٨
الرفق	العداوات	البيسط	القاضي التنوخي	٢٩٣	من كان	خرجه	البيسط	-	١٩٨
لما عفوت	العداوات	البيسط	الشافعي	٢٩٣	الجيم المفتوحة				
وأظهر	محبات	البيسط	الشافعي	٢٩٣	إن الأمور	ارتجأ	البيسط	محمد بن بشير	٤٦٧
ما دمت	المدارة	البيسط	أبوسليمان الخطابي	٢٢٩	لا تيأسن	فرجا	البيسط	محمد بن بشير	٤٦٧
فاحزم	مودات	البيسط	القاضي التنوخي	٢٩٣	أخلق	يلجا	البيسط	محمد بن بشير	٤٦٧
ولست	المودات	البيسط	الشافعي	٢٩٣	له إذا جن	حاجة	ش الرجز	القشيري	٥٠٦
من يدر	ندامات	البيسط	أبوسليمان الخطابي	٢٢٩	رأيت	خفاجة	ش الرجز	القشيري	٥٠٦
لا تغتر	السلامة	ش الرجز	-	٥٩١	كحاجة	الدجاجة	ش الرجز	القشيري	٥٠٦
فإنها	المدامة	ش الرجز	-	٥٩١	الجيم المكسورة				
الناء الساكنة					تزوجت	التزوج	الطويل	-	٥٩١
يا شامتا	تفت	ج الكامل	أبوالعنايه	٢٠٥	فوالله	المتزوج	الطويل	-	٥٩١
وأرتك	نمت	ج الكامل	أبوالعنايه	٢٠٤	الحاء المضمومة				

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
وما شرف	تمدح	الطويل	المغيرة بن حبناء	٣٨٤	تكلم	جماد	الطويل	أبو الفتح البستي	٤٤٨
وما كل	يربع	الطويل	المغيرة بن حبناء	٣٨٤	وإن امرأ	حسود	الطويل	حسان بن ثابت	٥٤٧
ولا كل	يصلح	الطويل	المغيرة بن حبناء	٣٨٤	فإن تك	حميد	الطويل	محمد بن بشر	٢٠١
حرك	مراوح	ج الكامل	أبو العتاهية	٣٩١	وإن امرأ	زهيد	الطويل	حسان بن ثابت	٥٤٦
أحسن الله	تفوح	ج الرمل	أبو العتاهية	٢٠٦	إذا ما المنايا	ستعود	الطويل	محمد بن بشر	٢٠١
فإذا المستور	فضوح	ج الرمل	أبو العتاهية	٢٠٦	فإن لم تجد	سداد	الطويل	أبو الفتح البستي	٤٤٩
	الحاء المفتوحة				وإن امرأ	سعيد	الطويل	محمد بن بشر	٢٠١
إذا المرء	مفصحا	الطويل	-	٣٨٣	مضى أمسك	شهيد	الطويل	محمد بن بشر	٢٠١
ولا مشير	متصحا	البيط	ابن عبد القدوس	٤٨٧	يذكرتهم	شهيد	الطويل	الحارث	٢٨٦
كتاركة	جناحا	المتقارب	-	٥٨١	عسى	غد	الطويل	حرث التغلبي	٣١٩
ألم تر	صحيحا	المتقارب	أنس بن أسيد	٤٩٦	ولا ترج	فقيد	الطويل	محمد بن بشر	٢٠١
فلا تفس	نصيحاً	المتقارب	أنس بن أسيد	٤٩٦	بذا قضت	فوائد	الطويل	المتني	٤٧٤
	الحاء المكسورة				هوم	مساعد	الطويل	سيدنا علي	٢٦٢
أفد	الزح	الطويل	أبو الفتح البستي	٥٠٣	نكون	واحد	الطويل	سيدنا علي	٢٦٢
ولكن إذا	الملح	الطويل	أبو الفتح البستي	٥٠٣	فمنهن جنات	وقود	الطويل	ابن شبرمة	٢٥٧
لمودة	الكاشح	الكامل	-	٢٦٦	علي	يبيد	الطويل	الحارث	٢٨٦
وقد يقال	التلاحي	الرجز	السابوري	٥٠٢	هذا على	أحد	البيط	التملمس	٣٤٢
لم أواخذك	الصحيح	الخفيف	أبوفراس	٥٥١	موكل	ترناد	البيط	-	٤٢١
فجميل	قيح	الخفيف	أبوفراس	٥٥١	إن يحسدوني	حسدوا	البيط	بشار بن برد	٤٣٥
	الذال المضمومة				عود لسانك	معتاد	البيط	-	٤٢١
بدأت	أحد	الطويل	محمد بن داود	٣٠٦	ولا يقيم	الوتد	البيط	التملمس	٣٤٢
وإنك	أسعد	الطويل	حرث التغلبي	٣١٩	قدام لي	يجد	البيط	بشار بن برد	٤٣٥
أرى	بعيد	الطويل	ابن شبرمة	٢٥٦	أتوعد	عنيذ	الوافر	الوليد	٥١٣
وإني لأستحي	بعيد	الطويل	الحارث	٢٨٦	إذا ما جئت	الوليد	الوافر	الوليد	٥١٣

الصدر	القافية	البحر	القاتل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القاتل	الصفحة
هل يستطيع	شهود	الكامل	عبد الأعلى	١٦٣	لكن رأيت	مطرदा	البسيط	-	٤٧١
لا خير	واجد	الكامل	ابن عبد القدوس	٨٠	صل من	أحدًا	الكامل	نصر بن أحمد	٥٥٦
والمرء	يحمّد	الكامل	عبد الأعلى	١٦٣	ما خطب	جاهدا	الكامل	البحثري	٣٦٠
عدوى	يحمّد	الكامل	الخووازمي	١٧٥	لحكيمنا	الركنًا	الكامل	-	٤٧٠
العمر	يعود	الكامل	عبد الأعلى	١٦٣	لم ألق	زائدًا	الكامل	البحثري	٣٦٠
لا نصحب	يفسد	الكامل	الخووازمي	١٧٥	وعجبت	قاعدا	الكامل	البحثري	٣٦٠
وارتمشت	أجسادها	ش الرجز	زر بن حبّيش	٢٠٧	فإذا اقتنيت	مكمدا	الكامل	-	٤٧٠
إذا الرجال	أولادها	ش الرجز	زر بن حبّيش	٢٠٧	قد أكثرت	ولدا	الكامل	نصر بن أحمد	٥٥٦
وجعلت	تعتادها	ش الرجز	زر بن حبّيش	٢٠٧	قال المغموم	ينفدا	الكامل	-	٤٧٠
تلك زروع	حصادها	ش الرجز	زر بن حبّيش	٢٠٧	شدة	شدة	ج الرمل	سميد بن سلم	٤٧٠
فأرد ما	تريده	ج الخفيف	محمود الوراق	٤٣٨	إنها الدنيا	مستردة	ج الرمل	سميد بن سلم	٤٧٠
قدر الله	وروده	ج الخفيف	محمود الوراق	٤٣٧	البدال المكسورة				
قد مضى	يريده	ج الخفيف	محمود الوراق	٤٣٨	كنى زاجرا	تغندي	الطويل	عدي بن زيد	٥٤٦
وأخو الخزم	يزيده	ج الخفيف	محمود الوراق	٤٣٨	ولن تسنين	حاسد	الطويل	البحثري	٢٩١
فقد دل	فاسد	المتقارب	-	٥٨٤	إذا كنت	الردي	الطويل	عدي بن زيد	٢٦٨
إذا أجمع	واحد	المتقارب	-	٥٨٤	وكل أخ	الشذائد	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	٢٨٤
البدال المفتوحة					فأصبحت	والد	الطويل	أبو تمام	٢٤٥
فإني	أرشدًا	الطويل	-	٤٩٢	عن المرء	يقندي	الطويل	عدي بن زيد	٢٦٨
ألم تر	أسدى	الطويل	عبد الله بن طاهر	٤٧٠	قالت	تزد	البسيط	-	٥٩٤
فمن سره	فقدًا	الطويل	عبد الله بن طاهر	٤٧٠	قالت	كبدي	البسيط	-	٥٩٤
إذا كنت	مفسدا	الطويل	-	٤٩٢	دعها	متنقد	البسيط	-	٥٩١
ولا تأمنن	يبعدا	الطويل	عدي بن زيد	٢٨٥	فقال	يرد	البسيط	-	٥٩٤
لو أن	أبدا	البسيط	-	٤٧١	إذا لم	البلاد	الوافر	-	٣٨٦
فقد سكنت	غدا	البسيط	-	٤٧١	فإن الجرح	فساد	الوافر	المتنبي	٥٥٧

الصدر	القافية	البحر	القاتل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القاتل	الصفحة
ومما كانت	الفؤاد	الوافر	أبو تمام	٤٤٥	الذال المفتوحة				
إذا ما المرء	الولاد	الوافر	-	٣٨٦	وهكذا	أدى	ش الرجز	-	٥٩١
إن القديح	أيد	الكامل	قيس بن عاصم	٢٣٩	في دنها	قذى	ش الرجز	-	٥٩١
وأجب	تردد	الكامل	سليمان بن يزيد	٤٩٣	الراء المضمومة				
وإذا أراد	حسود	الكامل	أبو تمام	٤٣٥	توممه	أثر	الطويل	أبونواس	٤٢٠
إني رأيت	الشهد	الكامل	الأشجع السلمي	٢٨٣	فلا تصحجن	أموره	الطويل	سعد الأزدي	٤٨٠
فإذا أخذت	العهد	الكامل	الأشجع السلمي	٢٨٣	وكنت	تستثيرها	الطويل	الفرزدق	٥٢٦
لولا اشتعال	العود	الكامل	أبو تمام	٤٣٥	فيفرح	ذخر	الطويل	أبو تمام	٣٩٠
عزت فلم	متبدد	الكامل	قيس بن عاصم	٢٣٩	يراع	سروره	الطويل	سعد الأزدي	٤٨٠
لولا التخوف	المحسود	الكامل	أبو تمام	٤٣٥	رأيت	صابر	الطويل	الصيقل	٥٢٢
فقر	واحد	الكامل	البحري	٨٠	لكل	الصهر	الطويل	عبيد الله بن طاهر	٢٦٠
كم دخلت	الجسد	المنسرح	أبو بكر العلاف	٥٧٠	وكنت	طائر	الطويل	-	٣١٧
ما ارتد	جسده	المنسرح	أبو العتاهية	٢٠٥	تكثرت	ظهور	الطويل	ابن الرومي	٢٩١
إن مع	غذه	المنسرح	أبو العتاهية	٢٠٥	فما حسن	عاذر	الطويل	مضرر الأسدي	٥٨٣
لا بارك	المعد	المنسرح	أبو بكر العلاف	٥٧٠	وصافحه	عقر	الطويل	أبونواس	٤٢٠
أمسك	الأعادي	الخفيف	بشار بن برد	٣٩٨	وأعجب	الفكر	الطويل	أبو تمام	٣٩٠
ولقد أصرف	السواد	الخفيف	بشار بن برد	٣٩٨	ومر بقلبي	الفكر	الطويل	أبونواس	٤٢٠
فإنك	الأبعد	المتقارب	ابن الرومي	٤٥٥	فبعل	القبر	الطويل	عبيد الله بن طاهر	٢٦٠
إذا ما وصفت	أقصد	المتقارب	ابن الرومي	٤٥٥	وفي الجهل	قبور	الطويل	-	٧٣
فيضول	المشهد	المتقارب	ابن الرومي	٤٥٥	عواقب	قصار	الطويل	ابن ثوبة الكاتب	٤٧١
الذال الساكنة									
رأيت	فسد	الطويل	عمود الوراق	١٧٥	فنى كان	كبر	الطويل	أبو تمام	٣٧٧
يعظم	الولد	الطويل	عمود الوراق	١٧٥	وليس	كثير	الطويل	ابن الرومي	٢٩٢
فتضاحكن	تود	الرملي	عمر بن أبي ربيعة	٦٣	المصادر	فيناك	الطويل	مضرر الأسدي	٥٨٣
					وكنت	المناظر	الطويل	الصيقل	٥٢٢

الصدر	القافية	البحر	القاتل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القاتل	الصفحة
وإن امرأ	نشور	الطويل	-	٧٣	الدار	النار	البيسط	ابن عبد القدوس	٢٠٧
وليس بياق	نهار	الطويل	ابن ثوبة الكاتب	٤٧١	تريك	النظر	البيسط	مجنون ليلي	٤٢٤
ألم تر	نوره	الطويل	سعد الأزدى	٤٨٠	توقف	تزور	الوافر	ليبد	٢٨٦
يرى	وافر	الطويل	-	٣١٧	يد	شكور	الوافر	عبد الله بن المبارك	٣٢٤
فلا تعدماني	يعذر	الطويل	ابن طباطبا	٨٧	فقي شكر	الكفور	الوافر	عبد الله بن المبارك	٣٢٤
رايتك	يكسر	الطويل	-	٣٢١	نل ما بدا	آخره	الكامل	أبو العتاهية	١٩٢
وأسوا	ينكر	الطويل	الحارثي	٢٧٨	هل أنت	دساكره	الكامل	أبو العتاهية	١٩١
إن الكلام	إكتار	البيسط	إبراهيم بن هرمة	٤٥٠	أين الملوك	صائره	الكامل	أبو العتاهية	١٩٢
ما كل	أنكرها	البيسط	-	٢٦٩	كل يرى	عذر	الكامل	محمد بن بشير	٦١
شف	بصر	البيسط	المؤمل بن أميل	٥١٣	وبمن أذل	حساكره	الكامل	أبو العتاهية	١٩١
قد أورقت	ثمر	البيسط	العتابي	٣٣٣	الناس	مر	الكامل	-	٢٦٤
الموت	الدار	البيسط	-	٢٠٧	واعلم	مسطور	الكامل	-	٣١١
ولن يقدم	الذكر	البيسط	الفرزدق	٤٨	لا تطلبين	المقدور	الكامل	-	٣١١
يشو الصغير	الشجر	البيسط	-	٣٧٠	ويمن خلت	منابره	الكامل	أبو العتاهية	١٩٢
لا يمस्क	الصفر	البيسط	أعشى باهلة	٥١٠	تضع	نزر	الكامل	عمرو الباهلي	٤٤٦
لم ينب	القدر	البيسط	الفرزدق	٤٨	كم من	وعر	الكامل	-	٢٦٤
لو كنت	القدر	البيسط	ابن أبي سلمى	٨٦	وإذا تصبك	يصبر	الكامل	سليمان	٤٦٤
الخير	مخذور	البيسط	ابن بقلية	٥٥٥	وطلبت	يظفر	الكامل	البحري	٢٧٣
لا تركنن	مخبره	البيسط	-	٢٦٩	يا مؤثر	يفاخره	الكامل	أبو العتاهية	١٩٢
هما علان	غثار	البيسط	ابن عبد القدوس	٢٠٧	ألف	عشر	ش الرجز	عقيل بن علفه	٢٦٠
أعجب	المطر	البيسط	الفرزدق	٤٨	أحب	القبر	ش الرجز	عقيل بن علفه	٢٦٠
إن السعيد	معتبر	البيسط	الحارث بن حلزة	٥٨٢	إني	المهر	ش الرجز	عقيل بن علفه	٢٦٠
لا تحسبوني	مفتقر	البيسط	المؤمل بن أميل	٤٣٧	زاد	حقير	الرمل	الحريمي	٣٢٧
يسمى	متشر	البيسط	ابن أبي سلمى	٨٦	تتناساه	خطير	الرمل	الحريمي	٣٢٧

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
المراء	آثاره	السريع	عمود الوراق	٥٦٣	حبیب	صبرا	الطویل	-	٥٩٢
فأحسن	أخباره	السريع	عمود الوراق	٥٦٣	إذا ما بدت	عذرا	الطویل	سالم بن وابصة	٢٩٠
صف	تشاوره	المنسرح	-	٤٨٧	غنى	فقرا	الطویل	أبو العتاهية	٣٢١
أوشك	تنافره	المنسرح	عمد بن حازم	٤٨٧	ومستودعي	قبرا	الطویل	عبد الله بن طاهر	٤٩٩
من يكشف	سرائره	المنسرح	عمد بن حازم	٤٨٧	ولو كان	قصرا	الطویل	-	٥٨٥
وارض	ظاهره	المنسرح	عمد بن حازم	٤٨٧	وما الحلي	قصرا	الطویل	ابن الرومي	٥٧٨
وكل باز	المصافير	المنسرح	ابن سكرة	٥٨٣	يذكرني	كسرى	الطویل	-	٥٩٢
والمنايا	تغرها	ج الخفيف	-	١٨١	ويخبرني	غبرا	الطویل	زيادة بن زيد	١٢٨
يستوي	حرها	ج الخفيف	-	١٨١	فراح	موفرا	الطویل	-	١٩٧
كل دنيا	شرها	ج الخفيف	-	١٨١	سلوا	النحرا	الطویل	-	٥٩١
وإذا استحل	مرها	ج الخفيف	-	١٨١	وما السر	النشرا	الطویل	عبد الله ابن طاهر	٥٠٠
هي أم	يبرها	ج الخفيف	-	١٨١	بخيل	نبرا	الطویل	-	٥٩٢
كل نفس	يضرها	ج الخفيف	-	١٨١	إلا إنها	هجرا	الطویل	-	١٩٧
فاذكرونا	تدور	مضطرب الوزن	-	٥٩٣	سليم	هجرا	الطویل	سالم بن وابصة	٢٩٠
حضرنا	حضور	مضطرب الوزن	-	٥٩٣	أحب	وقرا	الطویل	سالم بن وابصة	٢٩٠
	الراء المفتوحة				فأما إذا	يزورا	الطویل	ابن الرومي	٥٧٨
ومصرفه	أبصرا	الطویل	-	٥٨٥	ولا خير	يكندرا	الطویل	الناطقة الجمعدی	٤٠٩
ألم تعلمنا	أدبرا	الطویل	الناطقة الجمعدی	٥٤٥	خل إذا	اعتذرا	البسيط	سهل بن هارون	٣٢٧
ولا خير	أصدرا	الطویل	الناطقة الجمعدی	٤٠٩	يخفي	ظهرا	البسيط	سهل بن هارون	٣٢٧
إذا ما انتهى	أقصرا	الطویل	زيادة بن زيد	١٢٨	أقبل	فجرا	البسيط	الشافعي	٥٦٠
إذا شئت	حرا	الطویل	سالم بن وابصة	٢٩٠	فقد أطاعك	مسترا	البسيط	الشافعي	٥٦٠
ولكنني	خبرا	الطویل	عبد الله ابن طاهر	٥٠٠	اشرب	أمرا	ج الرمل	الحبزازري	٤٨٠
من السم	السمرا	الطویل	-	٥٩٢	كم رأينا	حرا	ج الرمل	الحبزازري	٤٨٠
وليست	شكرا	الطویل	أبو العتاهية	٣٢١	ملك	شرا	ج الرمل	الحبزازري	٤٨٠

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
أبها الإنسان	يسرا	ج الرمل	الخيزارزي	٤٨٠	ولم أر	الفقر	الطويل	سيدنا علي	٢٣٣
من شرف	الأخرة	السريع	محمود الوراق	٢١٤	تصبرت	الفقر	الطويل	إسحاق بن راشد	٤٦٤
لا تتبع	الدائرة	السريع	محمود الوراق	٢١٤	فلن تعدل	لطانر	الطويل	أبوالعناحية	١٨٠
وهو على	العذرة	المنسرح	ابن عون	٣٧٧	فما رضي	لكافر	الطويل	أبوالعناحية	١٨٠
وفي غد	قذرة	المنسرح	ابن عون	٣٧٧	دليلك	الثري	الطويل	ابن المقفع	٣٤٧
عجبت	مذرة	المنسرح	ابن عون	٣٧٧	وأي إناء	الوفر	الطويل	دعبل الخزاعي	٢٣٣
رايت	مغيرا	المتقارب	-	٤٤٧	إذا جئت	يدري	الطويل	الأمدي	١٣١
الراء المكسورة									
وليس	الأسر	الطويل	أبوالعناحية	٣٠٥	اعمل	تقصيري	البسيط	الحليل بن أحمد	١٣٤
تسمع	أمر	الطويل	أبوالعناحية	١٨٠	ولو قدرت	الخبر	البسيط	-	٤٩٩
إذا لم	أمري	الطويل	-	٣٤٦	لكنت	خطر	البسيط	-	٤٩٩
لقاؤك	الفقر	الطويل	ابن المقفع	٣٤٨	لا تعجزن	الضجر	البسيط	سيدنا علي	١٠٢
إذا أبت	ضائر	الطويل	أبوالعناحية	١٨٠	أصفو	كدر	البسيط	سميد الخالدي	٣٨٧
إذا كنت	تدري	الطويل	الأمدي	١٣١	فكم من	دهر	الوافر	إبراهيم بن هرمة	٥٧٠
جهلت	تدري	الطويل	الأمدي	١٣١	فتعرف	الصغير	الوافر	-	٩٢
ومن أعجب	تدري	الطويل	الأمدي	١٣١	ترق	الكبير	الوافر	-	٩٢
سمعن	التذكر	الطويل	الأخيلية	٤٧٧	وكم	يدري	الوافر	إبراهيم بن هرمة	٥٧٠
لئن كنت	الدهر	الطويل	دعبل الخزاعي	٢٣٣	متصنع	البشر	الكامل	حماد عجزد	٢٦٧
وليس	الصبر	الطويل	إسحاق بن راشد	٤٦٤	فلس	تدبر	الكامل	أبوسليمان الغنوي	١٢٣
ومن أمل	صفر	الطويل	-	٣٤٦	من عرف	حائر	الكامل	-	٥٩٤
فإن تكن	عسر	الطويل	إبراهيم الصولي	٣٩٠	من لم تكن	خطر	الكامل	-	٢٧١
إذا انتقروا	الفقر	الطويل	-	٣١١	فإذا عدا	الدهر	الكامل	حماد عجزد	٢٦٨
أعوذ بك	الفقر	الطويل	-	٣٤٦	ما فاتني	الشكر	الكامل	أبوالعناحية	٣١٤
لقد كشف	الفقر	الطويل	إبراهيم الصولي	٣٩٠	ورزقت	صدري	الكامل	أبوالعناحية	٣١٤

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
جاءت	طائر	الكامل	-	٥٩٤	لا تسأل	الخبر	المنسرح	سلم بن عمرو	٣٩٤
جزى	ظهري	الكامل	أبو العتاهية	٣١٤	وإذا ما	الإعتذار	الخفيف	-	٤١٤
محن	العنبر	الكامل	الصنوبري	٤٧٥		الراء الساكنة			
أعلى	قدري	الكامل	أبو العتاهية	٣١٤	ولكنني	سفر	الطويل	-	١٩٩
أبني	المبصر	الكامل	سيدنا علي	١٧٠	حلت	كبر	الطويل	-	١٩٩
فارفض	المثري	الكامل	حماد عجرد	٢٦٨	قد بعد	الاعتذار	السريع	-	٥٩٢
وعليك	اليسر	الكامل	حماد عجرد	٢٦٨	يا عاقلاً	الأمر	السريع	-	٦١
كم من	يسر	الكامل	حماد عجرد	٢٦٧	أتهمل	أمير	السريع	-	٦١
فطنا	يشعر	الكامل	سيدنا علي	١٧٠	ويحك	بذار	السريع	-	٥٩٢
وإذا	يعسر	الكامل	أبوسليمان الغنوي	١٢٣	أبطمئن	تدار	السريع	-	٥٩٢
فكيف	بره	ج الرجز	عمود الوراق	١٥٥	يا غائب	تعتبر	السريع	عمود الوراق	٣٤٧
والله	جاري	ش الرجز	الحسين بن علي	٥٢١	أنك تعصي	تفتقر	السريع	عمود الوراق	٣٤٧
شكر	شكره	ج الرجز	عمود الوراق	١٥٥	كم كدرت	عار	السريع	-	٥٩٢
الموت	العار	ش الرجز	الحسين بن علي	٥٢١	ما بعد	قرار	السريع	-	٥٩٢
والعار	النار	ش الرجز	الحسين بن علي	٥٢١	من شرف	النظر	السريع	عمود الوراق	٣٤٧
إنني	سيري	ج الرمل	-	٤٥٨	أيا من	ضرر	المتقارب	أبو العتاهية	١٨٣
أنت	الصغير	ج الرمل	-	٤٥٨	هي الدار	الغير	المتقارب	أبو العتاهية	١٨٣
الدهر	أمره	السريع	أحمد الدارمي	٨٠	إذا ما	الكبر	المتقارب	أبو العتاهية	١٨٣
جسمك	الحار	السريع	عمود الوراق	١٦٠	فلو نلتها	الوطر	المتقارب	أبو العتاهية	١٨٣
يا لائم	دهره	السريع	أحمد الدارمي	٨٠		الزاي المضمومة			
الستر	ستر	السريع	ابن أبي سلمى	٩٨	إذا كنت	أعجز	الطويل	أبو العتاهية	٤٥٠
ومؤمن	فقره	السريع	أحمد الدارمي	٨٠	إن الهوى	تميز	ش الرجز	-	٩٣
كم كافر	كفره	السريع	أحمد الدارمي	٨٠	صرف	عزيز	ش الرجز	-	٩٣
وكان	النار	السريع	عمود الوراق	١٦٠					

الصدر	القافية	البحر	القاتل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القاتل	الصفحة
			الزاي المفتوحة		المرء	رمسه	الكامل	أبوفراس	٤٧٢
وكيف	عاجزا	الطويل	-	٢٨٩	فليفعلن	الشمس	الكامل	-	١٥١
ظلمت	غرائزا	الطويل	-	٢٨٩	فموجل	نفسه	الكامل	أبوفراس	٤٧٢
إذا لم	متجاوزا	الطويل	-	٢٨٩	أقبل	يمسي	الكامل	-	١٥١
	السين المضمومة				العالم	جتنه	الرجز	ابن دريد	١٢٠
فلا غرو	الشمس	الطويل	أبو الفتح البستي	٤٧٥	كن ابن	كيسه	الرجز	ابن دريد	١٢٠
فلا تحتقر	يخانس	الطويل	-	٢٦٣	وليس	لنفسه	الرجز	ابن دريد	١٢٠
إن العميون	لباس	الكامل	-	٥٧٧		السين الساكنة			
أما الطعام	الناس	الكامل	-	٥٧٧	فاصرف	افترس	الكامل	كشاجم	٥٣٦
	السين المكسورة				لا أستلذ	الغلس	الكامل	كشاجم	٥٣٥
أبي له	تشمس	الطويل	-	٤٣٦	وأرى حراما	يلتمس	الكامل	كشاجم	٥٣٦
فحاصل	حدسها	الطويل	علي بن محمد	١٧٨		السين المضمومة			
ألم تر	خمسها	الطويل	علي بن محمد	١٧٧	أظلت	رشاشها	الطويل	بشار بن برد	٣١٩
إذا كملت	سدسها	الطويل	علي بن محمد	١٧٧	فلا غيمها	عطاشها	الطويل	بشار بن برد	٣١٩
وتأخذ	مسها	الطويل	علي بن محمد	١٧٧		السين المكسورة			
وكذاك	عرسه	المديد	سليمان الأعمى	١٨٧	فلا تنطق	فاش	الوافر	قيس بن الخفيم	٤٩٨
رب مفروس	مفترسه	المديد	سليمان الأعمى	١٨٧		الصاد المكسورة			
لا تأمن	الحرس	البسيط	أبو العتاهية	١٩٥	يا نفس	مخصوص	البسيط	المهدي	٧٤
ما بال	الدنس	البسيط	أبو العتاهية	١٩٥	لا شيء	منقوص	البسيط	المهدي	٧٤
واعلم بأن	مترس	البسيط	أبو العتاهية	١٩٥	أبضمن	الخلاص	الوافر	عبد الله بن المبارك	١٦٢
إذا تمخيت	المفالس	البسيط	-	٣٩١	أطاع	المعاصي	الوافر	عبد الله بن المبارك	١٦٢
من يفعل	الناس	البسيط	الحطينة	٣٢٤	ما كدت	الفحص	الكامل	محمود الوراق	٢٨٨
ترجو	اليس	البسيط	أبو العتاهية	١٩٥		الضاد المضمومة			
واستقبل	الأمس	الكامل	-	١٥١	من لك	بعض	الرجز	أبو العتاهية	٥١٥

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
الضاد المفتوحة					الضاد المفتوحة				
أو لا تكن	أقرضا	الكامل	البحثري	٥٤٠	ظل الفتى	حظ	السريع	أبو الفتح البستي	٣٢٩
إلا يكن	الرضا	الكامل	البحثري	٥٤٠	الضاد المكسورة				
ما عوض	عوضا	الكامل	أبو تمام	٣٦٤	عود	حفظ	الكامل	-	١٣٥
عند	غمضا	الكامل	أبو تمام	٣٦٤	إياك	الوعظ	الكامل	-	١٣٥
لا تطلبين	غيضا	الكامل	أبو تمام	٣٦٤	العين المضمومة				
الضاد المكسورة					وإني لبشيني	أربع	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	٤٠٠
إذا الأرض	أرض	الطويل	ابن الرومي	٣٣٤	من الناس	تتابه	الطويل	ابن بهيس الكلابي	٤٩٤
وما الحقد	بعض	الطويل	ابن الرومي	٣٣٤	أقاد لنا	تضيع	الطويل	حميد الهلاي	٥٨
كفى حزنا	عرضي	الطويل	أبو بشر الضرير	٣٥٢ ٥٣٤	وما ضاع	تضيع	الطويل	بشار بن برد	٣٠٤
فحيث ترى	القرض	الطويل	ابن الرومي	٣٣٤	أراها	تنقش	الطويل	ابن شبرمة	٦٦
وأكثر	يرضي	الطويل	أبو بشر الضرير	٣٥٢ ٥٣٤	وأبغض	راجع	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	٢٨٥
على أنها	يمضي	الطويل	أبو خراش الهذلي	٢٣١	تواضع	رفيع	الطويل	-	٥٩١
بل يفعل	أعراضه	المنسرح	ابن الرومي	٥٤٥	شهدت	رقيع	الطويل	حميد الهلاي	٥٨
لكل شيء	عوض	المنسرح	-	٢٧٩	ولكن	الروابع	الطويل	محمد الأزدي	٢٤٨
لا يبذل	معتاضه	المنسرح	ابن الرومي	٥٤٤	وكن	سامع	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	٢٨٥
الضاد المفتوحة					وليس بمنغن	شفيع	الطويل	-	١٠٦
لا تسألن	شططا	ش الرجز	-	٥٢	ونفسك	شفيهما	الطويل	الفرزدق	١١٥
لا تذهبن	فرطا	ش الرجز	-	٥٢	لعمرك	صانع	الطويل	لبيد	٥١١
وكن	وسطا	ش الرجز	-	٥٢	فقلت	ضفادعه	الطويل	أحمد بن بندار	٢٨٢
الضاد المكسورة					وحسبك	قاطع	الطويل	محمد الأزدي	٢٤٨
واعلم	سمطه	الكامل	أبو بكر الموسوس	١٠٩	ولا يستوي	قاطع	الطويل	عبد الله بن الزبير	٢٤٨
فإذا	شرطه	الكامل	أبو بكر الموسوس	١٠٩	وقالوا	مشارعه	الطويل	أحمد بن بندار	٢٨٢
اعذر	ضبطه	الكامل	أبو بكر الموسوس	١٠٩	ومن كانت	المطامع	الطويل	أبو العتاهية	٥٣٠

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
على رأيه	مواقفه	الطويل	ابن بيهس	٤٩٤	العين المفتوحة				
وأحب	نازع	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	٢٨٥	وإنك إن	أجمعا	الطويل	حاتم الطائي	٣٤٩
فلا تمنحن	نافعه	الطويل	ابن بيهس	٤٩٤	متعت	متعا	البسيط	-	٩٨
بصير	واقع	الطويل	-	٤٣٧	فصيرها	بضاعة	الوافر	سيدنا علي	٣٦١
وما المال	الودائع	الطويل	ليبد	١٩٠	تخر	ساعة	الوافر	سيدنا علي	٣٦١
ولا تك	وضع	الطويل	-	٥٩١	أفادتني	القناعة	الوافر	سيدنا علي	٣٦١
لكل امرئ	يطيعها	الطويل	الفرزدق	١١٥	إن المروءة	أضاعها	الكامل	الحضين الرقاشي	٥١٩
حياء	ينفع	الطويل	أبو الأسود الدؤلي	٤٠٠	أمرته	أطاعها	الكامل	الحضين الرقاشي	٥١٩
ما كنت	تبع	البسيط	منصور النمري	٣٩٢	فإذا أصاب	باعها	الكامل	الحضين الرقاشي	٥١٩
أبكي	تسع	البسيط	منصور النمري	٣٩٢	العين المكسورة				
ما واجه	مرتدع	البسيط	منصور النمري	٣٩٢	إذا لم تصن	اصنع	الطويل	أبودلف العجلي	٣٩٩
قد كدت	منقطع	البسيط	منصور النمري	٣٩٢	فمزرة	زارع	الطويل	عبدالله بن همام	٣٣٠
ما كان	يدع	البسيط	منصور النمري	٣٩٢	فإن كان	شافع	الطويل	ابن الأحنف	٢٧٣
أصبحت	يقع	البسيط	منصور النمري	٣٩٢	وسمت	الصنائع	الطويل	-	٣٠٦
ليس	يستطيع	الوافر	-	٦٥	فمستودع	ضائع	الطويل	عبدالله بن همام	٣٣٠
إني رأيت	تشبعوا	الكامل	ابن حسان	٣١٤	وأي	طائع	الطويل	ابن الأحنف	٢٧٣
فإذا	تقنعوا	الكامل	ابن حسان	٣١٤	وما الناس	المزارع	الطويل	عبدالله بن همام	٣٣٠
فلا ينفع	مسموع	الهزج	سيدنا علي	٥٦	فأقسم	نافع	الطويل	ابن الأحنف	٢٧٣
رأيت	مطبوع	الهزج	سيدنا علي	٥٦	لمعرك	الودائع	الطويل	عبدالله بن همام	٣٣٠
كما لا تنفع	منوع	الهزج	سيدنا علي	٥٦	ولن تصادف	متتبع	البسيط	الأحنف بن قيس	٢٥١
لا تذع	مذيع	الرمل	ابن عبد القدوس	٤٩٨	تواصلنا	الربيع	الوافر	نقطويه	٢٨١
كلامي	أصنع	المقارب	-	٣١٣	معاذ	المطبع	الوافر	نقطويه	٢٨١
أقول	الضفدع	المقارب	-	٣١٢	يروعك	الزروع	الوافر	نقطويه	٢٨١
					فإذا صنعت	دع	الكامل	حسان بن ثابت	٣٣٠

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
إن الصنمية	المصنع	الكامل	حسان بن ثابت	٣٣٠	تزيده	تصاريدها	السرير	أبو الهمزة	٤٧٣
كيف احتراسي	أضلاعي	السرير	ابن الأحف	٣٧٢	آباء	اللف	المنسرح	-	١٢١
قلبي إلى	أوجاعي	السرير	ابن الأحف	٣٧٢	يا فاخرا	الشرف	المنسرح	-	١٢١
	العين الساكنة				من علم	النطف	المنسرح	-	١٢١
كل	تبع	الرميل	المأمون	٢٦٤	وسرك	الحفي	المقارب	الصليان العبيدي	٤٩٨
أول	الطمع	الرميل	المأمون	٢٦٤				الفاء الساكنة	
	الغين المفتوحة				إذا لم تكن	شرف	الطويل	-	٣٠٢
يجود	فارغه	السرير	-	٥٦٥				القاف المضمومة	
	الغين المكسورة				إذا جمعت	أحقق	الطويل	إبراهيم الكاتب	٤٧٥
لقد هاج	الفراغ	الوافر	-	١٠٠	وإن تك	أحقق	الطويل	لقيط بن زرارة	٤٠٥
	الفاء المضمومة				إذا المرء	أحقق	الطويل	الشافعي	٤٩٦
فأول	عفاها	الطويل	الريائي	٢٥٥	أغرکم	أغرق	الطويل	لقيط بن زرارة	٤٠٥
قد يلبث	اللطف	البسيط	الشرنجي	٤٣١	إذا ضاق	أضيق	الطويل	الشافعي	٤٩٦
ولا ألومك	مصروف	البسيط	محمد بن حازم	٣٣٣	وقل لبني	أعنت	الطويل	لقيط بن زرارة	٤٠٥
لأشكرنك	معروف	البسيط	محمد بن حازم	٣٣٣	فلا تنفقد	تفرق	الطويل	إبراهيم الكاتب	٤٧٥
يحقد	السخيف	الرجز	السابوري	٥٠٢	فحيث يكون	ضيق	الطويل	إبراهيم الكاتب	٤٧٥
	الفاء المفتوحة				جزعت	مطلق	الطويل	أبو الهول	٤٩
إذا أنا	أحرفا	الطويل	ابن الرومي	٢٨٢	دعاك	يفرق	الطويل	أبو الهول	٤٩
وهبه	تكلفا	الطويل	ابن الرومي	٢٨٢	فتح	يلفق	الطويل	أبو الهول	٤٩
	الفاء المكسورة				أرفق إذا	خرق	البسيط	-	٤٠٧
ما جاوز	طرف	البسيط	أبو الهمزة	٤٧٤	غضبان	خلق	البسيط	الريائي	٣٨٩
إن الوفاء	الإخلاف	الكامل	-	٤٠٧	فالنار	الإحراق	الكامل	ابن نباتة السعدي	٢٩٣
وترى	الإنصاف	الكامل	-	٤٠٧	ما صفة	الحلق	الكامل	سميد بن حميد	٢١٨
كانها	تخوفها	السرير	أبو الهمزة	٤٧٣	وزن	المنطق	الكامل	ابن عبد القدوس	٤٤٧

الصدر	القافية	البحر	القاتل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القاتل	الصفحة
وإذا عجزت	وفاق	الكامل	ابن نباتة السعدي	٢٩٣	فإذا سمعت	حقق	الكامل	الشافعي	٣٥٧
صرت	تحترق	المنسرح	ابن الأحف	٣٢٢	وإذا سمعت	صدق	الكامل	الشافعي	٣٥٧
أحرم	عشقوا	المنسرح	ابن الأحف	٣٢١	وأحق	ضيق	الكامل	الشافعي	٣٥٧
القاف المفتوحة									
وفي الخلم	أخرقا	الطويل	-	٤٠٧	والجد	مغلق	الكامل	الشافعي	٣٥٧
فيؤتيك	تدققا	الطويل	ابن شهاب	٣٣٩	إن الذي	موفق	الكامل	الشافعي	٣٥٦
تتبع	ترزقا	الطويل	ابن شهاب	٣٣٩	حشم	نفاقه	الكامل	أبو تمام	٥٨٠
إذا أنت	تفرقا	الطويل	ثعلب	٢٨٨ ٥٥٧	لا تكثر	الصادق ش الرجز	-	-	٤٧٩
فتندم	تفرقا	الطويل	-	٤٠٧	لا يخرج	الغريق ش الرجز	-	-	٤٧٩
ومن آفة	حاذقا	الطويل	عمود الوراق	٤٢٤	وارجع	المخلوق ش الرجز	-	-	٤٧٩
إذا عرف	صادقا	الطويل	عمود الوراق	٤٢٤	لا تحقرن	رامقه المنسرح	ابن دريد	١١٩	
إذا أنت	متعلقا	الطويل	ثعلب	٢٨٨ ٥٥٧	فالمسك	ساحقه المنسرح	ابن دريد	١١٩	
ذاك الذي	زنديقا	البسيط	عمرو القصافي	٢١٢	وانظر	طرائقه المنسرح	ابن دريد	١١٩	
فعاقل	مرزوقا	البسيط	عمرو القصافي	٢١٢	حتى تراه	مفارقة المنسرح	ابن دريد	١١٩	
سبحان	مرموقا	البسيط	عمرو القصافي	٢١٢	القاف الساكنة				
وارغب	صديقا	ج الكامل	إبراهيم الصولي	٣٨٨	كحمار	تهق	المديد	مسكين الدارمي	٣٣٠
خل النفاق	الطريقا	ج الكامل	إبراهيم الصولي	٣٨٨	بثلاث	الريق	ج الوافر	أبومعاوية الضرير	٥٠٥
القاف المكسورة									
ألا قبح	الخلاقق	الطويل	-	٣٠٩	فإذا المعدة	المنجنيق	ج الوافر	أبومعاوية الضرير	٥٠٥
ولله	سابق	الطويل	-	٣٠٩	الكاف المفتوحة				
إن كنت	السوق	البسيط	الشافعي	١٠٤	ألم تر	أمسكا	الطويل	ابن غلبون	٢٨٦
علمي	صندوق	البسيط	الشافعي	١٠٤	عليك	مسلكا	الطويل	ابن غلبون	٢٨٦
ومن الدليل	الأحق	الكامل	الشافعي	٣٥٧	واذكر	فيكا	البسيط	عمود الوراق	٤٢٦
فلينظرن	أخلاقه	الكامل	أبو تمام	٥٨٠	لا تلتمس	مساويكا	البسيط	عمود الوراق	٤٢٦
					أنطمع	عصاكا	الوافر	الخليل بن أحمد	٢٣٧

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
وترى سفيه	شراكها	الكامل	-	٥٧٨	وقل	باطله	الطويل	حارثة بن بدر	٤٦٦
اسمع	عنكا	ج الكامل	أبو العتاهية	١٣٤	ولا عار	التجمل	الطويل	علي بن الجهم	٥٤١
واعلم	منكا	ج الكامل	أبو العتاهية	١٣٤	إذا هم	تعادله	الطويل	حارثة بن بدر	٤٦٦
تقول	لكا	السرير	-	٣١٤	هي النفس	تعدل	الطويل	علي بن الجهم	٥٤١
ما لك من	مالكا	السرير	-	٣١٤	وعاقبة	التفضل	الطويل	علي بن الجهم	٥٤١
الكاف المكسورة									
ظننت	متروك	البيسط	علي بن الجهم	٢٩٨	إذا ما	ثواكله	الطويل	-	٦٠
أردت	مسلوك	البيسط	علي بن الجهم	٢٩٨	إذا أنت	جاهل	الطويل	أوس بن حجر	٥٥٣
جمعت	الماليك	البيسط	علي بن الجهم	٢٩٨	جهلت	جاهله	الطويل	ابن دريد	٧٣
لئن	النوك	البيسط	علي بن الجهم	٢٩٨	أجلك	جليل	الطويل	أبو العتاهية	٣٥٢
الكاف الساكنة									
يا جاهلا	بك	البيسط	-	٣٨٢	وإن لسان	دليل	الطويل	طرفة بن العبد	٤٥١
أثنى	ريبك	البيسط	-	٣٨٢	وما زرتكم	الرجل	الطويل	اللجلاج	٣٠٧
فاستبق	كلك	ج الكامل	أبو العتاهية	٢٨٠	وما أتيح	شامل	الطويل	عبدالله بن المعتز	٢٠٣
أأخي	من لك	ج الكامل	أبو العتاهية	٢٨٠	فإن يعتذر	الشغل	الطويل	أبو علي البصير	٣٢٦
أطع الله	جهدك	ج الرمل	أبو العتاهية	٢٠٦	وقد أئمت	عواذله	الطويل	-	٦٠
فأعني بأبي	رشدك	ج الرمل	-	٢٠٦	ولا تنزلن	عواذله	الطويل	حارثة بن بدر	٤٦٦
أعط مولاك	عبدك	ج الرمل	أبو العتاهية	٢٠٦	لنا كل	فضل	الطويل	أبو علي البصير	٣٢٦
يا أبا إسحاق	ودك	ج الرمل	-	٢٠٦	ترحل من	قلائل	الطويل	عبدالله بن المعتز	٢٠٣
فليس على	يعجبك	المتقارب	طاهر بن الحسين	٥٨٢	وما يزع	كامله	الطويل	-	٦٠
إذا أعجبتك	يعجبك	المتقارب	طاهر بن الحسين	٥٨٢	نسير إلى	مراحل	الطويل	عبدالله بن المعتز	٢٠٣
اللام المضمومة									
أنتيت	أنامله	الطويل	-	١٣٤	ومن كان	مقاتله	الطويل	ابن دريد	٧٣
ولم نر	باطل	الطويل	عبدالله بن المعتز	٢٠٣	إذا أنت	مقال	الطويل	هشام	٦٠

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
وإن صانك	يحملة	الطويل	عمود الوراق	١٢٣	إذا حضر	ظل	الوافر	الكسائي	٣١٨
ولو منح	يفعل	الطويل	ابن الرومي	٢١٢	وكان	عقول	الوافر	-	٣٠٨
إذا	يقبله	الطويل	عمود الوراق	١٢٣	فلما	فضول	الوافر	-	٣٠٩
أعيرتني	يكمل	الطويل	ابن الرومي	٢١٢	سوى خل	الفعول	الوافر	حسان بن ثابت	٢٧١
وليس الغنى	ينيل	الطويل	أبو المعاتمة	٣٥٢	أخلاء	قليل	الوافر	حسان بن ثابت	٢٧١
إننا لفي	إجمال	البسيط	المتنبي	٢٧٨	إذا لم	مال	الوافر	محمد بن حازم	٣١٥
أهتهم	أحوال	البسيط	ابن الرومي	٣٥٥	فما تدري	يقبل	الوافر	الكسائي	٣١٨
إن النساء	تخييل	البسيط	مالك الخرزجي	٢٥٧	وكل أخ	يقول	الوافر	حسان بن ثابت	٢٧١
القوم	الحال	البسيط	ابن الرومي	٣٥٥	إن الخوائج	تطويلها	الكامل	-	٣١٦
لا خيل	الحال	البسيط	المتنبي	٥٦٥	فإذا	تعميلها	الكامل	-	٣١٦
ملوا	القال	البسيط	ابن الرومي	٣٥٥	وأخوك	ثقل	الكامل	ثعلب	٥٣٨
لولا المشقة	قتال	البسيط	المتنبي	٥١٥	فاذهب	ذليل	الكامل	مسلم بن الوليد	٤٠٥
إن النساء	مأكول	البسيط	مالك الخرزجي	٢٥٧	يبقى	رجال	الكامل	إسحاق الموصلي	٥٦٤
أبقيت	المال	البسيط	ابن الرومي	٣٥٥	لا ترض	فعال	الكامل	إسحاق الموصلي	٥٦٤
يا رب	مأمول	البسيط	-	٥٩٢	ما نال	المفضال	الكامل	إسحاق الموصلي	٥٦٤
يا من	مبذول	البسيط	-	٥٩٢	من عف	معلول	الكامل	ثعلب	٥٣٨
وكل	مسؤول	البسيط	-	٥٩٢	النار تأكل	تأكله	ج الكامل	عبدالله بن المعتز	٤٣٣
يا واحداً	معقول	البسيط	-	٥٩٢	أصبر على	قاتله	ج الكامل	عبدالله بن المعتز	٤٣٣
إن النساء	مفعول	البسيط	مالك الخرزجي	٢٥٧	شر	ينال	الرجز	السابوري	٥٠٢
وما وعدتك	مطول	البسيط	مالك الخرزجي	٢٥٧	غر جهولا	أجله	ج الرجز	سيدنا علي	١٩٥
أترجو	البخيل	الوافر	الأعلم الهذلي	٣٠٦	وما بقاء	أوله	ج الرجز	سيدنا علي	١٩٥
كأنك	تحل	الوافر	الكسائي	٣١٨	ومن دنا	حيله	ج الرجز	سيدنا علي	١٩٥
فلا يفررك	خليل	الوافر	حسان بن ثابت	٢٧١	والمرء	عمله	ج الرجز	سيدنا علي	١٩٥
ومتنظر	السؤال	الوافر	محمد بن حازم	٣١٥	لا يثبت	الأصل	السرير	عمود الوراق	٤٥٦

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
المراء	أفعاله	السريع	-	٣٢٣	وهم لمقل	غولا	الطويل	أوس بن حجر	٣٥٢
القول	المقل	السريع	محمود الوراق	٤٥٦	من شاء	إقبالا	البسيط	ابن العميد	١٢٦
وكل	ماله	السريع	-	٣٢٣	مازلت	الحجلا	البسيط	ابن الحجاج	٣٢٤
إنما	أهل	الخفيف	ابن عبد القدوس	٣١٨	فليتظرن	مالا	البسيط	ابن العميد	١٢٦
لا نجد	بخل	الخفيف	ابن عبد القدوس	٣١٨	تقول وقد	الجليل	الوافر	ابن الأحنف	٤٢٠
خير	دليل	المجث	أحمد الكاتب	٤٥٢	فقلت لها	نحلا	الوافر	ابن الأحنف	٤٢٠
والعي	طويل	المجث	أحمد الكاتب	٤٥٢	واعلم	جبل	الكامل	ابن دريد	٣١٣
وفي الكلام	قيل	المجث	-	٤٥٢	إن الذي	حلها	الكامل	-	٤٨١
اللام المفتوحة									
أقيم	أتحولا	الطويل	أوس بن حجر	٣٥٢	وإذا الأمور	حلها	الكامل	-	٤٨٢
فلم أجد	تفضلا	الطويل	أبو تمام	٤٣٦	تلقى	دليلا	الكامل	ابن دريد	٣١٣
فإني	النتقلا	الطويل	أوس بن حجر	٣٥٢	والرزق	رسولا	الكامل	أبو تمام	٣٦٣
ومن لا يرى	ثقيلا	الطويل	-	٣٠٥	لو جار	قليلا	الكامل	أبو تمام	٣٦٣
بني أم	جحفلا	الطويل	أوس بن حجر	٣٥٢	لا تأخذني	كفيلا	الكامل	أبو تمام	٣٦٣
أرى	جهلا	الطويل	-	٨١	صبرا	لعلها	الكامل	-	٤٨١
لكن	حلا	الطويل	أبو النصر العتيبي	٣١٧	صبرتي	لعلها	الكامل	أبو أيوب	٤٨١
وكل أناس	شكلا	الطويل	-	٢٧٧	صبرا	لها	الكامل	-	٤٨١
إذا لم يكن	طفلا	الطويل	-	٨١	لا تحبهن	مأمولا	الكامل	ابن دريد	٣١٣
وكل سفيه	عدلا	الطويل	-	٢٧٧	لا تدخلنك	مسؤولا	الكامل	ابن دريد	٣١٣
إذا طال	عقلا	الطويل	-	٤٦	من زاحف	مغفولا	الكامل	أبو تمام	٣٦٣
لكل امرئ	عقلا	الطويل	-	٢٧٧	من كان	مهزولا	الكامل	أبو تمام	٣٦٣
الله	علا	الطويل	أبو النصر العتيبي	٣١٧	قاصبر	يحلها	الكامل	-	٤٨٢
وما تنفع	فضلا	الطويل	-	٨١	للخير	فعلة	ش الرجز	أبو العتاهية	٣٠٣
لأن كثير	مثلا	الطويل	-	٢٧٧	ما الناس	معتمة	ش الرجز	أبو العتاهية	٣٠٣

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
لئن شكرتم	غالها	السريع	سيدنا علي	٣٣٤	وما الناس	البخل	الطويل	بشار بن برد	٣٠٨
لو شكروا	قالها	السريع	سيدنا علي	٣٣٤	شفاء	الجهل	الطويل	بشار بن برد	١٠٥
والكفر	لها	السريع	سيدنا علي	٣٣٤	تجاوزت	سليبي	الطويل	-	٢٥٩
من جاوز	مغتاها	السريع	سيدنا علي	٣٣٤	فسامح	شغل	الطويل	بشار بن برد	٣٠٨
أبدا	بخلها	الخفيف	المتني	٣٩٢	وساقت	عاجل	الطويل	البارع	٦٤
وإذا لم	بعلا	الخفيف	المتني	٣٩٢	فكن	العقل	الطويل	بشار بن برد	١٠٥
فالبس	خلة	الخفيف	أبو المعاتبة	٢٩٠	إذا أردت	الحال	البسيط	ابن الجلاح	٣٥٢
قد تخللت	خليلها	الخفيف	بشار بن برد	٢٦٢	رزقت	المال	البسيط	أحيحة بن الجلاح	٥٣٧
عش	زلة	الخفيف	أبو المعاتبة	٢٩٠	وأنتك	التخلي	الوافر	-	٣٢٦
من أب	علة	الخفيف	أبو المعاتبة	٢٩١	وما شيء	الجمال	الوافر	-	٤١٨
إن في صحة	قلة	الخفيف	أبو المعاتبة	٢٩٠	من الكذب	الرجال	الوافر	-	٤١٨
وإذا الشيخ	ملا	الخفيف	المتني	٣٩٢	ولم أر	الرجال	الوافر	الأفوه الأودي	٢٩٢
آلة العيش	ولى	الخفيف	المتني	٣٩٢	وذقت	السؤال	الوافر	الأفوه الأودي	٢٩٢
تداركت	آمالها	المتقارب	ابن الأحنف	٢٨٣	أما يدعوك	شغلي	الوافر	-	٣٢٦
فلو مد	بأذلا	المتقارب	الأحنف بن قيس	٣٥١ ٥٣٧	وعلمك	عزل	الوافر	-	٣٢٦
أراك	البخيلا	المتقارب	-	٢٩٨	بلوت	قال	الوافر	الأفوه الأودي	٢٩٢
وما طابت	عليها لها	المتقارب	ابن الأحنف	٢٨٣	ستصبح	منلي	الوافر	-	٣٢٦
فلن المروءة	فاضلا	المتقارب	الأحنف بن قيس	٣٥١ ٥٣٧	والحمد	الحنظل	الكامل	أبو تمام	٥١٥
فيترك	قبلها	المتقارب	-	٥٤٣	غل	المحمل	الكامل	أبو تمام	٥١٥
وكيف	قليلا	المتقارب	-	٢٩٨	ورجال	حاله	ج الكامل	أبو بكر الأودي	٢١٦
ولا تسألن	مطلها	المتقارب	-	٥٤٣	وفتي	خال	ج الكامل	سلم الخاسر	٣٠٣
نجا بك	بنالا	المتقارب	إبراهيم الصولي	٤٠٤	وكذا إذا	رجاله	ج الكامل	أبو بكر الأودي	٢١٦
	اللام المكسورة				أعطاك	السؤال	ج الكامل	سلم الخاسر	٣٠٣
إذا المرء	باطل	الطويل	البارع	٦٤	الناس	ظلاله	ج الكامل	أبو المعاتبة	٢٩٤

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
فأجبههم	عياه	ج الكامل	أبو المعاتية	٢٩٤	الميم المضمومة				
الناس	مثاله	ج الكامل	أبو بكر الأزدي	٢١٦	بضاحكني	أسهم	الطويل	إبراهيم بن محمد	٣٨٨
أما ترى	الأمل	السرير	عمود الوراق	١٦٨	وإن عناء	أفهم	الطويل	ابن عبد القدوس	١٢١
والموت	العاقل	السرير	عمود الوراق	١٦٨	وتشفل	البهائم	الطويل	عبد الله الشيباني	١٨٥
إنك	العامل	السرير	عمود الوراق	١٦٨	ولو كانت	البهائم	الطويل	أبو تمام	٨٥
تعجل	قابل	السرير	عمود الوراق	١٦٨	متى ينتهي	تندم	الطويل	ابن عبد القدوس	١٢١
لا تضيقن	احتيا	الخفيف	عبيد بن الأبرص	٤٦٢	سألزم	الجرائم	الطويل	الخليل بن أحمد	٤٠٦
ومنى تفعل	أفله	الخفيف	عبد الله بن طاهر	٣٢٩	وأما الذي	حاكم	الطويل	الخليل بن أحمد	٤٠٦
إنما الزعفران	الرجال	الخفيف	-	١١٣	تسر	حالم	الطويل	عبد الله الشيباني	١٨٥
أي ماء	السؤال	الخفيف	ابن المخذل	٣١١	فلم يجتمع	الدرهم	الطويل	أبو تمام	٣٠٦
ربما	العقال	الخفيف	عبيد بن الأبرص	٤٦٢	تدل	سقيم	الطويل	أبو المعاتية	٤٦٣
افعل الخير	كله	الخفيف	عبد الله بن طاهر	٣٢٩	فأنت	سلم	الطويل	يحيى بن خالد	٧٨
صبر	المحتال	الخفيف	عبيد بن الأبرص	٤٦٢	يتال	عالم	الطويل	أبو تمام	٨٥
أنت بين اثنتين	مذال	الخفيف	ابن المخذل	٣١١	كذلك	علم	الطويل	إبراهيم بن محمد	٣٨٨
لست	نوال	الخفيف	ابن المخذل	٣١١	تفنن	علم	الطويل	يحيى بن خالد	٧٨
	اللام الساكنة				تفانوا	كرامها	الطويل	إبراهيم بن هرمة	٥١٠
فإن نبسوا	تسل	الطويل	-	٣٢٢	فأما الذي	لازم	الطويل	الخليل بن أحمد	٤٠٦
وحي	النفل	الطويل	-	٣٢٢	نهارك	لازم	الطويل	عبد الله الشيباني	١٨٥
فإن الذي	يقل	الطويل	-	٣٢٢	وأما الذي	لائم	الطويل	الخليل بن أحمد	٤٠٦
غير ألا	الأجل	الرمز	ليد	٢٣٥	ولم أر	مغانم	الطويل	أبو تمام	٣٠٦
تطلب	الأقل	الرمز	البحثري	٣٦٢	فما الناس	مقاوم	الطويل	الخليل بن أحمد	٤٠٦
واكذب	الأمل	الرمز	ليد	٢٣٥	فقلت	المقدم	الطويل	عبيد الله ابن طاهر	٣٠٤
عقبة	الكسل	الرمز	-	٣٤٦	أراك	مقيم	الطويل	أبو المعاتية	٤٦٣
					أبى	نكرم	الطويل	عبيد الله ابن طاهر	٣٠٤

الصدر	القافية	البحر	القاتل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القاتل	الصفحة
وكيف وقد	هامها	الطويل	إبراهيم بن هرمة	٥٠٩					
وكم من	يتذم	الطويل	إبراهيم بن محمد	٣٨٨	يقولون	أحجبا	الطويل	الجرجاني	١٤٢
وللكف	يشتم	الطويل	المؤمل بن أميل	٤٠٨	أأشقى	أحرما	الطويل	الجرجاني	١٤٢
متى يبلغ	يهدم	الطويل	ابن عبد القدوس	١٢١	ولم أتبدل	أخدما	الطويل	الجرجاني	١٤٢
إلى الدين	الخصوم	الوافر	أبوالعنايه	٢٢٥	عجبت	أعلما	الطويل	الحطفي	٤٤٤
أما والله	الظلم	الوافر	أبوالعنايه	٢٢٥	أرى	أكرما	الطويل	الجرجاني	١٤٢
ستعلم	الظلم	الوافر	أبوالعنايه	٢٢٥	ولكن	تجهما	الطويل	الجرجاني	١٤٢
المال	آثامه	الكامل	-	٣٤٥	إذا لم يذاكر	تعلما	الطويل	-	٩٥
فإذا نأى	الأكرم	الكامل	الأزدي	٢٨٢	ولم أقض	سليما	الطويل	الجرجاني	١٤٢
يا أيها	التعليم	الكامل	أبو الأسود الدؤلي	٦٦	إذا قيل	الظما	الطويل	الجرجاني	١٤٢
فهناك	التعليم	الكامل	أبو الأسود الدؤلي	٦٦	ولو أن	عظما	الطويل	الجرجاني	١٤٢
ابدا	حكيم	الكامل	أبو الأسود الدؤلي	٦٦	فكم جامع	عمى	الطويل	-	٩٥
لا يؤيسنك	الخصرم	الكامل	الأزدي	٢٨٢	أنهيهما	لما	الطويل	الجرجاني	١٤٢
لا يسلم	الدم	الكامل	المتنبي	٢١٨	وما كل	منما	الطويل	الجرجاني	١٤٢
تصف	سقيم	الكامل	أبو الأسود الدؤلي	٦٦	وفي الصمت	يتكلما	الطويل	الحطفي	٤٤٤
ليس التقى	طعامه	الكامل	-	٣٤٥	لعل الله	رحيمه	الوافر	عمر بن الخطاب	٤٧١
لأنه	عظيم	الكامل	أبو الأسود الدؤلي	٦٦	ولا تسرع	سليمه	الوافر	كشاجم	٥٥٥
أو كلما	كريم	الكامل	-	٤٠٤	ألم تر	القديمه	الوافر	عمر بن الخطاب	٤٧١
ويطيب	كلامه	الكامل	-	٣٤٥	أقل ذا	المستقيمه	الوافر	كشاجم	٥٥٥
والحادثات	نعيمها	الكامل	أبو تمام	٢٣٢	تسل	المقيمه	الوافر	عمر بن الخطاب	٤٧١
والظلم	يظلم	الكامل	المتنبي	٢١٨	أكرم	تعلما	الكامل	-	١١٩
وإذا كانت	الأجسام	الخفيف	المتنبي	٥١٥	فيذاك	سلامه	الكامل	-	٣٤٥
سر من	الإعدام	الخفيف	علي بن الجهم	٥٣٤	فاصبر	معلما	الكامل	-	١١٩
					إن المعلم	يكرما	الكامل	-	١١٩

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
إن الحسود	مظلوما	المنسرح	-	٤٣٢	فإن لم	العزم	الطويل	أبو حاتم	٤١٠
ذا نفس	مكتوما	المنسرح	-	٤٣٢	إذا أمن	الغنم	الطويل	أبو حاتم	٤١٠
الميم المكسورة									
فلا عجب	أعجم	الطويل	البحري	٤٧٢	وقال	المآثم	الطويل	أبو تمام	٤٦٤
ولا تعزين	البصرم	الطويل	أبو حاتم	٤١٠	ولا تقتل	المغارم	الطويل	الفرزدق	٤٩
أنبصر	البهائم	الطويل	أبو تمام	٤٦٤	فحرية	ملجهم	الطويل	البحري	٤٧٢
ومهما	تعلم	الطويل	ابن أبي سلمى	٩٢	فمن غافل	نائم	الطويل	ابن عبد ربه	١٧٩
تعاقب	التكلم	الطويل	إياس بن قتادة	٤٠٨	ومن كان	نعم	الطويل	ابن الرومي	٤٧٠
وكائن	التكلم	الطويل	الأعور الشني	٤٤٤	ويشتموا	أحلام	البيط	عبد الله الحارثي	٤٠٤
كذاك	التهايم	الطويل	الفرزدق	٤٩	لن يبلغ	أقوام	البيط	عبد الله الحارثي	٤٠٤
إذا بلغ	حازم	الطويل	بشار بن برد	٤٨٤	إن الفرات	الأمم	البيط	-	٥٤٨
رأوا	حازم	الطويل	أبو تمام	١٣٣	البري	تلم	البيط	ابن المهدي	٤١٦
تأمل	حالم	الطويل	ابن عبد ربه	١٧٩	النصح	تلم	البيط	الأصمعي	٤٩٢
فيرجوك	الحزم	الطويل	أبو حاتم	٤١٠	ألا ينيل	الخدم	البيط	-	٥٤٨
إذا أنت	حلم	الطويل	أبو حاتم	٤١٠	حق على	المعجم	البيط	-	٥٤٨
إذا طاب	الحلم	الطويل	ابن الرومي	٤٧٠	إن النصائح	الفهم	البيط	الأصمعي	٤٩٢
وهل	دارم	الطويل	الفرزدق	٤٩	حب	القسم	البيط	عبد الله بن المبارك	٣٠٥
ألا إنها	دائم	الطويل	ابن عبد ربه	١٧٩	لئن جحدتك	الكرم	البيط	ابن المهدي	٤١٦
لسان	الدم	الطويل	الأعور الشني	٤٤٤	وقام	متهم	البيط	ابن المهدي	٤١٦
رأيت	السقم	الطويل	ابن الرومي	٤٧٠	تعفو بعدل	منتقم	البيط	ابن المهدي	٤١٦
فعم عليه	السلم	الطويل	أبو حاتم	٤١٠	فإنك	الأديم	الوافر	سراقة البارقي	٢٧٢
وما من	ظالم	الطويل	-	٥٢٧	مجالسة	الخليم	الوافر	سراقة البارقي	٢٧٢
بسیف	ظالم	الطويل	جرير	٤٨	فليس له	سلام	الوافر	-	٥٩٣
ولم يحمدا	عالم	الطويل	أبو تمام	١٣٣	فإن تك	الكریم	الوافر	-	٢٨٣

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
متى أخرجت	اللتيم	الوافر	البحثري	٢٢٨	الميم الساكنة				
فلا تعجل	المستديم	الوافر	-	٢٨٣	حرم	الطويل	وضاح اليمن	٥٠٤	
إذا ما	المستقيم	الوافر	-	٢٨٢	اللمم	الطويل	وضاح اليمن	٥٠٤	
إذا غاب	المقام	الوافر	-	٥٩٣	ندم	الرجز	-	٢٣٢	
أعلى	الإنعام	الكامل	ابن أبي أيوب	٣٢٦	علم	ش الرجز	جرير	٧٤	
لا تشك	الجسم	الكامل	عمارة بن حمزة	٤٧٩	بسم	المقارب	-	٣٩١	
والحرب	حليم	الكامل	أبو تمام	٤١٠	هموك	المقارب	-	٣٩١	
سهل الفناء	الخدام	الكامل	محمد بن بشر	٥٧٩	تم	المقارب	-	٣٩١	
هبك	السقم	الكامل	عمارة بن حمزة	٤٧٩	يريك	المقارب	أبو المعاتمة	٥٥٠	
صلى	الصائم	الكامل	-	١٧٢	إذا كنت	المقارب	-	٣٩١	
للنفع	النوام	الكامل	ابن أبي أيوب	٣٢٦	وحام	المقارب	-	٣٩١	
والنأيا	أنام	ج الرمل	أبونواس	٥٠٢	فكم قدر	المقارب	-	٣٩٢	
ربما استفتح	الحمام	ج الرمل	أبونواس	٥٠٢	وشر	المقارب	أبو المعاتمة	٥٥٠	
خل	سلام	ج الرمل	أبونواس	٥٠٢	النون المضمومة				
مت	الكلام	ج الرمل	أبونواس	٥٠٢	إذا كنت	أمين	الطويل	-	٢٩٨
إنما السالم	لجام	ج الرمل	أبونواس	٥٠٢	تؤديه	دفين	الطويل	-	٢٩٨
يا واعظ	تلم	المنسرح	أحمد بن يوسف	١٣٥	عسى الله	عيون	الطويل	-	٥٩٣
أو كطبيب	السقم	المنسرح	أحمد بن يوسف	١٣٥	وليس	يكون	الطويل	-	٥٩٣
وعامل	الظلم	المنسرح	أحمد بن يوسف	١٣٥	أقبل	إنسان	البسيط	أبو الفتح البستي	٥٧١
ليس يوم	قوم	الخفيف	-	٥١٠	إن بان	بانوا	البسيط	-	٥٩١
طيرة	لوم	الخفيف	-	٥١٠	من عاش	جيران	البسيط	-	٥٩١
أي يوم	يوم	الخفيف	-	٥١٠	يجنو	خانوا	البسيط	-	٥٩١
إذا انتقموا	اكتنام	المقارب	دعبل الخزاعي	٣٢٦	يا خادم	خسران	البسيط	أبو الفتح البستي	٥٧١
يقوم	القيام	المقارب	دعبل الخزاعي	٣٢٦	يهوى	غفران	البسيط	-	٥٩١

الصدر	القافية	البحر	القاتل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القاتل	الصفحة
وما حسن	البيان	الوافر	-	٤٤٣	تطلب	يكون	الرمل	عمرو بن حلزة	٤٧٧
جنون	الجنين	الوافر	ابن الرومي	٣٦٣	النون المفتوحة				
إذا هبت	سكون	الوافر	سيدنا علي	٣٢٥	إذا أنت	أهونا	الطويل	-	٥١٨
جرى قلم	السكون	الوافر	ابن الرومي	٣٦٣	حسود	حزينه	الطويل	ابن طباطبا	٨٦
فبعض	السمين	الوافر	أبو العيال الهذلي	٥٥١	ويزعم	ظنونه	الطويل	ابن طباطبا	٨٧
ولا تعجل	الظنون	الوافر	أبو العيال الهذلي	٥٥١	وأعرف	عيونه	الطويل	ابن طباطبا	٨٦
كلون	العيون	الوافر	أبو العيال الهذلي	٥٥١	يلوم	فنونه	الطويل	ابن طباطبا	٨٦
كفى	لسان	الوافر	-	٤٤٣	وليأبك	محسنا	الطويل	-	٥١٨
ترى بين	المبين	الوافر	أبو العيال الهذلي	٥٥١	فنفسك	مسكنا	الطويل	-	٥١٨
رأيت	الهوان	الوافر	-	٤٤٣	فيا لاني	يحسنونه	الطويل	ابن طباطبا	٨٧
أصونك	اليقين	الوافر	سعيد بن حميد	٥٣٢	إني كأي	عريانا	البيسط	سوار بن المضرب	٤٠٠
وإن درت	يكون	الوافر	-	٣٢٥	وحاجة	عنوانا	البيسط	سوار بن المضرب	٤٠٠
ولا تغفل	يكون	الوافر	سيدنا علي	٣٢٥	إني سأستر	كتمانا	البيسط	سوار بن المضرب	٤٠٠
ويسيء	مفتون	الكامل	أبو تمام	٣٧٤	والرزق	تعنى	خ البسيط	البحري	٣٦٠
وأحق	دينه	ج الكامل	-	١٧٠	إني أرى	تمنى	خ البسيط	البحري	٣٦٠
بخطوبه	سواكن	ج الكامل	أبو العتاهية	١٨٥	ولو أن	البنينا	الوافر	الحسين الرافقي	٤٧
إن الزمان	مخاشن	ج الكامل	أبو العتاهية	١٨٥	رأيت	السنينا	الوافر	الحسين الرافقي	٤٧
ويصون	يصونه	ج الكامل	-	١٧٠	كم نعمة	كامنة	الكامل	سيدنا علي	٤٧٢
بنو آدم	ألوان	المرج	منصور الفقيه	٢٧٣	لا تكره	متباينة	الكامل	سيدنا علي	٤٧٢
فمنه شجر	البان	المرج	منصور الفقيه	٢٧٣	إن الهوان	هوانا	الكامل	-	٦٠
ومنه شجر	قطران	المرج	منصور الفقيه	٢٧٣	متن الرجال	الأسنة	ج الكامل	الشافعي	٣٢٨
بني	لين	الرجز	عبدالله بن عمر	٣٢٣	واختر	جنة	ج الكامل	الشافعي	٣٢٨
ما يكون	حزون	الرمل	عمرو بن حلزة	٤٧٧	إن القناعة	الغنى	ج الكامل	إبراهيم بن المديبر	٣٦٢
هون	سيهون	الرمل	عمرو بن حلزة	٤٧٧	لا تحملن	مئة	ج الكامل	الشافعي	٣٢٨

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
فإذا صبرت	المنى	ج الكامل	إبراهيم بن المذبر	٣٦٢	وتزعم	عهدتني	الطويل	عبد الأصغفاني	٥٥٨
إذا	أذهبه	ش الرجز	-	٣٢٠	فلو كان	مكان	الطويل	محمود الوراق	٣٣٢
اكس	أمهه	ش الرجز	-	٣٢٠	وإن كان	منعوني	الطويل	أبو العتاهية	٣١٧
وموقف	بينهه	ش الرجز	-	٣٢٠	يا عمرو	اسقوني	البسيط	الزبرقان بن بدر	٥٠٩
يكون	تسألته	ش الرجز	-	٣٢٠	لا تضرعن	الدين	البسيط	سيدنا علي	٥٢٩
أقسم	تفعلته	ش الرجز	-	٣٢٠	إن النساء	الرياحين	البسيط	-	٢٥٢
إما إلى	جنة	ش الرجز	-	٣٢٠	إن النساء	الشياطين	البسيط	عمر بن الخطاب	٢٥٢
وكن	جنة	ش الرجز	-	٣٢٠	لا يمجبن	الكفن	البسيط	المتنبي	٥٧٧
يا عمر	الجنة	ش الرجز	-	٣٢٠	أفسدت	منان	البسيط	-	٣٢٨
يوم	هه	ش الرجز	-	٣٢٠	واسترزق	النون	البسيط	سيدنا علي	٥٢٩
وحسبك	راحمنا	المتقارب	العتبي	٥٤٢	لا آمن	الأمان	خ البسيط	أبو بكر الصولي	٥٣٢
النون المكسورة					أحسنت	دهاني	خ البسيط	أبو بكر الصولي	٥٣٢
وما فسدت	انهمتني	الطويل	محمد الأصغفاني	٥٥٨	فيا عجبا	البنان	الوافر	أبو البطحاء	١٢٠
غدرت	أمتني	الطويل	محمد الأصغفاني	٥٥٨	أعلمه	جفاني	الوافر	أبو البطحاء	١٢١
خليلي	تريان	الطويل	عطار بن قران	٤٨٩	فأما ما	جنوني	الوافر	مصعب	٨٨
لما أمر	الثقلان	الطويل	محمود الوراق	٣٣٢	أجادل	ديني	الوافر	مصعب	٨٨
سامع	جفوني	الطويل	أبو العتاهية	٣١٧	أعلمه	رمانى	الوافر	أبو البطحاء	١٢١
على كل حال	الحدثان	الطويل	-	٣١٠	وكم علمته	هيجاني	الوافر	أبو البطحاء	١٢١
وأقطع	حزون	الطويل	أبو العتاهية	٣١٧	وأترك	اليقين	الوافر	مصعب	٨٨
وإن طرقتني	حسدوني	الطويل	أبو العتاهية	٣١٧	وما أنا	اليمين	الوافر	مصعب	٨٨
إذا شئت	دونها	الطويل	-	٣٦١	أعطيت	أعياني	الكامل	محمود الوراق	٤٣٩
ألا إن أصفى	سكون	الطويل	أبو العتاهية	٣١٧	يهوى	الإنسان	الكامل	ابن نباتة السعدي	٣٨٢
وإن نالهم	شتموني	الطويل	أبو العتاهية	٣١٧	ما إن لي	الرحمان	الكامل	محمود الوراق	٤٣٩
أيارب	ظلموني	الطويل	أبو العتاهية	٣١٦	وإذا توانى	شانه	الكامل	أبو العتاهية	٢٨٧

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
إن الصديق	عشائه	الكامل	أبوالعتاهية	٢٨٦	عذرتنا	جناه	الوافر	ابن الرومي	٢٧٨
وأبى فما	لساني	الكامل	عمود الوراق	٤٣٩	فما للموسج	نراه	الوافر	ابن الرومي	٢٧٨
حتى تراه	مكانه	الكامل	أبوالعتاهية	٢٨٧	الهاء المفتوحة				
أقلل	هجرته	الكامل	أبوالعتاهية	٢٨٦	ثم اشتراه	شاربها	البيط	-	٥٩٤
إن عز	الأمان	ج الرمل	محمد بن حازم	٣٥٨	الدهر	فيها	البيط	-	٥٩٤
ربما أعدم	التواني	ج الرمل	محمد بن حازم	٣٥٨	وما زرنك	رجاها	الوافر	سحيم	٥٣٩
سامح	الزمان	ج الرمل	محمد بن حازم	٣٥٨	نعد	رعاه	الوافر	سحيم	٥٣٩
يا أسير	الهوان	ج الرمل	محمد بن حازم	٣٥٨	وأياً ما	غناها	الوافر	سحيم	٥٣٩
قلما	إنسان	الخفيف	مسح بن حاتم	١٢٤	ويا رب	أصحابها	المتقارب	ابن المعتز	٤٤٨
أنت نعم	إنسان	الخفيف	-	٢٠٣	وما يتقصص	ألبابها	المتقارب	ابن المعتز	٤٤٨
هذه	الثقلان	الخفيف	مسح بن حاتم	١٢٤	الهاء المكسورة				
ليس فيها	فان	الخفيف	-	٢٠٣	متى أرت	نبيه	الطويل	البحري	٤٧٤
فإذا	معشوقتان	الخفيف	مسح بن حاتم	١٢٤	ما غين	كله	الرجز	أبوتمام	٢٨٠
وترى	المكان	الخفيف	مسح بن حاتم	١٢٤	الهاء الساكنة				
لا ترى	الهوان	الخفيف	مسح بن حاتم	١٢٤	فإنك	انتبه	المتقارب	محمود الوراق	٤٥٨
					نحمر	المنتبه	المتقارب	محمود الوراق	٤٥٨
					النون الساكنة				
فاعمل على	الإنسان	الكامل	-	٢٠٣	وسمك	النطق به	المتقارب	محمود الوراق	٤٥٨
فكان ما	كان	الكامل	-	٢٠٣	الواو المفتوحة				
لا تطل	الحزن	السريع	محمود الوراق	٤٦٥	إن المزاج	عداوة	الرجز	السابوري	٥٠٢
سيان	يكن	السريع	محمود الوراق	٤٦٥	الواو المكسورة				
					تكاشرني	دوي	الطويل	يزيد الثقفي	٢٧٤
					الهاء المضمومة				
إذا ابتليت	الله	البيط	ابن عبد القدوس	٤٧٨	فليت كفافا	مرتوي	الطويل	يزيد الثقفي	٢٧٥
إذا قضى	الله	البيط	أبوالعتاهية	٤٧٨	لسانك	ملتوي	الطويل	يزيد الثقفي	٢٧٤
اليأس	الله	البيط	ابن عبد القدوس	٤٧٨					

الصدر	القافية	البحر	القاتل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القاتل	الصفحة
						الألف اللينة			
اصبري	أحجى	ج الرمل	ابن الرومي	٤٧٩	فلقد	جنيا	يديا	الوافر	أبو العتاهية
إني رأيت	أخشى	الكامل	أبو العتاهية	٤٧٦	من كان	سنيا	ج الكامل	-	٣١٢
يجزيك	جزى	الكامل	-	٣٣١	فقلت	التسوية	المتقارب	البتسي	٣١٠
أسنى	المهوى	الكامل	أبو العتاهية	٤٧٦	كمن يكتسي	الرية	المتقارب	البتسي	٣١٠
أترك	موتى	الكامل	أبو العتاهية	٤٧٦	رأوا	مثرية	المتقارب	البتسي	٣١٠
ارفع	نمى	الكامل	-	٣٣١	وقد يكتسي	مضنية	المتقارب	البتسي	٣١٠
قد يدرك	المهوى	الرجز	-	٦٣					الياء المكسورة
تقفو	البشرى	الكامل	أبو العتاهية	٤٧٦	قيمة	علي	الخفيف	الخليل بن أحمد	٧٢
ولقد مررت	المولى	الكامل	أبو العتاهية	٤٧٦	لا يكون	الغبي	الخفيف	الخليل بن أحمد	٧٢
ربما خاب	يرجى	ج الرمل	ابن الرومي	٤٧٩					الياء الساكنة
ويلوت	يسمى	الكامل	أبو العتاهية	٤٧٦	والعين	أعاديها	البسيط	سيدنا علي	٥٥
فكرت	يفنى	الكامل	أبو العتاهية	٤٧٦	والنفس	أعصيتها	البسيط	سيدنا علي	٥٥
الملك	يقوى	المجث	عبدالله بن المعتز	٢٢٠	عينك	تبديها	البسيط	سيدنا علي	٥٥
					وللنفوس	تقويها	البسيط	سيدنا علي	٢٣٥
وأقسم	جازيا	الطويل	البحثري	٥٥٤	إذا زجرت	تماديها	البسيط	سابق البربري	١١٥
ولا خير	ذال يا	الطويل	أفنون التغلبي	٥١٧	إن المكارم	ثانيها	البسيط	سيدنا علي	٥٥
ولست	راضيا	الطويل	عبدالله بن معاوية	٦٣	والعلم	ساديا	البسيط	سيدنا علي	٥٥
ألم تر	صافيا	الطويل	ذو الرمة	٢٦٩	والبر	عاشيها	البسيط	سيدنا علي	٥٥
فعين	المساويا	الطويل	عبدالله بن معاوية	٦٤	فعد عليه	يثنيها	البسيط	سابق البربري	١١٥
وللجار	مؤاذيا	الطويل	-	٥٤٧	لكل داء	يداويها	البسيط	-	٥٨
فسري	نهاريا	الطويل	رافع اليربوعي	٣٩٩	فالمرء	يطويها	البسيط	سيدنا علي	٢٣٥
لعمرك	واقيا	الطويل	أفنون التغلبي	٥١٧	إذا استغثت	إليه	الوافر	أبو العتاهية	١٩١
وكانت في	حيا	الوافر	أبو العتاهية	٢٠٥	ولو كنا	حي	الوافر	سيدنا علي	١٩٧

الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة	الصدر	القافية	البحر	القائل	الصفحة
ومنزلة	السفيه	الوافر	الشافعي	٧٨	ابن ذي	أبيه	الخفيف	أبو العتاهية	٢٠٦
ولكننا	شي	الوافر	سيدنا علي	١٩٧	ما بقاء	بنه	الخفيف	أبو العتاهية	٢٠٦
تهين	عليه	الوافر	أبو العتاهية	١٩١	إنما أنت	فيها	الخفيف	أبو العتاهية	١٩٩
إذا غلب	الفقيه	الوافر	الشافعي	٧٨	ليس فيها	مستحليها	الخفيف	أبو العتاهية	١٩٩
فهذا زاهد	فيه	الوافر	الشافعي	٧٨	قنع النفس	يكفيها	الخفيف	أبو العتاهية	١٩٩
أرى الدنيا	لديه	الوافر	أبو العتاهية	١٩١	تموت	بقي	المتقارب	الصلتان العبدى	٨٧
ما إن	إليه	ج الكامل	-	٤٢٤	على أن	التقي	المتقارب	عمود الوراق	١٦٨
حسب	عليه	ج الكامل	-	٤٢٤	نروح	تنقضي	المتقارب	الصلتان العبدى	٨٧
رجل	أبيه	الرملى	-	٩٩	أخاف	المسي	المتقارب	عمود الوراق	١٦٧
معه	أخيه	الرملى	-	٩٩	فذلك	المعتدى	المتقارب	عمود الوراق	١٦٧
من لم يكن	فيه	السريع	لنكك	٥٣					

فهرس الاعلام

حرف الهمزة

* أبان بن أبي عياش البصري ٢٠٣

* أبجد الأزدي ١٠٨

* إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ٧١، ٢١٤

* إبراهيم بن أدهم البلخي ١٨٩، ٣١٩ (حا)

* إبراهيم بن حسان الشاعر (؟) ٤٢

* إبراهيم بن سيار البصري ١٠٧ (حا)، ٤٢٠ (حا)

* إبراهيم بن العباس البغدادي الصولي ٢٧٦،

٣٨٨ (حا)، ٣٩٠ (حا)، ٤٥٨، ٥٥٩ (حا)

* إبراهيم بن عبد الرحمن العذري ٧٦

* إبراهيم بن علي القرشي ٢٨٣، ٤٥٠ (حا)، ٥٠٩،

٥٧٠ (حا)، ٥٨١ (حا)

* إبراهيم بن محمد (؟) ٣٨٨

* إبراهيم بن محمد الأزدي العتكي ٢٨١ (حا)

* إبراهيم بن محمد الإمام العباسي الهاشمي ٥٢٠ (حا)

* إبراهيم بن محمد البغدادي ٥٥١، ٥٦٢

* إبراهيم بن محمد الشيباني البغدادي الكاتب ١٠٩

* إبراهيم بن محمد المهدي العباسي الهاشمي ٨١، ٤١٦

* إبراهيم بن محمد بن عبيد الله البغدادي ٣٦٢

* إبراهيم بن المدير = إبراهيم بن محمد بن عبيد الله البغدادي

* إبراهيم بن هرمة = إبراهيم بن علي القرشي

* إبراهيم بن هلال الحارثي الصابئ الكاتب ٤٧٥

* إبراهيم بن يزيد التيمي ٢٩٥ (حا)

* إبراهيم بن يزيد النخعي ٤٢٧ (حا)، ٥٠١، ٥٢٤

* أبريز بن هرمز ٢٢٨، ٤١٤، ٤٨٥ (حا)

* إبليس نعوذ بالله منه ٥٠، ٤٤٤، ٥٠٤

* أبي بن كعب الأنصاري ٤٢٥ (حا)

* أحمد بن إسحاق ٢٩٢

* أحمد بن إسحاق الأنباري الكاتب ٤٥٢ (حا)

* أحمد بن بندار (؟) ٢٨٢

* أحمد بن جعفر البرمكي ٢٦٩، ٢٨٨ (حا)

* أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي ٢٧٨، ٣٩٢،

٤٧٤، ٥١٥، ٥٥٧، ٥٦٥

* أحمد بن الحسين الهمداني ١١٩ (حا)

* أحمد بن أبي دؤاد الإيادي المعتزلي ٥٦٣

* أحمد بن طلحة بن جعفر العباسي القرشي ٣٠٤،

٣٣٨

* أحمد بن عبد الله الدارمي ٨٠ (حا)

* أحمد بن عبيد الله بن محمد بن عمار الثقفي ٢١٢ (حا)

* أحمد بن علي الجصاص ٣٩٦

* أحمد بن أبي فتن الكوفي ٥٣٤ (حا)

* أحمد بن محمد البغدادي ٤٧١ (حا)

* أحمد بن محمد الحسني الهاشمي ٨٦

* أحمد بن محمد الضبي الحلبي ٤٥٩، ٤٧٥

* أحمد بن محمد القتيبي المصري ٢٥٨ (حا)

* أحمد بن يحيى البغدادي الزنديق ٢١٢ (حا)

* أحمد بن يحيى البلاذري ٦٦ (حا)

* أحمد بن يحيى الشيباني الكوفي ٢٦٢، ٢٨٨،

٣٥٦ (حا)، ٤٧٦، ٥٣٨، ٥٥٧

* أحمد بن يوسف العجلي الكاتب ١٣٥، ٤٩٦ (حا)

* الأحنف بن قيس التيمي ٥٧، ٩٣، ٢٥٢ (حا)،

٣٥١، ٣٧٣، ٣٧٩، ٣٨٦، ٤٠٤، ٤٠٦، ٤٤٤،

٤٥٥، ٥٣٠ (حا)، ٥٣٥، ٥٣٧، ٥٤٧، ٥٥٠

* أحيحة بن الجلاح الأوسي ٣٥٢، ٥٣٧

* إدريس عليه الصلاة والسلام ١٠٧
 أبو إدريس الخولاني = عائذ الله بن عبد الله الخولاني
 * إدريس بن يزيد النابلسي ١٧٧ (حا)
 * آدم عليه الصلاة والسلام ١٠٧، ١٠٨، ٤٤٤
 * أردشير بن بابك ٢٢٨، ٣٦٨، ٣٧٦، ٤٣٧
 * أرسطاطاليس ٤٥ (حا)، ٥٥، ٧٤ (حا)، ٢٠٥، ٣٤١، ٢١١
 الأزدي = محمد بن المعل
 * أبو إسحاق المروزي (؟) ١٤٨ (حا)
 * إسحاق بن إبراهيم الأزدي ٢٣٣ (حا)
 * إسحاق بن إبراهيم الموصل ٥٦٤
 * إسحاق بن حسان الخراساني ٣٢٧ (حا)
 * إسرائيل بن محمد القاضي ١٦٦
 * الإسكندر المقدوني ٥١، ١١٧، ٢٠٥، ٢٢٦، ٢٧٥، ٣٤١، ٤٠٦، ٤٣٠
 * أسلم بن سدره الطائي ١٠٨
 * أساء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنها ١٧١
 * أساء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها ٤٢٦، ٤٢٨
 * إسماعيل الذبيح عليه الصلاة والسلام ١٠٧ - ١٠٨
 * إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي ٣٥٠، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٥
 * إسماعيل بن فلان بن الحجاج بن علاط ٩٢
 * إسماعيل بن القاسم العيني العتري ١٣٤، ١٨٠، (حا) ١٨٣، ١٨٥، ١٩١، ١٩٥، ١٩٩، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٢٥، ٢٨٠، ٢٨٦، ٢٨٨ (حا)، ٢٩٠، ٢٩٤ (حا)، ٣٠٣، ٣٠٥، ٣١٤، ٣١٦، ٣٢١، ٣٥٢ (حا)، ٣٥٤ (حا)، ٣٩١، ٤٥٠ (حا)، ٤٦٣، ٤٧٠ (حا)، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٦ (حا)، ٤٧٨ (حا)، ٥١٥ (حا)، ٥٣٠ (حا)، ٥٥٠
 أبو الأسود الدؤلي = ظالم بن عمرو
 * الأسود بن خلف القرشي ٢٤٣ (حا)

* الأشجع بن عمرو السلمي ٢٨٣
 * أشعب بن جبير المدني ١٧٣ (حا)
 أبو الأشعث = شراحيل بن آدة الصنعاني
 ابن الأشعث = عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي
 * الأشعث بن قيس الكندي ١٧٣، ٤٦٤
 الأصم = عبد الرحمن بن كيسان المعتزلي
 الأصمعي = عبد الملك بن قريب
 ابن الأعرابي = محمد بن زياد الكوفي
 الأعرج = عبد الرحمن بن هرمز المدني
 أعشى باهلة = عامر بن الحارث
 الأعلم الهذلي = حبيب بن عبد الله
 الأعمش = سليمان بن مهران الكوفي
 الأعرور الشني = بشر بن منقذ
 * أفريدون ٢٠١ (حا)
 * أفلاطون ١٢٩ (حا)، ١٣٩ (حا)، ٣٣٣ (حا)
 * أفلح بن يسار الأسدي الكوفي ٢٧١ (حا)
 أفنون التغلبي = صريم بن معشر
 الأفوه الأودي = صلاء بن عمرو
 * إقليدس ١٠٧ (حا)
 * أكنم بن صيفي التميمي ٢٠٥ (حا)، ٢٥٥، ٢٦٨ (حا)، ٢٩٠، ٣٠٤، ٣٤٢، ٣٦٠، ٤٢٣ (حا)، ٤٤٧ (حا)، ٤٦٦، ٤٩٧ (حا)، ٥١٧، ٥٤٦ (حا)
 أبو أمامة = صدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه
 * أنس بن أسيد الكناني رضي الله عنه ٤٩٦
 * أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه ٤١ (حا)، ٥١، ٦١ (حا)، ٧٥ (حا)، ٧٦، ٧٩، ١٠٤، ١١٩ (حا)، ١٣٠ (حا)، ١٣٤ (حا)، ١٣٩، ٢٠٣، ٢١٤ (حا)، ٢٢٦ (حا)، ٢٣٥ (حا)، ٢٣٩، ٣٤٥ (حا)، ٣٥٩ (حا)، ٣٨٤، ٣٩٨ (حا)، ٤٠١ (حا)، ٤١٣ (حا)، ٤١٥ (حا)، ٤١٧ (حا)، ٤٢٥ (حا)، ٤٤٢ (حا)، ٤٧٨، ٤٨٤ (حا)، ٤٨٨ (حا)، ٥١٢ (حا)، ٥٢٠ (حا)، ٥٢٢، ٥٢٦ (حا)، ٥٤٩ (حا)

* انكساغورس ٢٧٩ (حا)

* أنوشروان بن قباد ٥٦، ١٨٢، ١٨٣، (حا)، ١٩٧،

* ٢٢٨، ٣٢٥، ٣٣٨، (حا)، ٤٢٧، ٤٦٩، ٤٩٦،

٥٧٩، ٥٤٩، ٥٢٠

الأوزاعي = عبد الرحمن بن عمرو

* أوس بن حارثة الأزدي ٢٣٩ (حا)، ٢٤٦ (حا)،

٣٤٦ (حا)

* أوس بن حجر التميمي ٣٥٢، ٥٥٣،

* أوفى بن دهم العدوي ٢٥٦

* إياس بن قتادة التميمي ٤٠٨

* إياس بن معاوية المزني ٤٤٩، ٥٧٨،

أبو أيوب الأنصاري = خالد بن زيد رضي الله عنه

أبو أيوب الكاتب = سليمان بن وهب الحارثي

* أيوب بن زيد الهلالي ٤٥٢، ٤٥٧ (حا)

* أيوب بن كيسان السخيتاني ٣٠٢، ٣٤٦،

حرف الباء

البارع = الحسين بن محمد البغدادي النحوي

البحري = الوليد بن عبيد الطائي

بديع الزمان = أحمد بن الحسين الهمداني

* بريدة بن الحصيب الأسلمي ٢٤٤ (حا)، ٣٤٩،

* بزرجمهر الفارسي ٥٦، ٦٥ (حا)، ٧٣، ٨٣، ٨٥،

* ٩٤، ١٣٠، ١٦٥، ٣٣٨ (حا)، ٣٤٥، ٣٧٨،

٤٧٠، ٥٤٩ (حا)، ٥٥٦،

* بشار بن برد العقيلي ١٠٥، ٢٦٢، ٢٨٧، ٣٠٤،

(حا)، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٩، ٣٩٨، ٤٠٧ (حا)،

٤٣٥ (حا)، ٤٨٤،

بشر الحافي = بشر بن الحارث المروزي

أبو بشر الضرير = اليان بن أبي اليان البنديجي

* بشر بن الحارث المروزي ١٥٥ (حا)، ٣٠١ (حا)

* بشر بن مروان الأموي ١٨٦

* بشر بن المعتز الهلالي المعتزلي ٤٥٣

* بشر بن منصور السلمي الأزدي البصري ١٩٦

* بشر بن منقذ ٤٤٤

* أبو البطحاء (؟) ١٢٠

أبو بكر = محمد بن علي الشاشي

أبو بكر الخوارزمي = محمد بن العباس

أبو بكر الرازي = أحمد بن علي الجصاص

أبو بكر الشبلي = دلف بن جحدر

أبو بكر الصديق = عبد الله بن عثمان التيمي رضي الله عنه

أبو بكر الصولي = محمد بن يحيى

أبو بكر العلاف = محمد بن يوسف

أبو بكر الموسوس = محمد بن موسى بن عبد العزيز

الكندي الصيرفي

* بكر بن خارجة الكوفي ٣٧٢ (حا)

أبو بكر بن دريد = محمد بن الحسن الأزدي

* بكر بن عبد العزيز العجلي ٣٩٩ (حا)، ٤٠٥ (حا)

* بكر بن عبد الله المزني ١٦٢ (حا)، ١٦٣، ٥٣٦ (حا)

* بكر بن النطاح الحنفي ٣١٨ (حا)

أبو بكرة = نفع بن الحارث الثقفي رضي الله عنه

* بلال بن رباح الحبشي رضي الله عنه ٥٠٦

* أبو بلال العجلي (؟) ٤٩٣

ابن بيهس الكلابي = محمد بن صالح

حرف التاء

أبو تمام = حبيب بن أوس الطائي

حرف الناء

* ثابت بن الجذع الأنصاري ٣٦٤

* ثابت بن عبيد الأنصاري ١٣٩

* أبو ثابت النحوي (؟) ٥٨٥

ثعلب = أحمد بن يحيى الشيباني الكوفي

* ثمامة بن الأشرس النميري المعتزلي ١٢٠ (حا)

ابن ثوبة الكاتب = أحمد بن محمد البغدادي

حرف الحاء

أبو حاتم = سهل بن محمد السجستاني

* حاتم بن عبد الله الطائي ١٢٠

* الحارث بن الحارث رضي الله عنه ٣٧٢ (حا) ،

٤٦٦ (حا)

* الحارث بن حلزة الشكري ٥٨٢ (حا)

* الحارث بن خالد المخزومي ٢٨٦

* الحارث بن سعيد التغلبي ٤٧٢ ، ٥٥١

* الحارث بن النضر الأزدي ٢٥٩

* حارثة بن بدر الغداني ٤٦٦

أبو حازم الأعرج = سلمة بن دينار المخزومي

* حبيب بن أوس الطائي ٨٥ ، ١٣٣ ، ٢٣٢ ، ٢٤٥ ،

٢٦٣ (حا) ، ٢٨٠ ، ٢٩٠ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣١١ ،

٣١٢ ، ٣٦٣ ، ٣٦٤ ، ٣٧٤ ، ٣٧٧ (حا) ، ٣٩٠ ،

٣٩٥ (حا) ، ٤١٠ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٤٥ ، ٤٦٤ ،

٥١٥ ، ٥٨٠

ابن الحجاج = حسين بن أحمد البغدادي

* الحجاج بن يوسف التيمي ٣٩٣ (حا)

* الحجاج بن يوسف الثقفي ١٤١ ، ٢٥٩ (حا) ،

٣٣٢ ، ٣٩٠ ، ٤٥٢ ، ٤٥٧ ،

* حذيفة بن حسل العبسي رضي الله عنه ٧٤ (حا) ،

٣٩٨ ، ٤٩٣ ، ٥١٣ (حا)

حذيفة بن البيان = حذيفة بن حسل العبسي رضي الله عنه

* حوثان الحارث ٥٠٩ (حا)

* حرقه بنت النعمان اللخمية ١٨٤

* حرملة بن عبد الله التيمي رضي الله عنه ٣٩٦ (حا)

* حريث بن عمرو التغلبي ٣١٩ (حا)

* حريز العنبري ٢٩٩

ابن حزم الظاهري = علي بن أحمد الأندلسي

* حسان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ٢٧١ ،

٣١٤ (حا) ، ٣٣٠ ، ٥٤٦ ،

* حسان بن أبي سنان البصري ٥٣١

* ثوبان بن إبراهيم الإخيمي ١٩١ (حا) ، ٣٦٢ ،

٣٩٩ (حا) ، ٥٧٠ (حا)

* ثوبان بن مجد الحمصي رضي الله عنه ٨٣

حرف الجيم

* جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما ٥٣ (حا) ،

٥٧ ، ٨٧ (حا) ، ١٣٢ (حا) ، ١٣٥ ، ١٩٨ ، ٢٣٨ ،

٢٥٤ (حا) ، ٢٥٥ (حا) ، ٢٥٨ (حا) ، ٣٠٠ (حا) ،

٣١٨ (حا) ، ٣٢٣ ، ٣٣١ (حا) ، ٣٨٨ ، ٥٦٥ (حا)

الجاحظ = عمرو بن بحر الكناني البصري

* جارية بن الحجاج ٤٤٨ (حا)

* جبريل عليه السلام ٣٥٩ ، ٤٠١ ، ٥٣٠ (حا)

جحظة = أحمد بن جعفر البرمكي

* الجذ بن قيس السلمى الأنصاري ٣٠٠

أبو الجذع = ثابت بن الجذع الأنصاري

* الجراح بن عبد الله الحكمي ٣٤٤

* الجرباء بنت عقيل الذيبانية ٢٦٠

الجرجاني = علي بن محمد

* جرويل بن أوس العبسي ٣٢٤

ابن جريج = عبد الملك بن عبد العزيز القرشي المكي

* جرير بن عبد العزيز الضبعي ٣٤٢

* جرير بن عطية الخطفي التيمي ٤٨

جعفر الصادق = جعفر بن محمد الباقر الهاشمي

أبو جعفر الكاتب = أحمد بن يوسف العجلي

* جعفر بن محمد الباقر الهاشمي ١٩٨ ، ٢٦٩ ، ٢٨١ ،

٣٢٤ (حا) ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٣٧ (حا) ، ٥٤٠ (حا) ،

٥٤٩ (حا) ، ٥٥٣ ، ٥٥٥ (حا) ، ٥٥٩ (حا) ، ٥٦١ (حا)

* جعفر بن يحيى البرمكي ١٠٧ ، ٤٤٩ ، ٥٣٣ (حا)

ابن الجلاح = أحيحة بن الجلاح الأوسي

* جندب بن جنادة رضي الله عنه ٨٣ (حا) ، ١٦٢ ،

١٩٦ ، ٢٠٤ (حا) ، ٣٤٤ (حا) ، ٣٥٤ (حا) ، ٥٠٧ ،

أبو جهل = عمرو بن هشام المخزومي

- * حسان بن عطية المحاربي الدمشقي ٣٩٤
- * الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي ٤٥١ (حا)
- * الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي ١٣١
- * أبو الحسن بن أبي الحارث الهاشمي (؟) ٢٩٤ ، ٤٥٨
- الحسن بن حي = صالح الثوري الكوفي
- * الحسن بن رجاء البلخي ٣٣٧ ، ٤٠٢ (حا)
- * الحسن بن سهل السرخسي الوزير ٣٠٠ (حا) ، ٤١٨ ، ٣٠٨ (حا)
- * الحسن بن صالح الثوري الكوفي ٥٠١ (حا)
- * الحسن بن علي الهاشمي رضي الله عنها ٩٢ (حا) ، ١٥٤ ، ٢٨٤ (حا) ، ٣٦٢ ، ٤١٧ ، ٥٣٠ (حا) ، ٥٣٧ ، ٥٥٩ (حا)
- * أبو الحسن بن كنجك (؟) ٤٢ (حا)
- * الحسن بن محمد الجواد الهاشمي ٢٥٠ (حا)
- * الحسن بن هانئ الحكمي ٢٦٣ (حا) ، ٣٢٨ ، ٤٢٠ (حا) ، ٥٠٢ ، ٥٨٥ (حا)
- أبو الحسن الناشئ الأصغر = علي بن عبد الله البغدادي
- * الحسن بن وهب الحارثي ٢٨١ ، ٤٨١ (حا)
- * الحسن بن يسار البصري ٦٢ ، ١٠٤ (حا) ، ١٠٤ ، ١٤٢ ، ١٥١ (حا) ، ١٥٢ ، ١٥٤ (حا) ، ١٦٨ ، ١٧١ ، ١٧٩ (حا) ، ١٨١ ، ١٨٥ (حا) ، ١٨٩ ، ١٩١ (حا) ، ١٩٣ (حا) ، ١٩٦ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ (حا) ، ٢٠٦ (حا) ، ٢١٥ ، ٣٣٩ ، ٤٠١ ، ٥٠٤ (حا) ، ٢٤٤ ، ٢٤٩ ، ٣٠٤ ، ٣٣٦ ، ٣٤٨ ، ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ (حا) ، ٣٥٩ (حا) ، ٣٨٦ (حا) ، ٣٩٠ (حا) ، ٤٢٦ ، ٤٤٥ (حا) ، ٤٦٣ ، ٤٦٦ ، ٤٧٣ ، ٤٨٣ ، ٥٠٧ (حا) ، ٥٢٢ (حا) ، ٥٤٧ (حا) ، ٥٦٢ ، ٣٢١ ، ٤١
- أبو الحسين البصري = محمد بن علي الطيب
- * حسين بن أحمد البغدادي ٣١٠ (حا) ، ٣٢٤ (حا)
- * الحسين بن عبد الرحيم الكلبي ٤٧٩ (حا)
- * الحسين بن علي الهاشمي رضي الله عنها ٢٩٦ (حا) ، ٣٤٧ ، ٥١٦ (حا) ، ٥٢١ ، ٥٢٧
- * أبو الحسين كاتب الفيض (؟) ٢٨٩ (حا)
- * الحسين بن محمد البغدادي النحوي ٦٤
- * الحسين بن محمد الرافقي ٤٧ (حا)
- * الحسين بن محمد السهواجي ٤٥٨ (حا)
- * الحسين بن مطير الأسدي ٤٠٢ (حا)
- * حصن بن حذيفة الفزاري ٣٥١ (حا)
- * الحضير بن المنذر الرقاشي ٥١٩
- * حطي الأزدي ١٠٨
- الحطيئة = جروول بن أوس العبسي
- أبو حفص الشطرنجي = عمر بن عبد العزيز
- * أبو حفص الكرماني (؟) ٥٢٩
- * حكيم بن عمير العنسي الحمصي ٣٢٥ (حا) ، ٣٨٨
- أبو حكيمة = راشد بن إسحاق الأنباري الكاتب
- حماد الراوية = حماد بن سابور الكوفي
- * حماد بن زيد الأزدي ١٦١
- * حماد بن سابور الكوفي ٧٤
- * حماد بن عمر الكوفي ٢٦٧
- حماد عجرد = حماد بن عمر الكوفي
- * حمد بن محمد البستي ٢٢٩ (حا)
- * حمزة بن عبد الله بن الزبير القرشي ٢٠٣ (حا)
- * حميد بن أبي حميد الخزاعي البصري ٧٦ ، ٣٤٣ ، ٣٨٩
- * حميد بن ثور الهلالي ٥٨
- أبو حميد الساعدي = عبد الرحمن بن عمرو الأنصاري
- رضي الله عنه
- حميد الطويل = حميد بن أبي حميد الخزاعي البصري
- أبو حنيفة = النعمان بن ثابت الكوفي
- * ابن الحوا الأنصاري المدني ٣٦٤ (حا)
- حرف الخاء
- خالد الخذاء = خالد بن مهران البصري
- * خالد بن ياب الريعي ٥٢٧

* خالد بن زيد ٤٩٣ (حا)

* خالد بن صفوان التميمي ١٣٦، ١٩٠، ٢٤٧ (حا)،
٢٦١، ٢٦٧، ٢٨٨، ٤٢٣ (حا)، ٤٥١، ٥٠٢،
٥٤٣ (حا)، ٥٥٨، ٥٧٨

* خالد بن عبد الله القسري ٦٦

* خالد بن معدان الكلاعي ٢١٩ (حا)، ٢٤٤

* خالد بن مهران البصري ٨٤

* خالد بن يزيد بن معاوية الأموي القرشي ٢٤٩

الحبزارزي = نصر بن أحمد البصري

أبو خراش الهذلي = خويلد بن مرة

* الحضر عليه الصلاة والسلام ١٣٢، ١٤٠، ١٧٩

* الخليل بن أحمد الفراهيدي ٧٢، ٩٣، ١٠٥، ١٣٠،

١٣١، ١٣٧، ١٩١ (حا)، ٢٩١ (حا)، ٣٥٢ (حا)،

٤٠٦، ٤٣٢ (حا)، ٥٣٧ (حا)، ٥٥٦ (حا)، ٥٨٤ (حا)

* خوات بن جبير الأنصاري رضي الله عنه ٥٨٠ (حا)

* خويلد بن مرة ٢٣١ (حا)

الحياط = عبد الرحيم بن محمد البغدادي

* خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي الكوفي ٢٩٤

* أبو الخير الكاتب الواسطي (؟) ٣٦٣ (حا)

حرف الدال

* داوود عليه الصلاة والسلام ٥٥٧ (حا)

* داوود بن جهور الأواني الكاتب ٥٨٢ (حا)

أبو الدرداء = عويمر بن زيد الأنصاري رضي الله عنه

ابن دريد = محمد بن الحسن الأزدي

* دعبل بن علي الخزاعي ٢٣٣، ٣٢٦، ٤٠٥ (حا)

أبو دلف = بكر بن عبد العزيز العجلي

* دلف بن جحدر ١٧٦

ابن أبي دؤاد = أحمد بن أبي دؤاد الإيادي المعتزلي

أبو دؤاد الإيادي = جارية بن الحجاج

* ديوجانس ٥٣٥ (حا)، ٥٤٧ (حا)

حرف الذال

ابن أبي ذئب = محمد بن عبد الرحمن القرشي

ابن الذئبة = ربيعة بن عبد ياليل الثقفي

أبو ذر الغفاري = جندب بن جنادة رضي الله عنه

* ذكوان الزيات المدني ١٧٧

ذو الإصبع العدواني = حرثان الحارث

ذو الرمة = غيلان بن عقبة العدوي

* ذو القرنين ٢٠٠

ذو النون المصري = ثوبان بن إبراهيم الإخميمي

حرف الراء

* رابعة بنت إسماعيل العدوية ١٦٤

* راشد بن إسحاق الأنباري الكاتب ٤٦٤ (حا)

* رافع بن هرم اليربوعي ٣٩٩ (حا)

ابن الراوندي = أحمد بن يحيى البغدادي الزنديق

* ربعي بن حراش العبسي ٣٩٥

* الربيع بن خثيم الثوري الكوفي ١٩٧، ١٩٨، ٢٠٤

* الربيع بن سليمان المرادي ١٠٤، ٢٨٨، ٢٩٣،

٣٢٨، ٣٥٦

* الربيع بن عبد الله العامري ٥٨

* الربيع بن يونس الأموي ١٧٣ (حا)

* ربيعة بن عامر الدارمي التميمي ٣٣٠ (حا)، ٤٠٩ (حا)

* ربيعة بن عبد ياليل الثقفي ٥٦٤ (حا)

* رجاء بن حيوة الكندي ٤١٥، ٥٤٩ (حا)

الرشيد = هارون بن محمد العباسي

الرضا = علي بن موسى الهاشمي

رغوان = مجاشع بن دارم التميمي

* رفيع بن مهران الرياحي ١٤٣

الرماني = علي بن عيسى

ابن الرومي = علي بن العباس البغدادي

* رياح بن ربيعة التميمي ٥١٥ (حا)

الرياشي = العباس بن الفرج البصري

حرف الزاي

- * الزبرقان بن بدر التميمي ٤٥٤ (حا)، ٤٥٥ (حا)،
٥٠٩
أبو الزبير = محمد بن مسلم المكي
* الزبير بن بكار القرشي ٥٠٦
* الزبير بن العوام القرشي رضي الله عنه ٤٣١ (حا)
* زحر بن حصن الطائي ٣٧٩ (حا)
* زر بن حبيش الأسدي ٢٠٦
* الزرقاء بنت عدي الهمدانية ٦٥ (حا)، ٢٣٨ (حا)
ابن أبي الزلازل = الحسين بن عبد الرحيم الكلبي
الزخشمي = محمود بن عمر الخوارزمي
أبو الزناد = عبد الله بن ذكوان المدني
* زهير بن جناب الكلبي ٣٣١ (حا)
* زهير بن أبي سلمى المزني ٩٢، ٩٨، ٥٥٣ (حا)
* زياد بن أبيه ٥٢، ٤٢٩ (حا)، ٥٣٨
* زياد بن الجراح الجزري ٥٦٦
* زيادة بن زيد العذري ١٢٨
أبو زيد = سعيد بن أوس الأنصاري
ابن زيد = عبد الرحمن بن زيد العدوي
* زيد بن أسلم العدوي ٣٤٣
* زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ٥٤٩ (حا)
* زيد بن حارثة الكلبي ١٨٩، ٢٥٦
* زيد بن خالد الجهني ٥٨٢
* زيد بن الخطاب القرشي رضي الله عنه ٢٢٤
* زيد بن علي بن الحسين الهاشمي ١٨٤ (حا)،
٢٤٤ (حا)، ٣٤٧
زين الدين العراقي = عبد الرحيم بن الحسين الكردي
زين العابدين = علي بن الحسين الهاشمي القرشي

حرف السين

- * سابق بن عبد الله البربري ١١٥، ٣٧٠، ٤٩٨ (حا)
* سابور بن أردشير ٥٦

* السابوري (؟) ٥٠٢

- * سالم بن عبد الله بن عمر القرشي ٣١١ (حا)
* سالم بن مسرور (؟) ٢٩٩
* سالم بن وابصة الأسدي ٢٩٠ (حا)، ٣٢٢ (حا)
* سحيم بن الأعرف التميمي ٥٣٩
* سخيرة الأزدي رضي الله عنه ٤٦٥ (حا)
أبو سدره = سحيم بن الأعرف التميمي
السدي = إسماعيل بن عبد الرحمن الكوفي
* سراقه بن مرداس البارق ٢٧٢
* السري بن مغلس السقطي ٣٣٤ (حا)
* سعد بن سنان الكندي المصري ٥٢٢
* سعد بن مالك رضي الله عنه ٤١ (حا)، ١٥٨،
٢٢١ (حا)، ٥٢٦ (حا)، ٥٧٠ (حا)
* سعد بن محمد الأزدي ٤٧٩ (حا)، ٤٨٠ (حا)
* سعد بن أبي وقاص القرشي رضي الله عنه ٢٢٤،
٥٢٩، ٥٣٦ (حا)
* سغفص الأزدي ١٠٨
أبو سعيد = كيسان المقبري
أبو سعيد الخدري = سعد بن مالك رضي الله عنه
* سعيد بن أوس الأنصاري ٢٥٧
* سعيد بن جبير الأسدي الكوفي ١٧١، ٢٢٣،
٣٢٢، ٤٠٤ (حا)، ٥٢٨
* سعيد بن حميد البغدادي الكاتب ٢١٨، ٢٣٦
(حا)، ٥٣٢ (حا)
* سعيد بن أبي سعيد المقبري ١٦٦، ٢٥٠
* سعيد بن سلم الباهلي ٤٧٠
* سعيد بن العاص الأموي ٣٧٠ (حا)، ٥٠٣
* سعيد بن عامر القرشي ٢٢٤ (حا)
* سعيد بن عبد الرحمن بن حسان الأنصاري
٥٤٦ (حا)
* سعيد بن أبي عروبة البصري ٣٨٨
* سعيد بن مسعود (؟) ١٩٧

* سليمان بن وهب الحارثي ٦٤ ، ٤٧٦ (حا) ، ٤٨١ ،
 * سليمان بن يزيد (؟) ٤٩٣
 * سليمان بن يسار المدني ٧٦
 ابن السماك = محمد بن صبيح العجلي الكوفي
 أبو سهل الأسدي = سمعان بن هبيرة الشاعر
 * سمعان بن هبيرة الشاعر ٣٧٩
 * السموءل بن غريض الأزدي ٣٣١ (حا)
 * سهل بن سعد الساعدي الأنصاري رضي الله عنه
 ٣٠٢ ، ٢٦١
 * سهل بن عبد الله المروزي ١٨٨
 * سهل بن محمد السجستاني ٤١٠ ، ٤٨١ ،
 * سهل بن هارون البصري الكاتب ٢٧٠ (حا) ،
 ٥٣٢ ، ٣٢٧
 * سهيل بن علي (؟) ١٨٨
 * سوار بن المضرب السعدي ٤٠٠ (حا)
 * سويد بن هبيرة الديلي رضي الله عنه ٣٣٩ (حا)
 ابن سيرين = محمد بن سيرين الأنصاري البصري
 * سيف بن ذي يزن الحميري ٤٨٤
 حرف الشين
 الشافعي = محمد بن إدريس القرشي
 ابن شبرمة = عبد الله بن شبرمة الضبي الكوفي
 * شبيب بن شيبة التميمي ٤٩ ، ٢٩٠ ، ٤٦٤
 * شراحيل بن أدة الصنعاني ٨٣
 * شراحيل بن مرثد الصنعاني ٨٣
 * شريح بن الحارث الكندي ٤٣٣
 شريح القاضي = شريح بن الحارث الكندي
 * شريك بن عبد الله النخعي الكوفي القاضي ١٣٠
 * شريك بن عبد الله بن أبي نمر القرشي المدني ٣٦٤
 * شعبة بن الحجاج العتكي ٣٩٥
 الشعبي = عامر بن شراحيل الحميري الكوفي
 * شعيب عليه الصلاة والسلام ٣٥٠

* سعيد بن المسيب المخزومي القرشي المدني ١٨٩ ،
 ٢٩١ ، ٣٢٢ ، ٣٩٨ (حا)
 * سعيد بن أبي هند الفزاري ١٠٠
 * سفيان بن سعيد الثوري ١١٣ ، ١٣٢ ، ١٣٣ (حا) ،
 ١٣٨ ، ١٣٩ (حا) ، ١٤٠ ، ١٧٩ ، ٢٣٩ ، ٣٠٢ ،
 ٣٥٠ ، ٣٠١
 * سفيان بن عيينة الهلالي ١٧١ ، ٣٠١ (حا) ، ٣٢٣
 (حا) ، ٤٠١ ، ٤٢٧ (حا) ، ٤٣٢ (حا) ، ٤٧٤ (حا) ،
 ٤٨٣ (حا)
 * سقراط ٥٤٩ (حا)
 ابن سكرة الهاشمي = محمد بن عبد الله
 ابن السكيت = يعقوب بن إسحاق البغدادي
 سلم الخاسر = سلم بن عمرو البصري
 * سلم بن عمرو البصري ٣٠٣ (حا) ، ٣٩٤
 * سلم بن قتيبة الباهلي ٣٢٠ (حا) ، ٣٢٨ (حا) ، ٥٥٩
 * سلم بن ميمون الرازي الخواص ٤٠٥ (حا)
 * سلمان الأغر الجهنني المدني ٣٨٨ (حا)
 * سلمان الفارسي رضي الله عنه ١٥١ (حا) ، ١٧٦ ،
 ١٧٨ (حا) ، ٤١١ ، ٥٠٦
 أبو سلمة = عبد الله بن رافع الحضرمي المصري
 أم سلمة = هند بنت أبي أمية المخزومية رضي الله عنها
 * سلمة بن دينار المخزومي ١٦٧ ، ١٦٩ ، ١٨٦ ،
 ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ٢٠٢ ، ٣٦٣ ، ٣٧٤
 أبو سليمان الخطابي = حمد بن محمد البستي
 أبو سليمان الداراني = عبد الرحمن بن أحمد المذحجي
 * سليمان بن داود عليها الصلاة والسلام ١٨٩ ،
 ٢٥٢ ، ٢٩١ ، ٣٩٨ (حا) ، ٤٦٨ ، ٥٥٧ (حا)
 * سليمان بن عبد الملك بن مروان القرشي ٤٨ ، ٤٩ ،
 ١٦٧ ، ١٨٨ ، ٢٠٣ ، ٤٤٨ ، ٤٦٤ (حا)
 أبو سليمان الضرير = إدريس بن يزيد النابلسي
 * أبو سليمان الغنوي ١٢٣
 * سليمان بن مهران الكوفي ١٥٥ ، ١٥٧ ، ٢٩٤

* صهيب بن سنان النمري رضي الله عنه ٥٠٥ ، ٥٠٦
 الصولي = إبراهيم بن العباس البغدادي
 * الصيقل (؟) ٥٢٢ (حا)

حرف الضاد

ابن ضبارة = عامر بن ضبارة المري
 * الضحاك بن قيس الفهري ٨٥ (حا)
 * الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني ٤٢ ، ٤٨٣
 * ضرار بن عمرو الضبي ٢٠٦ (حا)
 * ضرار بن القعقاع الباهلي رضي الله عنه ٤٠٦

حرف الطاء

* طارق صاحب شرطة القسري ٦٦
 * طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي ١٧٢ ، ٥٨٢
 * طاووس بن كيسان الخولاني اللياني ٢٢٧ (حا)
 ابن طباطبا = أحمد بن محمد الحسن الهاشمي
 * طرفة بن العبد البكري ٣٧٠ ، ٤٥١ (حا)
 * طفيل بن زيد الحارثي ٣٠٧ (حا)
 * طلحة بن عبد الله بن عوف الزهري ٢٨٩
 * طلحة بن عبيد الله التيمي القرشي رضي الله عنه
 ٢٢٥ ، ٢٦٥ ، ٥٧٩ (حا)
 * طلحة بن كريز الخزاعي ٥١٦ (حا)

حرف الظاء

ابن ظالم = يزيد بن المهلب الأزدي
 * ظالم بن سراقه الكندي ٤٨ (حا)
 * ظالم بن عمرو ٦٦ (حا) ، ٢٥٥ ، ٢٦٩ ، ٢٨٤ (حا) ،
 ٢٨٥ ، ٤٠٠ (حا) ، ٤٥٧ ، ٤٨٦
 * أبو ظبيان القرشي ٣٤٠

حرف العين

أبو العالية = رفيع بن مهران الرياحي

* شعيب بن محمد السهمي القرشي ١٦٨

* شفي بن مائع الأصبحي ٤٤٧ (حا)

* الشمردل بن شريك التميمي ٥١٨ (حا)

* شميظ بن عجلان الشيباني ١٩٠ (حا)

ابن شهاب الزهري = محمد بن مسلم القرشي

* شهر بن حوشب الأشعري ٣٥٦ ، ٤٢٨

* شيرويه بن أبريز ٤١٤ ، ٤٨٥ (حا)

حرف الصاد

أبو صالح الأسدي = إسحاق بن إبراهيم

* صالح بن جناح اللخمي ٥١٦ (حا)

* صالح بن حسان النضري الأنصاري ٥٠٤

أبو صالح السمان = ذكوان الزييات المدني

* صالح بن عبد القدوس الأزدي الجذامي ٤٢ ، ٨٠ ،

١٢١ ، ٢٠٧ ، ٢٣٣ (حا) ، ٢٨٥ ، ٢٩٦ ، ٣١٨ (حا) ،

٣٧٠ (حا) ، ٣٩٥ ، ٤٤٧ (حا) ، ٤٧٨ (حا) ، ٤٨٧ ،

٤٩٨ ، ٥٥٢

أبو صالح كاتب الليث = عبد الله بن صالح الجهني

المصري

* صحار بن العباس العبدي رضي الله عنه ٤٥٢ (حا)

* صدي بن عجلان الباهلي رضي الله عنه ٧١ ، ١٧٣ ،

٣٤٣ (حا) ، ٣٥٦ ، ٣٩٤ ، ٥٥٤

صريع الغواني = مسلم بن الوليد الأنصاري

* صريم بن معشر ٥١٧

أبو صفرة = ظالم بن سراقه الكندي

* صفوان بن سليم المدني الزهري ٤١٧

* صفوان بن عسال المرادي ٨٣ (حا)

* صلاة بن عمرو ٢٩٢

ابن الصلاح = عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري الكردي

* الصلتان السعدي الشاعر (؟) ٤٩٨ (حا)

الصلتان العبدي = قثم بن خبية

الصنوبري = أحمد بن محمد الضبي الحلبي

ابن عامر = عبد الله بن عامر اليحصبي الدمشقي

* عامر بن الحارث ٥١٠ (حا)

* عامر بن جذرة الطائي ١٠٨

* عامر بن شراحيل الحميري الكوفي ٦٠، ١٢٦،

١٤١، ٢٤٥، ٢٤٦ (حا)، ٣٥١ (حا)، ٤٠٣،

٤٠٦، ٤٧٢، ٥٠٤

* عامر بن ضبارة المري ١٦٠

* عامر بن الطفيل العامري ٤٦

* عامر بن الظرب العدواني ٦٤

* عامر بن عبد الرحمن الحميري ٤٩

* عامر بن عبد قيس العنبري البصري ١٨٢

* عامر بن مرة الزهري ٤٠٦

* عائد الله بن عبد الله الخولاني ١٦٢، ٥٠٧،

ابن عائشة = عبيد الله بن محمد التيمي البصري

ابن عائشة = محمد بن عائشة المدني

* عائشة بنت أبي بكر الصديق التيمية رضي الله عنها

١١٨، ١٣١، ١٧٦، ١٨٨، ٢٥١ (حا)، ٢٥٥،

(حا)، ٢٦٣، ٢٩٥ (حا)، ٣٢٩ (حا)، ٣٣١،

٣٣٨، ٣٧٤، ٣٨٧ (حا)، ٤٠٣، ٤٢٧، ٤٩٣،

٥٠٤ (حا)، ٥٢٤، ٥٣٤ (حا)، ٥٤٥ (حا)، ٥٤٩،

(حا)، ٥٦٥، ٥٧٩ (حا)

أبو العباس = أحمد بن يحيى الشيباني الكوفي

ابن عباس = عبد الله بن عباس الهاشمي رضي الله عنها

أبو العباس المبرد = محمد بن يزيد الأزدي البصري

* العباس بن الأحنف الحنفي الهمامي ٢٧٣، ٢٨٣،

٣٢١، ٣٧٢ (حا)، ٤٢٠،

* العباس بن الفرج البصري ٨٨، ٢٥٥، ٣٢٤،

٣٨٩، ٤٠٠،

* العباس بن عبد المطلب الهاشمي رضي الله عنه ٦٥،

٣٢٧، ٣٥٥، ٣٧٦، ٤٥٠،

* عبد الأعلى بن عبد الله الشامي ١٦٣

* أبو عبد الحميد (؟) ٤٦٢

* عبد الحميد بن يحيى العامري الكاتب ١٠٢ (حا)،

١٠٩، ١٨٠، ١٩٨ (حا)، ٢٠٠، ٢٥١، ٣٢٥،

٣٣١، ٣٥٣، ٣٥٤، ٤٣٤، ٤٣٩، ٤٦٢، ٤٨٤،

* عبد الرحمن بن أحمد الرازي المقرئ ٩٥ (حا)

* عبد الرحمن بن أحمد المذحجي ٤٦٥ (حا)، ٥٣٢،

* عبد الرحمن بن إسماعيل الحميري ٥٠٤، ٥٠٥ (حا)

* عبد الرحمن بن أبي بكره الثقفي البصري ٨٤، ٤٦٢،

* عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري ٣١٤،

٥٤٦ (حا)

* عبد الرحمن بن زيد العدوي المدني ١٥٦، ٣٣٦،

٣٥٠، ٤٢٧، ٥٧٢، ٥٧٥،

* عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه ٤١

(حا)، ٧٦، ٧٨، ٨٢، ٨٧، ١٠٠، ١٠٥ (حا)،

١٢٢ (حا)، ١٣٦ (حا)، ١٤٤ (حا)، ١٥٣،

١٦٢، ١٦٦، ١٧٤ (حا)، ١٧٧، ١٨٣ (حا)،

٢٠١، ٢١٣ (حا)، ٢١٩، ٢٣٩ (حا)، ٢٤١،

٢٤٨ (حا)، ٢٥٠، ٢٥٢ (حا)، ٢٥٤، ٢٦٧،

(حا)، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩١، ٣٠١ (حا)، ٣٣٤،

٣٣٨ (حا)، ٣٥٠ (حا)، ٣٥٧ (حا)، ٣٧٤، ٣٨٤،

(حا)، ٣٨٧ (حا)، ٣٨٨، ٣٩٤، ٣٩٨ (حا)،

٤١٥ (حا)، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٣٩ (حا)، ٤٦١،

٤٨٥، ٥٠٣ (حا)، ٥٠٥، ٥٠٩ (حا)، ٥١٠،

٥١١، ٥٢٢ (حا)، ٥٢٥، ٥٢٨ (حا)، ٥٥٢،

(حا)، ٥٥٦، ٣٢٢،

* عبد الرحمن بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه

٥٦١ (حا)

* عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ٨٧، ٣٤٥،

* عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي رضي الله عنه

٢٤٧، ٣٨١، ٥٣٤،

* عبد الرحمن بن كيسان المعتزلي ١٥٩

* عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي ٤١٥

* عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر القرشي ٢٢٥

١٢٢ (حا)، ١٢٣، ١٢٩، ١٦١، ١٦٣، ١٦٧،
 ١٧٢ (حا)، ٢٢٣، ٢٢٩، ٣٣٦ - ٣٤٣، ٢٤٩،
 ٢٥٣ (حا)، ٢٥٤، ٢٨١ (حا)، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧،
 (حا)، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٤٤، ٣٥٠، ٣٧١، ٣٧٢،
 (حا)، ٣٨٤، ٤١٨، ٤٣٩ (حا)، ٤٦٢، ٤٦٧،
 ٤٦٨، ٤٨٦، ٥٠٧، ٥١٠، ٥٢٣ (حا)، ٥٣٣،
 (حا)، ٥٥٤، ٥٧٢، ٥٨٠،
 * عبد الله بن عبد الأعلى الشيباني ١٨٥ (حا)،
 ٢٣٩ (حا)
 * عبد الله بن عبد الملك بن مروان الأموي القرشي
 ٣٣٨
 * عبد الله بن عثمان التيمي رضي الله عنه ١٥٥، ١٩٦،
 ٢٢٢، ٢٤٣ (حا)، ٢٦٥، ٣٨٣، ٤٠٠، ٤٢٥،
 * عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي رضي الله عنهما
 ٥٣ (حا)، ٧٦ (حا)، ٨٧، ١٢٠، ١٢٣، ١٢٨،
 (حا)، ١٤٤ (حا)، ١٥٠ (حا)، ١٧٢ (حا)، ١٨٩،
 ١٩٤ (حا)، ٢١٩ (حا)، ٢٤٣ (حا)، ٢٩٧ (حا)،
 ٣١٩ (حا)، ٣٢٣ (حا)، ٣٤٤،
 * عبد الله بن عمرو بن العاص القرشي رضي الله عنهما
 ٧٥، ٨٢ (حا)، ١٢٥، ١٢٨ (حا)، ١٣٢ (حا)،
 ١٦٨، ٤١١ (حا)، ٥٤٢ (حا)
 * عبد الله بن عون المزني البصري ٣٧٧
 * عبد الله بن عياش الهمداني المتوفى ٤٠٢ (حا)
 * عبد الله بن قيس رضي الله عنه ٥٢، ١٦٦، ٢٣٣،
 * عبد الله بن لهيعة الحضرمي المصري ١٥٦
 * عبد الله بن المبارك الحنظلي المروزي ١٣٨، ١٥٧،
 ١٦٢، ١٧٠ (حا)، ١٧٣، ١٧٦، ٣٠٣ (حا)،
 ٣٠٥ (حا)، ٣٢٤ (حا)، ٣٤٤، ٥٢٩ (حا)
 * عبد الله بن محمد الباقي الخوارزمي ٣٧٧ (حا)
 * عبد الله بن محمد العباسي القرشي ٦٠، ٧٢، ٧٧،
 (حا)، ٨١ (حا)، ٨٤، ٨٦، ٩٣ (حا)، ٩٥ (حا)،
 ١٢٥ (حا)، ١٢٦ (حا)، ١٣٠، ١٣٧، ١٩٣ (حا)،

* عبد الرحمن بن المرقع السلمي المكي رضي الله عنه
 ٥٧٠
 * عبد الرحمن بن هرمز المدني ٤٨٥
 * عبد الرحمن بن يعقوب الحرقي المدني ٤٢٧
 * عبد الرحيم بن الحسين الكردي ٢٥٨ (حا)
 * عبد الرحيم بن محمد البغدادي ٢٢١ (حا)
 * عبد الصمد بن المعذل العبدي البصري الشاعر ٣١١
 * عبد العزيز بن سليمان الأبرش (؟) ٤٢ (حا)
 * عبد العزيز بن عبد الصمد العمي البصري ٢٠٣
 * عبد العزيز بن عمر التميمي ٢٩٣ (حا)
 * أبو عبد الله الطبري (؟) ١٤٨ (حا)
 * أبو عبد الله المروزي (؟) ١٧٢
 * عبد الله بن أحمد البلخي الخراساني ٢٢١ (حا)
 * عبد الله بن الأهم التميمي ٥٤٢
 * عبد الله بن بريدة الأسلمي البصري ٣٤٩
 * عبد الله بن جعفر بن أبي طالب الهاشمي القرشي
 رضي الله عنهما ٢٩٦ (حا)، ٣٢٩، ٥٦٢،
 * عبد الله بن الحسن بن الحسن الهاشمي القرشي ٤٨٥
 * عبد الله بن ذكوان المدني ٣٥٠، ٤٨٥،
 * عبد الله بن رافع الحضرمي المصري ٢٤١، ٣٩٤،
 ٤٢٨، ٥٢٥،
 * عبد الله بن الزبير القرشي رضي الله عنهما ٤٧،
 ١٤٠، ٢٤٨، ٢٩٢،
 * عبد الله بن شبرمة الضبي الكوفي ٦٦، ١٦٠،
 ٢٥٦ (حا)، ٣٢٨ (حا)
 * عبد الله بن الشخير العامري رضي الله عنه ١٩٠ (حا)
 * عبد الله بن صالح الجهني المصري ٣٣٧
 * عبد الله بن طاهر الخزاعي الخراساني ٣٢٩ (حا)،
 ٤٧٠ (حا)، ٤٩٩،
 * عبد الله بن عامر اليحصبي الدمشقي ٥٧٣ (حا)
 * عبد الله بن عباس الهاشمي رضي الله عنهما ٥٠،
 ٥٣ (حا)، ٥٩، ٩٤، ١٠٠، ١٠٦، ١٠٨، ١١٨،

* عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ٢٧٨ (حا) ،
٣٠٧ (حا)

* عبد الملك بن عبد العزيز القرشي المكي ٢٣٨

* عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز الأموي القرشي
٥٨١

* عبد الملك بن قريب ٤٧ ، ١٤١ ، ١٦٩ (حا) ،
١٧٢ ، ١٩١ ، ٢٨٨ ، ٣١٨ ، ٣٦٨ ، ٣٦٩ ، ٣٨٣ ،

٤٢٩ (حا) ، ٤٣٣ ، ٤٦٠ ، ٤٩٢ ، ٥٤٤ (حا)

* عبد الملك بن محمد الرقاشي البصري ١٥٩ (حا) ،
٣٤٦

* عبد الملك بن مروان الأموي القرشي ٧١ ، ١٤١ ،
١٩٠ ، ٢٠٣ ، ٢٩٢ ، ٣٩٠ (حا) ، ٤١٥

* عبد المنعم بن غلبون المصري ٢٨٦

* عبيد بن أسلم الكوفي مولى رسول الله ﷺ ٤٢٦ (حا)

* عبيد بن الأبرص الأسدي ٤٦٢

* عبيد بن صخر بن لوزان الأنصاري ٤٩٣ (حا)

* عبيد بن عمير الليثي ٤٦٩ (حا)

* عبيد الله بن أبي جعفر الكناني المصري ٣٨٦ (حا)

* عبيد الله بن زياد بن أبيه ٤٢٩ (حا)

* عبيد الله بن زياد الحارثي ٤٠٤ (حا)

* عبيد الله بن زياد بن طبيان التميمي ٣٧٨

* عبيد الله بن سليمان بن وهب الحارثي ١١٢ ، ١١٣ ،
٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٤٧٥

* عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الخزاعي الخراساني

٢٦٠ ، ٣٠٤ ، ٤٧٠ (حا) ، ٥٠٠

* عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي المدني
١٨٨ ، ٥٠٣ (حا)

* عبيد الله بن قيس الرقيات القرشي ٢٥٧ (حا)

* عبيد الله بن محمد التيمي البصري ٧١ ، ٥٣٤ ، ٥٧٨

* عتاب بن ورقاء التميمي ٣٥١

العتابي = كلثوم بن عمرو التغلبي

أبو العتاهية = إسماعيل بن القاسم العيني العنزري

٢٠١ (حا) ، ٢٠٣ ، ٢٢٠ ، ٢٤٧ ، ٢٦١ ، ٢٦٢

(حا) ، ٢٦٧ ، ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٨١ (حا) ، ٣٣٢

(حا) ، ٣٥٥ (حا) ، ٣٧٧ ، ٣٨٩ (حا) ، ٤٠٨ (حا) ،

٤٠٩ ، ٤٣٣ ، ٤٣٨ ، ٤٣٩ ، ٤٤٨ (حا) ، ٤٤٩ ،

٤٥١ (حا) ، ٤٨٤ (حا) ، ٤٨٧ (حا) ، ٤٩٠ (حا) ،

٤٩٦ (حا) ، ٤٩٧ (حا) ، ٤٩٨ (حا) ، ٥٠١ (حا) ،

٥٣٩ ، ٥٥١ (حا)

* عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه ٨٤ ، ٨٧

(حا) ، ١٠٤ ، ١٠٦ (حا) ، ١١٦ ، ١٣٠ ، ١٣٣

(حا) ، ١٣٧ ، ١٦٨ ، ١٧٨ (حا) ، ١٨١ (حا) ،

٢١٢ ، ٢١٩ ، ٢٤٢ (حا) ، ٢٤٩ ، ٢٥٨ (حا) ،

٢٦٨ ، ٢٩٤ ، ٣٠٠ (حا) ، ٣١٥ (حا) ، ٣٨٠ ،

٣٩٦ ، ٤٠١ (حا) ، ٤٤٧ ، ٤٥٥ ، ٤٦٩ ، ٥٢٣ ،

٥٣٠ ، ٥٣٦ ، ٥٨٢ (حا) ، ٥٨٣ (حا)

* عبد الله بن مسلم الدينوري ١٠٧ ، ١٠٨ ، ٤٢٩ ،
٥٠٥

* عبد الله بن مسلم بن محارب (؟) ٤١٣

* عبد الله بن مطيع العدوي المدني رضي الله عنه ٢٨٩

* عبد الله بن معاوية الهاشمي القرشي ٦٣

عبد الله بن المعتز = عبد الله بن محمد العباسي

* عبد الله بن مغفل المزني رضي الله عنه ٥٣٩ (حا)

* عبد الله بن المقفع الفارسي ٧١ ، ١٠٥ (حا) ، ١٠٧ ،

٣٠٢ ، ٣٤٧ ، ٣٦٨ ، ٣٨٢ ، ٤٢٢ ، ٤٥٢ ، ٤٦٢ ،

٤٦٧ ، ٥٢٥

* عبد الله بن هارون العباسي القرشي ٨١ ، ٩٤ ،

١٦٩ ، ٢٣٥ ، ٢٦٤ ، ٢٧٤ ، ٢٧٨ ، ٣٠٠ ، ٣٣٧ ،

٣٤٦ (حا) ، ٣٥٨ (حا) ، ٤١٤ ، ٤١٦

* عبد الله بن همام السلولي ٣٣٠ (حا) ، ٤٢٩ (حا)

* عبد الله بن وهب القرشي المصري ١٣٢ ، ١٤٠

* عبد المسيح بن عمرو ابن ببيعة الغساني الحيري ٥٥٥

* عبد الملك بن صالح العباسي القرشي ٢٢٧ (حا) ،

٢٧٥

* عتبة بن أبي سفیان الأموي القرشي ٤٩٥ (حا)

العنبي = محمد بن عبيد الله الأموي القرشي

أبو عثمان = شراحيل بن مرثد الصنعاني

أبو عثمان الجاحظ = عمرو بن بحر الكتاني البصري

* عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري الكردي

٢٥٨ (حا)

* عثمان بن عفان الأموي القرشي رضي الله عنه

٢١٩ (حا)، ٤٣٢ (حا)، ٤٦٨، ٥٧٢

* عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه ٢٩٥، ٤٢٦

* عدي بن زيد العبادي التميمي ٢٦٨، ٢٨٥، ٥٤٦

* عروة بن الزبير بن العوام القرشي المدني ١٠٨،

٢٩٥، ٣٣١، ٣٣٨، ٥٧٢

* عروة بن عامر المكي رضي الله عنه ٥١٢ (حا)

* عطاء بن أبي رباح القرشي المكي ٥٧، ٢٣٨

أبو عطاء السندي = أفلح بن يسار الأسدي الكوفي

* عطية بن بسر المازني ٢٥٤

* عطية بن سعد العوفي الجدي ٤١٥

* عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه ١٥٦

* عقبة بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه ٥٢٣ (حا)،

٣٩٥

* عقبة بن مسلم التجيبي المصري ١٥٦

* عقيل بن علفة الديلمي ٢٦٠

* عكاف بن وداعة الهلالي رضي الله عنه ٢٥٤

عكرمة مولى ابن عباس رضي الله عنهما = عكرمة بن

عبد الله البربري

* عكرمة بن عبد الله البربري ٥٩، ١٠٧، ٣٣٦،

٤١٢، ٤٨٦، ٥١٠

* العلاء بن حريز العبدي ٢٩٩

* العلاء بن الحضرمي الأموي رضي الله عنه ٣٢٣ (حا)

* العلاء بن عبد الرحمن الحرقلي المدني ٣٧٧، ٤٢٧

* العلاء بن المسيب الكاهلي الكوفي ١٩٣

* علقة بن علانة العامري ٤٦، ٣٩٧

أبو علي البصير = الفضل بن جعفر النخعي الكوفي

* علي بن أحمد الأندلسي ٣٦١

* علي بن الجهم البسامي البغدادي ٢٨٠ (حا)، ٢٩٨،

٣٩٩ (حا)، ٥٣٤، ٥٤١

* علي بن الحسن الباخري ٢٧٥ (حا)

* علي بن الحسن الهاشمي القرشي ٣٦٢

* علي بن الحسين الهاشمي القرشي ١٦١، ٣٤٧،

٣٦٣ (حا)

* علي بن حمزة الأسدي الكوفي ٣١٨، ٥٧٣ (حا)

* علي بن أبي طالب الهاشمي رضي الله عنه ٤٩،

٥٠، ٥١، ٥٥، ٥٩، ٦٢، ٦٣، ٦٥، ٧١،

٧٢، ٨٠، ٨٢ (حا)، ٨٩ (حا)، ٩٢، ١٠٠،

١٠٢، ١٠٧ (حا)، ١٠٩ (حا)، ١١٢ (حا)، ١١٩،

١٢٢ (حا)، ١٢٤، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٢، ١٣٦،

١٤٣، ١٤٤ (حا)، ١٥٠، ١٦٠ (حا)، ١٦٧،

١٧٠ (حا)، ١٧٢، ١٧٨، ١٧٩، ١٨١، ١٨٩،

(حا)، ١٩١ (حا)، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧،

٢٠٠ (حا)، ٢٠٢ (حا)، ٢١٤ (حا)، ٢٢٢ (حا)، ٢٣٣،

(حا)، ٢٣٥ (حا)، ٢٣٨ (حا)، ٢٤٦ (حا)، ٢٥٥،

(حا)، ٢٥٧، ٢٦١، ٢٦٢ (حا)، ٢٦٨، ٢٧٠،

(حا)، ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٩ (حا)، ٢٩١ (حا)،

٢٩٧ (حا)، ٣٠٣، ٣٢٤، ٣٢٥ (حا)، ٣٢٨،

(حا)، ٣٣٠ (حا)، ٣٣٤، ٣٣٨، ٣٤٧ (حا)،

٣٤٩، ٣٥٩ (حا)، ٣٦١، ٣٦٧، ٣٦٩ (حا)،

٣٧٨، ٣٨٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣ (حا)، ٤٠٦،

٤١١، ٤٣٦ (حا)، ٤٣٨، ٤٤٢، ٤٦١، ٤٦٣،

(حا)، ٤٦٤، ٤٦٥ (حا)، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٢،

(حا)، ٤٧٧ (حا)، ٤٨١ (حا)، ٤٨٣ (حا)، ٤٨٨،

٤٨٩ (حا)، ٤٩٥، ٤٩٦ (حا)، ٥٠٤، ٥٠٧،

٥١٢ (حا)، ٥١٤ (حا)، ٥١٧ (حا)، ٥٢١،

٥٢٢، ٥٣٧، ٥٤٠، ٥٤٢، ٥٤٧، ٥٥٣ (حا)،

٥٥٦ (حا)، ٥٥٩، ٥٦١ (حا)، ٥٧٠

(حا)، ٣٤٠، ٣٤٧، ٣٤٨ (حا)، ٣٥٦، ٣٦٢
(حا)، ٣٨١، ٣٨٤، ٤١٣، ٤١٧ (حا)، ٤٢١،
٤٢٥، ٤٣٢ (حا)، ٤٣٥، ٤٦٢، ٤٧١، ٤٧٢،
٤٧٧، ٤٨٣، ٥٠١ (حا)، ٥٠٢ (حا)، ٥٠٧،
٥٠٨، ٥١٦، ٥٢٣، ٥٣٧، ٥٦٠، ٥٦٩ (حا)،
٥٧٧، ٥٧٩ (حا)

* عمر بن حصن الطائي ٣٧٨

* عمر بن ذر بن عبد الله الهمداني الكوفي ٢٠٠ (حا)،
٤٠٢ (حا)

* عمر بن أبي ربيعة عبد الله المخزومي القرشي
٦٣ (حا)

* عمر بن عبد العزيز الأموي ٦٢ (حا)، ١٧٤،
١٧٩ (حا)، ١٨٥، ١٩١ (حا)، ١٩٣ (حا)،
١٩٦، ٢٠٠ (حا)، ٢٢٤، ٢٢٩، ٣٤٤، ٣٤٨،
٤١٣ (حا)، ٤١٥، ٤٤٥، ٤٤٩ (حا)، ٤٨٤،
٤٩٧، ٥٠١، ٥٦٤

* عمر بن عبد العزيز الشطرنجي ٤٣١ (حا)

* عمر بن علي بن زياد العنبري ٤٠٥ (حا)

* عمر بن علي بن أبي طالب الهاشمي ٤٠٥

* عمر بن هبيرة الفزاري ٢٨٤ (حا)، ٤٠٥

* عمران بن حصين الخزاعي رضي الله عنه ٤٢٥ (حا)

* عمران بن حطان الشيباني البصري ٣٣٢ (حا)

* عمرة بنت عبد الرحمن الأنصارية المدنية ٢٦٣

* عمرو بن أحر الباهلي ٤٤٦

* عمرو بن الأثم = عمرو بن سنان المنقري التميمي

* عمرو بن بحر الكناني البصري ١٢٧، ١٣٩ (حا)،

١٩٦، ٢٢١ (حا)، ٣٧٣، ٤٢٢، ٤٤٩، ٤٦٦،

٥٦٩ (حا)

* عمرو بن جرموز السعدي ٤٠٤

* عمرو بن حلزة اليشكري ٤٧٧ (حا)

* عمرو بن سنان المنقري التميمي ٤٥٤، ٤٥٥ (حا)

* عمرو بن شعيب السهمي القرشي ١٦٨

* علي بن العباس البغدادي ١٤٠، ٢١٢، ٢٦٦،
٢٧٦، ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٩١، ٣٢٠، ٣٣٤،
٣٥٥، ٣٦٣، ٤٥٥، ٤٧٠، ٤٧٧، ٤٧٩، ٥٤٤،
٥٤٩، ٥٧٨

* علي بن المديني = علي بن عبد الله السعدي البصري

* علي بن عبد العزيز الجرجاني ١٤٢

* علي بن عبد الكافي السبكي ٢٥٨ (حا)

* علي بن عبد الله البغدادي ٢٨٢ (حا)

* علي بن عبد الله الجعفري ٦٥

* علي بن عبد الله السعدي البصري ٦٥ (حا)

* علي بن عبد الله بن عباس الهاشمي القرشي ٢٩٦ (حا)

* علي بن عبيدة الرحمان الكاتب ١٠٩، ٥٦١ (حا)

* علي بن عيسى الرماني ٤٥١ (حا)، ٤٥٢ (حا)

* علي بن محمد (؟) ١٧٧

* علي بن محمد البستي ٣١٠ (حا)

* علي بن محمد البصري ١٠٨

* علي بن محمد الجرجاني ٩٧ (حا)

* علي بن محمد بن الحسين البستي ١٢٦ (حا)،

٣٢٩ (حا)، ٣٦١، ٤٤٨، ٤٧٥ (حا)، ٥٠٣، ٥٧١،

* علي بن محمد بن الحسين الوزير ١٢٦، ٤٣٧

* علي الرضا بن موسى الهاشمي القرشي ١٦٩ (حا)،

٢٨٩

* عمار بن ياسر الكناني المذحجي رضي الله عنها

٣٨٩، ٤٥٨ (حا)

* عمارة بن حمزة بن ميمون الكاتب ٤٧٩ (حا)

* أبو عمر الدمشقي = محمد بن موسى الأموي

* عمر بن الخطاب القرشي رضي الله عنه ٤١، ٤٧،

٥٢، ٥٤، ٥٩، ٨٣ (حا)، ٩٤ (حا)، ١١١،

١٢٥، ١٣٢ (حا)، ١٤٠، ١٤٠ (حا)، ١٦٥،

١٧٣، ١٩٦، ٢٠١، ٢١٩ (حا)، ٢٢٤، ٢٢٥،

٢٣٣، ٢٤٤ (حا)، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٩ (حا)،

٢٥٢، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٥، ٢٨٥، ٣٢٠، ٣٢٥

* عمرو بن عبيد التيمي البصري ٣٠٢ (حا)، ٤٦٩ ، ٥٦٢

* عمرو بن العاص السهمي القرشي رضي الله عنه
٢٧٦ ، ٢٧٧ (حا)، ٤١٠ ، ٤١٤ (حا)، ٥١٨ (حا)،
٥٢٠ ، ٥٣٨ (حا)

* عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه ٢٤٢ (حا)
* عمرو بن مسعدة الصولي الكاتب ٢٨٣
* عمرو بن معدي كرب الزبيدي رضي الله عنه ٦٢ (حا)
* عمرو بن ميمون الأودي ٥٦٦
* عمرو بن نصر القصافي التيمي البصري ٢١٢ (حا)
* عمرو بن هشام المخزومي ٤٦

ابن العميد = علي بن محمد بن الحسين الوزير
* عوف بن مالك بن نضلة الجشمي ٥٦٦ (حا)،
٥٧٨ (حا)

ابن أبي عون = إبراهيم بن محمد البغدادي
ابن عون = عبد الله بن عون المزني البصري
* عون بن عبد الله الهذلي ١٣٠ ، ١٩٢ (حا)، ٣٧٤

* عويم بن ساعدة الأنصاري رضي الله عنه ٢٥٨ (حا)
* عويمر بن زيد الأنصاري رضي الله عنه ٥٢ ، ٥٤ ،
٦٣ (حا)، ٧٨ ، ٨٤ (حا)، ٩٢ ، ١٣٢ ، ١٧٩ (حا)،
١٩٧ ، ٢٠٢ ، ٢٧٩ ، ٢٩٥ ، ٢٩٧ (حا)، ٣٤٧ ،
٣٩٩ (حا)، ٤٠٢ ، ٤١١ (حا)، ٤٦٦ (حا)

ابن عياش = عبد الله بن عياش الهمداني المتوف
* أبو العيال بن أبي عتبة الهذلي ٥٥١ (حا)

* عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام ٥٠ ، ٦٦ ،
٧٧ ، ١٠٢ (حا)، ١٢٩ ، ١٣٩ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ،
١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨١ ، ١٨٢ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ،
١٨٦ ، ١٩٣ ، ٢٠١ ، ٢٢٩ ، ٢٤٣ ، ٢٦٧ ، ٣٤٧ ،
(حا) ٣٥٩ ، ٤٦٦ (حا)، ٥٢١ ، ٥٣١

* عيسى بن مسكين الإفريقي المالكي ٤٦٧ (حا)
* عيسى بن موسى بن محمد العباسي القرشي ٣٨٠
أبو العيلاء = محمد بن القاسم الهاشمي

حرف الغين

* الغضبان بن القبعثي الأسعدي ٤٥٢ (حا)
* غيلان بن عقبة العدوي ٢٦٨

حرف الفاء

أبو الفتح البستي = علي بن محمد بن الحسين
أبو فراس الحمداني = الحارث بن سعيد التغلبي
الفرزدق = همام بن غالب التميمي الدارمي
* فرقد بن يعقوب السبخي البصري ٤٧٨ (حا)
* أبو فروة (؟) ٦٦
* الفضل بن جعفر النخعي الكوفي ٣٢٦
* الفضل بن الربيع بن يونس الوزير ٤٦٠
* الفضل بن سهل السرخسي الوزير ٣٠٨ ، ٣١٥ ،
٣٨٥ ، ٤٣٠
* الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب الهاشمي
٤٨٨
* الفضيل بن عياض التيمي المكي ١٦١ ، ١٦٤ ،
٢٢٦ (حا)، ٤٢٦ (حا)، ٤٣٣ (حا)
* فيثاغورس اليوناني ٩٨

حرف القاف

* قابيل بن آدم ٤٣٢
أبو القاسم الأمدي = الحسن بن بشر بن يحيى
* القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق التيمي القرشي
المدني ٥٣
القاضي التنوخي = أحمد بن إسحاق
* قباذ بن فيروز ١٨٢ (حا)
ابن القبعثي = الغضبان بن القبعثي الأسعدي
* قتادة بن دعامة السدوسي البصري ١٣٠ (حا)،
١٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٣٩ ، ٣٤٣ ، ٤٠٤ (حا)، ٤٨٣ ،
٥٧٣ ، ٥٧٢
ابن قتيبة = عبد الله بن مسلم الدينوري

* كلثوم بن عمرو التغلبي ٣٢٣، ٣٣٣، ٥٦٩ (حا)

* كلثوم الأزدي ١٠٨

* الكميث بن زيد الأسدي ٣٠٩

* الكندي = يعقوب بن إسحاق البصري

* كيسان المقبري ٢٥٠ - ٤١٥

حرف اللام

* لاحق بن حميد السدوسي البصري ٥٥١ (حا)

* لبيد بن ربيعة العامري ٤٦، ٢٨٦، ٥١١

* لبيد بن عطار بن حاجب التميمي ٤٣٥ (حا)

* اللجلاج = طفيل بن زيد الحارثي

* أبو اللحام = حريث بن عمرو التغلبي

* لقمان الحكيم ٦٠، ٢٥٢، ٤٠٩ (حا)، ٤٨٨،

٥٢٣ (حا)، ٥٥٣، ٥٥٧

* لقمان بن عامر الوصابي الحمصي ٥٤

* لقيط بن زرارة الدارمي التميمي ٤٠٥

* لنكك = محمد بن جعفر البصري

* ابن لنكك = محمد بن محمد البصري

* ابن لهيعة = عبد الله بن لهيعة الحضرمي المصري

* ابن أبي ليل = محمد بن عبد الرحمن الأنصاري الكوفي

حرف الميم

* أبو مالك الأشعري = الحارث بن الحارث رضي الله عنه

* أبو مالك الحضرمي الرافضي ١١٣ (حا)

* مالك بن أنس الأصبحي المدني ٣٢٢

* مالك بن دينار البصري ٦٦ (حا)، ٨٩، ٣٥٩ (حا)،

٣٦١

* مالك بن ربيعة رضي الله عنه ٢٢٤

* مالك بن عمرو الخزرجي ٢٥٧ (حا)

* المأمون = عبد الله بن هارون العباسي القرشي

* المبرد = محمد بن يزيد الأزدي البصري

* المتلمس = جرير بن عبد العزيز الضبي

* قتيبة بن مسلم الباهلي ٣٩٠، ٤٨٤ (حا)، ٥٥١ (حا)

* قثم بن خبة العبدي ٨٧ (حا)، ٤٩٨ (حا)

* قثم بن العباس الهاشمي رضي الله عنهما ٥٠

* قدامة بن جعفر البغدادي الكاتب ١١٢

* قرشت الأزدي ١٠٨

* ابن القرية = أيوب بن زيد الهلالي

* قس بن ساعدة الإيادي ٢٠٤

* القسطلاني = أحمد بن محمد القتيبي المصري

* القشيري (؟) ٥٠٦

* قطري بن جعونة المازني التميمي ٣٣٢

* قطري بن الفجاءة = قطري بن جعونة المازني التميمي

* أبو قلابة = عبد الملك بن محمد الرقاشي البصري

* قيس بن أبي حازم البجلي الكوفي ٣٨٠

* قيس بن الخطيم الأوسي ٢٣٦ (حا)، ٤٩٨ (حا)

* قيس بن سعد الأنصاري المدني رضي الله عنه

١٣٤ (حا)، ٣٥٠

* قيس بن عاصم المنقري التميمي ٢٣٩، ٥٥٤

* قيس بن عبد الله رضي الله عنه ٤٠٩، ٥٤٥

* قيس بن الملوح العامري ٤٢٤ (حا)

حرف الكاف

* كثير بن مرة الحضرمي ١٣٨ (حا)

* الكثيري (؟) ٥٠٦

* أم كرز الخزاعية المكية رضي الله عنها ٥١٠ (حا)

* الكسائي = علي بن حمزة الأسدي الكوفي

* كسرى الفرس ٣٠٢، ٣٣٨، ٤٨٧

* كشاجم = محمود بن الحسين الرملي

* كعب الأحبار = كعب بن ماته الحميري

* كعب بن زهير بن أبي سلمى المزني ٨٦، ٥٥٣ (حا)

* كعب بن ماته الحميري ١٠٧، ١٠٨، ٤٧٨

* الكعبي = عبد الله بن أحمد البلخي الخراساني

* أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق التيمية ٢٢٥

المتنبى = أحمد بن الحسين الجعفي الكوفي

* مجاشع بن دارم التميمي ٤٨

* مجاهد بن جبر المخزومي المكي ١٠٦ ، ١٥٤ ،

٢١٢ ، ٢١٣ (حا) ، ٢٢٣ ، ٣٣٦ ، ٣٤٣ ، ٣٤٩ ،

٣٥٩ ، ٤٥٧ (حا) ، ٥٧٢

أبو مجلز = لاحق بن حميد السدوسي البصري

مجنون ليل = قيس بن الملوح العامري

* أبو محرز الطفاوي (؟) ٢٠٤

* محمد الباقر بن علي بن الحسين الهاشمي ٢٤٣ ،

٢٤٤ (حا) ، ٣٦٩ (حا) ، ٣٨٠ ، ٤٥٧ ، ٥٢٧ ، ٥٥٣ ،

* محمد بن إبراهيم التيمي ٢٩٥

* محمد بن إدريس الشافعي ٥٤ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ١٠٤ ،

٢٢٦ (حا) ، ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، ٣٢٥ (حا) ، ٣٢٨ ، ٣٥٦ ،

٤٣٠ (حا) ، ٤٩٤ (حا) ، ٤٩٦ (حا) ، ٥٦٠ (حا)

* محمد بن بشير الخارجي ٦١ ، ٢٠١ ، ٤٦٧ ،

٥٧٩ (حا)

* محمد بن جعفر البصري ٥٣

* محمد بن الجهم السمري ٣٠٩ (حا)

* محمد بن حازم الباهلي ٣١٥ ، ٣٥٨ ، ٣١٣ (حا) ،

٣٣٣ (حا) ، ٤٠٠ (حا) ، ٤٨٧ (حا)

* محمد بن الحسن الأزدي ٤٢ (حا) ، ٧٣ ، ١١٩ ،

١٢٠ ، ٢١٦ ، ٣١٣ ، ٤١٠ ، ٤٨١ ،

* محمد بن الحسين الطبري ١٠٥

محمد ابن الحنفية = محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي

* محمد بن خازم الكوفي ٥٠٥

* محمد بن داوود الأصبهاني ٣٠٦ ، ٥٥٨ ،

* محمد بن زياد الكوفي ٥٤٤

* محمد بن سيرين الأنصاري البصري ٢٨٥ ، ٣١٩ ،

٣٢٨ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٥٧ (حا)

* محمد بن صالح ٤٩٤

* محمد بن صبيح العجلي الكوفي ٦٢ ، ١٦٤ ، ١٨٤ ،

١٩٤ ، ٢٠٠ (حا) ، ٣٨٠ ، ٤٢٦ ، ٤٥٧ (حا)

* محمد بن عائشة المدني ٤٤٣

* محمد بن العباس ١٣٣ (حا) ، ١٧٥ ، ٥٤٤ (حا)

* محمد بن عبد الجبار ٣١٧

* محمد بن عبد الرحمن الأنصاري الكوفي ٤١٥

* محمد بن عبد الرحمن القرشي ١٣٤

* محمد بن عبد الله الأزدي ٢٤٨ (حا)

* محمد بن عبد الله الأسدي ٦٦

* محمد بن عبد الله البيروتي ٣٨٣ ، ٣٨٨ ، ٥٥٤ ،

* محمد بن عبد الله العباسي ٤٩ ، ٧٤ ، ٤٦٤ ،

٤٨٤ (حا) ، ٥٦٤ (حا)

* محمد بن عبد الله الهاشمي ٥٨٣ (حا)

* محمد بن عبد الله بن الحسن الهاشمي القرشي ٤٨٥

* محمد بن عبد الملك المدني ١٥٩

* محمد بن عبيد الله الأموي القرشي ٤٩٦ (حا) ،

٥٤٢ (حا)

* محمد بن عثمان الأذري ١٠٦ (حا)

* محمد بن علي (؟) ٥٣٠

* محمد بن علي الأصبهاني ٥٥٩ (حا)

* محمد بن علي الشاشي ٣٩٦

* محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي ٢٧٤ (حا) ،

٤٠١ (حا) ، ٤٦٥ (حا) ، ٥٣٥ ،

* محمد بن علي الطيب ٢٢١ (حا)

* محمد بن علي بن موسى الهاشمي ١٣٣ (حا) ،

٣٣١ (حا)

* محمد بن عمران التيمي ٥٣٠ (حا)

* محمد بن عمرو بن علقمة الليثي المدني ٤٢٨

* محمد بن عمير بن عطار التميمي الكوفي ٣٥١

* محمد بن القاسم الهاشمي ٢٥٧ ، ٤٩٢ ،

* محمد بن القاسم بن يوسف (؟) ٥٣ (حا)

* محمد بن كعب القرظي الأنصاري المدني ١٧٤

محمد بن كناسة = محمد بن عبد الله الأسدي

* محمد بن محمد البصري ٥٣ ، ٧٣ ، ٣١٣ ،

* محمد بن مسلم القرشي الزهري ١٣٥ ، ٢٣٩ ، ٢٤٥ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٥٦٦ ، ٢٤٥

* محمد بن مسلم المكي ٢٦١

* محمد بن المعلّى الأزدي ٢٨٢ ، ٤٢٠ ، ٤٥٨

* محمد بن المنذر السلمي الهروي ٤٠٥ (حا)

* محمد بن المنكدر القرشي المدني ٣٢٣ ، ٤٩٣

* محمد بن موسى الأموي ٣٧٢ (حا)

* محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندي الصيرفي ١٠٩

* محمد بن واسع الأزدي البصري ١٦٧ ، ١٩٨

* محمد بن وهيب الحميري ٣١٢ (حا)

* محمد بن يحيى البغدادي ٥٣٢

* محمد بن يزداد (؟) ٥٨٠

* محمد بن يزداد المروزي الكاتب ١٦٩

* محمد بن يزيد الأزدي البصري ١٠٩ ، ١٢٣

* محمد بن يزيد بن مسلمة الأموي القرشي ٤٢ (حا)

* محمد بن يسير الرياشي ٢٠١ (حا)

* محمد بن يوسف ٥٧٠ (حا)

* محمود بن حارث الهلالي ٤٠١

* محمود بن الحسن البغدادي ١٢٣ (حا) ، ١٥٤ (حا) ،

١٦٠ (حا) ، ١٦٧ ، ١٧٥ ، ٢١٤ ، ٢٣٣ (حا) ، ٢٨٨ ،

(حا) ، ٣٣٢ (حا) ، ٣٤٧ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ (حا) ، ٤٢٤ ،

(حا) ، ٤٢٦ (حا) ، ٤٣٧ ، ٤٣٩ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ (حا) ،

٤٦٥ (حا) ، ٥٢٩ ، ٥٦٣

* محمود بن الحسين الرملي ٣٧٣ ، ٥٣٥ ، ٥٥٥

* محمود بن عمر الخوارزمي ٣٥٦ (حا)

المدائني = علي بن محمد البصري

ابن المراغة = جرير بن عطية التميمي

* مرار بن مروة الطائي ١٠٨

* مرة بن مالك العذري ٥٠٩ (حا)

* مروان بن جناح الأموي الدمشقي ٧٥

* مروان بن سالم الغفاري الشامي ٩٢

أبو مريم السلولي = مالك بن ربيعة رضي الله عنه

* مزدك الفارسي ١٨٢

* مسيح بن حاتم العكلي البصري ١٢٤

* مسعر بن كدام الهلالي الكوفي ١٩٢ ، ٣٨٤ (حا)

ابن مسعود = عبد الله بن مسعود الهذلي رضي الله عنه

أبو مسعود البصري = عقبة بن عمرو الأنصاري

رضي الله عنه

* ابن أبي مسعود الشعрани (؟) ٢٨٩ (حا)

* أبو مسعود كاتب الرضا (؟) ٢٨٩

مسكين الدارمي = ربيعة بن عامر الدارمي التميمي

* مسلم بن عمران البطين الكوفي ١٥٥

* مسلمة بن عبد الملك الأموي القرشي ٢٤٧

* مسلم بن الوليد الأنصاري البغدادي ٣٠٣ (حا) ،

٤٠٥ (حا)

* المسيب بن زهير الضبي ٢٧٠

ابن المسيب = سعيد بن المسيب المخزومي القرشي المدني

المسيح ابن مريم = عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام

* مصعب بن الزبير القرشي ٧١ ، ٣٨٥ ، ٤٠٤ ، ٤١٠ ،

* مصعب بن عبد الله الزبيري ٨٨

* مضر بن ربيعة الأسدي ٥٨٣ (حا)

* مطرف بن عبد الله بن الشخير العامري البصري

٥١ ، ١٦٤ ، ٣٧٦ (حا) ، ٥٥٨ (حا)

* معاذ بن جبل الأنصاري رضي الله عنه ١١٨ ، ٢٥٨ ،

٤٣٥ (حا) ، ٤٤٢ (حا) ، ٤٤٧ (حا) ، ٤٩٥ (حا) ،

٥٢٩ (حا) ، ٥٤٥ (حا)

* معاذ بن رفاعة الأنصاري المدني ٧٦

* معاوية بن أبي أيوب (؟) ٣٢٦ (حا)

* معاوية بن حيدة القشيري البصري رضي الله عنه

٢٥٨ (حا) ، ٣٢٤ (حا) ، ٣٤٣

* معاوية بن أبي سفيان الأموي القرشي رضي الله عنه

٥٧ ، ٧٥ (حا) ، ٢٦٦ ، ٢٩٢ (حا) ، ٣٠١ ، ٣٣٨ ،

(حا) ، ٣٨٢ (حا) ، ٤٠٣ ، ٤٣٢ ، ٤٣٩ (حا) ،

٤٥٢ (حا) ، ٥٢٠ ، ٥٥٢ (حا)

أبو معاوية الضرير = محمد بن خازم الكوفي

* معبد بن زرارة التميمي ٣٧٨

* معبد بن عبد الله الجهني البصري ٥٧٢

* معبد بن علقمة المازني ٤٠٨ (حا)

ابن المعتز = عبد الله بن محمد العباسي القرشي

المعتضد بالله = أحمد بن طلحة بن جعفر العباسي القرشي

ابن المعتز السلمي = منصور بن المعتمر السلمي الكوفي

* معقل بن يسار المزني رضي الله عنه ٢٥٥ (حا)

* معمر بن راشد الأزدي اليهاني ١٣٨ (حا)، ٣٤٦

* معن بن عبد الرحمن بن عبد الله الهذلي الكوفي

١٩٢ (حا)

* المغيرة بن شعبة الثقفي رضي الله عنه ٥٤، ١٢٢ (حا)،

٢٤٤ (حا)، ٣٣١ (حا)، ٥٢٠

* مقاتل بن مسمع البكري ٣٧٨

* المقدام بن معدى كرب الكندي رضي الله عنه ٢٤٤

ابن المقفع = عبد الله بن المقفع الفارسي

مكحول = محمد بن عبد الله البيروتي

* المنتصر بن بلال الأنصاري ٤٦ (حا)

المنصور = عبد الله بن محمد بن علي العباسي

* منصور بن إسماعيل التميمي الفقيه ١٥٤، ٢٧٣

* منصور بن الزبرقان النمري ٢٨٧، ٣٩٢

* منصور بن عمار السلمي الدندانقاني ١٥٥ (حا)

* منصور بن محمد المهدي العباسي القرشي ٨١ (حا)

* منصور بن المعتمر السلمي الكوفي ٣٤٥، ٣٩٥

منصور النمري = منصور بن الزبرقان النمري

* مهبوذ (٢) ١٠٥، ٣٦٨

المهدي = محمد بن عبد الله العباسي

* المهلب بن أبي صفرة ظالم الأزدي العتكي ٣٧٧،

٣٧٦ (حا)، ٤٧٨ (حا)، ٥٥٧

المهلب = يزيد بن محمد الأزدي البصري

* مؤرق بن مشمرج العجلي البصري ١٦٣، ١٦٤،

١٩٠

أبو موسى الأشعري = عبد الله بن قيس رضي الله عنه

* موسى الكاظم بن جعفر الهاشمي ٢٨٤ (حا)،

٥١٦ (حا)

* موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام ١٣٠،

١٣٢، ١٤٠، ١٦٢، ١٧٩، ٥١٨

* موسى بن يسار ٢٠٣ (حا)

* المؤمل بن أميل المحاربي الكوفي ٤٠٨ (حا)، ٤٣٧،

٥١٣

* ميلاطوس ٢٠٠

* ميمون بن مهران الجزري الرقي النصري ٥٨٠

حرف النون

الناطقة الجمعي = قيس بن عبد الله رضي الله عنه

* النابتة الذبياني = زياد بن معاوية ٢٨٠

* نافع بن جبير بن مطعم النوفلي المدني ٣٧٧

* نافع مولى ابن عمر رضي الله عنهما المدني ١٢٣،

١٥٩، ٣٤٣، ٥٧٣ (حا)

ابن نباتة السعدي = عبد العزيز بن عمر التميمي

أبو النصر العتيبي = محمد بن عبد الجبار

* نصر بن أحمد الخيزارزي البصري ٤٨٠ (حا)، ٥٥٦

* نصر بن سيار بن رافع الكناني ٥٣ (حا)

النظام = إبراهيم بن سيار البصري

* النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنه ١٥٧

* النعمان بن ثابت الكوفي ٣٩٦، ٤٤٤

* نعيم بن حماد الخزاعي المروزي ١٨٩ (حا)

* نعيم بن عبد الرحمن الأزدي ٣٤٠ (حا)

نفظويه = إبراهيم بن محمد الأزدي العتكي

* نفع بن الحارث الثقفي رضي الله عنه ٨٤، ٣٢٠،

٣٨١ (حا)، ٣٨٢ (حا)، ٥٢٤ (حا)

* النمر بن تولب العكلي ٥٤١

أبو نواس = الحسن بن هانئ الحكمي

* نوح عليه الصلاة والسلام ١٠٧

حرف الهاء

* هارون الرشيد بن محمد العباسي ٧٤ ، ١٤١ ،

١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ، ٢٢٥ ، ٤١٣ ، ٤٦٠ ، ٤٧١ ،

* هانيء بن أبي حية الوادعي ٥٢٦ (حا)

ابن هبيرة = عمر بن هبيرة الفزاري

الهذيل الأشجعي = هذيل بن عبد الله الأشجعي الكوفي

* هذيل بن عبد الله الأشجعي الكوفي ٣٣٠ (حا)

* هرم بن قطبة الفزاري ٤٦

* هرم بن أنوشروان الفارسي ٥٢٠

* هرم بن كسرى الفارسي ٣٠٢

* الهرمزان الفارسي ٢٢٥

أبو هريرة = عبد الرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه

* أبو هريرة البصري النحوي الضرير (؟) ٨٢ (حا)

* هشام بن حسان الأزدي البصري ٤٠١

* هشام بن عبد الملك بن مروان الأموي القرشي ٦٠ ،

٣١١ (حا) ، ٣٥٤

* هشام بن عروة بن الزبير الأسدي القرشي ٣٣٨

* همام بن غالب التميمي الدارمي ٤٨ ، ٤٩ ، ١١٥ ،

٢٧٩ ، ٥٢٦ (حا)

* هند بنت أبي أمية المخزومية رضي الله عنها ٣٣٠ (حا)

* هند بنت الحنفية الإيادية ٣٠٤

* هوز الأزدي ١٠٨

أبو الهول = عامر بن عبد الرحمن الحميري

* الهيثم بن صالح الخطيب (؟) ٤٤٨

حرف الواو

الوراق = محمود بن الحسن البغدادي

وضاح اليمن = عبد الرحمن بن إسماعيل الحميري

* وكيع بن الجراح الرؤاسي ٥٤

* الوليد بن عبيد الطائي ٨٠ ، ٢٢٨ ، ٢٧٣ ، ٣١٠ ،

٣٦٠ ، ٣٦٢ ، ٤٧٢ ، ٤٧٤ ، ٥٤٠ ، ٥٥٤ ، ٥٦٠ (حا)

* الوليد بن يزيد بن عبد الملك الأموي القرشي ٢٣٧ ،

٥١٣

* وهب بن منبه البياهي ٥٥ ، ١٨٠ ، ١٩٧ (حا) ،

٢٤٢ ، ٣٥٠ (حا)

حرف الباء

* يحيى بن خالد البرمكي ٧٨ ، ٣١٥ ، ٤٢١ (حا)

* يحيى بن زكريا عليها الصلاة والسلام ٢٤٣

* يحيى بن سعيد الأنصاري المدني ٢٦٣

* يحيى بن معاذ الرازي ١٢٥ (حا) ، ١٣١ (حا) ،

٣٤٤ ، ٣٧٤ (حا) ، ٣٩٥ (حا) ، ٤٠٧ (حا)

* يزيد بن الحكم الثقفي ٢٧٤

* يزيد بن عبد الملك الأموي القرشي ٢٦٠ (حا)

* يزيد بن الصقيل العقيلي ٢٠١ (حا)

* يزيد بن محمد الأزدي البصري ٢٨٠ (حا)

* يزيد بن محمد الباهلي ٢٨٠ (حا)

* أبو يزيد المدني (؟) ٥٧٠

* يزيد بن معاوية الأموي القرشي ٥٢٠

* يزيد بن المهلب بن أبي صفرة ظالم الأزدي العتكي

٤٨ (حا) ، ٢٨٩

* يعقوب عليه الصلاة والسلام ٢٣٢

* يعقوب بن إبراهيم الأنصاري الكوفي ٤٤٤

* يعقوب بن إسحاق البصري ٢٤٧ ، ٢٦٥ ، ٢٧٩

* يعقوب بن إسحاق البغدادي ٤٨١ (حا)

أبو يعقوب الخريمي = إسحاق بن حسان الخراساني

* البيان بن أبي البيان البندنجي ٣٥٢ ، ٥٣٤

أبو يوسف الفقيه = يعقوب بن إبراهيم الأنصاري

الكوفي

* يوسف عليه الصلاة والسلام ١٥١ ، ٢٣٢ ،

٥١٣

* يونس بن ميسرة الجبلاي الأعمى الشامي ٧٥

فهرس الأماكن والبلدان والمواضع

الأنبار ١٠٨

البصرة ١٠٩، ٣٧٨

بغداد ٤١٦ (حا)

بيت المقدس ٤٦٩

خراسان ٤١٦ (حا)

دمشق ٤٠٣

سجستان ٣٧٨

الشام ٢٠٢، ٣٩٠

العراق ١٧٢، ٤٠٤

فارس ١٨٢ (حا)

مدين ١٠٨

مصر ٣٤٦

مكة ١٢٤

فهرس القبائل والأمم والجماعات

الأزد ١٠٨

بنو أسد ٤٩٤ (حا)

بنو إسرائيل ٢٢٩

أهل الصفة ٣٥٦

إياد ٤٤٨

الحبش ٥٠٦

بنو خفاجة ٥٠٦

الخوارج ٣٣٢

دارم ٤٩

الروافض ١٥٩ (حا)

الروم ٥٠٦

بنو سُلَيم ٢٥٦

بنو العباس ٣٢٥

العباسيون ٤١٦ (حا)

بنو عقيل ٥٠٦

فارس ٥٠٦

الفرس ٢٧٤، ٤١٤، ٤٣٠، ٤٩٢، ٥١٠

قريش ٢٨٩

كليب ٤٩

مجاشع ٤٨

المجوس ٥٧

بنو مخزوم ٣٨١

المزدكية ١٨٣ (حا)

المعتزلة ١٥٩ (حا)، ٢٢١

بنو هاشم ٥٦٣

هذيل ٥٥١

اليهود ١٨٦

أهم مصادر ومراجع التحقيق

- أبو العتاهية أشعاره وأخباره ، للشاعر المبدع المولد إسماعيل بن القاسم بن سويد ، المعروف بـ أبي العتاهية (ت ٢١١ هـ) ، تحقيق الدكتور شكري فيصل ، ط ١ ، (١٩٦٤ م) ، دار الملاح ، سورية .
- الأحاديث الطوال ، للإمام الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ٢ ، (١٩٩٨ م) ، المكتب الإسلامي ، لبنان .
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، المسمى « المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقلها » ، للإمام الحافظ علي بن بلبان بن عبد الله الفارسي ، المعروف بـ ابن بلبان (ت ٧٣٩ هـ) ، تحقيق شعيب الأرنؤوط ، ط ٣ ، (١٩٩٧ م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .
- أخبار القضاة وتواريخهم ، المسمى « طبقات القضاة » ، للقاضي المؤرخ محمد بن خلف بن حيّان الضبي ، المعروف بـ وكيع (ت ٣٠٦ هـ) ، عني به عبد العزيز مصطفى المِراغي ، ط ١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة عن نشرة لدئ عالم الكتب ، لبنان .
- الأدب المفرد ، للإمام الدنيا الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ٤ ، (١٩٩٧ م) ، نسخة مصورة لدئ دار البشائر الإسلامية عن طبعة المكتبة السلفية ، لبنان .
- الأذكياء ، للإمام الحافظ المؤرخ عبد الرحمن بن علي بن محمد البغدادي ، المعروف بـ ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ، تحقيق محمد عبد الكريم النمري ، ط ١ ، (٢٠٠١ م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة ، للعلامة علي بن محمد الشيباني ، المعروف بـ ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) ، تحقيق محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور ومحمود عبد الوهاب فايد ، ط ١ ، (١٩٧٠ م) ، دار الشعب ، مصر .
- إصلاح المال ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي ، المعروف بـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق مصطفى مفلح القضاة ، ط ١ ، (١٩٩٠ م) ، دار الوفاء ، مصر .

- الإعجاز والإيجاز ، للإمام اللغة والأدب عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، المعروف بـ أبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) ، عني به إبراهيم صالح ، ط ٢ ، (٢٠٠٤ م) ، دار البشائر ، سورية .

- الأغاني ، للإمام الأدب علي بن الحسين ، المعروف بـ أبي الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦ هـ) ، تحقيق إبراهيم الأبياري ، ط ١ ، (١٩٦٩ م) ، دار الشعب ، مصر .

- اقتضاء العلم العمل ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن ثابت ، المعروف بـ الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، ط ٥ ، (١٩٨٤ م) ، المكتب الإسلامي ، لبنان .

- الإمتاع والمؤانسة ، لفيلسوف الأدباء علي بن محمد بن العباس ، المعروف بـ أبي حيان التوحيدي (ت نحو ٤٠٠ هـ) ، تحقيق الدكتور مرسل فالح العجمي ، ط ١ ، (٢٠٠٥ م) ، دار سعد الدين ، سورية .

- أمثال الحديث ، للإمام الحافظ الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد الأعظمي ، ط ١ ، (١٩٨٣ م) ، الدار السلفية ، الهند .

- الأمثال ، للإمام المحدث الفقيه الأديب القاسم بن سلّام الهروي ، المعروف بـ أبي عبيد (ت ٢٢٤ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المجيد قطامش ، ط ١ ، (١٩٨٠ م) ، دار المأمون للتراث ، سورية .

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي ، المعروف بـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ) ، صلاح بن عايض الشلاحي ، ط ١ ، (٢٠٠٤ م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

- الأموال ، للإمام المحدث الفقيه الأديب القاسم بن سلّام الهروي ، المعروف بـ أبي عبيد (ت ٢٢٤ هـ) ، تحقيق سيد بن رجب ، ط ١ ، (٢٠٠٧ م) ، دار الهدي النبوي ودار الفضيلة ، مصر والسعودية .

- الأوائل ، للعلامة الأديب الحسن بن عبد الله بن سهل ، المعروف بـ أبي هلال العسكري (ت بعد ٣٩٥ هـ) ، ط ١ ، (١٩٨٧ م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- الإيضاح في علوم البلاغة، للعلامة محمد بن عبد الرحمن الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ)، تحقيق الدكتور عبد القادر حسين ، ط ١ ، (١٩٩٦ م) ، مكتبة الآداب ، مصر .
- الباخريزي حياته وشعره وديوانه ، للشاعر الرئيس علي بن الحسن الباخريزي (ت ٤٦٧ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد التونجي ، (١٩٩٤ م) ، دار صادر ، لبنان .
- البحر الزخار ، المسمى « مسند البزار » ، للإمام الحافظ أحمد بن عمرو البزار (ت ٢٩٢ هـ) ، تحقيق الدكتور محفوظ الرحمن زين الله ، ط ١ ، (١٩٨٨ م) ، مكتبة العلوم والحكم ، السعودية .
- البديع ، للشاعر الخليفة عبد الله بن محمد المعتز بالله العباسي (ت ٢٩٦ هـ) ، عني به إغناطيوس كراتشكوفسكي ، ط ٢ ، (١٩٧٩ م) ، مكتبة المثنى ، العراق .
- البصائر والذخائر ، لفيلسوف الأدباء علي بن محمد بن العباس ، المعروف بـ أبي حيان التوحيدي (ت نحو ٤٠٠ هـ) ، تحقيق أحمد أمين والسيد أحمد صقر ، ط ١ ، (١٩٥٣ م) ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر .
- بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث ، للإمام الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) ، تحقيق الدكتور حسين أحمد صالح الباكري ، ط ١ ، (١٩٩٢ م) ، مركز خدمة السنة النبوية بالتعاون مع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، السعودية .
- بلاغات النساء وطرائف كلامهن وملح نوادرهن وأخبار ذوات الرأي منهن ، للإمام المؤرخ البليغ أحمد بن طيفور الخراساني (ت ٢٨٠ هـ) ، ط ٢ ، (١٣٧٨ هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة دار النهضة الحديثة لدى المكتبة الحيدرية ، العراق .
- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحد الذاهن والهاجس ، للإمام الحافظ يوسف بن عبد الله النمري ، المعروف بـ ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق محمد مرسي الخولي ، ط ٢ ، (١٩٨١ م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .
- تاريخ إربل ، للمؤرخ المحدث الأديب المبارك بن أحمد بن المبارك بن موهوب اللخمي المعروف بـ ابن المستوفي الإربلي (ت ٦٣٧ هـ) ، تحقيق سامي بن السيد خماس الصقار ، ط ١ ، (١٩٨٠ م) ، دار الرشيد ، العراق .
- تاريخ أصبهان ، المسمى « ذكر أخبار أصبهان » ، للإمام الحافظ المؤرخ الثقة أحمد بن عبد الله بن أحمد ، المعروف بـ أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) ، تحقيق سيد كسروي حسن ، ط ١ ، (١٩٩٠ م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، للإمام الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عمر بن عبد السلام تدمري ، ط ١ ، (١٩٨٧ م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

- تاريخ الطبري ، المسمى ' تاريخ الأمم والملوك ' ، للإمام العلامة محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، (١٩٦٧ م) ، طبعة مصورة بدون ناشر ، لبنان .

- تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس ، للحافظ المؤرخ الأديب عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي المعروف بـ ابن الفرضي (ت ٤٠٣ هـ) ، تحقيق عزت العطار الحسيني ، ط ٢ ، (١٩٨٨ م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

- التاريخ الكبير ، لإمام الدنيا الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، عني به مصطفى عبد القادر عطا ، ط ٢ ، (٢٠٠٨ م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- تاريخ المدينة المنورة ، للعلامة المحدث المورخ عمر بن شبة النميري البصري (ت ٢٦٢ هـ) ، تحقيق فهد محمد شلتوت ، ط ٢ ، (١٣٤٨ هـ) ، طبعة مصورة لدى دار الفكر ، إيران .

- تاريخ بغداد ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن ثابت ، المعروف بـ الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط ١ ، (١٩٩٧ م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من واديها وأهلها ، للإمام الحافظ علي بن الحسن بن هبة الله ، المعروف بـ ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) ، تحقيق محب الدين عمر بن غرامة العمروي ، ط ١ ، (١٩٩٥ م) ، دار الفكر ، لبنان .

- التذكرة الحمدونية ، للإمام الأديب الإخباري محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون (ت ٥٦٢ هـ) ، تحقيق إحسان عباس وبكر عباس ، ط ١ ، (١٩٩٦ م) ، دار صادر ، لبنان .

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، للإمام القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت ٥٤٤ هـ) ، عني به محمد سالم هاشم ، ط ١ ، (١٩٩٨ م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- التعازي والمراثي ، للإمام البليغ محمد بن يزيد ، المعروف بـ المبرّد (ت ٢٨٦ هـ) ، تحقيق محمد الديباجي ، ط ٢ ، (١٩٩٢ م) ، دار صادر ، لبنان .

- تفسير الطبري ، المسمى « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » ، للإمام العلامة محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، عني به مكتب التحقيق والإعداد العلمي في دار الأعلام ، ط ١ ، (٢٠٠٢ م) ، دار ابن حزم ودار الأعلام ، لبنان والأردن .

- تفسير القرطبي ، المسمى « الجامع لأحكام القرآن » ، للإمام المفسر محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت ٦٧١ هـ) ، تصحيح أحمد عبد العليم البردوني ، ط ٢ ، (١٩٨٥ م) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- التفسير الكبير ، المسمى « البحر المحيط » ، للإمام النحوي محمد بن يوسف بن علي الأندلسي ، المعروف بـ أبي حيان (ت ٧٤٥ هـ) ، وبهامشه « تفسير النهر الماد من البحر » للمؤلف و« الدر اللقيط من البحر المحيط » لابن مكتوم (ت ٧٤٩ هـ) ، ط ٢ ، (١٩٩٠ م) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- التمثيل والمحاضرة ، لإمام اللغة والأدب عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، المعروف بـ أبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، ط ٢ ، (١٩٨٣ م) ، الدار العربية للكتاب ، مصر .

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، للإمام الحافظ يوسف بن عبد الرحمن المزي (ت ٧٤٢ هـ) ، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف ، ط ١ ، (١٩٨٠ م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- التوابين ، للإمام الفقيه عبد الله بن أحمد بن محمد الجماعيلي الحنبلي ، المعروف بـ ابن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، ط ٢ ، (١٩٦٩ م) ، مكتبة دار البيان ، سورية .

- التيسير بشرح الجامع الصغير ، للإمام العلامة محمد عبد الرؤوف بن علي المناوي (ت ١٠٣١ هـ) ، ط ١ ، (١٢٨٦ هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة بولاق لدى مكتبة الإمام الشافعي ، السعودية .

- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ويليهِ « التذيل المرغوب من ثمار القلوب » ، لإمام اللغة والأدب عبد الملك بن محمد بن إسماعيل ، المعروف بـ أبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) ، تحقيق إبراهيم صالح ، ط ١ ، (١٩٩٤ م) ، دار البشائر ، سورية .

- جامع بيان العلم وفضله ، للإمام الحافظ يوسف بن عبد الله النمري ، المعروف بـ ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق أبو الأشبال الزهيري ، ط ١ ، (١٩٩٤ م) ، دار ابن الجوزي ، السعودية .
- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن ثابت ، المعروف بـ الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد عجاج الخطيب ، ط ١ ، (١٩٩١ م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .
- الجامع لشعب الإيمان ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد ، ط ٢ ، (٢٠٠٤ م) ، مكتبة الرشد ، السعودية .
- المجلس الصالح الكافي والأئیس الناصح الشافي ، للأديب الفقيه المعافى بن زكريا الجريري (ت ٣٩٠ هـ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٩٩٣ م) ، عالم الكتب ، لبنان .
- الحاوي الكبير ، للإمام الفقيه الأصولي المفسر علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) ، تحقيق الدكتور محمود مطرجي ، ط ١ ، (٢٠٠٣ م) ، دار الفكر ، لبنان .
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، للإمام الحافظ المؤرخ الثقة أحمد بن عبد الله بن أحمد ، المعروف بـ أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) ، ط ٥ ، (١٩٨٧ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مطبعة السعادة والخانجي سنة (١٣٥٧ هـ) لدى دار الريان للتراث ودار الكتاب العربي ، مصر ولبنان .
- الحماسة البصرية ، للعلامة الأخباري الأديب علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري (ت ٦٥٦ هـ) ، تحقيق الدكتور عادل سليمان جمال ، ط ١ ، (١٩٩٩ م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .
- الحماسة المغربية (مختصر كتاب صفوة الأدب ونخبة ديوان العرب) ، للشاعر الأديب أحمد بن عبد السلام الجراوي (ت ٦٠٩ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية ، ط ٢ ، (٢٠٠٥ م) ، دار الفكر ، سورية .
- الحور العين ، للعلامة الأمير نشوان بن سعيد بن نشوان الحميري (ت ٥٧٣ هـ) ، تحقيق كمال مصطفى ، ط ١ ، (١٩٤٨ م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

- حياة الحيوان الكبرى ، للإمام العلامة الفقيه الأديب محمد بن موسى بن عيسى الدميري (ت ٨٠٨ هـ) ، تحقيق إبراهيم صالح ، ط ١ ، (٢٠٠٥ م) ، دار البشائر ، سورية .

- الحيوان ، لكبير أئمة الأدب عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط ١ ، (١٩٩٦ م) ، طبعة مصورة لدى دار الجيل ، لبنان .

- خريدة القصر وجريدة العصر (قسم شعراء الشام) ، للعلامة المؤرخ الأديب محمد بن محمد بن حامد ، المعروف بـ عماد الدين الكاتب (ت ٥٩٧ هـ) ، تحقيق الدكتور شكري فيصل ، ط ١ ، (١٩٥٥ م) ، المجمع العلمي العربي ، سورية .

- خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعلامة الأدب والتاريخ عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) ، تحقيق عبد السلام هارون ، ط ٢ ، (١٩٧٩ م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

- الخصائص ، لإمام العربية عثمان بن كُني الموصلي ، المعروف بـ ابن كُني (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق محمد علي النجار ، ط ٣ ، (١٩٨٦ م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر .

- دمية القصر وعصرة أهل العصر ، المسمى « ذيل يتيمة الدهر للشعالي » ، للأديب الشاعر علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب البخارزي (ت ٤٦٧ هـ) ، تحقيق الدكتور سامي مكّي العاني ، ط ٢ ، (١٩٨٥ م) ، دار العروبة ، الكويت .

- الديباج ، لإمام اللغة والنحو مَعْمَر بن المثنى التيمي ، المعروف بـ أبي عبيدة (ت ٢٠٩ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الله بن سليمان الجربوع والدكتور عبد الرحمن بن سليمان العيشين ، ط ١ ، (١٩٩١ م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

- ديوان ابن الجهم ، للشاعر الأديب علي بن الجهم بن بدر السامي (ت ٢٤٩ هـ) ، تحقيق خليل مردم بك ، ط ٣ ، (١٩٩٦ م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان ابن المُعَدَّل ، للشاعر العباسي عبد الصمد بن مُعَدَّل بن غيلان العبدي (ت نحو ٢٤٠ هـ) ، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد ، ط ١ ، (١٩٩٨ م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان ابن نباتة السعدي ، لشاعر الوقت عبد العزيز بن عمر بن أحمد التميمي ، المعروف بـ ابن نباتة السعدي (ت ٤٠٥ هـ) ، تحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي ، ط ١ ، (١٩٧٧ م) ، وزارة الإعلام ، العراق .

- ديوان أبي الأسود الدؤلي برواية أبي سعيد الحسن السكري ، للتابعي الجليل واضع علم النحو ظالم بن عمرو بن سفيان الكناني ، المعروف بـ أبي الأسود الدؤلي (ت ٢٩٠ هـ) ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، ط ١ ، (١٩٩٨ م) ، دار ومكتبة الهلال ، لبنان .

- ديوان أبي العتاهية ، للشاعر المكثّر إسماعيل بن القاسم بن سُويد ، المعروف بـ أبي العتاهية (ت ٢١١ هـ) ، بعناية كريم البستاني ، ط ١ ، (١٩٩٨ م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان أبي الفتح البستي ، لشاعر عصره علي بن محمد بن الحسين بن يوسف البستي (ت ٤٠٠ هـ) ، تحقيق درية الخطيب ولطفی الصقال ، ط ١ ، (١٩٨٩ م) ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، سورية .

- ديوان أبي بكر بن دريد الأزدي ، للإمام اللغوي محمد بن الحسن الأزدي ، المعروف بـ ابن دريد (ت ٣٢١ هـ) ، تحقيق السيد محمد بدر الدين العلوي ، ط ١ ، (١٩٤٦ م) ، لجنة التأليف والنشر ، مصر .

- ديوان أبي حكيمة ، للشاعر الحرّيف راشد بن إسحاق بن راشد الكاتب المعروف بـ أبي حكيمة (ت ٢٤٠ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد حسين الأعرجي ، ط ٣ ، (٢٠٠٧ م) ، منشورات الجمل ، ألمانيا .

- ديوان أبي فراس الحمداني برواية ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) ، للشاعر الأمير الحارث بن سعيد بن حمّاد العَدوي ، المعروف بـ أبي فراس الحمداني (ت ٣٥٧ هـ) ، غني بجمعه ونشره الدكتور سامي الدهان ، ط ١ ، (٢٠٠٤ م) ، وزارة الثقافة ، سورية .

- ديوان أبي نُؤاس ، لشاعر العراق في عصره الحسن بن هانئ بن عبد الأول ، المعروف بـ أبي نُؤاس (ت ١٩٨ هـ) ، وقيل غير ذلك) ، تحقيق وشرح أحمد عبد المجيد الغزالي ، ط ١ ، (١٩٥٣ م) ، طبعة مصورة لدى دار الكتاب العربي ، لبنان .

- ديوان الأفوه الأودي ، للشاعر الجاهلي اليماني صلاة بن عمرو بن مالك الأودي (ت نحو ٥٠ ق هـ) ، تحقيق الدكتور محمد التونجي ، ط ١ ، (١٩٩٨ م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، المسمّى « أنوار العقول لوصي الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأمر المؤمنين وأحد المبشرين بالجنة سيدنا علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي (ت ٤٠ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد المجيد همو ، ط ١ ، (٢٠١٠ م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان البحري ، للشاعر الكبير الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي ، المعروف بـ أبي عبادة البُحْثَرِي (ت ٢٨٤ هـ) ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، ط ٢ ، (١٩٧٢ م) ، دار المعارف ، مصر .

- ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت ، للشاعر المخضرم الصحابي جرول بن أوس بن مالك العبسي رضي الله عنه ، المعروف بـ الحطيئة (ت ٢٤٦ هـ) ، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ، ط ١ ، (١٩٧٨ م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

- ديوان الخالدين أبي بكر محمد وأبي عثمان سعيد ابني هاشم الخالدي ، جمعه وحققه الدكتور سامي الدهان ، بدون تحقيق ، ط ١ ، (١٩٩٢ م) ، طبعة مصورة عن نشرة مجمع اللغة العربية بدمشق لدى دار صادر ، لبنان .

- ديوان الشافعي وحكمه وكلماته السائرة ، لإمام الدنيا محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) ، جمع وضبط يوسف علي بديوي ، ط ١ ، (٢٠٠٠ م) ، مكتبة دار الفجر ، سورية .

- ديوان الصنوبري ، لشاعر الطبيعة المحسن أحمد بن محمد الضبي الصنوبري (ت ٣٣٤ هـ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٩٩٨ م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان الطفيل الغنوي بشرح الأصمعي ، للشاعر طفيل بن عوف بن ضُبَيْس الغنوي (ت ٦١٠ م) ، تحقيق فلاح أوغلي ، ط ١ ، (١٩٩٧ م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان العباس بن الأحنف ، لشاعر الغزل الرقيق العباس بن الأحنف بن الأسود اليمامي (ت ١٩٢ هـ) ، عني به كرم البستاني ، ط ١ ، (١٩٧٨ م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان الفرزدق ، للشاعر النبيل هَمَّام بن غالب بن صعصعة ، المعروف بـ الفرزدق (ت ١١٠ هـ) ، عني به مجيد طراد ، ط ٣ ، (١٩٩٩ م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

- ديوان القاضي الجرجاني ، للقاضي الأديب الرحلة علي بن عبد العزيز بن الحسن الجرجاني (ت ٣٩٢ هـ) ، تحقيق سميح إبراهيم صالح ، ط ١ ، (٢٠٠٣ م) ، دار البشائر ، سورية .

- ديوان الكميّ بن زيد الأسدي ، للشاعر الأموي الكميّ بن زيد بن الأخنس (ت ٢٢٦ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد نبيل طُريفي ، ط ١ ، (٢٠٠٠ م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان المتلمس الضبعي ، للشاعر الجاهلي جرير بن عبد العزى (عبد المسيح) ، المعروف بـ المتلمس الضبعي (ت نحو ٥٠ ق هـ) ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، ط ٢ ، (١٩٩٧ م) ، معهد المخطوطات العربية ، مصر .
- ديوان المعاني ، للعلامة الأديب الحسن بن عبد الله بن سهل ، المعروف بـ أبي هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) ، بدون تحقيق ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة لدى عالم الكتب ، لبنان .
- ديوان المغيرة بن حبناء التميمي (ضمن شعراء أمويون) ، جمع وتحقيق الدكتور نوري حمودي القيسي ، ط ١ ، (١٩٨٢ م) ، المجمع العلمي العراقي ، العراق .
- ديوان النابغة الجعدي ، للشاعر المفلح الصحابي قيس بن عبد الله بن عُدس ، المعروف بـ النابغة الجعدي رضي الله عنه (ت نحو ٥٠ هـ) ، جمعه الدكتور واضح الصمد ، ط ١ ، (١٩٩٨ م) ، دار صادر ، لبنان .
- ديوان الوليد بن يزيد ، للشاعر الخليفة الوليد بن يزيد بن عبد الملك الأموي (ت ١٢٦ هـ) ، جمعه وحققه الدكتور واضح الصمد ، ط ١ ، (١٩٩٨ م) ، دار صادر ، لبنان .
- ديوان أوس بن حجر ، للشاعر الجاهلي الحكيم أوس بن حجر بن مالك التميمي (ت نحو ٢ ق هـ) ، تحقيق محمد يوسف نجم ، ط ٣ ، (١٩٧٩ م) ، دار صادر ، لبنان .
- ديوان حسان بن ثابت ، للصحابي الجليل حسان بن ثابت رضي الله عنه (ت ٤٠ هـ) ، تحقيق الدكتور وليد عرفات ، ط ١ ، (١٩٧٤ م) ، دار صادر ، لبنان .
- ديوان ذي الرمة ، للشاعر الفحل غيلان بن عقبة بن نهيس بن مسعود العدوي ، المعروف بـ ذي الرمة (ت ١١٧ هـ) ، شرح الإمام الأديب أحمد بن حاتم الباهلي صاحب الأصمعي (ت ٢٣١ هـ) ، تحقيق عبد القدوس أبو صالح ، ط ٤ ، (٢٠٠٧ م) ، دار الرشيد ومؤسسة الإيمان ، سورية ولبنان .
- ديوان زهير بن جناب ، للشاعر الجاهلي زهير بن جناب بن هبل الكلبي (ت نحو ٦٠ ق هـ) ، صنعة الدكتور محمد شفيق البيطار ، ط ١ ، (١٩٩٩ م) ، دار صادر ، لبنان .
- ديوان سراقه البارقي ، للشاعر العراقي الظريف سراقه بن مرداس بن أسماء البارقي (ت ٧٩ هـ) ، تحقيق الدكتور حسين نصار ، ط ١ ، (٢٠٠١ م) ، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر .

- ديوان صالح بن عبد القدوس ، للشاعر المتكلم الحكيم صالح بن عبد القدوس البصري (ت نحو ١٦٧ هـ) ، جمع وتحقيق عبد الله الخطيب ، ط ١ ، (١٩٦٨ م) ، دار منشورات البصري ، العراق .

- ديوان صفى الدين الحلبي ، للشاعر الأديب عبد العزيز بن سرايا بن نصر الطائي السنبسي ، المعروف بـ صفى الدين الحلبي (ت ٧٥٠ هـ) ، بعناية كرم البستاني ، ط ١ ، (١٩٩٠ م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات برواية الحسن السكري عن ابن حبيب ، لشاعر قرش الأموي عبيد الله بن قيس بن شريح ، المعروف بـ ابن قيس الرقيات (ت نحو ٧٥ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، ط ١ ، بدون تاريخ ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان عبيد بن الأبرص ، للشاعر الجاهلي الداهية عبيد بن الأبرص الأسدي (ت نحو ٢٥ ق هـ) ، تحقيق الدكتور محمد علي دقة ، ط ١ ، (٢٠٠٣ م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان عمر بن أبي ربيعة ، للشاعر الرقيق عمر بن عبد الله أبي ربيعة (ت ٩٣ هـ) ، عني به الدكتور فايز محمد ، ط ٣ ، (١٩٩٨ م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

- ديوان قيس بن الخطيم ، للشاعر الجاهلي قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي (ت نحو ٢ ق هـ) ، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ، ط ١ ، (١٩٦٧ م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان كشاجم ، للشاعر الأديب المنشي محمود بن الحسين بن السندي بن شاهك الرملي ، المعروف بـ كشاجم (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق الدكتور النبوي عبد الواحد شعلان ، ط ١ ، (١٩٩٧ م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

- ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، للشاعر الفارس الصحابي لبيد بن ربيعة بن مالك العامري رضي الله عنه (ت ٤١ هـ) ، تحقيق وشرح الدكتور إحسان عباس ، ط ١ ، (١٩٦٢ م) ، وزارة الإرشاد والأبناء ، الكويت .

- ديوان مجنون ليلى ، لشاعر الغزل قيس بن الملوح بن مزاحم العامري ، المعروف بـ مجنون ليلى (ت ٦٨ هـ) ، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج ، ط ١ ، بدون تاريخ ، دار مصر للطباعة ، مصر .

- ديوان مسكين الدارمي ، للشاعر الأموي ربيعة بن عامر بن أنيف الدرامي (ت ٨٩ هـ) ، تحقيق كارين صادر ، ط ١ ، (٢٠٠٠ م) ، دار صادر ، لبنان .

- ديوان وضاح اليمن ، لشاعر الغزل الرقيق عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد كلال الخولاني (ت ٩٥ هـ) ، وبذيله كتاب مأساة الشاعر وضاح لمحمد بهجت الأثري وأحمد حسن الزيات ، جمعه الدكتور محمد خير البقاعي ، ط ١ ، (١٩٩٦ م) ، دار صادر ، لبنان .

- ذيل تاريخ بغداد ، للحافظ المؤرخ محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله البغدادي ، المعروف بـ ابن النجار (ت ٦٤٣ هـ) ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط ١ ، (١٩٩٧ م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار ، للإمام البارع شيخ العرب والعجم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق الدكتور سليم النعيمي ، ط ١ ، (١٩٩٠) ، طبعة مصورة لدى دار الذخائر ، إيران .

- الرسالة ، لإمام الدنيا محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، ط ١ ، (١٩٣٩ م) ، طبعة مصورة بدون ناشر ، لبنان .

- روح البيان في تفسير القرآن ، للإمام المفسر الأصولي إسماعيل حقي بن مصطفى الإسلامبولي الحنفي (ت ١١٢٧ هـ) ، بعناية أحمد عزو عناية ، ط ١ ، (٢٠٠١ م) ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، للعلامة المفتي الشريف محمود الألوسي (ت ١٢٧٠ هـ) ، عني به الشريف محمود الألوسي ، ط ٤ ، (١٩٨٥ م) ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- الروض البسام بترتيب وتخرير فوائد تمام ، للأستاذ جاسم بن سليمان الفهيد الدوسري ، ط ١ ، (١٩٨٧ م) ، دار البشائر الإسلامية ، لبنان .

- روضة العقلاء ، للإمام الحافظ محمد بن حَبَّان البُستاني (ت ٣٥٤ هـ) ، تحقيق عبد العليم محمد الدرويش ، ط ١ ، (٢٠٠٩ م) ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، سورية .

- روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، للإمام الحافظ محمد بن أبي بكر الزرعي ، المعروف بـ ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) ، تحقيق بشير محمد عيون ، ط ١ ، (٢٠٠٠ م) ، مكتبة دار البيان ، سورية .

- الزهد الكبير ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر ، ط ٣ ، (١٩٩٦ م) ، مؤسسة الكتب الثقافية ، لبنان .

- الزهد ، للإمام الحافظ أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس ، ط ٢ ، (٢٠١٠ م) ، مؤسسة أبي عبيدة ، مصر .

- الزهد ، للإمام الحافظ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ) ، عني به محمد عبد السلام شاهين ، ط ١ ، (١٩٩٩ م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- الزهد ، للإمام الحافظ هناد بن السري بن مصعب الدارمي الكوفي (ت ٢٤٣ هـ) ، تحقيق عبد الرحمن بن عبد الجبار الفريوائي ، ط ١ ، (١٤٠٦ هـ) ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت .

- زهر الآداب وثمره الألباب ، للأديب النقاد إبراهيم بن علي الحضري القيرواني (ت ٤٥٤ هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ، ط ٢ ، (١٩٦٩ م) ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

- سراج الملوك ، للعلامة الفقيه محمد بن الوليد ، المعروف بـ أبي بكر الطرطوشي (ت ٥٢٠ هـ) ، تحقيق محمد فتحي أبو بكر ، ط ٢ ، (٢٠٠٦ م) ، الدار المصرية اللبنانية ، مصر .

- سمط اللآلي ، لعالم البيان الوزير عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأونبي ، المعروف بـ أبي عبيد البكري (ت ٤٨٧ هـ) ، تحقيق الأستاذ عبد العزيز الميمني (ت ١٣٩٨ هـ) ، ط ١ ، (٢٠٠٩ م) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، سلسلة الذخائر ، مصر .

- سنن ابن ماجه ، للإمام الحافظ محمد بن يزيد القزويني ، المعروف بـ ابن ماجه (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ١ ، (١٩٥٤ م) ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، مصر .

- سنن أبي داوود ، للإمام الحافظ أبي داوود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥ هـ) ، وبهامشه « معالم السنن » للخطابي ، تحقيق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد ، ط ١ ، (١٩٩٧ م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

- سنن الترمذي ، المسمى « الجامع الصحيح » ، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق أحمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي وإبراهيم عطوة ، ط ١ ، (١٩٣٨ م) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- سنن الدارقطني ، للإمام الحافظ الحجة علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني (ت ٣٨٥ هـ) ، وبذيله التعليق المغني على الدارقطني ، عني به عبد الله هاشم يمني ، ط ١ ، (١٩٦٦ م) ، طبعة مصورة لدى دار المعرفة ، لبنان .

- السنن الكبرى ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) ، بعناية السيد هاشم الندوي ، وبذيله « الجواهر النقي » لابن التركماني ، ط ١ ، (١٣٥٦ هـ) ، طبعة مصورة عن دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن لدى دار المعرفة ، لبنان .

- السنن الكبرى ، للإمام الحافظ أحمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣ هـ) ، تحقيق حسن عبد المنعم شلبي ، ط ١ ، (٢٠٠١ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- سنن سعيد بن منصور ، للإمام الحافظ سعيد بن منصور (ت ٢٢٧ هـ) ، تحقيق الدكتور سعد بن عبد الله آل حميد ، ط ٢ ، (٢٠٠٠ م) ، دار الصميعي ، السعودية .

- سيرة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه ، للإمام الحافظ المؤرخ عبد الرحمن بن علي بن محمد البغدادي ، المعروف بـ ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) ، تحقيق أحمد شوحان رحمه الله (ت ١٤٢٧ هـ) ، ط ١ ، (١٩٩٠ م) ، مكتبة التراث ، سورية .

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، للإمام الفقيه عبد الحي بن أحمد ، المعروف بـ ابن العماد (ت ١٠٨٩ م) ، تحقيق محمود الأرناؤوط ، ط ١ ، (١٩٨٦ م) ، دار ابن كثير ، سورية .

- شرح أشعار الهذليين : للعلامة الأديب الراوية الحسن بن الحسين بن عبيد الله السكري (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقيق عبد الستار أحمد الفراج ، ط ١ ، (١٩٦٥ م) ، طبعة مصورة عن نشرة دار العروبة لدى مكتبة دار التراث ، مصر .

- شرح ديوان أبي تمام ، لإمام اللغة والأدب يحيى بن علي بن محمد الشيباني ، المعروف بـ الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) ، تحقيق محمد عبده عزام ، ط ٥ ، (١٩٨٧ م) ، دار المعارف ، مصر .

- شرح ديوان الحماسة ، لإمام اللغة والأدب يحيى بن علي بن محمد الشيباني ، المعروف بـ الخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ هـ) ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط ١ ، (١٩٣٨ م) ، المكتبة التجارية ، مصر .

- شرح ديوان المتنبي ، المسمى « التبيان في شرح الديوان » ، للإمام الأديب عبد الله بن الحسين ، المعروف بـ أبي البقاء العكبري (ت ٦١٦ هـ) ، عني به مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي ، طالأخيرة ، (١٩٧١ م) ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، مصر .

- شرح ديوان صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري (ت ٢٠٨ هـ) ، برواية وشرح الأديب النابغة وليد بن عيسى بن حارث الأندلسي ، المعروف بالطبيخي (ت ٣٥٢ هـ) ، تحقيق الدكتور سامي الدهان ، ط ٣ ، (١٩٨٥) ، دار المعارف ، مصر .

- شرف المصطفى صلى الله عليه وسلم برواية الإمام القدوة عبد الكريم بن هوازن القشيري ، للإمام الحافظ عبد الملك بن محمد الخركوشي (ت ٤٠٦ هـ) ، تحقيق الشريف نبيل هاشم الغمري ، ط ١ ، (٢٠٠٣ م) ، دار البشائر الإسلامية ، لبنان .

- شعر إبراهيم بن هرمة القرشي ، لشاعر الغزل إبراهيم بن علي بن سلمة بن هرمة الكناني (ت ١٧٦ هـ) ، تحقيق محمد نفاع وحسين عطوان ، ط ١ ، (١٩٦٩ م) ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، سورية .

- شعر الخوارج ، جمع وتقديم الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ٢ ، (١٩٧٤ م) ، دار الثقافة ، لبنان .

- شعر دعل ، لشاعر الهجاء دُعيل بن علي بن رزين الخزاعي (ت ٢٤٦ هـ) ، جمع وتحقيق عبد الكريم الأشر ، ط ٢ ، (١٩٨٣ م) ، مجمع اللغة العربية ، سورية .

- شعر منصور التمري ، للشاعر منصور بن سلمة بن الزبرقان التمري (ت ١٩٠ هـ) ، تحقيق الطيب العشاش ، ط ١ ، (١٩٨١ م) ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، سورية .

- الشمائل المحمدية ، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق عبد الكريم الحلياني ، ط ١ ، (٢٠١٠ م) ، دار الإمام أحمد ، مصر .

- شمائل النبي صلى الله عليه وسلم ، للإمام الحافظ محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٧٩ هـ) ، تحقيق محمد وائل الحنبلي ، ط ٢ ، (٢٠٠٩ م) ، دار البيروتي ، سورية .

- الصاحبي ، للإمام اللغوي الأديب أحمد بن فارس بن زكريا بن حبيب الرازي ، المعروف بـ ابن فارس (ت ٣٩٥ هـ) ، تحقيق السيد أحمد صقر ، ط ١ ، (١٩٧٧ م) ، دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

- الصاهل والشاحج ، للشاعر الفيلسوف أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي ، المعروف بـ أبي العلاء المعري (ت ٤٤٩ هـ) ، تحقيق الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي ، ط ٢ ، (١٩٨٤ م) ، دار المعارف ، مصر .

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، للأديب المؤرخ البخّانة أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي (ت ٨٢١ هـ) ، ط ١ ، (١٩٦٣ م) ، طبعة مصورة لدى المؤسسة المصرية العامة ، مصر .

- الصبر والثواب عليه ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي ، المعروف بـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط ١ ، (١٩٩٧ م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

- صحيح البخاري ، المسمى « الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسننه وأيامه » (الطبعة السلطانية العثمانية) ، لإمام الدنيا الحافظ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري (ت ٢٥٦ هـ) ، عني به الدكتور محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط ١ ، (١٤٢٢ هـ) ، دار طوق النجاة ، لبنان .

- صحيح مسلم ، المسمى « الجامع الصحيح » ، للإمام الحافظ مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، ط ١ ، (١٩٥٤ م) ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، مصر .

- الصداقة والصديق ، لفيلسوف الأدباء علي بن محمد بن العباس ، المعروف بـ أبي حيان التوحيدي (ت ٤١٤ هـ) ، تحقيق الدكتور إبراهيم الكيلاني ، ط ٤ ، (٢٠٠٨) ، دار الفكر ، سورية .

- الصلة وهو ذيل على « تاريخ علماء الأندلس » لابن الفرضي ، للمؤرخ البخّانة خلف بن عبد الملك ، المعروف بـ ابن بشكّوأل (ت ٥٧٨ هـ) ، عني به إدارة إحياء التراث ، ط ١ ، (١٩٦٦ م) ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر .

- طبقات الشافعية الكبرى ، للإمام القاضي عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي ، المعروف بـ تاج الدين السبكي (ت ٧٧١ هـ) ، تحقيق محمود محمد الطناحي وعبد الفتاح الحلو ، ط ١ ، (١٣٩٦ هـ) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء الكتب العربية ، مصر .

- الطرائف الأدبية ، ويضم قصائد من : ديوان الأفوه الأودي ، وديوان الشنفرى ، وديوان إبراهيم الصولي ، لإمام اللغة والبلاغة عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١ هـ أو سنة ٤٧٤ هـ) ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، ط ١ ، (١٩٣٧ م) ، المكتبة الأزهرية للتراث ، مصر .

- الطيوريات ، وهي مما انتخبه الإمام الحافظ أحمد بن محمد السِّلَفي من كتب الإمام الثقة المبارك بن عبد الجبار ، المعروف بـ ابن الطُّيُوري (ت ٥٠٠ هـ) ، تحقيق دسمان معالي وعباس الحسن ، ط ١ ، (٢٠٠٤ م) ، دار أضواء السلف ، السعودية .

- العزلة ، للإمام الحافظ حَمْد بن محمد بن إبراهيم البستي الخطابي (ت ٣٨٨ هـ) ، تحقيق محمد منير الدمشقي ، ط ١ ، (١٣٥٢ هـ) ، إدارة الطباعة المنيرية ، مصر .

- العقد الفريد ، للعلامة الأديب أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨ هـ) ، تحقيق أحمد الأمين وأحمد الزين وإبراهيم الإبياري ، ط ٢ ، (١٩٤٠ م) ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، مصر .

- العقل وفضله ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي ، المعروف بـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق لطفي محمد الصغير ، ط ١ ، (١٤٠٩ هـ) ، دار الراية ، السعودية .

- عيون الأخبار ، لإمام الأدب واللغة القاضي عبد الله بن مسلم ، المعروف بـ ابن قتيبة الدِّينُوري (ت ٢٧٦ هـ) ، تحقيق ثلة من أهل العلم ، ط ١ ، (١٩٣٠ م) ، دار الكتب المصرية ، مصر .

- غريب الحديث ، للإمام الحافظ الأديب إبراهيم بن إسحاق بن بشير الحربي (ت ٢٨٥ هـ) ، الدكتور سليمان بن إبراهيم بن محمد العايد ، ط ١ ، (١٩٨٥ م) ، جامعة أم القرى ، السعودية .

- غريب الحديث ، للإمام المحدث الفقيه الأديب القاسم بن سلام الهروي ، المعروف بـ أبي عُبيد (ت ٢٢٤ هـ) ، بعناية الدكتور محمد عبد المعيد خان ، ط ١ ، (١٩٦٤ م) ، طبعة مصورة لدى دار الكتاب العربي ، لبنان .

- الفائق في غريب الحديث ، للإمام البارع شيخ العرب والعجم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ، تحقيق علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ١ ، (١٩٩٣ م) ، طبعة مصورة لدى دار الفكر ، لبنان .

- فتاوى الإمام النووي ، المسمى « المسائل المنثورة » ، ترتيب تلميذه الإمام العلامة علاء الدين ابن العطار (ت ٦٧٦ هـ) ، تحقيق الشيخ محمد الحجار ، ط ٦ ، (١٩٩٦ م) ، دار البشائر الإسلامية ، لبنان .

- فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للعراقي ، للإمام الحافظ الناقد محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) ، تحقيق علي حسين علي ، ط ٢ ، (٢٠٠٣ م) ، طبعة مصورة لدى دار عالم الكتب ، السعودية .

- الفرج بعد الشدة ، للإمام القاضي الأديب المحسن بن علي التنوخي (ت ٣٨٤ هـ) ، تحقيق عبود الشالحي ، ط ١ ، (١٩٧٥ م) ، دار صادر ، لبنان .

- الفردوس بمأثور الخطاب ، للإمام الحافظ شيرويه بن شهردار الديلمي (ت ٥٠٩ هـ) ، تحقيق السعيد بن بسيوني زغلول ، ط ١ ، (١٩٨٦ م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- فضائل الصحابة ، للإمام الحافظ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ) ، تحقيق وصي الله بن محمد عباس ، ط ٤ ، (١٤٣٠ هـ) ، دار ابن الجوزي ، السعودية .

- فيض القدير شرح الجامع الصغير ، للإمام العلامة محمد عبد الرؤوف بن علي المناوي (ت ١٠٣١ هـ) ، ط ١ ، (١٣٥٧ هـ) ، طبعة مصورة لدى دار المعرفة ، لبنان .

- قواطع الأدلة في الأصول ، للإمام المحدث المفسر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني (ت ٤٩٨ هـ) ، تحقيق محمد حسن محمد إسماعيل ، ط ١ ، (١٩٩٧ م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- الكامل في التاريخ ، للإمام المؤرخ علي بن محمد بن محمد ، المعروف بـ ابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) ، حققه الدكتور عمر عبد السلام تدمري ، ط ٢ ، (١٩٩٩ م) ، دار الكتاب العربي ، لبنان .

- الكامل في ضعفاء الرجال ، للإمام الحافظ عبد الله بن عدي الجرجاني (ت ٣٦٥ هـ) ، الطبعة الأولى بتحقيق الدكتور سهيل زكار والثالثة يحيى مختار غزاوي ، ط ٣ ، (١٩٨٨ م) ، دار الفكر ، لبنان .

- الكامل ، لإمام العربية محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرّد (ت ٢٨٥ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد أحمد الدالي ، ط ١ ، (١٩٩٧ م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- الكتاب ، لإمام النحو الكبير عمرو بن عثمان بن قنبر ، المعروف بـ سيوبه (ت ١٨٠ هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، ط ٣ ، (١٩٨٨ م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

- الكشكول ، للعلامة الاثني عشري الأديب محمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي ، المعروف بـ بهاء الدين العاملي (ت ١٠٣١ هـ) ، تحقيق الطاهر أحمد الزاوي ، ط ١ ، بدون تاريخ ، طبعة مصورة ، لبنان .

- كلام الليالي والأيام لابن آدم ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد القرشي ، المعروف بـ ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ) ، تحقيق محمد خير رمضان يوسف ، ط ١ ، (١٩٩٧ م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

- الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) ، للعلامة القاضي أبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤ هـ) ، تحقيق الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري ، ط ٢ ، (١٩٩٢ م) ، دار الكتاب الإسلامي ، مصر .

- كليلة ودمنة ، للفيلسوف الهندي الحكيم بيدبا ، تعريب إمام الكتاب عبد الله بن المقفع (ت ١٤٢ هـ) ، عني به محمد خير الدرع ، ط ١ ، (١٩٦٣ م) ، المكتبة الأموية ، سورية .

- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، للإمام الحافظ علي بن حسام الدين ، المعروف بـ البرهان فوري (ت ٩٧٥ هـ) ، عني به بكري حيّاني وصفوة السقا ، ط ١ ، (١٩٩٣ م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- لباب الآداب ، للأمير الشجاع الأديب المؤرخ أسامة بن مرشد بن علي ، المعروف بـ ابن منقذ (ت ٥٨٤ هـ) ، تحقيق الدكتور أحمد شاكر ، ط ١ ، (١٩٣٥ م) ، المطبعة الرحمانية ، مصر .

- لسان الميزان ، للإمام الحافظ الحجة أحمد بن علي بن محمد الكناني ، المعروف بـ ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) ، تحقيق العلامة عبد الفتاح أبو غدة (ت ١٤١٧ هـ) ، ط ١ ، (٢٠٠٢ م) ، دار البشائر الإسلامية ، لبنان .

- مجالس ثعلب ، لإمام الكوفيين العلامة أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني ، المعروف بـ ثعلب (ت ٢٩١ هـ) ، شرح وتحقيق عبد السلام هارون ، ط ٥ ، (٢٠٠٦ م) ، دار المعارف ، مصر .

- المجالسة وجواهر العلم ، للعلامة الفقيه المحدث أحمد بن مروان بن محمد الدّينوري (ت ٣٣٣ هـ) ، ط ١ ، (٢٠٠٢ م) ، دار ابن حزم ، لبنان .

- مجمع الأمثال ، للعلامة الأديب البخّانة أحمد بن محمد بن أحمد الميداني (ت ٥١٨ هـ) ، تحقيق الدكتور جان عبد الله توما ، ط ١ ، (٢٠٠٢ م) ، دار صادر ، لبنان .
- المحاسن والأضداد ، لكبير أئمة الأدب عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) ، ط ٢ ، (١٩٩٤ م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .
- المحاسن والمساوىء ، للإمام إبراهيم بن محمد البيهقي (ت ق ٥ هـ) ، ط ١ ، (١٩٨٤ م) ، دار بيروت ، لبنان .
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، للعلامة الأديب الحكيم الحسين بن محمد بن المفضل الأصفهاني ، المعروف بـ الراغب (ت ٥٠٢ هـ) ، تحقيق الدكتور رياض عبد الحميد مراد ، ط ٢ ، (٢٠٠٦ م) ، دار صادر ، لبنان .
- المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ، للشاعر الأديب السري بن أحمد بن الكندي ، المعروف بـ السري الرفاء (ت ٣٦٢ هـ) ، تحقيق مصباح غلاونجي ، بدون تاريخ ، مجمع اللغة العربية بدمشق ، سورية .
- مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ، للإمام الحافظ محمد بن مكرم ، المعروف بـ ابن منظور (ت ٧١١ هـ) ، عني به مجموعة من المحققين ، ط ١ ، (١٩٨٤ م) ، دار الفكر ، سورية .
- المدخل إلى السنن الكبرى ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد ضياء الرحمن الأعظمي ، ط ٢ ، (١٤٢٠ هـ) ، دار أضواء السلف ، السعودية .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان ، للإمام العلامة المحدث عبد الله بن أسعد بن علي اليافعي (ت ٧٦٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٣٧ هـ) ، طبعة مصورة عن نشرة دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن لدى دار الكتاب الإسلامي ، مصر .
- مروج الذهب ومعادن الجوهر ، للمؤرخ البخّانة علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) ، تصحيح شارك بلا ، ط ١ ، (١٤٢٢ هـ) ، انتشارات الشريف الرضي ، إيران .
- المستدرك على الصحيحين ، للإمام الحافظ محمد بن عبد الله بن حمدويه النيسابوري ، المعروف بـ الحاكم (ت ٤٠٥ هـ) ، وبذيله : « تلخيص المستدرك » للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) ، ط ١ ، (١٣٣٥ هـ) ، نسخة مصورة لدى دار المعرفة عن طبعة دائرة المعارف النظامية في الهند بحيدر آباد الدكن ، لبنان .

- المستطرف من كل فن مستظرف ، للأديب الخطيب محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي (ت ٨٥٠ هـ) ، عني به إبراهيم صالح ، ط ١ ، (١٩٩٩ م) ، دار صادر ، لبنان .

- مسند أبي يعلى الموصلي ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن المثنى ، المعروف بـ أبي يعلى الموصلي (ت ٣٠٧ هـ) ، تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، ط ٢ ، (١٩٨٩ م) ، دار المأمون للتراث ودار الثقافة العربية ، سورية .

- مسند الإمام أحمد ابن حنبل ، للإمام الحافظ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ) ، تحقيق مجموعة من العلماء بإشراف شعيب الأرنؤوط ، ط ١ ، (١٩٩٥ هـ) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- مسند الدارمي ، المسمى « سنن الدارمي » ، للإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي (ت ٢٥٥ هـ) ، تحقيق حسين سليم أسد الداراني ، ط ١ ، (٢٠٠٠ م) ، دار المغني ، السعودية .

- مسند الشهاب ، المسمى « شهاب الأخبار في الحكم والأمثال والآداب » ، للإمام القاضي محمد بن سلامة القضاعي (ت ٤٥٤ هـ) ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ١ ، (١٩٨٥ م) ، مؤسسة الرسالة ، لبنان .

- مسند أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز ، للإمام الحافظ البحر محمد بن محمد بن سليمان بن الحارث الباغندي (ت ٣١٢ هـ) ، تحقيق العلامة محمد عوامة ، ط ٤ ، (٢٠٠٩) ، دار اليسر ودار المنهاج ، السعودية .

- مصارع العشاق ، للحافظ الأديب جعفر بن أحمد ، المعروف بـ السَّرَّاج القاري (ت ٥٠٠ هـ) ، ط ١ ، بدون تاريخ ، دار صادر ، لبنان .

- المصنف ، للإمام الحافظ عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ) ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، ومعه : « الجامع » للإمام معمر الأزدي (ت ١٥٣ هـ) ، ط ٢ ، (١٩٨٣ م) ، المجلس العلمي بالتعاون مع المكتب الإسلامي ، لبنان .

- المصنف ، للإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت ٢٣٥ هـ) ، تحقيق الشيخ محمد عوامة ، ط ٢ ، (٢٠٠٦ م) ، دار المنهاج ، السعودية .

- المصون في الأدب ، للإمام الحافظ الفقيه أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل العسكري (ت ٣٨٢ هـ) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، ط ٢ ، (١٩٨٢ م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

- المعارف ، للإمام الأدب واللغة القاضي عبد الله بن مسلم ، المعروف بـ ابن قتيبة الدِّينَوْرِي (ت ٢٧٦ هـ) ، تحقيق ثروت عكاشة ، ط ١ ، (١٩٦٠ م) ، طبعة مصورة عن نشرة دار الكتب بمصر لدى دار الشريف الرضي ، إيران .

- معجم الأدباء ، المسمى « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » ، للعلامة المؤرخ الأديب ياقوت بن عبد الله الرومي الحَمَوِي (ت ٦٢٦ هـ) ، قدم له الدكتور عمر فاروق الطباع ، ط ١ ، (١٩٩٩ م) ، مؤسسة المعارف ، لبنان .

- المعجم الأوسط ، للإمام الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقيق الدكتور محمود الطحان ، ط ١ ، (١٩٨٥ م) ، مكتبة المعارف ، السعودية .

- معجم الشعراء ، للعلامة الإخباري الأديب محمد بن عمران بن موسى المَرْزُبَانِي (ت ٣٨٤ هـ) ، تحقيق الدكتور فاروق اسليم ، ط ١ ، (٢٠٠٥ م) ، دار صادر ، لبنان .

- المعجم الصغير ، للإمام الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، ومعه « غنية الألمي » للعظيم آبادي ، ط ١ ، (١٩٨٣ م) ، طبعة مصورة لدى دار الكتب العلمية ، لبنان .

- المعجم الكبير ، للإمام الحافظ سليمان بن أحمد الطبراني (ت ٣٦٠ هـ) ، ومعه « الأحاديث الطوال » ، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي ، ط ٢ ، بدون تاريخ ، دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- معرفة الصحابة ، للإمام الحافظ المؤرخ الثقة أحمد بن عبد الله بن أحمد ، المعروف بـ أبي نعيم الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) ، تحقيق عادل يوسف العزازي ، ط ١ ، (١٩٩٨ م) ، دار الوطن ، السعودية .

- المعرفة والتاريخ رواية عبد الله بن جعفر بن درستويه ، للإمام الحافظ الحجة يعقوب بن سفيان بن جُوَّان اليسوي (ت ٢٧٧ هـ) ، تحقيق الدكتور أكرم ضياء العمري ، ط ١ ، (١٤١٠ هـ) ، مكتبة الدار ، السعودية .

- المعمرن والوصايا ، للعلامة اللغوي سهل بن بن محمد عثمان ، المعروف بـ أبي حاتم السجستاني (ت ٢٥٠ هـ) ، تحقيق عبد المنعم عامر ، ط ١ ، (١٩٦١ م) ، دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي ، مصر .

- مفتاح العلوم ، لعلامة العربية والأدب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي ، ط ١ ، (٢٠٠٠ م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- المفضليات ، للإمام الراوية الأديب المفضل بن محمد بن يعلى الضبي (ت نحو ١٧٦ هـ) ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، ط ٨ ، (١٩٩٣ م) ، دار المعارف ، مصر .

- مقاتل الطالبين ، للإمام الأدب واللغة علي بن الحسين بن محمد الأموي ، المعروف بـ أبي الفرج الأصبهاني (ت ٣٥٦ هـ) ، تحقيق أحمد صقر ، ط ١ ، بدون تاريخ ، دار المعرفة ، لبنان .

- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، للإمام الحافظ الناقد محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢ هـ) ، عني به عبد الله محمد الصديق الغماري وعبد الوهاب عبد اللطيف ، ط ٢ ، (١٩٩١ م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

- من غاب عنه المطرب ، لإمام اللغة والأدب عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري ، المعروف بـ أبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) ، تحقيق الدكتور عبد الواحد شعلان ، ط ١ ، (١٩٨٤ م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

- مناقب الشافعي ، للإمام الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقيق أحمد صقر ، ط ١ ، (١٩٧١ م) ، مكتبة دار التراث ، مصر .

- المنتخب من كتاب الزهد والرقائق ، ويليهِ « طرق حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم في تراثي الهلال » ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن ثابت ، المعروف بـ الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق الدكتور عامر حسن صبري ، ط ١ ، (٢٠٠٠ م) ، دار البشائر الإسلامية ، لبنان .

- المنصف للسارق والمسروق منه في إظهار سرقات أبي الطيب المتنبي ، للشاعر المجيد الحسن بن علي بن وكيع الضبي التنيسي (ت ٣٩٣ هـ) ، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، ط ١ ، (١٩٩٢ م) ، دار صادر ، لبنان .

- المنهيات ، للإمام الولي محمد بن علي ، المعروف بـ الحكيم الترمذي (ت ٣١٨ هـ) ، تحقيق محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، ط ١ ، (١٩٨٥ م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- الموشى' أو الظرف والظرفاء ، للإمام الأديب محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء (ت ٣٢٥ هـ) ، تحقيق كمال مصطفى ، ط ٣ ، (١٩٩٣ م) ، مكتبة الخانجي ، مصر .

- موضح أوهام الجمع والتفريق ، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن ثابت ، المعروف بـ الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) ، ط ١ ، (١٩٥٩ م) ، دائرة المعارف العثمانية ، الهند .

- نثر الدر ، للوزير الأديب المؤرخ منصور بن الحسين الآبي (ت ٤٢١ هـ) ، تحقيق محمد علي قرنة وآخرون ، ط ١ ، (١٩٨٤ م) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر .

- نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف والرد على ماقتهم السخيف ، للإمام العلامة الفقيه محمد بن عبد الرحمن بن عمر الحبيشي (ت ٧٨٢ هـ) ، عني به قصي محمد نورس الحلاق ، ط ٢ ، (٢٠٠٥ م) ، دار المنهاج ، السعودية .

- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للحافظ المؤرخ الأديب أحمد بن محمد بن يحيى ، المعروف بـ المَقْرِي (ت ١٠٤١ هـ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٩٨٨ م) ، دار صادر ، لبنان .

- النكت والعيون (تفسير الماوردي) ، للإمام الفقيه الأصولي المفسر علي بن محمد بن حبيب الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) ، تحقيق عبد المقصود بن عبد الرحيم ، ط ٢ ، (٢٠٠٧) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

- نهاية الأرب في فنون الأدب ، للعالم البحاث أحمد بن عبد الوهاب بن محمد النويري (ت ٧٣٣ هـ) ، بعناية مجموعة من الباحثين ، ط ١ ، (١٩٢٣ م) ، دار الكتب المصرية ، مصر .

- النهاية في غريب الحديث والأثر ، للإمام الحافظ اللغوي المبارك بن محمد بن محمد ، المعروف بـ ابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) ، تحقيق محمود الطناحي والظاهر الزاوي ، ط ١ ، (١٩٦٣ م) ، طبعة مصورة لدى دار إحياء التراث العربي ، لبنان .

- نواذر الأصول في معرفة أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، المسمى « سلوة العارفين وبستان الموحدين » ، للإمام الولي محمد بن علي ، المعروف بـ الحكيم الترمذي (ت ٣١٨ هـ) ، يليه : « مرقاة الوصول حواشي نواذر الأصول » لابن إسماعيل الإمام ، ط ١ ، (١٢٩٣ هـ) ، طبعة مصورة عن نسخة الأستانة لدى دار صادر ، لبنان .

- الوافي بالوفيات ، للعلامة المؤرخ الأديب صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي
(ت ٧٦٤ هـ) ، تحقيق مجموعة من المحققين ، ط ٢ ، (١٩٩١ م) ، دار فرانز
شتاينر ، ألمانيا .

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، للإمام المؤرخ أحمد بن محمد ابن خلكان
(ت ٦٨١ هـ) ، تحقيق الدكتور إحسان عباس (ت ١٤٢٤ هـ) ، ط ١ ، (١٩٦٨ م) ،
دار صادر ، لبنان .

- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، لإمام اللغة والأدب عبد الملك بن محمد بن
إسماعيل ، المعروف بـ أبي منصور الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) ، تحقيق الدكتور مفيد محمد
قميحة ، ط ١ ، (١٩٨٣ م) ، دار الكتب العلمية ، لبنان .

محتوى الكتاب

١١	بين يدي الكتاب
١٤	ترجمة المؤلف
٢٢	وصف النسخ الخطية
٢٥	منهج العمل في الكتاب
٢٧	صور المخطوطات المستعان بها
٣٥	« أدب الدين والدنيا »
٣٧	- خطبة الكتاب
٣٩	الباب الأول : في فضل العقل وذم الهوى
٤٢	- قسما العقل
٤٣	- العقل الغريزي والاختلاف فيه وصفته ومحله
٤٥	- العقل المكتسب
٤٧	- فطانة غلام وفطانة ابن الزبير رضي الله عنهما
٤٨	- قصة عجيبة في حدس الفرزدق وجخير
٤٩	- من الأجوبة المسكتة
٥١	- بيان الاختلاف في فضيلة العقل المكتسب إذا تناهى
٥٤	- بيان الاختلاف في تسمية الداهية الشرير عاقلاً
٥٥	- الحماسة داء لا دواء له
٥٩	فصل : في ذم الهوى
٦١	- استيلاء الهوى على العاقل من وجهين وعلاجهما
٦٩	الباب الثاني : في أدب العلم
٧٤	- الفقه في الدين أولى العلوم
٧٧	- فضيلة صيانة ذي العلم نفسه
٧٨	- ثمرة صيانة النفس

- ٧٩ - المال مفضول لا فاضل
- ٨٠ - موانع طلب العلم
- ٨٧ - الترغيب في طلب العلم وتصحيح النية فيه
- ٩٠ فصل : في أسباب التقصير في العلم
- ٩٠ - من أسباب التقصير محبة الاشتهار بالعلم
- ٩١ - مناظرة المؤلف لمن يرى الاشتغال بالمذهب تكلفاً
- ٩٢ - من أسباب التقصير الغفلة عن التعلم في الصغر
- ٩٣ - قواطع الكبير عن طلب العلم
- ٩٤ - نصائح خالصة
- ٩٥ - ترتيب وظيفة متلقي العلوم
- ٩٥ - الأسباب المانعة من فهم معاني الكلام ثلاثة
- ٩٦ - القسم الأول : ما كان لعلّة في الكلام وأحواله
- ٩٧ - المواضعة وأقسامها
- ٩٧ - الرمز وبم يختص
- ٩٩ - اللغز عمل أهل البطالة
- ١٠٠ - القسم الثاني : ما كان لعلّة في المعنى
- ١٠١ - القسم الثالث : ما كان لعلّة في المستمع
- ١٠٣ - آفة النسيان وعلاجها
- ١٠٦ - القسم الرابع : الخطّ
- ١٠٧ - ذكر الخلاف في أول من كتب الخط وأول من كتب بالعربية
- ١١٠ - العوارض المانعة من قراءة الخطّ
- ١١٢ - النقط والشكل مستقبح في المكاتبات
- ١١٣ - مشق الخطّ مستحسن في المكاتبات
- ١١٤ - تدبير النفس على اختلاف أحوالها عند تعذر فهم المعنى
- ١١٦ - شروط وفرة علم الطالب تسعة

١١٨	فصل : في آداب المتعلّم
١١٨	- التملق والتذلل
١١٨	معرفة فضل علم العالم وشكر جميل فعله
١١٩	تعظيم العالم لعلمه
١١٩	الاقتداء برضيّ الأخلاق والتشبه بجميل الأفعال
١٢٠	الحذر من التبسط على من يعلمه
١٢٠	عدم إظهار الاستكفاء والاستغناء عنه
١٢١	معرفة الحق وترك الشبه مع الأدب
١٢٢	العلم مفتاحه السؤال

١٢٥	فصل : في آداب العالم
١٢٥	التواضع ومجانبة العجب
١٢٧	- واقعة حال فيها عبرة
١٢٨	- من ترك (لا أدري) أصيبت مقاتله
١٢٩	- خمسٌ خذوهن عني
١٣١	- أقسام الرجال أربعة
١٣٢	العمل بالعلم من شيمة العلماء
١٣٥	- عدم البخل بتعليم ما يحسنه
١٣٧	- فوائد التعليم
١٣٧	- مراعاة حال المتعلّم في الإقبال عليه ومنعه
١٤١	- آداب العالم لدى السلطان
١٤٢	- من آدابهم التنزه عن شبه المكاسب
١٤٣	- من آدابهم قصد وجه الله
١٤٣	- ومن آدابهم النصح لمن علموه
١٤٤	- ومن آدابهم الرفق بالمتعلمين

١٤٥

الباب الثالث : في أدب الدين

١٤٧	- التكليف فضل من الله عز وجل
-----	------------------------------

- ١٤٧ - المتعبّدات مصدرها الشرع والعقل
- ١٤٨ - أقسام المتعبّدات
- ١٥٠ - المأمورات
- ١٥٦ - المنهيات
- ١٥٧ - تفصيل أحوال النهي عن المنكر وأحكامها
- ١٥٩ - أحوال الناس في الائتمار والانتهاه
- ١٦٣ - آفات تعرض للطاعات
- ١٦٥ - أحوال الإنسان في أداء العبادات
- ١٦٦ - الحال الأولى : الكمال
- ١٦٦ - الحال الثانية : التقصير
- ١٧٠ - الحال الثالثة : الزيادة
- ١٧٨ - رياضة النفس وترتيب أحوالها
- ١٧٨ - الحال الأولى : ترك التعلّق بالدنيا
- ١٨٢ - ثمرات الحال الأولى
- ١٨٥ - الحال الثانية : إدراك حقيقة الدنيا
- ١٨٨ - ثمرات الحال الثانية
- ١٩٢ - الحال الثالثة : قصر الأمل
- ١٩٥ - ثمرات الحال الثالثة
- ٢٠٩ الباب الرابع : في أدب الدنيا
- ٢١١ - الإنسان عاجز مفتقر
- ٢١٣ - لزوم التزوّد من الدنيا للآخرة
- ٢١٧ - قواعد صلاح الدنيا
- ٢١٧ - القاعدة الأولى : الدين المتبع
- ٢١٧ - بيان الاختلاف في أسبقية العقل والشرع

- ٢١٨ القاعدة الثانية : السلطان القاهر
- ٢٢٠ بيان الاختلاف في موجب نصب الإمام وبعثة الرسل
- ٢٢١ بيان الاختلاف في جواز تعدد الإمام
- ٢٢٢ ما يلزم السلطان من أمور الأمة
- ٢٢٥ القاعدة الثالثة : العدل الشامل
- ٢٢٦ العدل يغني عن الشجاعة
- ٢٢٦ أقسام العدل
- ٢٣١ القاعدة الرابعة : الأمن العام
- ٢٣٢ القاعدة الخامسة : الخصب الدار
- ٢٣٤ القاعدة السادسة : الأمل الفسيح
- ٢٣٧ فصل : في قواعد صلاح الإنسان في الدنيا
- ٢٣٧ القاعدة الأولى : النفس المطيعة
- ٢٣٨ القاعدة الثانية : الألفة الجامعة
- ٢٣٩ أسباب الألفة
- ٢٣٩ السبب الأول : الدين
- ٢٤١ السبب الثاني : النسب
- ٢٤٢ أقسام الأنساب وما يعرض لها من أسباب
- ٢٤٩ السبب الثالث : المصاهرة
- ٢٥٤ أنواع دواعي عقد التعفف
- ٢٥٤ النوع الأول : ما يمكن حصر شروطه
- ٢٥٦ ما يلزم التحرز منه من صفات النساء
- ٢٥٧ النوع الثاني : ما لا يمكن حصر شروطه
- ٢٦١ فصل : السبب الرابع : المؤاخاة بالمودة
- ٢٦٢ وجها المؤاخاة
- ٢٦٢ الوجه الأول : المؤاخاة المكتسبة بالاتفاق

- رتب المؤاخاة المكتسبة بالاتفاق قبل اصطفايهم ٢٦٣
- الوجه الثاني : المؤاخاة المكتسبة بالقصد ٢٦٥
- سبر الإخوان قبل اصطفايهم ٢٦٧
- الخصال المعبرة في المؤاخاة سوى المجانسة ٢٧٠
- بيان الاختلاف في الاستكثار من الإخوان ٢٧٥
- أحوال الإخوان في الإعانة والاستعانة ٢٧٧
- معالجة الفترة بين الإخوان ٢٨١
- الصديق المَلُول نوعان ٢٨٢
- حقوق الإخوان ٢٨٣
- تأويل هفوات الإخوان ودواعيه ٢٨٩
- التغافل ٢٩٠
- تألّف الأعداء ٢٩١
- فصل : السبب الخامس : البرّ ٢٩٤
- نوعا البرّ ٢٩٤
- النوع الأول : الصلة ٢٩٤
- ذم البخل ٢٩٧
- أخلاق مذمومة تحدّث عن البخل ٢٩٩
- ذم السَّرَف والتبذير ٣٠٠
- تمام السخاء بالزهد في الناس ٣٠١
- وجهها البذل ٣٠٣
- الوجه الأول : البذل ابتداءً ٣٠٣
- أسباب البذل ابتداءً ٣٠٣
- الاختلاف في العطاء من غير سبب يحمّد أو يذم ٣٠٧
- الوجه الثاني : البذل عن سؤال وطلب ٣٠٩
- الشروط المعبرة في السائل ٣٠٩
- الشروط المعبرة في المسؤول ٣١٢

- ٣١٣ - أحوال السائل والمسؤول المعتبرة في الإجابة والردّ
- ٣١٨ - حجة من منع
- ٣٢٢ - النوع الثاني : المعروف
- ٣٢٦ - شروط كمال المعروف
- ٣٢٧ - تصغير المعروف وتقليله
- ٣٢٧ - ترك الامتنان والإعجاب بفعله
- ٣٢٨ - عدم احتقار شيء من المعروف
- ٣٢٩ - اصنع المعروف مع أهله
- ٣٣٠ - من أداء حقّ النعمة مكافأة المحسن أو شكره
- ٣٣٣ - وجوه الشكر الذي يتقدّم المعروف
- ٣٣٤ - ستر المعروف وترك الشكر جحد للصنيعة

- ٣٣٥ - فصل : القاعدة الثالثة لصلاح الإنسان : المادة الكافية
- ٣٣٦ - بيان أسباب المواد وجهات المكاسب
- ٣٣٧ - السبب الأول : الزراعة
- ٣٣٩ - السبب الثاني : إنتاج الحيوان
- ٣٤٠ - السبب الثالث : التجارة
- ٣٤١ - السبب الرابع : الصناعة
- ٣٤١ - أقسام الصناعات ورتبها
- ٣٤٣ - أحوال الإنسان في طلب المكاسب
- ٣٤٣ - الحال الأولى : طلب الكفاية
- ٣٤٥ - الحال الثانية : التقصير عن طلب الكفاية
- ٣٤٨ - الحال الثالثة : الاستكثار
- ٣٤٩ - الخير في القرآن
- ٣٥٢ - الاختلاف في تفضيل الغنى والفقر
- ٣٥٧ - ذم الشحّ والحرص

٣٥٩ - دواء الحرص القناعة

٣٦١ - أوجه القناعة

٣٦٥ الباب الخامس : في أدب النفس

٣٧٠ - مرحلتا التأدب

٣٧٠ - مبادئ الأدب في الصغر

٣٧١ - أدب النفس في الكبر

٣٧٣ - الاختلاف في سوء الظن بالنفس

٣٧٥ - ستة فصول في أدب الرياضة والاستصلاح

٣٧٦ الفصل الأول : في مجانبة الكبر والإعجاب

٣٧٦ - ذم الكبر

٣٧٧ - ذم الإعجاب

٣٧٨ - أربعة أفضى العجب بهم إلى الحمق

٣٨٠ - أسباب الكبر

٣٨١ - أسباب الإعجاب

٣٨٦ الفصل الثاني : في حسن الخلق

٣٨٩ - أسباب تغير حسن الخلق إلى الشراسة والبذاء

٣٩٤ الفصل الثالث : في الحياء

٣٩٦ - أوجه الحياء في الإنسان

٣٩٧ - رؤيا للمؤلف

٤٠١ الفصل الرابع : في الحلم والغضب

٤٠٢ - حدّ الحلم وبواعثه

٤٠٨ - الحلم في غير موضعه ذلّ

٤١٢ أسباب تسكين الغضب -

٤١٧ الفصل الخامس : في الصدق والكذب

٤١٩ -دواعي الصدق والكذب

٤٢٣ -أمارات الكذاب

٤٢٤ -بعض مضارّ الكذب

٤٢٤ -التورية والمعاريض

٤٢٦ -الغيبة

٤٢٨ -النميمة

٤٢٩ -السّعاية

٤٣١ الفصل السادس : في الحسد والمنافسة

٤٣٣ - حقيقة الحسد والمنافسة

٤٣٤ -دواعي الحسد

٤٣٥ -خمسة أسباب يُحسم بها الحسد

٤٣٨ -مذامّ الحسد

٤٤١ فصل : أدب المواضعة والاصطلاح

٤٤٢ الفصل الأول : في الكلام والصمت

٤٤٣ -شروط سلامة المتكلم من الزلل

٤٤٤ -واقعة حال للمؤلف

٤٥١ -شروط بلاغة الكلام

٤٥٤ -جملة من آداب الكلام

٤٦٠ -شروط ضرب الأمثال

٤٦١ الفصل الثاني : في الصبر والجزع

٤٦٣ -أقسام الصبر ستة محمودة

- ٤٦٩ - أسباب تسهيل المصائب
- ٤٧٧ - بواعث الجزع
- ٤٨١ - الفرج يعقب الصبر

- ٤٨٣ الفصل الثالث : في المشورة
- ٤٨٥ - خصال المستشار
- ٤٩٠ - تفصيل أحوال المستشار في الاجتماع والانفراد
- ٤٩١ - أدب المستشار
- ٤٩٣ - أدب المستشار

- ٤٩٥ الفصل الرابع : في كتمان السرّ
- ٤٩٦ - إذاعة السرّ دليل على أحوال مذمومة
- ٤٩٧ - صفات أمين السرّ

- ٥٠١ الفصل الخامس : في المزاح والضحك
- ٥٠٣ ثمرتا المزاح
- ٥٠٣ - من مزاح النبي ﷺ
- ٥٠٤ - مزاح الصحابة ومن بعدهم
- ٥٠٥ - الخروج إلى حد الخلاعة هجنة ومذمة
- ٥٠٦ - قصة من مستلمح المزح

- ٥٠٩ الفصل السادس : في الطيرة والفأل
- ٥١١ - علاج الطيرة

- ٥١٤ الفصل السابع : في المروءة
- ٥١٦ - دواعي استسهال المشاقّ

٥١٩ - شروط المروءة

٥١٩ - شروط المروءة في نفس المرء ثلاثة

٥٢٠ - الشرط الأول : العفة

٥٢٠ - العفة عن المحارم

٥٢١ - دواعي عدم ضبط الفرج عن الحرام

٥٢٢ - وسائل قهر النفس عن الشهوات

٥٢٤ - أنواع القدح في الأعراض

٥٢٥ - العفة عن المآثم

٥٢٩ - الشرط الثاني : التزاهة

٥٢٩ - المطاعم الدنيئة وحسمها

٥٣٠ - مواقف الريبة

٥٣٢ - الشرط الثالث : الصيانة

٥٤٠ - أدب السائل ذي المروءة

٥٤٢ - خصال المسؤول المرجو للإجابة

٥٤٣ - شروط المروءة في غير المرء ثلاثة

٥٤٣ - الشرط الأول : المؤازرة

٥٤٣ - الإسعاد بالجاه

٥٤٥ - الحقوق على ذي الجاه ثلاثة

٥٤٦ - الإسعاف في النوائب

٥٤٨ - الشرط الثاني : المياسرة

٥٤٩ - العفو عن الهفوات

٥٥٧ - معرفة أسباب الهفوة وعلاجها

٥٦١ - المسامحة في الحقوق

٥٦٤ - الشرط الثالث : الإفضال

٥٦٨	الفصل الثامن : في - آداب منشورة
٥٦٩	- أدب المأكل والمشرب
٥٧٢	- أدب الملابس
٥٧٣	- فوائد اللباس
٥٧٤	- بيان الاختلاف في موجب ستر العورة
٥٧٧	- أحوال الإنسان في مراعاة اللباس
٥٨٠	- أدب الاستراحة والتصرف
٥٨٤	- خاتمة : في نصائح جليلة ذات منافع جزيلة
٥٨٦	خواتيم النسخ الخطية
٥٨٩	نفائس مستجدات مما ألحق وكُتب في المخطوطات
٥٩٥	الفهارس العامة
٥٩٧	- فهرس الآيات القرآنية
٦٠٦	- فهرس الأحاديث النبوية
٦٢٥	- فهرس الآثار والأقوال والأخبار
٦٨٠	- فهرس الأمثال والحكم
٦٨٠	- فهرس الكتب
٦٨١	- فهرس الأبيات الشعرية
٧١١	- فهرس الأعلام
٧٣١	- فهرس الأماكن والبلدان والمواضع
٧٣١	- فهرس القبائل والجماعات والأمم
٧٣٢	أهم مصادر ومراجع التحقيق
٧٥٧	محتوى الكتاب